المشروع الماروني في لبنان

جذوره وتطوراته

محمد زعيتر

محمّد زعيتر

المشروع الماروني في لبنان

جذوره وتطوّراته

الوكالة العالمية للتوزيع

الإهداء :

إلى صاحب العصر والزمان ، القائم بالقسط ، الحجة المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ، مهدي آل محمد (ص) وبقية الله في أرضه .

إلى قائد المسيرة الإسلامية ، ومحيي دولة الإسلام، ومعيد مجد المسلمين، الإمام الخميني دام ظله .

إلى كل الذين يؤمنون بأن الأمة الإسلامية هي كالجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

إلى جميع المجاهدين والعاملين للإسلام في كل مكان .

إلى الأمة الإسلامية جمعاء .

أرفع هذا الكتاب .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ - سورة التوبة ١٠٥ .

الحمد لله الذي لا نرجو إلا فضله ولا نخشى إلا عدله ولا نعتمد إلا قوله ولا نتمسك إلا بحبله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله وأنبيائه ، وعلى آله وأصحابه الأبرار الميامين الذين عملوا جاهدين لتحطيم رموز الشرك واصنام الجاهلية حتى لا يعبد في بقاع هذه الأرض غير الإله الواحد الأحد ، وعبدوا الله مخلصين له الدين حتى أتاهم اليقين ، وبذلوا دماءهم الزكية راضين مرضيين لتحصين ثغور المسلمين ، وحفظ هذه الأمة من كيد الحاسدين، وبغي الظالمين ، وعبث العابثين ومشاريع المتآمرين .

أما بعد فقد رأيت وبدافع من شعوري وادراكي العميق لحجم المسؤولية طبقاً لما جاء في وصية الرسول (ص) : « كلكم راع وكلكم مسؤول » ، ضرورة القيام بالواجب الملقى على عاتقنا جميعاً في توضيح الأمور ، ووضع الحقائق كاملة أمام أعين المسلمين ليتسنى لهم

ادراك حقيقة المؤامرة وحجمها وأدواتها ورموزها وأهدافها . فوضعت هذا الكتاب وهو الأول من نوعه مبتغياً في ذلك رضى الله وشفاعة رسوله ونجده أبناء دينه .

إن تاريخ المشروع الماروني في لبنان هو تاريخ المؤامرة الطويلة التي بدأت منذ عهود الفتوح الإسلامية الاولى .

هذا ولدينا تاريخياً سجلات حول جهود قديمة قام بها الموارنة والمتآمرون معهم من الخارج لفصل هذا الساحل عن غيره من المنطقة الاسلامية . فقمت بجولة مفصلة حول الجذور التاريخية للأهداف المارونية تؤكدها مواكبة التحرك الماروني الحديث لإقامة الدولة المارونية ، مستفيداً في ذلك الى حد بعيد من المصادر والكتب التي وضعها مؤلفون وكتاب موارنة أمثال بطرس ضو ، لحد خاطر ، فؤاد افرام البستاني ، وليد فارس . . . ومن اعترافات زعمائهم وقادتهم على مر العصور .

ولما كان المشروع الماروني ومنذ البداية مشروعاً بابوياً أيضاً ، فلقد ركزت على العلاقات المارونية ـ البابوية ، وحاولت قدر الإمكان إبراز هذه العلاقة ونبشها من بطون الكتب والمصادر .

أثناء الحروب الصليبية التي شنتها اوروبا على الشرق المسلم ، واستمرت قرابة المائتي عام ، خدم الموارنة كفيالق خاصة ، وارتبطوا سياسياً وعسكرياً بروما وباريس ليلعبوا فيما بعد دوراً مهماً في تاريخ توازنات « امارة الجبل » ، وتحويلها عملياً الى إمارة مارونية .

وكانت سياسة المعنيين والشهابيين الممالئة لهم قد مكنتهم من اغتصاب جبل لبنان من سكانه المسلمين وأصحابه الشرعيين ، وبمباركة هؤلاء قاموا بحملة توسعية هائلة ، وتمكنوا من تهجير المسلمين من كسروان وجبيل والمتن وجزين وسائر المناطق في جبل لبنان ، تحت

إشراف الكهنة والرهبان والبطاركـة .

نعم على نفس نهج الصليبية ظـل الموارنـة يسيرون طيلة العصـور ، وقـد استفادوا كثيراً من تفرق المسلمين وتشتتهم من أجـل توطيـد سلطتهم وبناء قوتهم .

وكـانت العلاقـات التجاريـة مع الغـرب هي المفتاح السـري لإقـامـة عـلاقات ونشـاطات سيـاسية وثقـافية وايـديولـوجية خطيرة. هـذه العـلاقـات ضمنت لـرجـال الاكليـروس المـاروني سلطة واسعـة الصـلاحيـات ، وقـد تعززت هذه السلطة تاريخياً بالدور الاقتصـادي للكنيسة ، والـدور السياسي والعسكري الذي لعبته فيما بعد .

ويكمن سر نجاح الكنيسة المارونية في نظام تراتبي يبدأ من الراهب البسيط وصولاً الى البابا في روما ، حتى غدت املاك الكنيسة تقدر بـالربـع (وحتى الثلث في مصادر أخرى) من أراضي جبل لبنان .

كـل هذا مضـافاً بـالأصل كـون هذا المشـروع الماروني من أسـاسـه عقيدة عنصرية لأقلية صليبية حاقدة على الاسلام والمسلمين .

هذه العقيدة تغذت مع الـزمن من خلال الـدور الذي لعبتـه في لبنان وبـالعلاقـة مع الغـرب والبـابـا خـاصـة ، حتى اكتسبت تبعـاً لمعتنقيها مـا يصرون على تسميته خصائص « امة مارونية » أو « قومية مارونية » هي ذات الشيء ما يسمونه « قومية لبنانيـة » . وهدفهم من كـل ذلك هـو فصل لبنـان عن محيطه الإسلامي .

ان المشـروع المـاروني بتنصير لبنـان واقتـلاع جـذور الاسـلام من أرضه هو امتداد للمشاريـع الصليبية التي أقـرتها اوروبـا وجاهدت ومـا تزال من أجلهـا . انه خـلاصة حـركة صليبيـة عمرهـا اكثر من ألف عـام ، وهـو إضـافـة الى ذلـك كله المكمـل للمشـروع الصهيـوني بـابتـلاع الأرض الاسلامية .

ويمكن القول ان هذه المنطقة تعرضت لمؤامرة ذات شقين :

صليبي وصهيوني ، فأما الصليبية فتتمثل بالمشروع الماروني وسعيه الى اغتصاب لبنان ، واما الصهيونية فتتمثل بالمشروع الصهيوني وسعيه لاغتصاب فلسطين .

ولهذا فقد تحالفت الصليبية والصهيونية من أجل انجاح مشاريعها في السيطرة والاحتلال .

وتشجع الموارنة اكثر عندما برزت فكرة القوميات ، وبعد أن تفرق المسلمون واتخذوا الشعارات « القومية » و « الوطنية » ديناً لهم عوضاً عن « الدين القيم » . ومنذ ذلك الحين صار الموارنة يجاهرون بـ « القومية اللبنانية » و « القومية المارونية » وأن لبنان هو ماروني أولاً وأخيراً . وعلى هذا الاساس تم إنشاء « لبنان الكبير » وجعل الحاكمية فيه للموارنة .

ومنذ أن خضع المسلمون في لبنان لحكم الأقلية المارونية فقد دخلوا من جديد في عهود الجاهلية ، ذلك ان الهيمنة المارونية على كل لبنان تصبح هي المسألة الأهم وتندرج تحت بنودها كافة التفاصيل .

وبعد أن سيطر الموارنة على جهاز الحكم ومراكز النشر والإعلام ومناهج التدريس زيفوا التاريخ لمصلحتهم من اجل فصل المسلمين عن تراثهم وتاريخهم ، حتى غدا المسلمون في لبنان من أجهل الناس بتاريخ امتهم ومآثرها عبر القرون .

آن أن يعي المسلمون ان تاريخ هؤلاء حافل بالعمالة والإجرام وليس من المعقول أن يحكموا بلداً .

في الخامس عشر من شهر شعبان

يوم مولد الإمام المهدي، محمد ابن الحسن (عج)

محمد زعيتر

البنود الرئيسية للمشروع الماروني

اننا اذا تتبعنا المشروع الماروني منذ انطلاقته ، مروراً بمختلف العهود ومن خلال الوثائق العديدة ومواقف القيادات المارونية التاريخية والمعاصرة، يمكننا ان نكون فكرة واضحة عن أبعاد هذا المشروع وأهدافه .

فالموارنة يعتبرون :

- ان لبنان هو ماروني منذ آلاف السنين وهو وطن خاص بهم دون سواهم .

- ان المسلمين هم غرباء وأجانب ينبغي ترحيلهم ولذا فقد تواصلت حملات التهجير منذ حوالي سبعمائة عام حتى تمت لهم السيطرة شبه التامة على مناطق جبل لبنان .

وكان هناك قرار دولي يرمي الى اسكان الموارنة في جبل لبنان من اجل الاستفادة من تبعيتهم وعمالتهم للغرب .

- ان الشعب اللبناني هو شعب ماروني . ثم ان كلمة لبناني تعني بزعمهم ماروني . واللبنانيون هم الموارنة ، ولبنان والموارنة شيء واحد .

وقد تعمد المحدثون والخطباء والكتاب والمؤلفون من الموارنة ان يملأوا كتبهم وبحوثهم بتعابير يراد منها الإيحاء بهذا المفهوم ، مثل : « لبنان والموارنة » او « لبنان والطائفة المارونية » ، من اجل ترسيخ هذه الفكرة ، واذا ما أعلن البابا عن « حبه للبنان والموارنة » فاللبنانيون جميعاً « يشكرون لصاحب القداسة » هذا الاعلان ، لأن اللبنانيين ليسوا سوى الموارنة - كما يزعمون - .

- التركيز على «الفتح العربي»: ليس في تاريخ الموارنة شيء اسمه الاسلام فهم يعتبرون ان لبنان تعرض للفتح العربي وانه لا بد من تحريره بطرد المسلمين وتحويله الى وطن قومي ماروني .

ان اللغة العربية هي « لغة الفاتحين » او لغة المستعمر ، ولذا فقد ظهرت في الأوساط المارونية عدة دعوات للقضاء على هذه اللغة واستعمال الحرف اللاتيني .

- الاستقواء بالأجنبي . ان من يطالع تاريخ الموارنة يصل الى هذه القناعة التامة بكل بساطة ، فقد كانوا على الدوام عين المستعمر ودليله وأدواته ورموزه المحلية ، واليد التي يبطش بها ابتداء من أول حملة صليبية وحتى آخر غزو صهيوني .

حدود الدولة المارونية

ما هي حدود الدولة التي يرغب الموارنة بإنشائها ؟

في الواقع ان هذه الحدود غير قابلة للتحديد بل هي تتسع باستمرار تمشياً مع سياسة الخطوة - خطوة .

فعند مجيء الموارنة الى لبنان استوطنوا في بعض مناطق بشري والبترون،ثم استولوا فيما بعد على جبل لبنان وتمكنوا من الانتشار في معظم المناطق اللبنانية . عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م سعى الموارنة للسيطرة على جزء اساسي من لبنان وقد تم لهم ذلك فكان نظام المتصرفية .

بعد الحرب العالمية الأولى وتنفيذاً للخطة الفرنسية صاروا حكاماً على لبنان ، واصبح لهم دولة يديرونها وفق مشيئتهم .

كان هنري لامنس اليسوعي،صاحب نظرية لبنان الملجأ وأول من ابتدع الفينيقية،ينظر الى سوريا كلها على انها لبنان الماروني،واثر ظهور فكرة « لبنان الكبير » عام ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠م حذر فرنسا من هذه الصيغة قائلاً : « ان بامكاننا ان نصنع لبنان الأكبر منه من سوريا الطبيعية كلها وبكل أقلياتها الاجتماعية»، والمقصود ان الدولة المارونية هي كالدولة

الصهيونية لا تحدها حدود ولا تتقيد بمواثيق .

فالصهاينة طالبوا في البدء بقطعة من فلسطين غير ان هذه القطعة تمددت حتى التهمت فلسطين كلها وانقضت على ما حولها،وهكذا الحال بالنسبة لدولة مارون .

ففي عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م تمكنوا من تصفية الوجود الاسلامي في مناطق بيروت الشرقية وأجزاء أخرى من جبل لبنان .

بعد الاجتياح الإسرائيلي عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م جهدوا للسيطرة على كل لبنان وتحويله الى « دولة مسيحية يتمكن من خلالها جميع النصارى في المنطقة العربية من الاقامة فيها » كما أعلن بشير الجميل .

وبعد أقل من سنتين أعلن احد مسؤولي حزب الكتائب « ان احياء الشياح هي ملك للمسحيين وليس للمسلمين ! ولن نتنازل عن الأحياء المسلوخة في بئر العبد وحي ماضي وحي الدير وحي الكنيسة مهما طال الزمن » .

وسوف نتعرض لهذه الوقائع في حينها .

الفصل الأول
التعاون مع البيزنطيين والصليبيين

اصل الموارنة

ينتسب الموارنة من حيث الإسم الى « مار مارون » الذي عاش في اواخر القرن الرابع الميلادي ومطلع القرن الخامس . وفي عام ٤٥٢م بنى الامبراطور البيزنطي ديراً على اسم « القديس مارون » في منطقة حمص او منطقة أفامية ، الواقعة على مسافة نحو خمسة وأربعين كيلو متراً شمالي غربي حماه[١] .

والموارنة في الأصل طائفة من نصارى الشرق انفصلت عن الكنيسة البيزنطية في اواخر القرن السابع الميلادي ـ القرن الأول الهجري ـ وغرضها العودة الى الكنف الغربي ، حتى توحدت مع روما في الحروب الصليبية[٢] .

قبل الفتح الإسلامي كانت الأقلية. المارونية تسكن شمالي سورية بالقرب من قديسها « مار مارون » على ضفاف نهر العاصي[٣] .

وفي وقت ما من القرن السادس الميلادي ، أخذت جماعات من الموارنة تتسلل الى شمالي لبنان في اعقاب اشتباكات دامية مع اليعاقبة (فرقة نصرانية)[٤] .

ولما تولى الامبراطور البيزنطي يوستنيانوس الحكم عطف عليهم

وأعاد بناء ديرهم بعد الاقتتال سنة ٥١٧ م مع اليعاقبة .

في مطلع القرن السابع الميلادي ومع بداية الفتح الاسلامي ، شملهم الامبراطور البيزنطي هرقل بعطفه ورعايته فاستعادوا نفوذهم ونشاطهم ثم اعطتهم الدولة البيزنطية عدداً من الكنائس اليعقوبية[٥] .

وقد اتصل الموارنة بالجراجمة ، أو المردة ، وهي قبيلة نصرانية مولعة بالحرب ، ونشأ عن القومين جماعة مارونية واحدة .

المردة

وقد عرفوا أصلاً بالجراجمة وهم من مدينة على جبل اللكام يقال لها الجرجومة عند معدن الزاج ، فيما بين بياس وبوقا ، وكان أمرهم في ايام استيلاء الروم على الشام وانطاكية عائداً الى بطرك انطاكية وواليها ، وعندما حرر المسلمون مدينة انطاكية عام ١٧ هـ ـ ٦٣٨م لزموا مدينتهم ولم يقاتلوا بل بادروا بطلب الأمان والصلح فكان لهم ما أرادوا على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً لهم في جبل اللكام[٦] .

غير ان الجراجمة الذين لم يقطعوا صلتهم بالروم غدروا ونقضوا وهموا باللحاق بهم ولم ينتبه المسلمون لهم .

كان هذا الشعب الجبلي يزود جيوش البيزنطيين بالجنود المرتزقة. وكان الجراجمة قد استفادوا من وقوع بلادهم في منطقة الحدود ليمارسوا شيئاً من الاستقلال الذاتي في تصريف شؤونهم .

وبما انهم كانوا من النصارى فقد استطاع امبراطور الروم استغلالهم واستخدامهم في عمليات التخريب والاغارة داخل البلاد والاراضي الاسلامية .

ظل الجراجمة يكاتبون الروم ويمالئونهم[٧] ضد المسلمين،وقاموا

بهجمات عديدة لخلق الفتن والاضطرابات في اعوام ٣٥ هـ - ٦٥٦م و ٤٥ هـ - ٦٦٦ م و ٤٨ هـ - ٦٦٩ م و ٥٣ هـ - ٦٧٤ م ، وكانوا يستغلون انشغال المسلمين بالحروب مع البيزنطيين لطعنهم من الخلف والتنكيل بهم بتحريض من البيزنطيين أنفسهم .

في عام ٥٦ هـ - ٦٧٧ م ركب الروم السفن وشنوا حملة عسكرية على ديار المسلمين، ثم أتوا سواحل صيدا وصور فاستولوا على جبل لبنان وانتشروا من جبل الجليل الى الجبل الأسود*[٨] .

يقول البلاذري « خرجت خيل للروم الى جبل اللكام وعليها قائد من قوادهم ثم صارت الى لبنان وقد ضمت اليها جماعات كثيرة من الجراجمة »[٩] ، الذين كانوا على مذهب الموارنة .

ويقول بطرس ضو :

« في السنة ٦٧٧ خرج المردة الجراجمة من مدينتهم في شمالي سورية في حملة قوية اشترك فيها مردة ارسلهم الروم من آسيا الصغرى فاحتلوا في هذه الحملة كل الرقعة الجبلية الممتدة من مدينة الجرجومة والجبال المشرفة على السويدية في ميناء انطاكية عند مصب العاصي حتى جبال فلسطين والمدينة المقدسة اورشليم ، وجعلوا معقلهم الرئيسي في قمم لبنان ومن هناك أخذوا يشنون الغارات . . . » .

ويؤكد ضو أن الهدف هو « انشاء دولة مستقلة ممتدة من شمالي سورية حتى جنوبي فلسطين » على ان يكون لبنان « قلب هذه الدولة

(*) الجبل الأسود : هو القسم الشمالي من جبال العلويين المشرف على مدينة السويدية .

ومعقلها الأكبر »[١٠] .

وفي نفس السنة ٦٧٦ - ٦٧٧ م دخل ماريوحنا مارون الى لبنان وأقيم أسقفاً على البترون وجبل لبنان من قبل المندوب البابوي الذي بارك العمل وأيد الخطة .يقول بطرس ضو : « . . . فوقوع الحدثين في السنة ذاتها وفي الاتجاه ذاته أي انتقال ماريوحنا مارون الى لبنان لرعاية سكانه وانتقال الجراجمة اليه لغاياتهم العسكرية لم يكن من قبيل الصدفة ، فقد جاء مار يوحنا مارون الى لبنان متتبعاً تحركات المردة ، ابناء الموارنة، بالروح للسهر عليهم وعلى الموارنة في لبنان مثلما يتبع الراعي قطيعه[١١] .

ويضيف ضو :

« لم تكن ترقية مار يوحنا مارون الى الأسقفية وارساله الى لبنان في الوقت الذي تمركز فيه جيش المردة والموارنة في هذا الجبل من قبيل الصدفة ، ولكن كانت لهذا التدبير عدة دوافع اهمها :

اولاً : صيانة الموارنة والجراجمة المنخرطين في جيش قيادته بيزنطية من النفوذ البيزنطي وانحرافهم عن الولاء للمارونية والحضارة السريانية ومبادىء الاستقلال عن بيزنطية ايمانا وكنيسة وحضارة .

ثانياً : صيانة الموارنة والسريان في لبنان ضد خطر النفوذ الملكي البيزنطي الذي كان بالامكان ان يتسرب اليهم عن طريقة القيادة البيزنطية في عسكر المردة ، الى هذا يشير الكلام الذي وضعه كتاب تعليم اليعاقبة على لسان يوحنا مارون في مخاطبته الامير الفرنجي في انطاكية : « يا ملك نحن نخاف على جبل لبنان لئلا تدوره طائفة الملكية الى امانتهم » .

وهكذا التحق يوحنا مارون بجيش المردة الى لبنان ليحفظ الموارنة في جيش المردة من التنكر لمارونيتهم اي لايمانهم وحضارتهم السريانية

واستقلال كنيستهم الانطاكية عن بيزنطية » .

« ويتضح من كيفية تعيين يوحنا مارون اسقفاً اتحاد المارونية من اساسها ومنذ بدايتها اتحاداً عضوياً بالكنيسة الرومانية . . . وكان التعاون متبادلاً والانسجام تاماً بين يوحنا مارون وجيش المردة الذي اتخذ من لبنان مركزاً ومعقلاً له وقاعدة لعملياته الحربية »[١٢] .

اذن فمشروع الوطن القومي الماروني بالاضافة الى انه يعود الى أيام المردة فقد كان ومنذ البداية مشروعاً بابوياً . ومن علاقة يوحنا مارون ، اول بطريرك ماروني ، بالبابا ، انه سافر الى روما في عهد البابا سرجيوس ٦٨٧ - ٧٠١ م ، الذي « احسن استقباله ، ووشحه بدرع الرئاسة ، ووهبه خاتماً وتاجاً وعكازاً حبرياً »[١٣] .

في حدود سنة (٦٦ - ٧٠) هـ - (٦٨٥ - ٦٨٩) م ارسلت الدولة البيزنطية قوة عسكرية مؤلفة من اثني عشر الف جندي لغزو لبنان بالاتفاق مع يوحنا مارون أمير مردة الجبل الذي شرع على الفور يطوف المدن والقرى داعياً لقتال المسلمين[١٤] .

ورغم ان هذه الحملة التي سميت بالمردة منيت بالفشل عام ٦٧ هـ - ٦٨٦ م فان الموارنة يعتبرون « ان وقائع وبطولات المردة هي جزء من التراث الماروني»، نظم بها الموارنة قصائدهم ومن هذه القصائد ، زجليات ابن القلاعي .

والدويهي نفسه يؤكد علاقة ماريوحنا مارون بحملات المردة بقوله : « فالمردة قبل انقسام الموارنة والروم الى كنيستين مستقلتين كانوا متأثرين بنفوذ الموارنة تابعين لهم . وبعد الانقسام وبسبب امتزاج الجراجمة والمردة بالموارنة خاصة في لبنان اصبحوا جزءاً من الكنيسة المارونية » .

وقد اندمج المردة كلياً بالكنيسة المارونية والف المردة والموارنة

« امة واحدة » .

يقول فيليب حتي : « من هذا الاندماج تكونت الأمة المارونية التي لا تزال سائدة في لبنان وتؤلف الجماعة المسيحية الأكثر تماسكاً » .

ويقول بطرس ضو « واندماج الجراجمة المردة بالكنيسة المارونية حصل بصورة طبيعية عفوية منذ اللحظة التي ظهرت فيها الكنيسة المارونية ككنيسة مستقلة ذات كيان خاص وذلك لأن الجراجمة كانوا قبل استقلال الكنيسة المارونية متأثرين بالنفوذ الماروني كما رأينا ، تابعين للموارنة عقائدياً وحضارياً ولغوياً » . ويضيف : « ان المردة الجراجمة كانوا موارنة ديناً وحضارة ولغة » .

ويتابع :

« المردة شعب واحد ذو فصيلتين ، فصيلة خارجية ، اتت من بلاد الروم بأمر من الملوك البيزنطيين وسميت بالمردة وفصيلة داخلية كانت تقطن سوريا منذ زمن بعيد وعاصمتها الجرجومة وعرفت بالجراجمة . اثناء الحملات - ضد المسلمين - اندمج المردة الخارجيون الروم والمردة الداخليون الموارنة الجراجمة في عسكر واحد جعل من قمم لبنان المعقل الرئيسي له .

التحق ماريوحنا مارون بهذا المعسكر للحؤول دون فقدان الجراجمة الموارنة شخصيتهم ، وايمانهم الماروني بسبب انتظامهم مع المردة الروم في عسكر واحد »

ان جذور المشروع الماروني الهادف الى اقتطاع لبنان من الأرض الاسلامية تعود الى ذلك العهد القديم كما يعترف بطرس ضو :

« ومنذ ذلك العهد وضع الموارنة اسس استقلالهم واستقلال لبنان على قاعدة الاستقلال تجاه الدول الاسلامية . . . » الى ان يقول :

« هذه جذور وقواعد شرعة الاستقلال اللبناني الماروني منذ ماريوحنا مارون البطريرك الماروني الأول »[١٥] .

ولهذا فليس من الغريب ان يعلن سليمان فرنجية عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م عن تأسيس جيش ماروني اسمه « لواء المردة » يتولى اكمال الدور الذي بدأه اجداده .

ويقول جورج عدوان عضو الوفد الماروني اللبناني الى مؤتمر الموارنة العالمي في نيويورك الذي عقد في ٣٠ ذي الحجة ـ ٤ محرم ١٤٠١ هـ (٨ ـ ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٠) : « كل مرة يقوى الموارنة يستقل لبنان وتتسع حدوده وكل مرة يضعف الموارنة يتداعى استقلال لبنان فتقوى نزعة اعدائه الى تذويبه وطمس معالم هويته وحضارته المسيحية .

جاء الفتح الاسلامي فتصدى له الموارنة بجيش من المردة قوامه ١٢ ألف محارب . طوال القرنين الثامن والتاسع حاول الخلفاء العرب مراراً تطويق الموارنة بغرس جماعات من الغرباء في السواحل مدوها بما استطاعوا من الدعم ، واجب علينا اعادة الدولة واسترجاع سيادتنا من مغتصبيها وواجب علينا بناء دولة تتضمن ديمومة هويتنا »[١٦] .

ان سوء الادارة الاسلامية مكن الموارنة من التكاثر في لبنان خلال القرن الأول الهجري ـ السابع الميلادي، وقد ابتدأ هذا التكاثر بالنزوح الى لبنان الشمالي وعرف باسم نزوح الجراجمة والمردة،ولهذا يعتبر الموارنة ان عصر المردة هو العصر الذهبي في تاريخ حروبهم مع المسلمين في سبيل « كيان لبناني مستقل أبدي واحد » .

« والكيان اللبناني » هو الكياني الماروني ، لأن « الأرض المستقر النهائي للأمة المارونية هي لبنان » .

يزعم ضو أن « الشعب اللبناني الذي اعتنق المسيحية هكذا على يد تلامذة مار مارون تسمى مارونياً منذ الجيل الخامس وأصبح عنصراً رئيسياً في تكوين الأمة المارونية »[١٧] . و أن « لبنان المستقل هو من صنع الموارنة المردة منذ الجيل السابع للميلاد حتى الآن قبل ان يكون من صنع من اتوا بعدهم من المعنيين والشهابيين وغيرهم حتى بشارة الخوري ورياض الصلح »[١٨] .

بتاريخ ٢١ صفر ١٣٩٧ هـ ـ ٨ شباط ١٩٧٧ ألقى بطرس ضو محاضرة في كنيسة بعبدا بمناسبة « عيد مار مارون » جاء فيها[١٩] :

« توطدت اركان عهد المردة ، او عهد الوطن القومي الماروني المستقل على دعائم قوة الموارنة الذاتية ، الروحية والعسكرية . استمد هذه العهد قوته من الأهداف التي وضعها الموارنة نصب أعينهم وأخصها حريتهم بكل أشكالها ، الحرية الدينية والحرية الفكرية ، وحرية القول والعمل والعبادة وحرية الفلسفة والعلم والفن والحضارة . . حرية المثل العليا والقيم الانسانية السامية.كان هدفهم انقاذ الحرية والحضارة في الشرق الأوسط من الطغيان ونظام القهر ، والظلم والتمييز والاستعباد ، والخراب والبداوة الهدامة . . فالحرية اساس الحضارة والكرامة الانسانية وكل نظام لا يقر حرية الآخرين هو نظام هدام للحضارة والكرامة الانسانية » .

والمقصود من « نظام القهر » ، « والظلم والتمييز والاستعباد » المقصود بالدرجة الاولى هو الاسلام أما « الحضارة والكرامة الانسانية » التي يتحدث عنها فهي المارونية الحاقدة . ويتابع :

« وعليه فان وقفة الموارنة ، كانت انقاذاً للانسان وحضارته وكرامته في هذه البقعة من العالم . هذه الأهداف والمثل العليا كانت قوة الموارنة ومنبع الهامهم ، ومصدر حماسهم واندفاعهم واستماتتهم في انشاء وصيانة

وطنهم القومي اللبناني .

واعتمدوا ايضاً على قوتهم العسكرية . . .

الشعب الماروني خلاصة الشعب الآرامي والشعب الكنعاني والشعب الأموري الذي عرف (بالمردة) .

كل هؤلاء وخاصة الاموريون المردة الذين منهم (الجراجمة) كلهم اتصفوا بشموخ القامة ، وشدة البأس ، وقوة الشكيمة ، والمهارة في الحروب » .

وزعم ضو في معرض حديثه ان « الكتاب المقدس » أطلق « على الأموريين اجداد الموارنة اسم الجبابرة والعمالقة ووصفهم بأنهم مثل قامات الأرز قاماتهم ، وصلابتهم كالسنديان ، وشبههم العرب بالجبال شموخاً ، ودعوهم الخضارمة لمقدرتهم على العظائم ، والاساورة لبراعتهم في فن الحرب ، وبين الاحرار لعنفوانهم وعشقهم الحرية والاستقلال . وأشاد الكتاب المقدس بقوتهم العسكرية فقال : ان مدنهم عظيمة وحصونهم تكاد تبلغ السماء ، واسمهم بالسريانية (الجراجمة) تعني الابطال ، واشتهروا في الحروب بانقضاضهم الصاعق كالبرق ، وسرعتهم الخاطفة في التحرك والهجوم القاصم الساحق على العدو .

هؤلاء هم الموارنة المردة ، وكان كل واحد منهم كبيراً أو صغيراً او امرأة جندياً بطلاً بارعاً . . .

اقاموا على كل تلة وقمة من وطنهم حصناً أو قلعة أو برجاً فشملوا الجبل كله بشبكة متماسكة من القلاع والحصون ، فكان لبنان كله من أقصاه الى أقصاه كأنه حصن واحد متماسك لا يقهر » . وكأن لبنان هو ملكلهم، وأضاف :

« ضمن هذا الوطن المنيع رصوا صفوفهم ، فكانوا كلهم كأنهم رجل واحد في الحرب والسلم مما جعل لهم سطوة عظيمة . .

ونشطوا ضمن سياج وطنهم المنيع ، الى تنظيم شؤونهم الروحية والدنيوية ، فرفعوا مستوى الأخلاق عالياً في قلب هذا الشرق وفوق أعلى قممه ، فكثر بينهم القديسون وازدهرت الفضائل ، وانصرفوا الى نقب جبلهم فحولوه الى فردوس مليء بالخيرات ونعموا بهناء لا مثيل له ، بينما كان الشرق يتخبط في الحروب والمحن ، وكافة انواع الظلم والضيق والبؤس ، وازدهرت علومهم وانفتحوا على الشرق والغرب » .

« ونعموا بأمان داخلي متين ، وكان همهم خارجياً صد غارات الارسلانيين الذين أرسلهم الخلفاء المسلمون ليحاصروا الموارنة ، فحصل مناوشات بين الفريقين برهة ، ولكن ما ان طال الأمر حتى استحكمت العلاقات الطيبة بين الارسلانيين والموارنة . . هذا كان عهد لبنان والموارنة الذهبي بدون شك ، خاصة اذا قابلناه بالعهود التي تلته . . تتميز العهود التي تعاقبت منذ تصدع الوطن الماروني بتوق مستمر متصاعد الى تحقيق الاستقلال عن الدولة الاسلامية ، هذا التوق كان الحافز الأكبر الناهض بالموارنة نحو الحرية . . .

فتحقق الاستقلال جزئياً وخاصة في زمن الامير فخر الدين الثاني والأمير بشير الشهابي الثاني » .

وبعد ان يتباكى على انتماء لبنان الى « الحكم الاسلامي » في عهود عديدة يعلن بطرس ضو :

« . . . ومن المقابلة بين مختلف العهود التي اختبرها الموارنة طوال ١٣٠٠ سنة ، يتضح ان عهد الوطن القومي الماروني المستقل عن الدولة الاسلامية عربية كانت أم غير عربية هو العهد الذهبي الأمثل . . » .

التحالف مع البيزنطيين

رغم ارتباط الموارنة بأسقف روما فقد استمر تحالفهم مع البيزنطيين من اجل فصل الساحل عن غيره من المنطقة الاسلامية، وفي ايام العباسيين ، قاموا بتمردين ، وقد لجأ من تبقى من المتمردين الذين لم يفلحوا الى منطقة بيزنطية .

واوردت الاخبار المارونية انه في سنة ١٣٥ هـ - ٧٥٣ م قام الموارنة بحركة انفصالية بقيادة المقدم الياس ، فنهبوا البقاع ونهبوا قراها وأهلها .

وبعد ان نظم المسلمون صفوفهم حدثت بين الفريقين معارك عديدة في منطقة الشوير .

ويفهم من التواريخ المارونية ان القتال دام بعد معركة الشوير مدة طويلة بين المسلمين والمتآمرين[٢٠] .

وقد روى ابن عساكر : ان الروم (البيزنطيين) دخلوا طرابلس في زمان واليها رياح بن عثمان حين كان عاملاً لصالح بن علي الهاشمي امير الشام ومصر .

واغتنم الموارنة الفرصة فتجمعوا تحت قيادة رجل من أهل

المنيطرة ، وذلك في سنة ١٤٢ أو ١٤٣ هـ - ٧٥٨ أو ٧٥٩ م وسمى نفسه الملك ، ولبس التاج ، وأظهر الصليب ، واجتمع عليه انباط جبل لبنان وغيرهم ، ثم استفحل امرهم فسبوا بعض القرى في البقاع ، وقتلوا المسلمين ، وأخذوا ما وجدوا، وتأهب أهل بعلبك فقاتلوهم في اسفل جبل لبنان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزمت بقيتهم، وفر زعيمهم الى بلاد الروم البيزنطيين .

ثم ان المسلمين عمدوا الى تحصين السواحل ومدنها وتعميرها من اجل تأمين الحماية اللازمة لها وللجبال المشرفة على بيروت من غارات الموارنة في الجبل .

وفي عهد الامارة التنوخية وقعت بين الموارنة والمسلمين معارك دامية أشهرها الاصطدامات القوية بالقرب من نهر الموت ، وفي انطلياس، حيث قتل اكثر من ثلاثماية قتيل من الفريقين ومني الموارنة بهزيمة ساحقة وانكفوا عن ساحل بيروت[٢١] .

ورغم هذه الهزيمة فلم يخلدوا للسكينة بل كانوا على الدوام ينتهزون الفرص للغدر بالمسلمين والايقاع بهم ، مشكلين في ذلك أهم عوامل القلق والاضطراب ، مما جعل الحالة متوترة باستمرار وغير مستقرة.وفي عام ٢٥٢ هـ - ٨٦٧ م قاموا بهجوم مباغت وعنيف على بيروت ودامت المعركة أياماً اصيبوا بعدها بهزيمة شنعاء[٢٢] .

كما ان الوجود الماروني في جبال لبنان الشمالي كان مشجعاً على مجيء الروم من وقت الى آخر لمهاجمة بعض المناطق الاسلامية ولا سيما لبنان ، حتى ان الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (٩١٣ - ٩٥٩م) وجه انذاراً عنيفاً للخليفة العباسي فاحت منه رائحة صليبية : التهديد بهدم الكعبة ونشر المسيحية في الشرق والغرب[٢٣] .

ثم تمكن الامبراطور البيزنطي نقفور في سنة ٣٥٧ - ٣٥٨ هـ (٩٦٧ - ٩٦٨م) من اجتياح شمالي سورية واحتلال انطاكية وحمص وحماه واللاذقية وحلب .

وقد دعم الموارنة حركة التوسع البيزنطي .

وفي عام ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م قام الامبراطور جان تزمسيس المعروف بابن الشمشقيق بهجوم واسع سيطر به على شمالي سورية ووصل سنة ٣٦٥ هـ - ٩٧٥ م الى لبنان ، فاحتل الساحل بكامله ما عدا طرابلس كما احتل بعلبك وفرض الضريبة على دمشق ، « وصار سيف النصارى يحصد كالمنجل » ، لكن هذه الحملة لم تركز للبيزنطيين وأعوانهم حكماً في لبنان وسوريا ، وانما عملت على زيادة الفوضى والإضطراب في المنطقة ثم اضطروا للانسحاب الى انطاكية .

وفي سنة ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م قاموا من جديد بهجوم كبير على شمالي سورية ووصلوا الى مشارف طرابلس .

وقد ساعد هذا الوجود البيزنطي الموارنة على تنفيذ خططهم ومشاريعهم فاتصلوا بالبيزنطيين طالبين منهم المساعدة وفعلاً ارسل البيزنطيون بعض سفنهم لمساعدتهم .

وقد تمكن الفاطميون من القضاء على هذه الحركة وتحرير البلاد من البيزنطيين ووصلت قواتهم الى مشارف انطاكية غير ان الحملة البيزنطية عادت ثانية عام ٣٨٩ هـ - ٩٩٩ م ووصلت الى طرابلس ممهدة الطريق امام الحروب الصليبية[٢٤] .

بابوات من الحي اليهودي

في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي ، تولت دور الزعامة في روما عائلتان هما بيرليوني اليهودية Perlioni وفرانجيباني Frangipani الكاثوليكية .

هاتان العائلتان كما تؤكد تواريخ القرون الوسطى انحدرتا من طبقة النبلاء وسيطرتا على المدينة .

في عام ٤٢١ هـ ١٠٣٠ م كانت عائلة بيرليوني التي انبثقت من الحي اليهودي (الغيتو) : تراستفيري : trastevere وهو حي من احياء روما على الضفة اليمنى لنهر التيبر حيث بنيت اقدم كنيسة رومانية ، كنيسة سانتا ماريا ، تعيش في روما منذ عدة أجيال.وقد تحولت الى المسيحية لكي تحتل منصب «العرش البابوي» فيمابعد واصبح التراستفيري مركز العمليات لدى هذه العائلة .

وقد شيدت عائلة بيرليوني عدداً من الأبراج الحصينة في تلك المنطقة الواقعة على الضفة اليسرى لنهر التيبر والتي تؤدي الى المدينة البابوية ، وأصبح لها ميليشيا يعتمد عليها،وقد كان افرادها يعملون

بالصيرفة ، فكان رجالها مخولين بضرب النقود وكانوا يتمتعون بمركز لا نظير له .

في الاسبوع الذي سبق عيد الفصح عام ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م اجتمع آل بيرليوني مع عميدهم باروخ ذي النفوذ الواسع في الكنيسة - التي تهدمت بعد موت آخر بابا من آل بيرليوني عام ١١٣٨ م - للتعميد ومن ثم التحول الى المسيحية[٢٥] .

ان باروخ كان يأمل ان يتبوأ أحد أفراد أسرته في يوم من الأيام عرش « القديس بطرس » .

لقد ركع آل بيرليوني في الكنيسة ولكن ظل اسم (جماعة اليهود في تراستفيري) ملتصقاً بهم لمدة ثلاثة أجيال . ان هذه العائلة اسهمت في اخراج ثلاثة بابوات هما ليونيس جراتيانوس او جون جراتيان الذي سمي فيما بعد بغريغوريوس السادس (٤٣٦ - ٤٣٧) هـ - (١٠٤٥ - ١٠٤٦ م) ،هيلابراند الذي اصبح يدعى غريغوريوس السابع ٤٦٥ - ٤٧٨ هـ - (١٠٧٣ - ١٠٨٥م)وبطرس بيرليوني الذي عرف بـ: اناسولت الثاني عندما اصبح بابا ٥٢٥ - ٥٣٣ هـ (١١٣٠ - ١١٣٨م). Anaclet,tt [٢٦] .

وعندما نعرف « ان اليهودي يبقى يهودياً ، ويلد يهودياً ، ولا يمكن ليهودي ان يتحول عن دينه ، فالانسلاخ من الجلد امر محال ، واليهودي اذا ما أعلن تحوله ، فانما يجدد هويته »، ندرك مدى خطورة الدور الذي يقوم به « العرش البابوي » .

ان كثيرين من اليهود يدخلون في الأديان الأخرى كالمسيحية والاسلام ويمضي جيل او اكثر حتى لا يعرف عنهم انهم من اصل يهودي ، ثم يؤلفون الجمعيات الدينية والسياسية والخيرية والأدبية والاصلاحية او ينضمون اليها من اجل تسخيرها لمصالحهم .

ليس هذا فحسب بل أشار اليهود في بروتوكولاتهم الى خطة تقضي

بجعل بابا الفاتيكان منهم كما فعلت اسرة بيرليوني وغيرها. جاء في البروتوكول السابع عشر لحكماء صهيون[٢٧] :

« حينما يحين لنا الوقت كي نحطم البلاط البابوي تحطيماً تاماً فان يداً مجهولة ، مشيرة الى الفاتيكان ستعطي اشارة الهجوم . وحينما يقذف الناس ، اثناء هيجانهم ، بأنفسهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة له لوقف المذابح ، وبهذا العمل سننفذ الى اعماق قلب هذا البلاط ، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض ان تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية . ان ملك اسرائيل سيصير البابا الحق للعالم ، بطريرك الكنيسة الدولية » .

والواقع ان سياسة الفاتيكان ومواقف البابوات كانت على الدوام في خدمة المشاريع الصهيونية .

يؤكد ولهلم بيرنادري وهو من العلماء الألمان البارزين في القرن الماضي « ان انا سولت كان يهودياً نجح في الوصول الى مركز البابوية » .

ونقرأ في اللوائح الكاثوليكية الرسمية المحتوية اسماء القديسين تحت تاريخ ٢٥ أيار وهو « يوم ذكرى القديس غريغوريوس » في الكنائس الكاثوليكية : إن أسرة هذا البابا لم تكن اسرة نبيلة ، انها من أصل يهودي .

كيف تم ذلك ؟

يجمع المؤرخون ان الامبراطور الروماني قسطنطين الكبير اعتنق الديانة المسيحية عام ٣١١ م لأغراض سياسية بعد أن وجد ان الحفاظ على الامبراطورية رهن بتقبل الديانة الجديدة، فاعتنقها وأصبحت المسيحية دين الدولة الرسمي فأغدقت على الكنيسة هبات وهدايا سخية .

وقد سجل سلفستر الأول ، اسقف روما ٣١٤ ـ ٣٣٥م هذه الهبات فاذا هي : « اكبر ممتلكات تخص أية مجموعة منظمة في العالم »[٢٨] .

وفي بداية القرن الحادي عشر اصبح رجال الفاتيكان العوبة بيد نبلاء روما واصبح « العرش البابوي » يباع ويشترى بالمال ، في عام ٤٠٣ هـ ـ ١٠١٢ م انتخب البابا بندكت الثامن عى يد السلطة الغاشمة للنبلاء الرومان .

وفي عام ٤٣٧ هـ ـ ١٠٤٥ م اشترت اسرة بيرليوني المنصب البابوي لجون جراتيان بـ ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ رطلاً من الذهب أي ما يساوي ٦٠٠٠ جنيه استرليني ، واستلم السلطة عن البابا بندكت التاسع شقيق بندكت الثامن وعرف بغريغوريوس السادس وهو يهودي الأصل وكان الجميع يعرفون ذلك .

يقول المؤرخ بول : « لقد ظهر ان غريغوريوس كان مقتنعاً بعدم صلاحية بندكت لمنصب البابوية فاتخذ تلك الخطوة الجريئة لاقصائه عن المنصب ولو بدفع المال لشرائه » .

بعد سنتين وستة أشهر اصبح البابا الجديد عرضة لتهم شتى مما دفعه الى الاستقالة، ثم ذهب الى منفاه بكولون على حوض الراين في المانيا، فتبعه هيلد براند صديقه الحميم والكاهن الأعظم، وبعد موت غريغوريوس ورث عنه ثروته العظيمة التي أهلته فيما بعد للوصول الى كرسي البابا، وكان هيلد براند اكثر شخصية مؤثرة في العالم المسيحي .

هذا وقد ظل يوحنا جراتيان أوجون جراتيان محتفظاً بلقب غريغوريوس السادس وبخاتم«الرسول بطرس»ولم يتخل عنه، وظل الكهنة والاساقفة يقبلون ذلك الخاتم الى حين وفاته في هامبورغ عام ٤٤٠ هـ ـ ١٠٤٨ م .

نجح هيلد براند في ان يصبح احد مستشاري الامبراطور الحميمين،

يقول عنه (يوحنا وليم باودن) ، وهو احد الذين كتبوا سيرة حياته : « . . . وسرعان ما نقل من بيت والديه الى مكان مناسب اعد له لكي يستعد للأعمال المرهقة والواجبات التي تنتظره ثم رجع الى روما » .

وقد كان هيلد براند بيرليونياً صرفاً كما يؤكد (بتروفيديل) .

في عام ٤٤١ هـ ـ ١٠٤٩ م أعلن عن تولي بورنو أسقف روما منصب البابا تحت اسم (ليو التاسع) ١٠٤٩ ـ ١٥٠٤ م .

يقول المؤرخ غريغوريوس :

« لقد اصطحب بورنو معه هلد براند وهو رجل يزيد في اهميته على الملك او الامبراطور وهو يرتدي مسوح الرهبان وكان لا يزال مجهولاً ، ولكن قدر له ان يصبح عبقري الكنيسة الفذ » .

عند عودة هلد براند الى روما كان باروخ على فراش المرض ثم ما لبث ان توفي عام ٤٤٣ هـ ـ ١٠٥١ م ولا يزال قبره الى الآن وعليه نقوش يهودية ، في داخل الأروقة المعمدة ، المسقوفة المبنية حول كنيسة (سان باولو) خارج اسوار روما .

في عام ١٠٦١ م ـ ٤٥٤ هـ اختار هلد براند الاسكندر الثاني لتولي منصب البابا ثم عين افراداً من عائلته في وظائف رسمية لتصريف الشؤون المصرفية البابوية .

وعندما توفي هذا الأخير عام ٤٦٥ هـ ـ ١٠٧٣ م ولم يكن هنالك أي شخص له تلك التجربة العريضة التي يملكها هلد براند فقد تولى هذا الأخير المنصب واصبح البابا الثاني من الحي اليهودي . وهناك وثيقة مؤرخة في ٢٢ نيسان عام ١٠٧٣ م . تقول : عن الرجل : انه « رفع الى منصب الحبر الأعظم.ثم افسح المجال للكرادلة والاساقفة لأداء فروض

الطاعة والخضوع لمعلمهم وسيدهم بأن يركع كل منهم ويقبل قدمه .

كان غريغوريوس السابع على عداء تام مع الامبراطور هنري الرابع فعمل على توجيه الانظار الى الشرق ،وخطط لأول حملة صليبية على البلاد الاسلامية ، لكنه ما لبث ان توفي في الخامس والعشرين من شهر أيار عام ١٠٨٥ م - ٤٧٨ هـ وهو في الثالثة والستين من العمر قبل ان يباشر خطته[٢٩] .

اعلان الحروب الصليبية

لقد اصبحت عائلة بيرليوني اعظم قوة من السابق وأصبح على البابا أن ينال تأييدها وموافقتها قبل اي شيء آخر .

في عام ٤٨١ هـ - ١٠٨٨ م اعتلى «العرش البابوي »، صديق غريغوريوس الحميم (اوتو أسقف اوستيا) واتخذ لنفسه لقب اربان الثاني (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) .

ويؤكد مؤرخو القرون الوسطى ان اربان وغريغوريوس كانا صديقي العمر وان هنالك صداقة بين اربان وآل بيرليوني ، كان على البابا الجديد ان يباشر بالخطة التي وضعها سلفه . وفي احد أيام تشرين الثاني الباردة اعتلى اربان احدى المنصات ليزف للجماهير بشرى اعلان الحروب الصليبية .

وقد ابتدأ يقول : « انهضوا وأديروا أسلحتكم التي كنتم تستعملونها ضد اخوانكم ، ووجهوها ضد اعدائكم ، اعداء المسيحية ، انكم تظلمون الايتام والأرامل ، وانتم تتورطون في القتل والاغتصاب ، وتنهبون الشعب في الطرق العامة وتقبلون الرشاوى لقتل اخوانكم ، المسيحيين وتريقون دماءهم ، دونما خوف ، او وجل ، او خجل،فأنتم كالطيور

الجوارح ، اكلة الجيف التي تنجذب لرائحة الجيف الانسانية النتنة ، ضحايا جشعكم ، انهضوا اذن ولا تقاتلوا اخوانكم المسيحيين بل قاتلوا اعداءكم الذين استولوا على مدينة القدس ، حاربوا تحت راية المسيح قائدكم الوحيد ، افتدوا أنفسكم ، انتم المذنبين المقترفين احط انواع الآثام وهذه هي مشيئة الله ، وهنا علت اصوات الألوف من ألهمج الرعاع الذين رددوا هذه الكلمة « هذه هي مشيئة الله » . ثم تقدم اسقف (لي بوي) وركع أمام البابا ، واستلم بركته ليقود هذه الحركة الاستعمارية ، وهكذا بدأت الحملة الصليبية الاولى[٣٠] .

وبعد ان وجه البابا أربان الثاني خطابه الملتهب في الجموع المحتشدة طالب جميع النصارى ، مؤمنين وعلمانيين ، القاطنين في الغرب او على حدود العالم الاسلامي ، بحمل السلاح من اجل « خلاص الضريح المقدس » ، والتوجه لانقاذ المسيحية من براثن الاسلام ، واعتماد العنف سبيلاً الى ذلك،ومما قاله لهم : « كلما تقتلون الكثير من المسلمين ، كلما ازداد اعجاب الله بكم »[٣١] .

وعندما يكون جواب المحتشدين بأن تلك هي مشيئة الله فان في ذلك وضعاً مكشوفاً للمشروع السياسي الغربي الجديد في اطار الدين .

كما ان هذا المؤتمر الشهير الذي انعقد في كليرمونت ، حضره اناس كثيرون ، بحيث كان من الصعوبة ايجاد امكنة لجميع المشاركين الذين تجمعوا مما جعل الدعوة تسري في النفوس سريان النار في الهشيم . ثم خرج المؤتمرون بصرخات متحمسة : هذه هي مشية الله .

وحسب اقتراحات البابا فان صليبي المستقبل سوف يحملون ، كشعار لهم ، صليباً احمر اللون محمولاً على الكتف الايمن .

وسوف يحظى المشاركون بعفو عن ذنوبهم ، وستلغى كافة ديونهم كما ان املاكهم ستوضع تحت حماية الكنيسة .

ومع انه لم يرغم احد على المشاركة ، فان رغبة الصليبيين اعتبرت بمثابة قدر محتوم ، ومخالفتها تستتبع التحريم[٣٢] .

في الواقع ، ان الحملات الصليبية المنظمة ضد المسلمين بدأت قبل مجيئها الى الشرق .

لقد بدأت هذه الحركة في جنوبي فرنسا منذ اواخر القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ـ واستمرت في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ،وكانت موجهة ضد الاندلس والممالك الاسلامية الأوروبية ، ففي سنة ٩٧٠ م ـ ٣٦٠ هـ كان النصارى قد بدأوا يحاربون المسلمين حرباً مسلحة نشيطة ، واحتلوا صقلية ، واجزاء من ارمينية واستمرت هذه الحملات الشعواء حتى سقطت الأندلس .

وكان الاسبان الذين يقاتلون المسلمين يتلقون مساعدة نشطة من الأمراء الأوروبيين ومن الكنيسة ، وقد بدأ رجال مدينة بيسا غزو سردينية بناء على تحريض البابا بندكت الثامن (١٠١٢ ـ ١٠٢٤ م) الذي كنا قد أشرنا اليه .

كما بدأ النورمان يحاربون مسلمي صقلية ابتداء من ٤٥٢ الى ٤٨٣ هـ (١٠٦٠ الى ١٠٩٠م) ، وكانوا يحاربون كأتباع للبابا . وكان البابا شريكاً اساسياً في حرب اتباعه،، حتى سقطت صقلية على أيدي النورمان عام ٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٦م . « ان مبادرة البابا التي تدين لها الحملات الصليبية في اساسها كانت من اول لحظة حقيقة لافتة للنظر »[٣٣] .

وفي الشرق قام البيزنطيون كما لاحظنا منذ اواسط القرن الرابع الهجري بسلسلة من الهجمات على سورية ولبنان وفلسطين وبعض جزر المتوسط لانتزاعها من أيدي المسلمين الذين فرقتهم الانقسامات الدينية

والسياسية، وانتهت بسقوط الساحل الشمالي من سورية بأيدي البيزنطيين وتمركزهم في منطقة انطاكية في وقت كانت البابوية تعمل جاهدة للتوسع نحو الشرق الاسلامي .

وقد تمكن السلاجقة (مسلمون) من طرد البيزنطيين وانتزاع انطاكية من ايديهم بعد احتلال دام اكثر من قرن ، وعندها شعرت أوروبا ان خط الدفاع الشرقي ضد المسلمين اصبح مهدداً فوسعت نطاق حروبها الصليبية من الأندلس غرباً الى سورية ولبنان وفلسطين شرقاً[٣٤] .

وفي هذه الاثناء وجه الامبراطور البيزنطي نداء الى البابا « لاتحاد مسيحي ضد الاسلام »[٣٥] .

هذا في وقت كانت البابوية تعمل جاهدة للسيطرة على الشرق الاسلامي وكانت الفوضى السياسية والاجتماعية التي سادت في الشرق المسلم قد شجعت أوروبا على المضي في غيها واستكبارها .

لقد تميزت هذه الحملات الصليبية بالعنف والتعصب الأعمى بعد ان قام بطرس الناسك بحملته الاعلامية في اوروبا يستحثها على غزو بلاد المسلمين وبعد قرار البابا في كلير مونت عام ٤٨٨ هـ - ١٠٩٥م .

ثم القت اوروبا بثقلها البشري ، في منطقة انهكها الصراع الداخلي بين دويلات متناحرة لم تعرفه البلاد من قبل فتمكنت اوروبا من السيطرة والاحتلال .

جاء في دائرة المعارف البريطانية[٣٦] :

« ولكن بالرغم من ان قادة الحملة الصليبية الأولى لم يتمكنوا من استغلال خلافات المسلمين استغلالاً كاملاً كما كانوا يريدون ، فالحقيقة هي ان هذه الخلافات سببت نجاح الصلبيين الى حد كبير جداً » .

والمعلوم ان أول حملة صليبية لاجتياح الشرق الاسلامي تألفت في

فرنسا وكانت تضم ثلاثمائة ألف مقاتل وكان يقودها عدد من النبلاء والاساقفة ، ذلك أن الدعاة من رجال الكنيسة قاموا يطوفون المدن والقرى يلهبون الصدور بخطبهم الحماسية ويصورون بكثير من المبالغة الحالة المؤسفة التي وصل اليها مسيحيو الشرق ، وكان أشدهم حماسة راهب يدعى « بطرس الناسك » الذي أخذ يجوب البلاد الأوروبية حافي القدمين حاسر الرأس يستحث الهمم ويدعو الى امتشاق السلاح .

مشاركة الموارنة في الحروب الصليبية

اعترافات الموارنة :

اثناء الحروب الصليبية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (م) صادق الموارنة الصليبيين وحالفوهم ووضع زعماؤهم امكاناتهم العسكرية تحت تصرف الفرنجة(٣٧) .

ويؤكد المبشرون الغربيون ان الاقليات النصرانية ولا سيما الموارنة قد رحبت بالصليبيين « واعطتهم مساعدة ثمينة »(٣٨) .

ويعترف الموارنة أنفسهم بدعمهم للحملات الصليبية عسكرياً وسياسياً ويعتبرون هذا الموقف مدعاة للفخر والاعتزاز .

يقول وليد فارس :

« وقد ساهم مسيحيو لبنان وسوريا ، والموارنة خاصة بدعم الحملات الصليبية عسكرياً وسياسياً ، فشكلوا فرقة مستقلة للرماة تقدمت الفرق الصليبية ، ولعبت دور الكشاف لها ، ففتحت لها الطرق ، وسارت أمامها في ممرات الجبال اللبنانية والمناطق الشرقية ، التي تعرفها جيداً حيث أنها قاتلت فيها منذ الفتح العربي (المقصود هو الفتح الاسلامي ولكن الموارنة لا يعترفون به)،كما انخرط كثير من الشبان السريان في

صفوف القوات الأوروبية ، وبرعوا فى المعارك ، حتى قيل أن أفضل مقاتلين في الحملات الصليبية لم يكونوا اوروبيين ، بل شرقيين ، مقهورين منذ عدة قرون » .

« اما بالنسبة للبنان فقد تعاون سكانه (الموارنة) من خلال سلطاتهم الزمنية والدينية مع الصليبيين وحكموا معهم المناطق المسترجعة ، كمدن السواحل والسهول واختلطوا معهم ، وتزاوجوا وتقاربوا وتبادلوا في جميع ميادين الحياة كالثقافة والتجارة والاقتصاد والأمور المجتمعية » .

يعتبر وليد فارس ان الاحتلال الصليبي هو بمثابة تحرير ولذا فانه يسمي المناطق المحتلة بالمناطق المسترجعة . ولعل في هذه الكلمات ما يكشف عن أبعاد وخطورة المشروع الماروني .

ويتابع :

« فكانت للمسيحيين الشرقيين فرصة في أن يجددوا الاتصال الروحي والحضاري مع اخوانهم الغربيين بعد أن طال الانقطاع عنهم عدة قرون جراء الحصار العربي الذي فرض على جبال الأمة اللبنانية المسيحية ، سمحت فيما بعد للشرقيين منهم ، ان يصمدوا اكثر أمام محاولات الافناء التي تعرضوا لها لقرون عديدة بعد انسحاب الصليبيين بفضل عملية اعادة اللحمة بين الشرق والغرب داخل العالم المسيحي »(٣٩) .

« فالأمة اللبنانية التاريخية جسدت مقاومة الكتلة المسيحية في لبنان والشرق للزحف الخارجي والعربي خاصة ، والكتلة المسيحية لم تكن تتشكل من الموارنة فحسب بل من الروم الارثوذكس الرافضين لسياسة بيزنطيا الانهزامية والروم الكاثوليك فيما بعد ، والاشوريين والسريان وعدة

طوائف صغيرة ، ولكن العدد الاكبر من هذه الكتلة كان مارونياً »[٤٠] .

ويقول الموارنة في كتيب اسمه « عودة النصارى الى جرود كسروان» أنهم وضعوا تحت تصرف الصليبيين قواتهم ومصيرهم وأرواحهم واجتاحوا معهم المسافة الشاقة » التي كانت تفصل بين جبال لبنان والقدس ، « حتى ركزوا الصليب فوق كل الآثار المسيحية وأنشأوا الأمبراطورية الأورشليمية ، ثم استوطن من جيشهم اثنا عشر ألفاً في احياء القدس واستولى اكليروسهم على كثير من اهم معابدها . وكانت لهم فترة من الاغتباط »[٤١] .

لقد خدم الموارنة خلال الحروب الصليبية كفيالق خاصة عند الفرنجة ضد المسلمين من أجل فرض دولة اوروبية اجنبية في هذا الجزء من العالم الاسلامي . كذلك قامت كنيستهم بالاتحاد مع روما مزدرية حتى المسيحية الشرقية .

يقول فؤاد افرام البستاني :

« حتى اذا أطلت طلائع الصليبيين (على لبنان) امكن الموارنة ان يمدوهم بثلاثين ألف نبال ، اجمع الفرنجة على الاعجاب بشجاعتهم ومهارتهم ..... » .

ويتابع : فالمارونية بنت لبنان ، ولبنان في الكثير من مزاياه وخصائصه من صنع المارونية .. فلا وطن لها سواه ولا كيان له بدونها .. فهما ثابتان على كرور الايام ، لا انتقاصاً من حق قريب ولا عداء لجار ، مندفعان ولا تهور ، صابران ولا يأس ، راجيان ولا غرور »* .

(*) القريب : المسلم في لبنان . والجار : المسلم في البلاد العربية . صابران : (لبنان =

ان الحملات الصليبية مكنت الموارنة من اجراء اول أتصال خارجي على نطاق واسع .

وقد كانت بداية التفاعل بين الجانبين في العام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م في عرقا ، قرب طرابلس ، عندما نزل الموارنة من الجبل ليلتقوا الفرنجة الذين كانوا قد غادروا انطاكية باتجاه القدس . وطوال بقاء الصليبيين في بلاد الشام ، تلقوا المساعدة من الموارنة الذين زودوهم بالرجال والامدادات[٤٣] .

مجازر القدس :

توجه الصليبيون بعد احتلالهم لأنطاكية شرقاً نحو المناطق الداخلية ودخلوا لبنان من الشمال الشرقي لعكار فوجدوا معونة كبرى من نصارى الشمال ولا سيما الموارنة[٤٤] .

ومع ذلك فقد عجزوا عن احتلال مدن الساحل وتكبدوا خسائر جسيمة،فاتجهوا نحو القدس برفقة متطوعين موارنة . وكان المدافعون عن هذه المدينة لا يتجاوزون الف مقاتل فيما كان المهاجمون أربعين الف رجل ، ففرضوا عليها حصاراً رهيباً دام أربعين يوماً ، اعقبه هجوم ليلي في عام ٤٩٢ هـ - ١٤ تموز ١٠٩٩ م انتهى بيوم جمعة دموي في اليوم التالي .

اما المسلمون المحاربون والمسالمون الذين لجأوا الى المسجد الأقصى طلباً للنجاة ، فقد تحولوا الى اشلاء ، وكما يعترف مؤرخ مثل غوستا فرانكوروم (Gesta Francorum) فان : « جنودنا كانوا يخوضون حتى سيقانهم في دماء المسلمين »[٤٥] .

= والمارونية : اي على الوضع الراهن . راجيان : اي لتبدل الحال ... وهذه الجمل تمثل من المعنى اكثر من ذلك مما لا يخفي على المتبصر في العواقب .

بعد ان استولى الصليبيون على القدس اجروا فيها مذبحة تقشعر لهولها الأبدان . فلقد تقدموا الى كنيسة القيامة « فوق الدماء البشرية » على حد تعبير المؤرخين المسيحيين انفسهم .

يقول عبد الفتاح عاشور ان الصليبيين لم يتركوا « مسلماً في الطرقات او البيوت او المساجد الا قتلوه واستباحوا دمه ، دون ان يفرقوا بين رجل وامرأة وطفل ، ولم يراع الصليبيون حرمة المسجد الأقصى فأجهزوا على كل من احتمى به من المسلمين وعددهم اكثر من سبعين الفاً »(٤٦) .

ويذكر ابن الاثير في تاريخه لاحداث سنة ٤٩٢ هـ ، ان العنف لم يستثن أحداً « فقد قتل الافرنج ، بالمسجد الأقصى ، ما يزيد على سبعين الفاً ، منهم جماعة كثيرة من ائمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف »(٤٧) .

اما ابن العبري الملطي ، فقد نقل اعتراف المؤرخين المسيحيين الشرقيين ، وهو واحد منهم ، بهذه الحقيقة ، اذ يقول حرفياً : « . . . ولبث الافرنج في البلد اسبوعاً يقتلون فيه المسلمين وقتل بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين الفاً »(٤٨) .

ويتحدث متى الرهاوي الأرمني عن وقوع خمسة وستين الف قتيل من المسلمين . ويرسم وليم الصوري المذبحة بعد سقوط القدس ، قائلاً : ان المدينة برمتها « اصبحت مخاضة واسعة من دماء المسلمين اثارت خوف الغزاة واشمئزازهم » .

ويسترسل اخيراً ريمون داجيل ، مؤرخ الحملة ومرافقها في سرده للوقائع معترفاً انه لم يستطع ان يشق طريقه وسط اشلاء المسلمين الا في صعوبة بالغة ، وان دماء القتلى بلغت ركبتيه . . . »(٤٩) .

سقوط الساحل اللبناني بأيدي الصليبيين والموارنة :

ما ان سقطت القدس حيث اسس الصليبيون مملكتهم اللاتينية ووجهوا وفداً الى روما ليزف الخبر للبابا حتى سارع البطريرك الماروني يوسف الجرجسي ، فضم الى وفدهم وفداً مارونياً ، يحمل الى البابا كتاب البيعة والتأييد ولكن عند وصول هذا الوفد كان البابا أربان قد توفي ، وخلفه البابا باسكال الثاني : ٤٩٢ - ٥١١ هـ - (١٠٩٩-١١١٨ م) . فأهدى للبطريرك تاجاً وعكازاً علامة الرضى ومنحه درع التثبيت(٥٠) .

ويقول بطرس ضو : « في عام ١١١١ م اي منذ بدء العهد الصليبي الأول ارسل الموارنة قصادهم الى البابا مع قصاد ملك القدس الصليبي مما يدل على أنهم كانوا يعتبرون ذواتهم جزءاً من الكنيسة الرومانية »(٥١) .

وكانت اولى نتائج هذه اللقاءات والمراسلات أن عمد الصليبيون الى مهاجمة المدن اللبنانية وتهجير سكانها بارشاد أدلاء موارنة .

قال ابن الأثير : « ان الفرنجة حاصروا مدينة جبيل وقاتلوا عليها قتالاً شديداً ، فلما رأى اهلها عجزهم عن الفرنج اخذوا اماناً وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالأمان ، وأخذوا اموالهم واستنفذوها بالعقوبات وانواع العذاب »(٥٢) .

وكان سقوط جبيل في عام ٤٩٧ هـ - ٢٨ نيسان سنة ١١٠٤ م ، وهي اولى المدن اللبنانية التي سقطت بأيدي الفرنجة .

وكان الموارنة وبالتعاون مع صليبيي اوروبا قد فرضوا حصاراً على عرقة قبل الزحف الى القدس طيلة اربعة اشهر ولم يفلحوا في مسعاهم[٥٣] ،ثم قاتلوا معهم وعاونوهم في محاصرتهم لطرابلس .

يقول ابن الاثير :

« واتاه (اي ريموند دي سان جيل) اهل الجبل فاعانوه على حصارهم ، وكذلك اهل السواد ، واكثرهم نصارى ، فقاتل من بها اشد قتال ، فقتل من الفرنجة ثلاثمائة »[٥٤] .

وبعد حصار استمر خمس سنوات سقطت طرابلس في عام ٥٠٢ هـ - ٢ تموز ١١٠٩ م .

بدأ الصليبيون بهجومهم على بيروت في شهر شباط في السنة التالية بزعامة (برتران دي سان جيل) ومعاونة الملك الصليبي بودوان وجيوش الموارنة .

يقول ابن الأثير :

« ولقد مر الصليبيون عبر الساحل الشمالي من لبنان . . . ووجدوا متطوعين من الموارنة في جهات البترون فمشوا في ركابهم »[٥٥] . ومما لا شك فيه ان الصليبيين كانوا يتعرفون على المناطق بواسطة ادلاء موارنة أو نصارى .

يقول محمد علي مكي : « ثم توجهوا نحو بيروت بارشاد ادلاء مسيحيين من منطقة طرابلس »[٥٦] .

وقال الشدياق : « وفد اليهم (الصليبيين) اناس من المردة من جبل سيرو صقع والضنية وجبيل وتلك التخوم ورحبوا بهم وسار معهم بعض وهدوهم الطرقات »[٥٧] .

ويصف ابن القلانسي ، كما يصف الشدياق حصار بيروت وسقوطها على الوجه التالي :

« شرع الصليبيون في بناء برج ونصبه على سور بيروت ، ولما اتموا صنعه زحفوا به ، ولكن اهل بيروت قذفوه بحجارة المجانيق ، فكسروه ، فشرع الصليبيون في عمل غيره ، وصنع برتران برجاً آخر ، ثم وصل اسطول فاطمي كبير (نسبة الى الفاطميين) مؤلف من تسع عشرة سفينة حربية ، فتغلب على مراكب الفرنج واستولى على بعضها وبذلك تمكن من فك الحصار عن بيروت وتموينها ، فقويت نفوس أهل المدينة على القتال ، وفشل الحصار الصليبي .

ولكن الملك بودوان استنجد بالامراء الصليبيين وبالسفن الجنوية (من جنوى الايطالية) فقدم اربعون سفينة جنوية وقدم الموارنة من الشمال (ذكرهم الشدياق باسم المردة) وقدمت قوات صليبية من جنوبي لبنان وقد ركز الصليبيون هجومهم على منطقة الغرب[٥٨] ، فسيطروا على المنطقة وقتلوا كثيراً من اهلها . وفي نفس الوقت جرت معركة بحرية تغلب فيها الاسطول الصليبي فشدد الصليبيون هجومهم واحتلوا بيروت بالقوة في عام ٥٠٣ هـ - ٢٧ نيسان سنة ١١١٠ م بعد ان دام حصارها حوالي شهرين ، واحدثوا فيها مجزرة رهيبة »[٥٩] .

ونتيجة للتعاون الصليبي الماروني سقطت صيدا في نفس العام : ٥٠٣ هـ - ٤ كانون الأول عام ١١١٠ م، بعد الحصار الشديد الذي استمر سبعة وأربعين يوماً[٦٠]، وبعد احراق مزارعها وقراها لأنها مانعتهم ودمرت حاميتهم[٦١] .

اما صور فقد صمدت ربع قرن ولم تسقط الا في ٢٣ جمادى الأول عام ٥١٨ هـ - ٧ تموز عام ١١٢٤ م،وكان سقوطها وهناً عظيماً على المسلمين .

ولم تسقط جميع المناطق اللبنانية بأيدي الصليبيين الذين استفادوا كثيراً من الوجود الماروني في المناطق التي احتلوها .

فالبقاع مع بعلبك والشوف والمتن والاقسام العليا من الغرب ومنطقة وادي التيم وجميع المناطق البعيدة عن اماكن تواجد الموارنة ظلت حرة .

وعمد الموارنة بالاتفاق مع الصليبيين الى اسلوب التهجير فأجبروا المسلمين على اخلاء مدن عديدة مثل طرابلس وبيروت(٦٢) .

كما حدث التزاوج بين الحليفين وتحولت الجاليات الصليبية في الشمال الى مذهب الموارنة واندمجت فيهم(٦٣) .

الحملة الصليبية الثانية :

كان نبلاء روما يوقعون على الاتفاقيات والمواثيق والعهود التي يعقدها البابا مع السلطات بما فيها الملوك .

ومن هؤلاء النبلاء بطرس ليونيس الثاني البيرليوني الذي قدر له ان يكون البابا الثالث من عائلة بيرليوني . ففي عام ٥٢٤ هـ عام ١١٣٠ م أصبحت المنافسة على أشدها بين عائلتي بيرليوني وفرانجيباني، وقدمت كل من العائلتين مرشحها لمنصب البابا، كتب الفوز للمرشح البيرليوني اليهودي الذي عرف بـ « أنا سولت الثاني » . هذا ولكي تثبت عائلة بيرليوني سلطتها فقد اقتحمت بعض الكنائس التي كانت تسيطر عليها العائلة الثانية ، ووقع بعض القتلى، ثم ما لبثت هذه الخلافات بين العائلتين ان حلت وتوجت بتسيير حملة صليبية ثانية على البلاد الاسلامية كان أنا سولت ، واينوسنت المرشح الفرانجيباني ابرز الداعين اليها(٦٤) .

وقد فضح انا سولت العلاقة القائمة مع صليبيي الشرق بقوله :

« ان جميع الكنائس الشرقية بما فيها كنيسة المقدس ، وكنيسة

انطاكية والقسطنطينية كلها معنا ، ولها علاقات وذية متبادلة معنا »(٦٥) .

سارع البطريرك الماروني الى اعلان التأييد فوجه وفداً الى البابا الجديد وحمله رسالة يهنئه فيها بارتقائه الى منصب « الحبرية العظمى » ، وحين وجه هذا البابا احد كرادلته الى الشرق التقاه البطريرك الماروني الى طرابلس مع احباره وأعيان طائفته وحلفوا جميعاً على يد الكردينال ، يمين الطاعة للبابا « الشرعي » اليهودي ، واقتدى بهم الفرنجة المقيمون في لبنان(٦٦) .

البطريرك الماروني يخطط مع البابا للحملة الصليبية الخامسة

وفيما كانت الحروب الصليبية تحصد المسلمين كانت المشاورات والمباحثات تجري على قدم وساق بين بطاركة الموارنة وبابوات روما، وكانت رسائل التأييد تنهال من لبنان على غرفة العمليات في روما التي كان يديرها بابا الفاتيكان ، بابا الصليبية .

في سنة ٥٩٤ هـ - ١١٩٩م تلقى البطريرك الماروني ، ارميا العمشيتي،من البابا اينوسنت الثالث : ٥٩٣ - ٦١١ هـ - (١١٩٨ - ١٢١٦ م) ، رسالة مع قاصد رسولي خاص ، هو الكاردينال بطرس، فجدد البطريرك والأساقفة الموارنة على يده عهد الطاعة للحبر الأعظم في « حروبه المقدسة » ، كما كان يفعل آباؤهم(٦٧) .

وفي سنة ٦٠٨ هـ - ١٢١٣ م ذهب البطريرك العمشيتي الى روما لحضور المجمع اللاتيراني ، وابقاه البابا هناك مدة طويلة درست فيها شؤون الحملة الصليبية وما يستطيع البطريرك تقديمه لها من مساعدات(٦٨) .

بعد الجلسات الطويلة بين بطريرك الموارنة وبابا الصليبية اعلن عن

ارسال الحملة الصليبية الخامسة عام ١٢١٥م، وقبل عودته الى لبنان تلقى البطريرك من سيده البابا هدايا ثمينة مكافأة له على اخلاصه وسيرته الحميدة فلقد اهدى اليه البابا تاجاً وعكازاً وملابس . . .(٦٩) .

ثم أعقب ذلك وصول الرهبان الفرنسسكان الذين راحوا يؤسسون مدارسهم ورهبانياتهم، وقد جاؤوا عند مقدم « القديس فرنسيس الاسيزي » الى فلسطين سنة ٦١٥ هـ - ١٢٢٠ م(٧٠) .

رسالة لويس التاسع الى الموارنة :

عام ٦٤٣ هـ - ١٢٤٥ م قام البطريرك شمعون أو سمعان الثاني، فأرسل اليه البابا اينوسنت الرابع لورنسيوس من رهبان مار فرنسيس قاصداً خاصاً(٧١) .

وبعد ثلاث سنوات جاء لويس التاسع ملك فرنسا على رأس الحملة الصليبية السابعة بناء لدعوة من البابا ، وعندما وصل لويس الى قبرص وجه قواته الى مصر ، بدلاً من فلسطين ، حيث وقع في الأسر .

ذلت الصليبية وذل لويس ، وعز الاسلام وأهله .

اقتيد لويس من ميدان المعركة التي حلم وهو يخوضها انه داخل بعدها مدينة الألف مئذنة ونازع عن قباب مساجدها ألف هلال ليرفع بدلها ألف صليب ، اقتيد هذا الملك الذي نذر حياته لهدم الاسلام الى دار القاضي فخر الدين ابراهيم لقمان بالمنصورة في مصر(٧٢) .

وبعد ان اطلق سراحه بفدية توجه الى عكا ولكنه كان قد فقد كل قواته فزوده الموارنة بالرجال والعتاد ، وعندها وجه الملك الفرنسي رسالة الى « امير الموارنة ، بطريركهم ، مطرانهم وأمتهم»، تعهد فيها بتقديم حمايته وحماية خلفائه لهم وللتقرب منهم وضمان وقوفهم الى جانبه بشكل أقوى .

ثم خاطبهم قائلاً : «اننا مقتنعون بان هذه الأمة التي نجدها منظمة تحت اسم مار مارون هي جزء من الأمة الفرنسية »(٧٣) .

جاءت الرسالة تقديراً للجهود التي يبذلها الموارنة في حروبهم مع المسلمين ونتيجة للتعاطف الكبير والصلة الحميمة والوثيقة التي تقوم بين فرنسا والموارنة .

وتؤكد التقاليد المارونية ان الملك لويس التاسع وجه اثناء وجوده في عكا رسالة الى بطريرك الموارنة يذكر فيها ان فرنسا تعتبر الموارنة جزءاً من الأمة الفرنسية وينهي لويس رسالته المؤرخة في ٢١ أيار ١٢٥٠ م بالنص التالي :

« . . . اما نحن واولئك الذين سيخلفوننا على عرش فرنسا فاننا نجيز لأنفسنا ان نوفر لسموكم ولشعبكم الحماية ذاتها التي نوفرها للفرنسيين أنفسهم ، كما أننا سنعمل دوماً ما ينبغي عمله لتوفير السعادة لكم »(٧٤) .

هذه الرسالة ما تزال بالنسبة للموارنة شيئاً مقدساً ومدعاة للفخر والاعتزاز ، ففي كل مناسبة يعمدون الى كشف مواقفهم التآمرية عبر التاريخ جاعلين من ماضيهم الحافل بالعمالة والإجرام تاريخ عز وشرف . ولكتاب الموارنة تآليف جمعوا فيها الكثير من تلك المستندات واعتبروها من ابهى مفاخرهم وأمجد امجاد آبائهم .

في عام ٦٥٢ هـ - ١٢٥٤ م وعلى اثر الهزيمة التي مني بها لويس التاسع كتب البابا الجديد اسكندر الرابع (١٢٥٤ م - ١٣٦١ م) « رسالة جميلة » الى البطريرك شمعون ، كانت ما تزال محفوظة في خزائن البطريركية بدير قنوبين حتى أيام الدويهي وفي هذه الرسالة يوصيه خيراً بالافرنج المهزومين من انطاكية الى لبنان ، لوذاً بحمى الموارنة - كما يعترف بذلك لحد خاطر (ماروني) - ويطلب منه ضمهم الى رعيته ، لئلا

يظلوا بدون بطريرك » وفيها ايضاً يدعوه (وربما لأول مرة) بالبطريرك الأنطاكي[٧٥] .

ان العلاقات توطدت كثيراً وانتظمت أثناء الاحتلال الصليبي بين الموارنة واسيادهم في اوروبا .

يقول فؤاد البستاني « حتى اذا اصبح للحبر الأعظم قصاد موفدون ونواب رسوليون في العهد الصليبي خاصة ، انتظمت هذه العلاقات وتوطدت اهدافها وأينعت ثمارها عصراً فعصراً[٧٦] .

وبعد ان جاء الصليبيون الى هذه البلاد اخذوا يقيمون منهم بطاركة على انطاكية ، وجعل البابوات يعهدون الى هؤلاء البطاركة اللاتين « بالنيابة الرسولية » على الديار الشامية[٧٧].وهكذا يكون البطريرك الماروني الذي يسميه البابا « بالبطريرك الانطاكي » قد أصبح ممثلاً له .

حملة المغول :

بعث لويس التاسع صديق الموارنة وفداً من كرادلته او زبانيته ومعهم تحف ثمينة وهدايا مقدسة الى « هولاكو » بمنغوليا يخطب وده ، ويحرضه على غزو الشرق الاُسلامي،واستعان في تنفيذ سياسته هذه ببعض بؤر نصرانية في بلاط طاغية المغول ، ذات سلطان وتأثير كان منها زوجته وقائده الأكبر وبعض مستشاريه[٧٨] .

ولي حفيد « جنكيزخان » الدعوة وخرج من مملكته النائية بجيوشه الهمجية كتنين هائل يزدرد كل ما يلقاه .

كان المغول يؤمنون بالمسيحية على مذهب نسطور ، فحالفهم نصارى الشرق والأرمن،وبسبب ارتباط صليبيي انطاكية وطرابلس بالأرمن ، فقد حالفوا بدورهم المغول ، واجتاح هذا الحلف المغولي ـ الارمني ـ المسيحي الشرقي النسطوري الصليبي بلاد الشام عام

٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م فدمر المدن وشرد أهلها[٧٩] .

في بغداد ذبح الخليفة العباسي ثم سلمت المدينة للنيران بعد ان فنى السواد الأعظم من السكان ، وقد ذبح في هذه المدينة ثمانين الف نسمة .

وكان هولاكو دائماً يحرص كل الحرص على سلامة ابناء دين زوجته المسيحية وحلفاء صديقه لويس . « دي ميسنيل » الأسقف المسيحي الذي كان من كبار رجال التبشير يصف حملة هولاكو هذه فيقول :

« كانت الحملة المغولية ضد الإسلام حملة صليبية حقيقية بالمعنى الكامل لهذا الوصف . حملة « مسيحية » نسطورية تعلق بها أمل الغرب في القضاء على خصومه العرب والمسلمين »[٨٠] .

وقد منيت هذه الحملة بهزيمة شنعاء في السنة التالية في معركة عين جالوت جنوبي فلسطين .

وبعد ان سمع المسلمون بخبر وفاة هولاكو بدأوا بسرعة يهاجمون المراكز الصليبية فكان الموارنة العقبة الرئيسية في طريق التحرير، وقد اصطدموا مراراً بالمسلمين عندما كانوا يقتربون من طرابلس من اجل تحريرها[٨١] .

اضطر المسلمون الى تأجيل موضوع الساحل اللبناني فانتقلوا الى انطاكية سنة ٦٦٦ هـ ـ ١٢٦٨ م وتم تحريرها، ولما لم يبق الا بعض المدن الساحلية اللبنانية ، وذلك بسبب تعاون الموارنة مع القوات الاجنبية، ونظراً للعلاقة بين الموارنة وصليبيي طرابلس ومساعدتهم لهم، فقد عمد المسلمون الى احتلال المناطق المارونية المحيطة بطرابلس عام ٦٨١ هـ ـ ١٢٨٣ م من اجل فتح الطريق الى هذه المدينة وتحريرها[٨٢] .

لقد ساء الموارنة ان يروا بلاد المسلمين تتحرر من صليبيي اوروبا فاجتمعوا من جديد تحت قيادة بطريركهم دانيال الحدشيتي الذي بعث اليه البابا نقولا الثالث (١٢٧٧ ـ ١٢٨١م) ببراءة التثبيت ، مع بعض الهدايا عام ٦٧٨ هـ ـ ١٢٨٠م(٨٣) . طالباً منه التدخل ضد المسلمين ومنعهم من تحرير بلادهم .

يقول لحد خاطر :

« فصدهم الموارنة تحت قيادة بطريركهم الحدشيتي ببسالة . . . وأوقفوهم امام إهدن أربعين يوماً » .

ولم يتعظ الموارنة بل أصروا على دعم حلفائهم المنهزمين حتى النهاية،حتى ان البطريرك الجديد أرميا الدملصي ، عين بطريركاً في دير حالات بمحضر امير جبيل الصليبي(٨٤) . وهذه المدينة لم تكن قد تحررت بعد، ثم سافر على الفور سنة ٦٨٠ هـ ـ ١٢٨٢ م الى روما عملاً برغبة الحكام والأعيان الصليبيين لبحث الأمور الطارئة .

القديس لويس إلى أمير الموارنة
"موقنون أن امتكم من أمتنا"

من رسائل الملك لويس التاسع

نتائج خطيرة

ان الحروب الصليبية التي شنتها اوروبا على البلاد الاسلامية وغذاها بطاركة الموارنة في لبنان كانت تهدف في الحقيقة ، الى السيطرة على بلاد المسلمين واقتلاع جذور الاسلام منها ، كما يعترف بذلك المبشرون او المستشرقون الذين بدأوا جهودهم الاستشراقية في اعقاب الحروب الصليبية .

يقول غاردنر : « لقد خاب الصليبيون في انتزاع بيت المقدس من ايدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي . . والحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الاسلام » .

ويوجز الألماني رشتر رأيه قائلاً : ان الصليبيين « جهدوا طوال قرنين لاستعادة الأرض المقدسة من أيدي المسلمين المتعصبين، فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك أروع العهود في العصور الوسطى كلها . . . ولكن ذلك الجهد قد خاب ، وتراجعت الحملة الصليبية امام سدود عنيدة من التعصب الاسلامي(٨٥) .

ويصف لوفنيان بدقة جوهر الحروب الصليبية وأثرها التاريخي

عندما يعتبرها « اعظم مأساة نزلت بالصلات بين المسلمين والنصارى في الشرق الأدنى ، لقد احب الصليبيون ان ينتزعوا القدس من أيدي المسلمين ليقيموا للمسيح مملكة في هذا العالم ، انهم لم يستطيعوا أن يقيموا تلك المملكة ، ولكنهم تركوا بعدها العداوة والبغضاء »[٨٦] .

ويعتبر أرنولد ان « عبور المسيحية اللاتينية البحر لمنازلة الاسلام ، يمكن اعتباره تاريخياً ، اعلى قمة وصلت اليها الأعمال العدوانية بين عالم الاسلام والنصرانية في شرق البحر المتوسط »[٨٧] .

كانت الحروب الصليبية نعمة حضارية على أوروبا ولكنها كانت تدميراً حضارياً للسواحل وخاصة الساحل اللبناني ، ويكفي ان نشير الى ملاحظات الرحالة ابن بطوطة اثناء مروره في هذه البلاد سنة ١٣٢٧ م اذ قال :

« ثم سافرت الى عسقلان وهي الآن خراب . . . ثم سافرت على الساحل فوصلت الى مدينة عكا وهي خراب ، وكانت عكا قاعدة بلاد الافرنج وهي خراب . ثم سافرت منها الى مدينة صور وهي خراب وبخارجها قرية معمورة »[٨٨] .

ان الفشل السياسي والعسكري للحروب الصليبية لم يكن النتيجة الوحيدة التي ترتبت عنها هذه الحروب . فلقد نشأت علاقات حميمة أوجدت التزاوج ما بين الصليبيين القادمين من اوروبا ونصارى الشرق .

وقد حدث التمازج الكبير عند نهاية الحروب الصليبية ، وذلك لأن الصليبيين كانوا قد عمدوا الى اسكان اعداد كبيرة منهم في الشرق ، فبقيت اكثرية السكان الصليبيين غير المحاربة في اماكنها وخاصة في لبنان . ولقد تحولت الجاليات الصليبية في الشمال الى مذهب الموارنة واندمجت فيهم مما قوى الى حد بعيد النفوذ الماروني هناك [٨٩] .

لقد عايش الموارنة اول اتصال خارجي على نطاق واسع اثناء الحملات الصليبية وكان الصليبيون يتعاطفون دائماً مع الموارنة الذين ساعدوهم في معظم حروبهم . وطوال بقاء الصليبيين في بلاد الشام ، تلقوا المساعدة من الموارنة الذين زودوهم بالرجال والامدادات ، وبالمقابل عمل الصليبيون على جعل الموارنة الطائفة الاكثر حظوة بين الطوائف المحلية .

ولما كان معظم الصليبيين من فرنسا فلقد نتج عن هذا التعاطف الصلة الحميمة والوثيقة او « الصداقة التاريخية » التي قامت بين الموارنة وفرنسا منذ عهد لويس التاسع . وقد مهد هذا الاتصال المبكر بالصليبيين لبدء علاقة طويلة بين الموارنة وفرنسا دامت الى ما بعد طرد الصليبيين

الارتباط بروما :

لما كانت الدولة البيزنطية متقلبة فقد ارتبط الموارنة بأسقف روما (اي البابا) واتحدت كنيستهم معه في عام ٥٧٦ هـ - ١١٨٠ م[٩٠] .

ومن هنا نشأت العلاقة الوثيقة بين الموارنة وروما على مر التاريخ .

يتحدث فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية سابقاً عن اقدم علاقة للموارنة بروما كما يوضحها لحد خاطر ، فإذا هي « تلك الرسالة العريقة التي ارسلها رهبان بيت مارون اودير مار مارون على العاصي الى البابا هرميسداس سنة ٥١٧ م ،حتى اذا أصبح للحبر الأعظم قصاد موفدون ونواب رسوليون في العهد الصليبي خاصة ، انتظمت هذه العلاقات وتوطدت أهدافها واينعت ثمارها عصراً فعصراً ، من عهد القصاد العاديين او المألوفين ، الى استقرار السفراء السياسيين او الدبلوماسيين البادىء عهدهم فور استحكام استقلالنا الحديث »[٩١] .

بعد انقضاء الاحتلال الصليبي بقيت الرهبانية الفرنسية في هذه البلاد ، فجعل البابوات يعهدون الى بعضهم في ان يكونوا قصاداً (ممثلين للبابا) لهم لدى حلفائهم من نصارى الشرق ولا سيما في

لبنان ، وكان الممثلون او القصاد في بادىء الأمر ، ينتدبون لحل مشكلة طارئة عند هيئة او شخصية معينة ، فاذا أنهوا المهمة المعهود بها اليهم ، رفعوا الى المرجع الأعلى (البابا) النتيجة التي حصلوا عليها وعادوا من حيث أتوا[٩٢] . ولأجل ذلك دعوا بالقصاد فوق العادة اي الوقتيين والاستثنائيين .

يقول لحد خاطر :

« ان الطائفة المارونية هي شديدة الولاء للبابا ، وفي التاريخ شهادات وادلة كثيرة على ثبات الموارنة في الايمان الكاثوليكي ودوام اتصالهم برومية ، اخصها خطابات متبادلة بين البابوات وبطاركتهم وأعيانهم منذ أقدم العصور »[٩٣] .

تهجير المسلمين من جبل لبنان

إن لبنان بأكمله ، بجبله وبقاعه ، بشماله وجنوبه ، هو بلد إسلامي حرره ابناء المسلمين بدمائهم الزكية ، ولكن جهل المسلمين في الماضي وتآمر العملاء مزق هذا البلد وجعله تحت حكم أقلية مارونية مرتبطة بالمستعمرين .

ان الوجود الإسلامي في جبل لبنان لا سيما في كسروان وبلاد جبيل ليس وجوداً طارئاً وغريباً على تلك المنطقة ، بل وجود تاريخي وحضاري قديم مضى عليه أربعة عشر قرناً ، من عام ١٥ هجري الموافق ٦٣٦ م،أي منذ ان افتتح المسلمون هذه المناطق والسواحل المحيطة بها ، وبنوا فيها القلاع والمواقع الحصينة لرد هجمات البيزنطيين .

وقد نبغ من سكان تلك المناطق فيما بعد جماعة من المحدثين والرواة نذكر منهم : ابو سعيد الجبيلي وزيد بن القاسم الجبيلي وأبو قدامة الجبيلي ، وأبو سليمان بن خضر بن حسان الجبيلي[٩٤]

وقد عثرت مديرية الآثار في جبيل على آثار اسلامية قيمة تعود الى المسلمين الأوائل الذين سكنوا هذه المدينة في العصر الأموي . وقد تعزز الوجود الاسلامي في جبل لبنان خلال العهود الاسلامية المتتالية .

في أيام بني عمار حكام طرابلس ، والذي شمل حكمهم لجبيل من عام ٤٦١ هـ - ١٠٦٩ م الى حين سقوط هذه المدينة بأيدي الصليبيين،كانت مدن طرابلس وجبيل وجوارها آهلة بالمسلمين . وقد نبغ من طرابلس ومن رعايا بني عمار الكثير من العلماء ، والشعراء والفلاسفة كما قصدها الكثير من الشعراء والرحالة ، وأبرز فلاسفتها وفقهائها المحقق الكراكجي والقاضي ابن البراج ، وأبرز من زارها أبو العلاء المعري .

بعد سقوط جبيل بأيدي الصليبيين كما رأينا انتقل الوجود الإسلامي الى جبال كسروان وجبيل ، وقد كانت هذه المناطق اسلامية قبل ذلك الوقت ، استمر هذا الوجود كقلعة منيعة للإسلام الى عام ٧٠٥ هـ - ١٣٠٥ م اذ انتكس هذا الوجود انتكاسة خطيرة ومؤسفة على أيدي المماليك نتيجة للتعصب المذهبي ولسيطرة وعاظ السلاطين على عقول الأمراء .

فكانت الحملات الأربع على كسروان وآخرها العام ٧٠٥ هـ محرم ١٣٠٥ م حيث وجه آقوش نائب المماليك في الشام في ٢ محرم جيشاً كبيراً بلغ خمسين الف محارب واخذت المناطق الكسروانية في الشمال فعرفت بالفتوح وسقطت كسروان بعد احد عشر يوماً من القتال ، فخرب آقوش الضياع وقطع الكروم وفرق الأهالي وملك الجبل عنوة ووضع في اهله السيف ، فقتل خلقاً كثيراً ثم اعطى الأمان لمن استقر في غير كسروان وخصوصاً من التجأ منهم الى منطقتي بعلبك وجزين . وعندها أخذ الموارنة يتكاثرون في المنطقة بعد تهجير اهلها .

كانت النتيجة الكبرى لتفريغ كسروان من سكانها المسلمين الشيعة ان بدأت الهجرة المارونية اليها على نطاق واسع من شمالي لبنان لتغدو فيما بعد منطقة مارونية الى يومنا هذا [٩٥] .

ومنذ تلك الفترة برزت خصوصيات الطائفة المارونية الرامية الى جعل المقاطعات التي تسيطر عليها (الطائفة) مقاطعات مارونية خالصة لا تسكنها طوائف اخرى والتمدد منها نحو مقاطعات جديدة . بدأ الموارنة بتصفية الخصوم لاجبارهم على الاعتراف بما أسموه « استقلال الموارنة استقلالاً تاماً في وطنهم القومي الماروني » .

وقد كان هناك قرار دولي يقضي بإسكان الموارنة في جبل لبنان وتحويله الى قاعدة للتآمر على الأمة الاسلامية في هذه المنطقة .

ورغم ان جزين كانت في بدء العهد المملوكي مركزاً دينياً اسلامياً شيعياً هاماً ويعتبر القرن الثامن الهجري عصرها الذهبي فقد اصبحت فيما بعد تحت السيطرة المارونية .

لقد أخذ المد الماروني يتجه تدريجياً من شمالي لبنان نحو بلاد جبيل وكسروان وجزين . وقد شجع العسافيون الموارنة من شمالي لبنان ، لا عمار كسروان بعد تخليتها من سكانها السابقين .

كما ان الصراع الاقطاعي بين التنوخيين والعسافيين ادى في النهاية الى ضعف الفريقين ، وتمكين الموارنة من السيطرة على كسروان .

وبصورة عامة استفاد الموارنة من صراعات الاقطاعيين حولهم بالتوسع والتملك ، فأصبحوا في مطلع العهد العثماني بعد المماليك ، مشايخ واقطاعيين في كسروان وبلاد جبيل والجبال الشمالية .

ومن نتائج المأساة ظهور مقدمية الموارنة في الشمال التي اخذت تتمتع بكثير من التنظيمات الخاصة بها في القضاء والتعليم . وكان لها

زعامتان: دينية وعلى رأسها بطريرك الموارنة وزمنية اقطاعية وعلى رأسها المقدم .

وتفيد الأخبار المارونية (الدويهي والشدياق) بان السلطان المملوكي الظاهر برقوق عين في بشري مقدماً من الموارنة كان قد خدمه ، وهو المقدم يعقوب بن ايوب وكتب له بذلك صحيفة نحاسية ، كما انه أعفى ممتلكات دير قنوبين بترك الأموال الاميرية بموجب صحيفة نحاسية كذلك[٩٦] . والمقدمية هي اسلوب حكومي اقطاعي اخذه الموارنة عن الافرنج في الحروب الصليبية . واكثر ما نشأت المقدميات في الشمال في بشري واهدن والعاقورة .

وكان المقدمون يقومون على تدبير شؤون القرى في زمن السلم ويقودون اتباعهم الى القتال في زمن الحرب . وبدا أنهم كانوا يتمتعون بشعبية كبيرة حتى مطلع القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ، ويتعاونون مع الكهنة على زعامة الطائفة لكن ما ان مضى قرن او كاد على حكم المماليك حتى انخفضت مرتبة المقدمين فاصبحوا جباة للضرائب تابعين للحكام المماليك في طرابلس ، وصاروا مكروهين لدى الطائفة وكهنتها ، واهمل المقدمون المتأخرون مصالح رعاياهم ، وسعوا الى نيل الحظوة لدى ساداتهم المماليك والعثمانيين من بعدهم،ولما كان بعضهم قد تسموا بأسماء المسلمين وتلقبوا بألقابهم وجاروهم في عاداتهم فكان من نتائج ذلك ان ثار الكهنة عليهم واصبح البطريرك الماروني وكهنته بمثابة الزعماء الوحيدين للموارنة[٩٧] .

وكانت لغة الموارنة في شمالي لبنان السريانية بالاضافة الى اللغة العربية[٩٨] .

ان حملة التهجير هذه التي تعرض لها المسلمون في كسروان لم تكن الأخيرة بل أعقبتها حملات عديدة في ظل عهود الامراء المعنيين

والشهابيين ، ذلك ان المسلمين تمكنوا من العودة الى مناطقهم عدة مرات ، ولكن آل معن وآل شهاب الذين كانوا في خدمة المشروع الماروني كانوا في كل مرة يعود المسلمون الى بلدانهم وقراهم يعمدون الى تهجيرهم والفتك بهم من جديد .

وسنتحدث عن هذه المواضيع في حينها ، في فصول قادمة . لكن ما يهمنا ذكره هنا هو ان الموارنة بعد أن توسعوا بنزوحهم نحو بلاد جبيل وكسروان في اعقاب المجزرة الرهيبة التي حلت بسكانها ، عادوا من جديد واصطدموا في القرن التالي ـ القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي ـ بالوجود الاسلامي الشيعي في مناطق جبيل والمنيطرة وجبة بشري والبترون وغيرها مما دفعهم الى تجميد نزوحهم[٩٩] .

بعد هذا التجميد الذي أعاق نشاطهم ، ضاقت البابوات ذرعاً . وفي منتصف القرن تركز الاتصال الديني من جديد بين الموارنة والسلطة البابوية في روما ، وكان هذا الاتصال قد توقف مع نهاية الحروب الصليبية،ثم اوكل الى المرسلين الفرنسيين امر إعادة الوحدة بين الموارنة وروما ، الى سابق عهدها من المتانة بعد أن أصابها بعض الوهن .

وفي عام ٨٤٥ هـ ـ ١٤٣٩ م ، أرسل البطريرك الماروني ، يوحنا الجاجي ، رئيس الرهبان الفرنسيين في بيروت الى روما ليمثله في المجمع الفلورنتيني(*) ، لإقرار الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، مفوضاً اليه الموافقة باسمه على ما يقرره المجمع ، وعند عودة هذا الاخير ، أرسل معه البابا اوجين الرابع الى البطريرك « هدايا حسنة وبراءة تثبيت» وصار هذا التثبيت تقليداً مستمراً عند بطاركة الموارنة[١٠٠] .

واتضح للبابوات ان نشاط الارساليات اللاتينية وحده لن يضمن

(*) في فلورنسا .

ارتباط الموارنة بالغرب ضماناً تاماً وقاطعاً .

وتم الرأي على ان ما يحقق مثل هذا الضمان انما هو تدريب رجال الاكليروس الماروني ذاته على الطقس الروماني وتحميلهم مسؤولية الحفاظ على الوحدة مع الاكتفاء بالمرسلين اللاتين كمساعدين فقط .

وهكذا عمد بابوات روما في السنوات التي تلت مجمع فلورنسا الى حث الرهبانيات اللاتينية في بلاد الشام على اعارة الموارنة اهتماماً خاصاً.ولم يكتفوا بذلك بل دعوها الى تشجيع بعض الشبان الموارنة على الدراسة في ايطاليا ، فكان ان ذهب ثلاثة من هؤلاء الى روما عام ٨٧٨ هـ - ١٤٧٠ م ومن هؤلاء جبرائيل ابن القلاعي الذي عاد الى لبنان فيما بعد ليحث ابناء طائفته على المحافظة على وحدتهم مع الكنيسة الرومانية.وقد توجت هذه الجهود أخيراً بإنشاء المعهد الماروني في روما عام ٩٩٤ هـ ١٥٨٤ م[١٠١] .

في اوائل رجب ٩٢٣ هجري - ١٥ آب ١٥١٥ م ، اتصل البابا لاون العاشر (١٥١٣ - ١٥٢١م) بالمقدم الياس بن جمال الدين يوسف البشراني حاكم الموارنة يومئذ ، وأرسل اليه كتاباً يوصيه فيه بالاجتهاد « في انجاح سياسة الشعب الماروني » كما قال[١٠٢] . وهنأ الموارنة بسبب مواجهتهم للمسلمين « غير المؤمنين » زاعماً ان « الله حفظ اتباعه المخلصين كوردة بين الأشواك »[١٠٣] .

وبعد مضي خمس سنوات على هذه الرسالة تحركت فرنسا فأرسلت قوة عسكرية لضم لبنان اليها بالقوة والحصول على ثروته وكنوزه بموافقة « الشعب الماروني » طبعاً ، الا ان مسلمي السواحل هاجموا الجنود الفرنسيين وطردوهم[١٠٤] .

وقبل ان ننهي هذا الفصل لا بد من الاشارة الى ان سيطرة الموارنة قبل بدء الامارة المعنية عام ٩٢٣ هـ - ١٥١٦ م لم تتعد نهر إبراهيم[١٠٥] .

الفصل الثاني

كيف استفاد الموارنة من معاهدة الامتيازات الاجنبية والنظام الاقطاعي وسياسة المعنيين والشهابيين

نظام الملل العثماني

منحت الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمد الثاني الطوائف الدينية غير الإسلامية حق انتخاب رؤساء دينيين[١] لتنظيم ادارة رعاياهم في الشؤون العامة والشخصية،وأصبح لها حق التمثيل في مجالس دعاوى الأقضية بعضو او اكثر وفي مجالس تمييز الألوية بثلاثة اعضاء ، وفي ديوان تمييز الألوية بثلاثة اعضاء أيضاً[٢] .

وبموجب هذا النظام فان كل طائفة اصبحت ملة لها رؤساؤها الروحيون الذين يفصلون في القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية ويعتبرون الممثلون لابناء طائفتهم لدى السلطات العثمانية[٣] .

ثم اصدرت الدولة نظام رواتب البطريرك في استانبول حيث خصص له مبلغ نصف مليون قرش في السنة[٤] .

ومنحت الدولة الاديرة النصرانية في ولاية سورية امتيازات خاصة ، فاعفت أغنام الاديرة من الرسوم .

ان هذا النظام الذي منح الخصوصيات « المذهبية » حرية العمل والتحرك ضمن مؤسسات الدولة وقوانينها ، استفاد منه الموارنة الافادة القصوى ليلعبوا فيما بعد دوراً مهماً في تاريخ توازنات « امارة الجبل » ،

وتحويلها الى امارة مارونية » على قاعدة العصبيات العائلية التي ارتكز عليها الامير فخر الدين وبشير الشهابي،ووظيفة المقاطعجيين في هرم السلطة العثمانية .

لقد تمكن الموارنة بمساعدة فرنسا من توظيف هذا النظام بالشكل الذي يخدم مصالحهم ومشاريعهم الانفصالية والمعادية للمسلمين .

ان تنظيم « الملل » الذي حاول في البدء ان يرى في الخصوصيات « المذهبية» مجالاً لها شيء من الحرية والاستقلالية يمارس في اطار الدولة ومؤسساتها وقوانينها بشكل متوازن[٥] ، شكل في نهاية القرن الثامن عشر وغضون القرن التاسع عشر الميلاديين منفذاً للدول الاوروبية لتعميق هذه « الخصوصيات » المحلية وتلقيحها « بمفاهيم اوروبية » انفصالية .

معاهدة الامتيازات الاجنبية

في عام ٩٤٢ هـ - شباط ١٥٣٥ م أبرم السلطان العثماني، سليمان القانوني،والملك الفرنسي فرانسوا الأول المعاهدة التي سميت فيما بعد بمعاهدة « الامتيازات الاجنبية » .

حصل الفرنسيون في هذه المعاهدة على امتيازات تتعلق بحرية التجارة وحرية الملاحة وحرية اقامة الاجانب في هذه البلاد لأغراض التجارة ، لذلك كثر عدد الجاليات الاجنبية في مناطق متعددة وأصبح لكل جالية استقلالها الداخلي باعتبار ان كل جالية كان لها مدفنة وكنيسة .

وكان القناصل يتمتعون بحق الفصل بين مشاكلها،وقد شكلت هذه الجاليات دولة ضمن الدولة العثمانية زاد نشاطها بشكل ملحوظ بعد هذه الامتيازات . فظهرت جاليات من البندقية وفرنسا وبريطانيا في مختلف المناطق خاصة بعد حصول بقية الدول الاوروبية على امتيازات مشابهة .

ولم يستفد الشعب كثيراً من التجارة وازدياد اهميتها انما المستفيد الأكبر كان ابناء تلك الجاليات ، مما أدى الى إحداث تأثيرات سلبية كبيرة

على تاريخ المنطقة فيما بعد[٦] .

هذه المعاهدة كانت بمثابة نموذج لسائر المعاهدات التي عقدت مع الغرب وقد منحت الأجانب الحق بعدم التقاضي امام المحاكم العثمانية . اما أبناء الفرق المسيحية المحلية فكانوا في البداية يتقاضون امام رؤساء طوائفهم ، وفيما بعد استطاع الغربيون توسيع هذه الامتيازات لا سيما ما يتعلق منها بالضرائب .

أهم محتويات المعاهدة ونتائجها :

اما أهم بنود المعاهدة فهي :

« ١ - حرية التجارة والنقل لرعايا السلطان والملك الفرنسي براً وبحراً مع املاكهم وامتعتهم كما يحق لهم شراء وبيع وحمل البضائع من بلد الى آخر .

٢ - حق ممثلي الملك والقناصل من النظر في الدعاوى-سواء كانت مدنية أم جنائية-التي تقع بين الباعة ورعايا الملك .

٣ - في حالة النزاع مع عثماني لا يحاكم رعايا الملك الا . . . (الترجمان لم يكمل العبارة ، والمقصود ان رعايا الملك لا يحاكمون الا في محاكم فرنسية) .

٤ - في حالة الدعوى الجنائية تنظر في الامور محكمة الباب العالي .

٥ - لا يجوز ان يقهر التجار على اي عمل ما براً وبحراً .

٦ - في حالة وفاة رعايا الملك تحفظ املاكهم وتعطى للورثة الشرعيين او للاوصياء .

٧ - عدم ارغام رعايا السلطان على اعتناق الاسلام ومنحهم حرية العبادة »[٧] .

كما اعترفت الدولة العثمانية منذ البداية وحتى النهاية بحق الحكومة الفرنسية ان تحمي الرهبان والآباء الافرنج الكاثوليك المقيمين في أراضي الدولة العثمانية والمؤسسات الدينية ، وذلك بناء على اتفاقية اخرى ، كانت قد تمت بين فرنسا من جهة والفاتيكان من جهة اخرى ولا يخفى ان الكنيسة كانت تعتبر فرنسا ابنتها البكر .

هذه المعاهدة جددت سنة ١٠١٣ هـ - ١٦٠٤ م ثم تكررت عام ١١٥٤ هـ - ١٧٤١ م واستمرت حتى بدء القرن الرابع عشر الهجري - القرن العشرين الميلادي . وقد اضيفت اليها امتيازات جديدة اهمها تلك التي نصت على اعتراف السلطان العثماني لملك فرنسا بالحق في حماية النصارى الكاثوليك من رعايا الدولة العثمانية[٨] .

وانسحبت حقوق الامتيازات لا سيما بالنسبة لفرنسا على الطوائف المرتبطة بكنيسة روما . ذلك ان « حق » فرنسا في حماية جالياتها من التجار والقناصل والوكلاء والعملاء داخل الامبراطورية العثمانية ، والذي نصت عليه الاتفاقيات مع الباب العالي ، طال ايضاً الأقليات النصرانية المرتبطة بالكثلكة خصوصاً الأقلية المارونية[٩] .

هذه المعاهدة أثارت مطامع بقية الدول الاوروبية التي كانت تتسابق على اعلان حمايتها لنصارى الشرق والفوز بامتيازات مماثلة .

وفي البداية لم يكن باستطاعة التجار الانكليز تعاطي التجارة مع الامبراطورية العثمانية الا تحت العلم الفرنسي، ولكن في عام ٩٨٩ هـ - ١٥٨٠م تم التوقيع على المعاهدة التجارية بين بريطانيا والامبراطورية العثمانية .

وبعد عام من توقيع هذه المعاهدة انشأت شركة (Levant)

البريطانية للتجارة مع الامبراطورية العثمانية ، ومنذ ذلك الحين ولحوالي قرنين من الزمن كان القناصل البريطانيون والدبلوماسيون في السلطنة موظفين في الشركة، وجاء في الصفحة الحادية عشرة من قانون هذه الشركة، إن انشاء شركة (Levant) يهدف في ما يهدف الى حماية النصارى في السطنة العثمانية .

وهكذا فبالإضافة الى فرنسا نجحت دول أوروبية أخرى في توقيع معاهدات تجارية مع السلطنة. وكانت كل دولة تدعي حماية قسم من النصارى، فاختارت النمسا الكاثوليك، وروسيا الارثوذكس، بينما كانت فرنسا تعتبر نفسها حامية الكاثوليك وصديقة الموارنة بالدرجة الاولى[١٠] .

والذي يلفت النظر هنا عدة امور :

١ ـ ان الرجل الذي عهد اليه بالحصول على هذه الامتيازات لفرنسة من الدولة العثمانية كان يدعى ده لا فورست (De La Forest) وهو راهب من فرسان القديس يوحنا الصليبيين .

٢ ـ ان هذه الامتيازات كانت للنصارى من الأجانب، جاء في دائرة المعارف البريطانية نفسها ما يلي :

وكيلا يظن ان هذه الامتيازات هبة انتزعها ملك مسيحي منتصر من تركي مستضعف، يجب ان نذكر ان الدولة العثمانية كانت يومذاك في ذروة قوتها، بينما كان فرنسوا الأول لا يزال يشكو من آثار « معركة بافيا » (Pavia) بايطالية التي انهزم فيها امام شارلكان قبل عشر سنوات .

٣ ـ من اجل ذلك عين الراهب الصليبي ده لا فورست سفيراً في الأستانة، فكان اول سفير لفرنسة في الامبراطورية العثمانية. كتب الدكتور مصطفى خالدي يقول[١١] .

« ومع الايام اخذت الامبراطورية العثمانية تضعف، فكان ضعفها المتوالي المتزايد سبباً في ازدياد شره الدول الاجنبية، لما في الشرق من

خيرات وكنوز، فبعد ان كانت الامتيازات الاجنبية قاصرة على الفرنسيين امتدت نعمتها الى الانكليز ثم الى الهولنديين والايطاليين والاسبان، ثم الى الامريكان ورعايا النمسة والروسية واليونان، ولقد كان رعايا كل دولة يتوسعون في هذه الامتيازات ليتمتعوا بحقوق واعفاء لم تكن من قبل لهم، واخيراً اصبحت الشعوب والجماعات غير المسلمة تتمتع في الامبراطورية العثمانية باستقلال طائفي فيما يتعلق بالاحوال الشخصية ، واعفاء من الخدمة العسكرية ومن كثير من الضرائب والملاحقات القانونية حتى ان المجرم كان يرتكب جريمة فاذا لجأ الى قنصله او اختبأ في بيت رجل اجنبي لم يجسر القضاء العثماني على ان يصل اليه .

زادت هذه الامتيازات في نفوذ الدول الاجنبية فأخذت انكلترة وفرنسة تتنازعان على حماية الاجانب في الامبراطورية العثمانية من الذين ليس لدولهم تمثيل في استانبول .

فالأرمن والبلغار واهل الجبل الاسود وبعض اهالي اميركا الجنوبية كأهل الأرجنتين والتشيلي والمكسيك لم يكن لدولهم وزراء مفوضون او قناصل في الامبراطورية العثمانية فلم يكونوا يتمتعون بالامتيازات الاجنبية، وكان هؤلاء اذا استطاعوا ان ينالوا حماية فرنسة او انكلترة ـ وكان من السهل جداً ان ينالوها ـ استطاعوا ان يتمتعوا بجميع الامتيازات التي كان يتمتع بها الفرنسي والانكليزي في الامبراطورية العثمانية سواء بسواء .

واساء بعض الوزراء والقناصل من الانكليز والفرنسيين هذه السلطة في منح الحماية لرعايا الدول الذين لا تمثيل سياسياً لهم في الآستانة وجمعوا من وراء ذلك اموالاً طائلة .

ثم زاد ضعف الدولة العثمانية فزدات جرأة الانكليز والفرنسيين على منح مثل هذه الحماية، فمنحوها لعدد من «الرعايا العثمانيين» انفسهم ممن استطاع ان يشتري هذه الحماية بمبلغ كبير يستغلها في وجوه

مختلفة ، او ممن كان يستطيع ان ينفع انكلترة او فرنسا في سبيل من السبل. وكان احد هؤلا الأجانب او المحميين يتخطى القوانين ويخالف مبادىء الانسانية، فاذا تعرض له متعرض شمخ بأنفه وقال : « انا اجنبي » ، او « انا حماية اجنبية » .

وقد روى عبد الله المشنوق شيئاً من هذا قال :

« من ذلك حادثة شهدتها بأم عيني ، دهست سيارة يقودها رجل اجنبي طفلاً في بيروت ، فأمر الشرطي السائق بالوقوف فرفض قائلاً بلغة اجنبية : القنصلية لا شأن لي معك ، وتابع (السائق) طريقه تاركاً الطفل المسكين يعاني سكرات الموت »[١٢] .

وكان اذا تعرض اجنبي لحادث سوء فان حكومته تطالب بديته اضعافاً مضاعفة وكثيراً ما كانت تستغل الحادثة للمطالبة بامتيازات سياسية جديدة حتى اصبح البيت الذي يسكنه رجل انكليزي او فرنسي او يوناني او غيره قطعة من الدول التي ينتمي اليها هؤلاء الافراد .

لقد نعم الأجانب بامتيازات لم ينعم بها العثمانيون أنفسهم وهذه الامتيازات استفحل خطر ها كثيراً عندما دب الضعف في الدولة العثمانية ، اذ استغل الاوروبيون هذه الفرصة لتفسير تلك الامتيازات وفق اهدافهم والخروج بها على الحدود المقررة لهم فانقلبت الامتيازات بذلك سلاحاً استغلوه لصالحهم .

ولا بد من القاء نظرة سريعة على انواع هذه الامتيازات وعلى آثارها المختلفة :

ان الأوروبيين الذين يؤمون البلاد الاسلامية الخاضعة للامبراطورية العثمانية ويعملون فيها كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة تجعلهم مفضلين على اهل البلاد في ميداني القضاء والاقتصاد.وبناء على هذه الامتيازات كان لا يحق لسلطات الأمن والعدل ان تفتش عن مسكن الواحد من

هؤلاء الاجانب الا بحضور ممثل عن قنصلية الدولة التي ينتسب اليها مما كان يؤدي الى تعقيد المعاملات وعرقلة سير العدالة ويحول دون احقاق الحق .

كذلك كان لا يحق للدولة العثمانية ان تجبي من الأجانب اية ضريبة مباشرة فكانت المتاجر والمصالح والمصارف الأجنبية تعمل في البلاد الاسلامية بكل حرية وتتصرف بارباحها كما تشاء دون ان تدفع اية ضريبة من تلك الأرباح،حتى الضرائب غير المباشرة كانت مقيدة بقيود الامتيازات الاجنبية فالرسوم الجمركية كانت مقررة على اساس ٨٪ من قيمة البضائع المستوردة مهما كان نوعها ، وهذا ما جعل التجار المحليين في وضع غير متكافىء في الحقوق مع الاوروبيين، اذ كانوا يدفعون عشرة بالماية ويدفعون الرسوم مرات بينما لا يدفعها الاجنبي سوى مرة واحدة[١٣] .

لقد كان من نتيجة تطبيق هذه الامتيازات ان المسألة لم تعد كما كانت سابقاً مسألة علاقات تبادل متكافئة بين اقتصادين مكملين لبعضهما، ولم تعد ايضاً مسألة احتكار تشترك فيه مصر والبندقية على حد سواء، بل انه احتكار اوروبي بحت لم يكن الشرق ليملك حياله اية وسيلة دفاع[١٤] .

فلقد هيمن التجار الاوروبيون داخل الامبراطورية العثمانية هيمنة كاملة على عمليات التبادل ، لا سيما في المدن التجارية والمرافىء ، وكانت هذه الهيمنة تزداد بقدر ما كان يزداد ضعف السلطنة وتفكك مؤسساتها الادارية والاقتصادية والعسكرية.وكان ان وصلت بنا النتيجة الى الحد الذي اصبح فيه تجار الدول الاوروبية يشكلون مع قنصلياتهم جاليات قوية تتمتع بسلطات مستقلة عن السلطة المحلية العثمانية وتشكل عملياً دولاً داخل الدولة »[١٥] .

يقول مؤرخ تركي معللاً اسباب انقراض الدولة العثمانية[16] :

« منح محمد الفاتح الروم امتيازات مذهبية فاحدث بذلك دولة في دولة وارتكب خطأ فاحشاً ، وعوضا عن ان يجعلوا المملكة متجانسة صيروها كبرج بابل . . . وكانت هذه العناصر (الأجنبية) كلما وجدت فرصة تستل من بناء الدولة حجراً وتذهب به . وهذه العناصر منحت للأجانب سبل التدخل في شؤون الدولة الداخلية فكانوا السبب في انقراضها ، ولم يهدأ لهم بال في هذا الشأن إلا واجتهدوا في الوصول اليه » .

والمعلوم ان العلاقات التجارية مع الغرب كانت على أوثقها في لبنان وابتداء من القرن الحادي عشر الهجري ـ السابع عشر الميلادي ، احتلت صيدا المركز التجاري الأول بجهود فخر الدين الثاني الذي فتح البلاد امام الغزو الثقافي الغربي.وقدتتالى على التجارة فيها التوسكانيون والفرنسيون اصدقاء الموارنة بالدرجة الاولى.واحصي بين سنة ١٠٩٧ هـ ١٦٨٥ م وسنة ١١٢١ هـ ١٧٠٩ م ما يزيد عن مئة وخمسة وسبعين تاجراً فرنسياً كانوا يقطنون خاناتها وأهمها « خان الفرنج » مركز اقامة القنصل كما عمد الفرنسيون الى الاستيطان في طرابلس ابتداء من اواسط القرن نفسه[17].

ويحسن بنا ان نذكر ان النصارى في المدن كانوا يتعاطون الأعمال التجارية، وعلى مدى الايام اصبحوا اغنى تجار الامبراطورية العثمانية . وعليه يقول المؤرخ توينبي (Toynbée) مشيراً الى هذه الظاهر « انهم كتجار من الطراز الأول ، أقاموا علاقات تجارية مع العالم الغربي ، مما وفر لهم الاطلاع اللصيق بالحياة الغربية وبالعادات الغربية الى جانب تعلمهم لغات الغرب » .

وفي كلامه عن بيروت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي

يقول غرغوري ورتبات (gregory Wortabet) « ان مخازن هذه المدينة مليئة بالسلع من مصانع اوروبا واميركا»[18] .

ولما كانت العلاقات التجارية هي المفتاح الطبيعي لاقامة علاقات سياسية وثقافية فقد ارتبط الموارنة بفرنسا ارتباطاً كاملاً وصاروا على الدوام يطالبون بفصل لبنان عن محيطه وتحويله الى دولة نصرانية.يقول زين نور الدين زين :

« وكان معظم النصارى ولا سيما الموارنة يتوجهون بأنظارهم نحو الغرب المسيحي خاصة فرنسا ، على انه منارة من منائر الحضارة الغربية »[19] .

هذا الوضع جعل لبنان اشبه بممر تعبره التيارات الفكرية الغربية فكانت حملة التبشير الرهيبة التي نمت الشعور العدائي نحو المسلمين لدى الموارنة .

يقول الاستاذان جب وبوون: « كانت كل التجارة الاوروبية في أيدي النصارى (الاوروبيين والمشارقة) واليهود . . . وما دام كل هؤلاء يشبهون منافسيهم المسلمين في كونهم من رعايا الامبراطورية العثمانية فلم يكن سوى قليل من الضرر،ولكن قبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي بدأت هذه الخلافات العقائدية تكون ذات دلالة خطيرة »[20] .

ويتابع الاستاذان : « لما كان التجار الفرنجة بحاجة الى وكلاء وتراجمة ومقاولين، فلم يكن لهم من خيار سوى الافادة من هذه الطائفة من الناس الذين كانوا على استعداد للانضمام اليهم . وفي مصر كان

معظم هؤلاء حتى اواسط القرن الثامن عشر الميلادي من اليهود، وفي سوريا* كان معظمهم نصارى من المناطق الساحلية وبخاصة الملكانيون، بالاضافة الى الارمن في حلب، وبرغم الجهود التي بذلها التجار الأوروبيون وبخاصة في الموانىء الفرنسية لقصر هؤلاء الذين تحت حمايتهم على كونهم وكلاء، فان الكثيرين منهم اخذوا يطورون التجارة الاوروبية لمصلحتهم الخاصة بعد ان وضعوا اقدامهم فيها، وكان يساعدهم على ذلك اندماجهم في جنسية حماتهم وفقاً لما جرى عليه العرف طبقاً للامتيازات الاجنبية التي كانت تخول السفراء في الاستانة ان يمنحوا براءات او خطابات حماية يصدرها الباب العالي لعدد من الاشخاص يختارونهم لخدمتهم (......) . ولما كان تحت تصرف كل سفير خمسون براءة ، ولما كانت المنحة تتحدد عند كل تعيين جديد ، لا يدعو للعجب ان تزداد بسرعة اعداد اولئك الذين ينعمون بالرعاية الفرنسية والنمساوية والسويدية والبريطانية وغيرها من الجنسيات الأوروبية ممن كانوا يندمجون في هذه الجنسيات ويشاركون في نفس القضاء القنصلي » .

ويمكننا ان نتبين مدى سوء استعمال هذا الحق مما وصل الينا من ان باشا حلب شكا الى الباب العالي في عام ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م من ان عدد « تراجمة » القناصل في حلب زاد حتى بلغ حوالي الفاً وخمسماية، وكلهم معفوون من الضرائب ، ويعملون في التجارة . لكن « الدلالة » ستزداد خطورة على كل حال مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي حيث حاولت السياسات الاوروبية الرسمية تأكيد هذه الوجهة بمعاهدات تجارية مع الباب العالي، ففي عام ١٢٣٤ هـ - ١٨١٨ م عقدت معاهدة انكليزية - عثمانية للتجارة استكملت بعرفان ١٨٢٠م، حددت بموجبها الرسوم على المستوردات الى ولايات الدولة العثمانية

(*) المقصود سوريا ولبنان معاً .

بـ ٣٪ غير ان هذه المعاهدة الغيت في عام ١٢٥٤هـ ١٨٣٨ م واستبدلت باتفاقية جديدة تقضي برفع رسم الاستيراد الى ٥٪ بينما تدفع الصادرات من الولايات العثمانية رسماً قدره ١٢٪[٢١] .

ولم يكن يحق للدولة العثمانية ان تزيد نسبة الرسوم على المستوردات ولا ان تستعيض عنها بتعرفة جمركية جديدة. لقد سعى رجل الدولة العثمانية في أوقات مختلفة وبشتى المناسبات الى رفع رسوم الجمرك غير ان الدول الاوروبية الكبرى لم توافق على تغيير شيء الا في اواخر عهد السلطان عبد الحميد ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م . عندما وافقت الدول على زيادة الرسوم الجمركية ثم رفعتها الى ١١ ٪ غير انها حددت مدة هذه الزيادة سبعة اعوام فقط واشترطت بتخصيص هذه الزيادة تمويل ما كانت تطالب به من اصلاحات في مقدونيا [٢٢] .

هذه المعاهدة التي شملت بنعمتها كل الدول الاوروبية كانت على حد قول مكسيم رودنسون تقطع الطريق مسبقاً على أية محاولة محتملة لبناء صناعة عثمانية[٢٣] ، مما تسبب بايجاد حاجة دائمة للاستيراد وبالتالي نمو العلاقات التجارية التي كانت بمثابة المفتاح السري لنشاطات سياسية وثقافية خطيرة .

وأصبحت البضائع الأجنبية تنافس المحلية وكانت سبباً رئيسياً لاضعافها كما ان النقد لم يكن موحداً في الدولة العثمانية وولاياتها ولم يحافظ على قيمته وخاصة في فترات انحطاط السلطنة بل كان بهبوط مستمر ، كما ان سماح الدولة العثمانية للنقد الأجنبي بالتداول في اراضيها كان سبباً لازدياد نفوذ الدول الاوروبية والطوائف المرتبطة بها ، خاصة بعد سيطرة الفرنسيين والانكليز على البنك العثماني وتوجيه المالية التركية والسيطرة على مقدراتها ومقدرات ولاياتها .

وقد ساعد تدفق الجاليات الاجنبية على اتساع نطاق التجارة الأوروبية مع الشرق وكانت تلك الجاليات تتجمع في البداية بحي واحد

عرف باسم خان الافرنج ، وهو عبارة عن مستعمرة اجنبية يعيش افرادها تحت سلطة القنصل الذي يعد صلة الوصل بين سكان الحي والسلطات المحلية ونال القناصل فيما بعد ضمانات كثيرة، وغدت كل قنصلية اوروبية مركز نفوذ تلتقي حوله فئة من الرعايا قد يكونون من بلدان غير تلك التي كانت تتمتع اصلا بالامتيازات، وهذا ما دفع العديد من التجار المحليين للارتماء في احضان القناصل والارتباط بتجاراتهم،وأصبحت هناك مراكز تجارية عامة قامت حول القنصليات الأجنبية ولعبت دوراً بارزاًفي استمرارية تلك الامتيازات[٢٤] .

التبعية الكاملة لفرنسا :

كانت جميع الدول الاستعمارية تسعى الى تكثير مؤسساتها الاقتصادية والثقافية في الممالك العثمانية، وكانت تركز معظم جهودها في هذا السبيل في مناطق الأقليات التي ارتبطت بها وتولت حمايتها وكذلك في المناطق التي تطمع في احتلالها يوماً ما .

ان النفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي الذي اكتسبته بعض الدول بواسطة هذه المؤسسات كثيراً ما كان يسبق الاحتلال السياسي والعسكري بل يمهد له السبيل .

ولهذا فان ازدياد النفوذ الفرنسي بموجب هذه الامتيازات عن طريق « حماية الاقليات المسيحية » اوجد موطىء قدم للاستعمار الغربي الذي زحف الى شواطئنا عبر اساطيل روسيا وحملة نابليون والانزال العسكري الانكليزي على شواطىء جونية عام ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م والحملة الفرنسية لبناء الدولة المارونية عام ١٢٧٦ هـ - ١٨٦٠ م .

لقد اخذت فرنسا عن طريق « معاهدة الامتيازات » تنمي مصالحها في بلاد الشام ، واذ كانت اقوى دولة كاثوليكية في أوروبا اعتبرت نفسها حامية الموارنة وهم انذاك الطائفة الوحيدة في المنطقة المتحدة مع روما .

وعلى مر العصور توثقت عرى الصداقة بين الموارنة وفرنسا حيث اصدر بعض الملوك الفرنسيين امثال لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر تعهدات جديدة بحماية الموارنة و مساندة « صديقهم القديم امير الجبل » . وفي الوقت الذي وجدت فيه فرنسا في الموارنة طائفة طيعة تستطيع بواسطتها ان تنشر نفوذها في المنطقة، وجد الموارنة بدورهم في فرنسا حامياً قوياً لهم .

كما ان قدوم المرسلين الفرنسيين، امثال الفرنسيسكان في القرن السادس عشر (م) واليسوعيين في القرن السابع عشر الميلادي ساعد فرنسا على نشر ثقافتها ولغتها بين الموارنة مثلما ساعدها على استخدامهم لتنفيذ مآربها السياسية كلما دعت الحاجة،وقد اشار مصطفى باشا ، الحاكم العثماني ، خلال الاضطرابات المدنية التي وقعت في منتصف القرن التاسع عشر ، الى « المرسلين الفرنسيين الذين لا يعدون ولا يحصون بوصفهم فرسان البابا غير النظاميين القائمين في لبنان ، الذين تحت زي الكهنة كانوا في الواقع عملاء سياسيين ومقلقين للامن العام »[٢٥] .

وقد ساعد فرنسا في تسللها الى المنطقة النظام الملي والامتيازات التي حصل عليها الأوروبيون من الدولة العثمانية ، وأخيراً تم الاعتراف بفرنسا رسمياً في اواخر القرن الحادي عشر الهجري - السابع عشر الميلادي كحامية للكثلكة اللاتينية، الامر الذي مكنها من انماء مركز حميم، خصوصاً مع الموارنة، واستغلت فرنسا العامل الديني فاجتذبت النصارى الشرقيين المرتبطين بالبابا، كالموارنة،على انها «زعيم الكثلكة»،وكان الكهنوت المحلي اتباعها المخلصين . وهذه العلاقة صمدت امام زندقة عهد الثورة الفرنسية وولادة النزعة القوية المعادية للاكليروس في فرنسا نفسها بعد ذلك بقرن (واخفيت الى حد كبير عن الطوائف المسيحية الشرقية المرتبطة بالبابوية) ، وفصل الدين عن الدولة

عام ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ م [٢٦] .

ان هذه الحماية التي بدأت تسحب نفسها على « الملل » لتجعل منها موضوع « اقليات » دينية وأثنية ، دخلت في التنظير الكولونيالي كمسألة مشروعة تبرر عملية « التدخل » من طرف دولة في شؤون دولة ثانية[٢٧] . وهكذا اصبحت « الملة » العثمانية ترادف في قاموس السياسة الكولونيالية في القرن التاسع عشر مفاهيم « امة » و « شعب » .

كتب لامارتين في « رحلة الى الشرق » : « ان الشعب الماروني يشكل شعباً على حدة في الشرق، نكاد نقول، جالية اوروبية رميت بالمصادفة في وسط الصحراء. انها جالية مكونة تماماً، يمكن ان تكون لأوروبا على تلك الشواطىء الجميلة. ان المستقبل هنا اكبر منه في مصر»[٢٨] .

ويقول وزير خارجية فرنسا عام ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م عن هؤلاء : « هم اقدم اتباع لنا في الشرق »[٢٩] .

كانت فرنسا تعتبر نفسها حامية النصارى في الشرق، وخاصة الموارنة في لبنان، بمقدار ما كان الموارنة يعتبرونها صديقتهم الكبيرة الأولى. فقد جرت التقاليدلدى الطرفين على اعتبار الصداقة المارونية الفرنسية في غاية العراقة، تدعمها القرون الطويلة، وتجعل فرنسا لا تقبل منافسة دولة أخرى في هذه الصداقة، وتجعل الموارنة لا يقبلون منافسة طائفة اخرى في الولاء لفرنسا .

ان التراث التاريخي الماروني الذي بدأ يكتب في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي حافل بالشواهد (ان من باب الوقائع، او باب الاشارات ذات الطابع الخرافي والايديولوجي).

من هذ الوقائع نذكر على سبيل المثال منح لويس الرابع عشر الى ابناء عائلة الخازن المارونية شرف تولي وظيفة القنصل الفرنسي في

بيروت، وقد بقيت هذه الوظيفة «امتيازاً» لابناء هذه العائلة من سنة ١٠٦٦ هـ ـ ١٦٥٥ م حتى ١١٦٧ هـ ـ ١٧٥٣ م[٣٠] .

واضح ما يتيحه هذا «الامتياز» في اطار الاتفاقيات العثمانية المعقودة مع فرنسا من خدمات لآل الخازن وللأقلية المارونية، وما يمكن ان يخلقه من ولاءات لفرنسا، ومواقف معادية للشعوب الاسلامية، لا سيما ان مكاسب هذه الامتيازات لم تقتصر على مشايخ الموارنة من آل الخازن فحسب، بل طالت بشكل خاص الكينسة والرهبانيات المارونية .

واذا عرفنا كيف ان الرهبان الموارنة عبر توزعهم في الاديرة الكثيرة، ونشاطهم في اوقافها الزراعية الواسعة، قد شكلوا مع الخوارنة المنتشرين في القرى نوعاً من «تنظيم شعبي» فلاحي واسع يدير شؤون الطائفة ويهيمن على نشاطها الاقتصادي، ادركنا اهمية ان يتمتع الرهبان الموارنة بامتيازات المرسلين الفرنسيين، والنتائج السياسية الايديولوجية التي يمكن ان تترتب على ذلك.

تعزيز التحالف مع البابا :

لقد ادت الامتيازات الى تعزيز العلاقات من جديد مع روما بعد ان توقفت نسبياً بعد طرد الصليبيين .

ونتيجة لهذا الاتصال الماروني «بعاصمة الكثلكة» في العالم والذي كان قد بدأ في مرحلة الانبعاث الأوروبي وفي اعقاب الحروب الصليبية ، جاءت من قبل الفاتيكان مبادرة ملفتة باتجاه تغذية الذاتية المارونية .

فقد انشأ الفاتيكان عام ٩٥٠ هـ ـ ١٥٤٣ م لجنة خاصة للاهتمام بالموارنة ومدرسة خاصة لاعداد رجال الاكليروس[٣١] الذين برز منهم من ضمن عملية التغريب الحضاري والسياسي رجال كثيرون عملوا من أجل توطيد العلاقات المارونية مع الغرب .

وفي عام ٩٩١ هـ ـ ١٥٨١ م وجه البطريرك الماروني سركيس الرزي رسالة شكر الى البابا غريغوريوس الثالث عشر بمناسبة تلقيه درع الرئاسة مع وفد بطريركي أصحبه بعشرة شبان من الموارنة لاقتباس العلوم في رومة .

وبعد ان بلغ عدد التلاميذ الموارنة في روما العشرين، انشأ البابا لهم مدرسة خاصة عرفت باسم مدرسة الموارنة او المعهد الماروني عام ٩٩٤ هـ ـ ١٥٨٤ م .

وعند انشائها خطب البابا غريغوريوس الثالث عشر فقال : « ان الموارنة سكان جبل لبنان هم مستمرون منذ عصور كثيرة على الايمان الكاثوليكي والخضوع للبابا »[٣٢] .

في عام ١٠٠٥ هـ ـ ١٥٩٦ م، ثم في ١١٤٩ هـ ـ ١٧٣٦ م، وبعد اعادة النظر في القانون الكنسي الماروني والعقيدة المارونية لتنسيقها مع قانون وعقيدة الكنيسة الكاثوليكية ، اقر المجمعان «المقدسان» المنعقدان في قنوبين واللويزة في لبنان اتحاد الكنيسة المارونية مع روما، بحضور مندوبين عن البابا [٣٣] .

هذا الارتباط الدائم بروما، وهذه العلاقة الطويلة بالفاتيكان ساعدا في تمييز الموارنة عن اتباع الكنائس الشرقية الاخرى المرتبطة « بالكرسي البابوي»، وشجعا ميلاً اعظم في اوساطهم نحو اللاتينية مما ادى الى تحول الكنيسة المارونية كلها الى روما.

المؤرخون يعيدون الى ذلك الزمن بداية دعم غربي متواصل للوجود الماروني في جبل لبنان، وقد يكون أن يداً دولية رصدت أموالاً لامداد الاكليروس الماروني وبعض مشايخ العائلات بقدرة على التحرك مكنت الموارنة من الجزء الأكبر من منطقة جبل لبنان التي كانت بالأصل اسلامية شيعية فتحولت الى املاك مارونية، وينطبق هذا الكلام على

البترون وبلاد جبيل وكسروان بل المتن الى حد بعيد، ولم تكن القوة العسكرية والدعم السياسي السري فقط هما اللذان يرافقان المد الماروني ، بل ايضا وبصورة خاصة ، التفوق المالي الآتي من مساعدة دولية عامة وفرنسية خاصة ، مما اسس للموارنة في النهاية موطناً واسعاً لا يقتصر على المنطقة الضيقة في شمال لبنان الحالي .

ومن ملاحظة سيرة هذا الامتداد الماروني يتبين انه بدأ مطبوعاً بطابع يغلب عليه توغل الكنيسة الغربية في شؤون كنيسة شرقية بالاصل عن طريق مد خطوط ثقافية ثم مساعدات مالية ذات طابع شبه اكليركي، ولكن مع التنامي الأوروبي العام اخذ هذا الامتداد يستند اكثر فأكثر الى قوى سياسية واقتصادية وعسكرية .

وكان المعنيون والشهابيون في خدمة المشروع الماروني. وتحول الامير المسلم في الجبل الى ماروني بالعصبية السياسية وأحياناً الى ماروني بالمذهب ايضاً،فشهد العهدان سيطرة مارونية على مناطق واسعة من لبنان . وقبل ان نتحدث عن المعنيين والشهابيين لا بد من الحديث عن النظام الاقطاعي الذي حكموا به .

النظام الاقطاعي

بعد الغزو المغولي لبلاد الشام سنة ٨٠٤ هـ - ١٤٠٠ م على يد تيمورلنك حدث نزوح كبير من السكان الى الجبال اللبنانية طلباً للأمان .

كما رافق ذلك النزوح احتماء اصحاب الكفاءات والمهن في الجبال خوفاً من المغول. فادى ذلك النزوح الى امتلاء الجبال اللبنانية، ومن جهة ثانية فقد ظل التقليد الاقطاعي المملوكي القديم يتجدد مما ساعد على استقرار الاقطاعيين واطمئنانهم لما بين ايديهم من اقطاع. فاخذ الاقطاع يتحول الى عائلات اقطاعية مستمرة تتوارث عملها. وبعض الاقطاعيين كان يؤجر جزءاً من اقطاعه فيتحول الاقطاعي بذلك الى صاحب سلطة لأنه يقوم بمهام الدولة،وكان من نتائج الاستقرار الاقطاعي ان تحولت العائلات الاقطاعية الى حكومات محلية صغيرة، تتحالف وتتناحر وفقاً لمصالحها الخاصة، وليس وفقاً لسياسة الدولة. هذا التحول الاقطاعي هو الذي طبع العصر المملوكي الشركسي بطابعه، وظل مستمراً فيما بعد في العهد العثماني. وبتحول العائلات الاقطاعية الى حكومات اقطاعية مستقرة بدأت تظهر بينهم المنازعات القبلية والطائفية خاصة في لبنان .

وقد ظهر ذلك واضحاً عندما حدث الاستقرار الاقطاعي فى القرن

التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي [٣٤] .

ثم جاءت الدولة العثمانية فأقرت اوضاع البلاد على اساليب الحكم المعروفة وبقي الحكم اقطاعياً، ومما شجع الحكم الإقطاعي على ترسيخ جذوره في البلاد، وتحوله من اقطاع تعييني تديره الدولة، كما كان في العهد المملوكي الى اقطاعي وراثي،هو ضعف الرقابة العثمانية بسبب ابتعاد العاصمة عن بقية البلدان. فتحول الاقطاع بذلك من اسلوب تطويري للزراعة الى اسلوب تجميد أخر الزراعة وأرهق الفلاحين واستثمرهم اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ابشع استغلال [٣٥] .

لقد كانت الاقطاعات مقسمة الى خطط صغيرة يديرها «امير» او «شيخ» من ابناء الاسر الكبيرة أو المتقلبة،يحكمها كيفما يشاء وليس عليه الا ان يؤدي مالا مقطوعاً لخزينة الدولة العثمانية، فوقعت البلاد تحت رحمة الاقطاعيين والولاة الطغاة .

وهكذا فان « امارة الجبل» التي تعاقب على حكمها امراء آل معن وآل شهاب كانت جزءاً من النظام الاقطاعي الذي كان سائداًقبل الفتح العثماني

وهذه الامارة لم يكن لها حدود معينة قبل عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م [٣٦] . لأنها استندت الى مفاهيم الاقطاع وتقاليده .

وكانت سلطة الأمير تستند على تحالف شخصيات ارستقراطية من «مشايخ» و « امراء» عرفوا بالمقاطعجيين نسبة للمقاطعة [٣٧]، فكان الامير الكبير ينتمي الى اقوى العائلات لكي يستطيع فرض الأمن والنظام ثم تثبت شرعيته «بفرمان سلطاني» [٣٨] . وكان «الشيخ» يدير شؤون مقاطعته ويلتزم بدفع الضرائب المترتبة عليها لأمير الجبل، الذي يتربع فوق هذا البناء الاقطاعي، والذي له الرياسة العليا على العامة والمشايخ والامراء. ويلتزم هذا الامير امام باشا صيدا بدفع الضرائب المستحقة للدولة على المقاطعات التي يحكمها بنفسه او بواسطة اتباعه من المقدمين والمشايخ

الاقطاعيين[٣٩] .

ان الصراعات التي كانت تنشب بين امير الجبل الخاضع للسياسة المارونية والولاة العثمانيين لم تكن كما يزعم الموارنة نضالاً وطنياً من اجل الاستقلال . بل كانت صراعات اقطاعية في سبيل توسيع النفوذ والسيطرة، فالجميع كانوا،من الوالي العثماني الى الامير الى الشيخ، أصحاب «مقاطعات» عثمانية يجمعهم جهاز الدولة العثمانية . وكان عليهم جميعاً ان يؤدوا الضرائب المفروضة عى مقاطعاتهم الى بيت المال وان يقوموا بحفظ الأمن والنظام .

ان اساليب الحكم والادارة في « امارة الجبل » كانت سيئة للغاية فلقد كان الامير يفرض على الناس ضرائب باهظة ، فيرسل القسم المخصص الى الاستانة ويحتفظ بالباقي من اجل توسيع نفوذه وتثبيت دعائم ملكه .

وكان المقاطعجيون وهم اصحاب المقاطعات، ويخضعون لنفوذ الأمير، يجبون الضرائب مرتين او ثلاث في السنة ويضعون رسوماً وأسعاراً خيالية على انواع الانتاج، وكان امراء الجبل يزيدون او يضاعفون ما شاءت مطامعهم ارضاء للوزير ورجال الدولة ليأمنوا على مراكزهم ومن ثم لتشييد القصور والقلاع من جنى البؤساء والفقراء والمزارعين والمساكين .

ولهذا فكثيراً ما كان ينشب الخلاف بين زعماء جبل لبنان والرعية التي ثارت مرات عديدة واعلنت العصيان على أمير الجبل .

ولما لم يكن الوفاق بين الزعماء ممكناًوالاتحاد محكماً، فكان شبانهم يساقون الى الجندية سوق الغنم الى الموت المحتم جوعاً، ولم يكن هناك من سلطة عادلة تنصف المظلوم وتقتص من الظالم .

ثم ان الاقطاعي «منح الحق في استخدام قوة مسلحة كافية لجمع الضرائب،تأتمر بأمره كما تتمتع بنوع من الاستقلال في ارضه وفلاحيه» .

غير ان استعمال هذه القوة لم يقتصر فقط على جمع الضرائب «فتارة كان يستخدمها من اجل نزاع نشب بينه وبين جيرانه الاقطاعيين اذا رغب في توسيع املاكه على حساب املاكهم، وطوراً يستخدمها لنجدة رئيسه اذا وقع في مشكلة مشابهة»[٤٠].

ان هذه القاعدة في طبيعة السلطة التي سادت فترة طويلة تفسر العديد من الظواهر السياسية التي برزت والتي كانت تصب في مشاريع التجزئة السياسية، من هذه الظواهر: ظاهرة فخر الدين وبشير الثاني في الجبل .

ان الصراعات التي كانت تقوم بين كبير الامراء الذي يترأس حلفاً من العائلات ، ويتلقى الضرائب من عدد من المقاطعات، من جهة ، والولاة العثمانيين المتمركزين في دمشق او صيدا او عكا تبعاً لنوع الولاية ومركزها، من جهة ثانية،لم تكن كما يصورها التاريخ الرسمي الصادر عن وارزة التربية في « الجمهورية اللبنانية» نضالاً من قبل امراء «وطنيين» ضد الحكم العثماني .

ان الوالي والامير والشيخ هم اصحاب «مقطاعات» مختلفون اهمية باختلاف اهمية مقاطعاتهم وعددها. فهم جميعاً جزء من جهاز الدولة العثمانية الذي يتحكم فيه على الدوام «صراع داخلي» يتمحور حول حدود «الالتزام» ومدى اتساعه من حيث حجم الضريبة، ووزن النفوذ والامتداد الجغرافي .

كانت الحقوق تهدر دون رادع أو رقيب، فقد كان الامير في تحالفاته المتقلبة باستمرار مع الوالي العثماني او مع هذا الزعيم او ذاك او عندما يعلن الثورة ويجاهر بالعصيان ضد الدولة العثمانية،كان في كل

تصرفاته محكوماً بمبدأ مصلحته الخاصة ونفوذه بوجه بقية الزعماء، وخاضعاً للنفوذ الماروني الذي نجح في تحويل امارة الجبل الى «امارة مارونية».

لقد كانت تصرفات الامراء «والمقاطعجيين» تبنى على حساب ربحهم الشخصي او خسارتهم الشخصية ولم تكن شؤون الناس وقضاياهم تعني بالنسبة لهم شيئاً .فكانوا يرهقون الناس بالضرائب ويسلبونهم لقمة العيش بحجة جمع «الميري»، وينهبون اموالهم ويستحلون اعراضهم، كل ذلك في ظل تضييق الانفاس، وهيمنة مارونية واضحة كانت وراء كل القرارات السياسية التي يتخذها امير الجبل كما سنرى ذلك بالتفصيل.

ولهذا فان الموارنة لا يترددون في اعتبار ان فخر الدين وبشير الشهابي «كانا مارونيين»[٤١].

من هنا نفهم لماذا اجبر المسلمون الشيعة في عهد الامارة المعنية والامارة الشهابية على هجرة مناطقهم وقراهم في البترون وبشري وجبيل ومناطق واسعة من جبل لبنان . لم يكن هناك من حكم عادل يحكم بين الناس ، وكثيراً ما كان الامير يتحالف مع الوالي العثماني ضد سكان « الامارة » من اجل الحفاظ على ملكه .

ان آل معن وآل شهاب كانا حجر عثرة في سبيل راحة هذه البلاد. فهذا « الأمير احمد » المعني على سبيل المثال لا الحصر يتحالف مع الاتراك ضد أبناء جبل عامل في :

معركة أنصار : ١٠٧٨ هـ - ١٦٦٧ م .

معركة عيناتا : ١٠٧٠ هـ - ١٦٥٩ م .

معركة النبطية : ١٠٧٧ هـ - ١٦٦٦ م .

ومعركة وادي الكفور : ١٠٧٨ هـ - ١٦٦٧ م[٤٢] .

فإذا كانت نضالات هؤلاء الأمراء نضالات وطنية ترمي الى «استقلال لبنان» كما يزعم الموارنة وبناء «الوطن المستقل» فلماذا يقتلون ابناء وطنهم ويفرضون عليهم الذل والهوان ؟.

وابتداء من القرن التاسع عشر الميلادي اصبح الولاة والامراء والمقاطعجيون يفرضون الضرائب الباهظة وفق ارادتهم وأهوائهم دون الرجوع الى الباب العالي معتمدين على «قواهم المسلحة»، مما ادى الى تخلي قسم كبير من الناس عن املاكهم، ورفضوا ان تسجل أسماؤهم خوفاً من رسوم التمليك والضرائب الباهظة التي تساوي اضعاف الانتاج .

نفس الشيء كان يحدث في البقاع عندما كانت تمتد اليه سلطة الامير .

اضف الى ذلك ان المناصب كانت بالمساومة فكان شراء الولاية بثمانين الف الى مائة الف ريال والريال يساوي نصف ليرة فرنسية ذهباً. ووظيفة الدفتر دار (مدير المالية) كانت تباع بأربعين او خمسين الف ريال، والقاضي اقل من ذلك .

وجميعهم كانوا يستعيضون عن مصاريفهم من الأهالي الذين اعلنوا الثورة والعصيان مرات عديدة[٤٣] .

ان الباحث في تاريخ تلك العصور لا يرى سبباً معقولاً لخلاف وقع بين الولاة واهل الاقطاعات الا لأجل المال .

لقد كانت المنطقة الممتدة من الكورة حتى جبل الريحان تتألف من اربع وعشرين مقاطعة، كل مقاطعة تديرها عائلة او عائلتان من المقاطعجيين .

وفي مقاطعة الجرد التي كانت تضم احدى وعشرين قرية كان يوجد ثلاثة وثلاثون مقاطعجياً[٤٤] .

المشروع الماروني يمتد الى جبل عامل

لم يكتف الموارنة بالسيطرة على شمال وجبال لبنان بل ارادوا اكثر من ذلك . وقد دفع حب السلطة والاستعلاء ، آل معن وآل شهاب الى الخضوع لسياساتهم ومشاريعهم وقراراتهم .

فكانت الاعتداءات المتكررة على اهالي جبل عامل من أجل اخضاعهم وسلب اموالهم وانتهاك حرماتهم كما فعلوا في بقية المناطق . واول من تقدم من آل معن لالتزام اقطاعات جبل عامل من والي الشام، مصطفى باشا،هو الامير فخر الدين الثاني الذي التزم بسنجقية صفد وكان جبل عامل داخلاً في ضمنها وذلك سنة ١٠١٧ هـ ـ ١٦٠٨م .

غير ان ابناء جبل عامل صمدوا بوجه هذه الخطة وكانوا اذا غلبوا على أمرهم يلجأون الى حرب العصابات ومفاجأة العدو في سواد الليل .

استمرت المعارك زهاء ثلاثين سنة حتى تمكنوا في عام ١٠٧٧ هـ ـ ١٦٦٦ م من طرد عمال ارسلان باشا فأرسل الوالي بالتعاون مع المعنيين حملة مجهزة، ووقعت عدة معارك كتب فيها الفوز لابناء جبل عامل الذين هبوا هبة رجل واحد[٤٥] .

والواقع ان جبل عامل الذي لم يقع تحت الهيمنة المارونية كانت الأوضاع فيه مختلفة تماماً عما كانت عليه في جبل لبنان . لم يقع في جبل عامل ما كان يقع في الجبل من ظلم وتشريد حتى ان الاقطاعيين كانوا غير ملزمين برفع علم الدولة الرسمي في اجتماعاتهم بل كان لهم اعلام خاصة من نسيج حريري اخضر واحمر كتبت عليها بالنسيج الأبيض سطور ثلاثة : لا اله الا الله محمد رسول الله .

لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار .

نصر من الله وفتح قريب .

لقد ساد الوفاق بين الزعماء الى حد كبير ونجت البلاد من سوء الادارة فترة طويلة استمرت الى عام ١٢٥٨ هـ ـ ١٨٤٢ م عندما خضع جبل عامل للحكم العثماني المباشر[٤٦] .

كانت سلطة الدولة الرسمية لا تتدخل في شؤون البلاد المحلية ولا يهمها الا قبض الضريبة المفروضة على المقاطعات وكثيراً ما كانوا يرفضون تأديتها اضف الى ذلك ان القضاة العلماء كانوا على نزاهة ما فوقها نزاهة ،وسلطتهم هي السلطة العليا التي تحنى لها الرقاب .

ولم يكن يجسر اي زعيم مهما علا شأنه وكبر مقامه وتوفر ماله وجنده على مناوءة العالم أورد حكمه الذي لم يكن سلاحه وجنده الا تقوى الله والزهد والنزاهة والبعد عن زخارف الدنيا وزينتها .

لقد كانت سيرة العلماء الأبرار في ذلك العهد خير سيرة اتصف بها عالم احاط بأسرار الشريعة الاسلامية ، وانصرفوا الى تدريس الناس وارشادهم وعاشوا عيشة الزهد والقناعة لا تستهويهم الاموال ولا القصور ولا تغريهم السلطات .

صحيح انهم لم يلغوا النظام الاقطاعي ولم يكن للناس حق تعيين

الحاكم غير انهم استطاعوا ان يحدوا كثيراً من مساوىء هذا النظام ويقضوا على معظم اضراره ولم يسمحوا بان يتحول الى اداة للاعتداء على أرواح الناس وكراماتهم .

لقد استطاع هؤلاء العلماء بجهودهم ان يحفظوا للانسان المسلم هناك هويته الاسلامية ومنع النفوذ الماروني من السيطرة والاحتلال، فكانوا بحق رواد نهضة اسلامية شاملة غايتها حفظ الشريعة الاسلامية وتطبيقها .

هؤلاء لم يحدثوا أنفسهم بالتحالف مع الغرب لا سيما مع بابوات روما كما فعل فخر الدين، او مع فرنسا كما فعل الموارنة من اجل بناء الاستقلال المزيف، وانشاء «الوطن القومي» على نفس القاعدة التي يريدها المستعمر . ولم يكن للوالي العثماني ان يتدخل في الشؤون الداخلية كما يحلو له مثلما حدث في جبل لبنان حيث اصبح الانسان عرضة لأي اعتداء بسبب حاجة الزعماء الى شراء حلفاء وبيع آخرين حفاظاً على عروشهم ان تنهار .

وقد نبغ من جبل عامل الكثيرون، من الذين حملوا دعوة العلم والفكر والاصلاح للشعوب كافة .

ان جبل عامل أنبت رجالاً كانوا دائماً في طليعة عصرهم، ومن هؤلاء :

الشيخ سعيد محمد بن مكي الجزيني العاملي المعروف بالشهيد الأول ، مؤلف كتاب اللمعة الدمشقية خلال اعتقاله في قلعة دمشق ظلماً سنة ٧٨٦ هـ .

والقطب الرباني زين الدين علي بن احمد المعروف بابن الحجة الشهيد الثاني الجبعي العاملي صاحب كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية في مجلدين ، وشرح الشرائع في سبعة مجلدات وتولى التدريس فترة من الزمن في المدرسة النورية في بعلبك .

والمحقق الشيخ علي عبد العالي الميسي نسبة الى ميس الجبل المتوفي سنة ٩٣٣ هـ . والعلامة الشيخ حسين عبد الصمد الجبعي العاملي الهمداني المتوفي في البحرين سنة ٩٨٤ هـ، وكان مدرساً في مدرسة حلب وولده الفيلسوف الرياضي بهاء الدين العاملي الذي ترجمت مؤلفاته الى اللغات الأوروبية .

ومنهم الشيخ محمد بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي والشيخ لطف الله العاملي،والشيخ محمد الحسن الحر العاملي ، صاحب كتاب أمل الآمل في علماء جبل عامل .

يقول السيد حسن الامين في مقدمة الطبعة الثانية لـ « تاريخ جبل عامل » : « هذا الجبل الذي جنى عليه الجانون فاهتضموه، ولا يزالون، هذا الجبل كان من أفظع ما جنوا عليه أن بدلوا إسمه، فأطلقوا عليه اسم « الجنوب» وتركوا اسم جبل عامل، وذلك عندما أنشأوا لبنان الكبير وضموا اليه جبل عامل! فبدلاً من أن يحيوا الاسم الصحيح، فيحيوا بإحيائه ذكريات المجد التالد، بدلاً من ذلك حاولوا اماتته واستطاعوا فأطلقوا عليه اسماً يفصله عن ماضيه الرفيع ويحول بينه وبين تذكر الخوالي من الأيام ايام الشعر والأدب والفقه واللغة والصلاح والاصلاح وارشاد الامم وبعث النهضات فيها .

لقد استطاعوا طمس الاسم الحبيب فطغى اسمهم الغريب حتى بين العامليين انفسهم، فلو سألت اي عاملي من اين أنت ؟ لأجابك: انني من الجنوب!! » .

ان هذا الجبل ذو ماض مجيد حافل بالعظائم وقد كانت دور العلم تغص بالطلاب والمدرسين، غنية بالمؤلفات والكتب القمة ونبغ فيه أعظم القواد والكتبة والمؤلفين والمخترعين .

وفي العصر الحديث انجبت النبطية واحداً من اعظم الرجال الذين

نبغوا في جبل عامل بل في الشرق كله، ذلك هو النابغة المخترع حسن كامل الصباح الذي ذكرت صحف المهجر بعد وفاته ان اختراعاته قد بلغت السبعين ليس أقلها تحويل الطاقة الشمسية الى قوة كهربائية .

هذا الجبل امتدت اليه اليد الآثمة وتوالت عليه المحن والارزاء فما نالت منه شيئاً في البداية لكن المؤامرة ظلت مستمرة الى ما بعد رحيل المعنيين والشهابيين .

نظام الزراعة

ان ملكية الدولة للأرض اضحت خلال القرن الثالث عشر الهجري شكلية كلياً عندما ازدادت طموحات الباشا والامير والشيخ نحو الاستقلال بمقاطعاتهم، وقويت هيمنتهم المباشرة على الفلاحين واستأثروا حتى بالأراضي القليلة التي استغلها هؤلاء بصورة فردية . فظهر نوع من الملكية اصبح لها خصائص الملكية الفردية : بيع ، شراء ، توريث[٤٧] . . .

كان المشايخ والامراء والاكليروس الماروني يستأثرون باستثمار ثلثي أراضي الجبل بالزراعة ، عدا حقهم في استثمار الأرض « المشاع » . الثلث الأخير (قطع صغيرة) يستثمره فلاحون متوسطو الحال بينما اكثرية السكان لم تكن لتملك شيئاً[٤٨] .

كان هؤلاء الفلاحون لا يملكون مورد عيش الا قوة عملهم ، فكانوا يمضون ثلاثة أرباع وقتهم بانتظار استخدامهم ، بينما كان الامراء يصرون على عدم التخلي عن اي شبر من املاكهم والسبب في ذلك خوفهم من اضعاف سلطتهم بتمليكهم أراض للشعب ، وتخفيف حاجة هذا الأخير للعمل المأجور من أجل العيش[٤٩] .

ان هذه العلاقات الاجتماعية التي ربطت الفلاحين بـ « المشايخ » والإقطاعيين كانت نقطتها الرئيسية: الانفصام شبه المطلق بين الاستثمار والملكية. . من يزرع لا يملك، ومن يملك لا يزرع .

كان يحرث الأرض في جميع الاقطاعات الفلاحون الدافعون للضرائب الذين لا يحق لهم امتلاك الأرض انما كانوا يعطون قطعة صغيرة جداً (بالجفتلك) ولا يحق لهم التصرف بها الا باذن خاص من الاقطاعي،وبالمقابل كان كل عبء الضرائب بأجمعه على عاتق هؤلاء الفلاحين الذين شكلوا قاعدة النظام الاقطاعي ورضخوا لعسف الملاكين والمتزلمين والاقطاعيين وكان لا يحق لهم مغادرة البلاد دون اذن من اسيادهم. وقد ادت الحروب المتكررة التي خاضها الامراء والعصابات المتكررة والجفاف الى تدهور الزراعة وبالتالي الى خراب الفلاحين .

المرابعة :

كان الاقطاعيون يجهلون الطرق الفنية لاستثمار الأراضي ، فكانت ادواتهم وطرقهم بدائية لا تعطي مردوداً الا قليلاً ، لذلك كانت اساليبهم في استخدام فلاحيهم جائرة الى حد بعيد وذلك لكي يثمروا لأنفسهم مورداً للبذخ والتبذير . ولقد ادى جشعهم وحرصهم الى صيغة استثمار بسيطة ووحيدة تقريباً هي صيغة « المرابعة » (٥٠) .

والمرابعة هي عقد « شراكة » بين الفلاح وصاحب الأرض.هذا العقد كان يضمن تبعية الفلاح الكاملة لصاحب الأرض او المقاطعجي ، فكان على الفلاح ان يسلمه مبلغاً من المال كضمان على حسن عنايته بالأرض، فاذا نقص المحصول عن المستوى المقدر له كان على الفلاح ان يعوض لصاحب الأرض، وأما اذا زاد على ذلك، فكانت المكافأة للفلاح على جهوده امراً لا يقتضي تضحية كبيرة .

وكان على الفلاح ان يدفع ضريبة « الميري » وعلى كاهله تحال الضرائب الاخرى التي يفرضها الوالي او الامير الكبير على « المقاطعات » المختلفة ، وكان عليه ان يدفع ضريبة خاصة « للمقاطعجي ».وكانت بعض العقود تتضمن شروط مجحفة بحق الفلاح ، فكان عليه أن يقدم الى « سيده » الهدايا في المناسبات والاعياد،وفي بداية كل عام كمية معينة من الصابون او القهوة او السكر . وحتى لو بنى الفلاح مسكنه على ارض سيده فان هذا المسكن يعتبر ملكاً لصاحب الأرض .

وتضمنت عقود « المرابعة » بنداً صريحاً يمنع مطالبة الفلاح حتى ولو ساهم في غرس قطعة من الأرض اي حق فيها .

ان هذا النظام كان نتيجة الموقع السياسي الذي احتله أصحاب المقاطعات والمستكبرون في بسط نفوذهم وسلطانهم .

وقد احتلت عائلات مارونية عديدة ، مواقع رئيسية في هرم السلطة المحلية العائمة على هذا النظام ، فكان الامراء والمشايخ منهم يتمتعون بامتيازات سلطوية ويحكمون وفق نفس المؤسسات والتقاليد التي استقرت في ذلك العهد .

فخر الدين المعني الثاني في خدمة المشروع الماروني

سياسته

لقد تربى فخر الدين المعني الثاني مع أخيه يونس على يد عائلة مارونية عند أولاد الشدياق سركيس الخازن. ولهذا فقد كان صديق الموارنة بالدرجة الاولى. وعندما تولى شؤون الإمارة أقام أحدهم الشيخ خازن المكنى بأبي نادر ابن ابراهيم ابن الشدياق سركيس الخازن مدبراً لأعماله وشريكاً له في الحكم ومنحه كسروان واعفاه من الضريبة الاميرية .

وقد استمر مشايخ آل الخازن بتدبير اعمال الامارة في عهد اولاد فخر الدين « واظهار الغيرة على نمو الديانة الكاثوليكية » حتى ان أبا نوفل الخازن حاز على اعجاب البابا وأنعمت عليه فرنسا بقنصلية بيروت[٥١] .

قال الدويهي في كتاب الاحتجاج « وفي أيام فخر الدين ارتفعت رؤوس النصارى وعمروا الكنائس وركبوا الخيل بسروج ولفوا شاشات بيضاء وكروراً ولبسوا طوامين وزنانير مسقطة وحملوا القسي والبنادق المجوهرة ، وقدم المرسلون وسكنوا الجبل . وكان أكثر عسكره من النصارى ومدبروه وخدمه موارنة » . وكان قائد جيشه مارونياً .

وقال الأب لامنس الفرنسيسكاني : « كان الامير فخر الدين محامياً عن النصرانية واكبر محسن الى رهبنتنا وهو الذي وهبنا ديورة الناصرة وصيدا وعكا »[٥٢] .

وقال الأب أوجين الفرنسيسكاني : « ان الامير فخر الدين كان مسلماً درزياً في الظاهر ونصرانياً في السر » . وحكى انه قبل موته « رسم على ذاته اشارة الصليب ، وقد وجدوا على جثته صليباً صغيراً من ذهب كان يلبسه على اللحم »[٥٣] .

كان فخر الدين سبباً في رفع شأن الكاثوليك والموارنة الذين كانوا أيضاً سبب نعمته وربوه تربية نصرانية . وقد ارتبط فخر الدين بالسياسة البابوية الى حد بعيد ، وكان البطريرك الماروني يوحنا مخلوف صلة الوصل بين البابا وفخر الدين .

وفي ظل الامير فخر الدين دمجت في الامارة كل من كسروان عام ١٠١٤ هـ ١٦٠٥ م وبلاد جبيل عام ١٦١٨ م والبترون ١٠٢٧ هـ - ١٦١٨ م .

وكان المسلمون الشيعة قد تكاثروا من جديد في كسروان منذ أوائل ذلك القرن وامتدوا ليستوطنوا في مناطق جبيل والبترون وبشري، ومع ذلك فقد عين فخر الدين عائلة آل الخازن المارونية التي صعد نجمها بعد الكسوف المؤقت لعائلة حبيش المارونية ايضاً بعد عام ١٠٠٠ هـ - ١٥٩١ م لإدارة شؤون هذه المناطق ، وقد أدت هذه السياسة العوجاء الى اخلاء المناطق المذكورة من سكانها بعد قرنين من الزمن وذلك بمساعدة الشهابيين[٥٤] .

يعتبر « التاريخ الرسمي » في لبنان كلًا من فخر الدين المعني الثاني وخلفائه من المعنيين والشهابيين ابطالاً تاريخيين عملوا جاهدين « لبناء لبنان المستقل » ويتحدث باسهاب عن معاركهم وجيوشهم

واداراتهم كما لو كانوا حقاً اصحاب دول وحضارات .

في كتاب اسمه « الرائد في التاريخ » لتلاميذ السنة الثالثة المتوسطة يقرأ التلاميذ تحت عنوان : « فخر الدين المعني يبني لبنان المستقل » ما يلي : « بناء الدولة :

بعد ان استكمل الامير فتوحاته ، التفت الى بناء البلاد ، كما استمر في تدعيم جيشه وقلاعه ، ليجعلها قادرة على رد الهجمات الخارجية ، وعلى نشر الأمن والطمأنينة في دولته الواسعة » .

ولا يشير المؤلفون الى مصدر هذه الهجمات التي كانت تنطلق لغزو دولة فخر الدين .

على ان الجيش كان يصل تعداده الى « مئة الف » محارب اكثرهم من المتطوعين ، أنظر :

« وبما ان الدفاع عن أرض الوطن واجب على كل مواطن ، لذلك كان جيش الأمير يتألف . . . من جميع المواطنين القادرين على حمل السلاح » . علماً أن قائد الجيش كان دائماً مارونياً .

وأما عن « سياسة الامير الاقتصادية » فان « فخر الدين عمل لجعل لبنان يلحق بركب الحضارة العصرية . . . » .

شكراً جزيلاً لفخر الدين .

هذا « وعرف الامير بعدله ، فكان يتبع سياسة المساواة بين جميع السكان». ومن نتائج هذه « السياسة العادلة » أن « جاء الموارنة من بشري والجبال الشمالية ، وسكنوا البقاع ولبنان الجنوبي والشوف والمتن وكسروان ثم نزلوا في بيروت (الحدث والغبيري) وصيدا » .

هكذا وبمثل هذه الطريقة يتعرف أبناء المسلمين في المدارس على تاريخ أوطانهم .

قال أحد المفكرين : « امة بلا تاريخ لا حاضر لها ولا مستقبل » .

ولكن المصيبة تصبح مزدوجة عندما تكون الامة ذات تاريخ مشرق ولكنها لا تستطيع أن تتعرف على تاريخها .

ان المسلمين في لبنان ومنذ أن خضعوا لحكم الأقلية المارونية فقد دخلوا ثانية في عهود الجاهلية لأنهم انفصلوا عن تاريخهم وحضارتهم وثقافتهم .

ان الامة الاسلامية تجتاز في هذه الحقبة أدق وأخطر مرحلة من مراحل كفاحها الطويل عبر العصور . وهذه المرحلة تقتضي تصحيح التاريخ واعادة كتابته من جديد . فالمطلوب أن تعي الأمة تاريخها بعد تطهيره . وتاريخها ليس تاريخ حروب حكامها وانتصاراتهم ، ومجالس لهوهم وانما هو تاريخ ثوراتها على هؤلاء الحكام .

ان ثورات الامم هي التي تمثل روحها ونضالها وايمانها أما الحكام الذين ثارت عليهم فليسوا منها ، لو كانوا منها لما ثارت عليهم، لو كانوا منها لاحسوا بعذابها، ولما خلقوا بتصرفاتهم مبررات ثورتها .

ان تاريخ الثورات هو تاريخ الشعوب، ولكي تبقى الأمة في ثورة دائمة يجب ان تلقن تاريخ نفسها، تاريخ ثوراتها .

ان جميع الحكام المستكبرين اهملوا تاريخ شعوبهم لأنهم اعتبروا هذه الثورات حركات تمرد وعصيان ضد السلطة الشرعية .

وما لم تصحح الأوضاع ويكتب التاريخ لأمتنا كتابة صحيحة ، بحيث يكشف عن الشخصية التاريخية لهذه الأمة ، وإقدامها على تحمل العذاب والاضطهاد والجوع ، احتجاجاً على تسلط حكام الجور والجاهلية

فاننا نخشى ان تصبح « امة بلا تاريخ لا حاضر لها ولا مستقبل » .

والآن كيف كانت سياسة فخر الدين الثاني بالتفصيل ؟ .

تميزت سياسة فخر الدين الثاني وخلفائه من المعنيين والشهابيين بمحاربة الاسلام والمسلمين خاصة في جبل لبنان ، وايجاد مستعمرات نصرانية وسط التجمعات الاسلامية الكبيرة لخلق المجتمع والوطن القومي المسيحي باقتطاع جبل لبنان عن البلاد الشامية .

قبل العهود العثمانية الاولى وخلالها تعزز الوجود الاسلامي كثيراً في كسروان وجبة المنيطرة ووادي علمات وبلاد جبيل والبترون وبشناتا والضنية وعكار والزاوية والكورة والهرمل وذلك عند حلول العشائر الحمادية الشيعية في هذه المناطق .

وقد نبغ من مسلمي جبيل الفقيه والشاعر الرحالة الشيخ علي الجبيلي الذي رحل الى العراق وايران والهند ، والى عمان والحجاز ، والى كثير من البلاد .

عندما تسلم فخر الدين المعني الثاني الامارة قرر جعل منطقة كسروان منطقة نصرانية خالصة فاقتلع القرى الاسلامية منها[٥٥] .

وقد سار خلفاء فخر الدين من المعنيين والشهابيين على نفس تلك السياسة التي ادت الى خلق كيان متصرفية جبل لبنان .

واما الخطوط العريضة لهذه السياسة فانها تبرز من خلال اعتماد الاساليب التالية :

- الاستقواء بأعداء الاسلام والمسلمين على أهل هذه الأرض وأصحابها، فقد استعان فخر الدين بالطليان والفاتيكان . وزاد خلفاؤه بالاعتماد على فرنسا في تحقيق اهدافهم .

- التظاهر بالإسلام لكسب الشرعية العثمانية ولمحاربة المسلمين

باسم النزاع القيسي اليمني لذر الرماد في العيون ، وللعب بالاوراق العثمانية في تأييد بعض الولاة ضد البعض الآخر ، كما حصل أيام بشير الثاني الشهابي الذي تظاهر بالاسلام وكتم النصرانية ، وأيد أحمد باشا الجزار في ملاحمه وفتكه الذريع بمسلمي جبل عامل.

- بث التفرقة والنعرات الطائفية والمذهبية بين المسلمين .

- محاربة المسلمين اقتصادياً وسياسياً ، وعسكرياً ، ودفعهم بالقسر والإرهاب الى الهجرة سعياً وراء لقمة العيش ، كما حدث ايام الامير احمد المعني الذي هاجم بعساكره قرى المسلمين في بلاد جبيل وفتوح كسروان وأحرقها وشتت اهلها سنة ١٠٩٦ هـ ١٦٨٤ م .

- بناء الأديرة والمدارس التبشيرية التنصيرية في قرى المسلمين، وتعليمها لابناء المسلمين المبادىء النصرانية، وتبنيها الهادف لبعض الايتام والمستضعفين من المسلمين .

- اغراء المسلمين بترك دينهم الحنيف بواسطة المال ، والخمرة ، والنساء، والاعفاء من الخدمة العسكرية في الجيوش العثمانية ، وذلك بمنحهم الجنسية الاجنبية .

- زرع قرى ومزارع نصرانية في التجمعات الاسلامية الكبيرة، كما حدث في تجمع المسلمين في العاقورة ومجدل العاقورة وتجمع المسلمين في غبالة والقرى المحيطة بها، وفي تجمع المسلمين في يحشوش، ولاسا وقمهز، وزبدين ومشان، وعمشيت،اذ ان تلك الاجسام الغريبة عن المنطقة وتاريخها ابتدأت بالنمو والانتشار والاتساع حتى سيطرت على أراضي المسلمين وعقاراتهم بالمال والنساء، والقوة والغلبة عند حدوث اي فتنة .

- منع المسلمين في بلاد جبيل وفتوح كسروان من الاتصال باخوانهم في بيروت وطرابلس، ومن نقل شكاويهم وآلامهم للباب العالي في استانبول .

ونتيجة لهذه السياسة الصليبية الحاقدة ارتدت قرابة مائة عائلة عن الاسلام منها : آل هاشم ، آل غانم ، آل الحسيني ، آل طه ، آل زغيب،آل عواد، آل محفوظ ، آل جرمانوس ، آل قرقماز ، آل زوين، آل خير الله ، آل الحلو، آل مراد، وغيرهم .

تحالفه مع البابا

كان فخر الدين الثاني قد عمد الى تتويج سياسته الخاضعة للنفوذ الماروني بالتحالف مع روما كما اسلفنا .

لقد نجح الموارنة بتصريف شؤون « الامارة » بما يتناسب مع خططهم ومشاريعهم .

بدأ فخر الدين مفاوضاته مع البابا اكليمنضوس الثامن (١٥٩٢ - ١٦٠٥م) بواسطة رجل بندقي الأصل يدعى كاتشيا ماري، كان يكثر من الاسفار بين ايطالية ولبنان طاوياً تحت مظهرها التجاري اهدافاً سياسية خطيرة. فرأى فيه فخر الدين خير همزة وصل بينه وبين البابا وملوك اوروبة، وكلفه ان ينقل اليه المشروع الذي املاه عليه البطريرك الماروني يوحنا مخلوف .

سافر كاتشيا ماري الى اوروبة، ومعه تقرير مفصل عن الأمير ودولته واستعداداته، واطلع عليه البابا، الذي امر بدوره بأن يحمل الى فرديناند الأول امير توسكانة بايطالية وبابلاغه رغبته في اعارة هذا التقرير ما يستحق من اهتمام.

وكان البابا ذا نفوذ كبير على هذا الأمير ، لأنه قبل توليه عرش توسكانة كان كردينالاً شماساً في روما، معهوداً اليه في الاشراف على الأقليات الشرقية، ولا سيما الموارنة، فكان هذا الموضوع والحالة تلك من اختصاصه، وقد اقبل على درس التقرير بامعان، وهكذا مشت روابط الامير بالبابا وبأمير توسكانة على قدم النجاح[٥٦] .

ويكفي ان نذكر ان البابا هو المرجع الأعلى للموارنة لندرك مدى خطورة هذا الحلف وابعاد هذه المؤامرة .

ظل البابا اكليمنضوس الثامن يشارف على الروابط والخطط وينشطها بنفوذه ، باذلاً للأمير ما يسعه من مساعدات ، من مثل امداده بالهدايا المالية والمعدات والاسلحة الحربية على انواعها ، رغم ان البابوات اسلافه كانوا قد حرموا ارسال اي سلاح اوروبي الى الشرق، مخافة أن يقع بأيدي المسلمين فيستخدمونه في محاربة الأوروبيين انفسهم .

معاهدة توسكانة

في سنة ١٠١٤ هـ - ١٦٠٥ م توفي البابا اكلمنضوس الثامن وخلفه البابا بولس الخامس (١٦٠٥ - ١٦٢١ م)، ومشى البابا الجديد على خطة سلفه في دعم الخطة المارونية التي ينفذها فخر الدين ، وباشارته ارسل امير توسكانة الى الامير سنة ١٠١٦ هـ - ١٦٠٧ م بعثة مؤلفة من باسيلي قريع الحلبي الأصل، ومن رجل فرنسي اسمه هيبوليت ليونسيني ، وحملها رسالة الى الامير مصحوبة بألف بندقية على سبيل الهدية،فاستقبلها الامير في قصره بصيدا بالاكرام ، وعقد معها عدة جلسات كانت آخرها سرية ، وقد الحت عليه فيها بأن يصارحها بخلاصة ما يطلب ، فاستحضر الأمير دواة وقلماً وأملى عليها المطالب التي كان

قد بحثها مع البطريرك ، بصورة معاهدة هذه اخص بنودها :

اولا : ان يصدر البابا براءة يأمر فيها النصارى الخاضعين له في الشرق ، واخصهم الموارنة تحت طائلة الحرم، بالوقوف الى جانبه في الحروب وتلبية اوامره .

ثانياً : ان يضع امير توسكانة تحت تصرفه خبراء في صنع الأسلحة والمعدات الحربية ، يصبون له احد عشر الى اثني عشر مدفعاً مع الكمية اللازمة لها من القنابل .

ثالثاً : ان يضع امير توسكانة تحت تصرفه في صيدا بضعة مراكب يستخدمها في تناول الرسائل والوفود والانتقال بها .

رابعاً : ان يزوده بتذكرة مرور تسهل له السفر الى اوروبة ساعة يشاء، للاتفاق معه، على الطرق الواجب اتباعها حتى يتم بينهما التعاون المنتظر[٥٧] .

صحيح ان هذه المعاهدة كانت ظاهرياً بين الامير فخر الدين الثاني واميرتوسكانة، والحقيقة وكما يظهر في سير المباحثات انها تمت بين بابا الصليبية في رومة وموارنة لبنان .

لقد رأى الموارنة ان مثل هذه المعاهدة ضرورية لبناء دولتهم وذلك بتحويل « امارة الجبل» الى «امارة مارونية» بواسطة فخر الدين الثاني نفسه الذي كان المطية . ولهذا وبعد عودة البعثة بالمعاهدة هذه اصدر البابا البراءة المطلوبة الى الموارنة، يحضهم فيها على معاونة الامير في حروبه، وأرسل اليه امير توسكانة اجازة المرور، واقام قسماً من اسطوله رهن اشارته في الموانىء اللبنانية .

رسالة البابا الى فخر الدين

كان البطريرك يوحنا مخلوف قد وجه الى روما وفداً مارونياً ليأتيه ببراءة التثبيت ودرع الرئاسة، وانضم اليه في روما المطران سركيس الرزي شقيق البطريرك الذي كان هناك منذ سنتين، وقابل الوفد البابا وأطلعه على محبة الامير (فخر الدين) للموارنة واثنى على اعماله، حتى اذا عاد الى لبنان حمله البابا هدية الى فخر الدين الثاني مع رسالة جاء فيها:

« من بولس الخامس . . .

الى الامير فخر الدين . . .

سلام أيها الرجل الشريف وليحل عليك نور النعمة الالهية .

أبلغنا الاخ المحترم سركيس الماروني رئيس اساقفة دمشق الذي جاء روما، عطفك العظيم على اولادنا المسيحيين ولا سيما الموارنة، فبتنا مدينين لك كثيراً، لأن ما تفعله نحو أولادنا كأنك تفعله نحونا .

ولما كان رئيس الاساقفة المذكور عائداً الى اخوته، رأينا ان نكتب اليك هذه الرسالة دليلاً على محبتنا لك . . . وارتياحنا الى حسناتك نحو اولادنا المسيحيين .

وقد امرنا رئيس الاساقفة المذكور ان يسلمك بعض التحف املاً في ان تحوز لديك قبولاً ، وان تعتبرها برهاناً على ميلنا الخاص اليك، راجين ان تواصل رعايتك لأولادنا خاصة الموارنة، وان تشمل بحمايتك حامل هذه الرسالة وهو يفصح لك عن رغبتنا الشديدة في مناصرتك على اعدائك. . . واخيراً ليضيء الله قلبك برحمته ويسدد في طرق الحق خطواتك .

اعطي في رومة في ١٦ كانون الثاني ١٦٠٩ وهي السنة الرابعة

لحبريتنا »[٥٨] .

والواقع ان البابا وجه الى فخر الدين رسائل عديدة مشابهة يستحثه فيها على مناصرة «اولاده» الموارنة ودعم «سياسة الشعب الماروني» .

وعلى اثر هذه الرسالة تقرب فخر الدين اكثر الى الموارنة والنصارى واتخذ منهم كبار موظفيه ، وقدموا باعداد كبيرة من الشمال الى الجنوب .

وفي اواخر القرن الحادي عشر الهجري - السابع عشر الميلادي كان مشايخ آل الخازن قد توفقوا بمساعدة آل معن الى السيطرة على جزء كبير من المناطق الاسلامية الشيعية في بشري والبترون وجبيل والكورة .

وتكاثر الموارنة في شمال كسروان (الفتوح وكسروان الداخلية والخارجية) ونزلت جماعات كبيرة في المتن[٥٩] .

ومن نتائج هذه التحالفات ان جاء الموارنة من بشري والجبال الشمالية وسكنوا البقاع وجبل عامل والشوف والمتن وكسروان بعد تهجير سكان هذه المناطق . ثم نزلوا الى بيروت وصيدا وغيرها .

مباحثاته مع البطريرك الماروني :

قام البطريرك الماروني يوحنا مخلوف بزيارة فخر الدين في دير القمر ، فرحب به الامير ، وانزله قرية مجدل معوش التي كان قد احل فيها جماعة من النصارى ، وامر بان يبنى له فيها كنيسة ودار .

وقد جرت بينهما مباحثات طويلة تناولت العلاقات مع البابا وملوك الغرب .

وبعد استعراض الخطط والمشاريع ، تم الاتفاق على تجديد

الاتصال بالبابا ، وطلب معونته في ذلك ، ولتيسير هذا الاتصال وضع البطريرك تحت تصرف الامير المطران جرجس بن مارون الاهدني المتضلع في اللغة الايطالية فذهب هذا الاخير الى روما في سنة ١٠٢١ هـ - ١٦١١ م[٦٠] ، للاهتمام بعقد معاهدة تحالف مع اوروبة مرة ثانية تساعد على ولادة الدولة المارونية .

ولكن رحلة هذا الاسقف منيت بالفشل الذريع لكثرة ما لقيه في اوروبا من مقاومات اضطرته الى البقاء هناك الى صيف سنة ١٠٢٣ هـ - ١٦١٣ م ، لأن الدول الاوروبية كانت لاهية في ذلك الحين بمنازعاتها الخاصة .

اللجوء الى توسكانة :

كان فخر الدين وبتشجيع من البطاركة قد حرص منذ البداية على ان تبقى مفاوضاته مع البابا وملوك اوروبة تحت طي الكتمان .

ولكن في هذه الاثناء اي في صيف ١٠٢٣ هـ - ١٦١٣ م أفتضح الأمر فانسحب من لبنان ومعه اسرته وبعض اعوانه ، وسافر الى ايطالية .

وصل الى توسكانة في ٣ تشرين الأول ١٦١٣ م فاستقبله اميرها بالترحاب وأنزله في أحد القصور على نفقته.وبعد جلسات طويلة من المحادثات كتب امير توسكانة تقريراً مفصلاً الى سفيره لدى البابا بولس الخامس، وقد ضمنه المطالبة بالعمل على انجاح المشاريع التي وضعها موارنة لبنان. وبعد ان قابل السفير البابا وقدم له التقرير تبين له انه (البابا) مضطلع على كل الأمور من مراجع اخرى في لبنان اكثر صلة بالبابا من فخر الدين وقديمة الاتصال به[٦١] .

وهذه المراجع طبعاً لم تكن غير مارونية .

وكان جواب البابا انه يريد من صميم فؤاده ان يساعد الأمير ولكنه احجم عن ذلك بسبب خوفه من الدولة العثمانية ، لأنه رأى عدة مصاعب وعوائق تحول دون التغلب عليها،وان الحملة عليها قد تؤدي الى تجهيز حملة هائلة ومضادة على اوروبا يصعب صدها في ذلك الشتاء ، واستمهله الى الربيع ، عل الظروف تصبح اكثر ملاءمة .

على الرغم من ان جواب البابا لم يكن مشجعاً ، فقد عاد فخر الدين ووجه رسالة الى صديقه الكونت دي تريف سفير فرنسا لدى البابا ، ـ وكان هذا السفير قد زاره مرة في لبنان وعقد معه عهد ولاء ـ طلب فيها ان يقابل البابا بالنيابة عنه،ومما قاله في رسالته :

« فالاحرى بذلك الذي تعتبرونه ملك ملوك الأرض ونائب الملك السماوي الذي تطيعه الملوك والاباطرة ويرتمون على قدميه لاعتباره يحمل مفاتيح السماء، ان ينتهز هذه الفرصة ويقوم بالعمل الذي لا يعصى على سلطته الفريدة، واني لعلى استعداد لأن اقدم له كل الضمانات والعهود التي يطلبها مني. وانك اذا لقيت في صدر هذا الاله الارضي وفي ذهنه المعصوم عن الخطأ استعداداً للعمل بمشورتك والاقتناع بحجتك ، وجدتني رهن اشارته لتنفيذ كل الأوامر التي يوجهها الي »(٦٢) .

بقي فخر الدين في توسكانة زهاء خمس سنين وكان اكثر من يكلفهم التعبير عن مطالبه وملاحقتها لدى توسكانة والبابا تلاميذ المدرسة المارونية في روما الذين لعبوا الدور البارز في صياغة الايديولوجية المارونية السياسية وقد اجتهدوا كثيراً في ايجاد جذور لما كانوا يسمونه الامة المارونية كما قال مرة ارنست رينان .

وقد أوكل فخر الدين المعني قبل سفره اخاه يونس في الحكم الذي كان يبعث اليه بكتاباته مع أبي نادر الخازن. ثم ان الامير يونس منحه كسروان كمقاطعة خاصة به .

العودة الى سياسة التآمر :

في سنة ١٠٢٨ هـ ـ ١٦١٨ م عاد فخر الدين الى لبنان بعد ان تسلم زمام الحكم في الاستانة احد أصدقائه، وبدافع من حبه للسلطة وحفاظاً على عرشه لم ير بدأ من الخضوع للنفوذ الماروني ، فثبت ابا نادر الخازن على كسروان وفوض اليه ادارة اعمالها ثم ولاه على بلاد جبيل والبترون وجبة بشري عام ١٦٢١ م . وعندما تولى اوربانوس الثامن ١٦٢٣ م ـ ١٦٤٤ م منصب البابا سارع المطران جرجس بن مارون كممثل عن فخر الدين يهنئه ويفاوضه على مؤازرة المشروع الماروني .

وفي سنة ١٠٣٤ هـ ـ ١٦٢٤ م نقل كاهن ماروني من حصرون اسمه الخوري يوحنا الحصروني ، كتاباً من فخر الدين الى البابا الجديد يذكره فيه بأماني « الشعب الماروني » ، ويلفت نظره ان الوقت مناسب للعمل ، بسبب الفوضى الضاربة أطنابها في الدولة العثمانية . واعداً اياه بوضع جيشه البري في خدمته . رحب البابا بالخطة وارسل جواباً يمتدح فيه تلك المشاريع ولكنه ارجأ العمل معتذراً عن تجنيد الرجال بسبب النكبات في اوروبة الى وقت آخر (٦٣) .

وعاد المطران جرجس بن مارون وبرفقته بعض الهدايا اخصها رسم البابا وانجيل عربي مذهب .

كان للكنيسة الكاثوليكية الرومانية نفوذها السياسي المباشر منذ ان شملها فخر الدين بحمايته. وكانت صلة الموارنة بهذه الكنيسة ذات فائدة لهم. ذلك انها زودتهم بتأييد سياسي خارجي لم تعرف الطوائف اللبنانية الاخرى مثله. على ان الوجه الثقافي من هذه الصلة لم يكن اقل اهمية من الوجه السياسي .

ونتيجة لهذا التأييد الخارجي افتتح البطريرك مدرسة حوقا فوق وادي قاديشا وجعلها اعدادية للمدرسة المارونية في روما، ثم عمد البابا اوربانوس الثامن الى تعيين مساعدة مالية سنوية لها واشار بان يوضع لها قانون على مثال مدارس رومة، واهدى الى البطريرك تيجاناً وغفارات وكتباً وحللاً كنسية مختلفة واموالاً وافرة[٦٤]. وكأن البابا شاء ان يعوض بهذا النشاط الثقافي ما عجز عن تأديته بالعمل العسكري .

وبعد ان افتضح امر هذه الخطط والمشاريع ارسلت الدولة العثمانية حملة قوية عام ١٠٤٣ هـ - ١٦٣٣ م وحاصرت بعض موانىء الساحل .

وهنا هب المطران جرجس بن مارون وقفل راجعاً الى مقر البابا، عله يستحث الدول الاوروبية على التدخل المباشر واحتلال لبنان بالقوة .

وقد اعارت دوائر الفاتيكان وتوسكانة ذلك الموضوع اهتماماً بالغاً. ويروى انها باشرت للحال تجهيز حملة عسكرية، ولكن الجو السياسي المدلهم آنئذ في اوروبة كان يعيقها ويعرقل مسعاها[٦٥] .

وهكذا كفى الله المسلمين شر أوروبا وعملائها .

سياسة الاميرين ملحم وأحمد

في عام ١٠٤٣ هـ - ١٦٣٣ م قام البطريرك جرجس عميرة الاهدني ، وهو من خريجي المعهد الماروني في روما وفي ايامه انشئت مدرسة للموارنة في مدينة رافنا من اعمال ايطالية ، بمساعدة البابا .

وقام بعد فخر الدين في ايام هذا البطريرك ابن اخيه ملحم بن معن الذي دعا اليه البطريرك الى دير القمر ، وبالغ في تعظيمه ، وانزله في قصره ، بعد ان هيأ له معبداً لاقامة « القداس » . وطلب منه التوسط لدى ملك فرنسا والبابا ليسعيا لدى الدولة العثمانية في تأييده والاعتراف به ، ففعل البطريرك ونجحت وساطته .

لقد برهن هذا « الامير » منذ يوم توليه شؤون الامارة عن خضوعه للنفوذ الماروني وحاجته الى البطريرك واعوانه من اجل تركيز سلطته[٦٦] .

كان الموارنة يزدادون قوة على قوة وأصبحوا وراء كل القرارات التي تتخذها «امارة الجبل»، وكان مشايخ آل الخازن يتولون عملية تدبير الأمور.لهذا لم ينفك «الامير ملحم» وابنه احمد الذي خلفه، طوال مدة حكمهما عن الاتصال بالبابا وايفاد مبعوثين موارنة لقيادة المفاوضات كما

فعل فخر الدين الثاني .

ولأجل ذلك سافر الى روما قائد جيش « الامارة » الماروني :ابو نادر الخازن حيث لقي كل حفاوة، وبذلت له الوعود[٦٧] .

في عام ١٠٣٨ هـ - ١٦٣٨ م دخل «الامير ملحم» قرية انصار بجبل عامل بحجة التفتيش عن خصمه «الامير علي علم الدين»، دخلها دخول مسالم ولكنه رفض الا ان يظهر حقده ونذالته وغدره فلما استأمن القوم امر بذبحهم عن آخرهم في المرج المعروف الى الآن بمرج الدجاج وكان عدد القتلى الف وستمائة قتيل واباح البلدة ثلاثة ايام .

نفس السياسة اتبعها خليفته،فما ان تولى شؤون «الامارة» عام ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨ م حتى بدأ يعد للزحف العسكري على جبل عامل. وفي السنة التالية وقفت معركة عيناتا تبعتها معارك عديدة منها : معركة النبطية ١٠٧٧ هـ - ١٦٦٦ م ومعركتي انصار ووادي الكفور في سنة ١٠٧٨ هـ- ١٦٦٧ م[٦٨] .

وقد استغل «الامير احمد» في حروبه تلك خلافات اهالي جبل عامل مع الدولة العثمانية، وتحالف مع الترك وفتك بهم، وفي عام ١٠٩٦ هـ - ١٦٨٤ م هاجم قرى المسلمين في بلاد جبيل وكسروان وأحرقها وشتت أهلها .

وقبل الانتقال الى الحديث عن الشهابيين وامارتهم لا بد أولاً من الاشارة الى بعض الخطط والمشاريع التي كانت تدور على الصعيد الدولي والتي كانت تصب في خدمة المشروع الماروني .

سياسة لويس الرابع عشر

في عام ١٠٥٩ هـ - ١٦٤٩ م أعلن لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، والذي عرف باستكباره وغروره وصلفه وتعطشه للدماء في سبيل عرشه، عن حمايته لموارنة لبنان،متوسعاً في تفسير حرية العبادة التي اعترفت بها الدولة العثمانية للرعاياالاوروبيين، ثم بعث برسالة الى الاقلية المارونية يقول فيها :

« ليكن معلوماً اننا بنصيحة من المملكة الوصية نضع تحت حمايتنا وبرعايتنا بطريرك ورعايا واكليروس المارونية المسيحية الذين يعيشون ويعملون في جبل لبنان»[٦٩] .

هذا الملك الذي عرف في صفحات التاريخ مقترناً اسمه بشعاره المشهور «انا الدولة»،كان منهوماً غاية النهم بكل مظاهر القوة والنفوذ والاستعلاء. كان متعطشاً الى امتلاك مزيد من الأرض ليغرس فيها راياته .

اما طريقه الذي رأى انتهاجه لتحقيق مشتهاه فكان نفس طريق الاسلاف الذين عملوا على بناء مجدهم وقصورهم فوق الملايين من الجماجم والعظام .

وأما سلاحه فكان «الكراهية» التي جردها الغرب وأهله على

المسلمين والاسلام، ردحاً طويلاً من الزمان.

الشرق المسلم كان قبلة جهود لويس ومهوى اطماعه، بلوغاً الى غرضه السياسي بانشاء امبراطورية فرنسية على الارض الاسلامية، ولذا اعلن حمايته للموارنة الذين كانوا ينعمون بالحماية الفرنسية منذ قرون، وأعلن الموارنة من جهتهم عن تأييدهم لجهوده، والتقى الطامعان.

ولم تتوان اجهزة دولته على اختلاف اشكالها عن المبادرة الى العمل الدائب لوضع الخطط اللازمة للحصول على ارض الاحلام:

خطة للانتقال عبر البحار، خطة للغزو والقتال، خطة للاستيلاء والاحتواء، خطة للتبشير والتنصير، خطة للابادة والافناء ثم خطة للاستعمار. وكلها حلقات تتتابع، الواحدة بعد الاخرى، في سلسلة المشروع الموضوع لاستئصال الاسلام[٧٠].

«ليبنتز»، الفيلسوف المعاصر للحقبة، في رسالة بعث بها الى لويس الرابع عشر، يكاد يرسم صوره مكتملة المعالم، لأحلام الغرب الصليبي التي كانت تداعب خيال الملك الفرنسي.

في رسالته تلك يكشف عما خامر عقول الأجداد، ثم الابناء من أهداف تعصبية وعنصرية، ويقدم لمليكه مشروعاً مدروساً يجمع في سطور نصه مطامح سياسية وأحقاد صليبية، وهوس الاستبداد والبطش والتسلط.

كان كذلك يعبر عن التصاق «الفيلسوف» - كقومه - بماضي الاسلاف، القريب والبعيد، وانفعاله العميق، بما ادعوه قديماً من كفاح «مقدس» مزعوم ضد اهل الإسلام من اجل نصرة الصليب.

تبدأ الرسالة بعبارات تهدم كل تراث الشربة من القيم والمبادىء الانسانية الكريمة، لتحتكر لجنسها ودينها الحياة دون بقية الاجناس

والاديان، فتلهب التعصب الديني في نفس لويس، ثم تنتهي فتلهب النهم بالسلطان.

يستهلها «الفيلسوف» فيدعو العاهل الفرنسي:

«مولاي... الملك المسيحي».

ويختتمها فيثير جشعه الذي يشبعه المشروع المطروح، فيقول: «وانه لمشروع ميسور التحقيق يعبد الطريق تحت اقدام الفاتحين الغزاة، لاستعادة امجاد الاسكندر الاكبر»[٧١].

ان كل ما تفتقت عنه أذهان الاوروبيين، حلفاء الموارنة عبر العصور، كان وما يزال هو التدمير والإفناء.

ثم ان جميع المشاريع والخطط التي وضعتها أوروبا كانت كلها تدعم المشروع الماروني وتعبد الطريق أمامه، فبعد ان افتتح الاتراك مدينة القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ - **١٤٥٣** م وضعت خطط عديدة لتقسيم الامبراطورية العثمانية، وقد جمع ت. ج - جُوارا (Djuwarra) الديبلوماسي الروماني، لا أقل من اثنتين وتسعين خطة من هذه الخطط.

ومن بينها خطط وضعها بابوات مشهورون، مثل البابا ليون العاشر، وكليمنت الثامن، وأخرى وضعها ملوك وأباطرة امثال مكسيمليان الأول، ونابليون الأول، وديبلوماسيون، ورجال سياسة بارزون.

كما ان رجالاً من أصحاب الخيال الشارد، ومن المثاليين امثال ليبنتز (Leibnitz) وراهب سان بيير (Labbé de St. pierre) اشتركوا ايضاً في وضع مثل هذه الخطط لاقتسام البلاد الاسلامية[٧٢].

ولما كان المشروع الماروني يستمد قوته من ضعف المسلمين وتشتتهم والقضاء على وحدتهم وتمزيق صفوفهم، وتحويلهم الى دويلات متناحرة تفصل بينها حواجز مصطنعة وحدود وهمية، فقد وجد الموارنة في المشاريع والخطط التي وضعتها أوروبا خير ضمان لتحقيق مشروعهم

بـأيسر السبـل وأسهلها . وكـانوا على الـدوام ينظرون الى الغـرب على انـه المخلص والمنقـذ ،ولهـذا لم يـروا بـدأً من حث الأوروبيين وحملهم على تنفيذ خططهم مرات عديـدة للاعتـداء على المسلمين والفتك بهم وارتكاب المجـازر في مناطقهم كمـا يشهد بـذلك تـاريخهم منذ الحـروب الصليبيـة وحتى اليوم .

البابا يفرض على أتباعـه تعلم اللغة العـربية لتسهيـل الاتصال مـع الموارنة :

منـذ سقـوط القسـطنـطينيـة عـام ٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٣ م وانـهيـار الامبـراطوريـة الرومـانية الشرقية البيـزنطيـة صدرت عـدة توصيـات بابـوية بضـرورة الاهتمـام والتـركيـز على اللغـة العـربيـة كـوسيلة اسـاسيـة لفتـح المدارس ونشاط الارسـاليات الاجنبيـة التبشيريـة للاتصـال بباقي الـطوائف الشرقية المسيحية ، وربطها بالمخططات التي تحاك في أوروبا .

يقول المطران شبلي مؤرخاً عن سنة ١٠٩٩ هـ ـ ١٦٨٧ م :

« ان سادات مجمع نشر الايمان مـراعاة للظروف ، امـروا رهبان مـار فـرنسيس ان يتقنوا درس اللغـة العـربيـة ليـداومـوا على حـراسـة الامـاكن المقدسة وخدمة الذين يأتون اليها زائرين »[٧٣] .

وفي هذا الاطار كثرت الاوامر الكنسيـة بالتـركيز على فتـح المدارس المحليـة وارسال البعثـات الى المدرسـة المارونيـة في روما والتشـديد على اتقان اللغة العربية ، وفرض تعلمهـا حتى على الرهبان الاجانب .

ولمـا كـان تعلم هذه اللغة صعباً على الرهبـان فقد اعتمـدت البابـوية على المـوارنـة ، ولعب البـطريـرك المـاروني ،اسـطفـان الـدويهي ،وهـو من خريجي مدرسة روما المارونية الذين تولوا تدبير شؤون الطائفـة ورهبانياتها، دوراً بـالغ الأهميـة في تحقيق الاهداف المـرسومـة والدعـوة الى التماسـك الماروني والالتفاف حول البطريـرك والزعـامات المـارونية والارتبـاط الوثيق

مع البابوية .وقد اتصل هذا البطريرك بلويس الرابع عشر ملك فـرنسا الـذي تعهد له بحماية الموارنة في جبل لبنان[٧٤] .

وكانت فرنسـا قد عنيت بـأمر اللغـات الشرقيـة وبتعليمها للراغبين من ابنـائها وأنشـأ لـويس الـرابـع عشـر مـدرسـة للغـات الشـرقيـة ، لتخـريـج المستشرقين وارسالهم الى السفارات والقنصليات[٧٥] .

الفصل الثالث

الشهابيون في خدمة المشروع الماروني

الشهابيون في خدمة المشروع الماروني

بعد ان انتهى حكم المعنيين في جبل لبنان عام ١١٠٩ هـ - ١٦٩٧ م خلفهم آل شهاب الذين دانوا بالنصرانية على مذهب الموارنة لتعزيز مراكزهم واحاطوا أنفسهم بالمستشارين منهم واستخدموهم كجنود .

عندما تسلم الشهابيون الحكم كان الموارنة قد شكلوا الأكثرية المسيطرة في كسروان التي كانت، آنذاك ، جزءاً من الامارة المعنية ، كما استقرت جالية كبيرة منهم في المتن، جنوب كسروان. وثبت الامراء الشهابيون كلاً من آل الخازن في مقاطعاتهم بكسروان وآل حبيش في غزير[١] .

وبفضل حماية الشهابيين قدم الموارنة بأعداد كبيرة من الشمال ليستقروا مع الزمن في المناطق الاسلامية في الجنوب وفي سواها من المناطق اللبنانية التي كانت في ذلك الحين تحت حكم الامراء .

لقد تمكن الموارنة خلال العهدين المعني والشهابي من توسيع مناطق نفوذهم والاستيطان حيث الاكثرية اسلامية . وهكذا شهد القرنان الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر والثامن عشر

الميلاديين) هجرة مارونية واسعة الى جميع انحاء لبنان، جعلت الموارنة أوسع الطوائف انتشاراً في البلاد .

وكانت الصداقة المارونية الفرنسية قد افضت عام ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٥ م الى تعيين احد مشايخ آل الخازن الموارنة نائب قنصل لفرنسا في بيروت، ثم قنصلاً. وظل احفاده يتوارثون هذا المنصب حتى عام ١١٧٢ هـ - ١٧٥٨ م وجرى فيما بعد، تعيين مارونيين اخرين في هذا المنصب، احدهما غندور السعد من عين تراز، كبير معاوني الامير يوسف، وكان لأمثال هؤلاء تأثير شديد على الشهابيين، مما جعلهم ينظرون الى اوروبا الكاثوليكية وخصوصاً فرنسا، نظرتهم الى صديق[٢] .

تبذير الاموال : سرقة وفضائح مالية :

كان فخر الدين الثاني قد أودع مصرفاً في فلورنسا عاصمة توسكانة ، يدعى «جبل الرحمة»،مالاً اشترى به سندات سجلها باسمه وباسم أولاده،مثلمايفعل جميع الحكام الذين ابتليت بهم هذه المنطقة، وبعد مرورنحو قرن على موته، تسلم شؤون «الامارة» حيدر الشهابي ابن بنت «الامير احمد»،فاخذ يفكر جدياً في تحصيل المبلغ لانفاقه على شؤون ملكه .

كان مقدار المال الموضوع في المصرف ٢٢٧٦٦ سكوتاً، والسكوت نقد توسكاني يوازي سبعة فرنكات من النقد نفسه، فاذا حول مع فائدته في ما مر عليه من سنين تناهز المئة الى قروش لبنانية من قروش تلك الايام، اصبح مبلغاً ضخماً يعد بالملايين [٣] .

طبعاً لم يكن المبلغ المذكور من عرق جبين «الامير فخر الدين» ، انما كان مما سلبه من ايدي جماهير المستضعفين، ليقاتل به

المستضعفين أنفسهم ،ويقوم برحلات استجمام الى اوروبة متنقلاً من فلورنسة، الى صقلية، الى نابولي، الى روما .

تلك هي القاعدة التي درج عليها كل العملاء والحكام الطفيليون الذين حكموا شعوبهم بالحديد والنار .

ان الانظمة الجاهلية والتي لا ترتكز الى قاعدة شعبية تفقد مبرر وجودها وتسعى للتفتيش عن الحلفاء في الخارج .

اما الانظمة «الوطنية» حقاً فانها لا تحتاج الى مثل هؤلاء الحلفاء لأنها تجد في مساندة شعوبها وتأييدها لها ما يكفيها، ويصرف عنها ذل الاستجداء من مصادر أجنبية والتسول وطرق الأبواب، والاحتماء بالأجنبي عبر ايداع اموال الناس لديه .

كانت السندات المؤيدة للمال قد اتصلت بـ« الأمير حيدر » ارثاً عن والدته ، التي انتهى اليها كل ما أورثه فخر الدين الثاني من اوراق ومخلفات ذات قيمة، وعددها (٢٢٧) مائتان وسبعة وعشرون سنداً،وثلثا السند، وكل منها بمئةسكوت ، وقد وعد فيها المصرف باداء فائدة سنوية قدرها خمسة سكوتات عن كل مئة ، اي عن كل سند منها .

بعد ان استشار حيدر معاونيه من النصارى نصحوه بأن يستعين بـ« المجمع المقدس » ويوكل اليه أمر استيفاء المبلغ ، لقاء جعالة قدرها ثلث المبلغ المستوفى لينفقها هذا المجمع في سبيل تعزيز النصرانية .

وقد عثر « الأب بولس قرأ لي » في احدى خزائن المجمع المذكور على جانب كبير من الوثائق الخاصة بهذه الدعوى ، منها رسالة باسم « الامير حيدر » لا يبعد ان تكون من انشاء احد معاونيه الموارنة وبخط يمينه ،وقد وقع اسمه في آخرها « حيدر معن » بدلاً من « حيدر شهاب » اثباتاً للارث .

وهذا هو نص الرسالة مترجمة عن الايطالية :

« من الامير حيدر موسى شهاب الى حضرات كرادلة المجمع المقدس لانتشار الايمان ، افتخار الامراء المسيحيين حفظهم المولى . بعد السلام ، نعرض لحضرتكم اننا علمنا بمجيء صديقنا القس جبرائيل (من آل جوا) قاصدكم ، فاستدعيناه وتحادثنا معه ، وبينا له عظم مودتنا لكم ، ولكل من يأتي من طرفكم ، والحماية الخاصة التي نخولهم اياها في كل الظروف ، كما هو معلوم لديكم ، ولا سيما لما بسطنا يد الحماية لعزيزنا البطريرك يعقوب عواد ليعود الى منصبه* ، ونحن نواصل الحماية له ولكل من يتمتع برعايتكم، ولا نسمح لأحد ان يخالفه بأي نوع كان .

ثم أفهمناه (القس جبرائيل جوا) عن قضية تخصنا لدى دوق توسكانة يشرحها لكم ، ولنا ملء الثقة انكم باذلون الجهد لانهائها على خير ، وحقنا واضح .

واذا انتهت القضية طرحت النفقات من المبلغ المحصل ، فأخذنا الثلثين وتركنا لمجمعكم الثلث ، لينفقه في سبل البر بالنوع الذي يبتغيه . هذه اكبر خدمة نسألكم اياها، فابذلوا الجهد لانهاء هذه القضية حسبما يليق بسمعتكم . ومهما كان لكم من شؤون في هذه الجهات عرفونا عنها لنقضيها لكم باذن الله وباشروا الخير .

صديقكم المخلص

حيدر معن

(*) يعقوب عواد : خلف البطريرك اسطفانوس الدويهي احد خريجي المعهد الماروني في روما . وقد تحامل على هذا البطريرك بعض حساده فعزلوه عن منصبه ، ثم تدخل البابا ، واخيراً اصدر المجمع حكماً بعودته الى منصبه ودعمه حيدر الشهابي كما يتضح من الرسالة .

تحريراً عن دير القمر في نهاية شهر شوال **١١٣٣** للهجرة الموافق **٢٣** آب **١٧٢١** م » .

وقد اجابه المجمع بلسان الكردينال كاتب اسراره بالرسالة التالي تعريبها :

« ان العطف الذي اظهرتموه دائماً نحو خدمة الدين الكاثوليكي ، ليس في ولايتكم فحسب بل في سائر المناطق اللبنانية ، حملني وحمل كرادلة هذا المجمع المؤسس لنشر الشريعة المقدسة ، على الرغبة في مبادلتكم هذا العطف بمشاعر معرفة الجميل نحوكم . ولما كنتم الآن قد خولتمونا الفرصة لمرضاتكم بتحصيل الديون التي لكم على مصرف «الرحمة» بفلورنسا، فثقوا باننا باذلون من الجهد منتهاه، توصلاً الى هذه الغاية، يؤكد لكم ذلك القس جبرائيل جوا، والاباتي يوسف السمعاني، وهما سيقومان بالشكر لسعادتكم عنا لحصة الثلث التي خصصتم بها هذا المجمع من اصل المبلغ الذي نتمكن من تحصيله، وسينفقها المجمع في سبيل مشروع يخلد اسم سعادتكم الشريف .

ولما كان عطفكم شاملاً ليس هذا المجمع فحسب بل جميع الاشخاص المتعلقين به، فقد جئناكم راجين ان تبذلوا الواسطة الفعالة للصلح بين اساقفة لبنان، ولا سيما بين المطرانين سمعان وعبد الله، لأن خلافهما اقلق الطائفة بأسرها زمناً طويلاً، ونحن على ثقة ان وساطتكم بالغة الغاية الحميدة المنشودة مؤكدين لسعادتكم ان سادة هذا المجمع على تمام الاستعداد لتلبية رغائبكم العادلة وقبول ما تدلون به من مشورات بهذا الصدد، فتحملونا جميلاً لا يمحى ذكره ، وتثيرون فينا الرغبة الصادقة لانتهاز جميع الفرص التي تسنح لنا باظهار معرفتنا لجميل سعادتكم، واقبلوا في الختام مشاعر احترامي الخاص » .

ويقول «الاب قرأ لي» في كتابه «فخر الدين المعني الثاني» انه عثر

في سجلات دير الرهبان الحلبيين الموارنة بروما على نسخة عربية لنص التنازل الذي كتبه «الامير حيدر شهاب» للمجمع المقدس، وهذا نصها الحرفي : وجه تحريره :

هو اننا اوهبنا الى حضرة مجمع كرديناليت بروبا كندا في مدينة روما، ثلث المال الحاصل من ارث المال الذي لنا من المرحوم جدنا الامير فخر الدين، من الرأسمال والفوائد المسجلة في سجل «جبل الرحمة» في مدينة فلورنسة، بحيث انهم يحصلوا الثلثين الباقيين لنا من المال المذكور، وفوائده المذكورة ويوصلونا اياه، جرى ذلك بخاطرنا ورضانا وحررنا لهم هذا التمسك بخط يدنا، وختمنا يكون سنداً بيدهم لوقت الاحتياج اليه[٤] .

تحريراً في ١٣ ربيع الأول سنة ١١٣٦ هـ الموافق ١٠ كانون الأول ١٧٢٣ م .

وهكذا فان بامكان أي حاكم عميل ان يودع اموال شعبه في بنوك اوروبا ثم يتبرع بها اذا لزم الأمر لمجامع بابوات الصليبية في روما .

وكان « الامير حيدر» قد كلف رهطاً من اللبنانيين المقيمين في روما وكلهم من النصارى المساندة في دعوته .

فقد عهد الى «المنسنيور يوسف السمعاني» في ان يكون وكيلاً عنه في هذه الدعوى، وذلك بموجب عقد قانوني يخوله فيه السلطة الكاملة في ملاحقتها، بل يصرح له بأن تبقى تلك السلطة سارية المفعول حتى بعد موته، وقيام حاكم آخر من اقاربه في مكانه، وقد صح حدسه فمات سنة ١١٤٦ هـ - ١٧٣٣ م وخلفه ابنه ملحم، وكانت الدعوى لا تزال قائمة، والسمعاني لا يبرح وكيلاً عن الخلف كما كان وكيلاً عن السلف .

وطلب من اخرين منهم ان يكونوا شهوداً على صحة الإرث ففعلوا وهم : كل من المطران جرجس يمين الاهدني ، والخوري بطرس مبارك اليسوعي ، والمطران جبرائيل جوا ، والراهب البلدي الاب يوسف

الدبس والامير جنبلاط نصار الماروني .

ثم ان « المجمع المقدس» اقام محامياً ايطالياً من الافذاذ المشاهير وسانده جهده بنفوذه، وهذا اهاب بالمدافعين عن المصرف الى الشعور بالخطر الكبير الذي يهدده بالافلاس، فيما اذا فازت الدعوى، واضطر الى اخراج هذا المبلغ الكبير من خزائنه دفعة واحدة،وعلى ذلك لم يروا بداً من اللجوء الى المماطلة والتسويف مما وقف سداً في طريق الحكم وجعل القضية تؤجل عاماً بعد عام، دون نتيجة .

وقد اعلنت هيئة الدفاع بأن للغراندوق (امير توسكانة) ديناً على الامير فخر الدين يكاد يستنزف تركته برمتها ، ومصدر هذا الدين الاموال الكثيرة التي انفقها الغراندوق على ضيافته وامداده بالمراكب والاسلحة والمؤن والبعثات الحربية والعمرانية. يقول الأب قرأ لي انه نقب كثيراً ليعرف ما آلت اليه تلك التركة، وكان مما ثبت له انها لم تصرف وان مصرف « جبل الرحمة» احتفظ بذلك المال [٥] .

ازدياد النفوذ الماروني

في هذه الأثناء اصبح الموارنة قوة لا يستهان بها. و قد استفادوا من النزاع اليزبكي - الجنبلاطي لاضعاف خصومهم ، ويبدو ان «الامير ملحم» قد تأثر باختلال التوازن بين الطوائف في أيامه لذلك عمد من اجل اكتساب موالاة هذه الطائفة الى التنصر على مذهب الموارنة وشجع اولاده على ذلك .

ومع مرور الايام، اقتدى سائر الأمراء الشهابيين واللمعيين بابناء الامير ملحم فصاروا موارنة[٦] ، وكان المشايخ الموارنة عندهم مسموعي الكلام ومرفوعي المقام . استفاد الموارنة من هذا التحول الواسع ، فبعد ان كانوا يستولون على مراكز القرارات السياسية والعسكرية عبر نفوذ البطاركة

وقيادة الجيش اصبحوا الحكام الحقيقيين للامارة .

ثم ان هذا التحول العظيم مكنهم من الاعداد لهجمة شرسة على المناطق الاسلامية لاجبارها على الاعتراف بما أسموه : « استقلالية الموارنة استقلالاً تاماً في وطنهم القومي الماروني ». ذلك ان اعتناق البيت الحاكم للنصرانية وتعاظم نفوذ الإقطاعيين النصارى ورجال الكنيسة المارونية في سياسة لبنان الداخلية والحوادث المرتبطة بها كلها عملت على تعزيز مواقع الموارنة وتوسيع سلطتهم .

وهنالك من الاسباب ما لا يقل وجاهة عن ذلك، أهمها ارتباط الموارنة بصناعة الحرير اللبناني، وهي صناعة ازدهرت بإحياء الصلات التجارية بين اوروبا وبلاد المشرق ، وإذ كان الموارنة اكبر المنتجين اللبنانيين ، فقد تمكن بعضهم من الإثراء على تجارة الحرير، مما عزز تفوقهم الإقتصادي في البلاد .

يقول كمال الصليبي في كتابه : تاريخ لبنان الحديث :

« وفي هذه الاثناء نزحت اسر ثرية من طائفة الروم الكاثوليك من داخل بلاد الشام الى لبنان ، فتحالفت في موطنها الجديد مع الموارنة لكون الطائفتين متحدتين مع روما .

ووجد الموارنة دعامة سياسية اخرى في انه كان لكنيستهم وقد اتحدت مع روما عام ١١٨٠ م ، علاقة وطيدة بأوروبا ، فكان عدد كبير من رجال الاكليروس الماروني ، منذ أن انشىء المعهد الماروني في روما عام ١٥٨٤ م يتلقى العلم في ايطالية، وكان مرسلو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في لبنان، من الفرنسيسكان واليسوعيين وسواهم ، مستشارين لدى البطاركة الموارنة، يساهمون في الرقابة على الكنيسة وفي ادارة شؤونها ...

كانت صلة الموارنة بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية ذات فائدة

لهم. ذلك انها زودتهم بتأييد سياسي خارجي لم تعرف الطوائف اللبنانية الأخرى مثله . على ان الوجه الثقافي من هذه الصلة لم يكن اقل اهمية من الوجه السياسي .

فكثير من الذين تخرجوا من المعهد الماروني في روما عادوا الى لبنان كرهبان، وراحوا ينشئون المدارس في القرى لنشر التعليم بين ابنائها، وقد اصبح بعض هذه المدارس ، بادارة الآباء اليسوعيين او سواهم من المرسلين مراكز تربوية ذات شأن .

وكان البلاط الشهابي هو مركز هذه الحركة . والى جانب ذلك كله، كان للكنيسة الكاثوليكية الرومانية نفوذها السياسي المباشر في لبنان ، فمنذ ان شملها فخر الدين بحمايته ، تزايد مراسلوها بكثرة في البلاد ، مما جعلهم، حتى في أيامه، مسموعي الكلمة في الشؤون اللبنانية، وما ان جاء القرن (الثاني عشر الهجري) - الثامن عشر الميلادي حتى نشط عدد من الإرساليات في لبنان، من فرنسيسكان، ولعازاريين وكرمليين، ويسوعيين وكانوا جميعاً مقربين لدى الشهابيين وعلى صلة مباشرة بهم، فوجدوا في حظوتهم لدى الامراء، ولا شك، مجالاً كبيراً لتعزيز المصالح الكاثوليكية، بما فيها المارونية في لبنان » .

وكأن الامير ملحم شاءان يتوج مذهبه الجديد بالهجوم على جبل عامل، كما يحلو للموارنة، فكانت معركة انصار الثانية، ثم حصلت مذبحة ثانية في نفس القرية سنة ١١٥٦ هـ - ١٧٤٣م، فقد قام هذا «الامير» الدمية المتنصر بعسكره من لبنان متظاهراً انه يقصد جهة فلسطين بطريق الساحل، ولما وصل الى محاذاة قرية أنصار داهمها في يوم الجمعة، والقوم عزل من السلاح، يؤدون الفريضة في جامع منصور ، وقيل جامع السرايا وكان حاكمها (علي سليمان منكر) فذبح منهم الف قتيل، وقيل الف وأربعماية، حتى سال الدم في الازقة[٧] .

والمجمع عليه من اقوال المؤرخين في جبل عامل ان مواقف

المهاجمين في مذابح أنصار لم تكن مواقف مشرفة، وان اهلها اخذوا غدراً . ويبدو أن الأمير شاء من خلال هجومه تنصير سكان جبل عامل على نفس المذهب الذي اعتنقه .

وفي العام التالي وقعت معركة مرجعيون تبعتها معركة دير قانون في سنة ١١٦٣ هـ - ١٧٥٠ م .

هذا التحول الخطير في سياسة «الامراء» الشهابيين تبعه تأكيد فرنسي جديد بدعم الموارنة حتى النهاية فقد كتب وزير البحرية الفرنسي روليه في ١١٦٣ هـ - ١٥ آذار ١٧٥٠ م الى القناصل الفرنسيين في الدولة العثمانية قال :

« ان الرهبان الموارنة الذين يؤلفون رهبنة مار انطونيوس في جبل لبنان قد شملهم الملك بحمايته الخاصة في كل وقت . وقد توسلوا الى جلالته ان يجدد لهم تلك الحماية ويثبتها لهم، فتنازل جلالته واستجاب طلبهم وأوصاني ان اكتب اليكم ان تعاملوهم كما تعاملون المرسلين الفرنسيين الذين هم في الشرق من قبل جلالته . . . وان تواصلوا خدمتكم لهم حتى يكونوا مؤمنين من حماية جلالته في كل الاحوال والمسائل التي يراجعونكم بها فيما يتعلق برهبنتهم من جهلة البلص والعونيات التي يظلمهم بها المسلمون . او من جهة الاضطهادات التي يثيرها عليهم الهراطقة »[٨] .

ثم قرر البابا اكليمنضوس الثالث عشر ان يعين في لبنان ممثلين دائمين له ، ويرفعون اليه التقارير عن كل ما يدور في المنطقة، بغية التعاطي مع الاحداث ومعاينة الواقع اللبناني واتخاذ القرار بسرعة، وقد دعي هؤلاء بالقصاء العاديين او المألوفين .

ولهذا الغرض انشئت قصادة في بيروت - تقوم بمهام السفارة - عام ١١٧٦ هـ - ١٧٦٢ م وكان نطاقها في أول الأمر يشمل كل بلاد الشام

بالإضافة الى الجزيرة العربية ، وتغير اسمها عام ١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م الى سفارة[٩]،فكان الموارنة على صلة وثيقة بالبابا بواسطة قصاده او سفرائه ، الذين كانوا يبلغون اوامره ونواهيه ويتكلمون باسمه .

وكان ازدياد النفوذ الماروني في لبنان ،والذي أفضى الى جلوس الشهابيين النصارى على كرسي الامارة، نتيجة توسع ماروني شامل، قد اصبح يؤثر في اختيار شخص الامير ، فحين اعتزل ملحم الامارة عام ١١٦٨ هـ - ١٧٥٤ م وسلمها أخاه منصور الذي كان يتمتع بتأييد الموارنة، شعر أخوه الآخر احمد بمرارة الخيبة واراد ان ينازع اخاه في الملك لكنه لم يفلح لافتقاره الى الدعم الماروني[١٠] .

وبلغت الثقة بين هذا الأمير والبابا الى درجةان البابا وجه اليه رسالة في ١١ أيلول سنة ١٧٦٥ م يطلب اليه فيها تأييد البطريرك تار دوسيوس الملكي الكاثوليكي ضد البطريرك اغناطيوس جوهر في الطائفة نفسها وذلك لأنه «حاول اغتصاب البطريركية بطرق غير مشروعة» على حد قوله[١١] .

لما قام بالولاية يوسف بن ملحم عام ١١٨٤ هـ - ١٧٧٠ م جرت له اتصالات كثيرة بالبابا، كان مردها ولا ريب الى مستشاره ومدبره، سعد الخوري ، الذي كان يتولى منصب القنصل الفرنسي في بيروت بمباركة البطريرك يوسف اسطفان وقد وجه اليه البابا بيوس السادس عدة رسائل .

منها رسالة مؤرخة في ٢١ تموز سنة ١٧٧٩ م . يطلب فيها منه تأييد قاصده الاب بطرس دي مورتامن رهبان مار فرنسيس الأصغرين في قصادته الى الموارنة، في أيام المطران مخايل حرب الخازن الذي ولي بأمر من البابا تدبير البطريركية المارونية مدة ابعاد البطريرك يوسف

اسطفان عنها الى دير الكرمل[١٢] .

ولم يتلكأ الأمير عن العمل بتلك الرسالة، فأعلن حمايته للقاصد البابوي، وبذل همه في تنفيذ مطالب البابا بكل دقة،وقد ناهض هذا الأمير اخواه اللذان تذرعا لنيل مأربهما بالعمل على تسويد صحيفته بكل الوسائل لدى البابا ، مما يؤكد ان «امير الجبل» اصبح كالبطريرك الماروني الذي ينال درع التثبيت من سيده البابا .

وهكذا فان امارة الجبل اصبحت فعلاً امارة مارونية، وقد برزت ملامح هذه الامارة بوضوح في عهد بشير الثاني كما سنرى فيما بعد .

وبعد ان اجتمعت كلمة الموارنة على ان يلتمسوا من البابا ارجاع البطريرك الى منصبه جاراهم يوسف في هذا الالتماس بسعي «الشيخ سعد الخوري» الآنف الذكر وكتب الى البابا رسالة جاء فيها: «صدر صدور المراتب العلية، ورأس رؤساء الكهنة المسيحية، وصخرة الملة النصرانية، البابا بيوس السادس المعظم حفظه المولى تعالى،نبتهل بوحدة الاحد، الفرد الصمد، العالي المتعال، ذو الفضل والجلال ببقاء حياتكم الشريفة، وصيانة ذاتكم المتبقية». محب مخلص: يوسف الشهابي.

ورد البابا الى الشيخ سعد شاكراً: «ولكن ما مال بنا الى ان نتقبل رجوعه الينا (البطريرك) بأوفر سرور ورضوان انما هو تسول جمهور الاساقفة جميعهم وأشواق الطائفة، وتوسل حضرتكم وتوصية الامير يوسف الجزيل الشرف والاقتدار[١٣] .

عمد اخوة « الامير يوسف » الماروني الى توجيه رسالة للبابا، من اجل اضعاف ثقته به ، وبمعاونه « الشيخ سعد » والقاصد البابوي ، واظهارهم لديه بصورة تنفره منهم، علهم يحصلون لأنفسهم على « درع

التثبيت » ويفوزون بالولاية .

ونريد ان نأتي على بعض ما جاء في الرسالة لعل القارىء يستطيع ان يكتشف بنفسه كيف ان «الاصلاحات في الطائفة المارونية» والاهتمام بشؤونها والسهر على راحتها وأمنها، هذه النقاط اصبحت بمثابة «البيان الوزاري» اذا صح التعبير لحكومة أي أمير من امراء الجبل .

ويكتشف القارىء للرسالة ، ان رجال السياسة من امراء، «ومقاطعجيين» وطالبين للولاية اصبحوا يتصرفون وكأن ليس في لبنان غير موارنة وبطاركة وأديرة وخوارنة واساقفة ورهبان الى اخر ما في هذا القاموس من كلمات وأسماء كثيرة، تعود كلها الى مسمى واحد: الصليبية .

تقول الرسالة :

«ان البادري بطرس دي مورتا الملقب بالقاصد خرج عن كل حد، وحاد عن طريق الحق، وبرز منه أمور لا تحق له، مرتشداً من اصحاب الاغراض، وقد التجأ الى سعد الخوري تابع الامير يوسف، الذي كان متولياً الحكم قبلنا، وجعل اتكاله عليه وحلل له مال الديورة، وظلم البطاركة، وحبس الاساقفة والرهبان،وقدانتصح البادري مراراً عديدة فما كان ينتصح، بل بقي مصراً متكلاً على رأي من له مرام، وقد أردنا ان نصد سعد الخوري عن هذه المغايرات والقباحات، فكان يمانعنا بقوله ان كل شيء باد منه هو برضى الرؤساء واجازة القاصد. اما نحن فما كنانفر من كلام سعد المذكور، لكوننا قافرين حياته واكله مال الناس وظلمه الغير محدود .

وأخيراً بان لنا ان رأيه (القاصد) ورأي سعد واحد، وانهما متفقان على خراب دير بكركي، واكلوا خزائنه، وشردوا سكانه رهبان وراهبات الى المدن ، واذا اراد أحد ان يلومهم على قباحة اعمالهم، فكان الواحد يحتج بالآخر ويسلك مع قريبه على هذه الطريقة »[١٤] .

سياسة الامير يوسف

يبدو ان وصول الامراء الشهابيين الموارنة الى كرسي الامارة قد ترافق مع قرار سري خطير يقضي بإبادة المسلمين وتهجيرهم لا سيما في جبل عامل، لكي تحيا دولة مارون.

فما ان وقعت معركة « البحرة» قرب بحيرة الحولة بين ابناء جبل عامل والوالي العثماني في دمشق في ٥ محرم ١١٨٥ هـ - ٣٠ آب ١٧٧١ م حتى سارع يوسف الشهابي الماروني المذهب والذي تبرع بثمانية عشر ديراً وقطعة أرض من بلاد جبيل والبترون لرهبان مار انطونيوس الموارنة[١٥] ، الى اعلان النفير العام لاغتنام الفرصة والزحف على جبل عامل، وأرسل المنادين الى مرتفعات الجبال، وقد سمع الناس نداءاتهم الداعية للحرب تقول :

« الى الحرب الى الحرب ، احملوا بنادقكم احملوا طبنجاتكم أيها المشايخ الكرام، اركبوا خيولكم تقلدوا رماحكم وسيوفكم»[١٦] .

كان ابناء جبل عامل قد عسكروا بقيادة الشيخ ناصيف النصار بجوار

مقام النبي يوشع في الجنوب الشرقي من المنطقة وزحفوا على العدو ليلاً بخمسماية فارس بعد الصلاة والدعاء فاحرزوا نصراً ساحقاً وشتتوا جيوشه البالغة أربعين الفاً ولم ينج من القتل الا من ألقى نفسه في البحيرة .

وبعد شهرين وقعت معركة ثانية هي معركة النبطية - كفر رمان[١٧] في ١٥ ربيع الأول ١١٨٥ هـ - ٢٩ تشرين الأول ١٧٧١ م .وذلك بعد ان تعرض مكاريون من قرية كفر رمان للقتل عمداً ، ورفض « الامير يوسف » تسليم الجناة . وبعد مناوشات بسيطة زحف بجيش يزيد على اربعين الف مقاتل لاجتياح جبل عامل.وعندما دخلوا البلاد من جهة صيدا بدأوا باحراق القرى وتدمير المزارع وقطع الاشجار وكل من يقع في ايديهم من السكان الآمنين رجالاً ونساء وأولاداً .

كان جيش «الامير يوسف» يسير في أربع فرق :

الفرقة الاولى : وهي المقدمة وفيها «الامير يوسف» في اول الجيش .

الفرقة الثانية : وهي الجناح الايمن ، كانت تسير في طريق جباع - حومين - حبوش - النبطية .

الفرقة الثالثة : وهي الجناح الايسر كانت تسير في طريق العرقوب - الجرمق - كفر تبنيت - النبطية .

الفرقة الرابعة : وهي القلب كانت تسير في طريق جرجوع - عرب صاليم - النبطية .

كانت القوات المتصدية للغزو مؤلفة من فرقتين بقيادة الشيخ علي الفارس وأخيه الشيخ حيدر الفارس : فرقة الفرسان وعددها خمسماية من الأبطال المجربين كانت تقيم في قلعة الشقيف وفرقة المشاة وعددها الف مقاتل من الشبان المتمرنين على تسديد الرماية .

عسكرت الفرقتان في الناحية الشرقية الشمالية من النبطية في ارض تسمى (قلادش) التي دعيت بعد المعركة ـ بعريض القهوة ـ وذلك لأن الجيش الاسلامي العاملي شرب فيها قهوة النصر والظفر .

وصلت طلائع الجيش المهاجم الى جباع وأحرقتها وقطعت اشجارها ثم وصلت الى النبطية واحتلت قسماً منها .

وعندها أحاطت القوات المدافعة عن البلدة ـ بعد اداء صلاة الشهادة ودعوة الله بالنصر ـ بالمهاجمين من ثلاث جهات من الغرب والشرق والجنوب فذعر «الامير يوسف» حامي حمى الموارنة وصديق البطاركة والبابوات والتجأ الى الفرار راكباً بغلة لا يلوي على شيء .

وكان المدافعون عن البلدة لا يزيدون على ثلاثة آلاف مقاتل. هجم هؤلاء هجوم المستميتين ولم يلبث العدو أن تقهقر الى كفر رمان ، وفي اليوم التالي دارت معارك عنيفة بالسلاح الأبيض فانهزم الجيش الصليبي كله انهزاماً كاملاً ، ومات اكثرهم خوفاً وتعباً . ووقع «الامير يوسف» في الأسر.وقدبلغ عدد القتلى ما يزيد على ثلاثة آلاف قتيل واعترف الامير حيدر الشهابي في تاريخه مجلد اول صفحة ٩١ بألف وخمسماية قتيل .

ولم يتعظ «الامير يوسف» بما جنته يداه بل انضم الى جيش العثمانيين في ٦ شوال ١١٨٦ هـ ـ ١٠ حزيران ١٧٧٢ م في حملة جديدة ووصلوا الى مشارف صيدا ولكن ابناء جبل عامل اختاروا من رجالهم خمسماية فارس ولفوا حوافر خيولهم باللبادكي لا يسمع لسنابكها صوت عند المسير ثم دهموا عسكر العدو ليلاً قرب قرية الحارة في ضواحي صيدا، وهناك حاصروا المدينة، وفي اليوم التالي نشبت معركة فاصلة في سهل الغازية اسفرت عن سحق العدو والقضاء عليه قضاء مبرماً[١٨] .

وبعد ان هرب «الامير يوسف الشهابي» استقدم معه الى دير القمر احمد باشا الجزار الذي كان يعمل في خدمة والي دمشق العثماني، عثمان باشا، ثم سلمه مدينة بيروت من اجل تحصينها وذلك لأن سلطته قد تزعزعت بعد أن حمله الناس مسؤولية الهزيمة .

وكان هذا الرجل معروفاً بصلفه وكبريائه، عينته الدولة العثمانية والياً على صيدا عام ١١٩٠ هـ ـ ١٧٧٦ م ثم ضمت اليه مدينة بيروت .

وبعد ان لمع نجمه زحف على جبل عامل فلم يتسن له ما اراد. ولكن في سنة ١١٩٥ هـ ـ ١٧٨٠ م هاجمه بجيش كثيف على حين غره متظاهراً بانه يريد اجتيازه الى وادي التيم لتأديب العصاة .

اكتسح جنود الجزار البلاد وأحرقوا القرى كما فعل الشهابيون، ثم صادر المكاتب الحافلة بانواع الكتب القديمة والمخطوطات الثمينة كمكتبة آل خاتون التي كانت تحتوي على خمسة آلاف مجلد، ومئات المكاتب غيرها نقلها الى عكا على ظهور الجمال وأمر بحرقها[١٩] .

وكان المسلمون الشيعة قد عادوا الى الظهور في شمال لبنان في منتصف القرن الحادي عشر الهجري ـ السابع عشر الميلادي، أي قبل تسلم آل شهاب شؤون الامارة ، واستوطنوا المناطق الواقعة بين طرابلس وجونية بعد حملات التهجير الرهيبة التي تعرضوا لها، ولكن «الامير يوسف» اجبرهم على اخلاء بيوتهم وترك المناطق المذكورة[٢٠] .

كذلك تعرضت كسروان لحملة تهجير ثانية، وذلك ان المسلمين كانوا قد تكاثروا فيها من جديد، وامتدوا ليستوطنوا في مناطق جبيل والبترون وبشري، ولكن ما ان اقترب حكم الامير يوسف من نهايته حتى كان اكثر هؤلاء قد طردوا منها بمساعدة الشهابيين[٢١]. ليس هذا فحسب بل شجع يوسف الشهابي نصارى الجبل ولا سيما الموارنة على الهجرة الى مدينة بيروت، حيث اخذوا ينافسون مسلميها واصبحوا العنصر

المسيطر تقريباً[٢٢] .

وكان الامير يوسف قد جمع لخدمته كل من كان عند عمه الامير منصور، ومن جملتهم مشايخ آل الخازن الذين ثبتهم على مقاطعة كسروان وولى احدهم عى ثلاث قرى في بلاد جبيل والبترون .

سياسة بشير الشهابي الثاني

في عام ١٢٠٣ هـ ـ ١٧٨٨ م تولى شؤون الامارة بشير الثاني الشهابي« الماروني» الملقب عند الموارنة بالكبير وذلك لأنه انتهج سياسة اسلافه وأعلن عن عدائه السافر للمسلمين وتأييده المطلق للموارنة، وفي عهده الذي استمر نصف قرن لمع نجم الكنيسة المارونية حتى انه سمح لها، عى سبيل المثال، باضطهاد المبشرين البروتستانت وأتباعهم الجدد، ويروي وليم بولك حادثاً اقدم فيه رجال الاكليروس على اعتقال ماروني اعتنق البروتستانتية وتعذيبه حتى الموت. وكان بالمقابل يتلقى الدعم من رجال الإكليروس الماروني وكنيستهم[٢٣]. حفل عصره الذي استمر نصف قرن بالمؤامرات الخطيرة التي كان يحيكها بالتعاون مع الدول الاجنبية، ليلهي الشعب عن الثورة عليه ويؤمن لسيادته الامتداد الذي يريده .

وكان هذا الامير يشجع الفلاحين الموارنة على الانتقال الى الأراضي الحرة في وسط لبنان هادفاً من ذلك الى غايات سياسية واقتصادية مما ادى الى احتلال الموارنة المتزايد لجنوب وسط لبنان واثراء النصارى .

وكان يساعد على شراء اراضي المسلمين والاستيلاء عليها من قبل النصارى الاغنياء والكنيسة المارونية .

وقد جاء في تقرير للقنصل الانكليزي الكولونيل روز من بيروت «ان نصارى دير القمر اغنياء واوضاعهم في ازدهار، وحاز الكثيرون منهم على ملكية المنازل والأراضي التي كانت سابقاً بحوزة المسلمين ثم اخذها منهم بشير الثاني» .

ونتيجة لهذه السياسة التي اعتمدها الحاكم المذكور واعوانه، ازداد عدد السكان الموارنة في الجبل الى حد كبير .

كما تغير ميزان القوى السياسية داخل الطبقة الاقطاعية لصالح الاقطاعيين الموارنة . وقبل الحديث عن الكنيسة ودورها سوف نتحدث أولاً عن حملة نابليون التي عقد عليها الموارنة كل آمالهم، وقد ظهر خلفاء كثيرون لبشير الشهابي ساروا على نهجه واكملوادوره . وكم تصبح المقارنة بين بشير الشهابي وبشير الجميل امراً ممتعاً ومفيداً في آن معاً . كان بشير الاول مثلاً أعلى لبشير الثاني وعلى نهج السلف سار الخلف .

حملة صليبية بقيادة نابليون

أثناء الثورة الفرنسية التي بدأت عام ١٢٠٤ هـ - ١٧٨٩ م ، وعلى الرغم من السياسة المعادية للاكليروس وللكثلكة التي كانت «لجنة الامن العام» و « حكومة المديرين » تتبعانها في فرنسا ذاتها ، فان اعادة نفوذ فرنسا وهيبتها في الخارج اقتضت ان تحافظ ،فرنسا على المغانم التي كانت تنطوي عليها الامتيازات الممنوحة لها في المشرق بموجب معاهدة ٩٤٢ هـ ١٥٣٥ م .

وهذه الامتيازات كما أسلفنا لم تقتصر على مغانم تجارية بل حصلت فرنسا على حق حرية العبادة وعلى حقها في حماية النصارى بوجه عام ، والكاثوليك بوجه خاص .

وفي الفترة الواقعة بين سنة ٩٤٢ هـ - ١٥٣٥م وسنة ١١٥٣ هـ - ١٧٤٠ م جددت الدولة العثمانية هذه الامتيازات الممنوحة لفرنسا وثبتتها ثماني مرات متوالية .

ولذلك رأت فرنسا ان عليها ان تستمر في تلك السياسة الخبيثة : « ضمان حماية الدين » .

وفي عهد «حكومة المديرين» او الادارة كتب دي لاكروا (De la

croix) وزير الخارجية ، الى السفير الفرنسي في استانبول يقول :

« ان حرصك وغيرتك على حماية الدين يستحقان كل تقدير .

وهذا العمل على كثير من الخطورة في هذا الظرف . نطلب اليك العمل على بسط نفوذنا، اذا كنا قد فقدنا شيئاً من هذا النفوذ، سواء اكان ذلك في العاصمة ام في الجزر أم في آسيا(٢٤) .

هذا الحرص على «بسط النفوذ»، وهذه الرغبة في الاحتفاظ بتلك الامتيازات القديمة وحماية العملاء تحت ستار الغيرة على «حماية الدين» والذي تحاربه في أرضها اعقبه حملة صليبية بقيادة صليبي مهووس ومتعطش للدماء إسمه نابليون بونابرت. كان جميع رجالات الثورة الفرنسية يقطعون رؤوس الاساقفة على المقصلة، وعندما كانوا يحرمون اجتماعات المصلين في فرنسا، كانوا يبعثون الى ممثليهم في استانبول بأوامر رسمية ان يسايروا دوماً الاساقفة وجموع المصلين النصارى في الشرق وأن يحضروا القداس، وان يحافظوا على التقاليد القديمة (٢٥) .

في تلك الفترة من الزمن ترددت في ارجاء اوروبا صيحة تهيب بدولها « المسيحية » ان تهب الى تسيير حملة صليبية جديدة .

«دار جنسون» ينادي بتأليف حلف «مقدس» تنتظم في نطاقه كافة الدول الاوروبية لالتهام اراضي المسلمين ، ويدعو الى اشعال حرب مزدوجة على أهل الاسلام : حرب ابادة، وحرب تنصيرثم يفصح عن مشروع متكامل لتحقيق ما يرومه ويرومه بني جلدته، وضع اصوله ورسم تفاصيله .

فاذا المحور « حملة صليبية تشترك في تمويلها واعدادها وتنفيذها الدول الاوروبية » .

والهدف هو «غزو الدولة العثمانية » .

واخيراً وليس آخراً: « فرض الدين المسيحي » ، ثم « تحرير الاراضي المقدسة من ايدي المسلمين»، «وتنصيب امراء اوروبيين متحضرين، مسيحيين بطبيعة الحال، على هذه الاقاليم»(٢٦) .

وهكذا ففي الوقت الذي كانت حملة التهجير ناشطة في لبنان، وأصبحت مناطق عديدة برمتها مارونية بعد اخلائها من السكان، وفي الوقت الذي كان الموارنة يزدادون قوة على قوة ويمتد نفوذهم كل يوم الى مناطق جديدة ، حتى اصبحت « امارة الجبل » امارة مارونية ، كانت أوروبا تقرع من جديد طبول الحرب الصليبية، وكان الاعداد لهذه الحرب قائماً على قدم وساق، وتتعدد الدعوات، من قبل ومن بعد، على نفس هذا المنوال، وبلا تغيير، لاشعال التعصب العنصري ، وبادرت فرنسا الى تنفيذ المهمة ، ومن اولى من فرنسا الصليبية بإراقة دماء المسلمين .

بعد «الثورة» التي قضى عليها عشر سنوات، وطلعت على الدنيا ببدعة حقوق الانسان، وكان وقودها جماهير المستضعفين والفقراء فاذا هي الجور والطغيان بعد الثورة التي قتلت شعبها الذي سحقه الاقطاع والرق ، بعد ثورة الشعارات الفارغة «حرية، اخاء، مساواة» والتي ازهقت ارواح الملايين من البسطاء والمضللين، ارسلت حكومة الديركتوار (Directoire) : حكومة الادارة، حملة تضم عشرات الآلاف من المقاتلين بقيادة نابليون بونابرت الذي نشر الخراب والدمار فوق ربوع اوروبا قاطبة.

ما الذي حدث؟ ما هي هذه الثورة؟ ما هو هذا الاخاء الذي تدعيه ؟
وما هي تلك الحرية التي تنادي بها ؟ .
انها حرية الولوغ في دماء الناس وبعث رسل الموت اليهم لأنهم

سيموتون على كل حال .

بعد احقاب طويلة على هزيمة لويس التاسع ووقوعه في الأسر واستعانته بـ « الامة التي قامت تحت اسم القديس مارون والتي هي جزء من الامة الفرنسية » كما قال ، يبدو ان احفاد لويس قد اعادوا قراءة مشاريع جدهم ودرسوها بامعان ونفضوا عنها غبار القرون.الوقت مناسب، والفرصة ذهبية لن تعود، واستبشر الموارنة خيراً، وانتظروا وصول بونابرت الى الشرق بشوق [٢٧] .

نشطت فرنسا لتكمل اشواط التآمر الصليبي الذي ابتدأته بأول حملة صليبية عام ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م.

ومن خلال تطلعات سياسة فرنسا ومشاريعها الاستعمارية استطاع اليهود ان يتسللوا الى عقل « فرنسا الثورة » ويشتركوا في صنع القرار .

ولهذا ما ان وقعت «الثورة الفرنسية» عام ١٢٠٤ هـ - ١٧٨٩ م حتى هرع اليهود لاغتصاب حقوق الانسان المسلم وانشاء وطن قومي يهودي لهم بقرار فرنسي .

التقى الطامعان من جديد . التقت الصليبية والصهيونية ثانية ، وكان اللقاء الأول حصل بعد اعلان الحروب الصليبية بإرشاد بابوات من الحي اليهودي كما رأينا .

« توماس كوريت »،اليهودي الايرلندي واحد أباطرة دولة المال اليهودية،يكتب الى بول «باراراس»،عضو حكومة الديركتوار،طالباً منه ان تغزو فرنسا بلادالمشرق، ويغريه بمعونة مالية «للجمهورية الفرنسية» على ان يتم اقتطاع ارض فلسطين كوطن قومي يهودي، وبعدها يتم اقتطاع لبنان كوطن قومي ماروني ثم توزع بلاد المسلمين كغنائم حرب .

واشارت الرسالة الى جهود اليهود المرصودة لمعاونة الغزو الفرنسي المنتظر وتثبيت اقدامه في المنطقة الاسلامية فتقول : « .... ويقدمون لكم عنصراً استعمارياً متيناً ثابت الأركان ، ضرورياً .. يقوم في آسيا مقام امبراطورية العثمانيين الآخذة في الانحلال ... ويوفر لكم اهم الضمانات لبث الفوضى ، واشعال الفتن ، واحلال الازمات للقضاء على الاتراك ... »[٢٨] .

وتبارك الجمهورية الفرنسية الحديثة ويتم الإتفاق ، ثم تجهز حملة عسكرية عهد اليها بغزو بلاد الإسلام ابتداء من مصر .

قائد الحملة يدعو كبار اليهود الى مؤتمر سري للتدارس بشأن وطنهم القومي، ثم يشاورهم ، ويضع واياهم اسس التنفيذ ، ثم يصدر المؤتمر نداء الى يهود العالم، يطلعهم فيه على قراراته. ويهيب بهم ان يخفوا سراعاً الى العمل لتحقيق الهدف القومي .

ومما جاء في النداء : «عددنا ستة ملايين، وفي حوزتنا ثروات طائلة، وممتلكات عظيمة.. فعلينا ان نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا».

«ان الفرصة لسانحة ومن واجبنا اغتنامها...». ويبين النداء بوضوح: ان المطلوب هو «الوجه البحري من مصر والمنطقة الممتدة من عكا الى البحر الميت، فمن جنوبه الى البحر الأحمر» اي الدلتا وفلسطين وسيناء . ويبادر قائد الحملة لمخاطبة اليهود باللغة التي يريدونها: « يا ورثة فلسطين الشرعيين» .

ويناشدهم ان يؤازروا فرنسا التي اخذت على عاتقها استرداد

«وطنهم» قائلاً: «. . . لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين»، «انهضوا برهنوا على ان القوة الساحقة التي كانت لاولئك الذين اضطهدوكم لم تستطع تثبيط همة ابناء الابطال الذين كانت محالفتهم تشرف روما واسبرطة . . . »[٢٩] .

هكذا يتكرم نابليون على اليهود ويعطف عليهم ويعدهم بمنحهم فلسطين وكأن فلسطين ملكه وملك آبائه، ثم يتباكى عليهم لما الم بهم من «اضطهاد»، والموارنة من جهتهم يعدون انفسهم للعمل العسكري عند وصول الزحف الفرنسي الى المنطقة لتحريرها من المسلمين، تماماً كما فعلوا عند قدوم اول حملة صليبية الى الشرق .

رافق حملة نابليون التي كانت تضم اربعين الف جندي عدد من المستشرقين منهم فانتور .

وكان قدوم هذه الفئة ضرورياً لنجاح الغزو وإقامة دعائم ثابتة له لان الصعوبة الاولى التي واجهها الفاتح هي صعوبة اللغة، وقد أراد الموارنة ان يشتركوا في تذليل هذه الصعوبات، وتسهيل طريق الحملة ما أمكن أمام اقدام حلفائهم الذين لم ينفكوا لحظة عن تأييدهم وحمايتهم ، فانضم الى الحملة طلاب المعهد الماروني للقيام بالواجب « المقدس »[٣٠] .

وأفاد نابليون من خريجي مدرسة اللغات الشرقية التي انشأها لويس الرابع عشر ومن بعض الشرقيين النصارى الذين يعرفون الفرنسية .

وصلت الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨م.
وكانت مصالح فرنسا قد قويت في مصر وغيرها منذ معاهدة ٩٤٢ هـ (١٥٣٥ م) ونال الفرنسيون بموجبها مركزاً ممتازاً واصبح لهم امتيازات قضائية وسياسية واقتصادية واسعة .

حاول الفرنسيون ان يجعلوا من القاهرة باريس جديدة ، فعمدوا الى انشاء حانات الخمور والاندية واعداد مسرح لتمثيل الهزليات والمآسي على الطريقة الغربية[٣١] ، وإقامة الحفلات الراقصة ، وتشجيع المجون والسكر والعربدة ، وما الى ذلك من مظاهر الحضارة الزائفة التي تتباهى بها اوروبا « المتحضرة » .

وبدخول الحملة الفرنسية الى مصر بدأ نابليون سياسة المخاطبة الصريحة لحلفاء دولته القدامى في جبل لبنان لتحريك ذاتيتهم العنصرية الخاصة وبنفس الوقت يطمئن مصر على اسلاميتها[٣٢] .

في معركة يافا حاصرت العساكر الفرنسية البلدة ثلاثة ايام وبعد ان دخلها نابليون أباحها لرجاله، فقتل فيها خلق كثير من النساء والأولاد حتى جرى الدم في اسواق يافا[٣٣] .

بعد سقوط البلدة انسحب المقاتلون الى بعض الخانات ، وابوا التسليم قبل ان يؤمنهم على حياتهم، فاجابهم القائد الفرنسي الى طلبهم، واستأمن له اربعة آلاف شخص ساقهم الى المعسكر ، ولما رآهم نابليون سأل قائده عن هذه الجموع المحتشدة فأخبره انها حامية المدينة التي سلمت اليه اماناً وقبلهم حقناً للدماء ، فبهت وحار في أمره ثم استشار ضباطه في قتلهم فخالفوه ، ولكنه أصر على رأيه وأمر بهم فقتلوا رمياً بالرصاص في عام ١٢١٤ هـ - ١٠ آذار ١٧٩٩ م .

كما ان بونابرت امر قبل ان يغادر يافا الى عكا بقتل الأسرى الذين وقعوا في قبضته ثلاثاً : في العريش وفي غزة وفي يافا، وكان عددهم يربو على ثلاثة آلاف[٣٤] . ثم قام جنوده باطلاق النار عليهم ولم يواروهم التراب وبقيت اجسادهم طعاماً للطيور ، وظلت رفاتهم مكشوفة، تلك هي فرنسا « الام الحنون » . . . فرنسا مهد الصليبية . . .

وكان اقتراب الحملة الفرنسية ووصولها الى المنطقة قد عزز التوتر بين المسلمين والموارنة الذين تأهبوا للقتال معتبرين أنفسهم اصدقاء فرنسا الحميمين ، فيما « داخلت المسلمين خشية شديدة »[٣٥] .

وكان الموارنة يزودون الجيش الفرنسي بالمواد الغذائية . واصبح بشير الثاني يتبادل الهدايا والرسائل مع نابليون ، وقد تلقى منه سيفاً .

وكان نابليون قاسياً حتى مع جيشه فبالإضافة الى قتل الجرحى راح يدس السم للمرضى الذين اصيبوا بالطاعون لكي يتخلص من عبئهم وحتى لا يعوقوه في سيره . واخيراً امر بقتل الجرحى والمرضى معاً .

بعد قتال مرير وبعد ان خسر بضعة آلاف من جيشه في معارك غزة ويافا سار نابليون بعسكره قاصداً مدينة عكا عن طريق الجبال .

وبدأ الجيش الفرنسي بضرب المدافع والقنابل حتى خيل للناظرين ان مدينة عكا لم يبق فيها حجر على حجر . كانت الحروب قائمة على عكا بالليل والنهار والفرنسيون يهجمون على الاسوار، والقنابل تنهال عليهم كالمطر، وقد اهلكوا من المسلمين خلقاً كثيراً وهدموا ابراج المدينة واسوارها[٣٦] .

ولما هلك بعض القواد الفرنسيين مع اعداد كثيرة من جندهم آيس نابليون من النصر وآثر العودة الى وطنه لأمر طرأ على مركزه هناك .

انتقل الى مدينة حيفا وكان فيها حواصل القطن فأمر باحراقها ، ثم احرق المراكب التي غنمها من المسلمين، واخذ من فيها اسرى وسخرهم في نقل الجرحى والمرضى من عسكر الفرنسيين ، يحملونهم على الواح خشب الى مصر[٣٧] . وكان الجنود الفرنسيون بعد ان يستولون على كل مدينة ينهبونها ويحرقونها .

عاد نابليون الى فرنسا وانهارت احلام المتآمرين .

لقد كان الموارنة يرغبون بدخول الفرنسيين الى لبنان بعد احتلال فلسطين وجعلها « وطن قومي يهودي » ، « لتحريره من المسلمين » وتحويله الى « وطن قومي ماروني » . لكن خابت آمالهم .

ان حملة نابليون لو لم تنته الى الفشل لكانت وبالاً على المسلمين ولأصبحت قراهم ومدنهم قاعاً صفصفاً .

ازدياد نفوذ الكنيسة المارونية

أدت سياسة الامراء الشهابيين الى تثبيت آل دحداح في بلاد جبيل والبترون بعد طرد سكانها ، المسلمين الشيعة ، وآل الدويهي في اهدن ، وآل شدياق في حصرون وعين تنورين[٣٨]. هؤلاء المقاطعجيون دانوا بولائهم لامارة جبل لبنان التي كان حكامها مسؤولين عن حظوظهم وثرواتهم المكتسبة .

وقد وكدت هذه الحقيقة نفسها في القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي عندما تورط الموارنة اكثر فاكثر في شؤون الامارة . وكان المقاطعجيون قد حافظوا على علاقاتهم بالكنيسة المارونية ففي الفترة التي سبقت ، كان المقدمون يعتبرون الكنيسة منافساً ومزاحماً لهم على سلطتهم .

وبالمقارنة ، أقام الاقطاعيون الموارنة الجدد علاقات وثيقة مع الكنيسة وعمل الطرفان على دعم بعضهما البعض . مما ادى الى توحيد الجهود وازدياد قوة التأثير الماروني .

ومن الأدلة على ذلك رسالة البطريرك الماروني الى البابا في العام ١٠٦٨ هـ ـ ١٦٥٧ م التي كتب فيها يقول :

«امير جميع الكاثوليك (يقصد ابا نوفل الخازن) في جبل لبنان والشرق، حامي الكنيسة، بطريركها، مطارنتها، رهبانها كهنتها، كنائسها، اديرتها، ودين المسيحيين في هذه المناطق، هو يقي الطائفة المارونية والكنيسة من الشرور التي يلحقها بهم الحكام الآخرون »[٣٩] .

هذا وقد تمتع الاقطاعيون الموارنة مقابل توفير هذه الحماية بعدة مكتسبات ، فاضافة الى المنافع المادية والمعنوية، تمتعوا بنفوذ واسع شمل جميع مستويات الهيئة الكهنوتية للكنيسة الى درجة خضع معها رجال الكنيسة المتوزعون في عهد رجال الاقطاع للعلاقة الاقطاعية ذاتها .

وتمتع آل الخازن، العائلة الاقطاعية المارونية الرئيسية، بالسلطات التالية : التأثير في انتخاب البطريرك ، السيطرة التامة تقريباً على تعيين رؤساء الاساقفة والمطارنة ، وتصديق تعيين الاكليروس . اخيراً ، شكلوا مع الاقطاعيين الآخرين ، الهيئة الانتخابية التي تختار البطريرك[٤٠] .

استمرت هذه العلاقة القائمة على تبادل المصالح بين المقاطعجيين الموارنة ورجال الاكليروس حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وقد تمتعت الكنيسة المارونية طوال هذه المدة بمقدار كبير من الحرية، وازدهرت الى حد لم تألفه في تاريخها، ذلك ان نشاطاتها امتدت الى جميع ارجاء الامارة والى المناطق المجاورة لها .

كذلك اصبحت الكنيسة ذات قوة اقتصادية هائلة فما ان جاء القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي، حتى غدت الكنيسة وبرعاية بشير الثاني، وعن طريق رهبانياتها، اكبر مالك في لبنان، وقد قدرت ممتلكات الرهبانيات، مع منتصف ذلك القرن، بما يعادل «نحو ربع السطح الكامل للجبل»[٤١] . وهذه المساحة بأي مقياس قيست، هي مساحة هائلة خاصة وانها في بلد تقل فيه الأرض الصالحة للزراعة .

والجدير بالذكر ان الرهبانيات امتلكت الجزء الأكبر من تلك

الأراضي عن طريق هبات تبرع بها الإقطاعيون وحكام الامارة. فمن اصل الستة والثلاثين ديراً الكائنة في كسروان في العام ١٢٤٩ هـ - ١٨٣٢ م ، وهب المقاطعجيون من آل الخازن سبعة عشر منها كوقف للكنيسة(٤٢) . ومن الأمثلة الاخرى تبرع «الامير يوسف» بثمانية عشر ديراً وقطعة أرض في بلاد جبيل والبترون لرهبان مار انطونيوس الموارنة كما أسلفنا(٤٣) .

وهكذا اصبح معظم املاك المسلمين في المناطق التي طردوا منها ملكاً لرجال الاكليروس الماروني .

كما تعززت ثروة الرهبانيات بدخلها المستمد من أعمالها في حرف معينة، ومن مصادر أخرى. ومع ازدياد تراكم ثروة الكنيسة، اظهرت الاخيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري - القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر (م) استقلالاً تنظيمياً وسياسياً عن المقاطعجيين، وقد تناسب ذلك الاستقلال مع الاستقلال الاقتصادي للكنيسة. وفي هذا المجال، سهل الانضباط التسلسلي ضمن اكليروس الكنيسة وسيطرتها الواسعة على الفلاحين الموارنة حركتها تلك. وكان من المحتوم الا تطبق الكنيسة عندئذ علاقة الاعتماد السابقة على المقاطعجيين .

ان الكنيسة كانت اكثر تطرفاً من المقاطعجيين ولهذا فقد عزمت على ان تكون الممثل الشرعي والوحيد للطائفة المارونية لكي يكون بامكانها تنفيذ القرارات التي تتخذها بالاتفاق مع بابوات روما بالسرعة اللازمة .

وبعبارة اخرى ، كانت الكنيسة مصممة على ان تصبح الناطقة باسم الأقلية المارونية وعلى ان يكون لها دور كبير في الشؤون السياسية للامارة ، وباتباعها لتلك السياسة دخلت الكنيسة في نزاع مع المقاطعجيين .

ومع البطريرك يوسف التيان (١٧٩٦ م - ١٨٠٨م) اخذت علاقة

جديدة بين الكنيسة والدولة تنمو في جبل لبنان .

لقد تميزت هذه الفترة بدخول الكنيسة حلبة السياسة بصورة مستقلة. فالمؤسسة الكنسية كانت قد نمت الى حد ان الإكليروس لم يعد يرضى بابقائه في مكانة ثانوية في المجتمع . كانت الكنيسة قد اضحت بنهاية القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي اكبر المنظمات في كافة جبل لبنان واكثرها تنظيماً وثراء . وصارت مصالحها كمنظمة متشابكة مع مصالح النظام السياسي . وكان واضحاً ان الكنيسة هي في مركز يمكنها من اخذ المبادرة في العلاقات مع الدولة لمصلحتها(٤٤) .

وشجعت صعود نفوذ الكنيسة الى السلطة السياسة التي انتهجها الامراء الشهابيون، فلكي يعزز هؤلاء الامراء مراكزهم في وجه المقاطعجيين الكبار ، غازلوا الموارنة وأحاطوا أنفسهم بالمستشارين منهم واستخدموهم كجنود .

يدرج رستم باز ، مدبر بشير الثاني ، اسماء وألقاب ورتب الاشخاص الذين تولوا مناصب عامة في بيت الدين ، مقر الحكومة في زمن بشير الثاني . وتكشف مراجعة هذه الاسماء عن أن هؤلاء الموظفين ، بمن فيهم الذين خدموا أبناء بشير الثاني ، امين وقاسم وخليل ، انهم كانوا على وجه الحصر تقريباً من الموارنة (٤٥) .

وكانت الخدمة الادارية بالنسبة الى الموارنة وسيلة الى الاعتبار الاجتماعي والنفوذ السياسي. ذلك ان المقاطعجيين الموارنة، امثال آل الخازن وحبيش وخوري ودحداح وظاهر، حصلوا على القابهم عن طريق اسداء مثل تلك الخدمات للحكام المعنيين والشهابيين. وبعد القضاء على القسم الاعظم من المقاطعجيين الدروز على ايدي بشير الثاني وابراهيم باشا ، زادت القوة السياسية للأقلية المارونية عن طريق احتكار رجالها لتلك المناصب .

وقد أخل ذلك التطور على نحو متزايد بحالة التوازن القائم[٤٦] .

وفي حين زاد تبوء تلك المناصب الادارية السلطات الشخصية لشاغليها ، فانه عمل ايضاً على تقوية مشاعر الاستعلاء والنزعات العنصرية وتعزيز مركز الكنيسة . وقد استخدم المدبرون الموارنة نفوذهم لحماية الكنيسة ولضمان حرية نشاطها في بداية نظام الادارة الشهابية ، بيد ان الكنيسة امست مع بداية حكم بشير الثاني الذي تبادل معها الخدمات منظمة معقدة ، مستقلة عن المقاطعجيين ، ومتمتعة بموارد بشرية ومادية كبيرة .

وفي ظل عهد البطريرك يوسف التيان ، أخذت الكنيسة تعمل جادة لتسلم الزعامة السياسية ، ومع ان عهد تيان انهي عنوة في العام ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م ، واجبر على الاستقالة في اعقاب اغتيال حلفائه ، الأخوة باز الذين كانوا المدبرين الموارنة للامير بشير الثاني ، فقد عادت الكنيسة الى السير في السبيل نفسه[٤٧] ، وقد سهل سعي الكنيسة الى السلطة السياسية بحث الحكام الشهابيين عن سبل لتقوية مراكز نفوذهم وعن بديل لقاعدة تأييدهم الدرزية التقليدية . وبصورة تدريجية ، استبدلت تحالفات الكنيسة السابقة مع مقاطعجييها الموارنة ، وفيما بعد مع المدبرين الموارنة ، بتحالفات مباشرة بين البطريرك والامير .

وفي العام ١٢٠٦ هـ - ١٧٩١ م صدر مرسوم عن الامارة ينص على ان يقضي البطريرك ، دون سواه ، في جميع النزاعات الناشئة بين الموارنة منذئذٍ فصاعداً[٤٨] .

وكان بشير الثاني يؤيد البطريرك في جميع قراراته ، فعندما قصده مقاطعجيان مارونيان من عائلة الخازن ليقضي نزاعاً بينهما ، امرهما بأخذ دعواهما الى البطريرك[٤٩] .

هذه السياسة جعلت البطاركة في منتهى القوة .

علاقة بشير الثاني بالبابا

في عهد بشير الثاني عادت العلاقات بين البابا والبيت الحاكم الى شكل أشد متانة من ذي قبل . ومما يدلنا على متانة تلك العلاقات رسالتان بعث بهما البابا بيوس السابع (١٨٠٠ م - ١٨٢٣م) الى هذا « الامير » يوصيه فيهما بالسهر على مصالح الأقلية المارونية ورعاية امور الكاثوليكية».

الرسالة الاولى وهي مؤرخة في ١٨ نيسان ١٨٠٧ م (١٢٢٢ هـ) وقد صدرت بالعنوان التالي :

« ايها الابن الحبيب والرجل الشريف السلام والبركة الرسولية » .

وفي اثنائها أوصى البابا « الامير » بقاصده المطران لويس غندلفي ، الذي كان قد أقيم قبلاً بمنزلة قاضي لدى القاصد السابق المتوفي المطران جرمانوس الخازن الماروني . ثم طلب منه رعاية القضايا المختصة بالديانة الكاثوليكية ، والمحاماة عنها بسلطانه واقتداره وبحسب مقتضى غيرته وحبه لها .

ووصلت بهذا المعنى رسالة اخرى الى جرجس باز الماروني مستشار اولاد الامير يوسف .

وأما الرسالة الثانية فقد جاء فيها :

« من البابا بيوس السابع الى جناب الرجل الشريف الامير بشير شهاب الكلي الاقتدار .

فليوهب لك السلام ، ولتضاعف النعم الالهية ، ان قلبنا الابوي قد استوعب ابتهاجاً عظيماً عندما تحققنا من اخوتنا ، بطريرك طائفة الموارنة واساقفتها، مقدار وفور حسن عنايتك وملاحظتك للطائفة المذكورة نفسها ، وبكم من الاهتمام تجتهد حضرتك بأن يستطيع هؤلاء أن يعترفوا بشريعة الله الكلية القداسة ، وبحقائق الايمان الكاثوليكي بغير مانع ما اصلاً ، الامر الذي لا يمكن ان يتضح لدينا شيء اعز منه ، ومن ثم قد انعطف حبنا نحوك الانعطاف الكلي راغبين لك السعادة الحقيقية رغبة متقدة في الغاية . ولقد ضاعف فينا هذه الامارات الانعطافية القلبية نحوك بنوع عجيب ، ولدنا الحبيب يوسف السمعاني المدبر الاول للرهبانية اللبنانية الجليلة ، الذي قد حضر الى رومة من قبل بطريرك الطائفة المارونية وأساقفتها واكابر شعبها ، ليقدم لنا على اسمهم جميعاً التهنئة وعلامات الفرح برجوعنا السعيد الى الكرسي الرسولي ، وذلك حينما اخبرنا ان حضرتك كذلك قد حصلت من هذا القبيل نفسه اي من رجوعنا المذكور على سرور عظيم جداً .

فنحن في الوقت عينه الذي نشكر محامدك بالمقابلة الواجبة على اظهارك شاهداً جديداً لحسن شهامتك هذه ومعروفك نحونا ، ففي الوقت نفسه نرجوك بمقدار ما نعلم ونستطيع أيها الأمير الجليل الكلي الاقتدار بأن تكون حمايتك وصيانتك متلألئة في عناية ما يكون نحو امور الديانة الكاثوليكية ، في جميع المقاطعات بولايتك .

ثم من حيث اننا سلمنا ليد يوسف السمعاني المذكور بعض أوامر منفذة الى البطريرك الماروني نفسه ، وبها قد سبقنا واعتنينا باصدار التدابير المختصة بنمو الايمان الكاثوليكي وبصرامة التهذيب والنظام

الكنسي ، فنتوسل اليك بأعظم نوع لكي تجتهد وتناضل بواسطة سلطانك بأن تجري هذه الاوامر بأكبر استعداد وقبول .

واذا كان لنا ثقة وافرة في ان تكون حضرتك دائماً مناظراً تحت حمايتك للطائفة المذكورة ولقصادنا ولجميع الكاثوليكيين اجمالاً ، فنحن لا نكف عن التضرع الى الباري تعالى القادر على كل شيء والمانح الخيرات جميعها ، بأن يفيض عليك بذاته أنعامه السماوية بأكثر سخاء وان يكافئك بسعادة حقيقية .

رومة في ١٥ شباط ١٨١٧ وهي السنة السابعة عشرة لحبريتنا » [٥٠] .

فمن لا يرى معنا ان هذه الكلمات الرنانة الطنانة هي حلقة جديدة في سلسلة المؤامرة الطويلة .

الاستقواء بجيوش ابراهيم باشا

كانت الدولة العثمانية قد ارسلت حملة الى مصر بقيادة محمد علي باشا وهو من أصل الباني لصد الفرنسين ، وبعد ان اخفقت الحملة الفرنسية وعاد نابليون بجيشه المهزوم الى اوروبا في ١٩ ربيع الثاني ١٢١٤ هـ - ٢٢ آب ١٧٩٩ م ، اعلن محمد علي باشا العصيان على الدولة العثمانية ثم بدأ بتوسيع دائرة ملكه لما رأى تضعضع كيان الاتراك وتوالي انهزام جنودهم أمام جيوش الروس . واستخدم كبار القواد ورجال الادارة الاختصاصيين من الافرنج .

في سنة ١٢٤٨ هـ - ١٨٣١ م أرسل ابنه ابراهيم باشا على رأس حملة الى سورية فاستولى عليها وتابع سيره الى الاناضول .

اعتبر الموارنة الفاتح الجديد صديقاً لهم ، كما اعتبره سائر نصارى الشام، وكان ابراهيم باشا كلما احتل بلداً عزز مكانة النصارى واليهود[٥١] .

وازداد تأييد الموارنة له حين معرفتهم بأنه صديق الأمير بشير الثاني ، وحليف فرنسا التي أيدت قيام امبراطورية عربية تابعة لسياستها ومشاريعها .

قسم ابراهيم باشا البلاد الى عدة مقاطعات وعهد بادارتها العامة الى احد انسبائه شريف باشا ثم الحق جبل عامل بجبل لبنان واميره يومئذ بشير الثاني .

راح « الامير بشير » يتتبع زعماء جبل عامل يريد التنكيل بهم ويضيق، عليهم الخناق وبلغت به السفالة حداً ان قبض على الشيخ فضل حفيد الشيخ حيدر الفارسي حاكم بلاد الشقيف خلال زيارته له في العيد ، والقاه في السجن اشهراً ثم أطلق سبيله بعد ان جرعه من العذاب الواناً[٥٢] .

ان الشهابيين وزعماء الموارنة صوروا ابناء جبل عامل في عيون الفاتحين بلاداً ثائرة وشعباً متمردا يجب ان يحكم بالشدة والبطش ، فصبوا عليهم جام غضبهم .

ولى بشير الثاني ابنه مجيد لإدارة مقاطعات جبل عامل، وكان هذا الشاب متغطرساً شديد الاعجاب بنفسه لم تحنكه التجارب فصب جام غضبه وحقده المدفون على الابرياء والقرى الآهلة وساق المئات الى السجون بعد ان قتل الآلاف ، فكان في سجنه في صور زهاء الألف رجل، وحقر العلماء وخرب البلاد[٥٣] .

قاد امراء آل شهاب حملة ابادة شاملة ضد المسلمين استمرت حتى رحيل جيوش محمد علي باشا عام ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م وبعد ان تلقى اميرهم مجيد الشهابي هزيمة قاسية عند جسر القاقعية .

وكانت سياسة ابراهيم باشا تدور على القمع والارهاب، وقد روى محمد جابر آل صفا في كتابه « تاريخ جبل عامل » ان سبب ذلك يعود على الأرجح لانشغال محمد علي باشا بسياسة الفتح والتوسع التي أخذت بلبه وطموحه الذي لم يكن له حد ورغبته في انشاء دولة عظمى في الشرق الاوسط .

وكانت انتصارات نجله ابراهيم باشا واكتساحه الممالك وتقدمه السريع نحو عاصمة آل عثمان تزيده رغبة وأملاً ، وقد استغرقت هذه الاحلام وقته ، فلم تبق لـه سبيلاً للتفكير في ادارة سورية ففوض امرها الى شريف باشا وبشير الشهابي » الذي كان يتبع مع خصومه سياسة التعذيب والارهاب وسمل العيون فملأ الجبل شروراً وعاث فيه فساداً[٥٤] .

ثم أصدر ابراهيم باشا قراراً بجمع السلاح ، ورأى الشهابيون ان باستطاعتهم توظيف هذه القرارات لمصلحتهم، فاشتبكوا مع الثوار في عدة وقائع،وعندما عجزوا عن اخضاعهم ضيقوا الخناق على أهلهم وذوي قرابتهم، كما طلب ابراهيم باشا من الامير بشير ان يرسل ابنه خليل على رأس اربعة آلاف مقاتل من نصارى لبنان للاشتراك في العمليات العسكرية في حوران ووادي التيم ضد المسلمين [٥٥] .

وكان دعم الموارنة لبشير الثاني كبيراً ، وبعد ان فتك بالمسلمين لم يعد له من خيار سوى طلب المساعدة من الكنيسة .

« وأثبت التنظيم التسلسلي للكنيسة وانتشار كهنتها في كل ابرشيات جبل لبنان عن فائدة عظيمة في ذلك الجهد . فقد اصدر البطريرك الاوامر بواسطة رؤساء الاساقفة[٥٦] والمطارنة بوجوب اعداد ابناء الابرشية لتأييد الامير وحلفائه » . وبين الخدمات الاخرى التي وفرها رجال الاكليروس الماروني لمساعدة الامير بشير في تنفيذ سياسته ، كان تزويده بالرجال لقمع انتفاضات المسلمين وجمع المعلومات السياسية والعسكرية ، وفي المقابل اسند الامير المزيد من السلطات للبطاركة والرهبان فتعززت قبضتهم على المجتمع [٥٧] .

ونتيجة لذلك ، اصبح الارتباط والتوكيد على الهوية الطائفية بالنسبة للبطاركة اكثر شعبية من الارتباط بحزب اقطاعي او سيد اقطاعي .

هذه الولاءات استطاعت عام ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م تدمير مؤسسة الاقطاع المارونية وجعل المؤسسة الاكليركية (مؤسسة البطاركة والرهبان) بلا منازع .

في السنوات العشر الاخيرة من حكم بشير الثاني ازدادت حملة القمع والارهاب ضد المسلمين ، وقد ساعدت دورات التجنيد في فترة حكم ابراهيم باشا على التدهور الاقتصادي للفلاحين وتقوية تبعيتهم للمرابين والتجار الموارنة مما كان يؤدي بدوره الى نشوء العداوة وتوتر الاجواء .

اضافة الى ان فرق الجنود المؤلفة من النصارى كانت تعيث فساداً في المناطق الاسلامية وتهزأ من مقدساتهم ، علماً ان الامير بشير استخدم فرق المتطوعين من الموارنة لاخماد عصيان المسلمين في نابلس وحوران ولبنان الشرقي ، كما جرى تسليح النصارى في جبل عامل لاستخدامهم في قمع التمرد .

وابان العصيان في حوران في عامي ١٢٥٣ و ١٢٥٤ هـ ١٨٣٧ و ١٨٣٨ م سلحت حكومة ابراهيم باشا النصارى اللبنانيين الذين كانت تأمل باستخدامهم لقمع العصيان فحشد بشير الثاني منهم جيشاً بحدود سبعة الى ثمانية آلاف رجل[٥٨] .

وفي هذه الاثناء كان نفوذ الدول الاجنبية قد ازداد في الشرق وكان التنافس على أشده بين تلك الدول، وخاصة بين فرنسا وانكلترة فقد كانت كل منهما تطمح الى بسط نفوذها على سورية ولبنان. وفي اوائل عام ١٢٥١ هـ - ١٨٣٥ وصل الكاهن الايرلندي، ريتشارد وود الى بيروت من الآستانة حيث كان يعمل في السفارة البريطانية ثم انتقل الى كسروان وادعى انه جاء لتعليم اللغة العربية. ولكنه في الحقيقة كان يريد شيئاً آخر .

وبعد ان استطاع ان يجتذب عدداً من الزعماء الموارنة الى جانب بريطانيا اعطى وعداً للبطريرك الماروني يوسف حبيش بمساعدة بريطانيا لاعلان لبنان امارة مارونية مقابل مساعدة الموارنة لها(٥٩). ثم بدأ بتوزيع الهدايا تحت ستار مصادقة الشعب .

كذلك انتشر عمال فرنسا في البلاد وتجولوا بين القرى المارونية ، طالبين الى السكان رفع الاعلام الفرنسية لنيل حظوة الجيوش الحليفة(٦٠). وقد أعطت هذه السياسة ثمارها فكانت اولى نتائجها عام ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م .

ولكن قبل ان نتحدث عن هذه النتائج ، فان هناك مؤثرات اخرى - دعمت موقف الموارنة وحدت بهم الى فرض مشروعهم بالقوة - من الضروري الاشارة اليها .

التأثير الاقتصادي

شهد الاقتصاد في فترة حكم ابراهيم باشا تغيراً ملحوظاً لصالح الموارنة ، ففي حين اعتاد الفلاحون في السابق بيع انتاجهم الفائض بأنفسهم في مدن الساحل والجبل ، أرغموا تدريجياً على الاعتماد على التاجر والوسيط ، وهكذا انقطعت علاقة القروي بالسوق وصارت غير مباشرة . ورافق هذا التحول ، بالضرورة،شكل جديد من اشكال المعاملات التجارية . فلكي يفي الفلاحون بالتزاماتهم الضريبية ويحصلوا على احتياجاتهم لموسم الحرير ، تعودوا على امارهن محصولهم من الحرير ، واقتراض المال بفوائد تتراوح بين ٣ بالمئة و ٥ بالمئة شهرياً ، او اختاروا بيع انتائجهم مقدماً بقيمة تتراوح بين ثلث ونصف قيمته في السوق . وقد سمحت مثل هذه الممارسات ببروز طبقة من الرأسماليين الاهليين الذين عملوا في المضاربات التجارية ، حتى أصبح بامكان أحد التجار في دير القمر ، على سبيل المثال ، ان يتباهى بكونه يملك في مستودعاته ثلاثين الف (٣٠,٠٠٠) اوقية من الحرير قيمتها ستمائة الف قرش (٦٠٠,٠٠٠) ويساوي القرش اقل من الفرنك بقليل(٦١).وكانت الاقلية المارونية هي المستفيدة الرئيسية من هذا التحول في اقتصاد لبنان، خاصة وأن الأمير بشير وابراهيم باشا الذي اعتمد في ادارته على النصارى كانا قد اضطهدا المسلمين وزعماءهم وصادرا أملاكهم . وأخذ النصارى

ينافسون المسلمين في ميادين التجارة ، كتجارة الحبوب والماشية ويأتون بأعمال يستفزون من خلالها المسلمين[٦٢] . ونلاحظ في هذه الفترة نمو قرى صغيرة مثل زحلة ودير القمر ، فقد بلغ عدد سكان الأولى الذي لم يكن يزيد على الألف نسمة، ثمانية آلاف نسمة .

ثم ان فتح البلاد بأسرها أمام طوفان السلع الأوروبية اوقف نمو الصناعة وزاد من حرمان الفلاحين وهكذا أصبح الموارنة يطالبون بنفوذ سياسي يتناسب مع قوتهم الاقتصادية .

في عام ١٢٥١ هـ ـ ١٨٣٨ م عقدت معاهدة انكليزية ـ عثمانية تقضي برفع رسم الاستيراد الى ٥٪، بينما تدفع الصادرات (من الولايات العثمانية) رسماً قدره ١٢٪ .

هذه المعاهدة « التي شملت بنعمتها كل الدول الاوروبية » كانت ، على حد تعبير مكسيم رودنسون تقطع الطريق مسبقاً على أية محاولة محتملة لبناء صناعة محلية[٦٣] .

ولم يكن تراجع الانتاج الحرفي في البلاد هو النتيجة الوحيدة للغزو السلعي الاوروبي بل ثمة افقار اقتصادي واستنزاف رهيب للنقد المعدني ، ذهب وفضة، نتجا عن الخلل في الميزان التجاري[٦٤]، وهو خلل كان يزداد تفاقماً سنة بعد سنة .

وكانت السلعة الرئيسية التي تضمنتها الصادرات هي خيوط وشرانق الحرير ، وقد بلغ متوسط كميتها المصدرة سنوياً من مرفأ بيروت وحده في اواسط القرن الماضي حوالي (٥٠٠) خمسمائة قنطار[٦٥] .

هذه الوجهة في مخاطر التجارة الاوروبية مع البلاد الاسلامية كانت قد بدأت تلوح منذ اواخر القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي ، وكانت آخذة في التعمق مع القرن التالي .

يقول جب وبوون : « ان التجارة الخارجية كانت لا تعود عليها الا

بفائدة طفيفة، وما دامت الواردات تتكون من المواد الصناعية والبضائع الكمالية للأغنياء على حين أن الصادرات كانت تتكون من مواد خام وغير مصنوعة، فان هذه التجارة كانت تعود بالضرر على صناعتها ورخائها الاقتصادي يضاف الى ذلك انها ارهقت توازنها النقدي . . .

وكان من الممكن تعويض المضار الاقتصادية التي عادت على مصر وسورية (سوريا ولبنان) من التجارة الاوروبية والشرقية الى حد ما ، من الناحية المادية، فيما لو كان التجار المصريون والتجار المسلمون السوريون (السوريون واللبنانيون) قد شاركوا فيها بنصيب كبير ، ومن الناحية الفكرية فيما لو كان الاتصال بالتجار الاوروبيين قد وسع افق اجزاء صغيرة من المجتمع الاسلامي . . »[٦٦] .

ان غزو السلع الاوروبية للاسواق المحلية جعل الانتاج الحرفي منذ اوائل القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي لا سيما في مجال انتاج المنسوجات القطنية والحريرية يتراجع بصورة تهدد الفئات الاجتماعية التي تعتاش منه بمزيد من الإفقار .

في هذا الوقت كانت الاقليات النصرانية في المدن الاسلامية قد اتجهت نحو تعاطي النشاطات الاقتصادية التي ولدتها حاجات التغلغل الاقتصادي الاوروبي . فاذا بالنشاط المالي وتجارة الاستيراد من أوروبا والتصدير اليها يقع بمعظمه في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي بيد مرابين ومصرفيين ووكلاء نصارى[٦٧] .

تجارة الحرير

كانت الصناعة الوحيدة المهمة التي نمت في الجبل هي صناعة الحرير التي يمكن تعقب نشوئها الى القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي،ومع اوائل القرن الحادي عشر (الهجري) ، اصبح اقتصاد جبل لبنان متخصصاً في انتاج الحرير الذي كان يصدر في شكله الخام الى مدينتي دمشق وحلب والى أوروبا .

وكان لارتباط الموارنة بهذه الصناعة التي ازدهرت باحياء الصلات التجارية بين اوروبا وبلاد المشرق اكبر الاثر في تدعيم نفوذهم الاقتصادي في البلاد . فقد كانوا اكبر المنتجين اللبنانيين، وتمكن بعضهم من الاثراء على تجارة الحرير .

وطوال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة جمع النصارى في البلاد العثمانية ثروات ضخمة وصار لهم نفوذ واسع وصلات تجارية وثقافية وسياسية مع اوروبا [٦٨] .

في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ازدادت حاجة فرنسا الى خيوط وشرانق الحرير ، فتأسست في جبل لبنان بين ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠ م

خمس حلالات حديثة فرنسية ، تعمل برأسمال فرنسي . كذلك دفع ازدياد الطلب الفرنسي لخيوط وشرانق الحرير الى زيادة المساحة المزروعة توتاً على حساب زراعات اخرى (زيتون ، تبغ ، خضار . .)[٦٩] .

ومن جهة اخرى كانت الاقمشة الفرنسية والانكليزية تزاحم بسهولة الانتاج المحلي في الجبل ، فلم يكن من اصحاب الحرف المحلية والتي كان يملكها في معظم الاحيان شيوخ العائلات الاقطاعية الا ان يقفلوا أبوابها ويتحولوا الى بائعي شرانق .

اما النسيج المنزلي الذي كانت تقوم به عادة عائلة الفلاح المرابع فقد تقلص كثيراً بسبب اضطرار الفلاح ان يوجه كل اهتماماته واهتمام افراد عائلته ايضاً نحو تحسين تربية دودة القز المنتجة للحرير [٧٠] .

وكانت بيروت قد اصبحت مركزاً تجارياً رئيسياً للجبل لا سيما في عهد المتصرفية ، ذلك ان تجارها كانوا يلعبون دور الوسيط بين المنتجين والمستودرين وجمعوا ثروات كبيرة بفضل الدور التجاري الذي اخذ يلعبه مرفأ بيروت،ثم ربطوا اقتصاد الجبل بشبكة مالية حيث شكلت رؤ وس اموالهم المدعومة برؤ وس الأموال الاوروبية الحلقة الرئيسية فيها محلياً .

يحدثنا « هنري غي » عن التشجيع الأوروبي لهؤلاء التجار ودورهم في الوساطة والهيمنة المالية محلياً فيقول :

« ان القروض التي تقدمها تجارة اوروبا للمرابي المحلي هي التي تجعله يعمل في هذا المجال فهو يعتبرها مصرفاً يستطيع ان يقترض منه كل ما يحتاجه من مال »[٧١] .

وفي اواخر القرن الماضي ، كانت اوروبا محتاجة الى التوسع الاقتصادي ، لأنها كانت قد انتقلت من اقتصاد التنافس الحر الى اقتصاد الاحتكار، فربطت الزراعة في الجبل وخاصة الحرير بمصانعها. وكان

جبل لبنان يمول بشرانق الحرير نصف مصانع ليون الفرنسية التي كانت من اهم المدن الفرنسية المنتجة للحرير. هذا الاستعداد الماروني لتقبل عملية التوسع الاقتصادي الفرنسي في الجبل (مزيد من زراعة التوت، وتأسيس حلالات الشرانق) توج بتغلغل الاستعمار الغربي بأشكاله المختلفة:رساميل ، اسواق ، امتيازات اجنبية ، تدخل قناصل ، ارساليات ومدارس)، وكانت الرساميل الفرنسية مركزة بشكل أساسي في لبنان في المناطق المارونية .

وهكذا اصبحت مواقف الموارنة مستمدة من ضرورات التغلغل الاقتصادي والسياسي والثقافي لفرنسا فاستجابت لإرادة الدول الاستعمارية ورغبتها في ان يكون لها موطىء قدم على ساحل المتوسط للعبور منه الى جميع انحاء المنطقة .

نتائج التدخل الاجنبي

قلنا انه في غضون القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ـ الثامن عشر والتاسع عشر (م) توسع نطاق الامتيازات الاجنبية الى حد كبير ، فسحبت هذه الامتيازات نفسها على « الملل العثمانية » التي اعتبرتها الدول الاوروبية اقليات دينية او شبه رعايا لها ، فطالت الامتيازات والحماية التجار المحليين من غير المسلمين المتعاملين مع التجار الاجانب ، وكذلك رجال الاكليروس المحلي الذين تمتعوا بامتيازات المبشرين الاجانب .

وشاعت في اطار الحماية طريقة منح الجنسيات الاجنبية لعملاء القنصليات وتراجمها الذين تكاثروا الى ان أصبحوا بالآلاف في بعض المدن .

وكثر التدخل الاجنبي بواسطة المستأمنين والقناصل بحيث سمح للمبشرين الكبوشيين بدخول منطقة الشوف ، واقامة اديرة لهم .

وسبب القناصل والمبشرون بتدخلاتهم المباشرة عن طريق بث الدسائس وحياكة المؤامرات مع الاقليات التي ارتبطوا بها كثيراً من الفتن والكوارث، وذلك ضمن مخطط شامل على مستوى البلاد الاسلامية .

وكانت روسيا قد دخلت عبر سياسة بطرس الأكبر في ميدان التوسع ، وحاولت نيل امتيازات من الدولة العثمانية للغاية نفسها ، ثم اعلنت عن حمايتها للروم الارثوذكس ، بعد فوزها بشروط معاهدة قينارجة سنة ١١٨٨ هـ - ١٧٧٤ م ، اثر انتصارها المدوي على الجيوش العثمانية في البلقان . وبموجب هذه المعاهدة منحت روسيا حق بناء كنيسة عامة في استانبول، تتبع الطقس اليوناني الارثوذكسي وتكون حمايتها من حق السفير الروسي . « وبالاضافة الى هذا فان الدولة العثمانية وافقت على السماح للرعايا الروس ، وللعلمانيين، وللاكليروس ان يؤدوا فريضة الحج الى القدس ، والى الاماكن الاخرى المقدسة، كما ان السلطان تعهد بان يقوم دوماً بحماية الكنائس النصرانية .

ومنح سفراء روسيا لدى البلاط الامبراطوري ان يتقدموا منه في اي وقت تقتضي الحاجة بذلك، لعرض شكواهم او احتجاجهم ضد اي امر يسيء الى الكنيسة الجديدة في استانبول، او الى الكهنة الذين يقومون بخدمتها[٧٢] . وبوصفها حامية للنصارى من الروم الارثوذكس - على الرغم من الغموض الذي يكتنف هذه «الحماية» في نص المعاهدة - سنحت امام روسيا فرصة مؤاتية للتدخل في شؤون البلاد الإسلامية .

كانت الكنيسة الروسية الارثوذكسية عاملة على الانتقام لمملكة[٧٣] بيزنطية ، وبشعور روسيا بهذا الانتقام، كانت تطمح الى التدخل في شؤون البلاد واثارة القلاقل والنزعات .

وكانت روسيا تحمل المسلمين على التنصر بالقوة،وفي عام ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢م عندما اعلنت الحرية الدينية عاد خمسون الفاً من المسلمين الى دينهم[٧٤] .

وقد اعتبرت فرنسا وبريطانيا ان جبل لبنان هو المفتاح السياسي للشرق « والقلعة الطبيعية الكبيرة القائمة بين العالمين الشرقي والغربي » .

انحاز كل قنصل من قناصل الدول الكبرى الى مجموعة من النصارى يدافع عن مصالحها مقابل اعتراف هذه المجموعة بفضل القنصل عليها وولائها لدولته . ولم تنقطع مداخلات هؤلاء في شؤون لبنان حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى .

لقد وجد هؤلاء الاستعماريون ان الخطوة الاولى في سبيل السيطرة على لبنان تستوجب مساعدة الموارنة ودعم أدواتهم في الداخل وتشجيع النزعات العنصرية والانفصالية لدى عملائهم .

لذلك غذى هؤلاء تلك النزعات الخطيرة ونموها وتعهدوها بأموالهم ودهائهم بحيث اخذت مفهوماً جديداً ، وأصبحت لدى الكثيرين ، مجرد وليدة لهذه التغذية الاستعمارية الاثمة، واخذ رجال الحكومات الاجنبية، من وزراء وقناصل وعمال مأجورين يعملون على تغذية المشروع الماروني .

وكانت فرنسا تعتبر نفسها حامية النصارى في الشرق، وخاصة الموارنة في لبنان . لذلك دعمت هذه العلاقات السياسية المستترة بثوب ديني بتعهد العلاقات التجارية والارساليات التبشيرية بين لبنان وفرنسا ، ثم ضاعفت عنايتها بالتجارة وأرسلت القناصل وأسست المكاتب والمراكز الثابتة لتسهيل امورها .

اما التبشير فكان الميدان الاوسع لانماء هذه العلاقات. . . وبدأت الارساليات تفد الى لبنان منذ القرن السابع بعد الهجرة - الثالث عشر الميلادي . . . . ورعى ملك فرنسا بنفسه شؤون التبشير، في ذلك القرن وهو لويس التاسع، واهتم ببناء الكنائس، وبدأت فرنسا تستقبل البطاركة والرهبان من لبنان وتعلمهم في مدارسها الدينية على حسابها، وواصلت رعايتها للارساليات في الشرق بالرغم من اضطهادها لها في فرنسا نفسها .

وكان اهتمام فرنسا وتدخلها يـزداد كلما لمست ازدياداً في اهتمام بـريطانيا في الشرق. فقد كان لبريطانيا، هي الاخرى، مطامعها ومصالحها في هذا الجزء من العالم، وكـانت تعتمد في سياستها على التجارة والتدخلات الرسمية والخفية في بلاط الخليفـة الثعماني . . . ثم ازداد الاهتمام الانكليزي ببلاد الشام في القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي عندما أضبحت الهند وشـرق آسيا محـورين رئيسيين للثروة البريطانيـة الاستعماريـة. وأرسلت بريطانيا عشرات الرحالـة والمؤلفين والموظفين لدراسة احوال المنطقة كطريق رئيسية الى الهند .

وقد استطاعت فـرنسا بفضل علاقـاتها الطويلة بـالموارنـة وبفعل امتدادها التاريخي الطويل وبركائزها الاقتصادية الجديـدة وبالنشـاط الثقافي الـذي رافقها، ان تغـرس اوهاماً شتى وايديـولـوجيـة شعبيـة لـدى الاقليـة المارونية، منها على سبيل المثـال «الامة المـارونية»، «المـوارنة جـزء من الأمة الفرنسية»، «فرنسا، الام، الصديقة، الحامية . .»[٧٥] .

ان التغلغـل الاقتصـادي في جبـل لبنان، والـذي رافقـه استعـداد ماروني منذ الحروب الصليبية تحول الى علاقات سياسيـة ـ ايديـولوجيـة مع « الامتيازات » والحمايـة ، وتكاثـر الارساليـات والمـدارس،لـذلـك صار المـوارنة اكثـر استعداداً لتقبـل هذا التغلغـل الاقتصادي في منتصف القـرن الثالث عشر بعـد الهجـرة ـ التـاسع عشر الميـلادي ، وتشكيـل قـاعـدتـه المحلية .

هـذه المقـدمـات كـانت المـدخـل لاحـداث ١٢٥٦ ـ ١٢٧٧ هـ ـ (١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ م) وذلـك حين أراد المـوارنـة بنـاء وطنهـم القـومي المزعوم .

وكانت تلك الفتنة مدخلاً للدول الاوروبيـة الاستعماريـة لتقسيم جبل لبنـان في البداية الى قسمين، قائمقـامية اسلامية في الجنوب وقائمقـامية

مـارونيـة في الشمـال ، تفصـل بينهمـا الـطريق الممتـدة من بيـروت الى دمشق ، ومن ثم لخلق كيان المتصرفية وجعل الحاكمية فيها للنصارى .

الفصل الرابع

حوادث (١٨٤٠ ـ ١٨٦٠)م

ونشوء نظام المتصرفية : الصيغة الأولى للوطن القومي الماروني

التقسيم : دولة مارونية مصغرة

في عام ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠م انسحبت جيوش ابراهيم باشا من لبنان، واستسلم حليفه بشير الثاني، فنفاه الانكليز الى مالطة وعين بشير الثالث اميراً على لبنان،ودخلت البلاد حالة رهيبة من الفوضى دامت حتى عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م .

عندما فشل بشير الثالث في مهمة الحكم اقترح حزب الاقطاعيين بمؤازرة القنصل الفرنسي في بيروت ، ترشيح سلمان شهاب،ورغم ان هذا الاخير كان مسلماً فلقد تربى أولاده على النصرانية وقد عرف عنه ميله اليها .

لكن البطريرك الماروني يوسف حبيش الذي كان يعمل بارشادات وتعليمات البابا اصر على ان يكون امير لبنان مارونياً .

فصرف النظر عن سلمان . واقترح القنصل الفرنسي الأمير الماروني حيدر أبي اللمع خلفاً لبشير الثالث . وكان هذا الامير متمسكاً بمارونيته وصديقاً حميماً للبطريرك ، ومن أسرة تلي الشهابيين في المكانة، ووافق البريطانيون بحماس على ترشيحه للامارة .

وحسب الفرنسيون والبريطانيون أن البطريرك لن يتردد لحظة في

دعم ترشيحهم لحيدر ، وكم كانت دهشتهم عظيمة حين رفض البطريرك مرشحهم وألح على بقاء بشير الثالث على كرسي الامارة ، ولم يكن البطريرك يجهل عدم كفاية حيدر أبي اللمع وإخلاصه لمشاريع السياسة المارونية، الا انه أمل في ان ازدياد الحالة سوءاً على يد بشير الثالث قد يؤدي الى اعادة بشير الثاني،أميره المفضل.

وكانت حجة البطريرك ضد حيدر أبي اللمع أنه لم يتخذ موقفاً حازماً في احداث ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠م، وانه لعدم انتمائه الى الاسرة الشهابية، لن يتمكن من فرض احترامه على الاسر الاقطاعية الكبرى في البلاد . وكانت هذه الاسر تأبى الاعتراف لآل أبي اللمع بتفوق المرتبة ، على الرغم من حملهم لقب الامارة . ولما كان البطريرك الماروني يوسف حبيش نفسه ينتمي الى احدى هذه الاسر ، لم يشأ ان يرى أميراً لمعياً يعلو ، بالمكانة السياسية ، على زملائه المشايخ[1] .

وقد استغل البطريرك ضعف هذا الامير والنفوذ الفرنسي والبريطاني، وأصدر منشوراً وقعه هو وبعض وجهاء الموارنة ووزعه على النصارى داعياً الى القتال[2] .

بسقوط الحكم الشهابي عام ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م انتهى عهد الامارة النصرانية في لبنان . فعينت الدولة العثمانية عمر باشا المدعو بالنمساوي وهو مجري المولد حاكماً على جبل لبنان .

وفي أيامه بلغ التنافس ذروته بين القنصلين الفرنسي والنمساوي في بيروت على حماية الموارنة وبقية الطوائف الكاثوليكية في لبنان فيما احتضن القناصل الروس قضية الروم الارثوذكس .

ورغم ان الصلة الحميمة التي كانت تربط بين الموارنة وفرنسا تعود الى ايام الحروب الصليبية ، الا ان الموارنة لم يقتصروا في طلب المشورة والتأييد على قناصل فرنسا الا بعد سنة ١٢٥٧ هـ - ١٨٤١ م .

وحاولت النمسا تعزيز مكانتها كحامية للأقليات الكاثوليكية فكان بعض المرسلين الكاثوليك ، كالأب اليسوعي ماكسيميليان ريلو الملقب بـ « بونا منصور » يطوف البلاد محرضاً النصارى على النهرض بوجه المسلمين[3] .

ورغم تقرب عمر باشا من الموارنة فان هؤلاء وبقيادة كنسيتهم رفضوا خططه وحددوا هدفهم السياسي بالسعي لتأسيس امارة مارونية تكون سلطاتها في أيد مارونية مع وضع الامارة تحت حماية فرنسا[4]، ولذا رفضوا بعناد الاذعان للسلطة الجديدة واستمروا في ممارسة ضغوطهم من أجل عودة بشير الثاني او اي شهابي ماروني آخر الى السلطة كما رفض الفلاحون الموارنة بتحريض من الكنيسة اعادة الاملاك التي سبق وان صادروها الى اصحابها .

هذا وقد زاد المرسلون الكاثوليكيون والدبلوماسيون الاجانب من حدة التواترات، وكان للاولين اثر كبير في تحريض الموارنة على اللجوء الى العنف ، وربما كان هؤلاء المرسلون هم المسؤولين بالدرجة الاولى عن عنادهم (الموارنة) واصرارهم على اللجوء الى الحل العسكري .
لقد نجحت هذه الجهود، بمعونة الاكليروس الماروني، في تعميق مشاعر التمييز والانفصال عند الموارنة[5] .

اما الدبلوماسيون الاجانب فقد اسهموا من ناحيتهم في الحوادث الدامية عن طريق تدخلاتهم المتواصلة وتقديم مساعدتهم للموارنة . وكانت فرنسة قد وقفت على اهبة الاستعداد لدعمهم عند اي اضطراب واصبح الرهبان الموارنة يرفعون العلم الفرنسي على أديرتهم[6] .

واخيراً عمدت فرنسا الى تسليح الموارنة من اجل الاستعداد للحرب واقامة الوطن القومي الماروني .

ومن ناحية ثانية اصبحت روسيا والنمسا بعد العام ١٢٥٦ هـ -

١٨٤٠ م اكثر تورطاً في امور السياسة في لبنان. فقد شجعت روسيا الروم الارثوذكس على المطالبة باستقلالهم الاداري، في الوقت الذي نافست فيه النمسا فرنسا كحامية للموارنة وكوارثة لنفوذها .

في كانون الثاني عام ١٨٤٢ م - ١٢٥٨ هـ كان الاسطول الفرنسي قد ظهر خارج بيروت لتوكيد الحماية العسكريةللموارنة[٧] . ثم تقرر وبناء لاقتراح كليمنس مترنيخ، رئيس وزراء النمسا تقسيم جبل لبنان الى مقاطعتين ،شمالية يتولى ادارة شؤونها قائمقام ماروني، وجنوبية يتولى ادارة شؤونها قائمقام درزي . تولى ادارة شؤون القائمقامية الشمالية حيدر أبي اللمع وقد رشحه البطريرك نفسه واشتهر بخضوعه للاكليروس[٨] .

في كتابه الذي اصدره عام ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م يقول جسب (jessup) وهو احد المبشرين :

« ان القائمقام الماروني في لبنان الامير حيدر أبي اللمع ضم جهوده الى جهود البطريرك الماروني والقنصل الفرنسي العام لوضع لبنان تحت نفوذ الاكليروس والوصول الى جميع الكاثوليك في سورية تحت نفوذ فرنسة ، كماأعلن الامير حيدر عناقتناعه بأن فرنسا ستحتل لبنان يوماً ما »[٩] .

ولما كان حيدر أبي اللمع على صلة وثيقة بالبابا ويبادله الرسائل والهدايا[١٠] ، فقد اصر على وحدة مصالح النصارى في لبنان وطالب بأن تشمل سلطته جميع نصارى البلاد . وقد لقي في قنصل فرنسا ، بروسبر بوريه ، سنداً قوياً[١١] ، فأضاف بذلك مشكلة جديدة الى قائمة المشاكل .

ان الكنيسة المارونية، التي برزت ضمن الأقلية المارونية كناطق باسم الموارنة ، ونجحت في الاضطلاع بالزعامة السياسية نظراً الى تمتعها بثروة مادية كبيرة، وبجهاز واسع ، ارادت في الواقع اقامة الدولة

المسيحية ذات الطابع الماروني ، على أرض لبنان. ولهذا أعلن البطريرك عن استعداده بجعل « كل لبنان . . . تحت حكم الموارنة » ثم توعد مهدداً بشكل يدل على ان الخطة كانت جاهزة : « ولا بد من توجيه الضربة ، ومن يضرب أولاً ، سيحالفه الحظ بنسبة فرصتين الى فرصة»[١٢] .

ولهذا فان نظام القائمقامية لم يرق كثيراً للموارنة بل راحوا يستعدون لمعركة جديدة .

سعت فرنسا على الصعيد الدولي الى اعادة الشهابيين الى الحكم خصوصاً باكتساب رضى بريطانيا ، وقد وضع انصار الشهابيين املهم في امين شهاب نجل بشير الثاني . ولكن عندما اعتنق هذا الأخير الاسلام عام ١٢٦١ هـ - ١٨٤٥ م تراجعت فرنسا وحلفاؤها عن الحل الذي طرحوه لأنهم لم يرضوا بحاكم مسلم[١٣] .

ولم يمنح مقاطعجيو كسروان الموارنة (آل الخازن) وزملاؤهم في الشمال اعترافهم بحيدر أبي اللمع كقائمقام مسيحي الا بعد تعيينه بعدة أشهر وبعد توسط وإلحاح العثمانيين والفرنسيين،وذلك لأنهم ارادوا هذا المنصب لأنفسهم .

ولارضاء الروم الارثوذكس الذين كانوا يطالبون بحكمهم الاداري الخاص ، اذعنت السلطات العثمانية للضغط وغيرت لقب حيدر من « قائمقام المسيحيين » الى « قائمقام الموارنة »[١٤] .

وقد ازداد نفوذ حيدر أبي اللمع نتيجة الدعم الفرنسي له فألحقت منطقتا بعبدا وجبيل بمنطقة حكمه[١٥] .

راح الموارنة يتباهون بنيتهم في اللجوء الى السلاح ثم اعلن البطريرك عن ضرورة «توجيه الضربة، وان من يضرب اولاً سيحالفه الحظ بنسبة فرصتين الى فرصة » .

ومما قاله « ان الضربة يجب ان تسدد . . فمن كان البادىء

بتسديدها تضاعف حظه من النجاح». وكان الموارنة قد هيجهم رجال دينهم[١٦] .

ولهذه الغاية اجاز البطريرك للاكليروس حشد جيش غير نظامي من المقاتلين، وجمع الاسلحة وخصص لهم الأموال الضرورية، وبغية الهاب المشاعر الطائفية وانهاء أية آمال في الركون الى السلم، صورت الحرب الجديدة للموارنة على أنها «حرب دينية» ضد «اعداء الصليب» الذين «سيبادوا أو يطردوا من البلاد»[١٧] .

ثم تجمهر عدد غفير من الموارنة في منطقة بعبدا، وعلى رأسهم بعض الأمراء الشهابيين، وفي انحاء اخرى من البلاد، جرى تنظيم قوات من النصارى بقيادة بعض الذين اشتركوا في اضطرابات ١٢٥٦ و ١٢٥٧ هـ - (١٨٤٠ و ١٨٤١ م) من امثال ابو سمرا غانم، ويوسف الشنتيري، وغندور السعد .

وقبل ان يبادر الموارنة بالهجوم واحراق القرى اعلن البطريرك لطائفته انها تخوض حرباً مقدسة ثم اندلعت الحرب « وكثيراً ما كان النصارى هم البادئون »[١٨] .

وقد بدأوا بالهجوم على الشوف، ثم زحف اهالي جزين بقيادة ابو سمرا غانم على المختارة واحرقوا في طريقهم ما يقرب من اربع عشرة قرية[١٩]،وذلك في عام ١٢٦١ هـ - نيسان ١٨٤٥م، وقد سعى قنصل فرنسا كعادته الى تشديد العزائم فأشار على حيدر ابي اللمع حرصاً على وحدة الصف ان يطيب خواطر خصومه،مشايخ كسروان وشمال لبنان ، بالتنازل لهم عن حق ادارة شؤون مناطقهم[٢٠].ومع ذلك فان الموارنة فشلوا في حملتهم لأنهم لم يفلحوا في الحصول على الدعم الكافي من الطوائف المسيحية الاخرى ، ومن جهة ثانية فقد كانت قيادتهم منقسمة على نفسها وخططها غير منسقة .

مشروع فرنسي ماروني لتوطين الموارنة في الجزائر

في هذه الاثناء وعلى أثر الهزيمة التي مني بها الموارنة ظهرت في الأوساط المارونية أفكار ومشاريع تدعو للرحيل الى الجزائر والعيش تحت كنف سلطة فرنسا هناك ، وقد رحبت فرنسا بهذا الأمر بعد أن درست الخطة بإمعان وذلك من اجل استخدامهم في إحكام قبضتها على الجزائر والقضاء على ثورة المسلمين هناك .

ولكونهم يشكلون « جزءاً من الأمة الفرنسية في الشرق » ، فقد رأى بوديكور انهم « يقدمون عنصراً فعالاً من اجل قضية » استعمار الفرنسيين للجزائر . وأوضح ان « الموارنة الذين اعطانا اياهم القديس لويس في عمق الشرق أوفياء اكثر من اليهود » .

وقد تحمس البابا « لدعم استعمار النصارى لافريقيا وتوطين الموارنة » بمساعدة « الام الحنون » فرنسا .

ومن أبطال هذا المشروع موارنة وفرنسيون حاولوا بشتى الوسائل العمل على تنفيذ هذا التهجير الى بلد اسلامي آخر ، لتحويله الى وطن لبني مارون بعد تهجير سكانه المسلمين بمساعدة جيش الاحتلال الفرنسي .

وقد كان لتصاعد الثورة الجزائرية وازدياد حدتها وقوتها وعجز الفرنسيين عن مواجهتها عامل حاسم في ابداء الاهتمام والترحيب بهذه الخطة ، في بادىء الامر . وكان لانحسارها فيما بعد أحد العوامل التي أدت الى الغاء المشروع نفسه . ومن أهم هذه العوامل هو ان « دور الموارنة في الشرق » .

وسوف نتتبع ظروف هذا المشروع والمراحل التي مر بها بشيء من التفصيل وصولاً الى العقبات التي واجهته .

في عام **١٨٤٥** م قدم فريق من النازحين الموارنة في مصر طلباً الى قنصل فرنسا العام لتأمين سفرهم الى الجزائر .

وهكذا بدأت « رحلة » مشروع تهجير الموارنة الى الجزائر ، والتي استمرت مدة طويلة وعلى مراحل مختلفة .

في عام **١٢٦١** هـ ـ **٩** أيلول **١٨٤٥** وجه قنصل فرنسا العام في الاسكندرية الى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي برقية تتضمن طلب المهاجرين اللبنانيين تدعمه الاعتبارات اللازمة لتنفيذ مضمونه . وجاء في هذه البرقية التي تعتبر المؤشر الأول لمشروع توطين الموارنة في الجزائر ما يلي :

« لقد توجه عدد كبير من الموارنة الى القنصلية العامة من اجل الحصول على اذن بالعبور الى الجزائر عارضين ان يكونوا مزارعين أو جنوداً ، وان التعليمات التي اعطتها حكومة الملك الى وكيلها في مصر تتعارض ومنح هؤلاء الموارنة الاذن بالانتقال في بواخر الدولة ، كما جاء في طلبهم ، لكنني اعتقد انه من واجبي طرح هذه المسألة امام سعادتكم وامام سعادة وزير الحرب، رئيس المجلس .

الا يمكن ان يصبح هؤلاء الموارنة عناصر جيدة في مسألة استعمارنا لافريقية وهم الذين اذا ما منحوا الاذن بالانتقال الى الجزائر ،

سيلحقهم عدد كبير من مواطنيهم .

انهم مسيحيون بالولادة وقد اثبتوا اكثر من مرة الى اي حد يتمسكون بدينهم وسيتمكن هؤلاء المسيحيون العرب من ممارسة تأثير بالغ على السكان الجزائريين حيث سيجدون انفسهم على اتصال بهم . من جهة اخرى ، بما انهم جميعاً يعرفون تماماً زراعة التوت وتربية دودة الحرير ، فانهم يستطيعون ايضاً ، في هذا المجال ان يقدموا خدمات الى الادارة الجزائرية »[٢١] .

نقل وزير الشؤون الخارجية اقتراح القنصل الى زميله وزير الحربية الذي احاله بدوره على كبار موظفي الوزارة لدرسه . فاستقبله هؤلاء ببرودة مختصرين رأيهم في مذكرة وجهها المدير مستشار الدولة، وتلفت المذكرة الدولة الفرنسية الى المصاريف التي ستتكبدها من جراء هذا المشروع، لأنه يتوجب عليها ليس فقط تأمين انتقال اللاجئين الموارنة الى الجزائر فحسب بل « عليها ايضاً ان تقدم اللازم لعملهم الزراعي وان تزودهم حتى بالغذاء لوقت طويل » .

وختمت المذكرة ملاحظاتها باعطاء اهمية اكثر الى الدور الذي يمكن ان يلعبه الموارنة في الشرق خدمة للمصالح الفرنسية :

« يشكل الموارنة في سورية جماعة متماسكة ، بواسطتهم تمارس الديبلوماسية الفرنسية تأثيراً سهلاً في شؤون الشرق . . . انهم ركيزة رئيسية في كل تدخل فرنسي في حال تفكك الامبراطورية العثمانية .

فانهم يمثلون اذن ، بالنسبة الينا في سورية ، فائدة تستحق الاعتبار ، بينما يصبحون اكثر ضرراً علينا في حال توزعوا مجموعات كثيرة في اماكن عدة من الجزائر » .

رفعت هذه المذكرة الى وزير الحربية الماريشال سولت ولم يكن مقتنعاً بحجج مرؤوسيه فكتب في **٢٩** تشرين الأول ملاحظة ذيل بها

المذكرة، جاء فيها «ان الاعتبارات الواردة في هذه المذكرة واهية، لا بل سطحية» واعتبر «ان نقص فرص العمل والانفاق غير الملحوظ الذي سينتج في موازنة الحرب هما السببان الحقيقيان، ومن المناسب قبل كل شيء، استشارة الحاكم العام للجزائر ومدير الداخلية. لذلك يجب ان يكونا على علم خطي بالنتيجة مع الطلب منهما مراجعة مطران الجزائر العاصمة في هذا الخصوص » .

وفي ٢ تشرين الثاني وجه وزير الحربية رسالة الى حاكم الجزائر بوجو ، يعبر فيها عن ضرورة ازالة المحاذير امام تنفيذ مشروع الهجرة وتأمين المبالغ المالية اللازمة باضافة اعتمادات يقرها مجلسا الشيوخ والنواب ، وجاء في الرسالة : « ان اقامة هؤلاء اللاجئين في الجزائر يمكن ان تثير اعتراضات حكومة اهل البلاد ، وهل من الممكن تحييد هذه المحاذير بتبني أحكام خاصة وباختيار الاماكن الصائبة حيث يمكن ان ندبر أمرهم ؟

اود الحصول على رأيكم في شأن هذه المسألة المهمة قبل ان انفذ مشروع الهجرة هذا . ان نقل هؤلاء الموارنة واقامتهم في الجزائر يحتمان نفقات لم تلحظ في الموازنة. لكنني لا أشك في ان مجلسي الشيوخ والنواب لن يستقبلا بالموافقة الاقتراحات التي سوف أطرحها امامهم في هذا الشأن، اذا كان لا بد لمستعمرتنا من ان تستمد منهم قوة عظيمة » .

الجواب الذي ارسله بوجو في اول كانون الاول لم يكن مشجعاً وقد جاءت في رسالته الى وزير الحربية مجموعة من الشروط :

« اذا كان الموارنة المنوي ادخالهم الى الجزائر يشكلون عائلات ويظلون جماعات منظمة تنظيماً حسناً ، واذا كانوا يملكون قوة في المواد

الزراعية وقطعاناً من المواشي يمكن تحويلها الى عملة عند وصولهم الى ارض الجزائر لكي تساعدهم على استقرارهم فيها ، فانني موافق على الاستفادة من تجهيزاتهم وعلى نقلهم . ولكن اذا كانوا بؤساء، واذا كان من واجب الحكومة ان تقوم بسد ليس فقط مصاريف سفرهم بل ايضاً مصاريف عملية استقرارهم على الأرض الإفريقية ، فانني اعتقد ان هناك عملاً افضل من ذلك » .

لا مجال .

على رغم العطف الذي أبداه وزير الحربية سولت نحو مشروع تهجير الموارنة الى الجزائر الا ان المعارضة التي لقيها المشروع من حاكم الجزائر القوي جعلته بصرف النظر ويتفادى دخول صراع مع زملائه . عندئذ أبلغ زميله وزير الخارجية ان « لا مجال في الوقت الحاضر » لتنفيذ المشروع . وفي رسالة طويلة كتبها في ١٢ كانون الثاني ١٨٤٦ م استند الى الحجج التي قدمها كبار موظفي مكاتبه والتي مر ذكرها سابقاً ، هذه الحجج التي كان وصفها قبل شهرين بأنها « واهية لا بل سطحية »،وأضاف اليها ملاحظات بوجو التي اوردناها سابقاً ، وخلص الى القول : « ... لهذه الأسباب ، اضطررت الى الاعتقاد ان لا مجال ، في الوقت الحاضر، لاعطاء اوامر لتنفيذ اقتراح السيد قنصل فرنسا العام في مصر. وحدها ظروف جديدة تحدث في الجزائر يمكنها ربما تغيير رأيي في هذا الخصوص في المستقبل. آمل ان تفكر معي في انه اذا قضت اعتبارات انسانية وسياسية حكيمة بمساعدة هؤلاء اللاجئين الموارنة الذين يودون الهرب من بلادهم، فان مصلحتنا المتفق عليها، تمنعنا من تشجيع او اثارة هجرات كبيرة تصبح ذات فائدة ملحوظة في الجزائر وتلحق ضرراً بنفوذنا السياسي في الشرق » .

وهكذا انتهت المحاولة الاولى لتهجير الموارنة الى الجزائر بطلب

من بعض الموارنة الذين هاجروا الى مصر .

واثار هذا الطلب ، كما مر معنا ضجة في أوساط الدوائر الفرنسية بعدما حظي بعطف وزير الحرب ، الا ان المسؤولين الفرنسيين ، بعد التشاور في ما بينهم ، حسموا الموقف برفض هذا الطلب خوفاً من دفع بعض المصاريف التي لم تلحظها الموازنة الفرنسية ولأن المصلحة الفرنسية تقضي بابقاء الموارنة في الشرق كتلة موحدة في خدمة نفوذها . خصوصاً ان وضع فرنسا في الجزائر كان في تحسن مستمر وليست في حاجة الى وجود موارنة يثيرون لها المشاكل والحساسيات اضافة الى الخسائر المادية المفروضة على الخزانة الفرنسية لمساعدتهم .

الوضع في الجزائر :

فما هي الحالة التي كانت قد وصلت اليها فرنسا في الجزائر ؟ .

في عام ١٨٤٤ م خاض الماريشال بوجو ، حاكم الجزائر الفرنسي ، حرباً ضروساً ضد ثورة المسلمين هناك اجبرت عبد القادر الجزائري احد قادة الثورة البارزين ، على اللجوء مع جماعة من زملائه الى مراكش (المغرب)،وشنت فرنسا حرباً ضد مراكش انتهت بتوقيع صلح طنجة في ١٠ أيلول من نفس العام ، والذي قضى بسحب جيوش فرنسا من المغرب مقابل عدم مساعدة الثوار المسلمين في الجزائر واعتبار عبد القادر الجزائري خارجاً على القانون ، فتابع عبد القادر ثورته وهو مشرد في الصحراء .

وأدى نهب الاراضي الى تفجير انتفاضة شعبية في ١٢٦١ هـ - ١٨٤٥ م،لكن الفرنسيين ضاعفوا عدد جنودهم ومارسوا أبشع أنواع الاضطهاد العنيف وأصدروا في ٣١ تموز من نفس العام مرسوماً يقضي بمصادرة الاراضي بسبب « التواطؤ مع الاعداء » .

أدت هذه الاجراءات الى تقلص الثورة وتراجع عبد القادر الى الواحات الصحراوية حيث واصل حرب الانصار الى ان تمكن الفرنسيون من أسره وارساله الى فرنسا في نهاية ١٢٦٣ هـ - ١٨٤٧م . والمعلوم ان فرنسا منذ اليوم الاول لاحتلال الجزائر عام ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م حاولت فرنسة هذا البلد عن طريق محو اللغة العربية وتجريد المواطن الجزائري من كل مقومات دينه وطمس معالم الحياة الاسلامية، كما عملت على طرد السكان الاصليين نحو الصحراء والاستيلاء على املاكهم، وكذلك تشجيع سياسة التفرقة العنصرية بين العرب والبربر والتقرب من بعض القبائل والارتباط معها .

ثم اعلنت فرنسا اخيراً ان الجزائر هي قطعة من فرنسا . فتدفق الفرنسيون بأعداد كبيرة الى الجزائر واستولوا على خيراتها وصادروا الأراضي الخصبة .

ان الجزائر في الفترة التي طرح فيها مشروع توطين الموارنة في الجزائر كانت تشهد تصفية ثورتها وتركيز فرنسا نفوذها بتكثيف جيشها النظامي في المدن والقرى .

وهذه الحالة التي تسلح بها معارضو المشروع تذرع بها ايضاً وزير الحربية ، وانتظر تغييرها حتى يدعم رأيه في تهجير الموارنة ، فقال : « وحدها ظروف جديدة تحدث في الجزائر يمكنها ربما تغيير رأيي في هذا الخصوص في المستقبل » .

وبكلام أوضح كأنه يقول ان دور الموارنة هو في لبنان ولسنا بحاجة اليهم في الجزائر وعندما نضطر الى ذلك سنستفيد منهم .

ماذا عن الحالة في لبنان ابان الفترة نفسها ؟

بعد ان خسر الموارنة جولة تموز ١٨٤٥ م - ١٢٦١ هـ أوفدت الدولة العثمانية شكيب افندي الى لبنان حيث اجرى بعض التعديلات والترتيبات بضغط من الدول الاوروبية وثبت حيدر أبي اللمع على القائمقامية النصرانية . حسنت انظمة شكيب افندي وضع الموارنة عامة وتبعتها هدنة استفاد منها المهاجرون والنازحون للعودة الى مناطقهم . وصرف النظر عن مشروع التوطين ولو الى حين .

مشروع بوديكور :

ما كاد يسدل الستار على المشهد الأول حتى أعيد طرح موضوع هجرة الموارنة مجدداً . ذلك ان الموارنة استمروا في عنادهم وتصميمهم على الحرب وبعث الفتن والاضطرابات .

وهذه الحالة كانت تثير بلا ريب اهتمام الرأي العام الفرنسي الذي قدم حلولاً عدة منها اقتراح طرحه بوديكور (Baudicour) وهو كاتب سياسي معروف ، وقد عمل على تنفيذه بشتى الوسائل وتابعه مع مختلف الجهات المختصة . فطلب من الحكومة الفرنسية ان « تجمع الأمة المارونية في الجزائر » لأنه حسب رأيه اذا لم تتمكن فرنسا من نجدتهم وهم « جزء من الأمة الفرنسية في الشرق » كما قال فعلى الأقل يتوجب عليها ان تقدم «الملجأ للثوار المغلوبين»[٢٢] .

واعتبر بوديكور أن « ادخال العنصر المسيحي الاكثر ملاءمة لعادات البلد « الى افريقيا أمر مفيد من أجل الوقوف في وجه العنصر اليهودي والعنصر الاسلامي .

بدأت مساعي بوديكور في العام ١٢٦٣ هـ - ١٨٤٧ م ويومها طلب من وزير الحربية ان يقيم الموارنة في الجزائر على ان يتم نقلهم بواسطة

سفن الدولة التي كانت تقود الحجاج الى مكة .

لكن الوزير الحريص على عدم اثارة الباب العالي (الدولة العثمانية)، فضل عدم البدء بعمل كهذا ، لكنه وعد ، بواسطة السيد دوكارني (Decarné) مدير القنصليات ان يساعد في تسهيل التوطين الماروني في الجزائر اذا ما ارتأى الحاكم العام ان هذا التوطين مفيد في المستعمرة[٢٣] .

وخلف الدوق دومال (Duc d' Aumale) الماريشال بوجو وكان الحاكم الجديد للجزائر اكثر ميلاً الى الموارنة من سلفه ، اذ اعلن انه مستعد لأن يحاول تجربة باستقبال مئة او مئة وخمسين عائلة مارونية يتسلمون أراضي وبذوراً وأدوات زراعية مع ثيران للفلاحة وأسلحة . وكان يتمنى ان تضم كل عائلة بين اعضائها : « رجالاً كثيرين اشداء قادرين على استعمال البندقية »، وذلك لأنه كان يحلم بتنظيم هؤلاء المستوطنين في عصابات مسلحة تشارك الفرنسيين في اعمالهم العسكرية ضد أبناء الجزائر، ويؤكد اوكابيتان (Aucapitaine) :

« كان الدوق يأمل في ان يجد في النصارى العرب نواة لفيلق خيالة من اجل مناهضة المسلمين العرب ، هذه النواة تعرف تكتيكهم الذي كنا نجهله آنذاك » .

وفي ١٥ كانون الاول ١٨٤٧ م وجه حاكم الجزائر الى وزير الحربية رسالة جاء فيها :

« ان الجبليين اللبنانيين الاشداء الجلودين والقانعين ، يقدمون عنصراً فعالاً من أجل قضية استعمارنا للجزائر ، وكونهم عرباً في الدم والعادات واللغة فانهم ينتصرون بسهولة على صعوبات المناخ اكثر من

السكان الاوروبيين ويتحملون ، أفضل منهم ، الاعمال الشاقة في الحقول الجزائرية » .

واعتبر ان الموارنة سيصبحون « مدافعين اشداء عن علمنا في حالات الحرب وربما مبشرين مسالمين للأفكار المسيحية في حالات السلم » . ورأى فيهم « ضمانات أقوى بكثير مما قدمه ويقدمه الينا (الى الفرنسيين) المهاجرون العديدون من مختلف امم اوروبا » .

واقترح على وزير الحربية درس هذا الموضوع مع وزيري الشؤون الخارجية والبحرية، وتسهيلاً لتنفيذ المشروع يقول : « فان المستوطنين السوريين يمكنهم الحصول لدى وصولهم على : اثاث المخيم ، أراض تناسب حاجاتهم (١٠ الى ٢٠ هكتاراً تقسم على العائلات حسب المناطق) ، ادوات زراعية ، بذور، ثيران للفلاحة ، حصص من الطحين والرز لمدة ثلاثة أشهر ، اسلحة، مواد للبناء. في مقابل هذه المنافع، تفرض الحكومة على كل عائلة وافقت على الاستفادة من مساعداتها، ان تقدم رجلاً او بضعة رجال أقوياء قادرين على استعمال البندقية » .

ما ان وصلت رسالة الحاكم العام الى وزارة الحربية حتى تناقلتها المكاتب وذيلتها بملاحظات نقدية ، خاصة ان الحكومة وفريقاً من الرأي العام في ذلك الوقت ظهرا معاديين لكل من يطالب بادخال اناس جدد الى افريقيا ، وقد ارتأى البعض: « ان اتصال مسيحيين ومسلمين في البلد ذاته ، هو أمر خطير » . وذكرت مكاتب وزارة الحربية برأي بوجو المعارض للتوطين. ولمحت الى ان الموارنة الذين دخلوا الجزائر في ١٢٦٢ هـ - ١٨٤٦ م كان يجب اعادتهم الى وطنهم، كما اثارت ايضاً عدم كفاية الاعتمادات المخصصة للاستعمار .

في هذه الأثناء نفد صبر الدوق دومال، فطلب في ٢١ شباط ١٨٤٨ جواباً حازماً على اقتراحاته ، وكتب يقول انه سيضع « شرطاً على العائلات التي تود الاقامة ، وهو أن تدفع هذه العائلات دفعة سابقة للدولة من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ فرنك تستعمل لاقامة المستوطنين ولتأمين اللوازم »[٢٤] .

شركة تجارية

وقبل ان يحصل على الجواب طرأت اضطرابات في فرنسا وتغييرات حكومية أجبرت الدوق دومال على مغادرة الجزائر وانسته الموارنة مؤقتاً . اما لويس دوبو ديكور الذي كان وراء تحريض حاكم الجزائر ، فانه لم ييأس ، ووجه في ٢٤ آذار ١٨٤٨ م رسالة الى وزير الخارجية الجديد (دولا مرتين) يعرض له فيها مساعيه السابقة لاقامة مستعمرات مارونية في الجزائر .

وما دام هذا المشروع قد تعثر فقد اقترح مشروعاً جديداً من دون اي تكاليف يمكن - على حد تعبيره - « من استعمال الموارنة الذين يفتشون عن ملجأ على نحو أفضل » ، ويقضي بانشاء « شركة تجارية تقيم على حسابها عائلات مارونية في المواقع الفرنسية المتقدمة وفي مدن الداخل التي لم تدخلها بعد الجيوش الفرنسية .

وبهذه الطريقة تنشأ شبكة واسعة في مختلف المناطق الجزائرية من تجار عملاء أوفياء ومخلصين لفرنسا وفي الوقت نفسه وسطاء مفيدين لكل علاقات فرنسا مع الأهالي » .

رحبت الحكومة بهذا المشروع ، كما يقول بوديكور ، ووعدت بدعمه . ولأنه في حاجة الى رجل ماروني يكون على رأس هذه العملية المهمة، توجه بوديكور الى مرسيليا ووقع اختياره على مرعي الدحداح لكونه محترماً في الوسط الماروني، وبسبب وضعه التجاري ووفائه لفرنسا. . ويقول بوديكور أنه اتفق مع مرعي الدحداح الذي عرض عليه ان يذهبا معاً الى الجزائر العاصمة وأن يبقي الدحداح فيها احد ابنائه وصهره لادارة المركز الرئيسي لهذه العمليات، ويذكر انه خلال زيارته للبابا بيوس التاسع للحصول على بركته « شجعني بقوة، ولاعطائي الثقة سجل لنفسه عشر حصص من الف فرنك في شركة افريقيا والشرق التي تعمل على استعمار المسيحيين في افريقيا وتوطين الموارنة » . وينهي رسالته بالطلب من الوزير دعم مشروعه(٢٥) .

وكان بوديكور سجل في مرسيليا في ٢٢ شباط ١٨٤٨ « شركة افريقية والشرق » وهي مؤسسة شراكة ما بين لويس جوزيف كوليت دوبوديكور المالك المقيم في الجزائر المدينة شارع ديسلي وكل الأشخاص الذين يوافقون على الهيكلية الحالية » .

يحدد البند الثالث هدف الشركة وهو « توظيفات عقارية في افريقية وتنمية الاراضي التي منحت أو أي نوع آخر من الالتزامات من اجل دعم استعمار المسيحيين . وعمليات تجارية بين المسيحيين والمسلمين في الجزائر وفي حوض المتوسط »(٢٦) .

ولتدعيم الاستعمار الفرنسي في الجزائر اتخذت الجمعية الوطنية (مجلس النواب الفرنسي) في ١٩ أيلول و ١٨ تشرين الثاني ١٨٤٨ مجموعة قوانين من اجل « انشاء قرى زراعية يسكنها باريسيون » ولم تنفذ هذه القرارات كما يجب ، فظل بعض المستوطنات خالياً ، عندئذ طرح

بعض ممثلي الشعب على بساط البحث « قضية الموارنة »(٢٧) .

وفي ٦ تشرين الاول ١٨٤٨ م وجه قنصل فرنسا العام في بيروت رسالة الى وزير الخارجية يطلب فيها ان « تمنح الجمهورية الفرنسية الموارنة في احدى مقاطعات الجزائر ما رفض الباب العالي منذ زمن طويل اعطاءهم اياه في لبنان »(٢٨) .

مستفيداً من المناسبة التي أظهرت امكان الرجوع الى تدبيره القديم ، وجه بوديكور مذكرة الى وزير الحربية في ٢٧ أيلول ١٨٤٩ م عنوانها « اقتراح بوضع سكان موارنة في الجزائر » . عرض فيها المنافع التي تقدمها الهجرة اللبنانية على الصعد الزراعية والإقتصادية والسياسية . ومن الحجج التي قدمها : « تماثل المناخ بين سوريا وافريقيا » ، وهذا المجال يؤكد ضرورة السعي « من اجل ان نكمل أرضنا الفرنسية بالأرض الافريقية . وان نؤمن خصوصاً في الجزائر ، المنتوجات التي نستوردها من الخارج » .

وعن تكاليف المشروع يؤكد « ان هذه المصاريف ستكون ، نظراً الى قناعة الموارنة ، اقل بكثير من تلك التي صرفناها لاقامة المستوطنين الاوروبيين » ، ولن يترتب على الحكومة « سوى نقل المهاجرين من سوريا الى افريقيا » .

ومن اجل الابقاء على التلاحم وحسن السلوك بين الموارنة يقترح بوديكور « ان ندعهم تحت نفوذ الاكليروس الرهباني القادر في لبنان » ، ودعا الى تأسيس دير للرهبان الى جانب مواطنيهم ليساهموا في تعمير المستعمرات » ، ويشترط ان تسلم هذه المهمة الى كهنة « غير ملتزمين البتولية » لأن ذلك يغيظ الأكليروس الفرنسي ، وتنتقل المذكرة الى دور الموارنة كتجار ، داعية الى « تكوين شبكة من مسيحيي اللغة العربية » قادرة على ان تحل « محل اليهود الوسطاء الالزاميين بين الاوروبيين

والسكان المحليين الذين يحتقرونهم » . ولأن الموارنة من اصل طائفي واحد سيشكلون في ما بينهم نوعاً من « الاتحاد التجاري » الذي يسهل عملياتهم ويسمح لهم بتحمل « المنافسة الاسرائيلية التي يجهد الفرنسيون في سبيل مواجهتها » .

ويؤكد بوديكور أن فرنسا « لا يمكنها مطلقاً الاعتماد على عرفان جميل اليهود ولو كانت هي التي خلصتهم من الحالة المهينة التي كان يبقيهم فيها الاتراك . اذ أن الهم الخاص بمصالحهم النقدية يوجه عواطفهم نحو الامة التي يقيمون معها علاقات اكثر ، اي انكلترا » .

ويخلص بوديكور الى اعتبار الموارنة « الذين اعطانا اياهم القديس لويس في عمق الشرق » اوفياء اكثر من « مواطنينا اليهود » لأن معظم هؤلاء عملاء لأنكلترا .

ومن الفوائد العظيمة التي سيجنيها الموارنة نتيجة اقامتهم في الجزائر واحتكاكهم بالمستوطنين الاوروبيين اعتياد الحياة الحديثة مما سينعكس بدوره على « علاقاتهم مع مواطنيهم الذين بقوا في سوريا » . وهذا يؤدي الى « تخلي هؤلاء عن التنظيم الاقطاعي القائم منذ أيام الصليبيين واعتماد المؤسسات الاكثر ملاءمة للحضارة الغربية . وسوف يستفيد النفوذ الفرنسي من هذا التحول الذي سيضع الموارنة الذين نحميهم في الصف الأول من الامم المتمدنة » .

ويوضح أن مشروعه لا يقضي بنقل كل الموارنة الى الجزائر واضعاف موقف فرنسا بالتالي في الشرق بل الاكتفاء « بإقامة بضعة آلاف من الموارنة في الجزائر وهجرة محدودة كهذه لا تعرض النفوذ الفرنسي للأذية » .

وبقي اقتراح بوديكور مدة طويلة بلا جواب ، وأحيل على الحاكم العام في الجزائر ، وحتى نهاية ١٢٦٨ هـ - ١٨٥٠ م لم يكن أبدى رأيه

لأنه « طرح في غير محله » كما قال .

اما مكاتب باريس فظلت على رأيها على رغم تبدل الحكومات في فرنسا ، وفي ٧ آذار ١٨٥٠ تسلم المكتب الأول في ادارة شؤون الجزائر مذكرة من فهيم شدياق يطلب فيها تسهيلات من اجل التوطين في الجزائر فعلق عليها رئيس المكتب برسالة موجهة الى وزير الحربية جاء فيها : « ان تأسيس مستعمرات زراعية يمتص مبالغ طائلة . . . فلا يمكن في هذه الحال منح الأجانب ما نحجبه حتى عن الفرنسيين » .

كانت هذه المذكرة تأكيداً جديداً على استمرار سياسة مكاتب فرنسا الرافضة لمشروع توطين الموارنة في الجزائر .

ولكن بعد حوالي شهر كان رأي هذه المكاتب مغايراً تماماً ، ففي ٢٠ نيسان ١٨٥٠ أوكلت ادارة شؤون الجزائر الى الجنرال دوماس (Daumas) الذي لم يكن يشاطر سلفه تحفظاته فيما يخص الموارنة ، وكان ايجابياً بالنسبة الى الاقتراح الذي تلقاه من الاب عازار بالنسبة الى توطين الموارنة في الجزائر .

مشروع « الاب عازار » مندوب البطريرك الماروني

كان لرجال الكنيسة المارونية دورهم في هذا المشروع .

فقد جاء الاقتراح هذه المرة من جان عازار الوكيل العام لمطران صيدا آنذاك ومندوب البطريرك الماروني الذي أوفده سنة ١٢٦٠ هـ - ١٨٤٤ م بموافقة بعض الزعماء الموارنة الى اوروبا لعرض وجهة نظرهم. وقام بحملة واسعة في هذا المجال وله كتاب بعنوان « الموارنة حسب المخطوطات العربية » .

اقتـراح عازار شبيـه بمشروع بـوديكور لكنـه اكثر دقـة في التفـاصيـل وعرض وسائل التنفيذ . وقد وجه رسـالته الى وزيـر الحربيـة في باريس في ٩ أيلول ١٨٥٠ م .

استهل مذكرته بتـأكيد مسؤ وليتـه الكنـسيةو « المكلف كامـل سلطات بـطريـرك انـطاكيـة المـاروني » ، ممـا يـوحي ان اقتراحـه ليس لـه طـابـع شخصي ويشيـر الى « ان انشـاء مستعمرات مارونيـة في الممتلكات الفرنسية في شمال افـريقيا كان بمثابة مسألة اعيـد البحث فيها تـكراراً » ، ممـا يدل على ان عازار كان على اطلاع كامل بالمقترحات السـابقة التي طـرحت في مراحل مختلفة في شأن الموضوع نفسه .

ثم يبـدأ بشرح فـوائد المشـروع من وجهة نـظر الموارنـة ، واعتبر ان دعم فرنسا لهم لم يعد كافياً ، لذلـك يتوجب على الحكـومة الفـرنسية « ان تقدم الى السكان المـوارنة الـذين قرروا مغـادرة منازلهم ملجـأ في اراضيها في الجزائر » .

واكد ان الموارنة سيقومون بدور الـوسيط بين الفرنسيين والجـزائريين فالتقاليد والعادات غير مختلفة . كمـا ان باسـتطاعتهم انتاج انـواع من الزراعـة تفتقـر اليهـا الأسـواق الاوروبية .

وبمـا ان تنظيم المـوارنة نـوع من التنظيم الاقـطاعي فان « الحكـومة المحلية تجد فيهم كل انصياع لسلطتها » . وما دامـوا اعتادوا حمـل السلاح « فسيكونون حلفاء مخلصين ذوي فائدة للسكان الاوروبيين . واخيـراً ، ان تقشفهم واعتيـادهم المناخ وتقـاليدهم سيسمـح بـإقامتهم بمصـاريف قليلة جداً . . . » .

وينتقل عازارا الى عرض الناحية الماليـة من مشروعـه ، فيقترح نقـل

« عشـرة أشخاص من اكثـر المـوارنـة وجـاهـة ، ليختـاروا أراضي بين تلك التي يمكن للسلطة ان تضعها تحت تصرفهم » .

وهـذه الخطوة ضـرورية حتى يتمكنـوا من اجراء الحسابات الـلازمة « بالمنـافـع التي وعدوا بتقـديمها لحـظة الهجرة » ، وهي بمثـابة « الاختبـار الذي يخدم فقط اثبات الهجرة ونفعها » .

ويقـدم عرضـاً بالاعتماد المـطلوب من الخزينـة الفرنسيـة ، ويحـاول بشتى الـوسائـل خفض قيمته لئـلا يـرهق وزارة المـال ويعـطل المشـروع . ويبـدو من كلامـه انه تشـاور مع البـطريـرك المـاروني يـوسف الخـازن ومـع بعض زعماء الموارنة في تسهيل الهجرة المارونية فيقول :

« فـالبطريـرك والزعمـاء المرتبـطون بسلطته يشـددون على ان يكـون المهاجرون الاوائـل ذوي ثروة متـوسطة، مـزودين قدر المستـطاع بأعمـال، بأثاث وبـأدوات مهمتهم». حتى يتمكنوا من تـأمين حاجـاتهم على نفقتهم، على ان تقـدم اليهم الـدولـة الفـرنسيـة «تسليفـات ليعيشـوا حتى مـوسم الحصـاد». بينمـا يفضل عـدم البـدء بتهجيـر «معـدمي المـال»، وذلـك «للمصلحة الذاتية للخزينة الفرنسية » لئلا تتحمل النفقات عنهم .

ويؤكـد عـازار ان الحكـومـة ستتـوصـل في النهـايـة الى تحصيـل تسليفـاتها وأكثـر »، لكنه يـطلب في البدايـة تأمين مبلغ «٥٠٠ (خمسمـائة) فرنك لكل عائلة بمعـدل خمسة أشخـاص للعائلة الـواحدة، وكـاختبار أول فـان مبلغ ٥٠ (خمسين) الف فـرنـك يكفي لاقـامـة مـركـزين من خمسين عـائلة للمركز الواحـد. ويمكن بهذا المبلغ وان كـان ضئيلاً نسبيـاً القيـام بعمل جيد » .

ويـدعو أولاً إلى اختبـار الهجرة بنقـل مئة عـائلة مارونيـة اي حـوالي خمسمائة شخص، ويتعهـد بأن « تستمـر هذه الهجـرة لوحدها في مـا بعد

خارج اطار اية مساعدة مالية » مستنداً الى مساعدات الفريق الميسور من الموارنة .

ويختم رسالته بتحديد اماكن التوطين وهي « مقاطعة الجزائر العاصمة على طريق بليدا في ميليانا او من هذه المدينة الى تشرشل » . ويتعهد بأن « يلتزم المستوطنون الجدد تأمين حمايتها (طرق المنطقة) وسلامتها »[٢٩] .

الجواب الفرنسي .

احيلت الرسالة على « ادارة شؤون الجزائر » التي كان يرئسها الجنرال دوماس ، فاستقبل الاقتراحات بالموافقة ، ورفع تقريراً الى وزير الحربية في ٣٠ ايلول ١٨٥٠ م أعده رئيس مكتبه تستو (testu) وقد ركز تقريره على البحث في مواقع المناطق المناسبة للتوطين بعدما فند الاعتراضات الموجهة الى هذا المشروع .

استهل التقرير مذكراً بأنه سبق أن « قدمت في هذا الموضوع ثلاثة اقتراحات متتالية لإدارة الحربية » . واستخلص سببين رئيسيين يؤكدان ضرورة اهتمام الحكومة بهذا المشروع .

الأول : « سيقدم الينا الموارنة ضمانات كبيرة في الاخلاص بواسطة ايمانهم الديني وتعلقهم بفرنسا . . . مما يجعلهم المدافعين بحرارة عن علم بلادنا أيام الحرب » .

اما السبب الثاني : فان الموارنة « سيتغلبون على كل المصاعب التي يلاقيها في الجزائر مستوطنونا الاوروبيون لكونهم أشداء وصبورين وقنوعين ومعتادين مناخ الشرق . . . وعندهم كفاية خاصة في أعمال كل الزراعات الصناعية التي لفرنسا مصلحة في نشرها في المستعمرة ، كالحرير والقطن والتبغ والزيتون » .

وعن النفقات المالية التي تعرض لها عازار يوضح التقرير ان « الخمسين الف فرنك المطلوبة لإقامة خمسمائة ماروني ستضاف اليها مصاريف نقل المهاجرين ، ولكن على رغم ذلك ، لن تشكل هذه النفقة ، بالمقارنة مع سابقاتها ، إلا عبئاً معتدلاً على الخزينة . . » .

اما عن طريقة التعويض فيعرض التقرير ثلاث وسائل هي :

- التسديد المقدم من الاب عازار .

- سحب جزء من النفقة من الاعتمادات العادية للاستعمار من موازنة ١٨٥١ م .

- تقديم طلب اعتماد خاص من الجمعية الاشتراعية .

ويشير التقرير في مايخص اختيار اماكن السكن ، الى منطقتين :

الاولى : وضع الموارنة في بعض القرى المبنية للمستعمرات الزراعية للعام ١٨٤٩ م (١٢٦٧ هـ) والتي لم تسكن بعد، لكن التقرير يستبعد هذا الحل اذ «ستتضاعف المصاريف الخاصة بإقامتهم . . . في منازل كلفت مصاريف باهظة، فضلاً عن ان هذه القرى لا تفي بالشروط الجغرافية » .

الثانية : يفضل التقرير ، من الوجهة الصحية والسياسية ان يقيم الموارنة « في منطقة الهضاب على حدود الاراضي التي يحتلها الجيش » ، بعد موافقة الحاكم العام للجزائر .

ثم ينتقل التقرير الى تفنيد الاعتراضات الثلاثة التي سبق أن وضعتها « ادارة شؤون الجزائر » في وجه المشروع الأول عام ١٢٦١ هـ - ١٨٤٥ م :

١ - يؤكد التقرير ان اعتراض مسلمي الجزائر على الهجرة غير مبرر خصوصاً « ان السلام يعم المستعمرات كافة » . وبالفعل تمكن

الفرنسيون في عام ١٨٤٧ م من أسر عبد القادر الجزائري قائد الثورة نتيجة لخيانة سلطان مراكش. ومن بعده أصبحت كل البلاد في قبضة الفرنسيين . وقامت انتفاضات عدة توصل الفرنسيون الى قمعها ووضع حد لها .

٢ ـ ان عادات الموارنة تسهل عمل الحكومة و « ستجد فيهم رضوخاً ثابتاً للسلطة واحتراماً مطلقاً للقوانين واكبر التسهيلات في مجال الادارة » .

٣ ـ يقلل التقرير من أهمية « المحاذير الممكنة لهذا الاجراء » ويقترح على وزير الشؤون الخارجية « ضرورة الاتفاق مع الباب العالي العثماني » على موضوع الهجرة المارونية تفادياً لأي إشكال .

ويختم التقرير أن مشروع وكيل عام مطران صيدا «يجب ان يقبل بحرارة»، ويقترح على وزير الحربية اجراء خطوتين عمليتين :

الاولى : الطلب من وزير الشؤون الخارجية «وضع الاجراءات الضرورية لئلا يترك تفنيد المشروع مجالاً لأية صعوبات ديبلوماسية، أي الاتصال بالجهات المختصة العثمانية تفادياً لمعارضتها » .

الثانية :«دعوة الحاكم العام للجزائر الى تعيين المناطق الاكثر مناسبة لاقامة الموارنة » .

وفي ٣ تشرين الأول من نفس العام ، ١٨٥٠ م،لخص دوماس التقرير السابق في مذكرة ثانية موجهة الى مجلس الوزراء وطلب « ان تتم الموافقة على هذا المشروع والتمس تعويضاً للمباشرة بالاجراءات الضرورية من اجل تأمين تنفيذه » .

وتفاعلت المسألة في الأوساط الحكومية الفرنسية ، وتم تبادل رسائل عدة بين الحاكم العام للجزائر ووزراء الحربية والبحرية والشؤون

الخارجية .وفي ١٨ حزيران من العام التالي وضع وزير الحربية دراسة مفصلة عن تحديد « نقاط الداخل التي يمكن وضع مئة عائلة فيها » .

فأجاب الحاكم العام للجزائر في ٢٥ ايلول استناداً الى تقرير شامل وضعه في ٩ ايلول الجنرال دوما كماهون، وهو احد القادة الفرنسيين،وقد شارك في حملة الجزائر ولعب دوراً بارزاً في حملات التنكيل وتسلم قيادة مقاطعة وهران، ثم شغل مركز الحاكم العام للجزائر من ١٢٨١ الى ١٢٨٧ هـ (١٨٦٤ الى ١٨٦٠ م) وتسلم مقاليد الجمهورية الفرنسية من ١٢٩٠ الى ١٢٩٦ هـ ـ ١٨٧٣ الى ١٨٧٩ م) .

ماذا يقول الجنرال ماكماهون في تقريره ؟ .

ركز على الاماكن الجزائرية الصالحة لإقامة الموارنة واختار، طبعاً، المناطق المواجهة لمعاقل الثوار الجزائريين، وبعد اعتقال عبد القادر الجزائري في عام ١٢٦٣ هـ ـ ١٨٤٧ م احكم الفرنسيون قبضتهم على البلاد ما عدا واحات الجنوب النائية ومنطقة القبائل الجبلية . لذلك اختار ماكماهون وضع « سكان لبنان المسيحيين ذوي العادات الوسيطة بين الأوروبي والعربي في مراكز عسكرية يحسن اختيارها ، لانه يمكن ان يصبحوا المساعد الغالي لنا في أيام الحرب » .

والمكان الذي تتوافر فيه هذه الشروط هو وادي المقرة بين بلعباس وتلمسان ، ولهذا المركز اهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة . فاحتلال هذه النقطة القائمة على ممر القوافل التي تدخل « التل » ستسمح بمراقبة تجمعات خيالة الجنوب ومنعها، خصوصاً ان هذه المنطقة ما زالت «خالية من اية حامية عسكرية».

ويقترح ان تضع الدولة تحت تضرف الموارنة من ٤٥٠ الى ٥٠٠ (اربعمائة وخمسين الى خمسمائة) هكتار من الأراضي لإقامة ستين عائلة منهم . اما الاشغال لاستصلاح الأراضي فيقوم بها «المحكومون تأديبياً او

المحكومون عسكرياً ، او الموارنة أنفسهم الذين سيقيمون مؤقتاً في الجوار تحت خيم او تحت بيوت من اغصان الاشجار » .

والمكان الثاني الذي اختاره ماكماهون للموارنة هو « عين الحد التي تشكل ايضاً عقدة في سبيل الاتصالات التي من المهم تأمين امتلاكها ، فهذا المكان بعزلته وبعده لا يستقبل اوروبيين ، وهو يناسب تماماًأسكاناً محاربين آتين من لبنان » . ويقترح ان تقدم الدولة بين الفين والفين وخمسمائة هكتار لاقامة حوالي سبعين عائلة .

ويتابع الجنرال عرض الاماكن الصالحة والمناسبة لاستقبال الهجرة المارونية ، ويخلص الى تأكيد دعمه لهذا المشروع :

« سأكون مسروراً جداً باستقبال هذه العائلات المارونية ، ويمكنك ان تكون مقتنعاً بكل التفاني الذي نضعه كلنا ، لمساعدتهم في الاقامة الحسنة في مقاطعتنا » .

ان الحماسة في تأييد هذا المشروع لم تكن مقتصرة على ما كماهون وحده بل شاركه فيها وزراء آخرون .

فقد أرسل وزير البحرية في ٢٥ أيلول ١٨٥١ م رسالة الى وزير الحربية يعلن فيها استعداده لتسهيل نقل المهاجرين ، ويضع مركباً بخارياً قديماً في تصرف وزارة الحربية ، على ان يتولى التنفيذ قائد البحرية في طولون الذي سيؤمن ابحار الموارنة من بيروت الى الجزائر. اما عن مصاريف النقل فقد تكفلت وزارة الحربية بتسديد تكاليف المحروقات والغذاء وأخذت البحرية على عاتقها مصاريف المنامة. وحسب تقدير وزير البحرية ان مصاريف السفر التي ستدوم تسعة عشر يوماً ستبلغ ٥٠٦٠٠ (خمسين الف وستمائة) فرنك لنقل خمسمائة مسافر .

رفض عثماني

ومن أجل تأمين كل التسهيلات لانجاح اقامة الموارنة في الجزائر بعث وزير الحربية برسالة الى وزير الشؤون الخارجية في ١٨ حزيران ١٨٥١ م يطلب فيها ان يقوم السفير الفرنسي في الاستانة بالاجراءات الضرورية من اجل الحصول على موافقة السلطان لئلا تضع الدولة العثمانية عقبة امام سفر الموارنة كونهم رعايا عثمانيين ولم يلق هذا الاقتراح آذاناً صاغية في القسطنطينية، فرد وزير الشؤون الخارجية في ٢ تشرين الأول على وزير الحربية:« ان ممثلنا السيد دولا فاليت (La Vallette) لم يتمكن من اقناع الوزراء الاتراك بآرائه » .

وتمسك وزير الخارجية بالرفض العثماني ليقف في وجه تنفيذ مقترحات « الاب عازار » التي لقيت الدعم من الحاكم العام للجزائر ووزيري الحربية والبحرية . ورفضت الحكومة الفرنسية ان ترعى الهجرة المارونية رسمياً لئلا تسوء علاقتها بالآستانة، وفي الوقت نفسه لم توافق على منع الموارنة من دخول افريقيا اذا حاولوا الاقامة فيها ، لكنها تشددت في طلب الموارد الكافية منهم لئلا تقع هذه الموارد على عاتق الادارة .واستقبلت ببرودة بعض الطلبات التي رفعها موارنة يرغبون في الاقامة في الجزائر .

أسد شهاب يطالب بإقرار المشروع

في ٣ أيار ١٨٥٢ م بعث دولو سابس قنصل فرنسا العام في بيروت برسالة الى وزير الخارجية يبلغه ان « الأمير أسد شهاب » جاءه يستعلم عما اذا كانت الحكومة الفرنسية مستعدة لقبول فلاحين موارنة ، بصفة مستوطنين في الجزائر ، وهو يقودهم بنفسه ، وما هي الشروط التي ستفرض عليهم ؟ وما هي الامدادات التي ستمنح لهم من أجل مصاريف الاقامة الأولى ؟ .

ويعزو القنصل سبب هذه الهجرة الى ان وضع عائلة شهاب أصبح مزعزعاً « بعد هزيمة محمد علي وعزل الأمير بشير وابنه وخليفته،بشير قاسم ملحم،والغاء الحكم الذاتي اللبناني ، مما دفع بالأمير اسد شهاب الى التفكير في ترك سوريا » .

ورفع القنصل طلب الأمير أسد الى وزير الخارجية موضحاً ان النفقات التي توجبها هذه الهجرة لن تعوض بمنافع مهمة لأن الماروني كما يقول دولو سابس « لا يملك الصفات الضرورية ليقود جيداً مشروعاً كهذا » .

واكدت باريس رفضها مجدداً هذا النوع من المشاريع ، وانسجاماً

مع قرارات الحكومة السابقة كتب وزير الحربية الى وزير الشؤون الخارجية في ١٤ حزيران من نفس العام يقول : « لا يمكن للحكومة ان تسهل هجرة الأمير أسد شهاب وبعض العائلات المهيأة لتلحق به الى الجزائر وذلك للاسباب التي كانت وراء رفضها طلب مطران صيدا .

واذا أصر الأمير أسد على الانتقال الى الجزائر فما عليه إلا أن يقوم بذلك على نفقته الخاصة . . . يجب على كل عائلة تريد ان تستقر في الجزائر ان يكون في تصرفها رأس مال لا يقل عن ١٢٠٠ (الف ومئتي) فرنك ، ولن يسلم قنصل فرنسا في بيروت جوازات سفر إلا الى العائلات التي تثبت أنها تملك هذا المبلغ من المال » .

وما كاد يطوى طلب أسد شهاب حتى عاود جان عازار تحركه من جديد . وكان قد عاد الى لبنان سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ م بعدما طرد من الأراضي الفرنسية وادعى بأنه مكلف « بمهمة شخصية خاصة » هدفها تجنيد عائلات مارونية ليقودها الى الجزائر . وعندما علمت الحكومة الفرنسية بتحركاته أكدت قرارها السابق وأبلغت القنصل العام في بيروت أنها لم تكلف عازار بالمهمة التي ادعى توليها وطلبت اليه التشدد في اعطاء جوازات السفر .

وهكذا فعلى الرغم من تضامن قيادات فرنسية بارزة مع مشروع عازار ، لكن مصالح فرنسا وعلاقتها بالأستانة والمحافظة على دور الموارنة في الشرق لخدمة مخططاتها بعدما حسمت الأوضاع في الجزائر لمصلحتها ، كل ذلك أدى الى تعطيل المشروع ، وانقاذ الموارنة من الدخول في النفق المظلم .

مشروع والماس

تلاحقت فصول « الهجرة المارونية » وتنوعت ، وما كاد أن يسدل الستار على مشهد حتى بدأ عرض آخر بأبطال جدد .

وجه فيليكس والماس (Felix Walmas) عريضة الى ملك فرنسا ، نابليون الثالث في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٥٤ م مكتوبة باللغة الإيطالية ، وضمنها اقتراحه بجذب سكان الى الجزائر حتى « يضمن لفرنسا ملكية افريقيا على نحو هادىء » بدلاً من المعارك الدامية التي لم تسفر عن النتيجة المرجوة . ومن فوائد مشروعه كما يقول انه « يؤمن خضوع العربي في الجزائر وينقذ مسيحيي سوريا من الظلم » .

لماذا وقع اختياره على الموارنة بالتحديد ؟

عرض والماس الهجرات الأوروبية الى افريقيا انطلاقاً من ضرورة « تكاثر السكان المسيحيين كشرط لا بد منه لصون الاحتلال الفرنسي في افريقيا » واعتبر أن التجربة دلت على ان مختلف سكان أوروبا لم ينجحوا في الاستيطان في افريقيا لأنهم كثيرو الاختلاف عن السكان المحليين » .

لذلك اقترح التوجه الى شعب يتقارب مع عرب الجزائر . وخلص الى ان هذا الشعب موجود في سوريا : انه الشعب الماروني . . . ولن

يكون اسهل من استمالة الموارنة الى الجزائر » .

وانتقل الى عملية « تنظيم تجنيد المهاجرين وجمعهم وهذا يقتضي اللجوء الى مساعدات الاكليروس الذي يتمتع بنفوذ كبير في لبنان » .

ولضمان تنفيذ هذا الغرض يمكن استخدام بطريرك اورشليم ومطران الإسكندرية كوسيطين . على حد قول والماس . « لأنهما يحتفظان بعلاقات منتظمة مع كهنة سوريا وأديرتها » .

ثم دعا الى تشكيل « جمعية من اجل انشاء مستعمرة للشرقيين في افريقيا » . فهو بهذه الطريقة يحاول اغراء الموارنة وجذبهم الى الجزائر من أجل تدعيم نفوذ فرنسا فيها ، لذلك يريد ان « يحافظ المشروع على طابع القضية الخاصة ذات الهدف الخيري والزراعي الخالص » .

وان نال تشجيع فرنسا فلأنه بذلك يتجنب كل صعوبة مع السلطات المحلية ، واذا حاولت الدولة العثمانية رفع اعتراضات في وجه سفر رعاياها اقترح والماس ان تأمر فرنسا « بتهجير المسلمين الجزائريين تعويضاً عن ذلك » .

بعد تأسيس الجمعية وازالة الاشكالات من أمامها ستبدأ أعمالها ، كما يقول والماس ، « بتحريك هجرة مئة عائلة ،تدعو بعد أن تجد مركزاً جميلاً في الجزائر ، مواطنيها الى الالتحاق بها . ولن يتأخر مطلقاً نشوء تيار منتظم للهجرة بين سوريا وأفريقيا » .

ثم عرض والماس مسألة النفقات التي كانت مدار جدل بين جميع الذين بحثوا في المشاريع السابقة ، وكانت في معظم الأحيان العائق الأساسي أمام التنفيذ : « ان اقامة مئة عائلة لن تتطلب ـ حسب والماس ـ أكثر من ستين الف فرنك » . ولكن في المقابل يمكن توفير مئتي الف فرنك ، لأن اقامة مجموعة من العائلات المارونية « تسمح بالغاء مركز مئتي جندي » . وهكذا يتضح ان الهدف الأساسي من مشروع التوطين

هو تدعيم نفوذ فرنسا العسكري .

واكد والماس على ان الموارنة سيعتادون مقر اقامتهم الجديد لأن قدرة التكيف عند الشرقيين عموماً مشهودة ، ويعطي مثلاً على أن القراصنة اليونان الذين شكلوا نواة مستعمرة زاهرة في أستراليا هم من الأسرى الذين نفاهم الإنكليز .

وأشاد بصفات الموارنة التي لا بد منها في « المستوطنين العسكريين » ، انهم من « المحاربين البواسل ، المعتادين العيش والسلاح على الكتف باستمرار » . لذلك فهم قادرون على ان يقدموا بسهولة العناصر « لفرقة جيش مدربة على الطريقة الأوروبية ، قادرة على حماية البلد ضد غزوات العرب وهجماتهم وتتمكن ، فضلاً عن ذلك ، من ان تقدم خدمات جلى في حال التدخل العسكري الفرنسي في الشرق » . وفعلاً فقد كان الموارنة عوناً لفرنسا عندما نزلت في لبنان عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م .

وحرص المشروع الذي قدمه والماس على الاستفادة من الموارنة في المغرب بتحويلهم مستوطنين عسكريين وفي المشرق بتجنيدهم في الحملات العسكرية .

وختم عريضته بالتأكيد على ان الاسلام سيجعل العرب في حالة عداء شبه دائم مع فرنسا . وما دام لا يمكن التفكير في ابادتهم كما فعل الاسبان في أميركا ، يجب العمل اذن على « استمالتهم الى حضارتنا » . واعتبر « ان عرب سوريا المسيحيين هم الأدوات الفاعلة والمعنية بهذا التحويل » .

وعلى رغم الحجج التي قدمها والماس لم يستجب لندائه وكان لاقتراحاته النصيب نفسه الذي حازته المقترحات السابقة ، واستبعد للاسباب عينها . وقد تلقى جواباً برفض مشروعه من وزير الحربية في ٣١ آذار ١٨٥٥ م بعدما درسته وزارتا الحربية والخارجية .

لماذا الغت فرنسا المشروع ؟

جاءت حرب القرم عام ١٢٧٠ - ١٢٧٢ هـ (١٨٥٤ - ١٨٥٦ م) بين روسيا والامبراطورية العثمانية لتعيد النظر كلياً في مشروع تهجير الموارنة . فحتى الذين كانوا من المؤيدين امثال بوديكور تعدل موقفهم لأنه « لا مصلحة لفرنسا في خفض عدد مناصريها في سوريا » . لقد اثبتت حرب القرم هزالة أوضاع تركيا واقترابها من النزع الأخير (*) .

وأصبحت الساحة اللبنانية تشكل مركزاً اساسياً للصراع الدولي . من هنا جاء التأكيد الفرنسي على « ترك الموارنة في مراكزهم القتالية لأنهم مستعدون في حال اندلعت حرب جديدة في الشرق. لأن يكونوا جنوداً مقاتلين مماثلين للفرق المحلية التي اظهرت في حرب القرم قوة الاحتمال والشجاعة » .

ولم تكن توقعات رجال فرنسا بعيدة عن مجريات الأحداث . فلقد أصبحت الأجواء اللبنانية ، بعد حرب القرم ، حبلى بالتطورات، وبالفعل شهدت تفجراً دامياً وعاد الموارنة من جديد إلى نغمة الحرب ولعبت

(*) وهذا يعود الى ان روسيا استطاعت من خلال هذه الحرب ان تحتل قسماً من أراضي الدولة العثمانية .

فرنسا دوراً مهماً في هذه المجريات أدت الى ارسال حملة فرنسية الى لبنان في ١٦ آب ١٨٦٠م. وهكذا حسمت الحكومة الفرنسية موقفها من هجرة الموارنة الى الجزائر لسببين رئيسيين هما الوضع الذي اصبحت فيه فرنسا في الجزائر والمشروع الذي تريد ان تحققه في الشرق .

فقد تمكنت فرنسا من فرض سيطرتها وهيمنتها على كل الأراضي الجزائرية وقمعت الانتفاضات . وعندما استتب لها الوضع امنياً خصوصاً بعد اعتقال عبد القادر الجزائري في ١٢٦٣ هـ - ١٨٤٧ م وفشل الانتفاضات الشعبية اللاحقة ، عمدت الى اغتصاب الأراضي على نحو واسع لتدعيم التبعية لها . وفي ٢٦ شباط ١٨٥١ م صدر قانون أقر جعل الأراضي الخاضعة للمصادرة تابعة لمصلحة السلطات الفرنسية ومن ضمنها الغابات .

والى جانب « الاستعمار الرسمي » الذي كانت تمارسه الدولة استولت الشركات الرأسمالية الفرنسية وكبار معمري المستعمرات على مساحات شاسعة أدت الى تحويل الفلاحين الجزائريين أجراء مستغلين استغلالاً فاحشاً .

وبعدما احكمت فرنسا قبضتها على الجزائر لم تعد في حاجة الى الموارنة ليمارسوا دور المستوطنين . بل على العكس كان المشروع الفرنسي يشجع هجرة معاكسة وهي هجرة الجزائريين الى سوريا ، فقد استوطن عبد القادر الجزائري في دمشق سنة ١٢٧٢ هـ - ١٨٥٥ م وامضى فيها ما تبقى من حياته ، وبين اعوام ١٢٦٩ و ١٢٧٢ هـ - (١٨٥٢ و ١٨٦٦ م) استقرت جماعات من الجزائر في سوريا[٣٠] .
وفي عام ١٨٦٠ م عرفت الجزائر موجة هجرة جديدة نتيجة مصادرة المستعمرين الأراضي وبؤس السكان واحتجاجهم على اتجاهات الحكومة وسياستها المتبعة ، وانتشر بعض المبشرين في الريف لحمل المزارعين الميسورين على بيع ممتلكاتهم والذهاب الى الشام

والاستيطان بها . وكانت فرنسا توفر كل التسهيلات للمهاجرين ، من اجل إخلاء الجزائر من سكانها [٣١] .

وبواسطة هذه الهجرة تمكن عبد القادر من انشاء فرقة قوامها من الف الى الف ومئتي مقاتل يشرف على ادارتها وتنظيمها بحجة استصلاح الأراضي التي وهبه اياها السلطان العثماني .

وقد استغلت فرنسا هذا النشاط وشجعته للتهويل على السلطان من اجل انتزاع وعد نهائي بعدم عرقلة اعمال شركة قناة السويس ، وقد قبل السلطان العثماني في شباط ١٨٦١ م السماح بمباشرة الأعمال التمهيدية لشق القناة [٣٢] .

ومن الأسباب التي ادت الى تركيز اهتمام فرنسا على الوضع في لبنان هي الأزمة التي شهدتها صناعة الحرير في فرنسا .

فقد عانت هذه الصناعة أزمة حادة سببها مرض دودة الحرير مما أتلف الموسم بكامله عام ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ م،فاضطر اصحاب المعامل الى خفض الأجور . وازدادت حدة الأزمة في العام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦ م فتضاعفت النقمة العامة نتيجة البؤس المتزايد ، وارتفاع أسعار المواد الأولية وصعوبة الحصول عليها من الخارج ، مما دفع بتجار مدينة ليون الى الضغط على الحكومة لتأمين حاجيات مصانعهم من الصين أو من سوريا [٣٣] .

هذه الحالة جعلت فرنسا تركز اهتمامها على المشرق وترفض أي هجرة مارونية الى الخارج لكي تستفيد من وجودهم في لبنان وليكونوا من جهة ورقة ضغط في يدها من اجل ايجاد قاعدة لتدخلها في الشرق ، ومن جهة أخرى يداً عاملة تزود مصانع ليون بالمواد الأولية ، انقاذاً للازمة الحادة التي واجهت صناعة الحرير [٣٤] .

الكنيسة تصفي خصومها

وقع في العام ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ م حادثان ثبت ، فيما بعد ، انهما في غاية الأهمية . وهذان الحادثان هما تعيين بشير احمد ابو اللمع للقائمقامية المارونية ، وقد تمتع بدعم قناصل فرنسا وبريطانيا والنمسا ، وانتخاب بولس مسعد بطريركاً للموارنة . وهو من تلاميذ مدرسة روما .

وقد تسبب تعيين بشير اللمعي في تجدد الصراع بين النصارى ، لأنه سبق لآل الخازن ان طالبوا بتعيين احدهم للمنصب [٣٥] . كذلك طالب الروم الارثوذكس بتعيين واحد منهم لملء المنصب[٣٦]، وفي الوقت ذاته عارضت الكنيسة المارونية تعيين بشير الذي كان ولاؤه لها موضع شك [٣٧] .

والمعلوم ان هذا الصراع كان قد بدأ قبل هذه الفترة لا سيما بين الموارنة أنفسهم . فاذا كان البطريرك يوسف حبيش ، حتى وفاته في ١٢٦١ هـ - ١٨٤٥ م قد استطاع ان يوحد الموارنة تحت قيادته ويدفعهم الى الحروب بعد أن الهب مشاعرهم الدينية ، فان خلفه البطريرك يوسف الخازن وقد اعوزته قوة الشخصية ، لم يتمكن من وضع حد لتزايد الانشقاق بين الفلاحين الموارنة ومشايخ الإقطاع .

وكان من الطبيعي أن يقف معظم الاكليروس الماروني ، وهم من طبقة الفلاحين ، ضد اولئك المشايخ ، لكنهم وقد كان البطريرك كسلفه ينتمي الى اسرة اقطاعية بارزة ، استنكفوا طيلة حياته ، عن الوقوف علناً الى جانب الفلاحين . اضف الى ذلك ان حيدر أبي اللمع قائمقام الموارنة كان ممسكاً بزمام الحالة [٣٨] في المناطق المارونية الخاضعة لسلطته ، فلم يسمح للخصومات ان تتفاقم مدة حياته ، لكن البطريرك والقائمقام كليهما توفيا في ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ م ،وكان بولس مسعد خلافاً لسلفيه من العامة ، وفي حين كان اسلافه يعتمدون على الاداريين الموارنة من اجل توفير الحماية والتأييد الضروريين ، اصبحت الكنيسة في عهده الناطق المعترف به باسم الموارنة وأقوى منظمة في لبنان .

وقد شكل الحاكم (القائمقام) والمقاطعجيون الموارنة العقبة الوحيدة التي حالت دون ان تصير الكنيسة القوة الوحيدة ضمن الطائفة . كان الحاكم الأول حيدر أبي اللمع ، قد رشحه البطريرك واشتهر بخضوعه للاكليروس كما أسلفنا ، وتحملت الكنيسة خلفه نظراً الى الدعم الذي منحه اياه القنصلان النمساوي والفرنسي .

ولكن المسألة اختلفت مع المقاطعجيين ، وذلك ان الكنيسة اصبحت منزعجة من رعايتهم لها . وكان البطريرك الجديد وهو تابع لاقطاعية آل الخازن يحسد المقاطعجيين على حقوقهم وامتيازاتهم الاجتماعية لذلك رغب وبالاتفاق مع اكثرية الاكليروس الأدنى ان يقضي على سلطتهم،وقد اتاح النزاع المكشوف بين المقاطعجيين والحاكم الماروني امام رجال الكنيسة الفرصة لتوسيع سلطتهم وجعل مؤسستهم هي القائد الأوحد للأقلية المارونية .

انتهج بشير اللمعي ، بعد تعيينه ، سياسة قاسية أساءت الى كل من الفلاحين والمقاطعجيين . فقد استبدل عدداً من مشايخ آل الخازن وحبيش ودحداح ، اعضاء العائلات الاقطاعية المارونية الرئيسية ، واعتقل

آخرين[٣٩]،وما لبث الإضطراب ان امتد الى زحلة وغزير . وتدريجياً فقد الحاكم سيطرته على المنطقة .

وفي تموز عام ١٨٥٨ م ، اضطر الى التخلي عن محاولة لجبي الضرائب نظراً للتهديدات التي وجهها سكان كسروان والمتن باللجوء الى العنف[٤٠] . وقد تمتع آل الخازن في بعض تحركاتهم بتأييد القنصلية البريطانية التي طالما سعت الى تمتين الصداقة مع الموارنة[٤١]. واستفاد رجال الكنيسة من الأوضاع الاقتصادية التي ادت الى افقار جماهير الفلاحين وتنفيرهم . وقد وفر هذا الافقار فضلاً عن توقعاتهم الآخذة في الارتفاع ، الأرض الخصبة للشقاق . في هذا الوضع المضطرب عمدت الكنيسة الى توجيه الضربة القاضية لخصومها .

وقد دعمها الفرنسيون بقوة وكذلك النمساويون[٤٢] . وكان طانيوس شاهين ورجاله يتمتعون بتأييد القنصلية الفرنسية[٤٣] .

شكلت الكنيسة المارونية ، القيادة السياسية لانتفاضة الفلاحين،فقد اتهم الخازنيون آنذاك الاكليروس بأنهم عملوا بمثابة العقل الموجه للعملية كلها[٤٤] .

وكانت الكنيسة،من بين القوى المختلفة المتناقضة في مصالحها مع « المقاطعجيين »،القوة الوحيدة التي تملك « تنظيماً » متماسكاً وجهازاً دعاوياً واسع الانتشار والامتداد في الأوساط الفلاحية .

هذا فضلاً عن أن رجال الكنيسة كانوا ينتمون الى أصول فلاحية ، وكانت اوقاف الأديرة قد استثمرت استثماراً جيداً بفضل الرهبان لدرجة ان الأديرة شكلت طرفاً رئيسياً في انتاج الشرانق وتجارتها .

إن الدور الذي طمحت الكنيسة المارونية ان تلعبه سياسياً،انسجاماً مع وزنها الاقتصادي في الجبل،يفسر الى حد كبير حجم دورها الكبير في قيادة الحركة الفلاحية . فهي التي صاغت برنامجها المطلبي . وعينت

مسارها وحدودها في نهاية الأمر[٤٥] . ومطالبة الفلاحين بالغاء الامتيازات الاقطاعية وانتخاب مأمور يكون مسؤولاً عن ادارة كسروان ، مثلاً ، كان اقتراحاً قدمه البطريرك للفلاحين[٤٦]،لا حباً بالفلاحين بل لتصفية الخصوم ودفع السياسة المارونية الى مواقف اكثر تصلباً في تعاملها مع المناطق المجاورة ليصار الى بناء دولة مارونية يكون البطريرك على رأسها .

وعندما حاول خورشيد باشا ، المشير العثماني ، التدخل عسكرياً في كسروان لفرض النظام ، ضغط عليه البطريرك ، بواسطة القنصل الفرنسي ، ومنعه من المضي قدماً في محاولته . لقد أبدى زعماء الكنيسة اهتماماً بالغاً ازاء نتيجة تلك الحوادث ، وبواسطة شبكة من المخبرين ، حافظ اولئك الزعماء على مراقبة دقيقة للتطورات ، وأرسلوا التعليمات الضرورية وحاولوا توجيه خطوات المتمردين[٤٧] .

وليس مستغرباً ان يتهم يوسف كرم ، الزعيم الماروني ، البطريرك فيما بعد بالاشتراك في الثورة مع زعماء الفلاحين ، ويمنعه (اي منع كرم) ، ترتيب سلام بين طرفي النزاع[٤٨] .

النتائج

لا حاجة الى القول ان نتيجة أحداث كسروان عام ١٢٧٥ هـ ـ ١٨٥٨ م كانت توطيد سلطة رجال الكنيسة المارونية الى أقصى حد .

ذلك ان تقويض وتدمير مؤسسة الاقطاع المارونية ترك الكنيسة بلا منازع وجعلها تتمتع وحدها بالسيطرة على الموارنة ، وكانت منظمة الكنيسة ، خلافاً للمؤسسة الاقطاعية التي خففت الفوارق الدينية ، مهتمة في نقل الطائفية الى السياسة وتنمية مصالح اتباعها ، مع استثناء الآخرين .

ان الكنيسة المارونية ، كالكنائس الأوروبية والكاثوليكية الأخرى سعت الى حد كبير « ان تدفع قدماً ، وبوسائل قسرية كلما دعت الضرورة ، وجهة النظر الكاثوليكية حول كل قضية عامة » وتشجع على « الاعتراف الرسمي للكثلكة بوصفها دين الدولة »[٤٩] . كذلك كانت الكنيسة مجهزة مذهبياً وتنظيمياً لتصبح مصدر جميع السلطات في غياب طبقة الاقطاعيين المنافسة .

وكان قد سبق لها النجاح عن طريق تنظيمها المركزي ، وسيطرتها التامة على النظام التعليمي ، وثروتها الهائلة في ان « تحل محل العائلات الإقطاعية في قيادة السكان معنوياً » [٥٠] .

والأمر الملفت للنظر هو أن الفلاحين ، فضلاً عن الزعماء الإقطاعيين كانوا ، طوال الإضطرابات يقدمون العرائض للبطريرك طالبين منه التدخل ، كل منهم لمصلحته ، وكان ذلك تحولاً جذرياً عن الممارسات القديمة التي كان البطريرك وفقاً لها يزور كبير الخازنيين ليطلب « صفحه وموافقته » [٥١] .

عودة إلى الحرب

قام الموارنة تحت قيادة البطريرك بتنظيم أنفسهم من جديد . ففي القرى والمدن الآهلة بأغلبية مارونية ، قام الشبان بتشكيل عصابات مسلحة ، يقود كل منها « شيخ شاب » ، وترتدي لباساً خاصاً . وراحت هذه العصابات تتنقل من مكان الى آخر .

وكان قائد كل منطقة يحتفظ بسجل يحتوي أسماء الذين تحت قيادته ، ويقيم الإتصال بسائر الزعماء .

وفي بيروت انشأ المطران طوبيا عون رابطة لشبان الموارنة [٥٢] .

كما عمد الموارنة من أهل الثروة والنفوذ الى جمع التبرعات لشراء الأسلحة والذخائر وتوزيعها على أبناء طائفتهم في الجبال [٥٣] .

وراح زعماء الموارنة يتباهون بالقدرة على تجييش خمسين ألف محارب،وقد بعث مطران صور وصيداالأرثوذكسي الى نصارى راشيا رسالة يحثهم فيها على الوقوف جبهة واحدة .

جاء في الرسالة :

« قد اجتمع اهالي زحلة ، ودير القمر وكسروان وجزين والأماكن

المجاورة في جبل لبنان ، وعزموا على ان يكونوا يداً واحدة . . . »[٥٤] .

ثم تدفقت الأسلحة من فرنسا . ففي سنة ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م رسا مركب بحري قرب طرابلس وزود أهل زغرتا بالسلاح .

وكان البطريرك الماروني بولس مسعد لا ينفك يلتجىء الى روما ويعمل بموجب تعليمات البابا ونصائحه . وفي نفس الوقت كان يتبادل الرسائل مع نابليون الثالث ملك فرنسا طالباً منه التدخل لإقامة الدولة المارونية[٥٥].

في عام ١٢٧٧ هـ - أيار عام ١٨٦٠ م بدأ الموارنة بالقتال،وكان اليسوعيون الذين تكاثروا في البلاد ، قد اشتركوا في الحرب،وفي زحلة قتل راهب يسوعي هو فردينا ندوبوناشيتا ، بعد ان قتل سبعة من المسلمين [٥٦] .

ويعترف المبشر يوليوس رشتر بمسؤولية الموارنة عن الحرب، يقول لقد كان الموارنة مرة ثانية مخطئين ، فعلى الرغم من الهزائم التي منيوا بها في عام ١٨٤٢ و ١٨٤٥ ، فانهم ظلوا تواقين الى اذلال جيرانهم [٥٧] .

ويعترف اللورد دوفرين بـ « تعجرف النصارى وتعصبهم بقوة المساعدات الأجنبية التي فازوا بها » . وأن « الموارنة كانوا يعتقدون ان قد آذنت ساعة فوزهم ، كما ان دخل الجمارك يثبت ان قد أدخل الى لبنان من كانون الثاني ١٨٥٧ الى ربيع ١٨٦٠ م اكثر من ١٢٠ ألف بندقية و ٢٠ ألف مسدس وكان من المشتهر انصراف المطران طوبيا وشركائه الى ايقاظ الفتنة » . الى ان يقول : « فمن العبث وصف النصارى بأنهم شهداء قديسون » [٥٨] .

واعترفت الصحافة الاكليركية خارج فرنسا بالحقيقة ، وبدسائس الامبراطور الفرنسي ومناوراته الخبيثة .

فقد أعلنت جريدة « لوكوريه دي ليون » ، « انه لم يحدث لمسيحيي سوريا (ولبنان) الا ما استحقوه كما أن الموارنة كانوا معتدين فهم بدأو بالأحداث » [٥٩] .

والجدير بالذكر أن نظام القائمقاميتين شهد ترسيخاً للعلاقات الفرنسية مع الموارنة عموماً والإكليروس خصوصاً،وكان الفرنسيون يريدون اقامة « وطَن قومي مسيحي » في جبل لبنان يشكل قاعدة انطلاق لهم نحو بقية بلاد الشام ، ولهذا فقد قدموا السلاح بغزارة الى الموارنة .

استمر القتال حتى أوائل تموز وقد شمل المناطق الجنوبية والوسطى من جبل لبنان والمناطق الساحلية والبقاع . وجرى نهب القرى وحرق المدن وسلب اللاجئين . وتلاحقت المجازر بسرعة مخيفة .

وكان المبشرون والمرسلون الأجانب يسعون الى توسيع رقعة القتال من اجل ايجاد سبب معقول للتدخلات الخارجية واستغلال هذه الاضطرابات بما يخدم مصالح وأهداف دولهم التي أرسلتهم .

وكان هنري هاريس جسب ، احد المرسلين الاميركيين ، مقيماً آنذاك في بلدة عبية . حيث عايش المعارك عن كثب . يقول في معرض وصفه للوضع : « يوم السبت في ٢٦ ، رفعنا علماً امريكياً فوق دار الارسالية » [٦٠] .

دانيال بلس،رئيس الجامعة الأميركية،يحمل المسؤولية للمسلمين ويقول : « لقد بقينا حيناً بعد الفتنة نخشى هجوماً على بيروت . . . ثم ان جميع المسلمين من ذلك النوع السافل كانوا في كل مكان يلوحون بعصيهم ونبابيتهم » [٦١] .

اصطدم قتال الموارنة بعوائق كثيرة جعلتهم يخسرون الحرب مرة ثانية . ويمكن عزو هزيمة الموارنة الى التنظيم الرديء ، والقيادة غير الكفوءة وانعدام الانضباط والعجز عن اشراك جميع النصارى في

الحرب .

ان اخفاق الموارنة الكامل في تحقيق أي من أهدافهم وما ترتب على ذلك من ضخامة خسائرهم ارغمهم على التماس السلام ، وذلك عندما سارعوا الى الموافقة على وقف الحرب ، وعلى عدم المطالبة بتعويضات وعلى اعتبار الأحداث الماضية منسية ، لكن مواقفهم تبدلت عندما قررت فرنسا ارسال سبعة آلاف جندي الى بيروت بموافقة بريطانيا .

في شهر آب نزلت جيوش فرنسا في بيروت تعويضاً عن الهزيمة التي لحقت بحلفائها وكذلك تعويضاً عن الخسارة الأدبية التي نزلت بها سنة ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م . وعمد قائد الحملة الى الإفادة من الترحيب الذي لقيه من الموارنة لينصب نفسه حامياً لهم ومدافعاً عن حقوقهم . جاء في رسالة السفير البريطاني في استانبول الى وزير خارجيته معلقاً على الخطة :

« اذا نزل جيش فرنسي في بيروت فان جزءاً كبيراً من السكان الذين يعتبرون أنفسهم فرنسيين (موارنة لبنان) سينضم فوراً الى الجيش الفرنسي ، وبما أن الغاية من هذه الحملة العسكرية هي بعث الرعب في نفوس الآخرين من السكان ، او اخضاعهم ، فمن المتوقع ان تزداد قوة فرنسا ازدياداً عظيماً من كلتا الناحيتين الأدبية والمادية ، وذلك عبر ترويع الفئات الأخرى التي يشكو منها الموارنة ، او عبر القضاء عليهم »[٦٢] .

وفي الثاني والعشرين من آب ١٨٦٠ م كتب القنصل البريطاني العام في بيروت الى دولته يقول :

« لست أرى ضرورة للقول بأن المسلمين ينظرون الى الاحتلال الفرنسي بأشد ما يكون من النفور والكراهية ، وان المرء ليستطيع ان

يلاحظ امارات التجهم على وجوههم عندما يشاهدون الجنود الفرنسيين يمرون من أمامهم كما أن تصرفاتهم العامة تنم عن انفعال وتهييج وغضب » ، ويتابع : « ومن جهة ثانية نرى أن النصارى ، عند نزول الجنود الفرنسيين الى البر ، كانوا يسرعون الى حمل أسلحة العساكر وجرابات امتعتهم وغيرها فينقلونها الى المعسكرات المعدة لهم تخفيفاً عنهم ، بينما كان آخرون منهم يقدمون للجنود الماء والتبغ والشراب وأشياء أخرى مجاناً »[٦٣] .

ولا يفوتنا أن نذكر ان بريطانيا التي كانت على عداء مع فرنسا بسبب تضارب المصالح ، والهادفة الى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، فكرت بغزو سوريا وفلسطين انطلاقاً من جبل لبنان اقتناعاً منها بأن الدولة اليهودية لا يمكن ان تقوم وتستمر في فلسطين وتستوعب ثمانية ملايين يهودي يأتون إليها من اوروبا اذا كانت على عداء مع الجبل .

ونفس الدوافع التي كانت وراء تشجيع الغرب لاستقلال ماروني في لبنان ، كانت وراء تشجيع الغرب للحكم الصهيوني في فلسطين .

المتصرفية : اول صيغة للوطن القومي الماروني

تمهيد

ان الصدامات الدموية التي استمرت عشرين عاماً والتي تمت بتخطيط مباشر من فرنسا والدول الأوروبية الأخرى ، كانت مدخلاً أساسياً لمطالبة الموارنة بشكل علني وصريح بوطن قومي ماروني يكون متمتعاً بالحماية الأجنبية .

ومنذ عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م سعى الموارنة للسيطرة على جزء أساسي من لبنان ليكون وطنهم القومي ، بمساعدة ودعم من فرنسا ودول الغرب الأخرى .

وبسبب تعذر وجود اتفاق استعماري على دولة واحدة ، كان لا بد من حماية جماعية أوروبية لبروز كيان سياسي غربي في جبل لبنان باسم نظام المتصرفية ، وهو الصيغة الأولى للوطن القومي المسيحي .

وهكذا تحول جبل لبنان الذي كان سابقاً منطقة إسلامية ، تحول الى مركز للتآمر على الشعوب الإسلامية ، وقد اتضح هذا أيام الحرب العالمية الأولى ومن خلال محاكمة العملاء والجواسيس الذين عملوا لصالح فرنسا وبريطانيا .

ومن خلال نظام المتصرفية وصلاحياتها اصبح المبشرون الأوروبيون يسرحون ويمرحون دون رقيب أو حسيب ، وقد اتخذ الفاتيكان جبل لبنان مركزاً للتبشير في الشرق ، ثم اقتدى بالفاتيكان بطريرك موسكو الأرثوذكسي والكنيسة البريطانية والكنيسة الأمريكية .

لقد أصبحت هذه الدويلة باباً للفتنة ولوقوع المسلمين في الفكر العلماني الكافر الذي ينادي بفصل الدين عن الدولة ثم المناداة بالقومية العربية ، والقومية السورية ، والقومية اللبنانية .

ومن خلال نظام المتصرفية انفصل المسلمون في جبل لبنان عن قضايا وهموم العالم الإسلامي ، وعن قضايا التحرر ومحاربة الاستعمار الايطالي والفرنسي والبريطاني في المغرب العربي ومصر وأجزاء أخرى من البلاد الإسلامية .

وسنعالج هذه المسائل بالتفصيل .

كيف تمت صياغة هذا النظام ؟

لقد أشرنا إلى ان احداث عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م خلقتها المواقع الاجتماعية والسياسية التي احتلها الموارنة نتيجة التغلغل الاستعماري الأوروبي ، ثم وجدت فرنسا الفرصة سانحة لها فنزلت جيوشها على شواطىء بيروت بحجة حماية الموارنة .

في ظل هذه الهيمنة المارونية ، وتدخل الجيوش الفرنسية وضعف الدولة العثمانية شكلت لجنة دولية مؤلفة من ممثلي الدولة العثمانية وفرنسا وانكلترا والنمسا وروسيا والمانيا لتنظر في اسباب الاضطرابات ولتقدم توصيات لإعادة تنظيم البلاد سياسياً . وفي الخامس من أيلول ١٨٦٠م انعقدت اللجنة في بيروت للبحث في نظام الجبل .

ان مجرد تأليف هذه اللجنة للبحث في قضية لبنان يعتبر نصراً

ساحقاً للدور الماروني الذي استطاع ان يبرز الى الوجود وفي غفلة من الزمن مشكلة تخص لبنان وتتبارى في حلها الدول الأوروبية ، وفي الوقت نفسه تكون مبرراً للتدخل الأجنبي ، تساعده في ذلك الامتيازات الأجنبية التي حصلت عليها اوروبا عبر القرون .

ان الموارنة باثارتهم للفتن الطائفية كانوا يريدون تحويل لبنان الى مشكلة دولية لكي يصار فيما بعد الى اقتطاعه من الأرض الاسلامية وتحويله الى دولة مارونية .

ثم ان فرنسا أرادت في البداية خلق « الدولة المسيحية »[٦٤] ، ففيما كانت اللجنة تعقد اجتماعاتها في بيروت وجه (بوفور) قائد الحملة الفرنسية ضمن خطة منسقة للضغط على اللجنة الدولية ، كتاباً الى دولته يقول فيه : « انصح باقامة امارة مسيحية في جبل لبنان وضم الساحل اليه وصيدا وبيروت وطرابلس »[٦٥] .

ومهما يكن من أمر فان الصيغة التي طرحت كحل للتناقضات المختلفة ، قد تحكم فيها من جهة توازن مصالح الدول الاستعمارية ومن جهة ثانية ميزان القوى الجديد الداخلي كما استقر اثر الاحداث ، واثر التدخل العسكري الأجنبي الذي شكلت الفرق الفرنسية قوامه الرئيسي ، والذي كان من أهم نتائجه المباشرة ترجيح كفة الموارنة .

وقد أصرت الحكومة الفرنسية على بقاء الاحتلال حتى تنتهي اللجنة الدولية من أعمالها ، فأدى ذلك الى تصلب بريطانيا التي حاولت جاهدة وضع سوريا كلها تحت وصايتها الذاتية . أما فرنسا فكانت تريد هذا الكيان السوري المستقل ولكن بشرط ان يكون قاعدة لنشر النفوذ الفرنسي وتطويره . وقفت الدولة العثمانية معارضة البحث في أي مشروع من هذا القبيل ، فأفشل هذا الموقف بعض مخططات الانكليز والفرنسيين .

بعد ثمانية أشهر من المداولات ، قدمت اللجنة الدولية تقريراً الى ممثلي حكومات الأعضاء في استانبول . وكان سبب عجزهم عن الوصول الى اتفاق في تاريخ أقرب يعود الى تبنيهم آراء متضاربة ومحاولة كل منهم كسب اكبر قدر من الإمتيازات للطائفة التي يناصرها . وهكذا دعت فرنسا الى توحيد الجبل واعادة الامارة الشهابية . كما واراد قائد بعثتها العسكرية ان يضم المدن الساحلية طرابلس وبيروت وصيدا الى الجبل ، ويؤسس امارة نصرانية تكون معقلاً لجميع نصارى بلاد الشام[٦٦] . ولذلك حرص وشجع ابناء الجبل على توقيع عرائض بهذا المعنى وتوجيهها الى الحكومة العثمانية واللجنة الدولية ، وبهذا الصدد ، تم الحصول على نحو أربعين الف توقيع[٦٧] . اما انكلترة فقد اقترحت اقامة ثلاث دول : درزية ومارونية وارثوذكسية[٦٨] .

ودعت روسيا الى اقامة امارة ارثوذكسية ، او على الأقل منح الارثوذكس الاستقلال الاداري .

تبنى الممثلون الذبلوماسيون للدول الأوروبية الخمس والدولة العثمانية في التاسع من حزيران ١٨٦١ صيغة الادارة الجديدة للبنان[٦٩] . ومع ان النظام الجديد لم يكن مفصلاً ليلائم اي من الخطط الأصلية التي وضعتها الدول الأجنبية للبلاد ، فقد كان مؤاتياً بلا ريب للأقلية المارونية .

وفي وقت لاحق ادخلت بعض التعديلات على النظام الجديد وأقرت الصيغة النهائية في السادس من أيلول ١٨٦٤ م ودام العمل بأحكام هذا النظام طوال نصف قرن حتى ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .

اما أبرز بنوده فكانت :

- «يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي كاثوليكي ينصبه الباب العالي بعد موافقة الدول موقعة الميثاق ويكون مرجعه اليه مباشرة » .

النفوذ الفرنسي واضح كل الوضوح في تحديد هوية المتصرف وانتمائه الكاثوليكي وتبعيته للكنيسة الرومانية الكاثوليكية أي انه يعمل بوحي من سياسة فرنسا التي تعتبر البنت البكر لتلك الكنيسة التي يترأسها بابوات روما ، يقول أنيس صايغ أن الدول ارادت من ذلك المشروع « جعل لبنان بلداً مسيحياً »[٧٠] .

ونصت احدى المواد على الاستقلالية المالية لادارة المتصرفية .

وقضى النظام الجديد ان يعاون المتصرف في شؤون الحكم مجلس إداري يتألف من اثني عشر عضواً : سبعة من النصارى بينهم أربعة موارنة مقابل خمسة اعضاء من المسلمين .

ترأس المجلس الأول عمون عمون (ماروني من دير القمر) .

وكانت رئاسة المجالس الادارية حكراً على الموارنة ، فقد بلغ عدد هذه المجالس طوال عهد المتصرفية خمسة عشر مجلساً وبلغ عدد رؤساء المجالس تسعة عشر رئيساً من الموارنة يمثلون العائلات التالية :

العائلات	الدورات
عمون	٥
شهاب	٣
ابو حاتم	٣
قيقانو	١
منصور	١
السعد	٢
الحويك	١
ابو اللمع	٣
المجموع	١٩ [٧١]

ان سياسة هذا المجلس كانت متوافقة على الدوام مع مصالح هذه

العائلات التي استفادت منه كثيراً لتثبيت مواقع سيطرتها الاقتصادية ونفوذها السياسي وقد كان لهذه المناصب آثار بعيدة المدى ذلك انها مدت أصحابها بأسباب القوة والنفوذ السياسي .

ولهذا فان زعامة العائلات المارونية التي استفردت بمركز الرئاسة في ظل المتصرفية اجتهدت لتؤثر في توزيع المغانم بحيث تفيد جماعتها وتزيد من ثروتها ، وقد استمر هذا الوضع في عهد الانتداب الفرنسي وبعده .

يقول حبيب باشا السعد ، احد رؤساء تلك المجالس :[٧٢]

« الشخص عندنا وظيفة . ايا كان الشخص ومن حيث جاء لا فرق . الوظيفة تعطي الجاه . تصون الحقوق . تبيح التجاوز على مقدار ، فكلما علت الوظيفة كلما اتسعت دائرة التجاوزات ، الوظيفة تجلب الأصحاب تؤلف الوفود الى دارك ، تحيطك بشراذم من المتملقين طلاب الحاجات ، تخسر الوظيفة تصغر الدار ، وينبت الحشيش على الدرج » .

اذن ، لم ينه الإلغاء الرسمي للمؤسسة الإقطاعية في العام ١٢٧٨ هـ - ١٨٦١ م العلاقة الإقطاعية ولا السلطة الاقطاعية . فالأسر الاقطاعية في النظامين : « المتصرفية » و « الجمهورية اللبنانية » وان جردت من السلطة الرسمية المناطة سابقاً بها في الدولة فانها عوضت خسارتها بتوليها الناجح لدور الجهة الناطقة باسم طوائفها المختلفة . ومن اجل ضمان الإستقرار والإستمرار ، جند المتصرفون المتعاقبون الأسر الاقطاعية في خدمة الحكومة ، وهي عادة دعمت مطالبهم ومراكزهم الاقتصادية والاجتماعية[٧٣] .

وهكذا صارت العودة المتكررة الى المنصب العالي السبيل الرئيسي

لصيانة امتيازات الأسر الإقطاعية .

ويعترف بشارة الخوري بهذا الوضع اذ يقول :

« وجعلت الوظائف الكبرى وقفاً على العائلات الكبيرة في البلاد الا ما ندر ، وذلك اثر من الاقطاعية العملية بعد أن زالت رسمياً بحكم النظام الجديد . والوظيفة آنذاك كل شيء فهي مطمح الأنظار ومصدر النفوذ والوجاهة »(٧٤) .

في اثناء المتصرفية كان الكتاب ورؤساء الدواوين العالية جميعهم من الكاثوليك والموارنة ، جاء في شكوى للمسلمين : « . . . فالمتصرف نصراني ، وكاتم اسراره ورؤساء كتابه ورئيس العسكرية ورؤساء الدواوين العالية جميعهم من الطائفة الكاثوليكية فكيف نؤمل بحصولنا على حقوقنا واعطائنا راحتنا وحكومتنا متركبة من الطائفة التي طالما بذلت دمها حباً بخروجنا من جبل لبنان » (٧٥) .

ان التغيير الذي طرأ على جبل لبنان في عهود سابقة نتيجة لحملات التهجير التي تعرض لها المسلمون ، هذا الاغتصاب الذي استمر بضعة قرون ، جاء النظام الجديد ليكرسه ويعطيه إطاراً شرعياً .

وهكذا أصبح جبل لبنان في عهد النصارى وبفضل نظام المتصرفية مركزاً للتآمر على جميع المسلمين في هذا الشرق .

فكلما اغتصب الصليبيون منطقة عمدوا إلى تنصيرها وطرد المسلمين منها تمشياً مع خطة اخراج « الغرباء » ، لتحويل لبنان في النهاية إلى قطعة من أمهم الحنون فرنسا .

هكذا تتالت حلقات المشروع الماروني ، وتوالت حملات التصفية والإغتصاب في لبنان منذ ما يقرب من سبعة قرون كاملة .

حتى أن بيروت التي كانت سابقاً مدينة إسلامية برمتها ، أخذت منذ

عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م تفقد طابعها الإسلامي . وكان البطريرك الماروني يوحنا الحاج من اكبر العاملين على تصفية الوجود الاسلامي في جبل لبنان .

يقدر (Cuinet Vital) ان عدد سكان بيروت ارتفع في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد الى ١٢٠ (مئة وعشرين) ألف نسمة ولم يشكل المسلمون آنذاك إلا ثلث عدد السكان مقابل ثلثين من النصارى أغلبهم من الكاثوليك (حوالي أربعين ألف نسمة) (٧٦) . هذا وكانت النشاطات في المدينة لا سيما في ميدان التصدير والاستيراد بيد العائلات النصرانية .

ولم يقتصر هذا النشاط على تصدير الحرير من الجبل الى فرنسا ، وانما كان يمتد الى السوق السوري بكامله حيث كانت عناصر هذه العائلات تلعب دور وكلاء التصدير والاستيراد من سوريا إلى اوروبا وبالعكس ، وهكذا شعر جبل لبنان خلال اربعين سنة تقريباً من تاريخ المتصرفية ، بازدهار اقتصادي سببه توظيف الرساميل الأجنبية والمغتربة والإمتياز السياسي الذي احتضنته الدول الأوروبية .

وعلاوة على هذه الهيمنة المارونية فان التمثيل في مجلس الادارة لم يكن يتم بادىء الأمر على اساس انتخابي ، وانما بتعيين من قبل المتصرف الذي منح سلطات واسعة ، ووفق تسوية كان يلعب الاكليروس الماروني دوراً مهماً فيها .

ثم لما اتبعت الطريقة الانتخابية (طريقة تكليف شيوخ الصلح في القرى) تحول مجلس الادارة الى مسرح صراع بين قوتين اساسيتين، السلطة « المدنية » المتمثلة بالمتصرف من جهة ، والاكليروس الماروني من جهة ثانية ، واما المرشحون وهم في غالبيتهم - لا سيما بالنسبة لمرشحي الموارنة - من الاغنياء الجدد ، فشكلوا حيال اكثرية المتصرفين ادوات ابتزاز ليس اكثر .

ان المتصرفية حققت للموارنة نصراً ساحقاً لأنها منحتهم كل الامتيازات التي كانوا يحاربون من أجلها واصبحت بالنسبة لهم الصيغة الأولى على طريق بناء الوطن القومي الماروني.

ان هذه الدويلة كانت الرحم الذي يأوي الجنين الاستعماري لكي يخرج الى النور في الوقت المناسب .

لقد استطاع الأوروبيون فرض ارادتهم وقدموا صيغة الحل كما يحلو لهم وبشكل يمهد الطريق أمام مشاريعهم في التسلط والاستعمار .

بعث قائد الجيش الفرنسي بوفور رسالة الى نائب القنصل البريطاني قبيل رحيل الجنود الفرنسيين في الخامس من حزيران ١٨٦١ م يقول فيها ان قوة بحرية ضخمة تتألف من جنود فرنسيين ومن جنود ينتمون الى الدول الكبرى الأخرى ، ستصل قبل انسحاب الجنود الفرنسيين لمنع اعمال الشغب ، او قمعها اذا وقعت . وفي حال وقوع اضطرابات فان القوات الفرنسية ستعود مرة أخرى ولكن لتبقى هنا [٧٧] .

لقد جاء نظام المتصرفية لمصلحة الأقلية المارونية ، فقد الغى الامتيازات الإقطاعية وحصر مركز الحاكم في نصراني اعطاه سلطات تنفيذية واسعة بحكم مسؤوليته في المحافظة على النظام والأمن ، وجبي الضرائب ، وتعيين وكلاء اداريين وقضاة ، ودعوة المجلس الاداري المركزي الى الانعقاد وترؤسه وتنفيذاحكام المحاكم .وكذلك زاد هذا النظام من قوة الاكليروس الماروني الذي خرج من احداث (٥٨ ـ ٦٠ م) بانتصار كبير . كانت الانتفاضة الفلاحية قد كسرت هيبة خصومه « المشايخ » . وكانت الحرب الأهلية قد اعطت الكنيسة المارونية من خلال دورها القيادي فيها وزناً اجتماعياً وسياسياً وتنظيمياً شديد الفعالية . اضف الى ذلك الوزن الاقتصادي للاديرة المنتشرة بكثافة في كل مكان

من جبل لبنان ، لا سيما في مناطق كسروان والشمال وقد ملكت هذه الأديرة ثلث الأراضي الزراعية في الجبل ، وشكلت طرفاً مهماً في انتاج شرانق الحرير [٧٨] .

اذن كان من المحتم ان يقطف الاكليروس الماروني ثمار هذا الانتصار في المرحلة اللاحقة . ولم تكن سلطة المتصرف لتحول دون ذلك . صحيح ان الاكليروس لم يكن باستطاعته استلام السلطة مباشرة لكنه كان يعمل على حل واقع « الثنائية » لصالحه ، وبصورة يشل فيها صلاحيات المتصرف بشأن كل ما يمكن ان ينتقص من امتيازاته وهيمنته . وعندما كان يحصل اي خلاف بين المتصرف والموارنة فان التسوية كانت تأتي بشكل لا ينتقص من الهيمنة المارونية شيئاً .

وكان رجال الكنيسة المارونية يتدخلون في انتخابات مجلس الادارة وتعيين الموظفين واصدار الاحكام القضائية وفق مقاييس من شأنها ان تضمن غلبة اكليركية ـ مارونية .

لقد اعطى النظام الجديد الكنيسة المارونية سلطة واسعة على رعاياها وبسط نفوذها على جميع مستويات الحكم .

وكانت الدولة العثمانية قد منحت الاديرة المسيحية امتيازات خاصة ، فأعفت أغنام الأديرة من الرسوم وأصدرت عام ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م نظاماً تضمن اعفاء جميع اصناف الرهبان من تبعة الدولة العثمانية والدول الأجنبية والمذاهب المختلفة واعفاء اديرتهم من الرسوم الجمركية وغيرها من التجهيزات [٧٩] .

ان تاريخ المتصرفية هو تاريخ السيطرة السياسية المارونية ، التي كانت تحد منها احياناً سلطات الحاكم وبعض القيود المتضمنة في النظام . والجدير بالملاحظة ان النزاعات الرئيسية التي نشأت في عهد المتصرفية كانت إما بدافع أو بتشجيع من رجال الكنيسة المارونية التي

سعت الى التخلص من هذه القيود .

كان الموارنة وحدهم قد امتلكوا ، دون باقي طوائف الجبل التنظيم والقيادة القادرين على الضغط من اجل مطالبهم . ولذلك لا غرابة في كون معظم الاضطرابات التي وقعت خلال عهد المتصرفية نتيجة من نتائج التهييج الماروني .

جاء في كتاب « السفير » ، « المارونية السياسية » :

« هذه المتصرفية التي كان الماروني يحس انها انما خلقت له ، فتوزيع مقاعد مجلس ادارتها اعطى الموارنة تمييزاً واضحاً . وكان المتصرف يطرح نفسه في اكثر الحالات على انه ماروني وان كان ارمنياً ، كاثوليكياً او نمساوياً . . . وعندما كان يغيب كان الماروني من اعضاء مجلس الادارة هو الذي يقوم بدور وكيل المتصرف ، ويكفي التعمق في فهم ظاهرة ثورة يوسف كرم حتى ندرك كم كان الموارنة يعتبرون نسبة الدولة المستقلة في جبل لبنان دولتهم . وكم كان رجال منهم يشعرون انهم اصحاب الحق في ادارة شؤونهم فيوسف كرم هو طموح الموارنة لأن يحكموا هم او يشاركوا في الحكم بشكل حاسم » .

وجاء في محاضرة للدكتور وجيه كوثراني ، القاها في مركز الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين في ٧ - ٤ - ١٩٨٥ ما ملخصه :

« ان نظام المتصرفية أرسى وضعية وحالة سياسية في الوسط الماروني تتلخص بالحماية الفرنسية لبقعة معينة من جغرافية المنطقة السياسية ، وبأن البطريركية المارونية هي الزعيمة السياسية لهذه الحالة ، فاندمج في الوعي السياسي للموارنة ، فكرة فرنسا كحامية ، فكرة البطريركية كزعيمة سياسية وفكرة امتياز المتصرفية كإدارة شبه مستقلة عن الدولة العثمانية ، هذه الفكرة ، فكرة الإمتياز ، بدأت تترسخ وتنتظر الظروف الدولية التي تسمح لها بأن تتجسد على مستوى الاستقلال الفعلي » .

ثورة يوسف كرم

في الأشهر الأولى من الاحتلال الفرنسي وفيما كانت اللجنة الدولية منعقدة في بيروت عين يوسف كرم وبطلب من فرنسا خلفاً لبشير أحمد أبي اللمع في قائمقامية النصارى وكان هذا الرجل الذي لمع نجمه في الحرب الأهلية عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م محبوباً على وجه العموم من الموارنة ، ومدعوماً من أوساط ذات شأن في فرنسا .

وفي المدة القصيرة التي قضاها يوسف كرم في هذا المنصب توفق الى غزو كسروان وقهر طانيوس شاهين زعيم ثورة الفلاحين هناك ، وسمح للأسر الاقطاعية التي جلت عن المنطقة بأن تعود اليها .

وهكذا عندما استتبت الأمور للكنيسة كانت النهاية الصامتة والمغمورة لطانيوس شاهين بايعاز من البطريرك نفسه [٨٠] .

وقد امل يوسف كرم ان تسند اليه حاكمية لبنان كله . او على الأقل ان يثبت في قائمقامية النصارى بعد ان تنتهي اللجنة الدولية من عملها . لكن امله قد خاب لأن قائد القوات الفرنسية لم يكن من المعجبين به . فقد آثر ان يرى مجيد شهاب حفيد بشير الثاني اميراً على لبنان[٨١] . واخيراً تم تعيين داوود باشا الأرمني اول متصرف . وكانت فرنسا قد قبلت بنظام المتصرفية كتسوية .

وبقيت الأوساط الفرنسية التي عارضت قيام هذا النظام في الأصل ترفض الاعتراف به كحل نهائي ، للقضية اللبنانية . وعمدت هذه الأوساط الفرنسية الى تشجيع الموارنة على الفوز بأكبر قدر ممكن من الأستقلال ، فدعمت موقف يوسف كرم وشجعت الموارنة على اعتباره المثال الأعلى للبطل اللبناني ، وهكذا نشأت عند الموارنة ، حول

شخص يوسف كرم ، فكرة القومية اللبنانية المسيحية . فكان نموها بتشجيع الأوساط السياسية والدينية الفرنسية لها [٨٢] .

وقد استمر الموارنة في البترون وبشري في الشمال ، وفي عهد المتصرفية،في اعتبار لبنان وطناً مسيحياً قبل كل شيء ، والمطالبة بتوسيع رقعة هذا الوطن المسيحي حتى يصبح صالحاً للبقاء [٨٣] . وكانوا متشبثين بهدف الكنيسة الخاص باقامة امارة مارونية مهما كلف الثمن، لذلك رفضوا وبدافع ولائهم لذكرى يوسف كرم ، ان يتعاونوا بكل قلوبهم مع المتصرفية التي كرست نصرنة لبنان [٨٤] .

وكان النظام قد حابى العنصر المسيحي في المجتمع واعطى زعماء الموارنة الدينيين سيطرة تامة تقريباً على ترشيح وتعيين ممثليهم .

ان نظام المتصرفية انشىء في الاصل لضمان مصلحة الموارنة، ومع ذلك فان ذوي المطامح السياسية ازدادوا مع الأيام نقمة عليه ، خصوصاً لأنه قضى بأن يكون المتصرف من غير اللبنانيين ومن غير الموارنة.ويمكن في نطاق هذا المنظور تقديم تفسير أفضل لقيام ثورة يوسف كرم [٨٥] الذي كان عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ قائد فرقة عسكرية .

ولقد شكل عصيان يوسف كرم اخطر تهديد واجهه داوود باشا في فترة حكمه .

وتميز موقف الكنيسة بدعم شديد لحركة العصيان التي قادها يوسف كرم فالخوارنة في القرى كانوا يدعون الناس في الكنائس للمشاركة الفعلية ثم حولوا الأديرة الى مراكز للتجمع والتعبئة ، وحمل الكثير منهم السلاح مع كرم [٨٦] .

وكان داوود باشا لدى اجتماعه بالموارنة يرتدي صليباً ليذكرهم بأنه كاثوليكي ، ومن اجل ان يكسب تأييدهم بشكل كاف .

ومن اجل هذا الغرض ، زار مناطق الشمال بقصد تلطيف اية اجراءات غير شعبية والحصول على تأييد بطريرك الموارنة وتعاونه . غير ان البطريرك ، الذي لم يكن متحمساً للنظام الجديد . مضى يهيج الناس من اجل تعيين ماروني للمتصرفية ، ولذا اصبحت علاقاته مع داوود باشا غير ودية مما جعله بلا ريب ، اقل استعداداً لتسهيل مهمة المتصرف . كما ان اقدام المتصرف على نفي كرم ، الذي غدا رمز التحدي الماروني للنظام وممثل مصالح الكنيسة، الى مصر ، لم يساعد على معالجة التردي في تلك العلاقات.ورغم بعض العداء الذي واجهه المتصرف في اسفاره ، فان سياسة اللين التي انتهجها وقرنها بتصميم ثابت على عدم دعوة القوات العثمانية الى دخول هذه المناطق الشمالية ، اكسبته تأييداً ملحوظاً بين السكان وادت الى نمو ما صار يسمى بـ « حزب الحكومة » [٨٧] .

وقد سهل التأييد والتشجيع اللذان تلقاهما داوود باشا من القناصل الأوروبيين مهمته الى حد كبير . وادراكاً منه لقوة نفوذ فرنسا بين الموارنة ، نمى علاقات عملية حميمة مع القنصل واليسوعيين الفرنسيين واستخدمهم لتهدئة المناطق المارونية واعادة الحياة الطبيعية ، ثم منح القسس الموارنة حرية مطلقة في العمل والتخطيط، واستؤنفت السيطرة الاقتصادية النصرانية بسرعة .

فقد لوحظ انه في غضون سنة واحدة أي ١٨٦٢ - ١٨٦٣ م كان ثلثا مشتري مستندات بيع العقارات المسجلة البالغ مجموعها ١٢٢٠ مستنداً من النصارى [٨٨] .

واحتفظت المتصرفية بموجب النظام الجديد بايرادات الدولة من ممتلكاتها الواقعة في الجبل ، واستفاد الموارنة من هذه الاجراءات فقد زيدت حصصهم من المناصب الحكومية على جميع مستويات الادارة .

في عام ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ عاد يوسف كرم متخفياً الى لبنان .

وكانت فرنسا مصممة ، كما يبدو ، على دعم نظام داوود باشا،ذلك لانها كانت تعتقد أن النفوذ السياسي الغربي الذي حققه نظام المتصرفية هو ملك لها [٨٩] .

فشلت محاولات داود باشا لكسب الحظوة لدى البطريرك ، فقد كان عرض ، تكراراً ، القيام بزيارة البطريرك وطلب منه أن يملأ المناصب الحكومية الشاغرة بمرشحيه ورغم ذلك استمر الاكليروس في جمع التبرعات لكرم ، وحث الناس على تأييده .

ولكن بعد تدخل القنصل الفرنسي تخلت الكنيسة فجأة عن يوسف كرم ، وكتب البطريرك اليه يدعوه للامتثال والخضوع لأوامر المتصرف .

هذا الموقف المفاجىء للكنيسة يفسره الى حد كبير موقف الحكومة الفرنسية المعارض لأي تحرك من شأنه اضعاف صيغة النظام الجديد الذي يحتضن مصالح فرنسا في الجبل .

كذلك فان موقف البابا المعارض لعصيان يوسف كرم كان له تأثيره بلا شك [٩٠] .

والحقيقة ان ما كان يبتغيه الاكليروس الماروني ليس هو ايصال كرم الى الحكم وهو أمر يعرف البطريرك جيداً ، انه يستحيل في ظل الظروف الدولية السائدة . شكل عصيان كرم ورقة معارضة ووسيلة ضغط ليس اكثر . فكان ان انفرط هذا الحلف بين كرم والبطريرك بعد التدخل الفرنسي والبابوي لمصلحة داوود باشا . واصبحت مؤسسات النظام الجديد في خدمة الاكليروس والأقلية المارونية عموماً .

وكانت فرنسا قد تجاهرت بحماية يوسف كرم لما أراد زيادة خراج لبنان من ٣٥٠٠ كيس الى ٧٠٠٠ كيس ليزيل العجز من موازنة الجبل فنال من عسكر المتصرف فاستنجد هذا بوالي دمشق وبيروت فأرسلا الى متصرف الجبل زهاء عشرة آلاف مقاتل فسارت الى كرم ، وعندها تدخل

قنصل فرنسا في الأمر ومنح الحماية الفرنسية ليوسف كرم فركب من بيروت على بارجة قاصداً الى فرنسا وكان ذلك سنة ١٢٨٣ هـ - ١٨٦٦ م [٩١] .

أمثلة أخرى

ومن بعض مظاهر التكامل في المصالح بين الزعامات المارونية ومؤسسات النظام الجديد انه في عام ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م عندما قدم المتصرف رستم باشا مشروعه لتنظيم الضرائب اتت المعارضة شديدة من الكنيسة مما سبب فشل المشروع وتراجع الحاكم .

- في عام ١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م دعي احد الرهبان للشهادة في قاعة المحكمة بيد ان البطريرك رفض السماح للراهب بالامتثال امام المحكمة وذلك حرصاً على ان يبقى رجال الكنيسة غير خاضعين لسلطة القضاء المدني .

وكذلك فان الازمة التي قامت بين المتصرف رستم باشا والمطران بطرس البستاني تبرهن على مدى نفوذ البطاركة .

كان المطران - وهو صديق قديم ليوسف كرم - قد حاول ان يحرض الأهالي ضد الحاكم وذلك بالرغم من معارضة البطريرك لهذه السياسة ، مما دعا المتصرف الى اعتقال المطران ونفيه الى فلسطين ، وسرعان ما تناسى البطريرك خلافه مع المطران وتدخل القنصل الفرنسي من اجل المطران ، فكان ان عاد هذا الأخير مكرماً على ظهر سفينة فرنسية الى ابرشيته بعد وقت قصير .

في اطار ميزان القوى هذا ، حيث هيمن الاكليروس الماروني هيمنة كاملة ، كانت تبنى ادارة جبل لبنان . ولعل هذا ما جعل احد المراقبين الاوروبيين يصف البطريرك عام ١٢٩٧ هـ - ١٨٨٠ م بأنه

« الزعيم السياسي والديني لأمة تيوقراطية » [٩٢] .

لقد تمتع الموارنة بهيمنة واضحة جعلتهم يديرون الأحداث لصالحهم فغداة اعلان دستور عام ١٢٩٣ هـ ـ ١٨٧٦ م وطلب السلطان العثماني باجراء انتخابات مندوبين الى « مجلس المبعوثان »،انتفض الاكليروس الماروني مدعوماً من القنصلين الفرنسي والروسي وعارض تطبيق الدستور في الجبل بدليل ان « لبنان يتمتع منذ خمسة عشر عاماً بدستور خاص تضمنه له الدول الكبرى وهو كالباب العالي لا يمكنه اجراء تحوير فيه »، وعندها اتصل الوالي العثماني بالقنصل الفرنسي طالباً منه التدخل لدى مجلس الإدارة لاقناعه ، يتساءل هذا الأخير : « السنا نخاطر بأن نعرض للزوال عملاً بذلنا المستحيل للحصول عليه »،والعمل هو نظام المتصرفية [٩٣] .

نفس الشيء حدث غداة اعلان دستور ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م فقد استطاع العنصر الماروني المحافظة على امتيازاته ورفض كل ما يحده من قوانين ودساتير . يقول القنصل الفرنسي معلقاً على الاحداث « انهم بقوا متعلقين بمبادىء الحفاظ على نظامهم الحالي » [٩٤] .

نكبة ثانية

في الوقت الذي حقق فيه الاكليروس الماروني في جبل لبنان نصراً ساحقاً من خلال تحويل الجبل الى مشكلة دولية ثم الاعلان بالتالي عن بروتوكول ١٨٦٤ والذي اعطى للموارنة كامل الحرية في العمل والتحرك باتجاه أوروبا ولا سيما فرنسا ، في هذا الوقت بالذات طويت صحيفة الإستقلال الداخلي لبقية المناطق ولا سيما جبل عامل .

ففي سنة ١٢٨٢ هـ ـ ١٨٦٥ م عمدت الحكومة العثمانية الى الغاء الحكم الذاتي وفرض سلطتها المباشرة بالحديد والنار ، ولهذا فان تصاعد المد الماروني في جبل لبنان والانفتاح الثقافي والسياسي والتجاري على

الغرب رافقته حملة قمع رهيبة في بقية المناطق ، حملة تقوم على سياسة الافقار وضرب اقتصاد البلاد ضرباً شبه كامل مما ادى الى التقهقر والانحطاط .

سارع الولاة العثمانيون والذين أصبح لهم كامل الصلاحية لوضع رسوم على الأراضي بعد وضع قانون المساحة والتمليك، ونوعوا الضرائب بين رسم مقطوع على الأرض مطلقاً ورسم على نتاج الأرض والشجر بطريق الالتزام ، وضريبة المسقفات (على الدور والبيوت) وغيرها [٩٥] .

وفي الوقت الذي نظم الموارنة في الجبل حزباً سياسياً كامل الولاء لفرنسا خضع ابناء المناطق المجاورة لنظام التجنيد العسكري الإجباري . وقد اعفيت من هذا التجنيد الطوائف غير المسلمة ، وكان هذا يعتبر نصراً ساحقاً للبطاركة الذين عزموا على تجنيد الموارنة في خط الولاء والتبعية الكاملين لفرنسا .

وكانت مدة التجنيد عشرين سنة ، ولكن الولاة قلما كانوا يتقيدون بهذا القانون فلربما قضى العسكري المجند مدة تزيد عما نص عليه القانون تتراوح بين عشر سنين وخمس عشرة سنة رغماً عنه .

ثم وضعت الدولة العثمانية قانوناً ثانياً يقضي بقبول البدل النقدي ممن لا يرغب الانتظام في السلك العسكري ، فاستطاع الأغنياء ان يتخلصوا من هذه الورطة بواسطة أموالهم [٩٦] .

وكانت النتيجة ان خسرت البلاد اموالها ورجالها وأبناءها الذين كانوا يساقون كالسوام الى الشقاء المحتم من اجل اخضاع الثورات التي تنشب بين الحين والآخر .

وكانت الأنظمة والقوانين التي تصدرها الدولة يفسرها الولاة كما يشاؤون فكانوا ينهبون الأهلين ويسلبون الأموال فساءت الأوضاع واختل الأمن وكسدت التجارة وعم الفقر .

والواقع انه بعد ان تم وضع بروتوكول ١٨٦٤ اصبح السفراء الأجانب والقناصل هم الذين يتحكمون بشؤون الدولة واصبحت سلطتهم فوق سلطة الولاة [٩٧] .

فكان بإمكانهم ان يتدخلوا في كل صغيرة وكبيرة واذا ما حدثت قضية قد تكون تافهة لمن ينتمي اليهم او يتمتع بحمايتهم فانهم كانوا يجبرون موظفي الدولة على تقديم الترضية لهم فيمشي اكبر مأمور في مراكز الألوية او الأقضية ومعه كبار موظفيه مطأطئي الرؤوس الى دار القنصلية لاظهار الأسف وتقديم الاعتذار . فيقابله القنصل بالغطرسة والامتهان . واذا مشى القنصل الى دار الحكومة للاحتجاج مشى امامه الحرس بالألبسة المزركشة شاكي السلاح وسار خلفه التراجمة والحاشية ، يسير الهوينا شامخ الأنف ، والسعيد هو من يحصل على رضى القناصل الذين اصبح لهم الأمر والنهي، او يدخل تحت حمايتهم او يشملوه بعطفهم .

المؤسسة العسكرية

تسلم الموارنة معظم الوظائف الأساسية في الادارة تحت اشراف البطريرك .

وبالاضافة الى استلامهم مناصب الحكم الرئيسية، فقد منحوا رتباً عالية في المؤسسة العسكرية التي جرى تنظيمها وكان جهاز الدرك قد تم انشاؤه على الشكل التالي : [٩٨]

موارنة	١١٩٧ عنصراً
ارثوذكس	٢٠٤ عناصر
كاثوليك	١٣١ عنصراً
مسلمون	٣٠٨ عناصر

أي ١٥٣٢ عنصراً من النصارى مقابل ٣٠٨ عناصر من المسلمين ، ولا يخفى على احد ما لهذا الجهاز من هيمنة مارونية تجعله رهن اوامر البطريرك .

ومعلوم ما لهذه الوظيفة من اهمية في اطار العلاقات السياسية والاجتماعية السائدة . فرجال الدرك وقد ورثوا دور ازلام المشايخ الذين كانوا يكلفون بجباية الضرائب من الفلاحين ، شكلوا جهاز سلطة جديدة برزت فيها الغلبة المارونية بشكل واضح ، وتداخلت فيها مجمل العلاقات العائلية التي عكست تراتبها هذه المرة داخل تراتب الادارة الجديدة .

وكان رئيس الشرطة دائماً مارونياً [٩٩] .

الفصل الخامس

المتصرفية تحتضن المبشرين

اتساع نفوذ المبشرين

ان نظام المتصرفية هو الباب العريض الذي دخل منه الاستعمار الى بلادنا وذلك لأنه فتح الباب واسعاً امام مختلف الارساليات ووسائل البدع . وكان من الطبيعي ان تستفيد ارساليات التبشير من الوضع الجديد الذي ساهمت في خلقه .

يقول يوليوس رشتر الألماني :

«وعن هذا الطريق بدأ في عام ١٨٦٠ فصل جديد في تاريخ الجهود البروتستانتية في الشرق الأدنى . ان مقاطعة لبنان لتغتبط منذ عام ١٨٦٢ بحاكم مسيحي وبحرية نسبية » (للمبشرين طبعاً)،ومع ذلك فهو يطلب من الدول الأجنبية ان تتدخل بالقوة لحمل المسلمين على التجاوب مع حملات التبشير [١] .

وكان المتصرفون يشجعون التبشير وقد حرصوا على ان يكون له طابع غربي يسير على نهج المدنية الأوروبية الجاهلية .

زار مرة وفد من المبشرين فيهم دانيال بلس،رئيس الجامعة الأميركية التي تأسست في ظل نظام المتصرفية،وجسب،(jessup) احد المبشرين الاميركيين ، المتصرف واصي باشا في ٢٨ حزيران ١٨٨٨ م فقال لهم

المتصرف « طمئنوا اصدقاءكم وحكومتكم (الاميركية) بأني سأعمل ما في وسعي لحمايتكم وحماية عملكم » (٢) .

وكانت فرنسا اكثر الدول نشاطاً تبشيرياً في سورية ولبنان وقد طردت الرهبان من اراضيها لتحتضنهم في الخارج من أجل اهدافها الاستعمارية .

اما النفوذ الروسي فكان يحتمي برجال الدين الارثوذكس فلقد استمالت روسيا هذه الطائفة وسيطرت على بطاركتها واساقفتها ثم اخذت تشتري الأراضي في فلسطين لتقيم عليها مؤسسات تبشيرية ، وهكذا فبتصميمها العنيد على تدمير المسلمين والانتقام لمملكة بيزنطية تقربت من الارثوذكس واعلنت عن حمايتها لهم .

وكانت بريطانيا قد استطاعت عام ١٢٦٨ هـ - ١٨٥٠ م ان تحصل على فرمان من الدولة العثمانية بوجود طائفة بروتستانتية تمنح من الحقوق ما يتمتع به الأرثوذكس والأرمن ومعنى هذا أن المبشرين البروتستانت اصبحوا يعملون من وراء ستار الطائفة البروتستانتية فلا تستطيع الدولة ان تلاحقهم بحجة انهم أجانب .

وقد ارادت الحكومة العثمانية مرة أن تمنع باعة الأناجيل من التجول في المدن والقرى فتدخل القناصل لدى الحكومة ثم الغي القرار (٣) .

والحقيقة ان الرعايا الأجانب كانوا كلهم مبشرين حتى القناصل ، وكانت الدول الاجنبية تتنافس فيما بينها . وقد نقل قنصل انكلترة في

حلب ، نشاطه التبشيري الى البدو في بادية الشام عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م .

ينقل يوسف مزهر « احد وجهاء اللبنانيين آنذاك :

« لقد اصبحت أمورنا في هذه الأيام تابعة لانكلترة وفرنسا وانه اذا ضرب أحدهم رفيقه تصير المسألة انكليزية فرنسية وربما قامت فرنسا وانكلترا من اجل فنجان قهوة يهرق على الأرض » (٤) .

ومن الادلة القاطعة على ان حماية المبشرين كانت تحمل طابعاً سياسياً لا دينياً ان المستر اوسكار ستراوس وزير الولايات المتحدة المفوض في تركية كان يهودياً ومع ذلك فانه كان يساعد المبشرين النصارى ويقول « انا امريكي في الدرجة الأولى ثم انا يهودي » . وعندما سحبته الولايات المتحدة الاميركية من استانبول اسف المبشرون لذلك (٥) .

المبشر الاميركي ،هنري هاريس جسب ،يعتبر ان فتنة ١٨٦٠ كانت اعلاناً ناجحاً فلقد « اضطربت لها اوروبة وامريكة ، واصبح لبنان بها معروفاً في العالم الغربي فأمكن ان تجمع التبرعات باسمه والتبشير فيه »(٦) ويروي لنا في كتابه ان واحداً من رجال يوسف كرم جاء اليه عندما انهزم هذا الأخير ليصبح بروتستانتياً وعندما سأله عن السبب اوضح له بأنه يريد حماية انكلترة كي لا تقدمه الدولة العثمانية للمحاكمة (٧) .

تاريخ التبشير

ان حملة التبشير بدأت منذ اندلاع الحروب الصليبية ، وقد كانت في البدء ضعيفة ، وفردية . اي أنها كانت تتناول كل فرد بمفرده . ولكن منذ ان عقدت الدولة العثمانية معاهدة « الامتيازات الأجنبية » مع الدول الأجنبية ، اصبح المبشرون يتسلحون بهذه المعاهدة ويأتون بأعمالهم التبشيرية والسياسية بكل ارتياح .

وأصبحوا يحتالون على النظام الجمركي ويستوردون من الخارج ما يشاؤون دون دفع الضرائب المتوجبة عليهم لأنهم أجانب.وقد كانت هذه الامتيازات تزداد كلما ازداد ضعف الدولة العثمانية . فأعفي المبشرون الأميركيون من الضرائب عام ١٢٨٢ هـ ـ ١٨٦٥ م أي بعد انشاء المتصرفية،وكان الرهبان اليسوعيون قد اعفوا منها قبل ذلك واخيراً أعفي جميع الأجانب من دفع الضرائب [٨] .

كان في البلدان الاسلامية عدد غير قليل من المؤسسات الأجنبية والثقافية والدينية والخيرية والاقتصادية من مدارس ومياتم ومشاغل ومستوصفات ، واديرة ، ونواد إجتماعية ، وارساليات تبشيرية ، وجمعيات خيرية كانت تستفيد من الامتيازات الأجنبية وخاصة من إعفائها من الضرائب وكانت تنال التشجيع والتوجيه والحماية من دولها وكانت بدورها

تخدم مصالحها وتساهم في توسيع وتقوية نفوذها مادياً ومعنوياً،وهكذا فان حملة التبشير اصبحت جماعية عن طريق المدارس والمؤسسات والمستشفيات .

ومشروع التبشير منذ ان ولد كان مشروعاً بابوياً اي ان البابا هو الذي يدير هذه الحملة السلمية على بلاد المسلمين ، ففي عام ٦٩٤ هـ ـ ١٢٩٤ م تقدم رامون لل من البابا سلستين الخامس بخطة للتبشير بين المسلمين وتنصيرهم بالقوة اذ لم تنجح الجهود السلمية [٩] . وكان البابا بيوس الحادي عشر يسمى بابا التبشير .

ومنذ ان قدم الفرنسيسكان أثناء الحروب الصليبية ، ثم اليسوعيون عام ٩٨٦ هـ ـ ١٥٧٨ م والكبوشيون سنة ١٠٣٥ هـ ـ ١٦٢٥ م والعازاريون عام ١١٩٧ هـ ـ ١٧٨٣ م ، اصبح لبنان المرتكز الرئيسي لنشاط الارساليات التبشيرية الفرنسية في الامبراطورية العثمانية باعتراف الفرنسيين أنفسهم : « والى مرسَلينا يعود الفضل الأعظم في احاطة بلادنا بهذه الهالة الممتازة » [١٠] .

ومنذ امد بعيد اقدم الأوربيون على وضع دراسات تعنى بشؤون العالم الاسلامي بهدف احتوائه والقضاء عليه .

وقد ادت الحملة الفرنسية على مصر الى زيادة الاهتمام بأمور التبشير وتوجيه حركة الاستشراق، وادت بالتالي الى مجالات كثيرة غير المجال اللغوي ،وارساء فكرة ان العالم الشرقي الاسلامي يمكن ان يكون معملا للفكر الغربي والبحث العلمي [١١] .

والحقيقة الجارحة ان اعداء الاسلام تنبهوا لأهمية معرفة العالم الاسلامي قطراً قطراً وشعباً شعباً سواء كان اكثرية او أقلية ، فأصدروا المجلات والكتب والمراجع في هذا السبيل .

وقد صدر أقدم تجميع ذي أهمية للكتابات العربية المطبوعة بشكله النهائي عام ١٢٢٦ هـ ـ ١٨١١ م ، وقام بالتجميع « دوشنورر » وقسم

الدراسات المطبوعة الى الأقسام التالية : [١٢]

١ ـ كتب قواعد اللغة .

٢ ـ كتب التاريخ .

٣ ـ كتب الشعر .

٤ ـ الدراسات المسيحية .

٥ ـ الدراسات التوراتية .

٦ ـ الدراسات القرآنية .

٧ ـ كتب متفرقة .

ويتضح من هذا التقسيم الاهتمام التبشيري بالعالم الاسلامي ممثلاً بما يكتب باللغة العربية ذلك ان اللغة العربية كانت لغة العالم الاسلامي العلمية من الهند واندونيسيا شرقاً حتى سواحل الأطلسي غرباً .

وقد تتابع العمل في تجميع ما يكتب عن العالم الاسلامي ، يضاف له أحياناً ما يكتب عن عالم الشرق الأقصى (الهند والصين واليابان) .

ويتضح من هذا العمل ان اهتمام الغرب لم يعد محصوراً بالأمور الدينية بل تعداها الى دراسة الشعوب الإسلامية في سبيل رسم سياسات واضحة لتحطيم هذه الشعوب عقيدة وحضارة واستعبادها عسكرياً وثقافياً واقتصادياً .

والمبشرون يسيرون في تحقيق اهدافهم وفق خطط معينة مدروسة ، يجتمعون من أجلها بين الحين والحين . ولذلك نرى أنهم عقدوا عدة مؤتمرات لهذه الغاية :

مؤتمر القاهرة في عام ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ م .

مؤتمر ادنبرة بسكوتلندة عام ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م .

مؤتمر بيروت عام ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م .

مؤتمر لنكو عام ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م .

مؤتمر القدس عام ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٤ م .

مؤتمر القدس عام ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٥ م [١٣] .

وفي كل مؤتمر من هذه المؤتمرات ، تدرس المشروعات وتوضع الخطط ، ثم يجري تنفيذها في سرية تامة وبهمة دائبة .

وهناك مجلات كثيرة عنيت بدراسة العالم الاسلامي ، وركزت على تحليل خصائص هذا المجتمع ، وعملت في خدمة الدول الغربية ، وأخطرها مجلة العالم الاسلامي التي تصدر في الولايات المتحدة منذ عام ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م ، والمجلة يصدرها مركز دراسات لاهوتية ، ولكنها في الحقيقة تمثل العقل المخطط للسياسة الأمريكية في هدم العالم الاسلامي . فمثلاً في عام ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م ، نشرت المجلة مقالاً حول جغرافية العالم الاسلامي ، دعت فيه الى وضع سياسة لإبعاد المسلمين عن الشواطىء البحرية للمتوسط ، وهي السياسة التي أدت الى انشاء إسرائيل ، وتدعو الى اقامة الدولة المارونية وطرد المسلمين من الساحل اللبناني [١٤] .

بواعث التبشير

ان الهدف من التبشير هو تمكين الأوروبيين وعملائهم من البلاد الاسلامية والتبشير اضر علينا من الاستعمار لأن الأستعمار لم يفد الى بلادنا الا تحت ستار التبشير فكان في البداية يأتي المبشر ثم تلحق به الجيوش .

« ان التبشير والاستشراق مقدمة اساسية للاستعمار الاوروبي وسبب مباشر لتوهين قوة المسلمين . . ولقد كانت الدول الأجنبية تبسط حمايتها على مبشريها في بلاد الشرق لأنها تعدهم حملة لتجارتها وثقافتها في تلك البلاد، بل لقد كان ثمة ما هو اعظم من هذا عندها، فلقد كان المبشرون يعملون بطرق مختلفة ، كالتعليم مثلاً ، على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم التدخل الأجنبي » (١٥) .

يقول رودنسون : « لقد كان المسلمون خطراً على الغرب ، قبل ان يصبحوا مشكلته » (١٦) .

المستشرق الالماني « بيكر » يعلل لما يدعيه من عداوة المسيحية للإسلام ، بقوله : « ان هناك عداء من النصرانية للاسلام بسبب أن الاسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه الاستعمار وانتشار النصرانية ثم امتد الى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها (١٧) .

والمبشر « لورانس براون » يكشف عن خشية الغرب الدائمة من شبح وحدة الشرق الاسلامي ، بعبارته :

« اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية ، امكن ان يصبحوا لعنه وخطراً على العالم او امكن ان يصبحوا ايضاً نعمة له . اما اذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير » .

ويفصح عن مبعث هذه الخشية فيقول : « والخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام ، وفي قدرته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته ، انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوروبي »(١٨) .

ويفصح القس « كالهون سيمون » عن رغبة التبشير القوية في تفريق المسلمين التي عبر عنها « براون » فيما قال، بقوله :

« ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السود ، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية . ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات . ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب ، وعلى سلب الحركة الاسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها » (١٩) .

فوحدة المسلمين اذن في نظر التبشير يجب ان تفتت وأن توهن ، ويجب ان يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم ، والتبشير اذ يرى هدفه المباشر تفكيك المسلمين يرى بالتالي درء خطر وحدتهم على استعمار الشعوب الأوروبية وعلى

استغلالها واستنزافها لثروات المسلمين .

تقول مجلة العالم الاسلامي الانكليزية :

« ان شيئاً من الخوف يجب ان يسيطر على العالم الغربي . . ولهذا الخوف اسباب منها : ان الاسلام منذ ان ظهر في مكة لم يضعف عددياً بل كان دائماً في ازدياد واتساع ثم ان الإسلام ليس ديناً فحسب بل ان من اركانه الجهاد . ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الاسلام ثم عاد نصرانياً »[٢٠] .

وهناك بجانب تفتيت وحدة المسلمين ـ كهدف للمبشرين ـ هدف آخر هو التنفيس عن الصليبية وعن الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان انفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي « المسلمين الهمجيين » .

يقول اليسوعيون : ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ؟ اولم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح »[٢١] .

أما جسب فانه يود ان يمحي الاسلام من العالم[٢٢] .

ولهذا فان يوليوس رشتر يلوم النصارى على غفلتهم طوال الأعصر التي تلت ظهور الاسلام وانتهت بفتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٣ م وزوال الامبراطورية البيزنطية[٢٣] .

يقول المستر بلس : « ان الدين الاسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في افريقة والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا »[٢٤] .

ويقول وليم جيفورد بالكراف : « ومتى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة

التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه »[٢٥] .

اذن هدف التبشير هو تمكين الأوروبي الصليبي من البلاد الاسلامية ، والأسباب التي ذكرها هؤلاء المبشرون هنا توصل جميعها الى هذا الهدف ، فسواء اكان التنفيس عن هزيمة الصليبية ، ام الرغبة في الانتقام من الاسلام لأنه قام في القرون الوسطى في وجه الصليبية ، ام توهين المسلمين وتمزيقهم في التوجيه والإتجاه ، هو السبب المباشر في التبشير ، فان نتيجته حتماً وعلى أي وضع كان هي ما ذكرنا من تمكين الأوروبي من المسلم الشرقي ومن وطنه .

لقد رأى المستعمرون ان الحاجز الأول بوجه مشاريعهم وخططهم هو الاسلام فعمدوا للقضاء عليه عن طريق التبشير او تشويهه تمهيداً للوصول الى اهدافهم في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية واستعباد ابناء الأمة الاسلامية .

ان اوروبا لا ترى حقاً في الوجود لغير ابنائها ولهذا فقد سعت جاهدة منذ عشرات القرون الى تحويل المسلمين الى عبيد لها .

لقد كان المبشرون يأتون في الظاهر كرعايا انكليز او اميركيين او دانمركيين او فرنسيين فاذا استقروا في البلاد اخذوا يقومون بالتبشير سراً ما امكنهم . وكان القناصل يدافعون عنهم كرعايا أجانب في الظاهر . لقد ادرك الأوروبيون ان المبشرين آلة فعالة في بسط نفوذهم وسيطرتهم فأخذوا يتبارون في استخدام المبشرين .

يقول جسب : يجب الا يكون ثمة نعوت ، اميركي ، انكليزي ، فرنسي اسكوتلندي والماني،تنعت اعمالنا التي نقوم بها في سبيل التبشير ، ان الخصم المشترك متحد في مقاومتنا . فليكن اسمنا نصارى[٢٦] . جاء في كتاب « التبشير والاستعمار » :

« اننا اذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين ، وعالماً مادياً لا يعرف للروح معنى . ان امريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول ، قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون انهم يدعون الى حياة روحية وسلام ديني . وبينما نرى فرنسا دولة علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج .

ان اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم فرنسا في الداخل وأصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها ، وكذلك ايطالية ، التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان ، كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين ، حتى روسيا السوفيتية التي تدعو في بلادها الى محاربة الأديان ، رأيناها بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما أرادت ان تحقق لنفوذها توسعاً اقليمياً وسياسياً ، قد تظاهرت بالعطف على رجال الدين ودعت الى مجمع مسكوني في موسكو وحملت اليه المؤتمرين في طائراتها . ثم شرف ستالين نفسه اولئك المؤتمرين بمقابلته . وكثيراً ما كان الرجال العسكريون من الانكليز خاصة يحضون حكوماتهم على بث المبشرين في العالم ، كما نصح الجنرال هايغ للحكومة البريطانية ان ترسل مبشريها الى شبه جزيرة العرب »[٢٧] .

وقد شهد العديد من أقطاب النصارى المنصفين بحملة التشويه والإفتراء التي شنها الغرب الصليبي ضد الإسلام ، ومنهم « جيدر بامان » في كتابه « مجالي الإسلام » تعريف عادل زعيتر ، فقد جاء في الفصل الثاني نظرة في مذهب الإسلام «من النادر أن لاقى دين مثل ما لاقى الاسلام من جحود وتشويه من المبشرات البالغة الغلظة والمقترحات البالغة الوقاحة حول محمد وتعاليمه . . . مع العلم أن المسلمين منعوا من أن يمس النصارى بسوء ، وتركوا المغلوبين أحراراً في المحافظة على دينهم ، ولما صار الصليبيون سادة ذبحوا المسلمين بلا رحمة » .

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ـ سورة التوبة ٣٢ .

تصوير المبشرين للاسلام وللمسلمين

ان طرق التبشير لتوهين المسلمين ، لم تكن الدعوة الى المسيحية والعمل على تحويل المسلمين الى النصرانية مباشرة ، وانما كانت طريقة تشويه الاسلام ، ومحاولة اضعاف قيمه ، ثم تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضاري .

لقد اصدر المبشرون آلاف الكتب التي تفتري على الاسلام والمسلمين وتنسب اليهم كل نقيصة وعار .

فهناك الدعوة الى ان القرآن كتاب مسيحي يهودي نسخه محمد (ص) وان الاسلام دين مادي لا روحية فيه ، يدعو الى الدنيا وليس الى صفاء النفوس والمحبة . وأنه ـ اي الاسلام ـ يميل الى الاعتداء والاغتيال ويحرض اتباعه على القسوة على غير المسلمين عامة ، كما انه يدعو الى الحيوانية والاستغراق في الملذات الدنيا .

وهناك الدعوة الى ان اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة اليوم . وبدلاً منها يجب ان تستخدم العامية واللهجات الدارجة ، كما يجب ان تستخدم الحروف اللاتينية عوضاً عن الأحرف العربية .

وهذه الدعوة رحب بها الموارنة ثم وضعوا لها قواعد جديدة وبدأ سعيد عقل وغيره باستعمال اللغة العامية بالأحرف اللاتينية وسنرى ذلك بالتفصيل .

ويدعي المبشرون الذين ارتبطوا بالموارنة ارتباطاً وثيقاً أن الذي حمل مظاهر الحضارة عامة في الشرق الاسلامي هم نصارى لبنان الذين تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين ،وفي الوقت نفسه يحملون الناس على التنفير من حياة المسلمين « اعداء الصليب والديانة الكاثوليكية »[٢٨] ، لأنها حياة بدائية ، ذليلة ، والى ان السبب في ذلك هو تعاليم الاسلام والتمسك بها وان « التبشير سيعمل على تمدينهم » .

المونسنيور كولي ،في كتابه « البحث عن الدين الحق »،يصور الاسلام على هذا النحو : « برز في الشرق عدو جديد في القرن السابع للميلاد ذلك هو الاسلام الذي اسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب » .

« لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في اقدس قوانين الأخلاق . ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب . ووعد الذين يهلكون (يستشهدون في سبيل الله) في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات (الجنة) .

وبعد قليل اصبحت آسيا الصغرى وافريقية واسبانيا فريسة له ، حتى ايطالية هددها الخطر ، وتناول الاجتياح نصف فرنسا .

لقد اصيبت المدنية .

ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول في الأكثر كلاب النصارى ولكن انظر ! ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في

وجه سير الاسلام المنتصر عند بواتيه (٧٥٢ م) ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩ - ١٢٥٤ م) في سبيل الدين ، فتدجج اوروبا بالسلاح ، وتنجي النصرانية ، وهكذا تقهقرت قوة الهلال امام راية الصليب ، وانتصر الإنجيل على القرآن ، وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة » (٢٩) .

ويقول نلسون ، احد المبشرين : « وأخضع سيف الاسلام شعوب افريقيا وآسيا شعباً بعد شعب » ، وان الاسلام مقلد وان أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية وسائر ما فيه اخذ من الوثنية كما هي او مع شيء من التبديل (٣٠) .

ويقول جسب « ان الاسلام مبني على الأحاديث اكثر مما هو مبني على القرآن ولكننا اذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الاسلام شيء » .

ومنهم من يقول : ان الاسلام ليس الا مزيج مشوه من الآراء والمدركات الخاطئة » (٣١) .

هذا في وصف الاسلام ووصف مبادئه اما محمد (ص) فيقول عنه اديسون (Addison) :

« محمد لم يستطع فهم النصرانية ، ولذلك لم يكن في خياله منها الا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به للعرب » .

ويقول هاربر (F.j. Harper) (٣٢) :

ان محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام ذلك لأن ادراكه لله في الواقع كاريكاتور » .

ومنهم من يصفه بنعوت ليس بامكاننا ذكرها .

وفي وصف المسلمين يقول المبشر الاميركي هنري جسب :

« المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها حق قدرها . . . انهم لصوص وقتلة ومتأخرون ، وان التبشير سيعمل على تمدينهم » (٣٣) .

كما يقول في وصفهم ، جوليم في كتابه تاريخ فرنسا :

ان محمداً ، مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه ان يخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو ، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين) وبين النصارى ! ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس : أسلموا او موتوا ، بينما اتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم واحسانهم .

ماذا كانت حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا ؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين » (٣٤) .

وهكذا : المسلمون متأخرون ، لصوص وقتلة .

رسولهم سارق ومحرف فيما سرق .

الاسلام دين السيف وليس دين الايمان ، انه دين مادي وليس ديناً روحياً لأنه يسمح لأتباعه بالفجور والسلب والقتل .

هذا ما يصور به التبشير الاسلام والمؤمنين به والتابعين لرسوله . على انه لم يفت المبشرين كذلك ، بجانب تشويه الاسلام والمسلمين بغية توهينهم واضعاف وحدتهم ان يثيروا للغاية نفسها النزعات الشعوبية مثل الفينيقية والمارونية في لبنان ، والفرعونية في مصر، والأشورية في العراق ، والبربرية في شمال افريقيا . . .

سبل المبشرين للوصول الى غاياتهم

لقد سلك التبشير طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للبنين والبنات على السواء . كما سلك سبل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجىء للكبار ، ودور اليتامى . . . ولم يقصر التبشير في استخدام النشر والطباعة ، وعمل الصحافة في الوصول الى غايته [٣٥] .

إذن تنوعت اساليب التبشير في توصيل هذا التصوير المشوه للاسلام ورسوله والمسلمين ، الى اجيال المسلمين جيلاً بعد جيل منذ ان استقر في الشرق الاسلامي فكانت:المدرسة ، الكلية ، الجامعة ، الندوة ، الرياضة النزل ، الكتاب ، الصحافة ،المخيم ،المستشفى ،دار النشر والطباعة .

ثم ان المبشرين يتلبسون بجميع المظاهر . فقد كان الدكتور كارسلو بصفته طبيباً ، قد عين مبشراً في قرية الشوير من قرى لبنان [٣٦] .

والمبشرون يجهدون اولاً لكسب حب المسلمين عن طريق الاهتمام

بعاداتهم واحترامها ومن ثم يبثون آراءهم وينفثون سمومهم بين من يصغي لهم .

ويوصيهم تشارلس واطسون بقوله : [٣٧]

يجب ان يظلوا برءاء كالحمام ، ولكن هذا لا يمنعهم من ان يكونوا حكماء كالحيات » .

ومن سياستهم اقامة الاجتماعات وحفلات الخطب والمناظرات والمجادلات [٣٨] ، والاهتمام بمشاكل الشباب المختلفة من اجل توجيههم مسيحياً كما هي الحال في عدد كبير من المجلات والصحف التي تصدر في بيروت وغيرها .

وهنالك نفر من المبشرين جاؤوا الى بلادنا تحت ستار البحوث العلمية كالاستكشافات الجغرافية والجيولوجية من هؤلاء (وليم غودل) وعالي سميث ، ووليم طومس الذي ظل يعمل مبشراً تحت ستار العلم مدة خمسين عاماً [٣٩] .

والمبشرون يعالجون مختلف المواضيع وفقاً للمقاييس الخاطئة التي تعلموها ومن باب اظهار تفوق اوروبا علمياً وثقافياً وتاريخياً على المسلمين،ثم انهم حريصون على ان يتولى كتابة هذه الموضوعات اشخاص وطنيون يعملون لحسابهم لأن هؤلاء يكونون اقدر على فهم عقلية الناس وعلى عرض الموضوعات بالشكل الذي يروق للجماهير [٤٠] .

وكان بعض المبشرين لا يتأخر عن عرض بضاعته في التبشير بين اهل الميت. ذهب المبشران كلهون وجسب يعزيان بوفاة شاب درزي وما ان استقر بهما المقام حتى بدأ الأول يقول :

« ما رأيت جسداً ميتاً لاخ لي في الانسانية الا ملئت اشمئزازاً بل ملئت بغضاً ، اجل ملئت ببغض الخطيئة التي اتت بالموت الى هذا العالم وكانت سبب احزاننا واضطرابنا وآلامنا . فلم لا نمقت الخطيئة اذن ثم نحب ذلك الذي لم يعرف الخطيئة ولكنه ذاق الموت في سبيل كل انسان آخر ؟ » (٤١) .

يقصد كلهون انه يكره الميت اذا كان غير نصراني اذ انه يموت وهو مملوء بالخطيئة ، اما الميت المسيحي فان المسيح يكون قد حمل عنه خطاياه لما مات فداء عن البشر كما يقول النصارى .

وما يلفت النظر أن المبشرين يستعملون كلمات جذابة تروق للمستمع مما يخيل اليه ان المتكلم على درجة كبيرة من الثقافة والمعرفة بينما هو في الحقيقة كذاب مراء .

التعليم

لقد استغل المبشرون اسم العلم من اجل ترويج بضاعتهم .

كتب المبشر جسب في كانون الأول عام ١٨٧٠ م :

«لنبتهل الى الله في سبيل تعميد نفوس اولئك الشبان الذين يترددون على الكليات ».

واكد : ان التعليم في مدارس الارساليات المسيحية انما هو واسطة الى غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس الى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا افراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية ، ولكن حينما يخطو العلم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخير الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي .. فاننا لا نتردد حينئذ في ان نقول ان رسالة مثل هذه قد

خرجت عن المدى التبشيري المسيحي الى مدى علماني محض ، الى مدى علمي دنيوي ، مثل هذا العمل يمكن ان تقوم به جامعات هايدلبرغ ، وكمبردج ، وهارفرد ، وشيفيلد ، لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى الى أهداف روحية فحسب » .

وأوضح : « ان المدارس شرط اساسي لنجاح التبشير ، وهي بعد هذا واسطة لا غاية في نفسها ، لقد كانت المدارس تسمى بالاضافة الى التبشير : « دق الاسفين»، وكانت على الحقيقة كذلك في ادخال الانجيل الى مناطق كثيرة لم يكن بالامكان ان يصل اليها الانجيل او المبشرون عن طريق آخر » (٤٢) .

ويقول بعضهم : « ان اهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الارساليات في جميع البلاد كانت دائماً متشابهة ، ان المدارس والكليات تعتبر في الدرجة الأولى واسطة لتمرين قسس الكنيسة . . . حتى ان الموضوعات العلمانية التي تعلم في كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين ، تحمل معها آراء النصرانية . .(٤٣) .

ويرى آخرون أن المدارس قوة لجعل الناشىء تحت تأثير التعليم المسيحي اكثر من كل قوة أخرى ثم ان هذا التأثير يستمر حتى يشمل اولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة في اوطانهم .

واعتبر اليسوعيون ان « المبشر الأول هو المدرسة » .

المستر بنروزاحد رؤساء الجامعة الاميركية سابقاً يقول :

« لقد ادى البرهان الى ان التعليم اثمن وسيلة استغلها المبشرون الاميركيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان . . . ومن اجل ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية الانجيلية (الجامعة الاميركية) من مبشري هذه الارسالية » (٤٤) .

اذن فالمستعمر عندما يفتتح في بلادنا مدرسة او كلية فان الغاية من

ذلك تكون « دق اسفين » وتخريج قادة عملاء في اوطاننا.ولا عجب في ذلك فهذا رئيس الجامعة الاميركية يدلي بتصريح في أواخر السبعينات من هذا القرن ، نقلته له جريدة السفير يقول فيه :

ان هدفنا في الجامعة الأميركية هو تخريج رجال لنا يتولون ادارة شؤون الشرق الأوسط . .

يقول دانبي في كتاب له :

« كان التعليم . . وسيلة قيمة الى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب . . .

ان المدارس المسيحية تحاول ان تهيء للطالب، من اي مذهب كان جواً مسيحياً، وتحمله على ممارسة التقوى المسيحية والسلوك المسيحي وخصوصاً ما دام طفلاً ، وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه نظرة مسيحية للحياة » [٤٥] .

عندما بدأ المبشرون بفتح المدارس عام ١٢٤٦ هـ - ١٨٣٠ م كانوا يقصرون التعليم على الانجيل والتوراة فقط ثم اضافوا الى ذلك كله موضوعات مشابهة في التاريخ والجغرافيا .

واشترط المبشرون ان يكون المعلم مسيحياً اجنبياً واذا دعت الحاجة الى معلم وطني فليكن مسيحياً قبل كل شيء . ودعوا الى انشاء مدارس كثيرة ، تكون غايتها اخراج التلاميذ المسلمين من عناية المدارس المسلمة .

لقد اراد المستعمرون زعزعة اسس العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين وافساد الناس عن طريق انشاء مدارس على الطراز الغربي .

والمبشرون لا يتورعون عن تحويل الطلاب المسلمين في الخارج الى النصرانية او الى تلوينهم بها .

يقول المبشر نكلي :

« يجب ان نشجع انشاء المدارس وان نشجع على الأخص التعليم الغربي . ان كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانكليزية . ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس امراً صعباً » [٤٦] .

وقد أكد المبشر جون موط على أهمية التعليم كوسيلة للتبشير اذ قال : « يجب ان نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار وللصغار . وبينما يبدو مثل هذا العمل وكأنه غيرية ، ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية . ان الأثر المفسد في الاسلام يبدأ باكراً جداً . من اجل ذلك يجب ان يحمل الأطفال الصغار الى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم اشكالها الاسلامية .

ان اختبار الإرساليات في الجزائر ، فيما يتعلق بهذا الأمر ، وكما ظهر من بحوث مؤتمر شمالي افريقيا ، اختبار جديد ومقنع . . . وهكذا نجد ان وجود التعليم في يد المسيحيين لا يزال وسيلة من احسن الوسائل للوصول الى المسلمين » [٤٧] .

الطب

تنبه المبشرون لهذا السلاح فأكدوا على اهميته كوسيلة للتبشير ، يقول الطبيب بول هاريسون في كتابه « الطبيب في بلاد العرب » [٤٨] : «ان المبشر لا يرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عُمان بأسرها ، لقد وجدنا نحن هنا في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى » .

ان الرجل يعترف بصراحة انه وبني قومه لا يريدون سوى القضاء على هوية الشعوب الإسلامية تمهيداً للسيطرة والاحتلال ، فاعتبروا يا أولي الأبصار . .

تقول مجلة العالم الاسلامي التبشيرية :

« نحن مقتنعون بلا ريب على ان الغاية الأساسية من اعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات ان نأتي بهم الى المعرفة المنقذة ، معرفة ربنا يسوع المسيح وان ندخلهم اعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية » .

ويحدثنا اليسوعيون في كتابهم المثوي اليسوعي عن مجموعة من الراهبات كانت الدولة العثمانية قد اخذتها للعمل في المستشفيات والمياتم : « وفي منصبهن الجديد بقيت الأخوات مبشرات يلقن التعليم المسيحي على الرغم من التحذير والتهديد اللذين كان المفتشون يوجهونهما اليهن [٤٩] . ذلك ان الأخوات لسن راهبات معلمات فقط ولكنهن ايضاً راهبات مبشرات يعملن لضم الخراف الضالة الى حظيرة المسيح الملك » .

وتركيزاً على اهمية التطبيب كوسيلة للتبشير بنى اليسوعيون اكثر اعمالهم التبشيرية في سورية ولبنان الى جانب مراكز التطبيب، ثم خفت عنايتهم بالتطبيب وازدادت بالتبشير حتى حل التبشير المحض محل التطبيب [٥٠] .

ان جميع الأطباء الاجانب ما جاؤوا الى بلاد المشرق الا للتبشير، ومنذ عام ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م انشأت الجمعيات التبشيرية مراكز طبية في لبنان وسورية وفلسطين .

تقول ايرا هاريس وهي تنصح طبيباً قادماً الى الشرق : « ويجب ان تنتهز الفرص لتصل الى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالانجيل .

اياك ان تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فانه اثمن تلك الفرص على الاطلاق . ولعل الشيطان يريد ان يفتنك فيقول لك ان واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه » [٥١] .

واستغل المبشرون نفوذ المرأة . فالممرضة لا تعمل على تخفيف الألم انما تنقل رسالة الصليب .

الاحسان والاعمال الاجتماعية

حتى الأعمال الاجتماعية كان يسخرها المبشرون من اجل أهدافهم. جاء في كتاب « مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين » [٥٢] :

« ان المسلمين يدعون ان في الاسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر ، فعلينا ان نقاوم الاسلام دينياً بالأسلحة الروحية . فالنشاط الاجتماعي يجب ان يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه . . . فلنبدأ بالصلات اليومية ، تلك التي تتصل بالطفل والمرأة ثم نتوسع في تلك الصلات حتى نبلغ الى المبادىء الواسعة التي اقرتها عصبة الأمم . . .

من اجل ذلك ننصح بالسير في الاعمال الاجتماعية على الأسس التالية :

- ايجاد بيوت للرجال والنساء وخصوصاً الطلبة منهم ومنهن .
- ايجاد اندية .
- الاعتناء بالتعليم الرياضي واعمال الترفيه .

وبما ان جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات قد نصبتا نفسهما للوصول الى الشباب المسلم في النواحي الآنفة الذكر وفي غيرها أيضاً ، فالواجب يقضي ان تشجعا حتى تتسع دائرة عملهما فتشمل

الجماعات المسؤولة من المسلمين ومن الذين يرحبون بمثل هذه الجهود (من غير ان يفطنوا ، طبعاً ، الى الغرض التبشيري) .

وعلى المبشرين ان يتعرفوا الى احوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية حولهم ثم يسعوا الى الاصلاح (في الظاهر) ، سعياً الى التأثير على الرأي العام (بأن غايتهم شريفة مجردة من الغرض التبشيري) .

ومما يجب ان يهتم المبشرون به (في الظاهر) : اصلاح الأحداث (الصغار) .

- الحيلولة دون الزواج الباكر .
- الحيلولة دون تشغيل الأطفال .
- محاولة اصلاح الأحوال العامة للعمال فيما يتعلق بساعات العمل وبالأجور وبالأمور الصحية في المعامل .
- الرفق بالحيوان ».

هذه الشعارات كما هو معلوم لم تكن الا للرياء والدجل .

ان الأوروبيين لا يقدمون أية مساعدة ولا يقومون بأي عمل اجتماعي قربة الى الله بل لأنهم ادركوا : « ان الوصول الى المسلمين امر صعب » كما قال المبشر رايد(٥٣) .

والاوروبي لا يحسن للمسلم لأنه اخ له في الانسانية بل يريد ربحه الى صفوف المتغربين والمتفرنجين .

يقول رايد : « انا لا أحب المسلم لذاته ، ولا لأنه اخ لي في الانسانية ولولا أنني أريد ربحه الى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده » .

فالأعمال الاجتماعية هي مقدمة لأعمال التبشير ونشر البدع التي

هي بدورها وسيلة اخرى الى الاستعمار السياسي والثقافي والاقتصادي . ثم ان الأوروبيين لا ينفقون اموالهم في بلادنا اسرافاً وتبذيراً بل هم مقتصدون جداً ولا ينفقون الا بمقدار وبما يحقق لهم منافع عاجلة .

جاء في كتاب « اسس جديدة للتبشير »(٥٤) :

كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير ، ويجب ان يبقيا كذلك اما أعمال الخير فيجب ان تستعمل بحكمة فلا تنفق الأموال الا في سبيلها،يجب ان تعطى الأموال اولاً للبعداء ، ثم يقل دفعها تدريجياً كلما زاد اقتراب هؤلاء الى الكنيسة ، فاذا دخلوها منعت عنهم اعمال الخير . ثم يجب الا نبالغ في الناحية الخيرية على كل حال » .

وقد يحدث احياناً كثيرة ان اوروبا تشرد شعباً مسلماً من بلاده ثم تسعى الى تقديم المساعدات والمواد الغذائية له كما حدث في فلسطين، ومثلما هي الحال بالنسبة لمسلمي لبنان الذين يهجرون من بيوتهم ثم يتلقون المساعدات الغذائية والمادية من الخارج .

على المسلمين ان يدركوا ان اوروبا وعملاءها في الداخل من موارنة وكتائب لا يحق لهم تهجيرهم من بيوتهم حتى يقدموا لهم الإعانات والمساعدات .

الكشفيات والأندية والمخيمات

واهتم المبشرون بالكشفيات والأندية .

جاء في مقررات مؤتمر المبشرين الذي انعقد في القدس ما يلي (٥٥) :

« نحب ان نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار وللصغار قبل ان تتشكل عقليتهم واخلاقهم تشكلاً اسلامياً . ان جميع الوسائط التي

استخدمت وظهر نجاحها يمكن ان تستخدم من جديد لتوقظ عقول الصغار وتجلو اخلاقهم ، سواء في ذلك ما تعلق بالمدرسة او ما كان خارجاً عن نطاق المدرسة . فمن ذلك مثلاً : الكشفية للفتيان وللفتيات :

- مدارس الأحد (الدروس الدينية التي تعطى أيام الآحاد بصورة مباشرة او غير مباشرة) .
- جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات وسواهما من منظمات الشباب .
- بيوت الطلبة التي زادت الحاجة اليها لزيادة عدد الطلاب (ان هذه البيوت يجب ان تكثر حتى يمكن ان نجتذب هؤلاء الطلاب الى مملكة المسيح) .
- بيوت للأطفال يشرف عليها مبشرون فقط » .

الصحافة

كما سعى المبشرون الى استغلال الصحافة استغلالاً واسعاً في سبيل التبشير ، والصحافة لا توجه الرأي العام فقط بل تهيئه لقبول ما تنشر عليه وهي التي تخلق الرأي العام .

كانت تصدر في بيروت عام ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م أربع صحف تبشيرية رئيسية ، ثلاث منها كانت بروتستانتية وواحدة كاثوليكية ، كان يصدرها اليسوعيون واسمها : البشير .

كانت جريدة البشير تهتم بأخبار روما والبابا وتنشر أخبارهما في الصفحة الأولى كما لو كانت تصدر في عاصمة البابا . وكانت تشن حملات عنيفة على اعداء البابوية والكاثوليكية والمشاريع الصليبية [٥٦] .

وكان محررو البشير يتمتعون بحماية فرنسا ولذلك عمدوا الى

الدفاع باستمرار عن السياسة الفرنسية وعملاء فرنسا - بنت الكنيسة البكر - في لبنان .

هذا وقد أسس البروتستانت المطبعة الأميركية في بيروت والتي اصبحت من أهم وسائل التبشير في الشرق .

بينما ركز اليسوعيون جهودهم على المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م وقاموا عن طريقها بعمل تبشيري من الدرجة الأولى .

وفي عام ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م تأسست مجلة الجنان على يد بطرس البستاني وتضمنت مشاريعه :

- فصل الدين عن الدولة .
- احترام مصالح اوروبا .
- والتمسك بنظام المتصرفية .

المبشرون الأميركيون

جاء المبشرون الاميركيون عام ١٢٣٦ هـ ١٨٢٠ م وانتشروا في كفرشيما ، بحمدون وطرابلس . ثم بدأوا نشاطاتهم التبشيرية في بيروت وجبل لبنان وفتحوا حتى سنة ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م لا أقل من ثلاث وثلاثين مدرسة .

ففي سنة ١٢٥٠ هـ - ١٨٣٤ م انشأت زوجة « عالي سميث » احد المرسلين الاميركيين، « مدرسة صغيرة للبنات في احدى غرف دار الإرسالية » في بيروت . وربما كانت هذه المدرسة التي انضمت اليها أربعون طالبة في سنتها الأولى ، اول مؤسسة من نوعها في السلطنة العثمانية [٥٧] .

وفي الصيف التالي افتتحت « مدرسة اخرى للبنات الدرزيات في الجبل » . وفي الوقت نفسه ، افتتحت في بيروت « مدرسة داخلية للصبيان بستة طلاب » ، طمحت الى ان تصبح مع الزمن مؤسسة لتخريج المبشرين ، وفي عام ١٨٤٠ م قام بالتدريس فيها بطرس البستاني (ماروني).وبعد ثلاث سنوات افتتحت الارسالية الاميركية مركزاً آخر لها

في عبيه ، ومعلمها ماروني ، وقد اصبحت فيما بعد من أهم المعاهد الإنجيلية في البلاد « لتدريب الطلاب على التبشير بالإنجيل » [٥٨] .

وأسس الاميركيون مطبعة لهم في بيروت عام ١٢٥٠ هـ - ١٨٣٤ م . ثم تأسست مدرسة ثانية للبنات عام ١٢٦٣ هـ - ١٨٤٧ م .

وفي خريف عام ١٢٧١ هـ - ١٨٥٥ م تألفت في بيروت لجنة خاصة من قنصلي اميركا وانكلترا ، وجون لوتيان ، وسليمان والياس الصليبي وممثل عن المرسلين الأميركيين وعضوين آخرين، وبطرس البستاني كأمين سر ، غرضها ادارة المدارس الست التي افتتحتها الارسالية الاميركية والتي صارت تعرف بـ « المدارس اللبنانية » [٥٩] .

يفتخر جسب بأن عدد التلاميذ في المدارس البروتستانتية عام ١٣٠٨ هـ ١٨٩١ م بلغ ٧١١٧ تلميذاً .

واذا ما أضفنا الى هذا الرقم عدد الطلاب في سائر المدارس البروتستانتية يصبح المجموع خمسة عشر ألف طفل في قبضة التعليم الإنجيلي .

وفي عام ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م كان للاميركيين وحدهم مائة وأربع وسبعون (١٧٤) مدرسة في سورية ولبنان [٦٠] .

ولم يقتصر العمل على انشاء المدارس الابتدائية بل أراد المبشرون ان يؤثروا في قادة الرأي في البلاد فباشروا بتأسيس الجامعات في بيروت والقاهرة واستانبول .

الجامعة الأميركية

في عام ١٢٨٢ هـ ـ ١٨٦٥ م أسس المبشرون الأميركيون « الكلية السورية الانجيلية » في بيروت والتي عرفت فيما بعد بالجامعة الأميركية وذلك بهدف « تخريج أشخاص يتولون التبشير بين اهل البلاد » .

اعتمدت الكلية السورية الإنجيلية في تأسيسها على ارساليات التبشير الأميركية التي اصرت على الطابع التبشيري للكلية ، وعلى أن يكون كل استاذ فيها مبشراً مسيحياً »[٦١] .

في أول الأمر مالت الكلية الى كتمان جهودها التبشيرية تجنباً لسخط الحكومة العثمانية .

يقول دانيال بلس ، اول رئيس للكلية :

«ان السنوات الأولية التي شهدت تطور الكلية قضت ان تسير الكلية في مجراها بهدوء قدر الامكان ، فلا تلفت اليها نظر رجال الحكم قبل

ان تثبت جذورها في الأرض، ومع ذلك فهي لم تعدم أية فرصة في سبيل أهدافها ، فدرس اللغة الإنكليزية كان يستعمل في نقل نصوص التوراة الانكليزية الى اللغة العربية ، وكان الأستاذ ينتقل الى مناقشة المشاكل الدينية من الزاوية التبشيرية»[٦٢].

وبعد ذلك اصبحت تجبر طلابها على حضور القداديس في الكنيسة كل يوم . كما أن اجتماع الصباح كان اجبارياً اما في الكنيسة ، واما في منتدى وست هول .

في عام ١٣١٢ هـ ـ ١٨٩٥ م وعلى اثر زيارة المبشر « جون موط » للكلية تأسست جمعية الشبان المسيحيين وهي لا تزال موجودة الى الآن ، وتجنباً للحرج امام غير النصارى غيرت الكلية اسمها وجعلته : جمعية الشبان الأخوية .

وكثيراً ما كان الأساتذة يتبعون سياسة التمييز . فيعطفون على الطلاب المتأخرين في التحصيل اذا كانوا من اعضاء هذه الجمعية .

ويؤكد كل من مصطفى خالدي وعمر فروخ ان الكلية رفضت ان يصبح احدهم رئيساً لجمعية الشبان المسلمين في بيروت وان يبقى في الوقت نفسه استاذاً في الجامعة[٦٣] .

يؤكد (رشتر) على هوية هذه الكلية التبشيرية بقوله :

« ان الكلية مؤسسة تبشيرية . . . ويتابع : ان عمل الكلية التبشيري يتناول بالدرجة الأولى المسلمين . . . وهي تهيىء المدرسين المبشرين للمدارس الأميركية في الشرق الأدنى كله »[٦٤] .

لقد اصر القائمون على الجامعة ان يكون جميع اساتذتها من المبشرين وكان هؤلاء الأساتذة في السابق يقسمون يميناً على ان يكونوا مبشرين .

ومن المنشور الذي أصدرته الجامعة الاميركية في بيروت في عام ١٩٠٩ م رداً على احتجاج الطلاب المسلمين لاجبارهم على الدخول يومياً الى الكنيسة ، يتضح من المادة الرابعة منه طابع المؤسسة وأمثالها. ونص هذه المادة ما يلي :

« ان هذه كلية مسيحية اسست بأموال شعب مسيحي . هم أشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية ، وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه ولا يمكن للمؤسسة ان تستمر اذا لم يسندها هؤلاء . وكل هذا قد فعله هؤلاء ، ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده . فتعرض منافع المسيحية على كل تلميذ . . . وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب ان يعرف سابقاً ماذا يطلب منه » . وقد صبأ بعض طلاب هذه الجامعة الى النصرانية [٦٥] .

كما أعلن مجلس امناء الكلية في تلك المناسبة :

« ان الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني ، ولا لبث الأخلاق الحميدة ولكن من اولى غاياتها ان تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة ، وان تكون مركزاً للنور المسيحي ، وللتأثير المسيحي ، وان تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به » [٦٦] .

ويؤكد ستيفن بنروز الذي رأس الجامعة الاميركية في الفترة (١٩٤٨ - ١٩٥٤ م) ان الجامعة الاميركية كانت ولا تزال مؤسسة تبشيرية ، بل ان التبشير هو المبرر الوحيد لوجودها وتأسيسها ، وقال ان الغاية القصوى للكلية هي ان تحتضن التبشير المسيحي وتبذر بذور الحقيقة الانجيلية [٦٧] .

كتب الشاعر القروي رشيد سليم الخوري في مجلة العصبة الأندلسية « . . . ان طوائفنا العديدة . . قد زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الأميركية ، طائفة جديدة اسمها الطائفة الإنجيلية . . وكم انفق

الأميركيون . . لكي يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه . . كأننا أشد افتقاراً الى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم » [٦٨] .

ومن النتائج الخطيرة لهذه الجامعة أن غالبية رجال السياسة في العالم العربي هم من خريجيها .

الجمعية المسيحية

ان فروع جمعية الشبان المسيحيين، وجمعية الشابات المسيحيات قد نشرت في الشرق لتكون عوامل على تغلغل التبشير ، كما يؤكد (اديسون) :

« ان لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة ولا سيما في مصر .

هذه الفروع تقدم للمسلمين مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية وتهيىء في المجتمع الواناً من النشاط التبشيري » [٦٩] .

وقد سلكت هذه الجمعية كغيرها من مؤسسات التبشير طرق التعليم الابتدائي والثانوي .

ثم هنالك الأعمال الطبية والمستشفيات والمستوصفات والأعمال الإجتماعية .

يقول « ولبرت سميث » :

« ان جمعية الشبان المسيحيين قد جاءت الى الشرق الأدنى لتعاون المؤسسات المسيحية ، اما هدفها الرئيسي فهو تنشئة الشبان على اسس

مسيحية ، ولفروع هذه الجمعية منهاج دائم ، ولها اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولا تحوير . وهنالك ايضاً سلسلة من الاجتماعات التبشيرية » .

ويقول آخر : « ان تقسيم العمل بين العاملين في حقل التبشير قد اقتضى بناء على الترتيب الحكيم ، ان يعهد الى جمعية الشبان المسيحيين بالعمل في المدن وخصوصاً بين الطلاب والطبقات المثقفة في المدن» ويضيف:

« ان جمعية الشبان المسيحيين قد قامت بخدمة قيمة جداً . . . عن طريق الاجتماعات الخطابية العامة . فقد طاف بعض الخطباء بشيء من وسائل الايضاح المتعلقة بالتلغراف اللاسلكي وبغيره من الاختراعات » .

ثم أورد مثلاً عن الصين فقال :

« وقد سمع محاضرات الاستاذ روبر تسون ما لا يقل عن مائة الف شخص وشاهدوا تجاربه العلمية . . وكان هذا الأستاذ يضيف الى كلامه عرضاً للنصرانية على اساس من الحياة الشخصية والقومية في الصين، وهكذا يبرز النشاط الاجتماعي والفكري لهذه الجمعية الخطيرة » [٧٠] .

ولا ريب في أن عمل مثل هذه الجمعيات في لبنان وسائر بلاد المسلمين لا يختلف عن عملهما في الصين في شيء البتة .

اليسوعيون

كان اليسوعيون في اوروبا يحيكون الفتن والمؤامرات حتى ان البابا غضب عليهم مرات عديدة وأصدر عام ١١٨٧ هـ ـ ١٧٧٣ م قراراً بحل منظمتهم [٧١] لما احدثوه من القلاقل والاضطرابات .

ثم اخرجتهم كافة دول اوروبا من اراضيها فطردتهم كل من البرتغال فرنسا ، اسبانيا ، روسيا ، هولندا ، سويسرا وألمانيا [٧٢] .

أرادت أوروبا أن تستعمل هذه المنظمة الخطيرة لدعم نفوذها في بلاد الاسلام . وفي عام ١٢٤٧ هـ ـ ١٨٣١ م شجعهم البابا غريغوريوس السادس عشر على المجيء الى سورية للتبشير [٧٣] . وهكذا جاء اليسوعيون الى الشرق وأصبحوا عملاء أوروبا وأصدقاء فرنسا الحميمين ، يعملون لسياستها وتوسيع دائرة سلطانها . ومما يعرف عن اليسوعيين انهم يمتازون عن غيرهم من الارساليات باستفزاز مشاعر المسلمين في اية مناسبة ، لما يحملون من روح صليبية حاقدة .

يقول اليسوعيون : «ويأتي المبشر تحت علم الصليب . . . يحلم بالماضي وينظر الى المستقبل وهو يصغي الى الريح التي تصفر من بعيد ، من شواطىء رومية ومن شواطىء فرنسا . وليس من أحد يستطيع ان يمنع

تلك لريح من ان تعيد على آذاننا قولها بالامس وصرخة اسلافنا (الصليبيين) من قبل : ان الله يريدها » [٧٤]، اي ان الله هو الذي أراد الحروب الصليبية كما زعم اسلافهم من قبل .

وكان اليسوعيون قدوصلوا الى لبنان منذ العام ٩٨٦ هـ ـ ١٥٧٨ م أي بعد توقيع معاهدة الامتيازات الأجنبية بثلاثة وأربعين عاماً وكانوا يدبرون الدسائس مع الموارنة بالاشتراك مع الموظفين الفرنسيين ، كما ساهموا في الحروب التي شنها الموارنة ضد المسلمين وغذوها ما استطاعوا. وفي عام ١٢٧٧ هـ ـ ١٨٦٠ م قتل راهب يسوعي في اضطرابات زحلة بعد ان قتل سبعة من المسلمين [٧٥] .

وكان خريجو المعهد الماروني في روما يتعاونون مع المبشرين ويساعدونهم ،فبعد أن أسس « الأب بطرس مبارك »،احد خريجي معهد روما ، مدرسة في عينطورةبكسروان ، التحق بمنظمة الآباء اليسوعيين عام ١١٤٧ هـ ـ ١٧٣٤ م ، فوضع مدرسته تحت ادارة هذه المنظمة .

ولما صدرت أوامر البابا بحل منظمة الآباء اليسوعيين في ١١٨٧ هـ ـ ١٧٧٣ م ، اغلقت مدرسة عينطورة ابوابها . لكن الآباء اللعازريين أعادوا فتحها في ١٢٥٠ هـ ـ ١٨٣٤ م واستمروا في ادارتها حتى اليوم . وكان احد الآباء اليسوعيين الموارنة ، ويدعى جرجس بنيامين ، قد اقتدى بالاب بطرس مبارك ، فأسس في ١١٤٨ هـ ـ ١٧٣٥ م مدرسة مشابهة لمدرسة عينطورة في قرية زغرتا ووضعها كذلك تحت ادارة الآباء اليسوعيين [٧٦] .

وفي عام ١٢٠٢ هـ ـ ١٧٨٧ م ، حول البطريرك يوسف اسطفان دير القديس انطونيوس في ورقة ، من قرى كسروان ، الى معهد لتدريب الكهنة . ثم بعد سنين سعى غندور السعد ، وهو آنذاك قنصل فرنسا في بيروت الى تحويل هذا المعهد الى مدرسة عالية لعموم أبناء الأقلية المارونية [٧٧] .

اهتم اليسوعيون بالتعليم التبشيري اهتماماً واسعاً وكانوا اكثر المرسلين الكاثوليك نشاطاً في هذا الحقل . وقد جعلوا صفوف المدارس الابتدائية في عهدة الراهبات لطبعهم طبعاً خاصاً فكان الاستعمار التعليمي اليسوعي ظاهراً وغير مستتر كما كان عند منافسيهم .

ومنذ ان اعلنت المتصرفية أصبحوا يتمتعون بحرية واسعة ، ووضعوا برامجهم ابتداء من عام ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م طبقاً للنظام الفرنسي مع اضافة اللغة العربية وكانوا يقولون : « ان اليسوعيين المبشرين يريدون أن يقدموا الى تلاميذهم النصارى العلم مع التعليم ، وفي الوقت نفسه يريدون ان يجعلوهم يعرفون فرنسا ويحبونها » [٧٨] .

نزل اليسوعيون بيروت بناء على طلب بطاركة الأقليات الكاثوليكية المختلفة في ١٤ أيلول عام ١٨٣١ م وأنشأوا ديرهم القديم في بكفيا عام ١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م ، بدعوة من حيدر أبي اللمع (ماروني) ، ومن ثم بنوا ديراً ثانياً لهم في زحلة عام ١٢٥٠ هـ - ١٨٣٤ م بتوجيه من بشير الثاني .

وانتشرت مدارسهم في غالبية المناطق اللبنانية قبل ان ينزلوا سوريا فأسسوا مدرسة في بيروت ، وأخرى في غزير بكسروان في عام ١٢٥٩ هـ - ١٨٤٣ م . وفي العام التالي انشأوا مدرسة ثالثة في زحلة ، وأقاموا أيضاً المعاهد في بكفيا وفي المتن ، وتعنايل ، في البقاع ، وكذلك في جزين ، ودير القمر وصيدا ، ثم أسسوا مطبعة لهم في بيروت عام ١٢٦٣ هـ - ١٨٤٧ م [٧٩] . وكان اليسوعيون في لبنان اكثر المرسلين الكاثوليك نشاطاً في حقل التربية والتعليم . لكنهم لم يكونوا وحدهم فكان هناك اللعازاريون ، وراهبات المحبة وعدد من الرهبنات الأخرى ، ممن اسسوا مدارس تبشيرية في مختلف انحاء البلاد . وتعتبر فترة ١٨٥٠ - ١٨٧٠ م اكثر الفترات انماء لمدارس المرسلين الكاثوليك واليسوعيين . [٨٠]

وبعد حين نشطت الكنائس الكاثوليكية المحلية والمؤسسات التابعة لها فأنشأت « جمعية المريميات » في بكفيا عام ١٢٦٩ هـ - ١٨٥٣ م وجمعية « بنات قلب يسوع » في معلقة زحلة عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م .

ونشأ عن الجمعيتين مؤسسة « راهبات قلبي يسوع ومريم » التي عنيت بإنشاء مدارس تبشيرية للإناث في مختلف القرى لتحقيق هذا الهدف ، فما أن جاء عام ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م حتى كان لهذه المنظمة ثلاثون مدرسة ، عدد طالباتها ستة آلاف . وفي الوقت نفسه انشأ الموارنة والروم الكاثوليك عدة مدارس منها :

الكلية البطريركية عام ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م للروم الكاثوليك .

معهد الحكمة عام ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٤ م للموارنة في بيروت .

الكلية الشرقية عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م للروم الكاثوليك في زحلة .

ونقل اليسوعيون الى بيروت عام ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٥ م المعهد الذي اسسوه في غزير ، وحولوه الى كلية للتعليم العالي ، فكانت هذه نواة « جامعة القديس يوسف » [٨١] .

وفي عام ١٢٩٩ هـ - ١٨٨١ م اعطاهم البابا ليون الثالث عشر حق منح الشهادات بأنواعها . وهكذا أصبحت جامعة القديس يوسف جامعة بابوية كاثوليكية ، وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية . وهذه الجامعة وجدت لتحبب فرنسا الى اهل لبنان [٨٢] .

واهتم اليسوعيون ببناء الأندية « وبيوت الشباب » التي يعتبرونها هم أنفسهم « حرباً صليبية مسيحية » يقولون :

« ان الصليبية الأفخارستية تزدهر بين الأيفاع والصغار » ، ومن

هؤلاء تحشد هذه الصليبية خير الجنود للجمعية الأخوية الدينية المسيحية وهؤلاء هم نواة النادي الذي انشىء في جامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت [٨٣] .

افساد المرأة

منذ ان انشأ المبشرون اول مدرسة تبشيرية للبنات في بيروت عام ١٢٤٧ هـ - ١٨٣٠ م دعوا الى انشاء مدارس كثيرة تكون غايتها تسميم عقول الفتيات .

ان طرق تعليم البنات التي اتبعتها ارساليات التبشير وما تزال هي مجردة من المفاهيم المقدسة والمثل الخيرة وبعيدة كل البعد عن روح الاسلام وتعاليمه، وفي هذا ما فيه اخطار جسيمة تهدد سلامة المجتمع والنشأ كله .

ان ارساليات التبشير سعت لإعداد الفتاة اعداداً يمكنها من ان تكون داعية لمثل الحضارة الزائفة ، ويخولها ممارسة اي ناحية من نواحي الحياة الغربية .

لم يكن التعليم التبشيري يهدف الى ان يجعل من المرأة صاحبة رسالة وحاملة عقيدة . بل على العكس فان المبشرين من دخلاء وعملاء وأدعياء كان كل همهم هو تسميم افكار النشىء الجديد من البنات بأفكارهم الشيطانية المغرية ودفعهم الى مستنقع الرذيلة والفحشاء تحت ستار جملة من الشعارات البراقة أولها التحرر ومحاربة التخلف والرجعية .

ان الفتاة الصغيرة التي تكون في دور التفتح والنمو هي احوج ما تكون الى غاية سامية وهدف راق ، فإذا غذيت منذ صغرها بحب الرذيلة والفحشاء والعادات السيئة ، فأية قوة قادرة على ارجاعها الى الخط السليم في المستقبل .

ان المرأة اذا فسدت فقد فسد كل شيء . والمستعمر يعرف هذه الحقيقة .

كما ان الاستيلاء على بلاد المسلمين وتحويلها الى دويلات عنصرية ، صهيونية أو مارونية يحتاج اول ما يحتاج الى إفساد المرأة .

وقد اتبع الصليبيون هذه السياسة في اسبانيا فكانت النتيجة أن خسر المسلمون تلك الأصقاع بعد ان قتل منهم عشرات الملايين .

يقول المبشر الأميركي جسب : « ان مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني » . ويتابع : « لقد شعرت دائماً ان مستقبل سوريا (سوريا ولبنان) إنما هو بتعليم بناتها وأبنائها »[٨٤] .

والمعلوم ان مستقبل سوريا الذي يتحدث عنه هذا الرجل انما هو احتلال سوريا واستعباد ابنائها .

بعد ذلك يتحدث جسب عن أهمية هذا العمل بالنسبة للمبشرين فيقول : « لقد بدأت مدرستنا للبنات ، ولكن ليس لها بعد بناء خاص بها . وها هي قد أثارت اهتماماً شديداً في اوساط الجمعيات التبشيرية »[٨٥] .

وقد تنبه اليسوعيون ، اصدقاء الموارنة بالدرجة الأولى ، إلى أهمية دور المرأة ، فعمدوا إلى فتح مدارس تبشيرية للبنات وبكثرة في كل

الأقطار : لبنان ، سوريا ، مصر ، بلاد الهند والأفغان وغيرها .

وفي عام ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م طلب المبشرون الأميركيون من دولتهم مبلغ ثلاثين الف دولار لمدرسة لهم للبنات في بيروت بحجة « قيمة المرأة في الحياة البيتية ، وأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سوريا ولبنان في المستقبل »[٨٦] .

اذن فالهدف هو التنصير الذي يعقبه التدمير الشامل . والحقيقة ان النهج الذي تسير عليه المدارس اليوم في لبنان ومعظم بلاد المسلمين هو نفسه ذلك النهج الذي وضعه المبشرون حتى اصبحت الطالبة التي تذهب كل يوم الى المدرسة تشعر أن ليس عليها إلا الاعتناء بجغرافية جسدها .

ان للمرأة عند المبشرين اهمية عظيمة ، قال نفر منهم :

«بما ان الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها - ذكوراً وإناثاً - حتى السنة العاشرة من عمرهم ، بالغ في الأهمية ، وبما ان النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة ، فاننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب ان تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على انه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الاسلامية » [٨٧] .

ثم ان اقبال المرأة المسلمة على المدارس المختلطة كان له أسوء النتائج ، ومنذ ان اقبلت المسلمات على المؤسسات الجديدة ، اصبحنا نرى في كل شارع وحانوت ، في كل مدينة وقرية من بلاد المسلمين طالبات سافرات يقصدن « المدارس » للتزود بثقافة المستعمر .

صدر عن المؤتمر التبشيري الذي عقد في القاهرة عام ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م نداء جاء فيه : [٨٨]

« . . . لاسبيل الا بجلب النساء المسلمات الى المسيح . ان عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مئة مليون . فكل نشاط مجد للوصول اليهن يجب ان يكون اوسع مما بذل الى الآن .

نحن لانقترح ايجاد منظمات جديدة ، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية ان تحمل فرعها النسائي على العمل واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول الى نساء العالم كلهن في هذا الجيل » .

وزعم المبشرون ان المرأة المسلمة متأخرة ، وانها لا تتحرر الا اذا دخلت في النصرانية وان الدين الاسلامي نفسه مصدر ألم للمرأة المسلمة .

وفيما يلي جدول بأسماء مدارس الاناث وغيرها ، ومؤسسيها وتاريخ ومكان انشائها ، ويتضح من هذا الجدول وما يليه ان المدارس التبشيرية كانت هي الأكثر انتشاراً :

جدول بمدارس الإناث [89]

اسم المدرسة	اسم المؤسس	المكان	السنة (م)
مدرسة راهبات مار يوسف الظهور	استقدمهم اليسوعيون من فرنسا	لبنان ● بيروت ● صور ● دير القمر ● عمشيت	١٨٤٥ ١٨٤٧
مدرسة راهبات المحبة	راهبات المحبة البيزنسون	لبنان	١٨٤٧
مدرسة جمعية الراهبات المريميات	الآباء اليسوعيون	لبنان	١٨٥٣
مدرسة راهبات قلب يسوع للاناث	جمعية راهبات قلب يسوع	لبنان	١٨٥٥

اسم المدرسة	اسم المؤسس	المكان	السنة (م)
المدرسة الاسلامية العثمانية الوطنية		لبنان ـ بيروت	١٨٦٠
المدرسة الانجيلية للبنات	المرسلون الاميركان	لبنان	١٨٦٠
المدرسة الانكليزية للبنات	المستر دودج ـ طومسون	لبنان ـ عاليه	١٨٦٠
الكلية الانجيلية الأمريكية للبنات	المسز دودج ـ طومسون	لبنان ـ بيروت	١٨٦١
مدرسة «مس تيلر»	مسز تيلر	لبنان ـ جبل لبنان	١٨٦١
مدرسة الراهبات اللعازاريات	الراهبات اللعازاريات ، جمعية اسسها القديس منصور دي بول ولويز دي ماريك ١٦٣٣	لبنان ـ	١٨٦١
المدرسة البروسية للبنات		لبنان ـ بيروت	١٨٦١
مدرسة البنات العالية في بيروت	البروتستانت	لبنان ـ بيروت	١٨٦٢
مدرسة الميتم الانكليزي في الناصرة	المرسلون البروتستانت	فلسطين ـ الناصرة	١٨٦٧
مدرسة اللاّتين للاناث في حوران	المرسلون اللاّتين	سوريا ـ حوران	١٨٧١
المدرسة الرسمية للبنات في مصر . (اول مدرسة رسمية للاناث) .	الدولة المصرية	مصر ـ القاهرة	١٨٧٣

اسم المدرسة	اسم المؤسس	المكان	السنة (م)
مدرسة راهبات المحبة للبنات	جمعية راهبات المحبة	لبنان ـ بيروت	١٨٧٤ ١٨٤٦
مدرسة الاناث في دمشق		سوريا ـ دمشق	١٨٧٧ ١٢٩٥ هـ
مكتب الاناث لجمعية المقاصد في صيدا	جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت	لبنان ـ صيدا	١٨٧٨ ١٢٩٦ هـ
مكتب الشمعون لجمعية المقاصد في صيدا		لبنان ـ صيدا	١٨٨٠ ١٢٩٨ هـ
مدرسة زهرة الاحسان للبنات	جمعية زهرة الاحسان الأرثوذكسية	لبنان ـ بيروت	١٨٨١
كلية العائلة المقدسة للبنات		مصر ـ القاهرة	١٨٨٢
كلية الاسكندرية للبنات		مصر ـ الاسكندرية	١٨٨٤
المدرسة الكاثوليكية للاناث		سوريا ـ	١١٨٥
مدرسة اللعازاريين للاناث		سوريا ـ	١٨٨٥
المدرسة الانكليزية للاناث		سوريا ـ	١٨٨٥
مدرسة الروم للاناث		سوريا ـ	١٨٨٥

اسم المدرسة	اسم المؤسس	المكان	السنة (م)
مصدرة الصعيد للاناث	نظام الحكم آنذاك	مصر ـ الصعيد	١٨٨٧
مدرسة جمعية نور العفاف الارثوذكسية	جمعية نور العفاف الارثوذكسية	سوريا ـ	١٨٩٨
مدرسة البنات في حلب		سوريا ـ حلب	١٩٠٢
كلية الفتيات في جامعة القاهرة		مصر ـ القاهرة	١٩٠٨
مدرسة الكلية السورية للتمريض	المبشرون البروتستانت	لبنان ـ بيروت	١٩٠٨
دار المعلمات في مصر	وزارة المعارف	مصر ـ القاهرة	١٩١٢
مدرسة الاميركان للبنات في صيدا	المبشرون الاميركان	لبنان ـ صيدا	١٩١٣ ١٣٣١ هـ
مدرسة جمعية النهضة الحمصية	جمعية النهضة الحمصية للسيدات	سوريا ـ حمص	١٩١٣ ١٣٣١ هـ
مدرسة راهبات القديس يوسف	راهبات القديس يوسف لبنان	لبنان ـ	١٩١٣ ١٣٣١ هـ
مدرسة صور للاناث		لبنان ـ صور	١٩١٤
مدرسة «سارة ستاهين» للبنات	سارة ستاهين	البرازيل ـ سان باولو	١٩١٤
مدرسة التمريض المصرية	باحثة البادية	مصر ـ القاهرة	١٩١٦

اسم المدرسة	اسم المؤسس	المكان	السنة (م)
المدرسة السورية الاهلية للبنات	ماري كساب	لبنان ـ بيروت	١٩١٦ ١٩١٧
مدرسة نادي الفتيات، المسلمة		لبنان ـ بيروت	١٩١٨
كلية الانكليز للبنات	المرسلون البروتستانت	لبنان ـ بيروت	١٩١٨
مدرسة الاميركان للبنات	المبشرون الاميركان	لبنان ـ بيروت	قبل ١٩١٩
مدرسة بنات الشهداء العرب	نازك العابد بيهم	سوريا ـ دمشق	١٩٢٠
الثانوية الرسمية للاناث		مصر ـ القاهرة	١٩٢٥
المدرسة السنية		مصر ـ القاهرة	
مدرسة اسعد يعقوب الخياط	اسعد يعقوب الخياط	لبنان ـ بيروت	١٨٤٧ ؟
مدرسة مسز بروكز	مسز بروكز	لبنان ـ الشويفات	١٨٦٧ ؟
مدرسة مسز هيكس	مسز هيكس	لبنان ـ شملان	؟ ١٨٦٨
مدرسة جمعية ثمرة الاحسان المسلمة	جمعية ثمرة الاحسان المسلمة في بيروت	لبنان ـ بيروت	

اسم المدرسة	اسم المؤسس	المكان	السنة (م)
مدرسة البنات الكبرى	جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية تولت ادارتها جوليا طعمة دمشقية	لبنان ـ بيروت	
مدرسة لويزا بروكز للنساء	لويزا بروكز، ومن بعدها تسلم ادارتها طانيوس سعد	لبنان ـ بيروت	
مدرسة التقدم لراهبات العائلة المقدسة	المطران يوسف الدبس	لبنان	
مدرسة الناصرة للبنات	راهبات الناصرة	لبنان ـ بيروت	
مدرسة «سانت فاميل» العائلة المقدسة	راهبات العائلة المقدسة الفرنسية	لبنان ـ بيروت	
مدرسة بيزنسون اللعازارية للبنات	راهبات اللعازارية	لبنان ـ بيروت	
مدرسة نادي الفتيات المسلمات	نادي الفتيات المسلمات في بيروت	لبنان ـ بيروت	١٩١٨
مدرسة النجمة البيضاء	جمعية النجمة البيضاء الالمانية	لبنان ـ بيروت	
مدارس الجمعيات الانكليزية للاناث	المبشرون الانكليز	سوريا ـ حوران	
مدارس الانكليز للبنين والبنات	المبشرون الانكليز	سوريا ـ عجلون	
مدرسة دوحة الاداب للبنات	عادلة بيهم الجزائري	سوريا ـ دمشق	

اسم المدرسة	اسم المؤسس	المكان	السنة (م)
مدرسة البنات في الابراهيمية	روز انطون	مصر ـ الابراهيمية	
مدارس راهبات الناصرة للاناث	جمعية راهبات الناصرة	بيروت عكا حيفا الناصرة شفا عمرو	١٨٧٣ ١٨٧٩ ١٨٧٩ ١٨٨٠ ١٨٨٥
المدرسة الارثوذكسية للاناث		سوريا	١٨٨٥

ثلاث جداول احصائية للمدارس في كل من سوريا ولبنان وفلسطين [٩٠]

جداول المدارس في القدس [١]

اسماء المدارس	انشئت سنة	تلاميذها	معلموها	خرج منها
مدارس جمعية انتشار الانجيل بين اليهود				
● مدرسة داخلية للصبيان (١)	١٨٥٧	٢٥	٣	١٧٧
● مدرسة يومية للصبيان (٢)	١٨٧٩	٢٦	٢	٤٤
● مدرسة داخلية للبنات	١٨٤٨	٢٠	٣	٤٢٥
● مدرسة يومية للبنات	١٨٤٨	٦٧	١	٤٢٥
مدارس لجمعية المرسلين الكنائسية				
● مدرسة صهيون الداخلية للصبيان (٣)	١٨٥١	٥٦	٤	٣٤٠
● مدرسة صهيون الداخلية للشبان	١٨٧٥	١٠	٣	١٢
● مدرسة يومية للبنات	١٨٧٠	٦٥	٢	١٠٠
مدارس لجمعيات المانية				
● مدرسة « طاليثا قومي » داخلية للبنات (٤)	١٨٥١	١١٠	٧	٤٠٠
● مدرسة «اليتامى السورية »داخلية للصبيان	١٨٦٠	١٣٠	٥	٢٣٠
● مدرسة يومية لصبيان وبنات الالمان .	١٨٧٣	٢٨	٢	
● مدرسة (الهيكليين) داخلية للصبيان (٥)	١٨٧٨	٢٠	٨	٤٠
● مدرسة (الهيكليين) يومية للصبيان .	١٨٧٨	٥١	٨	٤٠
مدارس الروم الاثوذكس				
● مدرسة المصلَّبة داخلية للشبان (٦)	١٨٥٥	٤٤	٤	٢٢٥
● مدرسة يومية للصبيان	١٨٤٨	١٥٠	٤	
● مدرسة يومية للبنات	١٨٦٢	١٠٠	٣	
● مدرسة راتزيون الصهيونية داخلية للصبيان	١٨٧٨	٤٠	٦	
● مدرسة الفرير (الاخوة) يومية للصبيان	١٨٧٩	١٣٥	١٠	
● مدرسة راهبات صهيون داخلية للبنات	١٨٦٥	٩٠	٨	
● مدرسة راهبات صهيون يومية للبنات	١٨٦٥	١٥٠	٨	
● مدرسة راهبات مار يوسف يومية للبنات	١٨٤٨	١٥٠	٨	
● مدرسة دير الفرنسيسكان داخلية للصبيان	١٧٠٠	٢٠	٣	
● مدرسة دير الفنسيسكان داخلية للبنات	١٨٧٨	٥٠	٣	

(١) تلاميذ هذه المدرسة والتي تليها من اليهود .

(٢) وهذه ايضاً قسم من الاولى وتعلم الاسبانيول المستوطنين في القدس .

(٣) منشىء مدرسة صهيون للصبيان اليتامى هو المطران صموئيل كوبات .

(٤) هذه المدرسة تعلم العربية والنمساوية وعدة صنائع .

(٥) هاتان المدرستان انشئتا في يافا سنة ١٨٧١ ولما انتقل كرسي الدكتور (هوفمن) اللاهوتي، شيخ الهيكليين الى القدس سنة ١٨٧٨ نقلتا معه. واما مجموع الخارجين منهما منذ انشائهما فيبلغ نحو ٢٠٠ .

(٦) اذا تم التلميذ دروسه وكانت سيرته حسنة يدخل الى مدرسة اللاهوت المصلَّبة .

ان مجموع عدد تلاميذ هذه المدارس يبلغ نحو ٣٨٥٤ واكثر ما بين شبان وصبايا وصبيان وبنات . ومجموع عدد المعلمين نحو ٢١١ واكثر .

جداول المدارس في القدس

اسماء المدارس	انشئت سنة	تلاميذها	معلموها	خرج منها	
● مدرسة الكنيسة القديسة حنة داخلية للشبان	١٨٨٢	٢٠	٢		
● مدرسة للكرسي البطريركي داخلية للشبان	١٨٦٠	٤٠	٤		قد اضربنا صفحاً عن ذكر بعض المدارس التي قامت وبطلت كمدرسة البنات التي انشئت سنة ١٨٣٧ او مدرسة الصبيان وغيرهما منذ تردد المرسلين سنة ١٨٢١ الى القدس.
● مدرسة للفرنساوية يومية للبنات	١٨٧٨	٢٠	١		
● مدرسة السيدة (حنة تريز اسكس) يومية	١٨٧٠	٥٠	٣		
مدارس الروم الكاثوليك					
● مدرسة للروم الكاثوليك يومية للصبيان	١٨٨٢	١٠	١		
مدارس للارمن					
● مدرسة لاهوتية للكرسي البطريركي داخلية للشبان	١٨٨٦	٣٠	٦	١١٠	لم نذكر عدة من المدارس بالتفصيل وخصوصاً مدارس الروم الارثوذكس وذلك لمناقضة الاستعلامات.
● مدرسة يومية للصبيان		٤٠	٤		
● ● مدرسة يومية للبنات		٤٠	٢		
مدارس لليهود					
● مدرسة الاتحاد الاسرائيلي داخلية للصبيان	١٨٨٢	١٠	٦		
● مدرسة الاتحاد الاسرائيلي يومية للصبيان	١٨٨٢	٦٠	٦		
● مدرسة للبارون (روشيلد الباريزي) يومية للبنات	١٨٦٧	١٦٠	٥		
● مدرسة لايتام يهود فلسطين داخلية	١٨٧٩	١٢	٣		
● مدرسة (لميل الفيني) يومية للصبيان	١٨٥٠	٥٠	٥		
● مدرسة (بلومنتل) للصبيان		١٠٠	٦		
● مدرسة (تلمود توراة) يومية للصبيان		٤٤٠	١٣		
● مدرسة (للاسكيناج) يومية للصبيان	١٨٥٨	٣٠٠	١٣		
● مدرسة للمغاربة اليهود يومية للصبيان		٥٠	٣		
* يوجد نحو ٣٥ مدرسة صغيرة بيتية جميعها للصبيان معدل تلامذتها ١٥		٥٢٥	٣٥		
مدارس للمسلمين					
● مكتب الرشيدية يومي للصبيان	١٨٦٨	٨٠	٢		
* يوجد نحو سبعة مدارس لتعلم القراءة والكتابة العربية معدل تلاميذها يومياً ٤٠ .					

ان عدد الخارجين من هذه المدارس منذ انشائها الى الآن كثير وغير مضبوط الكمية .

جدول المدارس في بيروت حتى ١٨٨٢[1]

مديرو المدارس	مدارس بنات	عدد المعلمات	عدد التلميذات	ملاحظات
مسلمون	٣	١٥	٤٥٢	● سكان بيروت كان عددهم سنة ١٨٨٢ نحو ١٢٠ الف نسمة من وطنيين واجانب
روم ارثوذكس	٣	٧	٥٠٠	
موارنة	١	٣	٥٥	
يسوعيون	١	٤	٢٠٠	● انشئت اكثر المدارس المذكورة في هذا الجدول بعد ١٨٦٠ .
راهبات المحبة	٤	٦٥	١٣٢٤	
راهبات الناصرة	١	١٨	٥٠٠	● بعض مدارس المسلمين لا تزال على عهدها القديم .
يهود	١	٢	٩٠	
انجيليون	٢٢	٨٧	٢٤٥٠	
المجموع	٣٦	٢٠١	٥٥٧١	

(١) « المقتطف » ، سنة ٧ ، ج ٧، عدد شباط ١٨٨٣ ، ص ٣٩١

جدول احصائي لمدارس لبنان والشام وفلسطين عام ١٨٨٢ (*)

المدن	مدارس صبيان	مدارس بنات	معلمون	معلمات	تلاميذ	تلميذات	عدد السكان في المدينة
بيروت	٦٥	٣٦	٣١٦	٢٠١	٦٨٨١	٥٥٧١	١٢٠٠٠٠
دمشق	١٣٥	٣٨	٢٠٠	٤٥	٥٠٠٠	٢٠٠٠	١٥٠٠٠٠
القدس	٦٧	١٤	١٧١	٥٧	٢٧٨٢	١٠٨٦	٢٠٠٠٠
حلب	٣٥	٧	٧٦	١٨	١٧٥٥	٨١٠	١٠٠٠٠٠
طرابلس	١١	٤	٣٨	١٧	٦٨٧	٤٦٥	١٧٠٠٠
حماه	٣٥	١	٣٧	١	١١٥٥	٢٠	٣٠٠٠٠
حمص	٥٨	٣	٦٣	٤	٢١١٠	١٩٠	٢٠٠٠٠
اللاذقية	١٢	٢	٢٧	٦	٦٦٤	١٦٠	١٢٠٠٠
عكا	٢١	٢	٣٠	٧	٥٠٠	١٥٠	١٠٠٠٠
صيدا	١٠	٥	٢١	٤١	٢٤٧	٢٤٠	٩٠٠٠
صور	٥	٥	٨	٧	٢٤٠	٢٨٠	٣٠٠٠
نابلس	٣٠	٣	٣٦	٤	١٠٨١	١٤٢	٨٠٠٠
بعلبك	٣	٢	٥	٧	٣٠٠	١٣٣	٥٠٠٠
حاصبيا	٣	١	٥	٣	٣٠٨	١٤٠	٦٠٠٠
المجموع	٤٩٠	١٢٣	١٠٣٣	٤١٨	٢٣٧١٠	١١٣٨٧	٥١٠٠٠٠

* « المقتطف » ، سنة ٧ ، ج ٩ ، ١٨٨٣ ، ص ٥٣٧ .

الإفساد

كما لجأ الأوروبيون الى سياسة الافساد واشاعة الفحشاء والمنكرات بين المسلمين فقد كان في بيروت عام ١٨٥٦ م حانة واحدة لبيع الخمر يديرها رجل يوناني ، غير ان الباشا أغلقها ولكن القنصل اليوناني احتج على ذلك ثم فتحها لأن صاحبها يتمتع بحماية دولة مسيحية ، وكذلك

كانت الخمور تشحن من انكلترة الى شعوب المسلمين في الامبراطورية العثمانية .

وكانت انكلترة قد اشتبكت مع الصين عام ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩ م بسبب تصديرها الأفيون الى داخل الصين وانتهت الحرب بمعاهدة نانكين عام ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ واستيلاء الانكليز على جزيرة هونغ كونغ وفرضوا تصدير الأفيون بقوة السلاح [٩١] .

وبعد ان نزلت جيوش فرنسا في لبنان عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م لحماية الموارنة انتهجت نفس السياسة .

يقول جسب :

« لقد كان الاحتلال الفرنسي لعنة في سورية فقد فتح الفرنسيون يومذاك في لبنان خمسين حانة وعدداً كبيراً من بيوت الدعارة وكذلك تفشى السكر الى حد لم يكن من قبل معروفاً ثم زال الاحتلال الفرنسي ولكن سيئاته لم تزل » [٩٢] .

نتائج خطيرة للتبشير

أي أثر كان لهذه التربية الغربية في تنمية الشعور العدائي نحو المسلمين ؟

ان البعثات التبشيرية من فرنسية وأميركية وروسية كانت تعمل على تنشئة جيل جديد على اسس غربية، ولم يقتصر اثر النشاطات التبشيرية على اثارة الشك والريبة في نفوس غالبية السكان من المسلمين في هذه الديار ، بل كان يساهم في اثارة النصارى واذكاء نار العداوة والبغضاء ضد المسلمين .

وبعض الارساليات كان لها مصالح سياسية ولهذا كانت ترى ان من واجبها تعزيز النفوذ السياسي لدولها في هذه المنطقة ورعاية مصالحها فيها ، تعضدها في ذلك دولها التابعة لها فكان افرادها يحاولون بنشاط وهمة غرس محبة اوطانهم في قلوب تلاميذهم الذين يؤمون مدارسهم [٩٣] .

ومعلوم ان اوروبا عندما تؤسس مدرسة في بلادنا فان المقصود من هذا العمل يكون طرح « النموذج الاوروبي » في الحياة .

لقد اصبح التعليم وظيفة ايديولوجية لها أهداف سياسية في ظل الإرساليات الاميركية والفرنسية ، ودعوة صريحة لاحتذاء « النموذج الغربي » ونبذ كل ما يمت الى الاسلام بصلة .

هذه الثقافة خلقت جيلاً خالص الولاء لأوروبا ما لبث ان عبر عنها بمشاريع ومخططات استعمارية وعنصرية بحتة .

وقد كان النفوذ الفرنسي هو الأقوى . يقول القنصل الفرنسي في كتابه ، « تقاليد فرنسا في لبنان » : « ولنا ايضاً ان نضمن ونرقب النظام الذي منحه لبنان بعد احداث ١٨٦٠ وذلك من اجل مصالحنا السياسية ، نعم لقد وقعت نظام الجبل جميع الدول العظمى وهن متكافئات من حيث الحق ، لكن من حيث الواقع لفرنسا ولفرنسا قبل كل سواها ان تجعل هذا النظام محترماً » [٩٤] .

ذكر أحد الفرنسيين « ان الكردينال لافيجيري (Lavigerie) والمرسلين التابعين له (في سوريا ولبنان) قد أدوا الى فرنسا خدمات لا يستطيع جيش ان يؤديه » . ويضيف قائلاً : « نعم ، خدمات لا يستطيع جيش كبير أن يؤديه أو أسطول » . وقد كتب القاصد الرسولي نفسه قائلاً : « نحن نريد سوريا كلها من غزة الى أدنة ومن لبنان الى الموصل » .

وفي الرابع عشر من شهر تشرين الأول سنة ١٨٨٧ م بعث وزير الخارجية الفرنسية برسالة الى القنصل الفرنسي العام في بيروت وذلك بمناسبة ٨٢ (اثنتين وثمانين) منحة دراسية قدمتها فرنسا إلى تلاميذ سوريين ولبنانيين ليدرسوا في المعاهد اليسوعية هناك ،يقول فيها : « الآن وقد تقرر منح هذه المنح الدراسية لسوريا (ولبنان) فاننا نقترح ان يكون

هدفنا مزدوجاً . أولاً ان يكون لنا أصدقاء وعملاء في العائلات التي فاز ابناؤها بهذه المنح . وهدفنا الثاني في تشويق رؤساء المعاهد والطلاب للإقبال على تعلم اللغة الفرنسية . وقد تحقق بعض هذين الهدفين . ونحن نبغي أن نقيم علاقات طيبة مع العائلات ذات النفوذ ، العائلات التي يتعلم ابناؤها في مدارسنا ، فان لم ينشأوا على حب فرنسا فعلى الأقل يكونون من الذين لهم معرفة بلغتها وتاريخها » .

هذا « ويعتقد القناصل البريطانيون المقيمون في سوريا أن مصالح الأمبراطورية البريطانية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمصالح جمعيات الكتاب المقدس العديدة التي لها عملاء مقيمون في سوريا » [٩٥] .

في افتتاحية في المنار هاجم رشيد رضا في ١٨ كانون الأول سنة ١٩١٣ بعنف الأثر السيء الذي تتركه التربية الغربية في البلدان الاسلامية ،وهي تربية تهدف الى تعليم صغار التلاميذ في هذه البلاد ان يحتقروا تاريخهم وأن يمجدوا كل شيء غربي ،وذلك باسم الحضارة . ويرى رشيد رضا ان « المتخرجين من هذه المدارس . . . يجرفون ثروة الأمة الى جانب ويقذفونها بالفجور والنفوذ الأجنبي من كل جانب . . . فينالون منها جميع المآرب يحقرون لها سلفها ويعظمون في نفسها كل ما هو أجنبي عنها . . . وهم الآلات التي يستعين بها الأجانب على ادارة أمر البلاد لأنهم تربية مدارسهم . . . او الجيش السلمي لثكناتهم ولا يتم لهم ما يسمونه الفتح السلمي بدونهم . . . » [٩٦] .

وتنبهت الدولة العثمانية لاطماع فرنسا في جبل لبنان ولفت انتباهها نشاط المبشرين الفرنسيين في مدينة بيروت والجبل حيث اخذوا يقومون بإنشاء المدارس المنظمة يستميلون بواسطتها ابناء الأقليات النصرانية .

كما لاحظت الدولة اهتمام قنصل فرنسا في فرض نفوذ بلاده في لبنان وخصوصاً في بيروت ، مما دفع بالدولة الى فصل بيروت عن ولاية

سورية في سنة ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م لتشكل ولاية جديدة وربطها مباشرة باسطنبول،ليسهل عليها مراقبة نشاط القناصل والمبشرين فيها للحد من مداخلاتهم .

كانت الاقليات النصرانية احدى الركائز الأساسية التي استندت اليها الارساليات الأجنبية في عملية تغريب التعليم داخل البلاد الاسلامية ، فاحتضنت كل دولة اجنبية أقلية نصرانية وادعت حمايتها لها ورعايتها لمصالحها ودفاعها عن حقوقها .

وهكذا اخذت الدول الاوروبية تتنافس في سبيل توسيع نفوذها عن طريق تأسيس مدارس تنشر لغتها وثقافتها،وكانت المدارس الأجنبية تؤسس بمعظمها في القرى النصرانية والمدن التي يكثر فيها النصارى . وكما لاحظنا سابقاً ارتبط التعليم في متصرفية جبل لبنان بالجماعات الدينية وحدها ، وكانت معظم المدارس تدار اما من قبل الإرساليات الأجنبية او الكنائس المحلية .

فقد ادار المرسلون الكاثوليك مباشرة بعض تلك المدارس ، امثل مدارس بكفيا وغزير وبيروت وزحلة ، في حين ادار المرسلون ورجال الكنيسة المحليون معاً مدارس اخرى ، مثل مدرستي زغرتا وعينطورة ، وادار المدارس الباقية بطريرك الموارنة والرهبانيات[٩٧] .

وقد ظلت المدارس العامة (الحكومية)غير معروفة في الجبل حتى الحرب العالمية الأولى .

وفي الوقت ذاته خضع النظام التربوي بصورة غالبة لاشراف المؤسسات الكاثوليكية (اللاتينية والأخرى المنتمية الى الكنائس المرتبطة بروما) ، مع شبكة متزايدة الاتساع من المدارس التي يرعاها ويمولها البروتستانت .

وقد جاء في بعض المصادر ان خمسين الفاً من التسعين الف

طالب في سورية ولبنان التحقوا في العام ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م بمدارس وكليات فرنسية أو تتلقى معونة فرنسية [٩٨] .

وقد خلق ذلك الوضع التربوي نتائج خطيرة :

يقول فولني (Volney) :

« ان اعظم نفع نجم عن جهود هؤلاء المرسلين البابويين هو ازدياد عدد الموارنة الذين اصبحوا يقرأون ويكتبون ، وبفضل تعلمهم غدوا في هذه البلاد فئة تشبه الأقباط في مصر ، اعني انهم اصبحوا موظفين وكتبة يشغلون جميع المراكز العالية [٩٩] .

ويرى هاني فارس نتائج عدة منها :

اولاً : فاقت نسبة التعليم بين النصارى بكثير نسبة التعليم بين المسلمين .

ثانياً : انتشر التعليم في المناطق التي يسكنها النصارى اكثر منه في المناطق الأخرى .

ثالثاً : تم بث ونشر ثقافات ولغات الأمم الأوروبية على حساب الثقافة المحلية واللغة العربية . . » [١٠٠] .

وفي لبنان شكلت الارساليات الأجنبية مدخلاً واسعاً لازدياد دور اللغات الاجنبية خاصة الفرنسية والإنكليزية .

وقد عمدت هذه المدارس بما تضعه من برامج تثقيفية وتوجيهية ، الى خلق كيانات مجزأة عن الوطن الإسلامي الكبير ودعم اصحاب المشاريع الإستعمارية وفي مقدمتها المشروع الماروني ، وهو ما قاد في نهاية الأمر إلى المآل الذي وصل اليه لبنان في العهد الانتدابي ، بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم في عهد الاستقلال ، اذ نمت أحزاب من وسط هذه الأجيال الهجينة تساعد على تغريب الناشئة اللبنانية ، فكانت

الايديولوجية المارونية المناهضة لكل التقاء مع المسلمين لقاء التقارب مع الغرب ، ولولا هذه المدارس التي انشأتها الإرساليات الأجنبية في تلك الفترة وبعدها لما نجحت أحزاب صليبية معروفة بعدائها للمسلمين كحزب الكتائب مثلاً في استقطاب جزء كبير من النصارى ودفعهم ليكونوا خطاً أمامياً ضد كل تفكير اسلامي في هذا البلد .

ان هذه المدارس هي التي خرجت الدعاة الصليبيين الذين اصبحوا قادة أحزاب وخلقوا ما أسموه بـ « المشكلة اللبنانية » او « القضية اللبنانية » ولم يكن بوسع هؤلاء الدعاة الصمود طويلاً لولا تلك المدارس نفسها .

وفي حين امن التعليم الارسالي الفرنسي والاكليركي الماروني أجهزة ادارة جبل لبنان واصدقاء فرنسا حيث اصبح الموارنة يتربون في المدارس الفرنسية ، كان كثير من النصارى يحصلون ثقافتهم في المدارس الانجيلية الانكليزية والأميركية .

وساهمت السياسة الاقتصادية تجاه رعايا تلك الارساليات في تعميق الازمة الاجتماعية اكثر فأكثر بين السكان . واذ عومل التجار المسلمون معاملة دونية قياساً الى التجار الأوروبيين والخاضعين لهم من الأقليات النصرانية ، اخذ الشرخ يتسع منذ ذلك الوقت بين المسلمين والنصارى بعد ما ساهمت الارساليات الأجنبية في استمرار تفوق النصارى - ولا سيما الموارنة - المادي والثقافي والاجتماعي .

وكان هذا الوضع ينعكس بشكل حاد على الاكثرية المسلمة التي باتت تنظر الى الاقليات بعين الحذر والريبة ، وترى فيها ركائز الاستعمار الغربي .

يقول جسب :

« من العناية الالهية العظيمة ان المطبعة الأميركية والمدارس

الاميركية كانت وسيلة لاعداد رجال ونساء كثار ليكونوا مواطنين اميركيين »[١٠١] .

ان « الملل » وقد تحولت عبر ثقافة ابنائها المحصلة عبر النشاط الإرسالي الغربي الى « اقليات » في نظر الدول الأوروبية ، افرزت في ذات الوقت الفئات المؤهلة والمستعدة للعمل في خدمة القنصليات الأوروبية وعمليات التبادل التجارية الأوروبية الناشطة بين الأسواق الاسلامية والبيوتات المالية الأوروبية الكبرى من جهة ثانية[١٠٢] .

وتقول محاضر جلسات مجلس الوزراء العثماني انه عندما عرض على الدولة العثمانية تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين مع إعطائهم بعض الإمتيازات رفض السلطان العثماني هذا الطلب مخافة ان يخلق اليهود في فلسطين وضعاً مشابهاً للوضع السائد في جبل لبنان[١٠٣] .

قلنا ان التعليم اصبح وظيفة ايديولوجية ذات صلة بالاتجاهات السياسية التي تنحو نحوها الاقليات النصرانية في الداخل ، والتي اعتمدت عليها السياسات الاستعمارية الأوروبية،كما ان نشاط الارساليات الأجنبية في لبنان منذ قيام نظام المتصرفية بمساعدة القناصل الأجانب ، خصوصاً الفرنسيين ، غدا بعد اقل من نصف قرن خطراً على سلامة لبنان بعدما استقطبت عن طريق المدارس العديدة التي انشأتها في بيروت ومناطق جبل لبنان والبقاع والشمال اضافة الى جبل عامل ايضاً ، الكثير من الطلاب ، فكان التقسيم الثقافي يستتبع تقسيماً نفسياً .

واصبح النصارى موزعي الولاء بين فرنسا اذا كانت مدارس الإرساليات فرنسية كالجامعة اليسوعية والفرير ، والولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا اذا كانت مدارس الإرساليات اميركية او انكليزية كالجامعة الأميركية والمدارس الثانوية والابتدائية والمتوسطة التي انشأتها الجمعيات التبشيرية الانكليكانية والبروتستانتية .

لقد عمدت هذه المدارس بما تضعه من برامج تثقيفية وتوجيهية ، الى خلق كيانات مصطنعة تعبر عن نفسها في مفاهيم عدة منها : « لبنان ـ موئل المسيحيين » ، « لبنان ـ وطن مسيحي » ، « لبنان الفينيقي » ، « لبنان بلد غربي » .

وفي جميع هذه الصيغ ، ثمة محاولة لفصل البلاد عن بيئتها الاسلامية وتوكيد كون العهود الاسلامية الماضية مراحل انتقالية وعابرة ليس إلا كما يقول يوسف السودا[١٠٤] .

وكان الموارنة شديدي التمسك بالمكتسبات الاقتصادية والاجتماعية الهامة التي حصلوا عليها نتيجة ارتباطهم التبعي بالغرب الاستعماري وعن طريق نظام المتصرفية ، هذا النظام الذي كفلته الدول الأوروبية ولا سيما فرنسا ، اصبح يشكل فيما بعد عنصراً مهماً من عناصر « الهوية السياسية » للموارنة .

وقد تضاعف همهم بالحفاظ على هذه « الامتيازات » عندما تزايدت بفعل توسع الاستثمارات الفرنسية في الجبل في مجال زراعة التوت وتربية الشرانق . واصبحوا يتطلعون الى اكساب هذه « الامتيازات » مزيداً من التكريس والتوسع والاعتراف الدولي بها من جهة ثانية .

وكانت الزعامات المارونية وأولها البطاركة ، يغلفون دعوتهم لحماية مصالحهم بطابع الدفاع عن ابناء « الطائفة المارونية » .

وهكذا فان الإكليروس الماروني الذي نعم « بالامتيازات » والذي اعطته اجهزة الادارة الجديدة اطاراً « شرعياً » ، يغلف بها مواقفه التآمرية كما نعهدها باستمرار اصبح ينزع اكثر فأكثر الى بناء « الدولة المارونية المستقلة » والحفاظ على « الهوية السياسية » .

والواقع ان الموارنة لم يكفوا بعد حوادث ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م وقيام نظام المتصرفية عن المطالبة باقامة دولتهم المستقلة ، كما انه كان من الواضح ايضاً ان الحماية فيما يتعلق بهم كانت تأتي من جانب فرنسا التي كانت تعتبر الحامية التقليدية للأقلية المارونية والكاثوليكية في الشرق .

ولهذا ظهرت في الوسط الماروني اطروحات قومية غربية مشبعة بالافكار الأوروبية ومعادية للمسلمين .

كما لجأ البطاركة الى سياسة التنظيمات والجمعيات السرية ، وسنتحدث عن هذه الأمور في الفصل القادم .

الفصل السادس

من المتصرفية الى « لبنان الكبير »

بروز الجمعيات وفكرة القوميات

واحتلال فرنسي يحظى بالدعم الماروني

جمعية بيروت السرية

في ظل هيمنة الكنيسة المارونية والثقافة الفرنسية اليسوعية وجهود المبشرين الإنجيليين،وفي ظل الدعوة الى القوميات تأسست عام ١٢٩٤ هـ ـ ١٨٧٦ م « جمعية بيروت السرية » ، وأبرز أعضائها : فارس نمر ، ابراهيم الحوراني ، يعقوب صروف، ابراهيم اليازجي ، شاهين مكاريوس وكلهم من خريجي « الكلية السورية الانجيلية » (الجامعة الأميركية) حالياً [١].

لقد نشأت هذه الجمعية في اوساط المثقفين الموارنة وسائر النصارى وارتبطت بالقوى الاستعمارية المتغلغلة بشقيها الاقتصادي والثقافي . واستندت الى فكرة العروبة ، وراحت تنشر بذور الفكرة القومية العربية[٢].

لكن امر هذه الجمعية افتضح في نهاية الأمر فاضطر اعضاؤها الى اللجوء الى القاهرة التي وقعت تحت الاحتلال البريطاني في شعبان عام ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٢ م ، ليتابعوا من هناك وبحراسة الانكليز ما كانوا قد بدأوه في بيروت فأصدروا جريدة يومية : « المقطم » ومجلة فكرية « المقتطف » .

هذا وقد سبق الاحتلال الانكليزي لمصر مؤتمر برلين عام ١٢٩٦ هـ ـ ١٨٧٨ م حيث اجتمع أوروبيو العصر الحديث ليتناقشوا ويخططوا ويتآمرو [٣]، بعد ان جاءت نتائج الحرب الروسية ـ العثمانية لتفتح أمام بريطانية وفرنسا طريقاً لبدء مرحلة من التفاهم على تقاسم الحصص . انصبت جهود المؤتمرين هناك على كيفية تقطيع اوصال البلاد الاسلامية وتفتيت وحدة الاسلام . ومن ثم توزع هذه الأقاليم بين فرنسا ، بريطانيا ، المانيا ،النمسا ، ايطاليا ، روسيا وغيرها .

وكان مع المشتركين في المؤتمر كثيرون من بابوات الكنيسة الغربية والأباطرة والملوك والأمراء والفرسان والرهبان . .

كان الأوروبيون حول « مؤتمر برلين » يخفون وراء الظهور صليب التعصب الذي كان آباؤهم في العصور الوسطى يبرزونه على الصدور .

وهكذا احتلت بريطانيا قبرص ، وكثمن لسكوت فرنسا أوعزت بريطانيا لهذه الأخيرة باحتلال تونس عام ١٢٩٨ هـ ـ ١٨٨١ م . ثم قامت عام ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٢ م باحتلال مصر . وفي عام ١٣٣٠ هـ ـ ١٩١٢ م احتلت ايطاليا ليبيا . وكانت الجزائر قد وقعت تحت الاحتلال الفرنسي عام ١٢٤٦ هـ ـ ١٨٣٠ م .

كانت سياسة الجمعية السرية مكملة لسياسة مؤتمر برلين ومتحمسة لمشاريع أوروبا اكثر من الأوروبيين .

يقول فارس نمر في مجلة المقتطف داعياً لمساعدة دول الغرب عبر الاحتلال والتدخل المباشر« واذا حاسنا المحتلين واستعنا بهم على اصلاح أحوالنا واكتسبنا ثقتهم » . لذلك فهو يدعو للاستعمار ويجاهر :

« انا احتلالي على رؤوس الأشهاد ، من اكبر الاحتلاليين ، لأني جاهرت وشهدت ولم اخف ولم انكر ان المحتلين اصلحوا في هذا القطر اصلاحاً عظيماً » [٤] .

وهذه الحركة كانت مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالمحافل الماسونية .

أحد هذه المحافل هو فرع لمحفل « الشرق الفرنسي » الذي تأسس عام ١٢٨٦ هـ ـ ١٨٦٩ م والذي عرف بمحفل لبنان . كما تأسس في نفس الوقت فرع للمحفل الاكبر الاسكوتلندي [٥] . هذه المحافل كانت تنشر الأفكار والثقافة التي أخذت بها جمعية بيروت السرية وتقبلتها وعملت من أجلها ، تحت ستار الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية وتثقيف اعضائها .وهذا النشاط الماسوني الذي قامت به الجمعية ظهر واضحاً في كتاب « فضائل الماسونية » لشاهين مكاريوس ، أحد ابرز مؤسسي الجمعية والذي كان يشغل عام ١٢٩٨ هـ ـ ١٨٨١ م مهمة « كاتب سر محفل لبنان » الماسوني . كما أسس محفل اللطائف في مصر ومحفل « فينيقية » في بيروت عام ١٣١٠ هـ ـ ١٨٩٢ م [٦] .

ان هذه الجمعية كانت مظهراً من مظاهر التبعية للاستعمار الغربي عبر دعوتها العلنية لتحويل البلاد الى مستعمرات أوروبية، وكانت برامجها التي تقدمها مجرد صدى لأماني الدولة الفرنسية بإنشاء دولة موالية لها في المنطقة .

ثم بدأت باصدار مناشير سرية تعبر عن نزعتها الغربية وميولها الأوروبية .

وبعد الاحتلال الفرنسي لتونس عام ١٢٩٨ هـ ـ ١٨٨١ م صار هذا الهدف اكثر وضوحاً .

يقول القنصل الفرنسي في بيروت في تقريره الذي قدمه الى دولته في ٣ كانون الثاني عام ١٨٨١م، مشيراً الى عملاء فرنسا ونشاطاتهم في المنطقة: « مهما يكن من أمر فانه في حال نشوب تعقيدات جدية بين الأمبراطورية العثمانية واليونان فانه من المحتم اننا سنشعر برد فعلها في سورية (سورية ولبنان) » [٧] .

تلك هي السياسة العامة التي اتبعتها « جمعية بيروت السرية » . سياسة كانت من نتاج المبشرين الأوروبيين عبر مؤسساتهم ومدارسهم ومن تعاون معهم في الداخل أمثال ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وغيرهم ممن كانوا يدعون لنبذ الدين وفصله عن الدولة واحتذاء النموذج الأوروبي في الحياة حتى ان افكار فولتير (voltaire) « التحررية » كما يسمونها تسربت الى طلاب « الكلية السورية البروتستانتية » (الجامعة الأميركية) واصبح لها أنصار يجاهدون من أجلها [٨] .

يؤكد فارس نمر ان جمعيته اتصلت ببعض وجهاء المسلمين غير أن هؤلاء لم يوافقوا على اهدافها بل أثارت مناشيرهم ونشاطاتهم احتجاجاً عنيفاً في اوساط المسلمين في بيروت وخارجها [٩] .

ويشير القنصل الفرنسي في سورية الى مواقف « تدين ما جاء في المناشير من أفكار هدامة وتدعو لملاحقة صارمة لهذه الألاعيب المجرمة » [١٠] .

ذلك لأن الخط الذي جسدته الجمعية السرية كان بمثابة الخط المعارض لأماني جماهير المسلمين الذين رأوا فيه دعوة صريحة للانضواء تحت لواء المستعمرين من فرنسيين وانكليز .

يوسف كرم الذي فشل في استلام مهمة الحكم يهيىء نفسه من جديد للدور المطلوب اذ يقول وهو يشير ضمناً الى امارة جبل لبنان :

«بينما حكومة روسيا منهمكة بالحرب الحاضرة (حربها مع الدولة العثمانية ١٢٩٥ - ١٢٩٦ هـ - (١٨٧٧ - ١٨٧٨ م) فان حكومتي فرنسا وانكلترا لاعتقادهما بسقوط الحكومة العثمانية القريب ، قد هيأتا الوسائل الآيلة الى تجزئة الديار العربية الى اقاليم تلجأ الى حمايتها » [١١] .

وكان للجمعية السرية علاقات حميمة مع الصهاينة ، وقد رحب النصارى المهاجرون من لبنان الى مصر بالمشروع الصهيوني ، وفي

مقدمتهم شاهين مكاريوس وفارس نمر اللذان كرسا صحفهم (المقطم ، المقتطف ، واللطائف المصورة) لخدمة القضية الصهيونية ومشاريعها في فلسطين .

ان جهاد المسلمين لم يكن دعوة للاحتلال كما هي الحال مع الموارنة ودعاة القومية العربية بل كان من أجل حفظ البلاد بعيداً عن الأخطار الخارجية والحفاظ على الهوية الاسلامية .

هذا وعقدت شخصيات اسلامية مؤتمراً في دمشق عام ١٨٧٧ م « لمراقبة ما يجري في مؤتمر برلين وليتخذوا على ضوء ذلك موقفهم الأصوب . . . لتجنيب وطنهم المصير السيء ومن أفجع صوره وقوع احتلال أجنبي » [١٢] .

القومية العربية : حقيقتها وأهدافها

ان فكرة « القومية العربية » التي استندت لها الجمعية السرية انما هي فكرة طارئة ودخيلة على بلاد الاسلام والمسلمين . وهي من صنع المبشرين الأجانب . والمعلوم ان المستعمرين من فرنسيين وانكليز قد وقعوا على فكرة العروبة ثم أرادوا منها ان تكون رابطة قومية مناهضة للإسلام أي ان سياسة العروبة لا علاقة لها بالاسلام . وقد حمل هذه الدعوة كثيرون وألفوا الأحزاب والجمعيات وبذلك يكونون قد وقعوا في الفخ الذي وضعه المستعمر .

ظهرت القومية للمرة الأولى خلال الثورة الفرنسية ١٢٠٤ هـ - ١٧٨٩ م ونشأت على شكل نظام سياسي - اجتماعي - فكري على يد جان جاك روسو الذي أكد كثيراً على العصبية الجماعية للمجموعات البشرية واصر على ان يكون الانسان اكثر ارتباطاً بأرضه ووطنه ، وجعل مسألة الوطن المحور الذي يدور حوله الاخلاص والوفاء في كل الأعمال والأفعال ، واستطاع روسو ان يرفع التصديق بهذه القضية الى حد الواجب الديني المقدس ورفض بشدة فكرة ان عامل الدين هو الذي يربط البشر

مع بعضهم البعض ، ورفض تعامل المجموعات على أساس هذا العامل .

وباتساع رقعة الثورة الفرنسية ، انتشرت فكرة القومية . حيث كان لظهور نابليون الأثر الكبير في هذا الأمر . فقد كان نابليون من المتعصبين لمسألة القومية وتمثلت قوميته في الحرب والاستعمار والقتل والاعتداء والدمار .

اتسعت الدعوة من اجل القومية في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي - حتى أصبحت كرسالة وحركة فكرية عمت جميع ارجاء اوروبا .

وبهذا الترتيب نستطيع ان نقول بأن القومية هي المسلك والطريق الذي اخترعه المخططون الغربيون لتطبيقه بعد الثورة الفكرية (الرنسانس) (Renaissance) ، وذلك من أجل محو القيم الدينية من الحياة الإجتماعية .

هذه البدعة الاستعمارية أو الدعوة الى الجاهلية انتقلت الى البقاع المحرومة من العالم عن طريق المستعمرين وعملائهم المستكبرين لتكون كمقدمة لتمهيد السبيل للسيطرة الإستكبارية الأبدية على شعوب تلك المناطق .

ولم يكن المسلمون حتى ذلك الحين يدينون بالقوميات كما كانت تفعل اوروبا حتى ان القنصل الفرنسي اعترف بهذه الحقيقة في تقرير بعثه الى دولته في ١٩ آب ١٨٥٦ م ضمنه مقتطفات من رسالة بعث بها اليه نائبه في طرابلس يقول :

« من أبرز الحقائق التي يلحظها من يريد درس هـذه البلدان المكانـة التي يحتلهـا الدين في نفـوس الناس والسلطة التي لهـا في حيـاة النـاس . فالدين يظهر في كل أمر وفي كـل مكان في المجتمـع الشرقي . يـظهر أثـر الـدين في الأخـلاق العـامـة ، وفي اللغـة ، وفي الأدب ، وفي جميـع المؤسسـات الإجتمـاعيـة . والـرجـل الشـرقي لا ينتمي الى وطن ولـد فيـه ـ الشـرقي ليس له وطن ـ بـل الى الدين الـذي ولد فيـه . وكما أن الـرجـل في الغـرب ينتمي الى وطن فانـه في الشرق ينتمي الى دين . وأمـة الرجـل الشرقي هي مجموعة النـاس الـذين يعتنقون الـدين ذاته الـذي يعتنقه هـو ، وكـل فـرد خـارج عن حـظيـرة الـدين هـو بـالنسبـة إليـه رجـل أجنبي غريب » [١٣] .

ويقول المستشرق مارسيل كولومب :

« ان المسلمين العـرب ما كـان بإمكـانهم ان يسيروا على غيـر هـدى وراء تعليمات مسيحيي سورية . . . »

ويؤكـد « أنهم بقدر ما كانوا عرباً كانوا أيضاً مسلمين بـل ربما شعـروا أنهم مسلمون اكثر من كونهم عرباً . فالفكرة القوميـة لم يكن لها ان تنتشـر بينهم إلا بـالقدر الـذي يسمح بـه الاسلام ويعـطيه شـرعيـة وحقـاً ، وبتعبيـر آخر : ان العرب المسلمين مـا كان بـإمكانهم ان يكـونوا قـوميين إلا بشرط ان يبقوا مسلمين » [١٤] .

ان محـاولة تنميـة الوجـدان القومي كـانت تقليداً واتبـاعـاً للحـركـات القومية في أوروبا .

ثم إن الدعوة إلى القومية العربية ، مصدرها أشخاص وصوليـون طرحـوا مشاريع من شأنها خدمة التغلغل الأوروبي الاستعماري في منطقتنا .

والحقيقـة ان اكثـر دعـاة القـوميـة العـربيـة لم يكـونـوا مخلصين في أهـدافهم وانما كـانوا يسيـرون على خطة مـدبرة كـان الغرب قـد وضعها ، والغرض منها هو خدمة المشاريع الاستعماريـة ، ولذلـك رأيناهم عنـدما تم الإنفصـال وتقلص ظل الحكم التـركي ينقلبون لمهـاجمـة العـرب وتمـزيق وحـدتهم وشل حـركاتهم . ولم يكتف اولئك الغيـر الـذين يـدعـون نقـاوة الضمير وحريـة الرأي بمـا وضعوه من العقبـات في سبيل تحـرير العـرب ، بـل حاولـوا تجريـدهم من كل معـاني المدنيـة والحضارة ومحـو مـالهم من الآثار العلمية والثقافية .

ولا بـد من التنبيه ان اكثـر دعاة القـومية العـربيـة كـانوا من النصـارى بينهم قسم كبير من الموارنة .وقد أنشأوا لهذه الغاية الصحف والمجلات .

هـذا وقد عثـر جورج انـطونيوس صـاحب كتاب « يقـظة العرب » في مكتب الوثـائق بـوزارة الخارجيـة في لندن على تقـارير قنـاصل الانكليـز في بيـروت وسواهـا من المـدن . ووقف على المنـاشير التي كـانت تصـدرهـا الجمعيات السرية وتعلق ليلاً على الجـدران منذ سنة ١٢٩٣ هـ ـ ١٨٧٥ م، وقـال ما نصـه « ان معـاهـد التعليم الأجنبي التي نبهت القـوم الى العلم ، وبـذرت بذور القـومية العـربيـة ، مـا لبثت ان تعددت نـزعـاتهـا من روسيـة وانكليزية وايطالية جنباً الى جنب مع الأميركية والفرنسية .فسرى الضعف الى النهضة القـومية في مهـدها عن طـريق الانقسام بين المتعلمين في هذه المدارس » [١٥] .

وذلك لان دعـاة القـوميـة العـربيـة تعلمـوا في مـدارس التبشيـر والاستعمـار ، ثـم ان معظم رجـال السيـاسـة في العـالم العـربي واكثـر من تسعين بـالمـائـة من دعـاة القـوميـة العـربيـة هم من خـريجي الجـامعـة الأميركية [١٦] .

وبين الحين والآخر يظهر هؤلاء المتشدقون بالقومية من العملاء وأذناب قوى البغي والضلال من كل زوايا هذه البقاع المستعمرة والمظلومة ملبين ميولهم الباطنية والتزاماتهم تجاه الصنم الغربي عالمين أو غير عالمين .

ان فكرة القومية العربية او غيرها من القوميات انما هي بدع استعمارية جاهلية غايتها فصل المسلم عن تراثه .

ان القومية أول اهدافها القضاء على الشعور الاسلامي لأن الذين يذهبون مذهب القومية في الحياة السياسية من العرب يسقطون الدين من حسابهم لأنهم لا يرون في الدين مقوماً من مقومات الحياة السياسية .

فان العلاقة التي تقوم بين مختلف الدول العربية تعود حسب رأي القوميين العرب الى « العروبة » لا إلى الاسلام ، وعلى هذا الأساس تصبح البلاد الاسلامية الأخرى غير العربية تصبح بنظرهم دولاً أجنبية مثلها مثل المكسيك والاجنتين وانكلترة وفرنسا وأميركا بينما يقول الله تعالى :

﴿ **انما المؤمنون اخوة** ﴾ . ـ سورة الحجرات ١٠ ـ .

﴿ **ان هذي امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ ـ سورة الأنبياء ٩٢ .

وقال الرسول : « من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم » .

انما يعبدون اصناماً .

﴿ **ان هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان** ﴾ـ سورة النجم ٢٣ .

وقد كان لانتشار هذه الدعوة في لبنان آثار سيئة فتفرق المسلمون وصاروا شيعاً ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾.وهذا ما جعل الموارنة يشكلون اكبر قوة على الساحة اللبنانية ، وعلى هذا الواقع ينطبق قوله تعالى :

﴿ **ان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ ـ سورة المائدة ١٣٩ .

وقفة مع نجيب عازوري

نجيب عازوري هو أحد الداعين الى القومية العربية ، فمن هو هذا القومي العربي ؟

نجيب عازوري هو ماروني من جبل لبنان ، عاش في فرنسا منذ صغره ولم يكن يعرف العربية ، وقد تعلم في جو اجتماعي ثقافي فرنسي جعله اداة طيعة بيد الاستعمار ، وفي سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م أصدر كتابه : يقظة الأمة العربية في آسيا التركية:Lereveil de la nation arabe dans l'Asie Turique،فأصبح ينظر ويخطط كما أوحت له الأوساط الثقافية الكولونيالية الفرنسية المحيطة به . وكان شديد الميل الى فرنسا ولم يكن في وضع يمكنه من ان يتكلم باسم المسلمين أو العرب .

دعاعازوري الى انشاء دولتين ، واحدة « تمتد من دجلة والفرات الى قنال السويس ومن شاطىء المتوسط الى بحر عُمان ويكون حكمها ملكياً دستورياً ليبرالياً،وثانية تتألف من ولاية الحجاز وتشكل مع المدينة دولة مستقلة يكون رئيسها في نفس الوقت خليفة المسلمين جميعاً .

والهدف هو كما يقول نجيب عازوري فصل الدين عن السياسة : « وهكذا فان معضلة كبيرة هي فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية

في الاسلام تكون قد تحققت لما فيه خير الجميع » .

يريد عازوري أن يتحول الاسلام الى مجرد وسيلة منعزلة عن قضايا الدنيا تسير في فلك الاستعمار ومشاريعه كما هي الحال مع الفاتيكان .

ويتابع : « سنحافظ على مصالح الأجانب الموجودة حالياً وسنحترم كل الامتيازات التي اعطيت لهم حتى يومنا هذا من قبل الأتراك ، كما اننا سنحترم استقلال لبنان » .

والمعلوم ان استقلال لبنان كما يفهمه نجيب عازوري وأتباعه هو التبعية الكاملة لأوروبا والعداء للمسلمين .

ويبدو أن نجيب عازوري كان متأدباً جداً مع أسياده بالمقارنة مع فارس نمر الذي دعاهم للاحتلال والتدخل المباشر .

يقول : « لا نطلبن من الدول الكبرى ان تقوم بأية تضحية من أجلنا ولا أن تقوم بأي عمل عسكري في مصلحتنا . نرجو فقط من الدول المتنورة والانسانية في اوروبا وأميركا الشمالية ان تحبذ عبر مجرد حيادها حركتنا وان تشجعنا بعطفها . ولا يبقى الا أن نسير بمشروعنا العظيم والسليم نحو الغاية المنشودة » (١٧) .

والجدير بالذكر ان مشاريع نجيب عازوري لم تلق اي تجاوب او اهتمام في المنطقة ، فقط اعجبت الأوروبيين .

ولم تكن أطروحات نجيب عازوري لتلقى لدينا أدنى اهتمام لو لم يعتبره الكثير من الكتاب والأدباء والمغرر بهم أحد رواد القومية العربية، ولكننا حرصنا على توضيح الحقائق لكي يتسنى للمسلمين والعرب منهم بشكل خاص معرفة حقيقة القومية العربية ومن هم دعاتها وروادها .

هجمة صليبية على بلاد المسلمين تدعم المشروع الماروني

عندما أخذ الضعف يدب في الامبراطورية العثمانية ، أصبح من السهل على الدول الأجنبية ان تخترق ذلك السور الذي كان مضروباً عليها ، وهكذا تغلغلت عن طريق الفتح والتغلغل السياسي في شبه جزيرة العرب ومصر وسوريا وقبرص وغيرها .

وفي النصف الثاني من القرن الماضي(م) تعرض العالم الاسلامي من جديد لهجمة صليبية شرسة من قبل الدول الأوروبية التي لم تنفك تحيك الفتن والمؤامرات .

هذه الهجمة أدت الى سقوط أجزاء واسعة من الوطن الاسلامي الكبير (دول المغرب العربي ومصر وبعض أقسام آسيا وإفريقيا والجزيرة العربية وغيرها) ، تحت الاحتلال الصليبي الأوروبي .

وقد كان لهذا الاحتلال اثر بالغ في تدعيم نفوذ المبشرين ودفع المشاريع التقسيمية ولا سيما المشروع الماروني خطوة متقدمة . فبالنسبة للتبشير :

يقول المبشر الأميركي جسب :

« ان القسم الأكبر من المسلمين قد أصبح في حكم الدول النصرانية فيجب الاستفادة من هذه الحالة الراهنة » [١٨] .

ويقول المبشر الألماني رشتر :

« ان مائة وستين مليوناً من مجموع مائتين وخمسين مليوناً من المسلمين في حكم الدول النصرانية فواجب هذه الدول ان تمهد السبيل لتبديل دين هؤلاء الرعايا » .

ويضيف :

« لقد مر زمن كان الملوك المغول (المسلمون*) في عاصمتهم دلهي يحكمون الهند ما بين جبال هملايا الى رأس كورمورين ولكن منذ زمن بعيد حتى آخر سلطان عنقه المتكبرة أمام بريطانية المسيحية » [١٩]

ويقول المبشر زويمر :

« ان الابواب المفتوحة التي تؤدي فعلاً الى الاسلام انما هي المستعمرات التي يعيش فيها المسلمون تحت حكم مسيحي أو حكم وثني أيضاً (في أفريقيا والهند مثلاً) » [٢٠] .

ويتابع :

« ان ثلاثة أرباع العالم الإسلامي يجب ان تعتبر سهلة الإقتحام على الإرساليات التبشيرية ، ان في الامبراطورية العثمانية اليوم وفي غربي شبه جزيرة العرب وفي ايران والتركستان والأفغان وطرابلس الغرب ومراكش سدوداً في وجه التبشير ولكن هناك مائة واربعين مليوناً من

(*) انالمغول اعتنقوا الإسلام .

المسلمين في الهند وجاوة والصين ومصر وتونس والجزائر يمكن أن يصل اليهم التبشير المسيحي بشيء من السهولة » [٢١]

ففي مصر كان المعتمد البريطاني ، اللورد كرومر ، يشجع المبشرين ويحمي القسس الأجانب ويتدخل شخصياً في أعمال التبشير . وقد شجعت الدول المستعمرة في البحرين واليمن وعدن والسودان وجزر الهند الشرقية وجاوة وسومطرة التبشير فكان المبشرون قد اتخذوا عدن مركزاً لهم يرسلون من هناك النشرات التبشيرية الى مختلف بلاد العرب .

مؤتمر بانرمان

وبالنسبة للمشاريع التقسيمية فقد برز ذلك بوضوح من خلال مؤتمر بانرمان ، وتفصيل ذلك انه : في عام **١٣٢٥** هـ ـ **١٩٠٧** م دعا السير هنري كامبل بانرمان « رئيس الحكومة البريطانية » زعماء فرنسا وبلجيكا وهولندا واسبانيا والبرتغال وايطاليا ، شركاء بريطانيا في الإستعمار واستضعاف الشعوب ، دعاهم لعقد مؤتمر أوروبي عام في لندن من أجل وضع الخطط للسيطرة على بلاد المسلمين والمحافظة على المستعمرات المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها .

يقف الثعلب الانكليزي ، رئيس الوزراء ، وزعيم حزب « الأحرار » في المؤتمر ، يخاطب اولئك المجتمعين ، وبغير حياء يجنح الى الصراحة المفضوحة يقول :

« تقوم الامبراطوريات في العالم ، ايها السادة ، وتنمو وتقوى ، ثم ترسخ وتستقر .. ولكنها لا تلبث ان تتململ ، رويداً رويداً ، وتضمحل

وتزول .. ان تاريخ البشرية ليحفل بأشباه هذه الظاهرات . وانها لسنة تتكرر ولا تتغير » .

وبعد أن يذكرهم بمصائر روما ، اثينا ، الهند ، الصين ، بابل ، آشور وغيرها يعرج على أوروبا :

« .. ها نحن أولاء ، وقد وصل بنا الاستعمار الأوروبي الى أعلى ذروة ، نرى أوروبا قد راحت تضرب في القدم فتوغل .. القارة شاخت ، مواردها نضبت .. فهل من وسيلة لديكم لتجنيبنا خطر انهيار هذا الإستعمار ؟ .. هل من سبيل ، ولو الى مجرد إرجاء وقوعه ؟ » .

ثم يختم كلمته قائلاً :

« هذا هو واجبكم يا سادة .. وعلى نجاحكم في انجازه يتوقف الإبقاء على ما نحن فيه من رخاء وسيطرة » .

بعد المباحثات والمناقشات التي اجراها زعماء أوروبا وضع المؤتمر تقريراً خطيراً يكشف عن اخبث النوايا الأوروبية وسعيها الدائب الى تشجيع النزعات العنصرية واستغلالها .

يقول التقرير :

« ... ان الخطر الذي يهدد الاستعمار الأوروبي انما يكمن في منطقة البحر الأبيض المتوسط : همزة الوصل التي تربط بين الشرق والغرب ...

ان على شاطىء هذا البحر ، في جنوبه وشرقه ، تعيش أمة لها مواردها الطبيعية الثرية ، ولها نزعاتها الثورية التحررية ... انها أمة تتوافر لها كل مقومات التجمع ، والترابط ، والالتئام ... بها وحدة التاريخ ، ووحدة الدين ، ووحدة الآمال ... » .

ثم يبدي التقرير مخاوف أوروبا فيما لو اتحدت هذه الأمة وعادت

الى هويتها الاسلامية :

« اذن لأوقعت بامبراطوريتنا القائمة ، وقضت عليها القضاء المبرم » .

وأخيراً اتخذ المؤتمرون عدة مقررات منها :[٢٢] .

- استمرار المحافظة على وضع هذه المنطقة ، المجزأة . .
- محاربة اتحاد هذه الجماهير ، او ارتباطها بأي نوع من التلاقي الفكري أو الروحي أو التاريخي .
- ابقاء شعبها على ما هو عليه من تخلف وجهل .
- العمل على فصل الشطر الإفريقي من هذه المنطقة عن شطرها الآسيوي . والسبيل الى ذلك هو « حاجز بشري » وهذا الحاجز البشري اتخذ فيما بعد صيغة « وطن قومي يهودي » .

مثل هذا قد أراد الغرب أن يكون ، مشروع صليبي يقضي بتفتيت المنطقة وتحويلها الى عدة دويلات لا حول لها ولا قوة .

واعتبرت بعض القوى المارونية قيام دولة يهودية في فلسطين كما نادى بها الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل عام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م حدثاً يقوي من عزم موارنة متصرفية جبل لبنان ويشد من إزرهم في المنطقة وضمن « المحيط الاسلامي » .

بروز « القومية اللبنانية » وسياسة الجمعيات

ان الايديولوجية المارونية السياسية نشأت وعاشت خارج لبنان . فلقد كان المستشرقون الفرنسيون وأوساط الاكليروس الماروني في الفاتيكان قد اجتهدوا كثيراً في ايجاد جذور لما كانوا يسمونه الأمة اللبنانية أو الأمة المارونية .

وكانت دراسات هؤلاء رحلة تفتيش عن مقومات الوجود اللبناني الماروني من الأزل الى الأبد . فكان من الطبيعي أن يكون الطلاب الموارنة في فرنسا اول المتعرضين لأثر هذا الجهد العلمي المكثف وبالتالي لأن تعيش فيهم الحماسة الأشد لفكرة لبنان ذي الطابع الماروني والمتفوق على جواره حضارة والمختلف عنهم عنصراً وصاحب الحق في انشاء دولة متميزة تكون مكملاً لدولة فخر الدين وبشير الشهابي ، مما كان المستشرقون يؤكدونه في تعاطيهم الذكي والمتميز مع الوقائع التاريخية لتلك العهود المنصرمة ، اذ جعلوا اكثر من اقطاعي في جبل لبنان بطلاً وطنياً على رغم انه هو شخصياً لم يعرف نفسه بهذه الصفة .

في عام ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ وضع المحامي الماروني بولس نجيم ، في باريس ، كتاباً يشرح فيه « القضية اللبنانية المسيحية »، وطالب بتوسيع حدود لبنان كما يتطلب اقتصاد الجبل الذي كان بحاجة ماسة الى مرفأ

بيروت وسهول البقاع الخصبة [٢٣] .

واعتبر الموارنة ان لبنان هو « ملجأ للنصارى » ، يشجعهم على ذلك مؤلفون اوروبيون أمثال الأب هنري لامنس اليسوعي الذي درَّس التاريخ في جامعة القديس يوسف في بيروت وتقدم بنظرية لبنان الملجأ [٢٤] .

والواقع ان الموارنة في لبنان اعتزوا بعلاقتهم بفرنسا ولم يحاولوا إخفاءها، وإذ لم ينسوا معونة فرنسا لهم عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م لقبوها بـ : « الام الحنون » بل ان البطريرك الماروني حتى في ايام الحرب العالمية الأولى اعلن اعترافه بما لفرنسا على شعبه من دين في الوقت الذي كانت فرنسا تستعد لالتهام أراضي المسلمين .

وقد اعرب بولس نجيم عن الثقة التي وضعتها جماعته في فرنسا لتحقيق آمالهم ومطامحهم انسجاماً مع « الدور العظيم الذي يفرضه عليهم ماضيهم المجيد » كما يقول:« فهم وقد وضعوا تحت حماية أوروبا المشتركة . . . يناشدون فرنسا حاميتهم على مر العصور . . . ان تضمن ايجاد حل طبيعي وشرعي للقضية اللبنانية . . . » [٢٥] .

هذا ولما كانت القومية المارونية في وجهها الايديولوجي تعيش بشكل خاص بين المثقفين الموارنة الموجودين خارج جبل لبنان ، اما في مصر او في باريس او حتى في الولايات المتحدة حيث كان مهاجر كمثل الماروني أيوب ثابت ، فقد بدأ الشبان الموارنة في هذه العواصم بتشكيل الجمعيات والنوادي لدعم المشروع الماروني القاضي بالسيطرة على لبنان .

يحدثنا بشارة الخوري مفتخراً بالدور الذي لعبه أسلافه عن تأسيس « جمعية الاتحاد اللبنانية » في القاهرة عام (١٣٢٧ هـ) ١٩٠٩م في كتابه حقائق لبنانية :[٢٦]

انطوان الجميل يدعو « الجالية اللبنانية » كما يسميها للاجتماع والتباحث بأمور وشؤون « الوطن » .

داوود بركات يطرح الوضع الداخلي ثم يخلص الى ضرورة فكرة انشاء « الوطن » الماروني .

يسفر الاجتماع عن تشكيل لجنة تنفيذية للجمعية تألفت من اسكندر عمون ، داوود بركات ، حبيب غانم ، حيدر معلوف،بشارة واكيم ، خليل أبي اللمع ، حبيب يزبك ، جورج حنا، وما لبثت هذه الجمعية ان توسعت واسست فروع لها في أوروبا وأمريكا .

وفي العام التالي تقدمت بمذكرة تتضمن المطالب المارونية التي تضمن نفوذ الموارنة السياسي والديني والإقتصادي بما فيها ضم البقاع لدعم اقتصاد الجبل ، [٢٧] . ذلك ان جبل لبنان بالرغم مما كان له من امتيازات فلم يكن يقوى على ان « يطحن الصخر » و« يعجن الكتاب » ، كان لا بد من الأراضي التي تنبت الزرع والبحر الذي يسهل سبل التجارة .

وفي هذه الفترة كانت قد تأسست جمعية بيروت الاصلاحية التي تكونت من مسلمين ونصارى ضد الدولة العثمانية الا ان الاعضاء المسيحيين في الجمعية المذكورة غدروا بالأعضاء المسلمين وقدموا عريضة سرية للقنصل الفرنسي كوجه طالبين منه انتداب وسيطرة فرنسا على بلاد الشام « لأن المسيحيين لم يعودوا يطيقون المسلمين » [٢٨].وغدروا بهم ثانية اثناء انعقاد مؤتمر باريس عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م .

وكان يقيم في باريس عدد من المثقفين النصارى الذين تولوا أمر الدفاع عن السياسة الفرنسية في المشرق،من هؤلاء ، بالإضافة الى نجيب عازوري :

ـ شكري غانم ، رئيس « اللجنة اللبنانية » عام ١٣٣٠ ـ ١٩١٢ م[٢٩] .

ـ خير الله خير الله : ماروني ابن لتاجر حرير من جرود البترون ، تخرج من جامعة بلجيكا[٣٠] ، وكان محرراً لشؤون المشرق في جريدة « le Temps » . وفي عام ١٣٣٠ هـ ـ ١٩١٢ م اسس مع شكري غانم « اللجنة اللبنانية » وأصبح اميناً عاماً لها ثم اصدر كتاب « سورية » في باريس ،ورد في هذا الكتاب مقولات حول : « الارتباط بالمدنية الفينيقية » و « الحضارة الفينيقية » و« الطابع الروماني والاغريقي » و« استقلال الامارة » ثم يثني المؤلف على عهدي معن وشهاب مختصراً تاريخ لبنان بمجموعة بدع وأوهام ومتجاهلاً العهود الاسلامية والطابع الاسلامي للبنان ، ويخلص اخيراً الى استنتاج ما أسماه بـ « الحدود التاريخية والجغرافية الطبيعية للبنان » ، كما يتطلب اقتصاد الجبل[٣١] .

ـ ندرة مطران : وكانت تربطه علاقات وثيقة مع اقطاب السياسة الفرنسية ولا سيما بعد المؤتمر العربي في باريس .

ـ جورج سمنة : كان يتعاطى مع زميله ندرة نشاطات ثقافية وسياسية في اطار المؤسسات الاستعمارية الفرنسية .

لقد استطاع هؤلاء في المؤتمر العربي الذي عقد في باريس في الفترة ١٧ ـ ٢٣ رجب ١٣٣١ هـ ـ ١٧ ـ ٢٣ حزيران ١٩١٣ م ان يدفعوا المؤتمرين نوعاً ما باتجاه الخط الأوروبي القاضي بتجزئة بلاد الاسلام والمطالبة باعتماد خبراء أجانب في الإدارات المحلية كما جاء في البند العاشر من بيان المؤتمر[٣٢] .

وقد كان لجمعية بيروت الاصلاحية والتي كان في لجنتها الادارية يهوديان وعشرة موارنة الدور البارز في ذلك[٣٣] .

كذلك قام الأعضاء النصارى في الجمعية بالاجتماع سراً في

وزارة الخارجية الفرنسية اثناء انعقاد المؤتمر وطلبوا مجدداً الحماية الفرنسية للبنان ضاربين عرض الحائط بكل المطالب العربية واللبنانية في المؤتمر .

كتب جورج سمنة عام ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م معلقاً على طبيعة تلك المطالب ومصيرها ، وعلى الآمال التي علقت على التدخل الأوروبي :

« مما لا شك فيه ان الآمال الانفصالية لم تكن بعد صيغت بسبب استحالة التعبير عنها علناً ورسمياً » .

ويتابع: « للاسف، وبسبب الانقسامات الأوروبية بقي تدخل القوى الكبرى الذي طالما تمنيناه ، خيالاً . فضلاً عن ان مبادرة حكومة واحدة (يشير الى فرنسا) كان يمكن ان يؤدي الى كوارث . اذن كان يجب انتظار الحرب حتى يسمع صوت السوريين » (السوريين واللبنانيين)[٣٤] .

ان نتائج الحرب (الحرب العالمية الأولى) كان ينتظرها الفرنسيون وعملاؤهم بفارغ الصبر .

في تقرير لسفير تركيا في فرنسا يقول فيه :

« ان الحكومة الفرنسية بعثت بتعليمات سرية الى سفيرها في الأستانة والى قناصلها في بيروت ودمشق والقدس تتعلق بخطة العمل الواجب ان تسير عليها . هذه الخطة تتلخص بضرورة الاعتماد على العنصرين الكاثوليكي والماروني في اثارة شغب في سورية ولبنان يدفع الفرنسيين لأن يتدخلوا فعلياً في شؤون المنطقة . ويدير هذه الحركة مباشرة السفير الفرنسي في الآستانة[٣٥] .

ازدياد النفوذ الفرنسي يطلق العنان للمشروع الماروني

في محرم ١٣٣١ هـ - ٢١ كانون الأول ١٩١٢م القى الرئيس الفرنسي ريمون بوانكاريه (Poincarée) خطاباً في البرلمان جاء فيه : « لست بحاجة أن أقول للمجلس ان لنا في لبنان وسورية مصالح تقليدية واننا لعازمون على جعلها موضع احترام . اني لسعيد ايضاً بان اتمكن من ان اضيف بأنه ليس هناك اي مبرر لتصور وجود اي من الخلافات بيننا وبين الحكومة الانكليزية حول هذه النقطة »[٣٦] .

اما مصالح فرنسا التقليدية فيعددها تقرير رسمي صادر عن « لجنة الموازنة » الفرنسية كما يلي : « انها شركة فرنسية رأسمالها أربعة عشر مليون فرنك تلك التي بنت مرفأ بيروت . ان ادارات استثمار الماء ، والغاز ، والكهرباء هي مشاريع فرنسية . ان خطوط السكك الحديدية : يافا - القدس (١٣٠٥ هـ - ١٨٨٩ م) ، دمشق - بيروت (١٣٠٧ هـ - ١٨٩١ م) ، حلب - رياق (١٣٠٩ هـ - ١٨٩٣ م) ، دمشق - حمص (١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م) ، التي اندمجت في شركة « دمشق - حلب » برأسمال قدره (١٢٥) مليوناً ، كلها مشاريع فرنسية ، وفي مجال التجارة مثلت صادرات سورية الى فرنسا المقام الأول ، فقد خرج من مرافىء الاسكندرون وبيروت وحدها ما يعادل ثلاثة عشر مليوناً . ثم ان معظم

المبادلات التجارية تتركز في مجال صناعة الحرير »[٣٧] .

كانت فرنسا قبيل الحرب العالمية الأولى تحتل المرتبة الأولى في السلطنة العثمانية لجهة التوظيفات المالية . وتحتل المرتبة الأولى في مشاريع الأشغال العامة المنفذة والممنوحة بالتلزيم والمرتبة الأولى في اهمية مؤسساتها الاجتماعية الطبية والتعليمية وكذلك في نسبة السكان المطالبين بحمايتها . وكانت تمتلك لوحدها ٦٠ بالمئة من مجموع الدين العمومي العثماني [٣٨] .

وقد سعت فرنسا قبيل الحرب الى تثبيت أقدامها في السلطنة ضمن سياسة التنافس الاستعمارية الواضحة انذاك للسيطرة على أسواق العالم وموارده والتي جاءت الحرب العالمية الأولى تتويجاً لها .

وبناء على هذا الموقع الفرنسي كان يمكن لرئيس غرفة التجارة في مدينة ليون ان يقول في رسالة الى وزير الخارجية في ٢٥ رجب ١٣٣٣ هـ - ٧ حزيران ١٩١٥ (م) : « اننا لا نتصور ان الحرب الحالية ستعطي نتائج بارزة في الشرق الأوسط ، سوى تلك التي تعزز مكاسبنا ومستقبل مصالحنا الموجودة هناك الآن . ان سوق سورية (ولبنان) لمن ابرز المنتجين للحرير وهذا يعني انها ستتبع سوقنا في ليون »[٣٩] .

وقدرمجموع الرساميل الفرنسية الموظفة في سورية ولبنان قبيل الحرب بأكثر من مائتي مليون فرنك فرنسي ، سيطرت على سكك الحديد ومرفأ بيروت وشركات الكهرباء والمياه وفرع البنك العثماني [٤٠] . وتقول بعض المراجع انها كانت ٣,٣ مليار فرنك فرنسي[٤١] . والجدير بالذكر ان افلاس الامبراطورية العثمانية عام ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م كان دليلاً على مدى تغلغل الرأسمال الأجنبي ودرجة الخضوع والتبعية له .

« كما أن صدور فرمان ٢٠ ـ ١٢ ـ ١٨٨١ م الذي صادق على اتفاقية معقودة بين الدولة ودائنيها الأجانب وقضى بانشاء «صندوق الدين العام» كان دليلاً على ان إدارة الدولة انتقلت عملياً الى ايدي ممثلي الرأسمال الأجنبي . وقضى نظام الديون الجديد ان توضع بعض موارد الدولة تحت سيطرة الرأسمال الأجنبي كضمان لوفاء الديون . هكذا فرضت الاحتكارات المتعددة ، وأعطي الرأسمال الفرنسي احتكار التبغ عام ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٣م في الولايات الخاضعة للسلطنة العثمانية مباشرة [٤٢] .

وعلى صعيد التغلغل الثقافي « والانساني » احتلت فرنسا قبيل الحرب العالمية الأولى مركزاً مهيمناً في سورية ولبنان فقد كان لديها اكثر من مئة مؤسسة للخدمات الاجتماعية (مستشفيات ، مصحات ، دور لليتامى والعجزة ، الخ) اضافة الى المؤسسات التعليمية التبشيرية [٤٣] .

لقد اعتبرت فرنسا منذ البدء ان الوجود الثقافي حاسم في تقرير مصير مصالحها المادية في المنطقة . لذا كان التوجه الاستعماري الفرنسي شديد التركيز على انشاء المؤسسات التعليمية وتوجيهها الدائم . ففي عام ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م كانت فرنسا تؤمن السيطرة على خمسين بالمئة من المدارس والطلاب في سورية ولبنان [٤٤] . وكان الوجود الثقافي الفرنسي مهيمناً داخل المؤسسات التعليمية الخاصة في جبل لبنان . وكان اليسوعيون يحتلون المركز الممتاز في هذا المجال ، فقد امتلك التعليم باللغة الفرنسية في سورية ولبنان وفلسطين حتى اوائل شباط ١٩١٤ م ـ ربيع الأول ١٣٣٢ هـ حوالي ٥٠١ مدرسة ضمت اكثر من خمسين ألف تلميذ من الجنسين مقابل مئة مدرسة انكليزية ضمت سبعة آلاف تلميذ ، و ٨٨ مدرسة اميركية ضمت خمسة آلاف تلميذ يضاف اليها الكلية السورية (الجامعة الاميركية) التي ضمت وحدها ١٩٣٥ تلميذاً .

وقدر عدد تلاميذ المدارس الأوروبية والأميركية في سوريا ولبنان قبيل الحرب الأولى بحوالي ٢٥ ألفاً مقابل ٤٠ ألفاً للمدارس الفرنسية

و ١٠ آلاف تلميذ في المدارس المحلية التي يتم فيها التعليم باللغة الفرنسية .

وقدر عدد التلاميذ الذين يتعلمون الفرنسية بحوالي ٥٠ ألفاً من أصل ٩٠ ألفاً من التلاميذ في سورية ولبنان ، ومن بين الـ ٥٠ الف تلميذ يتلقون اللغة الفرنسية ٢٥ ألفاً منهم في جبل لبنان [٤٥] . فكانت هذه المدارس الرائدة للنفوذ الفرنسي في سورية ولبنان .

منذ عام ١٣٣٠ هـ ـ ١٩١٢ بدأت فرنسا تهيىء الوضع الداخلي في سورية ولبنان لاحتمال تدخل مباشر . وكان ان شكلت « الثقافة » وسيلة هذه التهيئة : « فارتبطت جامعة القديس يوسف في بيروت بجامعة ليون لتطوير التعليم العالي الفرنسي » .

ثم دشنت مدرسة الحقوق في بيروت في ذي الحجة ١٣٣١ هـ ـ تشرين الثاني ١٩١٣ م وارتبطت ادارة الدروس فيها باليسوعيين ، بينما أشرفت جامعة ليون على التعليم ومنح الشهادات . ووفق نفس المبدأ ، افتتحت ايضاً وفي نفس الوقت مدرسة التكنيك « لاعداد مساعدين محليين للمهندسين الفرنسيين » [٤٦] . وفي محرم ١٣٣٣ هـ كانون الأول ١٩١٤ م ، تقدم وزير الخارجية الفرنسي الى لجنة الشؤون الخارجية في المجلس بتقرير تحدث فيه عن هذه السياسة ، فأكد على أهميتها ونجاحها واستعاد بعض جوانبها :

« من اجل تدعيم نمو الثقافة الفرنسية وتركيز نفوذها ، عدة اجراءات كانت قد اتخذت وكانت مؤازرتي لها أكيدة . ان مدرسة للقانون ومدرسة للفنون والمهن تأسستا في بيروت تحت اشراف جامعة ليون الفرنسية » [٤٧] .

كان من نتائج تصريح الرئيس الفرنسي بوانكاريه عام ١٣٣٠ هـ ـ

١٩١٢ م حول « مصالح فرنسا في سورية ولبنان » ان دعم موقف الموارنة المعتمدين على حماية فرنسا وازدياد نفوذها .

وبعد يومين أي في ٢٣ كانون الأول رست مدرعة فرنسية في ميناء جونيه وقامت قيادة المدرعة بزيارة للبطريرك الماروني . ومعلوم ان زيارة كهذه في مثل تلك الظروف كان لها معاني سياسية خطيرة . فدخول المدرعة الفرنسية الى ميناء جونية بهذا الشكل كما لو كان ميناء فرنسياً يعتبر كسراً لقرار الحكومة العثمانية باقفال المرفأ وبتأكيد الدعم الفرنسي للنفوذ الماروني[٤٨] .

وعلى صعيد محلي ، فسر الحدث على انه تجاوز لبيروت ، المدينة ذات الطابع التاريخي الاسلامي ، وتأكيد فرنسي على توفير امكانية الاتصال المباشر بأوروبا للساحل الماروني ، بالرغم من الاستياء الكبير والاحتجاج العنيف الذي أبداه المسلمون[٤٩] .

وكان لهذا الحدث اثر كبير فقد تحققت بعض المطالب المارونية المرفوعة الى المتصرف[٥٠] . وفي ربيع الأول ١٣٣١ هـ - ٨ كانون الثاني ١٩١٣ م رست مجدداً باخرة فرنسية في ميناء جونية وعلى ظهرها القنصل الفرنسي ونائب قائد البحرية اللذان توجها في تظاهرة عسكرية ، ضمت عدداً من الضباط العسكريين الى مقر البطريرك الماروني في بكركي الذي استقبلهم بفرح شديد، وجاء في الكلمة التي القاها البطريرك في استقبال زائريه :

« اننا نشكركم على هذا الاسراع في زيارة جونية التي لا تشكل مرفأ لبنانياً فحسب ، بل مارونياً ايضاً ، فتح بفضل اهتمام فرنسا بنا . . . انكم اذ تقومون بزيارتنا مع هذا العدد الكبير من ضباط البحرية ، كمن يقوم بزيارة بيته ويقيم بين افراد عائلته ، فانما هو برهان ساطع على الحب الذي يكنه الشعب الماروني نحو فرنسا منذ قرون » .

ورد نائب قائد البحرية الفرنسية بكلمة وصف بها البطريرك بأنه

زعيم وأب لكل اللبنانيين ، وأكد على اهمية العلاقة بين فرنسا والموارنة « الذين تحبهم فرنسا كما تحت مواطنيها »[٥١] .

هذا الموقف التأكيدي على دور فرنسا في تحقيق بعض المطالب المحلية ، لم يكن الا ليطلق العنان للحركة المارونية في متصرفية جبل لبنان ، لتقدم مطالبها ومشاريعها في صيغة إيديولوجية تشكل في خصوصياتها المعلنة نصراً جديداً للمشروع الماروني الهادف الى اقامة الدولة المارونية .

في اوائل ربيع الثاني ١٣٣١ هـ - ٣ آذار ١٩١٣ م ، رفع مجلس بلدية زحلة مذكرة الى القنصلية الفرنسية تطالب بضم البقاع للنفوذ الماروني وتقدم « براهين تاريخية واقتصادية » لتعميم الحالات الشاذة كما ورد في كتاب خير الله خير الله ،وتتحدث المذكرة عن خطر مزعوم هو خطر الشيعة « الذين يعيشون من محاصيل املاك المسيحيين » ، ويشكلون عصابات مسلحة تقطع الطرق وتغير على المزارع والحقول[٥٢] ، متجاهلة في نفس الوقت المجازر التاريخية التي ارتكبها الموارنة بحق الشيعة طوال قرون عديدة والاستيلاء على اراضيهم وممتلكاتهم في جبل لبنان بعد طردهم منها .

ترحيب الموارنة بجيش الاحتلال الفرنسي

في اعقاب الحرب العالمية الأولى

في ربيع الأول ١٣٣٢ هـ - آذار ١٩١٤ م ، وصل القنصل الفرنسي الى بيروت.جورج بيكو،وبدأ على الفور مباحثاته مع وجهاء الموارنة حول امكان تعاون وثيق مع فرنسا لكسب الحرب ، وبعد ان تم وضع الخطة احضر السلاح ووزع على المقاتلين ،وفي بداية الحرب طلب البطريرك الماروني الياس الحويك يعاونه رئيس « اللجنة اللبنانية » في باريس شكري غانم من وزارة الخارجية الفرنسية ابقاء جورج بيكو في لبنان، بقوله : « لا شيء يمنع السيد بيكو المحبوب جداً في البلد بدلاً من عودته الى فرنسا من ان يكون الرئيس المعنوي لدفاعنا »[٥٣] .

في ١٥ آب ١٩١٤ م بادر خير الله خير الله الى التطوع في الجيش الفرنسي[٥٤]،واعلان نداء « لمواطنيه المبعثرين في مختلف انحاء العالم » يدعوهم فيه للالتحاق بالجيش الفرنسي « لخدمة قضية الحق والحرية » كما قال ،وبعد ثلاثة أشهر من هذا التاريخ حلت « اللجنة اللبنانية » بسبب « مواقف بعض اعضائها » كما قال شكري غانم[٥٥] ، على ان هذه اللجنة تأسست من جديد بعد الاحتلال الفرنسي تحت اسم « اللجنة المركزية السورية » وسوف نتحدث عنها فيما بعد .

ثم قام عدد من النصارى المقيمين في باريس بالالتحاق في الجيش

الفرنسي . الهدف يشرحه خير الله في هذه الكلمات :

« اننا أردنا اتخاذ موقف سياسي يكون تكملة للسياسة الفرنسية في الشرق . . . ولاعطاء هذا الموقف كل أهميته ، وليكون له الصدى المطلوب في لبنان وسورية ، فان اشتراك لبنانيين وسوريين في فرقة فرنسية أمر ضروري »[٥٦] .

وقامت القوى الاوروبية بتقديم الوعود الأكثر رعونة الى اتباعها ، واعدة اياها باقامة وطن « للامة المارونية » ، و « للأمة الكردية » و« للأمة الأرمنية »[٥٧] .

عام ١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م وفي باريس بالذات اصدر ندرة مطران كتاب : « سورية الغد » .

كان هذا الكتاب بمثابة دعوة علنية وصريحة للاحتلال الفرنسي للمنطقة حتى ان الكاتب جمع الحجج الأساسية لمعارضي التدخل الفرنسي وجهد في دحضها،يقول :

« ليس لفرنسا الا ان تهتم بسورية (سورية ولبنان) فهي المكمل الضروري لامبراطوريتها الإفريقية . فدمشق المدينة المقدسة وباب الكعبة والمركز المحافظ على التقاليد الاسلامية والعربية ، تشكل بالنسبة لفرنسا قمة الصرح ، ودعائمه هي الجزائر وتونس وفاس ، وبما ان القاهرة والقسطنطينية ليستا لها ، فيجب أن تكون دمشق من نصيبها . . . »[٥٨] .

هكذا أصبح ندرة مطران فرنسياً اكثر من الفرنسيين ولديه الخبرة التامة بمصالح فرنسا فيرسم لها المخطط الذي ينبغي تنفيذه .

ثم يتابع : « وهكذا فهي تستطيع من هناك قيادة التطور الوشيك

الحدوث للسوريين والعرب . . »

ومع ذلك فهو لا يستطيع ان يكتم حقده على الاسلام والمسلمين، فيقول : « فمن سورية تستطيع ان تراقب بشكل فعال بؤر الاتجاهات الوحدوية الاسلامية التي سيحاول الأعداء خلقها واستغلالها ضدها ، فاذا أمسكنا بالرأس ، غدا الجسم تحت تصرفنا المطلق » (٥٩) .

وبعد أن يتحدث عن المنطقة وثرواتها لاغراء الفرنسيين ودفعهم للعمل يخلص الى « ان فرنسا باحتلالها سورية لا تمارس سياسة عواطف بل انها تجد ما يشبع كل مصالحها المادية (٦٠) .

ثم يكتب الى الموارنة : « فما عليكم الا تسهيل مهمتها ، انتم الذين تحبونها برهنوا على أن حبكم لها هو فعلي وليس أفلاطونياً . هي من اعطتكم امتيازات الاستقلال ، انها خير حكم قادر على استخدامها بما يناسب تطوركم ، فاتركوا انفسكم لارادتها » (٦١) .

ان نشاط ندرة مطران الاعلامي في باريس ينخرط في خط الديبلوماسية الفرنسية الساعية لتثبيت مواقعها المحلية في المنطقة .

وقد كشفت الأوراق السرية التي صادرتها السلطات التركية في مركز القنصلية الفرنسية في بيروت ، اسماء شخصيات عديدة كانت تعمل لحساب فرنسا ونصرنة لبنان من هؤلاء الأخوان فيليب وفريد الخازن ، ميشال تويني ونخلة مطران (٦٢) .

ولما كان الهدف المشترك للنصارى هو السيطرة على لبنان فقد انعقد في ١٥ أيلول ١٩١٥ م (شوال ١٣٣٣ هـ) ـ كما يعترف بذلك ندرة مطران ـ

مؤتمر لبناني نصراني في نيويورك تحت اشراف جمعية « النهضة اللبنانية »، طالب المؤتمرون بتحويل لبنان الى امارة يحكمها أمير أجنبي (٦٣) .

وكان لدخول الدولة العثمانية الحرب كفريق الى جانب الألمان ضد فرنسا وبريطانيا أسوء النتائج فلم يكن ذلك في مصلحة المسلمين بل كان في مصلحة المشاريع الاستعمارية التي ارتبط بها الموارنة .

فما ان وقعت الحرب وانضم العثمانيون الى المانيا حتى اعلنت بريطانيا بحماس كبير على لسان ملكها لويد جورج :

« لقد دقت ساعة القدر الكبيرة ، موعد تصفية الحساب مع تركيا » (٦٤) .

ان نتائج الحرب العالمية الأولى كانت كلها تصب في مصلحة المستعمرين والصليبيين ولم يكن من مصلحة المسلمين ان يتحالفوا لا مع الألمان ولا مع الحلفاء . كان عليهم فقط ان يحافظوا على حدودهم وبلادهم ويدافعوا عن أوطانهم ضد أي غزو محتمل .

واكبر من هذه الأغلاط ما يسمى بـ « الثورة العربية » التي اعلنها الشريف حسين في الحجاز بمساعدة الانكليز ضد العثمانيين .

في العاشر من كانون الأول ١٩١٧ م ، وبعد ان عبدت الجيوش العربية الأرض امام اقدام الفاتحين يدخل القائد البريطاني « اللنبي » الى القدس دخول الظافر . ووسط الجماهير العربية التي خدعتها الوعود الكاذبة ، وبعد ان يدخل الرجل الى باحة المسجد الأقصى ثم يرمي بنظرة صلف الى المسجد المذكور ، وقبة الصخرة ، وكنيسة القيامة ، يعلن في تجبر واستكبار : « اليوم انتهت حقاً الحروب الصليبية » (٦٥) . وينزاح عن صدره كابوس مئات الأعوام ، ويتنفس الصعداء .

هكذا سقطت القدس في ايدي صليبيي القرن العشرين بعد أن

خرج اسلافهم منها في حروبهم الأولى قبل ثمانية قرون ، (٥٨٣ هـ) .
وقرعت اجراس الكنائس فرحاً بسقوط القدس حتى الكنائس الألمانية ابتهجت بالعيد بالرغم من ان ألمانيا كانت تقاتل ضد الحلفاء (فرنسا ، بريطانيا ، امريكا . . .) وخسرت الحرب، وكأن ما خسرته المانيا سياسياً بهذا السقوط يعزيها به عودة الأرض المقدسة دينياً الى ايدي الصليبيين [٦٦] .

يقول لورنس براون في كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » :

« كنت أرى اننا اذا انتصرنا فان وعودنا للعرب ستبقى حبراً على ورق . ولو كنت مستشاراً مخلصاً لكان علي ان ارد اولئك المحاربين الى بيوتهم ، لا ان أدعهم يجازفون بأرواحهم لقاء تلك الوعود الكاذبة . . الا ان ثورة العرب كانت اداتنا الرئيسية للانتصار في الشرق » .

ويزيد صراحة ، فيورد في نفس كتابه :

« . . . وجازفت بالتضليل اقتناعاً مني بأن مساعدة العرب لنا كانت ضرورية لنصل الى نصر سريع وقليل التكاليف على الجبهة الشرقية ، وأن النصر مع الاخلال بالوعد أفضل من الهزيمة » .

وكان لونس براون ، وهو جاسوس انكليزي ، المحرك الأول « للثورة العربية » التي اشعلها شريف مكة على الأتراك .

ويعترف الاوروبيون بأنه كان « يظهر انه نصير العرب في كفاحهم من اجل التحرر ، والساعي الى وضع حد للخصومات فيما بينهم ، والى توحيدهم . . والحقيقة ، حسبما يتبين الآن من تقاريره ، هي ان مهمته الأساسية ، منذ بدء الثورة ، كانت تهدف الى توثيق رباط العرب بالسلطة

البريطانية ، وتثبيت انقسامهم بعضهم على بعض » [٦٧] . حتى ان تلك الثورة المزيفة لقبته « ملك العرب غير المتوج » .

لما وصلت الحملة العسكرية بقيادة الماريشال هنري اللنبي الى صور وصيدا في طريقها الى بيروت وحلب عين ضابط فرنسي يدعى (فيجل) لادارة حكومة صيدا وملحقاتها .

وكان قد عقد اجتماع في النبطية لدراسة الأمور المستجدة فأرسل فيجل قوة عسكرية الى النبطية حيث نشرت اعلاناً في الساحة العمومية ونصه :

« باسم القائد العام لجيوش الحلفاء الثلاثة انكلترا وفرنسا والشرفاء يمنع الاجتماع العام والمظاهرات السياسية من اي نوع كانت ومن خالف ذلك عد مسؤولاً ومستهدفاً للجزاء »

١١ تشرين الأول ١٩١٨ باسم الحلفاء الثلاثة
ـ حاكم صيدا العسكري ـ فيجل

وفي ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩١٨ م ـ ١٦ محرم ١٣٣٧ هـ نشر اعلان آخر في النبطية ونصه : « يمنع الاجتماع العام والمداولة في صيرورة البلاد العائد حل قضيتها للحلفاء الثلاثة » [٦٨] .

حاكم صيدا العسكري ـ فيجل

وفي ٣٠ منه وصل النبطية مائتا فارس فرنسي يقودهم ضباط منهم وقد دخلوا البلدة شاهري السيوف ووقف قائدهم في الساحة العامة فخطب قائلاً : « ان الفرنسيين امة محسنة لا فاتحة » . ثم ذهبوا الى مرجعيون وعادوا الى صيدا .

ثم ابدل الحاكم الفرنسي فيجل بحاكم آخر يسمى (شربنييه) ، وعين للنبطية حاكم فرنسي برتبة مرشح ضابط يدعى روز فلدر فحضر

ومعه شرذمة من الجند الفرنسي فأقامت بالنبطية .

وقد استاء الناس واشتد سخطهم لانفراد الحكام الفرنسيين بادارة البلاد ، وراجت سوق الجواسيس وكثرت تقاريرهم بحق الثوار الذين نالهم الإرهاق . واصبح الناس ذات يوم في النبطية واذا بعشرات الاعلانات والمناشير الثورية الصقت على جدران الأسواق والمعابد وسرايا الحكومة ومقر الجند وعلى باب غرفة الحاكم ومآلها حض الناس على مقاومة الفرنسيين المحتلين وطردهم (٦٩) .

وبالمقابل زعم الرأي العام الماروني والكاثوليكي « ان الله يعمل من خلال الفرنسيين في الشرق » (٧٠) .

ابتهج الموارنة بالاحتلال الفرنسي،وما ان دخل الفرنسيون الى بيروت والجبل حتى بادرت السلطة العسكرية الفرنسية بتقديم المساعدات من مؤن ومواد ، ودعمت مشاريع رجال الكنيسة الفرنسية من مستشفيات ومستوصفات ودور أيتام . . .

كتب الخوري يوسف الحداد معبراً عن فرح الموارنة بنزول الجيش الفرنسي : « لا تسل عن صدورنا كيف اتسعت ، وعيوننا كيف قرت . . وقلوبنا كيف رقصت . . ان لبنان كان ميتاً فعاش . . كنا قبل هنيهة نعاجاً بين ذئاب . . وها نحن اشبال حولنا اسود تزأر . . . أنا شارلمان ، انا لويس السابع ، انا نابليون ، انا الجمهورية ، أنا بنت الرحمة ، انا امك ، ورفعت شارة مثلثة الألوان وضمت بها الجبل وقالت : انا فرنسا » (٧١) .

هكذا يعتبر الموارنة ، شارلمان ولويس ونابليون أسيادهم ومثلهم العليا فالخوري هو نفسه نابليون وهو نفسه لويس وجماعته هم أنفسهم جنود الحملات الصليبية التي ابتليت بها الأمة الاسلامية . والمشروع الماروني هو نفسه مشروع لويس وليبنتز ،وهو إحياء لحمة نابليون

الصليبية ومشاريع فرنسا الاستعمارية .

في منتصف شهر محرم ١٣٣٧ هـ - ٢٣ تشرين الأول ١٩١٨ م قام كولوندر ، ممثل الحكومة الفرنسية ونائب المفوض السامي الفرنسي جورج بيكو،بزيارة للبطريرك الماروني في بكركي وتداول معه بشأن تشكيل الحكومة العتيدة ، وتم الاتفاق بينهما على أن تستمر الادارة ، الى حين ، باشراف مجلس الادارة ، وعلى أن يعين موظف فرنسي مؤقت . وبعد يومين اعلن عن هذا الاتفاق الذي تم بين البطريرك والفرنسيين .

وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول جرت حفلة رسمية اخرى في بعبدا ، اقيمت هذه الحفلة على شرف الضيفين الكولونيل دي بياباب (De Piepape)،قائد الفرقة الفرنسية في فلسطين وسوريا والذي عين حاكماً على بيروت،والمسيو كولوندر . وقد حضرها اعضاء مجلس الإدارة اللبناني وعلى رأسهم حبيب باشا السعد الى جانب جمهور من أعيان الموارنة، وكان الرجلان الفرنسيان اكثر من ضيفين اذا ان الكولونيل بياباب جاء كحاكم عسكري لمنطقة « ارض العدو المحتلة الشمالية » التي كانت تشمل جميع الأراضي اللبنانية ، وجاء كولوندر بصفته ممثلاً للجمهورية الفرنسية ، كما انهما جاءا لينقضا بصورة رسمية ما كان قد انشأه شكري باشا من اقامة حكومة عربية - التي لم تعترف بها فرنسا - وليقولا بوضوح للبنانيين وللسوريين ان فرنسا هي السيدة صاحبة الشأن في لبنان ، وليس الحكومة العربية، والقى الحاكم العسكري الفرنسي خطبة ودية اثنى فيها على حبيب باشا السعد ، واعلن انه بصفته الحاكم العسكري يعيد ولاية مجلس الادارة اللبناني برئاسة حبيب باشا (٧٢) .

وفي هذه الأثناء رست في بيروت بارجة حربية فرنسية وعلى ظهرها المحامي الماروني اميل ادة وهو من دعاة « القومية اللبنانية » ، وقد هرب

الى فرنسا اثناء الحرب ، حيث وطد علاقاته بالمسؤولين الفرنسيين . ورأى هؤلاء في اميل اده الصديق المخلص ، فقرروا دعمه وأوفدوه الى بيروت مستشاراً لبنانياً للمفوض السامي الفرنسي [٧٣] .

كانت هذه البادرة قد أظهرت ، منذ البدء ، نوع السياسة التي نوى الفرنسيون انتهاجها في لبنان . ولم تخف الادارة الفرنسية عزمها ، منذ لحظة قيامها ، على تحقيق جميع المطالب المارونية حتى ان كولوندر صرح على الملأ ، في احدى المناسبات ، بأن فرنسا انما جاءت لتحمي أصدقاءها الموارنة وتضمن مصالحهم .

وكان كولوندر يجول في المناطق اللبنانية ، فيستقبله الموارنة بالهتاف واطلاق الرصاص . ولا عجب ، فالمصالح الفرنسية والمارونية قد تلاقت ، آنذاك ، بأجلى وضوح ، فلئن كانت فرنسا في حاجة الى لبنان ماروني صديق ، كمركز لسياستها في المنطقة ، فقد كان الموارنة وسواهم من نصارى لبنان يشعرون بحاجة الى الدعم الفرنسي لتحقيق مشاريعهم وبناء دولتهم .

وسرعان ما برهن الموارنة للفرنسيين عن جدواهم كحلفاء حين الحت الوفود المارونية الى « مؤتمر الصلح » في باريس - والتي رئس أحدها البطريرك الياس الحويك - على « الحماية الفرنسية » والانتداب الفرنسي ، وأيدت « اللجنة المركزية السورية » وسواها من الهيئات النصرانية العاملة في الخارج هذا المطلب . وسنتحدث عن هذه الأمور بالتفصيل .

الجمعية المركزية السورية

شجع الفرنسيون وبهدف خلق الارضية الأساسية لنفوذهم في سوريا ولبنان ، بعض الشخصيات اللبنانية والسورية المقيمة في فرنسا ، على تأسيس « الجمعية السورية المركزية » عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م برئاسة شكري غانم المقرب جداً من الخارجية الفرنسية في ذلك الوقت ومستشارها الأول للمسائل السورية واللبنانية ، وهكذا تجمع بعض قدامى مؤسسي « اللجنة اللبنانية » تحت اسم « الجمعية السورية المركزية » ، التي شكلت مثلاً آخر على تزاوج حاجات الدبلوماسية الفرنسية مع بعض ردود الفعل المحلية في الخارج .

ويتأكد ضلوع وزارة الخارجية الفرنسية في تأسيس هذه الجمعية من خلال وثائق كثيرة محفوظة في الارشيف الدبلوماسي لتلك الفترة، كذلك فان نظام الجمعية لا يترك مجالاً للشك في انها انشئت لخدمة المصالح الفرنسية في المنطقة . فقد اكد البيان التأسيسي للجمعية « ان هدفنا ، ولنقل ذلك بكلمة واحدة ، هو تحقيق إنعتاق سورية (ولبنان) تحت القيادة الفرنسية » .

وجاء في المادة الأولى من نظامها ، وتحت بند « غاية الجمعية وقوامها » انها « ستعمل ايضاً على توحيد المساعي والمقدرات الشخصية

حتى يصبح السوريون (واللبنانيون) كلهم اجمع في حالة يقدرون معها على العمل معاً على تخليص الوطن بمساعدة فرنسا التي اعترف ابناء سورية بفضلها في كل زمان » .

« ثم ان غاية الجمعية تحرير سورية وتأهيلها للاستقلال تحت رعاية فرنسا ، وبمعونتها ، وبضمانها ، وذلك بواسطة حكم يضمن استقلال الولايات الاداري المركزي ، تاركاً لكل من الجهات المختلفة (كلبنان الذي يتمتع منذ القديم بادارة مستقلة خاصة به وفلسطين الخ . .) هيئتها الخاصة بها ، كي تتمكن من تطبيق عمرانها على رغائب اهلها الوطنية ، والجمعية تتحايد كل مسألة دينية وكل مصلحة شخصية ومالية » .

وجاء في المادة الثانية ما يلي :

« في وسع مكتب الجمعية قبول بعض الناس من غير السوريين بصفة اعضاء اصدقاء ، من غير اتباع دولة على عداء مع فرنسا وممن يهتمون بالمسألة السورية . . » .

وواضح من هذا ان وزارة الخارجية الفرنسية هي التي وقفت وراء تأسيس الجمعية ، خاصة ان نص النظام الأساسي بدا مترجماً عن لغة اجنبية (الفرنسية بالطبع) وليس مكتوباً اصلاً باللغة العربية وأصرت الجمعية على متابعة واكمال التجنيد في « الفرقة السورية » واعتبرتها المهمة الاكثر الحاحاً . وهذه الفرقة هي فرقة صليبية كانت تقاتل الى جانب الفرنسيين.

وجاء في بيان الجمعية انها « تتعاون مع السلطات الديبلوماسية والعسكرية الفرنسية » [٧٤] .

وكان الموارنة قد اعلنوا رفضهم الانضمام الى أية دولة عربية كبرى قد يتم انشاؤها [٧٥] . وتألفت لجان من المغتربين في مختلف انحاء العالم ، هدفها اقناع الحلفاء بمقاومة الدعوة الى الوحدة العربية او

الوحدة الاسلامية.وكانت هذه اللجان ذات ميول فرنسية غلب عليها الطابع الماروني [٧٦] . وعندما تأسست اللجنة المركزية السورية تولت امر تنسيق أعمال هذه اللجان وارسلت وفوداً الى كل البلدان التي تقيم فيها جاليات سورية ـ لبنانية من اجل الدعاية السياسية واقامة الاجتماعات والندوات .

وكانت نشاطات غرفة تجارة ليون ومارسيليا ، ونشاطات البعثات الفرنسية في سورية ولبنان تؤلف الجوانب الأساسية لمظاهر هذه السياسة التي كانت تفصح عنها في ذات الوقت نشاطات « الجمعية المركزية السورية » والتي كانت تمولها الشركات الفرنسية [٧٧] .

وانسجاماً مع الدعوة التي وجهتها الجمعية الى المهاجرين اللبنانيين والسوريين ، فقد تأسست في بلدان الاغتراب جمعيات اتخذت الأهداف نفسها أي طلب الحماية الفرنسية ، بالاضافة الى الجمعيات التي كانت قائمة والتي راحت تنسق أعمالها مع « الجمعية السورية » في باريس .

وقد ادرك الفرنسيون اهمية هذه الجمعيات ودورها الدعائي خاصة في اميركا الشمالية ، فقدموا لها ولبعض الصحف المرتبطة بها الدعم المالي ،خاصة وأن مؤتمر الصلح الذي انعقد عام **١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩** كان يشكل مفترقاً حاسماً بالنسبة للفرنسيين الطامحين الى بسط سيطرتهم على سورية ولبنان ، ولذلك عمدوا الى استخدام الجمعيات والروابط والأندية السورية واللبنانية في اميركا الشمالية لخدمة مطالبهم في مؤتمر الصلح ، المزمع انعقاده وكلفوا هذه الجمعيات ، المرتبطة « بالجمعية السورية » في باريس ، بارسال برقيات وعرائض تطالب بالحماية الفرنسية والتي تعني صراحة الاحتلال الفرنسي .

وقد كان لهذه الجمعية علاقات وطيدة مع القوى الصهيونية وعقد اعضاؤها اجتماعات عديدة مع أقطاب تلك القوى [٧٨] .

جبران خليل جبران في خدمة المشروع الماروني

ان الوثائق المحفوظة في وزارة الخارجية الفرنسية تجزم بأن جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وامين الريحاني وغيرهم من أدباء المهجر ايدوا السياسة الفرنسية الرامية الى السيطرة على سورية ولبنان ، بل ان هذه الوثائق تذهب الى حد التأكيد على انهم وقفوا ضد استقلال « لبنان الكبير » وطالبوا بحكومات فدرالية في سورية ولبنان تحت الحماية الفرنسية .

ان موضوع الجزم حول صحة هذه الوثائق ليس مجال بحث فهي ليست مجرد تقارير كتبها مخبرون او عملاء لدولة أجنبية ، انها ممهورة بتواقيع أصحاب العلاقة .

ان دولة مارون ما كانت لتحتفل بولادة جبران خليل جبران وموته وتقيم « السنة العالمية لذكراه » وتملأ الدنيا ضجيجاً في سبيل ذلك لو لم يكن عميلاً لفرنسا ومخلصاً لسياستها ومشاريعها . لو ان جبران خليل جبران كان وطنيا صادقاً لطمسوا ذكره وأحرقوا كتبه وجعلوه نسياً منسيا .

ان هذا الاهتمام الزائد بجبران خليل جبران واقامة الندوات لإحياء سيرته والإعلان عن « السنة العالمية لذكراه » لتعريفه للملأ من قبل دولة مارون ، هذه السياسة هي دليل فاضح على ان الرجل كان من الداعين الى تحويل لبنان الى وطن قومي لنصارى الشرق ورفض كل ما هو إسلامي . وسوف يتبين ذلك من الوثائق التي ننشرها في الصفحات التالية .

وثائق دامغة

من اهم الجمعيات التي تأسست في اميركا الشمالية والتي ارتبطت

مباشرة بـ « الجمعية السورية المركزية » كانت « رابطة سورية وجبل لبنان للتحرير » ومقرها مدينة نيويورك . وقد تألفت هيئتها التنفيذية من : الدكتور ايوب ثابت رئيساً . نعمة تادروس : اميناً للصندوق .

امين الريحاني : نائباً للرئيس .

جبران خليل جبران سكرتيراً للمرسلات الانكليزية .

ميخائيل نعيمة سكرتيراً للمرسلات العربية .

نعيم دياب رئيس تحرير « الدايلي ميرور » .

شكري بخاش رئيس تحرير مجلة « الفتاة » .

عبد المسيح رئيس تحرير مجلة « السائح » .

نسيب عريضة رئيس تحرير مجلة « الفنون » .

ايليا ابو ماضي مساعد رئيس تحرير مجلة « الدايلي ميرور » .

وتكمن اهمية هذه الرابطة في كونها تضم أدباء معروفين كجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأمين الريحاني .

ان الوثائق التي نحن بصددها تكشف أموراً أساسية بالنسبة لجبران خليل جبران ونعيمة والريحاني ، وتشير الى مساندتهم للسياسة الفرنسية الرامية الى السيطرة على المنطقة واتخاذهم موقفاً معيناً من العرب والإسلام .

أولاً : مساندة السياسة الفرنسية :

في ١٢ أيار ١٩١٨ م (١٣٣٦ هـ) بعث السفير الفرنسي في الولايات المتحدة الأميركية رسالة الى وزير الخارجية الفرنسية تحمل الرقم ٢٢٢ يعلمه فيها بأن الدكتور أيوب ثابت رئيس « رابطة تحرير سوريا

وجبل لبنان » ، رجاه ايصال مذكرتين للرئيس ولسون الأميركي ووزير الخارجية الأميركي تتعلقان بالوضع في سوريا (ولبنان) وكذلك طلب منه ارسال نسختين من المذكرتين الى وزير الخارجية الفرنسي (ارفقهما السفير مع رسالته) . ويشير السفير الى ان المذكرتين تطالبان بالحماية الفرنسية .

المذكرة الأولى

وهي مؤرخة في ١٠ أيار ١٩١٨ (م) وعنوانها مدينة نيويورك، تطالب « برعاية حكومة ديمقراطية مسيحية وحماية مباشرة منها » وتقول :

« واذا سمحتم لنا بالتعبير عن عاطفة خاصة ، فنحن نستجدي ان تكون الحكومة المعنية هي جمهورية فرنسا ، في حال استعدادها لأن تبسط حمايتها علينا ، وهي حماية نستحقها . ويمكن ان يعهد الى فرنسا بمسؤولية رعايتنا ومساعدتنا في النمو المستقل .

انه لغني عن القول ان نصرح بأننا نكن مشاعر الولاء والاعتراف بالجميل نفسه تجاه الولايات المتحدة ، وبريطانيا العظمى ، وايطاليا ، فضلاً عن باقي الأمم الحليفة ، التي نأمل ، عن طريق تضحياتها المشتركة ، في تحقيق خلاصنا وحريتنا .

ونحن شكورون بنوع خاص لكل ما فعلته الأمة الأميركية العظيمة من أجل شعبنا ، سواء أكان ذلك في سوريا نفسها ، حيث أتاحت لنا المؤسسات التربوية الأميركية فرصاً كاملة للتنور والتعلم ، أو في هذه البلاد التي تبنتنا وأتاحت لنا فرصاً للحياة لم يكن ليوفرها لنا أي مكان آخر في العالم . لكننا نعتقد مخلصين ان الولايات المتحدة قد لا يهمها ان تأخذ على عاتقها المسؤوليات المذكورة .

أما بريطانيا العظمى التي نكن نحوها شعوراً خاصاً بالشكران من أجل الجهود الفعلية التي بذلتها من ضمن النشاط الحالي الرامي الى

تخليص شعبنا من الموت المحتوم ، فاننا نرجو ان تأخذ على عاتقها مسؤولية مد يد الحماية الى شعب آخر في الأمبراطورية العثمانية .

لقد اخترنا فرنسا كونها ، من ناحية ، شاطرت الشعب الأميركي العمل التربوي والثقافي في بلادنا ، الى حد أن اللغة الفرنسية مستعملة في سوريا (ولبنان) بنسبة تفوق ما هي عليه في اي بلد متوسطي آخر . ومن ناحية ثانية ، ان التقاليد التي تعود الى زمن الصليبيين تربط اسم فرنسا بالشعب السوري (واللبناني) ولا سيما العنصر المسيحي فيه . وفي الواقع ان بعض المتقدمين في السن عندنا كانوا شهود عيان لفعل الانقاذ الذي قامت به الحملة العسكرية الفرنسية التي دخلت سوريا (ولبنان) سنة ١٨٦٠ ووضعت حداً للمذابح التي كادت ان تهدد العنصر المسيحي في البلاد بالابادة الشاملة ، لهذا كله ، حفظ الشعب السوري ، ولا سيما مسيحيوه ، اعمال فرنسا السمحاء تجاهه حية في ذاكرته » .

ويستشف من مقاطع المذكرة أن واضعيها يزيفون الحقائق ويتحدثون عن « مذابح كادت تهدد العنصر المسيحي عام ١٨٦٠ » متجاهلين في نفس الوقت أسباب هذه الحوادث وحقيقتها وهي كما رأينا نتجت عن دسائس الموارنة بالاتفاق مع الموظفين والمرسلين الفرنسيين .

وبعد ان تتحدث المذكرة عن « ضمانات دولية » تكون « حماية للأقلية المسيحية » ظاهرياً وسبباً لقيام وطن قومي مسيحي في لبنان فعلياً ، تعلن أن « تطورها (سورية ولبنان) المقبل الذي سيجعل منها عضواً نافعاً في أسرة الشعوب المتحضرة لا يمكن تأمينه كلياً الا تحت حماية مباشرة من قبل أمة مسيحية ديمقراطية » .

التوقيع　　الدكتور أيوب ثابت　　ميخائيل نعيمة
الرئيس　　السكرتير

المذكرة الثانية

« مدينة نيويورك ١٠ أيار ١٩١٨ »

يعترف اصحابها بعلاقتهم بفرنسا معلنين :

« واضح أن توجيه توسلاتنا من أجل التحرر الى فرنسا بنوع خاص أمر طبيعي . فبالاضافة الى أن لفرنسا مصالح معنوية ومادية تفوق ما لسواها من ذلك الجزء من الأمبراطورية العثمانية ، فقد كانت أيضاً الحامية التقليدية للسكان المسيحيين في سوريا (ولبنان) . . . »

وزعموا ان « هذه المشاعر تعبر عن عواطف الشعب السوري ككل ، باستثناء فئة ضئيلة من المسلمين المتعصبين . . . »[٧٩] .

مع فائق احترامنا

ميخائيل نعيمة	الدكتور ايوب ثابت
السكرتير	الرئيس

SYRIA-MOUNT LEBANON LEAGUE OF LIBERATION—NORTH AMERICA SECTION 64

BUREAU, 72 TRINITY PLACE

"NO PEOPLE MUST BE FORCED UNDER SOVEREIGNTY"
"UNDER WHICH IT DOES NOT WISH TO LIVE"
PRESIDENT WILSON

LEAGUE'S PROGRAM

"TO SEEK THROUGH FRANCE AND HER ALLIES THE LIBERATION OF SYRIA AND"
"MT. LEBANON FROM TURKISH RULE AND TURKISH SOVEREIGNTY, REAL OR NOMINAL"

DUPLICATE

New York City, May [illegible]th 1918

EXECUTIVE COMMITTEE

DR. E. G. TABET, President
AMEEN RIHANI, Vice-President
N. T. TADROSS, Treasurer

G. K. GIBRAN
Secr. English Correspondence

M. J. NAIMY
Secr. Arabic Correspondence

N. M. DIAB
Editor-in-Chief of "Daily Mirror"

J. M. KHOURY
Editor-in-Chief of "Ash-Shab"

S. H. BACCASH
Editor-in-Chief of "Al-Fatat"

A. A. HADDAD
Editor-in-Chief of "As-Sayeh"

N. ARIDA
Editor-in-Chief of "Al-Funoon"

E. MADI
Assistant-Editor of "Daily Mirror"

CORRESPONDING COMMITTEES

Comite Central Syrien, Paris

Syrian Committee, London

Comite de Recrutement des Volontaires Syriens, Cairo, Egypt

Sociedad Sirio-Libanesa
Mexico City, Mexico

Honorable Woodrow Wilson, President of the
United States.
Washington, D. C.

Mr. President:-

On July 30th, 1917 our League [illegible] the honor to submit to your Excellency a petiti[illegible] soliciting your sympathy in behalf of Syria, th[illegible] oppressed land of our birth, which for more tha[illegible] five centuries has been subjected to the cruel [illegible] of the incorrigible rule of Turkey.

May we not be permitted to e[illegible] to you our most grateful appreciation for the [illegible]nouncement which you have since publicly made [illegible]manding for that unfortunate country, as one [illegible] countries subject to the foreign rule of Turk[illegible] absolute security of life and an unmolested op[illegible]tunity of autonomous development.

May we not be permitted to add [illegible] our expression of grateful feeling for your Ex-cellency's pronouncement the expression of our sin-cere belief and conviction that no such unmolested opportunities as you would wish to be secured to the non-Turkish peoples in the Ottoman Empire could pos-sibly be open to them except under the guidance [illegible] direct protectorship of a democratic Christian Gov-ernment.

If we may further be permitted [illegible] express a special sentiment, we beg to submit tha[illegible] of these Governments the Republic of France, should she be willing to bestow on us her protection, which we rightly deserve, could well be entrusted with the responsibility of guiding and aiding our autonomous development on the principles laid down in your two pronouncements of January 0 and February 11.

« مذكرة رابطة تحرير سوريا وجبل لبنان » الى الرئيس الأميركي ويلسون

67

SYRIA-MOUNT LEBANON LEAGUE OF LIBERATION—NORTH AMERICA SECTION

BURE[illegible]2 TRINITY PLACE

"NO PEOPLE MUST BE FORCED UNDER SOVEREIGNTY"
"UNDER WHICH IT DOES NOT WISH TO LIVE"
PRESIDENT WILSON

LEAGUE'S PROGRAM

"TO SEEK THROUGH FRANCE AND HER ALLIES THE LIBERATION OF SYRIA AND"
"MT. LEBANON FROM TURKISH RULE AND TURKISH SOVEREIGNTY, REAL OR NOMINAL"

New York City, May 1918

Page 4.

EXECUTIVE COMMITTEE
DR. R. G. TABET, President
AMEEN RIHANI, Vice-President
N. T. TADROSS, Treasurer
G. K. GIBRAN
Secr. English Correspondence
M. J. NAIMY
Secr. Arabic Correspondence
N. M. DIAB
Editor-in-Chief of "Daily Mirror"
J. M. KHOURY
Editor-in-Chief of "Ash-Shaab"
S. H. BAGDADI
Editor-in-Chief of "Al-Bayan"

We further beg, Mr. President, to express our humble wishes for the final triumph of the noble principles for which this great Republic and her great Allies are pouring their blood and treasure in order to firmly establish and to secure a lasting peace thereby.

Most Respectfully,

M. J. Naimy
Secretary

Dr. R. G. Tabet
President.

برقية الدكتور ثابت وجبران الى رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو (١٩١٩) بواسطة القنصل الفرنسي في نيويورك

AFFAIRES ÉTRANGÈRES — DUPLICATA bis.

En clair. — Télégramme à l'arrivée.

New York, le 22 février 1919.

357. — reçu le 24 s.h.

Au nom Ligue syrienne libération dont ils sont respectivement Président et Secrétaire docteur Tabet et M. Gibran (Gibran) prient V. Exc. transmettre Président Conseil voeux prompt rétablissement. Syriens et Libanais des Etats Unis vivement émus par criminel attentat contre vie Chef Gouvt. français en qui ils ont mis leurs espoirs libération Syrie indissolublement liés France espèrent M. Clémenceau qui connaît leurs aspirations sera bientôt en état les faire prévaloir devant Conférence Paix s/s

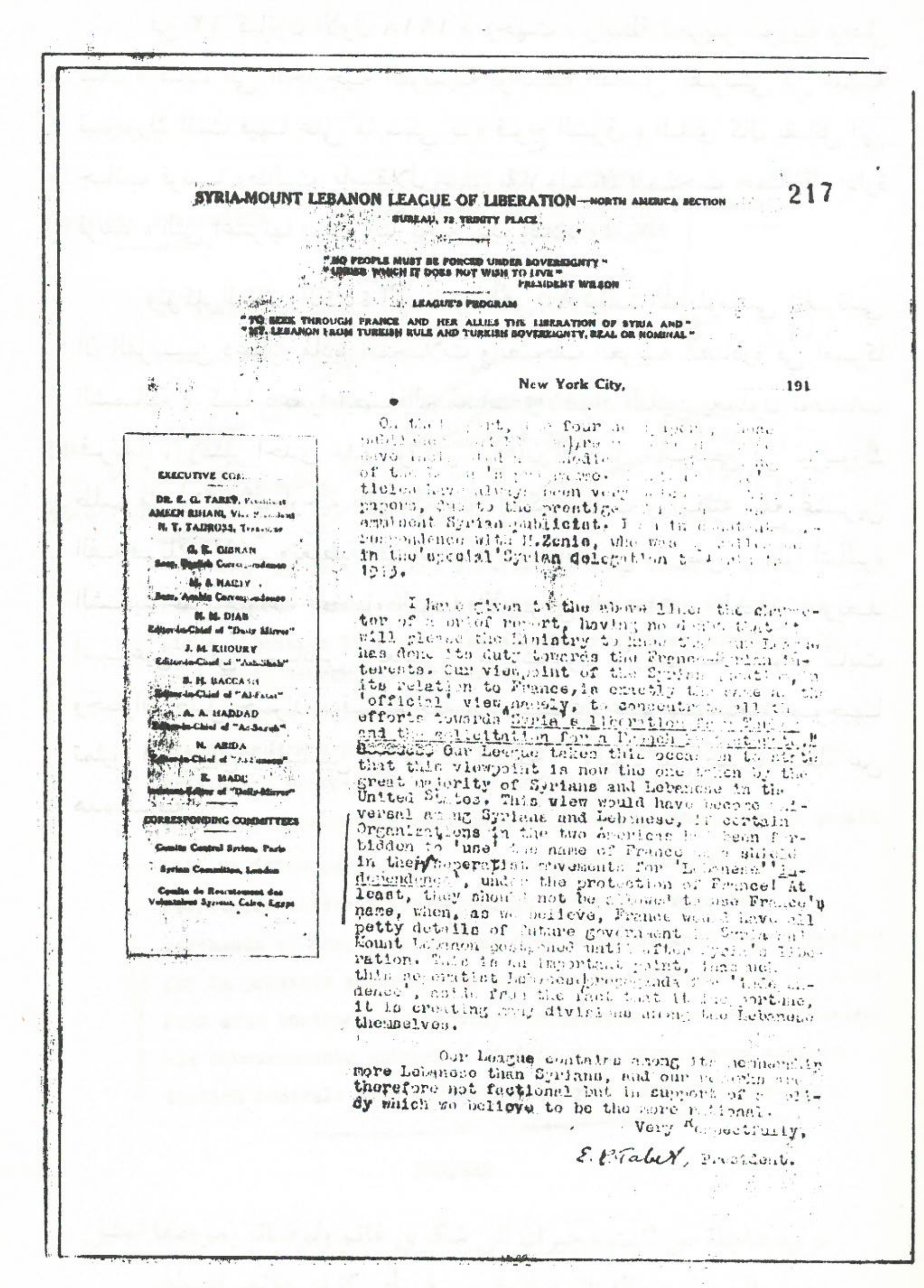
LIEBERT

توقيعا الدكتور ايوب ثابت الرئيس وميخائيل نعيمة السكرتير على مذكرة « الرابطة » الى الرئيس ويلسون

في ٢٢ تمـوز ١٩١٨ م بعثت «الرابـطة السوريـة ـ اللبنانيـة للتحريـر » والتي يـرئسها ايـوب ثابت وتـتألف هيئتها التنفيـذية من الـريحـاني وجبـران ونعيمة وغيرهم . . . رسـالة الى قنصـل فرنسـا في نيويـورك ، وقعها رئيس الـرابـطة الـدكتـور أيـوب ثـابت جـاء فيهـا « اني لعلى يقين من ان الـوزارة ستسر حين تعرف ان رابطتنا قامت بواجبها تجاه المصالح الفرنسية » .

وأكد كاتب الرسالـة « ان وجهة نـظرنا حـول المسألـة السوريـة ، في عـلاقتها مـع فرنسـا ، تتلاقى كليـاً مع النـظرة « الرسميـة » القائلة بـوجوب « طلب حماية فرنسية » .

وفيما يلي صورة كاملة عن هذه الرسالة :



SYRIA-MOUNT LEBANON LEAGUE OF LIBERATION—NORTH AMERICA SECTION 217

BUREAU, 72 TRINITY PLACE.

"NO PEOPLE MUST BE FORCED UNDER SOVEREIGNTY"
"UNDER WHICH IT DOES NOT WISH TO LIVE"
PRESIDENT WILSON

LEAGUE'S PROGRAM

"TO SEEK THROUGH FRANCE AND HER ALLIES THE LIBERATION OF SYRIA AND"
"MT. LEBANON FROM TURKISH RULE AND TURKISH SOVEREIGNTY, REAL OR NOMINAL"

New York City, 191

EXECUTIVE COM[illegible]

DR. E. G. TABET, President
AMEEN RIHANI, Vice President
N. T. TADROSS, Treasurer

G. K. GIBRAN
Secy. English Correspondence

M. A NAIMY
Secy. Arabic Correspondence

N. M. DIAB
Editor-in-Chief of "Daily Mirror"

J. M. KHOURY
Editor-in-Chief of "Ash-Shab"

S. H. BACCASH
Editor-in-Chief of "Al-Fatat"

A. A. HADDAD
Editor-in-Chief of "As-Sayeh"

N. ARIDA
Editor-in-Chief of "As-Funoon"

E. MADI
Assistant-Editor of "Daily-Mirror"

CORRESPONDING COMMITTEES

Comite Central Syrien, Paris

Syrian Committee, London

Comite de Recrutement des Volontaires Syriens, Cairo, Egypt

On the [illegible] part, the four [illegible] [illegible] have [illegible] of the [illegible] program. [illegible] ticles have always been very [illegible] papers, due to the prestige [illegible] eminent Syrian publicist. I [illegible] correspondence with M. Zenie, who was [illegible] in the 'special' Syrian delegation [illegible] 1915.

I have given to the above lines the character of a brief report, having no doubt that it will please the Ministry to know that our League has done its duty towards the Franco-Syrian interests. Our viewpoint of the Syrian question, in its relation to France, is exactly the same as the 'official' view, namely, to concentrate all the efforts towards "Syria's liberation from Turkey and the solicitation for a French [illegible]." Our League takes this occasion to state that this viewpoint is now the one taken by the great majority of Syrians and Lebanese in the United States. This view would have become universal among Syrians and Lebanese, if certain Organizations in the two Americas had been forbidden to 'use' the name of France as a shield in their separatist movements for 'Lebanese' Independence', under the protection of France! At least, they should not be allowed to use France's name, when, as we believe, France would have all petty details of future government in Syria and Mount Lebanon postponed until after Syria's liberation. This is an important point, because this separatist Lebanese propaganda for 'independence', aside from the fact that it is [illegible], it is creating many divisions among the Lebanese themselves.

Our League contains among its membership more Lebanese than Syrians, and our [illegible] are therefore not factional but in support of a policy which we believe to be the more [illegible].

Very Respectfully,

E. G. Tabet, President.

توقيع أيوب ثابت على البرقية المرسلة الى قنصل فرنسا في نيويورك

في ١٢ كـانون الأول ١٩١٨ م وجهت « رابـطة تحريـر سوريـة وجبل لبنان » كتابـاً الى الخارجيـة الفرنسيـة بواسـطة القنصل الفـرنسي في مدينـة نيـويورك اثنت فيهـا على ما سمي بـ « فـوج الشرق » الـذي كان يقـاتل الى جـانب فرنسـا وطالبت باستقلال سـوريـة (ولبنـان) « تحت حمـايـة وادارة فرنسا » التي اعتبرتها « الأم التاريخية لهذه البلاد » (٨٠) .

وتؤكد الوثائق الكثيرة المحفوظة في الأرشيف الـدبلوماسي الفـرنسي ان الفرنسيين دعموا مادياً المجلات والصحف العربيـة الصادرة في اميـركا الشمـالية ، كمـا دعموا ايضـاً الجمعيات والأفـراد الـذين يعملون لحسـاب فـرنسا ، وتشير احدى هذه الوثـائق الى أن القنصل الفـرنسي في نيـويـورك طلب من وزارة الخارجية الفرنسية منح الدكتور ثابت ورابطته مبلغ عشـرين الف فـرنك (٨١) ، وتغـطية نفقـات سفره واقـامته في بـاريس ، نظراً لتـأثيره الشـديد على مـوقف أعضـاء الـوفد الأميركي الى مؤتمـر الصلح . وبعـد اسبـوعين ، في السـادس والعشـرين من كـانـون الأول،وجـه أيــوب ثـابت وجبـران خليل جبـران برقيـة عاجلة الى شكـري غانم يفـوضانـه بمـوجبهـا تمثيل السـوريين واللبنانيين في مؤتمـر الصلح : وفيمـا يلي صورة كـاملة عن هذه البرقيـة :

AFFAIRES ETRANGÈRES.

TÉLÉGRAMME EN CLAIR DUPLICATA BIS

N° 3348.

Classement Sér. E Cart. 313 d 1

E. 313 1

New York, le 23 décembre 1918. 18 h.

Reçu le 24 à 22 h.

SOUS-DIRECTION 26 DEC 1918

URGENT

Pour M. Chekri Ganem Président Comité central syrien . 3 rue Laffitte Paris, de la part Sabet, Président en Amérique Ligue libanaise Libération, ex-secrétaire Conférence Beyrouth 1913 et de Gibran, Secrétaire :

"Ligue syrienne libanaise libération représentant grande majorité Syriens d'Amérique Nord comprenant notamment Présidents Société Beyrouth Damas Tripoli Homs. M. Salim Mallouc représentant syriens a célébration Mount Vernon quatre juillet éditeurs journaux, Ashshab Assayeh Alvalat Elfunoon, Secrétaire Association négociants syriens, principaux marchands et écrivains syriens dans Amérique Nord vous donne(nt) par la présente autorisation complète la représenter a Conférence Paix avec instructions obtenir établissement dans Syrie intégrale Gouvernements autonomes fédérés mais réunis sous administration centrale sous protection uniquement direction France ./.

LIBERT

برقية عاجلة من ثابت وجبران الى شكري غانم يفوضانه بموجبها تمثيل السوريين واللبنانيين المقيمين في أميركا في مؤتمر الصلح

لماذا طالب الموارنة بضم البقاع وبيروت الى نفوذهم

قبل أن نتحدث عن مؤتمر الصلح لا بد من الاشارة الى موقف الوفود المارونية الى المؤتمر والتي كانت تطالب بضم البقاع وبيروت الى الجبل ، فما هي أبعاد هذه المطالب؟

تأتي ظاهرة المجاعة في الدرجة الأولى .

كانت الحرب قد خلقت خوفاً عميقاً في مناطق الجبل المارونية ، حيث شكلت الزراعة التجارية الوحيدة الجانب المصدر الإقتصادي الوحيد تقريباً .

وكان ان قدمت الأزمة الاقتصادية القاتلة ومظاهر المجاعة على أنها جميعها « نتيجة تآمر الأتراك ـ المسلمين ـ ضد المسيحيين » . والحقيقة ان هذه المجاعة سببها الحصار البحري الذي فرضته جيوش اوروبا على الساحل اللبناني .

إن أصدقاء فرنسا يصعب عليهم ان يعترفوا بأن فرنسا وحليفاتها هي التي اماتت الناس جوعاً بمنعها للبواخر التي تحمل المؤن من الوصول الى الشاطىء [٨٢] .

هذا بالاضافة الى الاحتكار الرهيب الذي مارسه التجار والموظفون

المحليون في جبل لبنان فقد كانوا يهربون القمح من المستودعات للاتجار به في السوق السوداء .

يؤكد السيد وديع كرم الذي كان مسؤولاً عن مستودع توزيع القمح في صوفر ، بان الحكومة كانت تبيع كيلو القمح بستة قروش بينما كان التجار يبيعون الكيلو بليرة عثمانية (ذهبية) [٨٣] .

ويحاول « التاريخ الرسمي » اللبناني ان يغيب دور هذا الاحتكار الذي تحملت عناءه الطبقات الفقيرة وحدها بينما تحول التجار الى محتكري حرب .

مهما يكن من أمر فان الموارنة أدركوا أن جبل لبنان بالرغم مما كان له من امتيازات فلم يكن يقوى في ذلك الزمن على ان « يطحن الصخر » و « يعجن الكتاب » . كان لا بد من الأرض التي تنبت الزرع والبحر الذي يسهل سبل التجارة .

وكان المطلب المحدد لسكان الجبل في ذلك الحين الحصول على بعض السهول الخصبة والوصول الى منفذ على البحر ، اي بضم بيروت ، من اجل الحصول على مقومات ثابتة وضرورية للدولة المارونية، وتلك كانت دعوة رائد الفكرة « القومية اللبنانية » المارونية يوسف السودا منذ العام ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م .

كان السبب معيشياً اقتصادياً بحت فلا علاقة له بالتاريخ والجغرافيا ، فليس أدل على ازمة المتصرفية انذاك من هجرة ربع سكانها او يزيد بين اعوام ١٣٢٨ هـ و ١٣٣٢ هـ ـ (١٩١٠ و ١٩١٤ م) ، اذ لم تتجاوز ساحة الأرض المزروعة في المتصرفية عام ١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٥ م نسبة تزيد على ٣,٨ بالمئة من مساحة تبلغ ٤٥٠ ألف هكتار ، لا تعتبر صالحة للزراعة بالوسائل البدائية المعروفة في ذلك الوقت [٨٤] .

بينما ولاية بيروت تضم اراض خصبة زراعية . وكذلك سهول

البقاع وعكار ومرجعيون . فمعظم الأراضي الصالحة للزراعة والمروية كانت تتمركز في المناطق التي ألحقت بجبل لبنان كذلك نسبة مساحة الأراضي الصالحة للزراعة[٨٥] .

في المتصرفية لم يكن هناك سوى الحرير والتبغ،والزيتون فيها لا يكاد يكفي الاستهلاك المحلي،وينبغي التذكير انه اثناء الحرب دفعت المجاعة الأهالي الى قطع أشجار التوت والتخلي عن العناية بدود القز والى الاهتمام بأنواع أخرى من الزراعة [٨٦] .

وقد ألف بعض زعماء الموارنة كتباً عديدة للمطالبة بالوطن الماروني ، نفس هؤلاء هم المطالبون بتوسيع حدود لبنان نحو البحر والسهول الداخلية ، مثل المطران دريان ، وشكري غانم ، وعبد الله صفير وأوغست اديب وبولس نجيم ، ويوسف السودا .

ولم تكن المطالبة بتوسيع حدود لبنان تتعدى ضم بعض السهول الخصبة وبيروت مما يعطي لهذا الكيان مجال البقاء والاستمرار .

وهكذا بدأت العرائض المطلبية تتوالى على وزارات الخارجية الأوروبية مطالبة بضم سهل البقاع الى جبل لبنان . كذلك كان مرفأ جونية لا يستطيع ان يستقبل البواخر الحديثة فبدأت الحركة المطلبية تطالب أيضاً بمرفأ وبشكل أساسي مرفأ بيروت .

مؤتمر الصلح : ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م

في مطلع العام ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م عقد الحلفاء (فرنسا ، بريطانيا ، امريكا . . .) في باريس « مؤتمر الصلح » أو مؤتمر تقاسم الغنائم .

هذا المؤتمر لم يسمح للعرب الذين وقعوا تحت الاحتلال الفرنسي - الإنكليزي حتى بمجرد عرض مطالبهم . واما وجود فيصل (ابن الشريف حسين) فيه فقد كان مجرد مناورة إنكليزية للضغط على فرنسا وتوسيع رقعة الاحتلال الإنكليزي .

ولهذا ما ان وصل فيصل الى فرنسا حتى كانت الديبلوماسية قد سبقته بشن حملة دعائية ضده في الاميركيتين ، قامت بها تنظيمات سورية ولبنانية بتوجيه من الخارجية الفرنسية ، ومع ان الحكومة الفرنسية اكرمته ظاهرياً ، الا انها حاولت في السر تقييد تحركاته ، وانهالت على المؤتمر العرائض والمذكرات المختلفة من سوريا ولبنان وفلسطين ، ومن الولايات المتحدة الأميركية ايضاً .

والجدير بالذكر ان فيصل الذي كان قد ترأس حكومة عربية في

دمشق بعد رحيل الأتراك سعى منذ انطلاقة حركته الى كسب النصارى وولائهم لدعوته وأقام اتصالاً مباشراً بجماعة « الاتحاد اللبناني » وعرض على رئيسها اسكندر عمون منصب السفارة العربية في واشنطن ، فقبل عمون ، ورفض يوسف السودا عرضاً مماثلاً لاحتلال مركز السفارة في باريس [٨٧] .

في بداية المؤتمر أوعزت فرنسا إلى أنصارها في لبنان بتنظيم مظاهرة مسيحية في بعبدا تطالب « باستقلال » لبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وترفض « الاحتلال العربي » . أي أن الاستقلال انما يكمن في ظل الحراب والبنادق الفرنسية وأما طرد الصليبيين وعودة البلاد الى أصحابها فإن هذا يعني « الاحتلال العربي » . يورد بشارة الخوري ابياتاً كان يرددها المتظاهرون[٨٨] :

« عيشي بذلي ما بدنا　　يا منال الاستقلال
نتظاهر ما منتخبا　　يا منرحل عأوروبا

موقف جبران خليل جبران ورفاقه في الرابطة السورية ـ اللبنانية للتحرير

من بين العرائض التي وصلت الى مؤتمر الصلح عريضة وجهتها « رابطة تحرير سوريا وجبل لبنان » في الأول من شباط وجاء فيها « ان السوريين . . . مقتنعون بان الاحتلال العربي للأراضي السورية قد أضر باستقرار المستقبل السوري ، وأن الضرر سيصبح كبيراً اذا استمر هذا الاحتلال . ان السوريين ليسوا عرباً واللغة العربية فرضها الفتح العربي » .

وتضيف المذكرة :

« اننا نرجو سعادتكم عند صياغة الشكل السياسي لسوريا ، ان تأخذوا بعين الاعتبار كأساس مبدئي حق الشعوب في تقرير مصيرها ، ودرجة نموها وثقافة العناصر السورية المختلفة ، وليس التفوق العددي للجماهير الجاهلة (المسلمة) التي يتحكم بمواقفها التعصب الديني ، لا العقل .

ان السوريين المنتمين لعناصر التقدم في كل انحاء العالم هم عملياً مجمعون بشدة على قيام وحدة فدرالية في سوريا الطبيعية كلها تحت حماية وقيادة قوة كبرى واحدة وديموقراطية .

ان ارتباطاً وحيداً من نوعه عبر التاريخ وعلاقات تربوية حديثة ومصالح اقتصادية ، فضلاً عما هو اكثر واقعية ، اي التدخل الفعال لتخليصنا من الابادة عام ١٨٦٠ ، كل هذه الأسباب تجعل ميلنا الى فرنسا واعترافنا بجميلها أمراً طبيعياً ، ونحن نترجاها ان تتحمل مسؤولية حمايتنا وتوجيهنا ، اننا نرجو سعادتكم ان لا ترفضوا لفرنسا هذا الامتياز الذي هو حقها ، وهو حق جعله مقدساً وغير قابل للنقض ، موت ربع مليون مسيحي . . .

مع احترامنا الكلي

ايوب ثابت : رئيس الرابطة الوطنية السورية ـ اللبنانية للتحرير، السكرتير السابق للجمعية العامة للاصلاح المنعقدة في بيروت ١٩١٣ .

جبران جبران : سكرتير عام .

سليم ملدوكي : ممثل سورية في ذكرى ٤ تموز (يوليو) في مون فرنون .

الدكتور نجيب بربور : رئيس جمعية بيروت .

ابراهيم موكد : رئيس جمعية دمشق .

وليم كاتزافليس : الرئيس السابق لجمعية الاتحاد السوري .

جوزيف خوري : رئيس تحرير « الشعب » .

شكري بخاش : رئيس تحرير « الفتاة » .

نعمة تادروس : رئيس جمعية طرابلس .

سعيد عقل : سكرتير رابطة التجار السوريين .

عبد المسيح حداد : رئيس تحرير الفنون » .[٨٩]

هكذا يزعم جبران خليل جبران ورفاقه ان الهوية الاسلامية لبلاد المسلمين انما هي فتح عربي ليس إلا .

واللغة العربية ، لغة القرآن ، اصبحت لغة الفاتحين لأن الذي فرضها هو « الفتح العربي » .

ان اكثر ما يفاجىء القارىء في هذه المذكرة المقدمة لمؤتمر الصلح والموقعة من جبران وغيره هو الموقف الرفضي القاطع لكل ما يمت الى الاسلام بصلة .

وكم يصبح الرجوع الى مؤلفات جبران أمراً ممتعاً ومفيداً في آمن معاً ! كم تصبح قراءة جديدة لجبران ضرورة قصوى لنكتشف من خلالها مشاركته الفعلية في عملية انشاء « الوطن القومي المسيحي » .

وفدا « المجلس الاداري » و « الجمعية المركزية السورية »

أوعزت فرنسا الى المجلس الاداري بإرسال وفد الى المؤتمر تألف من داوود عمون ، اميل اده ، نجيب عبد الملك وعبد الحليم الحجاز .

قدم الوفد إلى المؤتمر مذكرة تطالب بتوسيع جبل لبنان حتى يكون باستطاعته أن يشكل وطناً قادراً على توفير أسباب رزق شعبه ومصالح حكومته بما يخدم ومقومات الدولة المارونية .

وطلب الوفد مؤازرة الدولة الفرنسية لتحقيق هذه التمنيات ومساعدتها على نشر العلوم بواسطة الادارة المحلية[٩٠] .

ولم يكن اهتمام فرنسا مقتصراً على جبل لبنان فقد أوعزت الى شكري غانم ممثل « الجمعية المركزية السورية » بالحضور الى المؤتمر حيث تلا مذكرة استغرقت قراءتها ساعتين ، يقول شوتول الذي حضر الجلسة :

« عندما شرع هذا الرجل بقراءة بيانه دفع الأستاذ وسترمان (Westermann) بقصاصة ورق الى الرئيس الأميركي ولسن ليقول له ان شكري غانم عاش السنوات الخمس والثلاثين الأخيرة خارج سوريا ، وانه قضى معظم حياته في فرنسا . وكان هذا وحده كافياً على حمل الرئيس ولسون الا يبالي والا يكترث بما كان يقوله الرجل ، ولم يلبث طويلاً حتى نهض عن كرسيه وتمشى الى الجانب الآخر من القاعة وأخذ يجول ببصره من النافذة ويداه في جيوب سترته مما أدى الى ارباك الفرنسيين

وازعاجهم ، وتطاول كليمنصو (رئيس الحكومة الفرنسية) ليسر في اذن وزير خارجيته ، بيشون ، شيئاً،واذ كنت جالساً وراءهما مباشرة سمعت كليمنصو يقول بخشونة : « لماذا جئت بهذا الرجل الى هنا » ؟ ويجيب هذا الأخير « لم اكن اعلم انه سيعالج الأمر على هذا المنوال » وكان الأمر أشبه بفضيحة مكشوفة »[٩١] .

وكان ذلك في ٢٣ جمادى الأول ١٣٣٨ هـ ـ ١٣ شباط ١٩١٩ م .

قال شكري غانم في بيانه المطول « ان الشعوب المتحضرة (والمقصود هو وجماعته) يجب الا تخضع في قليل أو كثير لغيرها من الشعوب البربرية »،

أما عن دولة الانتداب المقترحة فأكد أن هذه الدولة لا يمكن ان تكون الا فرنسا « التي اشبعت السوريين بثقافتها وجعلت من لغتها اللغة السائدة ، وادت العديد من الخدمات لسورية التي حافظت على علاقات ودية معها جيلاً بعد جيل » .

وطالب شكري غانم بان تكون « فرنسا هي الدولة التي سيوكل اليها امر انشاء دولة سورية فدرالية متكاملة[٩٢]. . . » وقال: « ان فرنسافي نظرنا هي الدولة الوحيدة المؤهلة لانجاز ما نصبوا اليه،انها ستكون المرشدة التي تتكلم لغة نفهمها ، والتي ستوحدنا في مصيرنا المشترك . وفرنسا ستكون الحكم الذي اذا تقاضينا عنده فان كل سوء ظن يزول ، وكل نزاع يفض » .

وقد ضم الوفد المرافق لشكري غانم ممثلاً يهودياً[٩٣] .

لجنة التحقيق

زينت بريطانيا للحلفاء ارسال وفد يستفتي أهل سوريا ولبنان ، في

الحكومة التي يختارونها للانتداب عليهم،فوصل وفد امريكي منتدب من الدول في حزيران ١٩١٩ م ليدرس حال الشام ويعرف ما يرضيها من الحكومات ، فبدأ عمله من الجنوب الى الشمال .

اجمع المسلمون في المناطق التي شملها الاستفتاء الصوري على رفض اي شكل من أشكال الاحتلال ورفض بدعة الانتداب جملة وتفصيلاً .

كما طالب المؤتمر السوري العام الذي عقد في ٢ تموز ١٩١٩ م بالاستقلال السياسي التام[٩٤] .

وفي الوقت الذي كان المسلمون يجاهدون من أجل حرية البلاد واستقلالها كان الموارنة وأصدقاؤهم من كاثوليك وغيرهم يسعون لتثبيت الاحتلال وتحويل لبنان الى دولة أوروبية . فقد عارض الموارنة وبقية الطوائف البابوية الموقف الداعي الى الاستقلال وألحوا على ضرورة الانتداب الفرنسي[٩٥] .

ولم تكن اللجنة نزيهة وعادلة في أعمالها فقد كانت تغذي المواقف الصليبية التي يقودها البطريرك الماروني بالتعاون مع فرنسا والذي كان يحضر نفسه يومذاك للسفر الى باريس وتقديم مذكرة الى مؤتمر الصلح .

يقول الريحاني : « ان الأقلية اللبنانية (المارونية) فقط طلبت الانتداب الفرنسي ».وعن اللجنة الأميركية يقول :

« ومما يدعو للأسف ان اللجنة الأميركية كانت عاملاً آخر من عوامل الشقاق لأنها في طريقة الاستفتاء عززت من حيث لا تدري مبدأ العصبيات الدينية والطائفية »[٩٦] .

والى هذا يشير « الدكتور توما » ، وهو من انصار الموقف الماروني ، معتمداً مبدأ تزييف الحقائق ،فيقول : « وجدت اللجنة نفسها

أمام واقع يميل لصالح رغبات البطريرك . . . لقد ذهب رئيس البعثة الى بكركي ، فانذهل أمام هذه الشخصية اللامعة الفريدة للحويك ، فخاطبه : لقد جاءت بعثتنا لتحقق في سورية وفي فلسطين . انها لم تتقدم من أحد . الجميع كانوا يتقدمون اليها للإفصاح عن أمانيهم . ولكن ها انتم ترونـنا امامكم لنطلع على رأيكم . ان استقصاءاتنا بينت لنا انكم تمثلون أمة بكاملها »[٩٧] .

مذكرة البطريرك الماروني ، الياس الحويك ، الى المؤتمر

في صيف عام ١٩١٩ م طلبت فرنسا من البطريرك الماروني الياس الحويك الذهاب على رأس وفد لبناني الى المؤتمر .

يقول بشارة الخوري في كتابه « حقائق لبنانية » :

« هذا وبال الفرنسيين ظل مشغولاً قلقاً . لم يكونوا أمينين على نتائج مساعيهم المحلية فرجوا أن يذهب البطريرك الياس الحويك الى باريس على رأس وفد من الأحبار والكهنة للمطالبة باستقلال لبنان برعاية الدولة الفرنسية ، ايضاً وايضاً ، فنزل البطريرك على رغبتهم وأبحر من جونية في أواخر صيف (١٩١٩) على مدرعة حربية ، وباشر مهمته بمزيد من الرصانة »[٩٨] .

في ٢٩ تشرين الأول قدم البطريرك الى المؤتمر مذكرة يقول فيها: ان « اللبنانيين حافظوا دائماً على هوية وطنية مميزة عن المجموعات المجاورة » . وان اللغة العربية هي « لغة الفاتحين وقد شاعت بعد اربعمائة سنة من الاحتلال العربي » ، « فالثقافة الأوروبية واسعة الانتشار في لبنان وهو يعتبر مركز إشعاع لها » .

و زعم البطريرك ان لبنان « اكد استقلاله حيال المنطقة عبر النظام الأساسي الذي وضعته الدول الكبرى عام ١٨٦٤ » .

ثم طالب بضم سهول عكار والبقاع الى نفوذه « والتي بدونها يصبح لبنان سلسلة من الجبال التي تعجز عن تأمين حياة سكانها . . . ان هذه المناطق يمكن أن تؤمن للبنان القمح الضروري لوجوده ، ثم ان مناطق أخرى (صور ، صيدا ، بيروت وطرابلس) تشكل منافذه الطبيعية ، فهي ايضاً ضرورية لحياته الإقتصادية » . أخيراً أكد البطريرك على ضرورة انتداب الدولة التي « قد سبق ان اختارها لبنان بحماس ، انها فرنسا » كما قال[٩٩] .

الاتصال مع الصهاينة

لقد بيّنا أن الاتصالات المارونية مع القوى الصهيونية قديمة العهد وتعود الى زمن المتصرفية اذ اعتبر الموارنة ان قيام « الوطن القومي اليهودي في فلسطين » كما نادى به هرتزل مؤسس الصهيونية في المؤتمر الصهيوني العام الذي عقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٣١٤ هـ - ١٨٩٧ م حدثاً يقوي من عزمهم ويشد من إزرهم في المنطقة وضمن « المحيط الاسلامي » .

فالمشروع الصهيوني يهدف الى اقتطاع ارض فلسطين وتحويلها الى « وطن قومي يهودي » والمشروع الماروني يهدف الى اقتطاع لبنان وتحويله الى « وطن قومي ماروني » ولهذا التقى الطامعان وبدأت رواية التحالف الطويلة بين القوى المارونية من جهة والصهيونية من جهة ثانية .

سارا معاً على الطريق . تحالفت الصهيونية والصليبية .

وكانت الحركة الصهيونية قد أبدت أطماعها في الأراضي اللبنانية وعقدت بين سنة ١٣١٤ - ١٣٢٨ هـ - (١٨٩٧ م - ١٩١١ م) عشرة مؤتمرات لشرح سياستها وخططها (١٠٠) وأعلنت في المؤتمر الذي عقدته في ٣٠ أيلول ١٩٠١ م في وثائقها الصادرة عنه « ان الحركة الصهيونية تهدف الى ضم الأراضي المجاورة لفلسطين وإسكان اليهود المهاجرين هناك » .

وفي المؤتمر الخامس للحركة الصهيونية اعلن احد قادة الحركة « باكي ناردو » ان اعداءنا يقولون بأن فلسطين لا تتسع لـ ١٢ - ١٤ مليون يهودياً (وقتذاك) ويجب الإيضاح بأن فلسطين ليست اسرائيل العظمى التي ستقام على الأراضي الموجودة بين الفرات والنيل » .

وادعى اليهود « ان ارض اسرائيل ليست صغيرة اطلاقاً ، اذا ما خرج العرب منها ، ولا سيما اذا وسعت حدودها بعض الشيء حتى الليطاني في الشمال ، وحتى قمم مرتفعات الجولان في الشرق ، اذ يضاف لنا بمثل هذه العملية حوالي المليون دونم من الأراضي الخصبة ، وستتسع أرض اسرائيل الغربية عندئذ الى ستة او سبعة ملايين يهودي ، حتى ولو جاؤوها دفعة واحدة ، وهكذا تحل مشكلة ارض اسرائيل في آن واحد ، اما العرب فينبغي ترحيلهم الى العراق وشمالي سوريا » (١٠١)

هذا وبالرغم من أن الزعماء الصهاينة قد أفصحوا عن مشاريعهم الرامية الى ضم مناطق واسعة من لبنان « لدولة اسرائيل الكبرى » ، فقد استمرت الاتصالات المارونية معهم . ومنذ ربيع الثاني ١٣٣٦ هـ - كانون الثاني ١٩١٨ م ، بدأت اجتماعات أعضاء « اللجنة السورية المركزية » بالقوى الصهيونية في مصر (١٠٢) .

وكان من اثر هذه الاتصالات مع الصهيونية مجيء الزعيم الصهيوني

حاييم وايزمن الى مصر وفلسطين لتحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين . وفي مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس حاول كل من اليهود والموارنة وضع « جنينهم الاقليمي » على خريطة العالم ولهذا تقدموا بمطالبهم في مذكرات عديدة ترمي الى اغتصاب ارض الشرق المسلم ، لتقيم على قطعة منها دولتين الأولى صهيونية والثانية مارونية . ومنذ ذلك الحين اتفق الطرفان على ان يكون جبل عامل تابعاً للوطن القومي اليهودي لكي يكون لبنان الماروني « دولة ذات اكثرية مسيحية » .

قدم الصهاينة مذكرتهم الخاصة بهذا الشأن الى مؤتمر الصلح في فرساي في جمادي الأولى ١٣٣٧ هـ شباط ١٩١٩ م بحيث تشمل حدود دولة اسرائيل الكبرى فلسطين وجنوب لبنان حتى مدينة صيدا ، وسلسلة جبال لبنان حتى منطقة القرعون مع ضرورة ضم مياه الليطاني وجبل الشيخ . جاء في مذكرة المنظمة الصهيونية والمؤرخة في ٣ شباط ١٩١٩ ما يلي :

« ان حدود فلسطين (والمقصود اسرائيل) يجب ان تسير وفق الخطوط المذكورة أدناه : تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بجوار مدينة صيدا ، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل جسر القرعون ، فتتجه الى جسر البيرة متبعة الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ، ثم تسير في خط جنوبي ، . . كما يجب التوصل الى اتفاق دولي تحمى بموجبه حقوق المياه للشعب القاطن جنوبي نهر الليطاني - أي اليهود - حماية عامة ، اذ ان منابع المياه هذه تستطيع أن تخدم تنمية لبنان مثلما تخدم تنمية فلسطين » .

وتتابع المذكرة :

« وجبل الشيخ هو أبو المياه الحقيقي بالنسبة لفلسطين ، ولا يمكن فصله عنها بدون انزال ضربة جذرية بحياتها . . .

فيجب اذن ان يبقى تحت سيطرة أولئك الذين هم أرغب وأقدر

على اعادته الى نفعه الأقصى . ويجب وضع ترتيبات دولية لحماية حقوق المياه للسكان الذين يعيشون الى الجنوب من نهر الليطاني . واذا ما لقيت هذه المنابع عناية كافية فمن الممكن استخدامها لتنمية لبنان وكذلك لتنمية فلسطين » [١٠٣] .

وبذلت المنظمة الصهيونية خلال وقبيل انعقاد المؤتمر جهوداً ضخمة وحاولت استنفار كل القوى لاصدار قرار بضم منطقة الجنوب اللبناني واتصل لهذه الغاية دافيد بن غوريون وحاييم وايزمن بالبطريرك الماروني الياس الحويك وحاولا اقناعه بامكانية تخلي لبنان عن الجليل الأعلى وجنوب لبنان لقاء وعد بمد الموازنة بالمساعدات المالية والفنية لتطوير لبنان الذي سيصبح على حد زعمهما « دولة ذات أكثرية مسيحية » [١٠٤] .

وافق البطريرك على هذه الخطة وأبدى ارتياحه لها .

ولكن بالرغم من هذا التجاوب البطريركي مع المطالب الصهيونية فان فرنسا التي شهد المؤتمر صراعاً حاداً بينها وبين بريطانيا الداعمة لليهود ، حول مسائل توزيع المغانم واقتسام المناطق رفضت لا لشيء إلا لأنها اعتبرت الأراضي اللبنانية خاضعة للنفوذ الفرنسي ، وان ضم أية منطقة لبنانية الى فلسطين سيزيد من النفوذ البريطاني في المنطقة ، ولهذا السبب ايضاً رفضت استيطان الجاليات اليهودية في الأماكن المحيطة بحدود فلسطين [١٠٥] .

مذكرة مطران زحلة عن الروم الكاثوليك

رفع « مطران زحلة والبقاع » عن الروم الكاثوليك مذكرة الى المؤتمر يقول فيها:

« ان أية محاولة لضم لبنان الكبير مع كل سكانه المسيحيين الى بقية سوريا وتحت سيادة أمير عربي غريب يستلهم سلطته من العقيدة الاسلامية هي عمل خطير يتناقض مع الأهداف الانسانية التي اعلنها المؤتمر . . . » .

ثم يطالب « بوطن قومي مسيحي » اسوة بالوطن القومي اليهودي :

فيقول: « اذا كانت اليوم تطرح مسألة ايجاد موطن لليهود في فلسطين ـ وهي بلد ليست لهم ـ فحري ان يترك لسكان لبنان ـ الكبير ، بلدهم هذا الذي هو لهم في كل وقت » . أي انه يريد ان يرحل المسلمون من هذه الأرض ليقام عليها « الوطن القومي المسيحي » كما تم ترحيل الفلسطينيين من ارضهم لخلق الدولة اليهودية ، « فلبنان ـ كما يزعم المطران ـ كان دائماً وأبداً قلعة المسيحية في الشرق ، والسور الذي فصل الشعوب العربية عن الشعوب المسيحية . انه يتلقيه الصدمة الأولى للغزوات العربية والتركية استطاع باستمرار ان يوقف انطلاقها ، وأن يوفر لأوروبا الوقت الكافي لمقاومتها » .

وبعد هذا الافتراء يدعو المطران الى الحذر قائلاً :

« والآن ايضاً ـ من يدري مفاجآت المستقبل ـ ينبغي أن يبقى لبنان مرصداً متقدماً ، طليعة مترقبة ، وحصناً منيعاً ينذر في حال عودة مثل تلك البلاوى » .

وبعد أن يطالب المطران بضم « بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا ومرافىء بيروت وطرابلس وصيدا » للوطن القومي المسيحي ، شارحاً أهمية هذه المناطق من الناحية الإقتصادية يدعو الى « استقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي » ، مدعياً ان « لبنان ـ الكبير ليس هو الا فينيقيا » [١٠٦] .

رسالة كليمنصو الى البطريرك الماروني

بعد أسبوعين تقريباً من تقديم مذكرة البطريرك الياس الحويك ، جاء جواب الرئيس الفرنسي كليمنصو في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٩ م - ١٢ صفر ١٣٣٨ هـ حاملاً « التطمين » على « النجاح الكامل » لمهمة البطريرك وراسماً الخطوط الأولية للمشروع الفرنسي في خلق « لبنان - الكبير » .

كتب الرئيس الفرنسي الى البطريرك : « ان المحادثات التي اجريتموها منذ وصولكم الى باريس مع وزير الخارجية ومعي بالذات ، لا بد أن تكون قد اكدت لكم ان ايمان حكومة الجمهورية لم يزل ثابتاً بالعلاقات القديمة المتبادلة بين فرنسا ولبنان منذ عصور مديدة، كما ان هذه المحادثات قد اكدت لكم ايضاً بشكل يقيني أن الحلول التي تتبعها في مؤتمر السلام هي في معظمها متطابقة مع أماني الشعب الذي أنتم اعلى ممثليه . كما ان رغبة اللبنانيين في الحفاظ على حكومة وعلى دستور وطني مستقلين يتفق بشكل كامل مع التقاليد الفرنسية الليبرالية . سيطمئن اللبنانيون بمساعدة فرنسا ودعمها ، الى الحفاظ على تقاليدهم ، وتطوير مؤسساتهم السياسية والإدارية ، واستعجال استثمار قيمة بلدهم ، والى رؤية اطفالهم تعدهم مدارسهم بالذات الى الوظائف العامة . ان فرنسا التي فعلت المستحيل عام ١٨٦٠ لتحقق للبنان أراضي اكثر اتساعاً ، لا تنسى ان تضييق المساحة الحالية ناتج عن القمع الطويل الذي عانى منه لبنان .

وبما ان فرنسا راغبة في تشجيع العلاقات الاقتصادية مع كل البلاد الموضوعة تحت انتدابها كأفضل ما يكون . فعند رسمها لحدود لبنان ستأخذ في الحسبان قبل كل شيء ضرورة الاحتفاظ بمناطق سهلية للجبل ومنفذ بحري ضروري لازدهاره » [١٠٧] .

تعليقنا على هذه الرسالة التي بعثها الرئيس الفرنسي الى زعيم جماعة أو عصابة يعتبرها أو هي تعتبر نفسها جزءاً من الأمة الفرنسية ، أن تلك « العلاقات القديمة والمودة التقليدية المتبادلة بين لبنان وفرنسا منذ عصور انما هي بين فرنسا وعملائها في لبنان . ولبنان ليس ملكاً للموارنة حتى يمكن اعتبار التبعية المارونية لفرنسا علاقة حب وصداقة متبادلة بين البلدين .

ان اصحاب المشروع الماروني عندما يتحدثون عن لبنان فان المقصود هو « الوطن الماروني »،وعندما يتحدثون عن « اللبنانيين » فانما يعنون الموارنة والنصارى عامة،ذلك ان كلمة لبناني تعني عندهم مسيحي كما جاء في وصايا فرنسا العشر الى عملائها في لبنان قبيل نهاية فترة الانتداب وسنتحدث عنها في حينها .

ثم متى كان البطاركة يمثلون لبنان ؟

ان لبنان بلد مسلم وليس من المعقول أن يمثله البطاركة ودعاة الصليبية .

ان المستعمرين عندما يخاطبون عملاءهم فانهم يسعون على الدوام لرفع معنوياتهم واعتبارهم ممثلي شعوب وقادة اوطان وأصحاب ممالك ورجال تاريخيين وعظام سيخلدهم التاريخ .

وبطاركة الموارنة هم من اولئك العملاء والقادة التاريخيين الخياليين الذين تشملهم عناية الأسياد ويمنون عليهم بكلمات التبجيل والتعظيم .

كما ان المساعدة الفرنسية التي يتحدث عنها الرئيس الفرنسي لم تكن ترمي الى الحفاظ على تقاليد اللبنانيين وتطوير مؤسساتهم كما يزعم إنما هي مساعدة تقدمها دولة أوروبية منها خرجت اول حملة صليبية على الشرق الاسلامي ، الى فئة دخيلة وغازية وتعتبر من « اقدم اتباع فرنسا » كما اعترف بذلك وزير الخارجية الفرنسي عام ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .

ولهذا فان فرنسا كانت صريحة في مخاطبتها للموارنة بلسان رئيسها كليمنصو عندما تحدث عن « ضرورة الاحتفاظ بمناطق سهلية للجبل ومنفذ بحري ضروري لازدهاره واستقرار أوضاعه الاقتصادية » .

ميليشيا مارونية لقمع الثورة ضد الفرنسيين

في ٩ تشرين الأول ١٩١٩ م - ١٠ محرم ١٣٣٨ هـ - عين « الجنرال غورو » قائداً للقوات الفرنسية في الشرق ، وقد ناداه كليمنصو اثناء تكليفه ، « ستصبح الجندي الذي سيبني موطناً فرنسياً في الشرق » .

وصل الجنرال غورو الى بيروت في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٩ م - ٢٠ صفر ١٣٣٨ هـ على رأس حملة عسكرية تضم ثلاثين ألف جندي .

لم تكد جيوش الفرنسيين تدخل الى لبنان حتى عمت الفرحة لدى أنصارهم الذين استقبلوا قوات الاحتلال بالترحاب والمظاهرات المؤيدة .

يتحدث بشارة الخوري (١٠٨) عن قداس اقيم في كاتدرائية مار جرجس في بيروت تبعته مظاهرة تأييد للاحتلال الفرنسي هتف خلالها المتظاهرون :

« فرنسا ام الدنيا عموم اعتزوا يا لبنانية » .

كذلك يذكر ان أهالي بلدة عين إبل في الجنوب ، رفعوا يافطات

كتبوا عليها بالفرنسية : « تعيش فرنسا ، يعيش كليمنصو ، يعيش الجنرال غورو » .

هذا التأييد الحار من قبل الموارنة والكاثوليك لأسيادهم المحتلين قابلته ثورة عارمة في صفوف المسلمين ضد الاحتلال .

وبعد ان سيطر الفرنسيون على بلاد الشام ودخلوا المنطقة التي كان يحتلها الإنكليز شرعوا بجمع السلاح وتغريم السكان بخسائر الحرب ، ففرضوا على الناس غرامة حربية قدرها مئتا ألف ليرة عثمانية ذهباً فاشتعلت الثورة في البلاد وزادت خراباً فوق خرابها (١٠٩) .

وقد لجأ الاحتلال الفرنسي الى تجنيد الموارنة لقمع الانتفاضات وجعل منهم أجهزة امنه ونظم منهم فرقاً عسكرية مسلحة لمحاربة الثوار . وعندما بدأت هذه الانتفاضة مسيرتها المعروفة من حاصبيا الى تكنة مرجعيون كان أهل كوكبا المارونية يطلقون النار على أفرادها ويحولون المسيرة الى مجزرة (١١٠) .

ان سياسة فرنسا هدفت إلى تأهيل فرقة صليبية لكي تحكم باسمها وتحرس مصالحها . ولقد امعن الاحتلال في تحويل هذه الفرقة (المارونية) الى دركي احتياطي لمصالحه ليس فقط بالمعنى السياسي بل ايضاً وبالمعنى العسكري .

كرر الاحتلال الفرنسي استخدام اسلوب ابراهيم باشا في حملته على سوريا ولبنان وطرق اخضاعه السكان بأن جند الموارنة بلبنان بشكل خاص لقمع الانتفاضات والثورات الإسلامية .

وهكذا اندلعت الحروب ، معارك اثر معارك .

فرق تتقهقر ، وفرق تتقدم .

جحافل تتمزق ، وجحافل تلتئم . .

الحرب آناً في مد ، وآناً في جزر .

والسيد المجاهد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، راسخ اليقين ، دائب الحركة في ميادين القتال ، يدور مع الجيوش الصليبية ، مدافعاً أو مطارداً ، حيثما تدور .

وعندما أفتى بالجهاد ضد المستعمرين الفرنسيين حكموا عليه بالإعدام ثم أحرقوا منزله ومؤلفاته وطاردوه من مكان الى آخر حيث كان قوله المفضل دائماً :

ان لم أقف حيث جيش الموت يزدحم   فلا مشت بي في طرق العلى قدم .

جريدة لسان الحال الموالية للسياسة الفرنسية تذكر في ٣ تشرين الثاني ١٩١٩ عدة عمليات قام بها المجاهدون ضد جيش الاحتلال وتقول :

« ان الفرقة العسكرية حاصرت القرية (مزرعة الشوف) وبعث الكومندان الفرنسي انذاراً يخطر به الأهالي بالتسليم ، أو أنه يحرق القرية ، وأمهلهم مقدار نصف ساعة . ولما أصر الأهالي على عصيانهم هاجم الجنود القرية وأحرقوا ثلاثين بيتاً ، وأصدر الحاكم بلاغاً بين فيه ان كل قرية يبدو منها حركة عداء تجاه الحكومة يصيبها ما أصاب مزرعة الشوف » .

وتنقل الجريدة في نفس العدد اخباراً عن احكام بالاعدام والسجن صدرت عن المحكمة العسكرية بتاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩١٩ بحق عدد كبير من الأشخاص « بتهمة قتل افراد جند رمة ، والدعوة للثورة بالسلاح » (١١١) .

في ١٣ كانون الأول ١٩١٩ م (اواسط ربيع الأول ١٣٣٨ هـ) -

هاجم الثوار المسلمون مركزاً للبريد الفرنسي في تل كلخ على طريق طرابلس - حمص . تقول الجريدة عن تصرفات السلطات الفرنسية انها : « أحرقت بيوت جميع العصاة في اقليم تل كلخ وأعدمت اثنين من زعمائهم بالرصاص . . . وأحرقت بعض المنازل في مشتى عامل ومشتى حسن . . . »(١١٢) .

وشملت الانتفاضة جميع المناطق : طرابلس ، عكار ، البقاع وجبل عامل .

وفي مرجعيون ، الخيام ، الحولة ، الخالصة ، كفركلا ، العديسة ، الطيبة ، هونين ، النبطية ، قام الثوار بعمليات جريئة ضد الجيش الفرنسي وانصاره .

تقول جريدة لسان الحال : « في أواخر شهر كانون الأول الماضي تكررت حوادث النهب والسلب في سنجق صيدا فاضطرت الحكومة الى ارسال فرقة لتأديب العابثين بالأمن ، فتمكنت من توطيده في ضواحي الفجر والخيام والطيبة وكفركلا . . .

وخلال دورتها جرت لها مناوشة مع بعض العصابات التي كانت تحاول ان تقطع خط الرجعة عليها . . . » .

« وكانت هذه العصابات مسلحة بالبنادق والرشاشات فالحقت الفرقة بها خسائر فادحة وضربتها ضربات موجعة ، ويسوؤنا القول : ان الفرقة الفرنسية اصيبت بخسائر بلغت الخمسين من الجرحى ، وانها اضطرت الى ترك ثلاثة مدافع رشاشة في مستنقعات الليطاني »(١١٣) .

ثم تفاقم الأمر ، واصاب اذى الثوار عساكر المحتلين الذين كانوا ينقلون الذخائر والمؤن من صيدا وبيروت الى القوى العسكرية المرابطة في النبطية ومرجعيون وحاصبيا حيث هاجموهم بالقرب من مزرعة (مصيلح) بين صيدا والنبطية وتغلبوا على العساكر في جبل رياق من

جهة المطلة جنوبي مرجعيون (١١٤) .

وكان ان ارسل الفرنسيون كتيبتين من الجند بدلالة صليبيين محليين من جديدة مرجعيون ودير ميماس والقليعة ، الى الحولة، فحمل المسلمون هناك على الفرنسيين حملة منكرة ، كتبت لهم فيها الغلبة وقتل الكثير من الجنود الفرنسيين ، كما هاجموا عساكر المحتلين في جديدة مرجعيون ولقنوا أنصارهم دروساً مرة ، ومني التحالف الصليبي - الفرنسي - الماروني بهزيمة قاسية .

وامتدت الانتفاضة الى جبل العلويين ودمشق وحوران وجميع المناطق (١١٥) .

في مجرى هذه الانتفاضات المسلحة التي قامت هنا وهناك وطالت بردود فعلها الأقلية المارونية الموالية لفرنسا ، كانت مواقف الموارنة قلقة وغير واثقة من المصير . لذا قاموا بإرسال وفد ثالث الى باريس يؤكد على مطالب الوفدين السابقين (١١٦) ، والتي كان قد رفعها البطريرك الماروني والمطران الكاثوليكي .

في ٢ شباط ١٩٢٠ م - جمادى الأول ١٣٣٨ هـ - توجه نحو باريس وفد مؤلف من المطران عبد الله الخوري النائب البطريركي ، وتوفيق ارسلان ، واميل اده ، ويوسف الجميل ، ليقوم بهذه المهمة (١١٧) .

وفي **٢٢** آذار نظم مهرجان خطابي في بعبدا ضم وفوداً شعبية مارونية كانت تحمل العلم الفرنسي تتوسطه أرزة .

ألقى في المهرجان رئيس المجلس الإداري ، حبيب باشا السعد كلمة أكد فيها على انفصال لبنان عن محيطه طالباً الحماية الفرنسية، وهو نفسه الذي أرسل في ١٥ تموز مذكرة الى رئيس الجمهورية الفرنسية حول ابداء بعض اعضاء المجلس شكوكهم بنوايا فرنسا،يقول :

« ان رئيس واعضاء مجلس ادارة لبنان يقبحون ما أتى بـه بعض زملائهم الذين خانوا وطنهم . . . ناسين تقاليد اجدادهم وأماني الأهالي الذين ينوبون عنهم » (١١٨) .

ورد الممثل الفرنسي « الكومندان لابري » بكلمة تطمين وتأكيد على تنفيذ المطالب التي رفعها البطريرك الى باريس (١١٩) .

وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠ م ـ ٦ شعبان ١٣٣٨ هـ أقر مجلس الحلفاء الأعلى المجتمع في سان ريمو ، الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان ، فصعق المسلمون لهذا النبأ فيما استقبله الموارنة وحلفاؤهم في لبنان بالترحاب .

وقبل صدور هذا القرار الخطير بيوم واحد عقد علماء جبل عامل ، قلعة المقاومة ، مؤتمرهم الشهير على رأس نبع الحجير حيث بحثوا الموقف من جميع جوانبه .

وأقر المؤتمرون بالإجماع على رفض الانتداب رفضاً قاطعاً كما اعلنوا عن معارضتهم لمشروع تحويل المنطقة الى كيانات سياسية مجزأة وحمل القرار إلى دمشق العالمان المجاهدان السيد عبد الحسين شرف الدين (صور) والسيد عبد الحسين نور الدين (النبطية) .

وأمام تصاعد الثورة المسلحة ضد الفرنسيين لجأ الجنرال غورو الى تجنيد العناصر المارونية والكاثوليكية الموالية لفرنسا في اعداد كبيرة في ميليشيا محلية ، تزودها فرنسا بكل الوسائل اللازمة لقمع الانتفاضات والحركة المعادية للاحتلال الفرنسي ، والتي تتميز بقاعدة جماهيرية إسلامية واضحة (١٢٠) .

وكانت قرارات مؤتمر سان ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ ـ ٦ شعبان ١٣٣٨ هـ بوضعها سوريا ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي قد اعطت الضوء الأخضر للجنرال غورو أن يتابع مشروع تصفيته للثورة على الاحتلال تحت ستار دولي ومباركة انكليزية (١٢١) .

وفي ذات الوقت أرسلت الحكومة الفرنسية الى غورو فرقاً عسكرية سنغالية لاستعجال حسم مسألة الثورة (١٢٢) .

في أيار وحزيران اتخذت العمليات طابع الثورة الشاملة ضد الاحتلال وعملائه في الداخل .

وعندها جرد الفرنسيون حملة تتألف من أربعة آلاف جندي فرنسي يعاونهم ادلاء ومتطوعون من الموارنة والكاثوليك على رأسها الكولونيل نيجر بحجة « وضع حد للفوضى وحماية المسيحيين » .

سارت الحملة في طريق الساحل واستقرت اولاً في صور ثم تغلغلت في داخل البلاد فناوشها الثوار في وادي الحريق على غير انتظام ثم انسحبوا الى الجبال ، ولم تتمكن القوى الفرنسية من التغلب عليهم والقبض على أحد منهم فتابعت سيرها سالكة وادي عاشور حتى وصلت تبنين وبنت جبيل فأحرقتها ، وفتكت بكثير من الأبرياء والآمنين ، وكثر السلب والنهب الى ان استقرت الحملة في قرية هونين (١٢٣) .

كتبت لسان الحال مدافعة عن هذه المجازر :

« على انه خلافاً للنمائم التي اشتهرت ، لم يحرق غير قسم من بنت جبيل ، وهو القسم الذي أعد سكانه المذبحة (يقصد مذبحة عين ابل) ، واما في بقية القرى فلم تحرق غير بيوت زعماء العصابات وقد قتل في المعركة عدد كبير من اللصوص واعدم الذين قبض عليهم

والسلاح في ايديهم رمياً بالرصاص »[١٢٤] .

واعتبرت السلطة الفرنسية ان « الطائفة الشيعية بجملتها » مسؤولة عما جرى ، ففرضت عليها غرامة قدرها مئة الف جنيه واجبرت اعيانها وزعماءها ان يوقعوا في اجتماع مذل في صيدا تعهداً يقضي « بتحمل اثقال التعويضات عن الخسائر » التي سببتها الأحداث .

وفي ٥ حزيران ١٩٢٠ م جمع الكولونيل نيجر علماء جبل عامل وأعيانه،فحشرهم في دار الأسقفية الكاثوليكية في صيدا والقى عليهم ، على مسمع من الاكليروس الماروني ووجهاء النصارى خطاباً نارياً يتضمن التهديد والوعيد . ثم أجبرهم على امضاء وثيقة تتضمن البنود التالية :

اولاً : دفع مابة الف ليرة عثمانية ذهباً غرامة حربية وتعويضات .

ثانياً : التعهد بإعادة الأمن وتسليم المحكومين للحكومة .

ثالثاً : اعادة المسيحيين الفارين الى قراهم والمحافظة والتعويض عليهم .

وقد جمع حاكم صيدا الفرنسي (شربنتيه) وأعوانه الغرامة أضعافاً مضاعفة ، وأمعنوا في البلاد سلباً ونهباً . فنضبت ثروة جبل عامل من هذه المظالم الفادحة ، ووقع في مهاوي الفقر والخراب[١٢٥] .

وذكر الريحاني ان الجباة الماهرين جمعوا من هذا الجبل اربعمائة وخمسة وثمانين الف ليرة دفعوا منها لأهل الجديدة وكمكافأة على مشاركتهم في الحملة الفرنسية ضد الأهالي خمسين الف ليرة[١٢٦] .

ثم أصدرت السلطة الفرنسية احكاماً بالإعدام أو بالنفي او بمصادرة الأملاك على عدد كبير من السكان .

ولم تنجح الحملة في حسم الموقف لصالح الاحتلال الفرنسي

بل تصاعدت الثورة مما حدا بالموارنة الى دعوة أسيادهم الفرنسيين لحسم الموقف بالحديد والنار .

كتبت (لسان الحال) في ٢٢ حزيران عام ١٩٢٠ م ، محللة من موقعها المعادي للتحرك الإسلامي ، أسباب الانتفاضة الإسلامية وأشكال الصراع مع صليبيي جبل عامل ،وداعية لاستكمال ضرب جيوب الثورة في كل مكان ، تعليقاً مطولاً اعترفت من خلاله بأن النصارى اندفعوا « عند الاحتلال . . جملة من أبناء تلك الأنحاء باظهار عواطفهم نحو الحكومة الفرنسية ، كذلك كان شأنهم لدن قامت اللجنة الأميركية مستطلعة رغائب الأمة . . . » .

ليس هذا فحسب بل تؤكد الصحيفة بأنهم « اندفعوا جهراً بخدمة الحكومة الفرنسية » . ثم تصف المسلمين بأنهم « العدو الجاهل والعدو الجديد ، بل عدو الحكومة المحتلة اللدود » .

ولهذا يدعو المقال الى استعمال القوة مع هذا«العدو»لتثبيت دعائم الاحتلال.تقول الجريدة « فجدير بهذه الحكومة ان تحافظ على من شاء خدمتها والأخذ بنصرها . . . فيجدر والحالة هذه بالحكومة المحتلة ان لا تكتفي بما قامت به مؤخراً من الأعمال التأديبية . بل ان من مصلحتها الرئيسية ان تمسك المدفع وتقذف بحممه على رؤوس كل من عاث بالأمن فساداً . . . »[١٢٧] .

كانت الثورة قد امتدت الى كيليكية وشملت جميع أنحاء سوريا وفي اوائل تموز قررت الحكومة الفرنسية السير الى دمشق لحسم الموقف .

وقبل ان يجهز غورو حملته المعروفة فرض على فيصل ، والذي كان قد ترأس كياناً عربياً اسلامياً في دمشق قبول المطالب التالية :

ـ ان تضع الفرق الفرنسية يدها على خط سكة الحديد رياق ـ حلب .

ـ الاعتراف بالانتداب الفرنسي .

ـ الغاء الخدمة العسكرية وتسريح الجيش .

ـ ايقاف ومعاقبة من يشترك في الحملة الاعلامية المعادية لفرنسا [١٢٨] .

استسلم فيصل وبعض اعضاء حكومته للشروط الفرنسية .

وبعد اجتياح البقاع زحف الفرنسيون على دمشق .

وكان يوسف العظمة وزير الحربية قد قرر المقاومة مهما كان الثمن ، فذهب على رأس حملة من المتطوعين المدنيين ومن تبقى معه من عناصر الجيش الى ميسلون لصد الآلة العسكرية الفرنسية الكبيرة بأسلحتهم البسيطة .

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٠ م ـ ذو القعدة ١٣٣٨ هـ ـ وقعت بين الفريقين معركة غير متكافئة استشهد خلالها يوسف العظمة ومعظم جنوده [١٢٩] .

اما الأمير فيصل فلاذ بالفرار الى العراق حيث وعده الانكليز بتنصيبه ملكاً : ٢٣ آب ١٩٢١ م .

كانت أخبار ميسلون بالنسبة للموارنة بشرى سارة .

كتب أيوب ثابت في لسان الحال يحيي انتصار فرنسا في ٢٤ تموز ويشبه هذا اليوم بيوم الجمهورية الفرنسية . يقول :

« هو اليوم الذي وقع فيه الحادث الخطير الذي ضمن لسوريا كيانها واستقلالها بعد ان كانت مهددة بالتجزئة والفوضى الدائمة . . .

وهل يوم واحد أيلول (*) الا تاريخ وصفي لحادث تاريخي عظيم جرى في ٢٤ تموز ، الا وهو وقعة ميسلون التي صيرت استقلال لبنان الكبير أمراً مقضياً . . . ولسوف يذكر تاريخ لبنان اسم الكولونيل نيجر كأحد كبار العاملين في انقاذ فكرة لبنان الكبير واستقلاله على مبادىء القومية الوطنية » [١٣٠] .

ان استقلال لبنان الذي يتحدث عنه أيوب ثابت انما هو استقلال الاتجاه الماروني القاضي بتحويل لبنان الى دولة صليبية تحكمها كتائب مارون .

رغم هذا الانتصار الفرنسي في سوريا ولبنان والذي دفعت فرنسا ثمنه تسعة آلاف قتيل و ٢٥٠ ضابطاً [١٣١] ، فان تثبيت الوضع سياسياً كان يقضي ايضاً بتقسيم البلاد وفق شعار « فرق تسد » على قاعدة الحركة المطلبية المارونية التي قادها البطريرك ، وعلى قاعدة التعدد الطائفي والمذهبي في الداخل ، ووفق المخطط الذي رسمته مراسلات ميليران ـ غورو قبيل وبعيد معركة ميسلون .

ولهذا قسم الجنرال غورو ، الكاثوليكي الغيور ، ومستشاروه السياسيون منطقة الانتداب الفرنسي الى حكومات مستقلة الواحدة عن الأخرى ، فأنشأوا لبنان الكبير،دولة حلب ، دولة دمشق ، دولة العلويين ، سنجق الاسكندرون المستقل ، وفيما بعد دولة الدروز .

وأصبح لكل دولة من هذه الدول علم خاص بها يحمل في مطاويه

(*) إشارة الى اعلان دولة « لبنان الكبير » وسوف نتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل .

العلم الفرنسي المثلث الألوان ، ولم يجعل لفلسطين علم خاص وبقي العلم فيها انكليزياً [١٣٢] .

ومع أن الجنرال غورو اضطر ان يلغي هذه التدابير في ٢٠ حزيران ١٩٢١ م فقد استمرت فرنسا في سياستها الاستعمارية الرامية الى تشجيع اقامة الأوطان العرقية والعنصرية ، فبعد ان استخدمت الاشوريين والاكراد في لواء الجزيرة استخدمت الفرقة الشركسية المشهورة ببلائبها في قمع الثورة السورية الكبرى سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م ، وعمدت سلطات الانتداب الفرنسي الى اعطاء وعد باقامة وطن قومي خاص للشركس في منطقة الجولان [١٣٣] .

اعلان دولة « لبنان الكبير »

في شهر آب ١٩٢٠ م تلقى سكرتير البطريرك عبد الله الخوري والذي كان قد رئس الوفد الثالث الى باريس ، من الرئيس الفرنسي ميلليران رسالة جاء فيها :

« لقد استجيب لطموح بلادكم بشأن البقاع ، فلقد اعلن الجنرال غورو في زحلة وفقاً للمقاصد التي لم تتغير ولتعليمات حكومة الجمهورية ضم البلاد التي تمتد حتى السلسلة الشرقية وجبل حرمون الى لبنان . بيد ان ما تريده فرنسا بتثبيت الحدود الطبيعية لبلادكم هو خلق لبنان الكبير .

فلبنان يجب ان يضم في الشمال جبال عكار وان يمتد من ناحية الجنوب حتى أقصى حدود فلسطين . كما ان مدن طرابلس وبيروت يجب أن تضم اليه بشكل وثيق ، مع تحفظ واحد هو الحفاظ على استقلالية ادارية واسعة تأخذ بعين الإعتبار الفرق الاقتصادي الموجود بين المدن وبين الجبل (جبل لبنان) . على ان فرنسا ودون ان تنسى مسؤوليتها الجديدة التي تدعوها إلى ان تظهر التوازن بشكل متساو بين جميع المناطق السورية تفكر بصداقتها التاريخية وبتضامنها القديم مع لبنان ، والذي اكدها هذا الأخير ، وبشكل ساطع بدمجه الرمز الوطني مع

الألوان الفرنسية في العلم الذي اختاره . ان باستطاعة لبنان الكبير الاعتماد دائماً على فرنسا » [١٣٤] .

وكان ان ثبت الجنرال غورو هذا الوضع بقرار نص على ان تتشكل دولة باسم « لبنان الكبير » تشتمل على الأراضي المذكورة . وكان ذلك في ٣١ آب ١٩٢٠ م .

وفي اليوم التالي من صدور القرار احتفل الجنرال غورو في قصر الصنوبر في بيروت « باليوم التاريخي » الذي حصل فيه الموارنة على دولة بمساندة ومباركة الفرنسيين . وتمت للموارنة في لبنان أمنيتهم التي طالما نشدوها من حكم فرنسا لهم . يضاف الى ذلك كله أن فرنسا كانت من اكبر العاملين على ترسيخ مبدأ « القومية اللبنانية » (المارونية) التي قام على أساسها « لبنان الكبير » ، ويتحدث مكسيم نكولا في كتابه : « القومية اللبنانية » عن تكريس معاهدة لوزان التي عقدت في ٣٠ شباط و٢٤ تموز ١٩٢٣ م بين الدول الأوروبية من جهة ورجل الاستعمار الأوروبي في تركيا مصطفى كمال أتاتورك (*) من جهة ثانية ، يتحدث باسهاب عن تكريس هذه المعاهدة « للهوية اللبنانية » على أساس مبدأ القوميات التي كانت وبالاً على المسلمين ، فيقول : « إن المعاهدات النابعة من الحرب كانت تريد اعادة تشكيل التجمعات السياسية على أساس مبدأ القوميات » ويشير إلى أن « لبنان الكبير » ارتكز على تقليد ١٨٦٠ »، يقصد نظام المتصرفية . ثم يرمز إلى الدور الماروني القديم بقوله أنه « كانت هناك قومية لبنانية مختبئة . . . انها تلك القومية المستترة التي بعثتها معاهدة لوزان» [١٣٥] .

(*) كمال أتاتورك : كان متأثراً جداً بالحضارة الغربية الزائفة ، قطع صلة تركيا نهائياً بالتاريخ الإسلامي وحول المجتمع التركي الى مجتمع أوروبي غربي . ومنذ ذلك التاريخ دخلت تركيا في عصر الظلام .

ولم تكن كل الأطراف المارونية راضية تماماً عن هذا الإلحاق لأن تكبير لبنان في حدود المساحة التي عينها غورو كان يهدد بابطال مفعول واقع الأكثرية المسيحية الساحقة . وبعضهم طالب بضم جبل عامل الى فلسطين .

فمقابل الهيمنة المارونية المطلقة في المتصرفية ، احدث لبنان الكبير تطوراً في نسبة السكان لغير صالح هذه الهيمنة .

ومنذ ذلك التاريخ بات دعاة « القومية اللبنانية » لا يتحدثون باسم الموارنة فقط ، بل وباسم النصارى عامة لعلهم بهذا يجدون مخرجاً لادعاء غلبتهم العددية في السكان .

« لبنان الكبير . . مأساة نصف قرن » [١٣٦] .

هذا ما خلص اليه اولئك الذين تحكموا بمصير هذا البلد نصف قرن من الزمن . وكان ينبغي لهذا الشعار ان يطلقه اولئك الذين عاشوا مأساة الحاقهم بدائرة الهيمنة المارونية السياسية .

ان المطالب المقدمة الى مؤتمر الصلح استهدفت اساساً حل أزمة الجبل على اثر الضيق الاقتصادي الذي عاناه هذا الأخير مدة طويلة لذلك كان اهم ما ركز عليه الموارنة هو ضم بيروت لكونها مرفأ مهماً ومركزاً لفعاليات الجبل الاقتصادية ، وضم سهل البقاع لخصبه وغناه بالحبوب .

ان ما قصد اليه الموارنة من توسيع حدود المتصرفية ، وهي الصيغة الأولى للوطن القومي المسيحي ، لم يكن يتعدى محاولة ايجاد منفذ لها على البحر وضم بعض السهول الخصبة ، حذراً من اختلال المعادلة السكانية الطائفية .

غير ان الكرم الذي ابدته الحكومة الفرنسية بضمها مناطق غير مطالب بها وذات غالبية اسلامية (جبل عامل ، بعلبك ، عكار ، طرابلس ، صيدا . . .) اثار قلق الأوساط المارونية خوفاً من ان يمس

الهيمنة المارونية في مشروع الدولة الجديدة .

ومهما يكن من أمر فلقد أقام التحالف الفرنسي الماروني كياناً سياسياً اطلق عليه اسم « لبنان الكبير » ، بشكل يضمن الغلبة الكاملة للموارنة ، لأن فرنسا كانت تخطط لصيغة يكون فيها المسلمون اكثرية عددية فقط لا تملك من أمر الحكم شيئاً .

اتجاهات سليمان كنعان الذي طالب بإنشاء وطن قومي لنصارى الشرق

يلاحظ ان الهدف المشترك للنصارى كان السيطرة على لبنان سواء عبر فرنسا أو بريطانيا .

فسليمان كنعان احد اعضاء مجلس ادارة جبل لبنان كان يطالب بالسيطرة البريطانية على لبنان معتبراً ان انكلترا بتخليها عن لبنان فانها تسلم بيدها الى فرنسا حصناً طبيعياً ومركزاً حربياً مهماً يقع وسط البلاد العربية وهو مفتاح سوريا والشرق .

وقد بعث برسالة بهذا الخصوص الى اللورد « كروزن » وزير الدولة البريطانية للشؤون الخارجية طالب فيها باستقلال لبنان تحت راية بريطانيا لا لشيء الا ليصبح لبنان « وطناً لكل المسيحيين في سوريا والشرق ويكون هؤلاء قوة لأنكلترا ، ومن صالحهم ان يكونوا تحت ظلها ويستميتوا تحت لوائها » كما قال .

واعتبر كنعان ان باستطاعة انكلتر ان تستعين بالنصارى اللبنانيين للقضاء على اية ثورة عربية تقوم في المنطقة العربية بقوله :

« فيمكن لأنكلترا بكل وقت ان تستعين بلبنان وبيوم واحد يمكنها ان تجند منه خمسين الف مقاتل من أشجع رجال العالم بدون أن تتكلف

لصعوبة نقلهم كما هي الحالة في مستعمراتها . وفي الوقت ذاته يكون سكان لبنان بأجمعهم جنوداً للدفاع ضد أي كان يريد التعدي على وطنهم الذي يضعوه بيد انكلترا » .

واعتبر سليمان كنعان ان « جعل لبنان مملكة مستقلة مسيحية ليس أقل فائدة من مملكة الحجاز ومن محالفتها للشريف حسين وأولاده كما ان الفائدة منه توازي فائدتها من فلسطين والعراق لا سيما ان سكان فلسطين والعراق مسلمون معرضون لنكران جميلها ، واما سكان لبنان فمن صالحهم دائماً وأبداً التمسك بظل حماية انكلترا »(١٣٧) .

وطالب بأن يكون لبنان « خادماً لشعب انكلترا العائد عمله لخير الانسانية وتقرير الراحة في الشرق » . ومما يلاحظ من رسالة كنعان المكتوبة بخط يده والمؤرخة في ١٧ شباط ١٩٢٢ م عدة امور منها على سبيل المثال :

١ ـ وجود اتجاهات مسيحية لم تكن موالية لفرنسا فحسب ، وانما هناك اتجاهات أخرى موالية لبريطانيا .

٢ ـ كان يأمل سليمان كنعان وهو في عام ١٩٢٢ م ـ ١٣٤٠ هـ ـ ان تحتل بريطانيا لبنان وهو أمر لا يمكن تحقيقه تبعاً لاتفاقية سايكس ـ بيكو (*) ومقررات مؤتمر سان ريمو .

٣ ـ ان كنعان ناقض نفسه اكثر من مرة فهو حيناً يطالب باستقلال لبنان عن فرنسا ، بينما يطالب في الوقت نفسه بحماية وسيطرة بريطانيا ،

(*) لقد تم عقد هذه الاتفاقية في القاهرة بين جورج بيكو ، القنصل الفرنسي السابق في بيروت والسير مارك سايكس ، المندوب البريطاني للشرق الأوسط ، عام ١٩١٦ م وعرفت بمعاهدة سايكس ـ بيكو . وقد نصت هذه الاتفاقية على تقاسم البلاد العربية والتركية كغنائم حرب بين فرنسا وبريطانيا وروسيا .

وفي ذلك ما يناقض الاستقلال كل التناقض مع ما يستتبع ذلك استمرار الارتباط بالقوى الأجنبية .

٤ ـ لقد طالب بأن يكون نصارى لبنان مجندين لخدمة التطلعات والأعمال العسكرية البريطانية في المنطقة العربية .

٥ ـ كان سليمان كنعان يمثل اتجاهاً صليبياً ، فقد أراد من سيطرة بريطانيا على لبنان جعله دولة مستقلة لنصارى لبنان وسوريا والشرق كله ، وجعل هذه الدولة أداة قمع لأي تحرك ثوري في المنطقة معاد للنفوذ البريطاني .

٦ ـ لقد اثبتت هذه الوثيقة التي بين ايدينا بان سليمان كنعان لم يكن وطنياً في اتجاهاته بل كان بريطاني السياسة يؤمن بالسيطرة البريطانية على لبنان وانهاء السيطرة الفرنسية فيه .



رسالة سليمان كنعان الى اللورد كرزون وهي من ملفات وزارة الخارجية البريطانية .

الفصل السابع

سياسة الانتداب الفرنسي

والعلاقات المارونية اليهودية في ظل الانتداب

أولاً : سياسة فرنسا في الانتداب

ان «لبنان الكبير» ينطلق من المصالح الفرنسية وحاجتها الى دولة تستطيع ان تستمر بحدود تضمن المجال الحيوي لها بحيث يمكن ان تلعب دورها ضمن المخطط الإستعماري .

وهكذا فان حدود لبنان رسمت ضمن الخطة الفرنسية الإنكليزية لاقتسام المنطقة ، وضمن الدور الذي ارادته فرنسا للبنان في سياستها . ولقد عمل الفرنسيون آنذاك على اقناع بعض الأوساط المتطرفة في لبنان والداعية الى انشاء الوطن القومي المسيحي بفائدة هذه الحدود مع تقديم الضمانات الكافية بالمحافظة على لون لبنان الطائفي ، وعلى الهيمنة المارونية السياسية بوجه عام .

ان المناطق التي الحقت بدائرة الهيمنة المارونية ظلت تعاني من استغلال المركز (بيروت والجبل) للأطراف (الملحقات الاسلامية) .

ان عائدات لبنان الكبير كانت ١٧ بالمئة من الجبل و٨٣ بالمئة من المناطق المضمومة ورغم ذلك فان سلطات الانتداب حافظت على امتيازات الجبل فعمقت سريعاً التناقض مع الملحقات [١] .

لقد نعم الجبل بامتيازاته القديمة في حين رزحت المناطق المضمومة تحت ثقل الرسوم والضرائب والدين العمومي العثماني والطوابع المفروضة على المعاملات .

ظلت الادارة في يد أهل الجبل دون مشاركة اهل الملحقات واستمر الانتداب في انحيازه السافر من اجل ترسيخ الهيمنة المارونية على دولة لبنان .

لقد عزز الفرنسيون النظام القديم (المتصرفية) باحتضان الموارنة ومحاباتهم في الوظائف وتشجيع مدارسهم واستقدام لاجئين مسيحيين بأعداد كبيرة . وتضاعف سكان بيروت النصارى بسرعة مع تدفق السريان والكلدان والأرمن .

وقد عملت سلطات الانتداب الفرنسي على تغذية النزعة المارونية القائمة على اعتبار لبنان امة قائمة بذاتها ، يشكل العنصر المسيحي ، الماروني خصوصاً،جوهر تكوينها الخاص والمتميز عن المحيط الاسلامي .

وبدراسة نوعية العناصر المارونية التي تعاونت مع الانتداب الفرنسي نجد أن اغلبها من الذين كانوا يعيشون في المهجر ولا سيما فرنسا . فمن هذه الأوساط اتخذ الفرنسيون الأعوان والحكام والوزراء في دولة الانتداب الجديد ، فشارل دباس كان يعيش في فرنسا . واميل اده لم يكن يعيش في فرنسا ومصر فحسب بل انه جاء الى لبنان على ظهر أول مدرعة حربية فرنسية، وقبلهما كان داود عمون ونعوم لبكي واوغست أديب وبشارة الخوري والفرد نقاش وغيرهم من الذين جعلهم الانتداب كوادره . وقد فعل الفرنسيون ذلك لأن هؤلاء كانوا اصحاب الصلة المسبقة مع الفرنسيين وجهادهم في سبيل توطيد العلاقات الفرنسية ـ المارونية معروف .

ان المستعمر اذا نزل بلداً فانه يتخذ اعوانه من الأقليات المتوطنة الطارئة .

يقول ابن خلدون «ان صاحب الدولة اذا خشي من أهل الدولة الانتفاض عليه مال الى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويخصهم بمزيد التكرمة والايثار ويقلدهم جليل الأعمال والولايات والوزارات والقيادة والجباية » (٢) .

هكذا فعلت فرنسا ورفيقاتها في البلاد التي احتلوها وأخضعوها لسلطانهم .

فقد امتلأت المراكز والادارات والمؤسسات بغير المسلمين . امتلأت بموظفين ، عملاء لفرنسا ، وأصبحت جميع المرافق الاقتصادية والإدارية والتجارية توجه من قبل الموارنة ، توجيهاً معادياً للمسلمين .

واما الشركات الأجنبية فأصبحت أشبه بالسفارات لا تجد فيها مسلماً حتى المناصب الثانوية أصبحت مفاتيحها في أيدي الموارنة الذين امتلكوا كل اعنة الأمور في الدولة .

هذا الوضع استمر الى ما بعد رحيل فرنسا وأصبح جهاز الدولة خاضعاً للسلطة المارونية والمسلمون لا يشكلون فيه الا أقلية علماً انهم يشكلون الأكثرية الساحقة .

يعترف الجنرال كاترو بالحقيقة قائلاً :

« ان هذه المواقف . . . اثارت الأحاسيس الدينية لدى السكان الذين اعتقدوا ان فرنسا تدعم في ظل الأنتداب الطوائف المسيحية على حساب مصلحة المسلمين . . . لقد ساد نتيجة ذلك جو من الخيبة والمرارة لاحظت وجوده منذ اللحظة التي استلمت فيها منصب مهمات

المفوضية العليا في دولة دمشق في ٢٠ آب ١٩٢٠ م » [٣] .

ان الطابع الماروني للبنان أصبح بحيث ان استهتار الجنرال سراي بالاكليروس اثار غضب الموارنة وغيرهم من النصارى [٤] .

ان كل المستعمرين الذين جاؤ وا الى البلاد الاسلامية ساروا على نفس القاعدة . فاستخلصوا الأقليات ليقاوموا بها جماهير المسلمين، وفرنسا استخلصت الموارنة لما في نفوس ابناء هذه الأقلية من استعداد فطري وقديم للعمالة والحقد على الاسلام والمسلمين .

فمن مساعدتهم لها في الحروب الصلبية كما ذكرنا الى تبني سياسة التبشير والتنصير ، الى مراسلات الاكليروس الماروني مع نابليون الثالث ملك فرنسا وجهود القائمقام الماروني حيدر ابي اللمع في سبيل اعلان الدولة المارونية برعاية فرنسا،واخيراً الى التعاون المفتوح مع الصهيونية العالمية ضد المسلمين ، كل هذه الوقائع في تاريخهم الأسود جعلت العمالة متجذرة في نفوسهم وأصبحوا مؤهلين طبيعياً لتبني مشاريع فرنسا الصليبية .

وكانت سياسة الانتداب شديدة الوضوح في عدائها لنمو الصناعات الوطنية . فجل ما فعلته على صعيد الصناعة هو تركيز احتكارها على الفروع المنتجة لسوقها الاستعمارية . كما أنها في تركيزها على القطاع التجاري هدفت بالتحديد الى مضاعفة ارباح رساميلها هي بشكل خاص ، وتميزت السياسة الفرنسية بسرقة الذهب ونقل كميات كبيرة منه إلى فرنسا [٥] .

اليسوعيون : مهمات جديدة

بعد وصول قوات الاحتلال الفرنسي الى لبنان اعلن اليسوعيون بملء افواههم : « اجل لقد كنا نعتمد على مساعدة فرنسا الظافرة ، والآن ها هي فرنسا هنا » [٦] .

نعم اليسوعيون بنعمة الانتداب لأن جيوش فرنسا اصبحت في خدمتهم،يقولون :

« كان المبشرون اليسوعيون في اول امرهم اي قبل الانتداب الفرنسي ينشئون المدارس في جبل الدروز ثم يغلقونها اذا قصرت مواردهم الاقتصادية عن ادارتها ، ولكن التعليم التبشيري اليوم ـ اي بعد الانتداب ـ وخصوصاً في جبل الدروز يقوم على تعاون وثيق بين المبشرين والسلطات العامة » [٧] .

على ان اليسوعيين لا يريدون ان يتنازلوا عن روحهم الصليبية يقولون : « يجب ان تكون الادارة الفرنسية تتمة للاحتلال الصليبي » .

ويقول شانتور الذي رأس الجامعة اليسوعية في بيروت زمناً طويلاً ايام الانتداب وبعده :

« ويأتي المبشر تحت علم الصليب . . . يحلم بالماضي وينظر الى المستقبل وهو يصغي الى الريح التي تصفر من بعيد ، من شواطىء رومة ومن شواطىء فرنسا ، وليس من احد يستطيع ان يمنع تلك الريح من ان تعيد على آذاننا قولها بالأمس وصرخة اسلافنا الصليبيين من قبل : ان الله ارادها » [٨] .

نعم على نفس نهج الصليبية ظل الغرب يسير .

أخذ اليسوعيون على عاتقهم ان يحببوا الانتداب الى النفوس ويفتخرون بأنهم نقلوا الأراء المتمدنة من فرنسا ، وان فرنسا مدينة لهم بسيطرتها وباحتلالها للبلاد .

واوضح اليسوعيون :

« ان مدرسة الهندسة في بيروت استطاعت ان تساهم في رسالة فرنسا المتمدنة وكذلك مدرسة الطب . كما ان كلية الطب والصيدلة الفرنسية اليسوعية تتناولان مساعدات مالية من وزارة الخارجية الفرنسية » [٩] .

والى جانب هذا كان الفرنسيون يعتبرون التبشير بالمذهب الكاثوليكي عملاً وطنياً يهدف الى « جعل فرنسا محبوبة لدى السوريين واللبنانين » [١٠] .

وفي ربيع الثاني **١٣٤٤** هـ تشرين الثاني **١٩٢٥** نقلت الحكومة الفرنسية حق الاشراف على المؤسسات التبشيرية التي كانت للألمان قبل الحرب العالمية الأولى في بيروت خاصة ، الى المؤسسات التبشيرية والتعليمية الفرنسية ثم جعلتها تتمتع باشراف الحكومة الفرنسية نفسها وبإشراف المفوض السامي الفرنسي في سورية ولبنان [١١] .

ولم يقتصر الأمر على فرنسا فلقد عقد في شعبان **١٣٤٢** هـ-

٤ نيسان **١٩٢٤**م اتفاق بين الولايات المتحدة وفرنسا جاء في المادة العاشرة منه :

« ان اشراف الدولة المنتدبة على الارساليات الدينية في سوريا ولبنان يجب ان يقتصر على حفظ الأمن وتسيير الحكم . ثم ان نشاط هذه الارسالية الدينية يجب الا يعترض سبيله ، كما ان رجال هذه الارساليات يجب الا يخضعوا لتدبير يقيدهم بسبب جنسيتهم ، ما دام نشاطهم قاصراً على الحقل الديني » [١٢] .

والمقصود من كل هذا هو ألا يحرم الأميركيون من امتيازات تتمتع بها الارساليات الدينية الفرنسية .

وفي عام **١٣٤٩** هـ - **١٩٣٠** جمع اليسوعيون بحراب الفرنسيين نفراً من العلويين (نحو ثمانين شخصاً) في جنينة رسلان وحملوهم على ان يقروا بالمذهب الكاثوليكي .

وكان ذلك برأيهم « الخطوة الأولى » [١٣] .

بعد ذلك أصدر احد الحكام الفرنسيين مرسوماً يجعل الانتقال الى المذهب الكاثوليكي ، مذهب فرنسا، يجري في المحكمة العادية من غير حاجة الى الاجراءات المعقدة [١٤] .

وقد نصت معاهدة فرساي في المادة الثامنة والثلاثين بعد الأربعمائة على جواز التبشير في سوريا ولبنان .

لقد صال اليسوعيون في منطقة الانتداب صولة شديدة بعد أن فوضهم الأساقفة الكاثوليكيون بما كانوا قد اجبروا على تركه عام **١٣٣٢** هـ-**١٩١٤** م .

ومن اقوالهم :

« ايها المبشرون ، هذه فرص لم تسنح لكم من قبل » [١٥] .

ولم تكن الدولة الفرنسية وحدها هي التي تشجع اليسوعيين فان الحكومات المحلية ذات الطابع الماروني كانت تشجيعهم أيضاً .

سياسة التعليم

عندما فرض الانتداب الفرنسي على البلاد عام ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م فرضت معه مناهج تعليمية تساعد المبشرين في أعمالهم وتؤدي الى فصل المسلمين عن تراثهم . وكانت غاية فرنسا نشر التعليم الفرنسي بنصه وروحه ومقاومة النفوذ الثقافي الاسلامي.

اهتمت فرنسا اهتماماً خاصاً بتشجيع المدارس الكاثوليكية والفرنسية واهملت المدارس المحلية والاسلامية بوجه خاص .

ان الانتداب الفرنسي سخر التعليم كله لأغراض المدارس التبشيرية ولا سيما الفرنسية .

يقول ساطع الحصري عن النظم العديدة التي وضعت في عهد الانتداب : « انها كانت تنفيذاً لسياسة مرسومة بوضوح واتقان . . وغاية هذه السياسة كانت تأمين سيطرة الثقافة الفرنسية والنظم الفرنسية على معارف البلاد سيطرة مطلقة من غير التفات الى ما تتطلبه أصول التربية السليمة والعلم الصحيح ، انها كانت تعطي للغة الفرنسية وللشهادات الفرنسية امتيازات خاصة ، وتتحيز للمعاهد التعليمية الفرنسية تحيزاً مفرطاً يجعلها احياناً ليست صاحبة امتياز فحسب بل صاحبة احتكار أيضاً » [١٦] .

ان المدارس الفرنسية : مدارس الأخوان النصارى (الفرير) والمدارس اليسوعية وكل ما يتصل بها من مدارس الراهبات ، تريد ان تجعل من تلاميذها اشباهاً لأبناء فرنسا من حيث اللغة والمظهر وأسلوب

التفكير والذوق . ان طلاب المدارس الفرنسية يعرفون جغرافية فرنسا وهضابها وانهارها وصادراتها ووارداتها وتاريخها اكثر بكثير مما يعرفون احوال بلدهم لأن الكتب التي يتعلمون فيها هي نفسها التي يتعلم فيها ابناء فرنسا .

وكان المستشار الحقيقي في المعارف اللبنانية « الارسالية اليسوعية » ، ذلك لأن حكومة الانتداب استطاعت ان تصل بهذه الواسطة الى أبعد ما تريده . ان اليسوعيين كانوا يرجون من تعليمهم الابتدائي والثانوي والعالي الى تثبيت النفوذ الفرنسي في البلاد وتحبيب الانتداب الى السكان . ولذلك وضعت الحكومة الفرنسية جميع الوسائل حتى الجيش تحت تصرف اليسوعيين ، ومن ذلك الموظفون في المعارف وفي غير المعارف .

كانت السلطات الفرنسية تدفع لرؤساء الطوائف المرتبطة بها مبلغاً سنوياً من المال يتراوح بين ١٦٠٠ و١٩٠٠ فرنك عن كل معلم يدرس في مدارسهم [١٧] .

وأصبح قرار تزويد المدارس الخاصة بالمعونة المالية عادة ما تزال تمارس في لبنان . وليس مستغرباً ان تكون المستفيدة الرئيسية هي الكنائس المرتبطة بالبابا ، كذلك جعلت اللغة الفرنسية وسيلة التعليم الالزامية في جميع المدارس الخاصة [١٨] . وقد دعم هذا الاجراء ايضاً المدارس الكاثوليكية اذ لم تكن المدارس الأخرى قادرة على مراعاة ذلك الشرط .

لقد انفقت فرنسا على مدارسها التي تعلم الفرنسية بسخاء لما رأت ان اللغة توجه الثقافة .

وأصبحت المدارس الكاثوليكية مراكز الدعوة الى « القومية اللبنانية » والصداقة مع فرنسا [١٩] .

هذا الاهتمام الشديد على صعيد التعليم بالاضافة الى السياسة الفرنسية العامة الساعية لتثبيت الهيمنة المارونية كان مصدر الأهزوجة الزجلية الواسعة الانتشار في اوساط الموارنة آنذاك :

« فرنسا ام الدنيا عموم اعتزوا يا لبنانيي » .

لقد اقتصر التعليم الفرنسي على العنصر النصراني في سوريا ولبنان باعتراف السكرتير العام للانتداب روبير دوكييه .

ان هيمنة اليسوعيين على التعليم الثانوي بقي دون منافس جدي طيلة عهد الانتداب ، كما كان الحال على صعيد التعليم الابتدائي .

فمن أصل ٩٨٥ مدرسة ابتدائية عاملة في لبنان الكبير عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م لم يكن عدد المدارس الرسمية يتعدى ١٥٥ مدرسة تضم ٨٠٠٠ تلميذ مقابل ٨٧٠ مدرسة خاصة محلية واجنبية تضم ٨٠ ألفاً من التلامذة .

اما المدارس الطائفية المحلية وشبه الطائفية المجانية وتلك التي يديرها مواطنون محليون فبلغت ٨٠٣ مدارس عام ١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م موزعة كما يلي : ٦٧٧ مدرسة نصرانية منها ٢٨٥ مدرسة مارونية و٢١٦ مدرسة للروم الكاثوليك و١٥٤ مدرسة للروم الأرثوذكس و٢٢مدرسة لطوائف أخرى مقابل ١٥٣ مدرسة اسلامية فقط [٢٠] .

وفي حين ان التعليم الرسمي انتشر ببطء في المناطق الفقيرة ، وكان جميع الذين اقبلواعليه من ابناء المسلمين بصورة خاصة ، غير ان هذه النسبة ستكون معكوسة تماماً في المدارس الخاصة [٢١] .

فالتعليم الخاص في لبنان بقي محصوراً ضمن الطوائف النصرانية

بشكل عام والأغنياء والموارنة منهم بشكل خاص .

هذا الوضع سينعكس بلا شك على التفاوت في مستوى التحصيل الثقافي وسيكون عاملاً اساسياً في تغذية عنصر التفاوت الاجتماعي اذ ان العلم هو عنصر من عناصر الترقي الاجتماعي .

وقد توزعت نسبة الأمية عام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م كما يلي :

المسلمون : ٦٠,٧ بالمئة
الأرثوذكس : ٥٣ بالمئة
الموارنة : ٤٨ بالمئة
الكاثوليك : ٣٨ بالمئة

أما توزيع الأميين حسب المناطق فكان حسب احصاءات لبنان الكبير عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م كما يلي :

بيروت ٣٧,٦٢ بالمئة .
جبل لبنان ٤٠,٣ بالمئة .
الشمال ٥١,٤١ بالمئة .
الجنوب ٤٨ بالمئة .
البقاع ٥٣,٧٤ بالمئة [٢٢] .

هذا التفاوت الصارخ في مستوى الحصول على العلم كان ثمرة سياسية موجهة ولم يكن صدفة وهو احدى نتائج السياسة الفرنسية الرامية الى كسب الطوائف الكاثوليكية واستخدامهم كحصان طروادة للسيطرة الفرنسية والاستعمار الثقافي فيما بعد .

ولو أتيح القيام باحصاءات دقيقة الآن حول استمرارية هذا التفاوت لجاءت الأرقام متقاربة الى حد بعيد مع واقع عهد الإنتداب وما قبله ، لكن علم الاحصاء في لبنان « عقوق » لانه سلاح حاد ضد اصحاب

الامتيازات الطائفية . فمن ضمن المقدسات اللبنانية التي لا تمس الاحصائيات القديمة وخاصة عن تعداد السكان وأوضاعهم الإجتماعية .

جدول

الطوائف والتعليم ١٩٣٩ م - (١٣٥٨ هـ)[٢٣]

	عدد المؤسسات التربوية	عدد الطلاب	نصارى	مسلمون	يهود	آخرون
التعليم العام :						
المدارس الحكومية	١٨٢	١٩٨٧٩	٥٩٨٢	١٣٨٦٩	٨	٢٠
التعليم الخاص :						
المدارس الاسلامية	١٥٤	١٨٩٣٦	٤٦٠	١٨٤٥٦	٧	١٣
المدارس النصرانية : للطوائف المرتبطة بالبابا						
الموارنة	٤٢١	٢٦٦٦٩	٢٥٨٧٨	٧٧٥	١٠	٦
الروم الكاثوليك	١٥٧	٧٧٣٧	٧٠٨٠	٦٢٨	١	٢٨
السريان الكاثوليك	٤	١٠٧٥	١٠٢٣	٣٦	٤	١٢
الارمن الكاثوليك	٩	١٤٤٠	١٤٤٠	—	—	—
الكلدان	١	٦٧	٦١	٢	—	—
للطوائف النصرانية الأخرى						
الروم الارثوذكس	١٩٣	١٥٩٣٨	١٥٣٢٧	٦٠٩	٢	—
السريان الارثوذكس	٣	٤٢٦	٤٢٠	٦	—	—
الأرمن الارثوذكس	٣٥	٥٤٩٧	٥٤٩٧	—	—	—
الارمن البروتستانت	٥	١٤٥٠	١٤٥٠	—	—	—
البرتستانت	٢	١٢٥	١٠٥	٢٠	—	—
المدارس اليهودية	١	٢٣٩	—	—	٢٣٩	—
المدارس الطائفية الأخرى	١٧	٢٠٦٠	١٣٢٢	٧٢٣	١٥	—
المجموع	١٠٠٢	٨١٦٥٩	٦٠٠٦٣	٢١٢٥٩	٢٧٨	٥٩

التعليم الأجنبي :

المدارس الاجنبية :

الفرنسية	٢٦٧	٣٥٦١٦	٣٢٠٢٩	٢١٣٢	١٣٦٧	٨٨
الأميركية	٣٥	٤٧٢٧	٢٩٢١	١٥٣٢	٢٤٠	٣٤
الانكليزية	١١	١٣٣٧	٧٦٨	٥٥١	١٥	٣
الايطالية	٩	١٦٨٥	١٤٠٢	٢٥٦	٢٠	٧
الدانماركية	١	١٦٦	١٦٦	—	—	—
اليونانية	١	١٤٠	١٣٨	٢	—	—
السويسرية	١	٨٧	٨٥	١	—	١
المجموع	٣٢٥	٤٣٧٥٨	٣٧٥٠٩	٤٤٧٤	١٦٤٢	١٣٣
المجموع الاجمالي	١٥٠٩	١٤٥٢٩٦	١٠٣٥٥٤	٣٩٦٠٢	١٩٢٨	٢١٢

كيفية اختيار الأساتذة

قال احد المبشرين :

« . . ثم يتسع الشك على كل حال حينما نأتي الى استخدام معلم غير مسيحي ليعلم موضوعات لا نجد لتعليمها معلماً مسيحياً ، أجل ان البراعة في التعليم لا صلة لها بدين المعلم ، ومما لا ريب فيه ان معلماً مسلماً ذا خبرة بمهنته وذا كفاية يمكن ان يكون له من الجانب الشخصي وقوة الخلق والشعور بالواجب ما يجعل منه معلماً يبعث الحياة في طلابه او مربياً صالحاً ، ثم هو يمكن ان يؤثر في طلابه اكثر من المعلم المسيحي المجرد من الصفات التي يتصف بها ذلك المعلم المسلم ، ولكن اذا كانت الغاية من التعليم في المدارس المسيحية كما يجب ان تكون انما هي تزويد الطلاب باستشراق مسيحي للحياة وتمرين لهم على

ممارسة المبادىء المسيحية وتقريبهم من اختيار شخصي للايمان المسيحي فكيف يمكن للمسلم الأمين ان يعاوننا على بلوغ هذه الغاية ؟ .

ثم اذا كان هو يعتقد بهذه الغاية (لانه ضعيف الشخصية خنوع) ولكنه لا يخطو خطوة واحدة يصبح بها مسيحياً ، افلا يكون له حينئذ على تلاميذه تأثير سلبي فيستنتجون من سلوكه ان الدين ليس موضوعاً ذا أهمية . ان المدارس المسيحية لها رسالة تؤديها وهي ان تجعل الشعوب كلها تابعة للكنيسة » (٢٤) .

ان المبادىء العامة التي تسير عليها مناهج التعليم منذ الانتداب وحتى اليوم هي تلك الموجودة في هذه الفقرات .

لما وضع اليسوعيون مناهج التعليم الرسمي حرصت حكومة الانتداب ـ في شخصية ادارة المعارف ـ على ان تختار لتلك المدارس معلمين يستطيعون ان ينفذوا هذا المنهاج الاستعماري بنجاح .

لقد ارادت ان تستبدل بالمعلمين الذين كانوا موجودين يومذاك معلمين آخرين ، فبدأت تعزل بين الفينة والفينة بضعة معلمين ثم تضع مكانهم من ينفذ المنهاج الاستعماري المقصود .

ولكن حكومة الانتداب ضاقت ذرعاً بتلك الطريقة البطيئة حتى اتفق ان كان اميل اده عام ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م رئيساً للوزارة اللبنانية فأوحي اليه ان يضرب المعلمين المخلصين ضربة واحدة ، ووافق ذلك هوى في نفسه فصرف نحو اربعمائة معلم ، اما الغايات المستترة وراء هذه السياسة فكان منها :

١ ـ ابعاد المعلمين المعروفين بالنزعة الاسلامية والروح الاستقلالية عن حقول التنشئة الوطنية بحجة انهم لا يعرفون اللغة الفرنسية حتى ولو كانوا يدرسون النحو العربي .

٢ ـ اقفال عدد كبير من المدارس الرسمية بحجة نقص المعلمين (الذين لا يتقنون تنفيذ المناهج الاستعمارية) لتحويل عدد كبير من الطلاب الى مدارس اليسوعيين واخوانهم .

٣ ـ التضييق على المسلمين سياسياً واقتصادياً (٢٥) .

الفينيقية : دعوة جاهلية

أراد المستعمرون ان يبعثوا الجاهلية فلجأوا الى بدعة القوميات،لقد بعثوا الفرعونية في مصر من خلال حجارة الأهرام ، والفينيقية في لبنان بواسطة الموارنة،والأشورية في العراق، والبربرية في المغرب . وأما هدف المستعمرين من تلك الدعوات الجاهلية فهو تصوير الاسلام كدين دخيل ، وجعلها مذاهب تاريخية لهذه البلدان ، وفي حين ان الدعوات الأخرى كلها قد سقطت او انحسرت ولم تحقق ما اراده لها اصحابها ، فان الفينيقية ظلت ناشطة .

والمعلوم أن هذه الفكرة هي من الأساس بدعة إسعمارية ابتدعها المبشرون .

قال جسب :(٢٦) .

« ان كل ما نريده هو ان تولد فينيقية جديدة تكون فيها النصرانية أوسع انتشاراً » واكد « ان جميع الارساليات التبشيرية وبجميع وجوهها ، مدارس ، صحافة ، كنيسة،ستتضافر على تحقيق هذا الهدف » . وقد غذيت هذه الدعوة الجاهلية ايام الانتداب وحمل لواءها الموارنة وما زالوا يتغنون بها .

مع بداية الانتداب الفرنسي بدأت مرحلة انتعاش الفينيقية على نطاق واسع وظهرت الكتب والتنظيرات المختلفة عن « لبنان الفينيقي » ، « لبنان المسيحي » ، والتي تربط لبنان بالعهود الجاهلية في محاولة لعزله عن التاريخ الاسلامي والانتماء الاسلامي وبتر كل علاقة تربطه بالأمة الاسلامية .

وأصبحت الدراسات التاريخية في عهد الانتداب تركز على المرحلة الفينيقية كنموذج « للوحدة اللبنانية » و« القومية اللبنانية » . وتصور الاسلام كدين دخيل على لبنان بعكس المارونية التي هي المذهب التاريخي لهذا البلد كما يقولون (٢٧) .

ثم ان فكرة كتابة تاريخ قومي للبنان مرتبط بالفينيقية تعود الى فكرة بناء « لبنان الكبير » وهي مكملة لها . وعندها بدأت كتابات تاريخية مارونية تتواصل مع الفينيقية وتقفز عن أهم مرحلة وتقتصر في الحديث عن ثورة المنيطرة ضد الداخل وثورة علاقة في صور ضد الفاطميين،وذلك بهدف صياغة تاريخ قومي وهمي للبنان يعيده من حيث الجذور الى الفينيقية ويتواصل مع الامارة المعنية والشهابية ثم يركز هذا التاريخ على المتصرفية ودولة لبنان الكبير .

ان كل الدراسات التي كتبت عن « لبنان الفينيقي » هي حديثة العهد واول من نسج على هذا المنوال هو « لا منس » اليسوعي عام ١٣٣١ هـ -١٩١٣ م وكذلك سليم يوسف الخوري عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م ، وعبد الله يوسف نحاس عام ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م .

والمعلوم ان فرنسا كانت تغذي هذه الاتجاهات وتدعمها،فأسست عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م « النادي الفينيقي » ثم « المجلة الفينيقية » عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م .

ثم ظهرت موضوعات شعرية مبتذلة عن التاريخ الفينيقي مثل :

(الجبل الملهم ، قدموس ، بنت يفتاخ)لشارل قرم وسعيد عقل وهكتور خلاط . وفيما بعد ظهرت كتابات تناولت الفينيقيين وكأنهم فصيل ماروني عرقي وكان ابرز اصحابها : مي المر ، الأب اميل اده، يوسف الحوراني ، حارث البستاني وجواد بولس .

وكان البرت نقاش ابن عم الفرد نقاش من مؤسسي جمعية « الشبان الفينيقيين » والتي كان هدفها فصل لبنان عن الأمة الاسلامية،« وكذلك تطوير معرفة العلاقة التاريخية ـ كما يقولون ـ بين لبنان الحاضر وبين الثقافة والتقاليد الكنعانية القديمة » . وكان محركو هذه الجمعية شارل قرم وهكتور خلاط ، وغالبية اعضائها من الموارنة الذين تلقوا علومهم في بيروت أو فرنسا ورأوا ان باريس هي مركزهم الروحي ، وقد صدر عن هذه الجمعية مجلة باللغة الفرنسية اسمها اليقظة الفينيقية نشرت فيها افكار الجمعية .

وعندما زار « الدكتور فكتور يعقوبسون » بيروت عام **١٣٥٢** هـ- **١٩٣٣** م كعضو في بعثة الادارة الصهيونية أقامت جمعية « الشبان الفينيقيين» حفلة استقبال على شرفه، والقى فيها محاضرة عن « العلاقات التاريخية بين الملك سليمان والملك احيرام » وناشد يعقوبسون الجمعية العمل من أجل تجديد العلاقات القديمة،كما قال،عن طريق توثيق الروابط بين الاستيطان اليهودي في فلسطين وبين موارنة لبنان ، وقوبلت كلماته بحماسة شديدة من قبل المشتركين في الاحتفال [٢٨] .

وكان اميل اده في طليعة المؤيدين للجمعية ونشاطاتها ووصفها باسم « صهيونيي لبنان » للتعبير عن العلاقة المتينة التي كانت تربط اعضاءها بالحركة الصهيونية .

ان هذه الدعوة الجاهلية لتبني « لبنان الفينيقي » كان هدفها ايجاد

ركائز تاريخية لـ « لبنان الوطن القومي الماروني » .

وإلا فلماذا هذه القفزة الرهيبة التي يقفزها « التاريخ الرسمي » من الفينيقية الى عهد بشير الثاني وفخر الدين .

ما هو مبرر توقف التاريخ اللبناني بين العهدين ؟

لماذا يغفل التاريخ هذه المراحل التاريخية الطويلة ثم يتشبث بما يسمى « انتفاضات » ضد « الحكم العربي » او « الحكم الاسلامي » [٢٩] .

فيجري تضخيم هذه الإنتفاضات بشكل طائفي مع الحديث عن اضطهاد المسيحيين وطمس كل المساوىء في مراحل الحكم الماروني [٣٠] .

ان التركيز على التاريخ اللبناني « الفينيقي » القديم وتجاوز الحقبة الوسطى سببه ان لبنان شهد في هذه الحقبة الطويلة اندماجاً في الوجود الإسلامي واصبح جزءاً منه وهذا أمر غير مرغوب فيه عند الذين يفتشون عن جذور فينيقية « وقومية لبنانية » .

فلا يجوز ان يكون تاريخ لبنان مقتصراً على تاريخ الفينيقيين والانتفاضات المزعومة ، وتاريخ فخر الدين الذي اقام مع الغرب ولا سيما ايطالية علاقات ودية وأبرم معها تحالفات خطيرة من اجل استعادة ملكه ، وبشير الشهابي الماروني والمعروف بسمل العيون .

هذه مظاهر شاذة ولا تعتبر أصلاً .

والمعلوم ان « التاريخ الرسمي » في الجمهورية اللبنانية هو تاريخ طائفة اكثر منه تاريخ وطن اذ يركز على الجبل ذي الاكثرية المارونية ويهمل تاريخ بقية المناطق .

ان لنا ان نسأل على سبيل المثال عن تاريخ جبل عامل ذلك التاريخ المشرق لهذه المنطقة التي أنجبت أعظم العلماء .

المجالس التمثيلية : هيمنة مارونية واضحة

كرس الانتداب على صعيد النظام السياسي منذ « اللجنة الادارية » في ٢٢ ايلول ١٩٢٠ ـ ٨ آذار ١٩٢٢ ومروراً بالمجالس التمثيلية (شيوخ ونواب) كرس هيمنة مطلقة للجبل وبيروت ومن ضمنها للموارنة .

كان عدد مقاعد « اللجنة الإدارية » للبنان الكبير سبعة عشر مقعداً موزعة كما يلي : سبعة مقاعد للمسلمين ، وعشرة مقاعد للنصارى منها ستة مقاعد مخصصة للموارنة .

لقد فرضت ضمن هذا التمثيل هيمنة مارونية وغلبة واضحة للموارنة اولاً وللجبل وبيروت ثانياً . واستمرت هذه الهيمنة من خلال المجالس التمثيلية الثنائية (الشيوخ ـ النواب) والمنفرده (النواب) وتكرست في العهود الاستقلالية المتتالية .

فالمجلس التمثيلي الأول عام ١٩٢٢ م ـ (١٣٤٠ هـ) كان يضم ثلاثين مقعداً موزعة على الشكل التالي :

اربعة عشر مقعداً للمسلمين وستة عشر مقعداً للنصارى منها عشرة للموارنة .

نالت بيروت وحدها خمسة ممثلين والجبل تسعة ممثلين [٣١] .

نعم النصارى عامة والموارنة خاصة بهذه الحظوة الأكيدة واستمر هذا التمييز الظالم في تشكيل المجالس التمثيلية سواء كانت انتخابية أو معينة ـ كما في اللجنة الإدارية ومجلس الشيوخ عندما كان قائماً .

وقد بلغ التعصب لدى بعض النواب حداً ، انهم عدوا التفرنس من امارات التقدم فاستحكمت اللغة الفرنسية في مجلس لبنان الكبير [٣٢] .

جدول بنسبة التوزيع بين المسلمين والنصارى في مختلف المجالس التمثيلية :

اللجنة الإدارية ١٩٢٠ م ـ ١٣٣٨ هـ ، ١٠ الى ٧ (١٠ للنصارى وسبعة للمسلمين) .

المجلس التمثيلي ١٩٢٢ م ـ ١٣٤٠ هـ ، ١٦ مقعداً للنصارى و١٤ مقعداً للمسلمين أي بنسبة ٨ إلى سبعة (٨ للنصارى وسبعة للمسلمين) .

المجلس التمثيلي ١٩٢٥ م ـ ١٣٤٣ هـ ، ٨ إلى ٧ .

المجلس التمثيلي ١٩٢٦ م ـ ١٣٤٤ هـ ، ٨ إلى ٧ مع مجلس للشيوخ بنسبة ٩ إلى ٦ .

المجلس النيابي ١٩٢٦ م ـ ١٣٤٤ هـ ، ١٧ إلى ١٣ مع مجلس للشيوخ بنسبة ٨ إلى ٧ .

المجلس التمثيلي النيابي ١٩٣٤ م ـ ١٣٥٣ هـ ، ٩ إلى ٨ منتخبون و٤ إلى ٣ معينون .

المجلس التمثيلي ١٩٣٧ م ـ ١٣٥٦ هـ ، ٩إلى ٨ منتخبون و١٣ إلى ٨ معينون .

المجلس التمثيلي ١٩٤٣ م ـ ١٣٦٢ هـ ، عدد أعضائه ٥٥ نائباً منهم ٢٥ مسلماً و٣٠ نصرانياً . أي بنسبة ٦ إلى ٥ [٣٣] .

واستقرت هذه النسبة في جميع المجالس النيابية بعد ذلك .

وعرفت تلك المجالس حتى عام ١٩٣٩ م اثني عشر رئيساً أربعة من المسلمين وثمانية من النصارى بينهم خمسة موارنة كما يتبين من الجدول التالي :

الطائفة	الاسم	المجلس	ومدة الولاية
ماروني	داود عمون	رئاسة اللجنة الإدارية	من ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ م
ماروني	اميل إده	رئاسة المجلس التمثيلي	من ١٩٢٢ حتى ١٩٢٥ م
ماروني	نعوم لبكي	رئاسة المجلس التمثيلي	من ١٩٢٢ حتى ١٩٢٥ م
ماروني	حبيب باشا السعد	رئاسة المجلس التمثيلي	.من ١٩٢٢ حتى ١٩٢٥ م
ماروني	موسى نمور	رئاسة المجلس التمثيلي	من ١٩٢٥ حتى ١٩٢٦ م
مسلم	محمد الجسر	رئاسة مجلس الشيوخ	من ١٩٢٦ حتى ١٩٢٧ م
مسلم	محمد الجسر	رئاسة مجلس النواب	من ١٩٢٧ حتى ١٩٢٩ م
مسلم	محمد الجسر	رئاسة مجلس النواب	من ١٩٢٩ حتى ١٩٣١ م
مسلم	خالد شهاب	رئاسة مجلس النواب	سنة ١٩٣٤ م
أرثوذكسي	بترو طراد	رئاسة مجلس النواب	سنة ١٩٣٥ م
أرثوذكسي	شارل دباس	رئاسة مجلس النواب	سنة ١٩٣٦ م
أرثوذكسي	بترو طراد	رئاسة مجلس النواب	من ١٩٣٧حتى١٩٣٩ م [٣٤] .

ونلاحظ مما تقدم ان رئاسة تلك المجالس خضعت ثماني دورات كاملة للنصارى منها خمسة للموارنة مقابل أربعة دورات للمسلمين ـ ولو ظاهرياً .

الدستور يعزز النفوذ الماروني

في أواخر **١٩٢٥** م -(**١٣٤٤** هـ) ألفت وزارة الخارجية الفرنسية لجنة ثلاثية فرنسية مهمتها وضع « الدستور اللبناني » .

بدأ موظفو الانتداب يجرون الاتصالات بأعوانهم في الداخل . وفي **١٠** كانون الأول **١٩٢٥** م تألفت لجنة ثلاثية من شارل دباس وبترو طراد وميشال شيحا وكان هذا الأخير أشوري الأصل ، ينتمي الى الطائفة الرومانية الكاثوليكية اي اللاتين وليس الى طائفة الروم الكاثوليك [٣٥] .

عهد الى هذه اللجنة وضع « الدستور اللبناني » بناء على المسودة التي وضعتها وزارة الخارجية الفرنسية وبالاتفاق مع المفوض السامي الفرنسي (هنري دي جوفنيل) وتحت رقابته .

جاءت نصوص الدستور تعكس آراء الموجهين الفرنسيين واعضاء اللجنة التحضيرية وعلى رأسهم ميشال شيحا،وقد جعل الدستور اللغة الفرنسية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية كما اعتبر العلم اللبناني كناية عن العلم الفرنسي المثلث الألوان وفي وسطه أرزة رمزاً للوصاية الفرنسية [٣٦] .

ولم تطل التعديلات التي طرأت على الدستور فيما بعد ، الأمور السياسية والجوهرية التي تحدد مصدر السيادة وتحقق الاصلاحات المنشودة . بل حافظت على كثير من المواد الدستورية التي هي من موروثات الجمهورية الثالثة في فرنسا .

كما ان الدستور لم يعط كياناً دستورياً مستقلاً لرئيس الوزراء ولاصلاحيات محددة للوزراء . ولعل اكثر ما يثير الاستغراب في الدستور هو أنه اعطى صلاحيات مطلقة لرئيس الدولة وحمل مسؤولية المحاسبة للوزراء .

وقد فصلت بنود الدستور اللبناني والهم المركزي فيها ان يكون الدستور نفسه والحكومة الوطنية بمختلف مراتبها واجهة تختفي وراءها آلية سيطرة الانتداب الفرنسي . لذلك حصرت السلطة في يدي المفوض السامي ورئيس الجمهورية ولم يكن عليهما مقابل ذلك أية مسؤولية . وعندما رحل الفرنسيون عام **١٣٦٢** هـ - **١٩٤٣** م انتقلت صلاحيات المفوض السامي الفرنسي الى رئيس الجمهورية ، اضافة الى صلاحياته الأصلية من غير ان يرافق ذلك اي تغيير آخر في الدستور .

سلطة مطلقة لرئيس الجمهورية

ان رئيس الجمهورية اللبنانية يملك بموجب الدستور صلاحيات واسعة لا يملكها اي رئيس دولة في العالم ، اذ يعقد وحده المعاهدات ويعلن وحده الحروب ويحل مجلس النواب ويقيل الوزراء .

لقد حصرت السلطة في يدي رئيس الجمهورية ولم يكن عليه مقابل ذلك أية مسؤولية .

ولم يكن رئيس دولة لبنان ليملك هذه الصلاحيات لو لم يكن صليبياً ومارونياً .

فرئيس الجمهورية هو قبل كل شيء ماروني وبناء على ذلك فانه

يستطيع بشطبة قلم أن يصادر الحريات ويعلن حالة الطوارىء ويفعل ما يريد .

صلاحيات الرئيس الدستورية :

- حصرت (المادة ١٧) من الدستور السلطة الاجرائية برئيس الجمهورية ، وليس للوزراء بمقتضى هذه المادة الاصفة معاونة الرئيس .

- يصدر (الرئيس) العفو الخاص لقوانين أصدرها مجلس النواب (المادة ٥١) .

- يعقد ويبرم المعاهدات الدولية ويبلغ المجلس عندما يتمكن . (المادة ٥٢) .

- يعين الوزراء ورئيس الوزراء ويقيلهم ويولي الموظفين مناصب الدولة ويرأس الحفلات الرسمية . (المادة ٥٣) .

- يحل مجلس النواب قبل انتهاء مدته . (المادة ٥٥) .

- يرد القانون الى المجلس الأعلى لاعادة مناقشته . (المادة ٥٧) .

- يصدر المشاريع المرفوضة من المجلس بصورة مراسيم وهي نافذة (المادة ٥٨) .

يؤجل اجتماع مجلس النواب ولا يتحمل تبعة اعماله . (المادة ٥٩ و ٦٠) .

- يقترح تعديل الدستور ويطلب اعادة مناقشة قرار التعديل . (المادة ٧٦ و ٧٩) .

- يصدر مراسيم فتح اعتمادات استثنائية واضافية ، اضافة للميزانية العامة السنوية . (المادة ٨٥) .

- يصدر مراسيم الموازنة العامة السنوية بعد رفض المجلس الموافقة عليها (المادة ٨٦) .

ماذا ترك الدستور للآخرين وهم المسلمون في لبنان ؟

هذا بالاضافة الى اهمال مواد كثيرة في الدستور .

فمثلاً المادة ٨٠ التي تنص على تشكيل المجلس الأعلى المسؤول عن محاكمة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء ، فان جميع العهود المتعاقبة في لبنان خرقت هذه المادة ولم يشكل هذا المجلس .

الرئاسة : فقط للموارنة

تعاقب على رئاسة الجمهورية حتى نهاية فترة الانتداب عام ١٩٤٣ م - ١٣٦٢ هـ كل من :

شارل دباس أرثوذكسي (١٩٢٦ م - ١٩٣٤ م)

حبيب باشا السعد : ماروني ١٩٣٤ م - ١٩٣٦ م .

اميل اده : ١٩٣٦ - ١٩٤١ م -

الفرد نقاش : ماروني ١٩٤١ -١٩٤٣ م .

أولاً : شارل دباس :

عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م اقترحت فرنسا ترشيح شارل دباس لرئاسة الجمهورية وكان محباً لفرنسا وما كان الموارنة ليقبلونه لو لم يكن من دعاة « القومية اللبنانية » ومن اعضاء لجنة باريس ١٩١٧ م : « اللجنة المركزية السورية » [٣٧] .

ويرى بشارة الخوري ان السبب الذي حدا بالموارنة الى القبول به كان « تقديراً للمزايا التي يتحلى بها ، علمه الغزير وخبرته . . . يضاف

الى ذلك كله ان زوجته فرنسية » [٣٨]. والمعلوم ان البطريرك الماروني كان يرى ان الرئاسة هي من حق الموارنة دون سواهم .

اما اسكندر رياشي فيرى انه « ازاء الاتجاه الأرثوذكسي المعادي للفرنسيين رأى هؤلاء بعد أن استتب لهم الانتداب فيما بعد تعيين أول رئيس للجمهورية اللبنانية شارل دباس الأرثوذكسي على اعتبار أن هذا التعيين يرضي القسم الأكبر من ارثوذكس بيروت والذين كانوا في ذلك الحين يؤلفون الطبقة الغنية والوجيهة بين المسيحيين في بيروت وكان بقية أرثوذكس لبنان وسوريا يأخذون العظات والدروس والنزعات السياسية عنهم ويعملون بها . وهكذا يقتنع الأرثوذكس بالرجوع عن موقفهم السلبي ويقبلون الانتداب الفرنسي فتزداد بذلك حجة الفرنسيين رسوخاً من ان نصارى الشرق بأجمعهم يطلبون حماية فرنسا » [٣٩] .

هذه العوامل مجتمعة هي السبب وراء اختيار شارل دباس الذي كان بتلقيه الضغوط السياسية من الموارنة خاضعاً لنفوذهم، فها هو اول عمل يقوم به الدباس ، ان يزور بكركي في اليوم الثاني لانتخابه ويعلن الطاعة والولاء قائلاً :

« هنا لا نستمد الدعاء فقط ، بل الرأي ونستوحي العمل ولا نقرر أو نفصل شيئاً الا بموافقة صاحب الغبطة » [٤٠] .

بعد ان أصبح شارل دباس رئيساً للجمهورية تألفت حكومة برئاسة أوغست أديب ، الأمين العام الماروني للحكام الفرنسيين الذي تعاقبوا على دولة لبنان الكبير سابقاً . دامت وزارة اديب الأولى أقل من سنة .

بين ١٩٢٧ و ١٩٣٠ م تسلم رئاسة الحكومة ثلاثة موارنة آخرين هم حبيب باشا السعد ، رئيس مجلس ادارة المتصرفية سابقاً ، اميل اده وبشارة الخوري .

وقد بدأ ظهور بشارة الخوري على مسرح السياسة في عام

١٣٣٨ هـ - شباط ١٩٢٠ م عندما عينه الجنرال غورو اميناً عاماً لحكومة جبل لبنان ، بتوصية من احد اساتذته اليسوعيين في جامعة القديس يوسف . وقد كانت تربطه صلة حميمة بآل شيحا [٤١]. كما تدرب سياسياً على يد المفوضية العليا في بيروت . وقد وجد فيه المسؤولون الفرنسيون خير مرشح لتسلم الزعامة المارونية في البلاد [٤٢] .

فرنسا والموارنة يرفضون ترشيح مسلم للرئاسة

أعيد انتخاب شارل دباس عام ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م. وبمناسبة انتهاء مدته عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م ترشح محمد الجسر لرئاسة الجمهورية ذلك ان المسلمين اعتقدوا ان الإنصاف يقضي باتباع طريقة المناوبة باختيار الرئيس، فاعترض البطريرك الماروني انطون عريضة مبدئياً على ترشيح مسلم لمنصب الرئاسة الأولى . كما ان السلطات الفرنسية لم تكن مستعدة لقبول مسلم رئيساً للبنان رغم ان الرجل كان ذا ميول فرنسية وتعاون مع سلطات الانتداب ورأس مجلس الشيوخ ثم مجلس النواب من ١٩٢٦ م الى ١٩٣٢ م - (١٣٤٥ - ١٣٥١ هـ) .

لقد رأت فرنسا ان لبنان « ليس منفصلاً عن باقي البلاد العربية الا لأن له طابعاً مسيحياً دولياً معروفاً مما يقضي بأن يكون رئيس جمهوريته ممهوراً بهذا الطابع » [٤٣] .

وظن محمد الجسر في البدء انه يستطيع تبرير ترشيحه باظهار تفوق المسلمين في العدد فطالب باجراء احصاء عام للبرهان على ذلك، ودعا اتحاد الشبيبة الاسلامية في بيروت الى اجراء مثل هذا الاحصاء قصد تسجيل الأسماء التي لا تزال مكتومة وخصوصاً من المسلمين جراء

احجامهم عن الاشتراك في الاحصاء السابق عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م .

وتبنى هذا المطلب بعض اعضاء المجلس النيابي فقرره المجلس ولكن سلطات الاحتلال الفرنسي وعملاءه تعمدوا تأخيره الى ٣١ كانون الأول عام ١٩٣٢ م ريثما يتم اقناع المرشح المسلم بالانسحاب لكن محمد الجسر استمر في المعركة رافضاً ان يصغي الى الذين ناشدوه الانسحاب ، ولما اقترب موعد الانتخاب قرر المفوض السامي الفرنسي هزي بونسو ان يتدخل ويفرض ارادته،وفي ٩ أيار ١٩٣٢ استدعي محمد الجسر بصفته رئيساً لمجلس النواب الى دار المفوضية ، حيث ابلغه المفوض السامي تعليق العمل بالدستور . وفي الحال حل المجلس وتأجل انتخاب رئيس جديد للجمهورية الى أجل غير مسمى .

وفي اليوم التالي طلب المفوض السامي الفرنسي من شارل دباس ان يبقى في منصبه كرئيس للجمهورية بالتعيين ، فقبل الدباس ذلك [٤٤] .

وهكذا فان ترشيح مسلم لرئاسة الجمهورية حتى ولو كان من المتعاونين مع الانتداب الفرنسي ، حمل الموارنة على التهديد والوعيد واربك سلطات الانتداب الفرنسي حتى اضطرت اخيراً ان تعلق العمل بالدستور وتحل المجلس النيابي .

ترى كم يخافون من الاسلام ؟

وما هو مبلغ هذا الخوف عندهم ؟

« التاريخ الرسمي » الصادر عن « وزارة التربية » في « الجمهورية اللبنانية » المارونية والذي يُدرَّس في المدارس يزيف الحقائق كعادته معتبراً أن المنافسة الشديدة بين بشارة الخوري واميل اده هي التي حملت المفوض السامي الفرنسي على تعليق الدستور .

هكذا يقرأ التلاميذ في المدارس :

« . . . ولكن المنافسة الشديدة على الرئاسة بين بشارة الخوري واميل اده يومذاك دفعت المفوض السامي مسيو « بونسو » في ٩ أيار الى تعليق الدستور ، وحل المجلس النيابي ، وتعيين شارل دباس حاكماً منفرداً يعاونه عدد من المديرين » [٤٥] .

وهكذا فان الجيل الجديد لا يستطيع ان يعرف الحقيقة لأن دولة مارون لا تجيز له ذلك .

اذا كان ترشيح مسلم لرئاسة الجمهورية هو من المحرمات فماذا بقي للمسلمين في لبنان .

لقد سعى الفرنسيون في مجمل سياستهم الى تثبيت الهيمنة المارونية على الدولة في لبنان . هذه الهيمنة هي الموقف المضمر للتصريحات المعلنة التي يطلقها زعماء الموارنة في كل حين عن الوطن القومي المسيحي وان اتخذت هذه الاعلانات اشكالاً ملطفة .

نقلت جريدة صوت الأحرار في ١٩ آذار ١٩٣٣ م تصريحاً ادلى به البطريرك الماروني انطون عريضة لمراسل جريدة « المقطم » يقول فيه : « ان المسيحيين لم يبق لهم من وطن في الشرق كله الا لبنان ، ازاء بقية الأوطان الأخرى، لا سيما وقد لجأ الى لبنان اغلب بطاركة المسيحيين » . ثم يخفف من حدة هذا التصريح بقوله : « واذ قلنا بلبنان « وطن مسيحي » فلا ينفي كونه وطناً لكل من يقطنه من باقي الطوائف » [٤٦] .

وفي لقائه مع الياهو ايلات (الجاسوس الصهيوني) يؤكد « ان لبنان هو عكاز فرنسا في الشرق العربي وعلى بلوم - رئيس وزراء فرنسا اليهودي - ان يقوي هذه الدعامة بكل ما في استطاعته » . وسنرى ذلك بالتفصيل .

ثانياً : التعاون الماروني الصهيوني في ظل الانتداب

بعد تكريس الانتداب الفرنسي في لبنان ازدادت الاتصالات المارونية ـ الصهيونية .

وعندما ادخلت التعديلات الأخيرة على الحدود اللبنانية ـ الفلسطينة عام ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م ، كان اصحاب المشروع الصهيوني في فلسطين مستمرين في تصور ثابت لمصير لبنان ولا يزال هذا التصور مستمراً حتى الآن وينفذ بدقة ، وهو يستند الى هدفين هما :

١ ـ احتلال منطقة جنوب لبنان او جبل عامل وصولاً الى نهر الليطاني .

٢ ـ اقامة دولة مسيحية مارونية في لبنان لها حدود مشتركة مع الدولة اليهودية .

تبنى الموارنة هذا المشروع وكانت الفئات الدينية المارونية من أهم القوى المؤيدة للصهيونية .

يؤكد هرتزل قبل قيام دولة اسرائيل الهدف الاستراتيجي من قيام الدولة اليهودية على ارض فلسطين بقوله : « سنكون نحن جزءاً من السور

الأوروبي المرفوع في وجه آسيا سنكون نحن في الصفوف الأولى من الجبهة ، حماة المدنية وخفراءها صد البربرية » [٤٧] .

والبربرية التي يعنيهاهرتزل هي الإسلام .

هذا التصور الذي عبر عنه هرتزل يتطابق في الواقع مع فكرة زعماء المشروع الماروني الذين رأوا « ان لبنان هو صورة الغرب الذي في الشرق والحدود التي تنتهي عندها الحضارة الغربية ليبدأ بعدها عالم آخر » [٤٨] .

ومعنى ذلك هو تحويل لبنان الى دولة مسيحية نقية من العنصر الإسلامي ، ولتحقيق هذا الهدف فقد ارتبط الموارنة بتحالفات خارجية ترى ان مصلحتها تنحصر في الارتباط بالخارج والصدام مع المنافسين في الداخل وانتظار الفرصة المناسبة لتصفيتهم تصفية نهائية . وقد ركزت الحركة الصهيونية على هذا الوضع ، ومن هنا كان اهتمام الصهاينة بدراسة امكانية نجاح مشروع المطران تبوني في اقامة الدولة المسيحية الأشورية في لواء الجزيرة وسنتحدث عن هذا المشروع فيما بعد .

كانت هناك علاقات وثيقة بين الوكالة اليهودية وبعض الصحافيين في لبنان الذين لعبوا دوراً بارزاً في عملية غسل الدماغ لصالح المشروع الصهيوني عندما كان قيد الإعداد .

ويكشف كل من الياهو ايلات (افنشتاين) في كتابه (جلوس صهيون والعرب) والياهو ساسون في كاتبه « في الطريق الى السلام » عن وثائق مهمة وعلاقات سرية في تعامل الموارنة مع الصهاينة .

خلال السنوات ١٩٣٤ ـ ١٩٤٥ م ـ (١٣٥٢ ـ ١٣٦٤ هـ) كان ايلات مسؤولاً عن علاقات الدائرة السياسية التابعة للوكالة اليهودية في القدس مع الأقطار العربية المجاورة لفلسطين .

وتلقى دروسه في الجامعة الأميركية في بيروت خلال السنوات

١٩٣١ - ١٩٣٤ م - (١٣٤٩ - ١٣٥٢ هـ) - وقد ساعدته حياته في بيروت على اقامة سلسلة من العلاقات مع الزعماء السياسيين اللبنانيين . في كتاب (جلوس صهيون والعرب) مادة غنية عن اتصالات ايلات العربية ، وكذلك نص محضري الاجتماعين في العام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م بين حاييم وايزمن، احد زعماء الصهاينة ، والبطريرك الماروني، انطون عريضة ، « ورئيس جمهورية لبنان » اميل اده .

يقول الياهو ايلات في مقدمة كتابه الذي أصدره عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م « . . وهناك قيمة سياسية لاتصالاتنا مع الطائفة المارونية في لبنان بعد ان ازدادت الأمال بأن لجنة بيل الملكية اقترحت كحل لمشكلة فلسطين التقسيم واقامة دولة يهودية في قسم من فلسطين . وقد اشترك الدكتور حاييم وايزمن بشكل فعال في الاتصالات . والتقى برفقتي بطريرك الطائفة المارونية انطون عريضة والرئيس اللبناني اميل اده » [٤٩] .

ويقدم لنا بدر الحاج في كتابه « الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان » عدة فصول مترجمة الى العربية من مذكرات الياهو ساسون والياهو ايلات .

ويعترف الياهو ساسون في كتابه الذي اصدره عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بان المواد المنشورة هي مواد مختارة من تقارير عديدة ، وان الرقابة العسكرية الاسرائيلية لم تسمح بنشر بعض التقارير « لاعتبارات امنية » اذ لا يزال بعض اصحاب العلاقة على قيد الحياة .

ويعد الياهو ساسون من ابرز القادة الصهاينة الذين أقاموا شبكة من العلاقات السياسية مع زعماء الموارنة فضلاً عن الزعماء العرب . ومن المعروف عن ساسون الذي يتكلم العربية جيداً انه ديبلوماسي اسرائيلي خبير بالشؤون العربية ، وقد عمل في الصحافة العربية، وفي عام ١٩٣٠ م تولى منصب رئيس الدائرة العربية التابعة للوكالة اليهودية ، وبناء على

توجيهات ادارة الوكالة اليهودية تجول ساسون في البلاد العربية وأقام علاقات واتصالات مع بعض الزعماء العرب [٥٠] .

وفي بيروت التقى مع زعماء الموارنة:انطون عريضة واميل اده وبشارة الخوري والمطران عبد الله الخوري وغيرهم . .ووجد لديهم استعداداً صريحاً وواضحاً للتعاون مع « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين على الصعيدين السياسي والاقتصادي [٥١] .

وكانوا جميعاً يؤكدون على ضرورة ايجاد حدود مشتركة بين الدولتين اليهودية في فلسطين والمارونية في لبنان وذلك من اجل توثيق عرى الارتباط والتحالف،وقد ذهب بعضهم الى حد المطالبة بتهجير المسلمين الشيعة من جبل عامل لأنهم « حاجز يجب ازالته » كما قال بشارة الخوري . وعن موضوع التعاون بين الموارنة والصهاينة يقول الياهو ساسون « انني اؤمن انه بالامكان التحدث في هذا الموضوع بشكل مكشوف مع الموارنة وأبناء الطوائف المسيحية الأخرى . . . ان هؤلاء مستعدون للتعاون معنا » .

ولم يكتف الياهو ساسون بالأحاديث فقط بل توصل الى اتفاق مع اربع صحف لبنانية لتكتب وفق خط المشاريع الصهيونية والمارونية .

تعاون سياسي - ثقافي

يفتخر بشارة الخوري في احدى لقاءاته مع الياهو ساسون بأن لبنان اختار دائماً اغضاب العرب بدليل اشتراكه في معرض الشرق الذي اقيم في تل ابيب ، وهذا المعرض هو معرض تجاري نظم في عام ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م وكان هدفه الأساسي عرض منتوجات الاستيطان اليهودي وتوثيق العلاقات التجارية مع الدول المجاورة [٥٢] .

وكان اميل اده يرى ان الصداقة بين لبنان والدولة اليهودية ليست فقط

مصلحة للبلدين انما ايضاً مصلحة لثبات الثقافة الغربية في الشرق الأوسط . ولهذا وأثناء توليه منصب رئاسة الجمهورية في لبنان،وافق اده على اقامة جمعية الصداقة اللبنانية ـ الفلسطينية من اجل التعاون الثقافي بين المؤسسات الثقافية اليهودية في فلسطين والمؤسسات الثقافية اللبنانية ، وقد أعد قانوناً لهذه الجمعية اهتم به موشي شاريت شخصياً .

وكان اليهود يعبرون الى لبنان من فلسطين كمصطافين .

وقد شكا بشارة الخوري مرة الى الياهو ساسون من عدم وصول عدد كاف من هؤلاء اليهود الى لبنان عام ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م .

وتشير احصائيات بعثة « جيب » لعام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م الى جنسية المصطافين في لبنان وتطور أعدادهم سنوياً خلال مرحلة الانتداب حتى الاستقلال . وتبين الاحصاءات ان اعداد المصطافين القادمين من فلسطين (اليهود) كانت في الدرجة الأولى ، وعلى سبيل المثال تشير احصاءات الأعوام ١٣٥٤ هـ ١٣٥٧ . (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م) الى ان اعداد المصطفين القادمين من فلسطين هي التالية :

١٩٣٦ م	١٩٣٧ م	١٩٣٨ م	١٩٣٩ م
٢٢٠٠	٢٧٠٠	٥٤٠٠	٣٨٠٠ [٥٣] .

اتصالات البطيرك انطون عريضة مع الصهاينة

في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٤ م صدر قرار المفوض السامي الفرنسي بتعيين حبيب باشا السعد ، البالغ أنئذ الخامسة والسبعين من العمر رئيساً للجمهورية ، وذلك لمدة سنة مددت فيما بعد سنة أخرى [٥٤] .

وفي شهر نيسان من العام نفسه وفي عهد حبيب باشا السعد وصل الى بيروت الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن فاجتمع ببعض المسؤولين اللبنانيين وفي مقدمتهم إميل إده والبطريرك الماروني انطون عريضة ، وتم الاتفاق على توطيد التعاون الماروني ـ الصهيوني وتسهيل بيع الأراضي اللبنانية للمتمولين وللشركات اليهودية [٥٥] .

كان رجال الكنسية المارونية من اهم القوى المؤيدة للصهيونية ، وكان البطريرك الماروني انطون عريضة رائد هذا التأييد ، وقد حرص على تسجيل موقفه المؤيد لجهود اليهود في رسالة أرسلها في ١٠ نيسان ١٩٣٤ م الى عمدة الجمعيات الاثني عشرية اليهودية في الأرجنتين رداً على رسالة العمدة اليه ، ومما جاء في رسالة البطريرك مؤكداً العلاقات التاريخية والدينية بين الموارنة واليهود ومؤكداً تأييده لهم : « اما نحن فقد رأينا انه من الواجب الأنساني والمحبة الأخوية والعلائق

التاريخية والدينية التي تربطنا بكم ان نرفع صوتنا عالياً بالاحتجاج على ما ينابكم من الاضطهاد والمكروه ، ونظهر لكم عطفنا ورغبتنا فيما يأل لخيركم وراحتكم ، كما أننا مستعدون ان نؤازركم مع ضعفنا في كل ما يأل لخير أمتكم ونجاحها سالكين بذلك على خطة الإنجيل المقدس وطريقة سلفائنا البطاركة » [٥٦] .

وفي عام **١٣٥٣** هـ - **١٩٣٥** م أرسل البطريرك الماروني الى فلسطين اثنين من رجال الكنيسة المارونية هما المطرانين عقل والمعوشي (الذي أصبح فيما بعد بطريرك الموارنة) فاجتمعا بحاييم وايزمن ، وتم الإتفاق بين الطرفين للعمل على تحويل لبنان الى وطن قومي مسيحي مقابل ان تكون فلسطين وطناً قومياً يهودياً [٥٧] .

لقاء البطريرك مع الياهو ايلات لوضع برنامج الرحلة الى باريس : ١٩٣٧ م - (١٣٥٦ هـ)

عندما زار الياهو ايلات البطريرك الماروني في مقره في بكركي في بداية آذار **١٩٣٧** م ، ابلغه انه سيسافر بعد اسبوعين الى روما حيث سيلتقي البابا ، ومن هناك سيتابع سفره الى باريس لاجراء محادثات مع الحكومة الفرنسية بشأن علاقات الطائفة المارونية وسلطات الانتداب الفرنسي في لبنان .

وفي الزيارة نفسها الى بيروت التقى الياهو ايلات اميل اده وأخبره كما اخبر البطريرك بكل المعلومات المتوفرة لديه عن لجنة بيل الملكية وعن امكانية طرح مشروع التقسيم . ونظراً الى أن اده كان ينوي زيارة باريس في وقت قريب ايضاً فقد اقترح عليه وعلى البطريرك ان يلتقيا اثناء مكوثهما في العاصمة الفرنسية حاييم وايزمن ، وذلك بعد ان تكون نتائج ابحاث وتوصيات لجنة بيل قد اتضحت .

وافق الاثنان على الاقتراح بحماس واجريت الترتيبات لاقامة اتصال بينهما وبين الصهاينة عندما يصلان باريس .

وكان البطريرك قد اعلم ايلات تاريخ مغادرته من الاسكندرية الى البندقية في طريقه الى روما. يقول الياهو ايلات :

« وبناء على ذلك اجريت ترتيبات لكي أسافر مع دوف هوز (احد قادة الحركة الصهيونية) على متن السفينة نفسها بحيث نستطيع ان نلتقي البطريرك أثناء السفر ونقنعه بضرورة طرح قضيتنا المشتركة ووجهة نظرنا في خطة التقسيم عند لقائه البابا في روما والسلطات الفرنسية في باريس . ولنشدد ايضاً على ضرورة التزامه بالمحادثات التي اجريناها معه في السابق بهذا الخصوص » .

واكد البطريرك انه يأمل ان يلتقي ليون بلوم ، اليهودي ورئيس الحكومة الفرنسية الذي يعده احد اكبر رجال العصر، وأضاف انه في حال لقائه به سوف يعلن أمامه عن تأييده للصهيونية وللمشروع اليهودي في فلسطين . ولهذا ،وقبل مغادرته بيروت أقامت الجالية اليهودية هناك حفلة تكريم على شرفه حيث قوبل باستقبال ملكي في الكنيس اليهودي الرئيسي في حي اليهود ، وهناك القى خطاباً لم يبارك ويمدح فيه الجالية اليهودية في لبنان فحسب وانما ايضا الاستيطان اليهودي في فلسطين .

ومما قاله عن اليهود في خطابه : « اخوة المصير والأهداف للمسيحيين في لبنان » [٥٨] .

على متن السفينة ٢ أيار ١٩٣٧ م

التقى الياهو ايلات ورفيقه دوف هوز مع البطريرك في غرفته الخاصة حيث عبر دوف في حديثه عن تقديره العميق للخطاب الذي القاه البطريرك في الكنيس اليهودي في بيروت واعجابه به .

وخلال الحديث اكد دوف على انه اذا قامت دولة يهودية في فلسطين بناء على خطة التقسيم التي تعدها لجنة بيل الملكية فيجب ان لا يكون هناك اي حاجز بين أراضي الدولة اليهودية ولبنان ، وقال دوف : « انه لأمر حيوي بالنسبة الى اليهود والنصارى أن يزداد التعاون الوثيق بينهما في جميع المجالات الاقتصادية والتربوية والثقافية والسياسية » .

وطلب دوف من قادة الطائفة المارونية ان يكونوا على اتم استعداد عند تحديد خارطة تقسيم فلسطين ، بحيث تجري المحافظة على مبدأ الإبقاء على حدود متواصلة مشتركة بين الدولة اليهودية ولبنان شرط الا تكون هناك مناطق اسلامية تفصل بين البلدين . واقترح دوف على البطريرك ان يطرح هذا الموضوع في جميع لقاءاته التي سيجريها في أوروبا . وبصورة خاصة في لقائه مع البابا ورئيس الحكومة الفرنسية ، « على ان يؤكد على اهمية هذه النقطة من وجهة النظر المسيحية اللبنانية » . واضاف دوف قائلاً للبطريرك انه يتوجب ايضاً السعي لدى حكومة فرنسا لكي تبذل كل ما في وسعها للتأثير على الحكومة البريطانية بخصوص الحدود المشتركة بين لبنان والدولة اليهودية حين قيامها .

وأكد الياهو ايلات على « مدى اهمية حصول الموارنة في لبنان على تأييد الشيعة الذين يقطنون على امتداد الحدود الشمالية لفلسطين » .

وفي رده شكر البطريرك دوف على مديحه لخطابه وقال ان ما اعلنه في الكنيس اليهودي في بيروت لا يعبر عن وجهة نظره الشخصية فحسب انما يعبر عن سياسة الكنيسة والطائفة المارونية بأجمعها .

وذكر البطريرك بالخطاب المؤيد للصهيونية الذي القاه مطران بيروت الماروني اغناطيوس مبارك ، والذي قوبل بهجوم شديد من الصحافة الاسلامية . وقال ان « الآراء والمواقف التي ذكرها في خطابه او تلك التي ذكرها المطران مبارك في خطابه كانت في الماضي تسبب مذابح

للموارنة من قبل جيرانهم المسلمين المتعصبين »، مما يدل على ان مواقف الموارنة الداعمة للمشروع الصهيوني في فلسطين وعلاقاتهم مع الصهيونية هي قديمة جداً لكنها غالباً ما كانت سرية وخلف الكواليس .

ثم تابع البطريرك قائلاً :

« لكن الظروف تبدلت في العالم وفي المنطقة بعد انهيار الأمبراطورية العثمانية وليس باستطاعة المسلمين بعد اليوم تنفيذ رغباتهم » .

ورداً على اقتراحات محدثيه قال البطريرك انه يؤيد اقوالهم ، وعبر عن تأييده المطلق لكل عملية يكون هدفها تخريب الأهداف الاسلامية . وفي هذا المجال رأى املاً كبيراً ومطمئناً للغاية « للتعاون المنتج » بين الموارنة والصهاينة بفضل علاقات الآخرين الدولية الممتازة وتأثيرهم على الرأي العام العالمي والصحافي بما في ذلك الولايات المتحدة الأميركية .

ووعد البطريرك انه في اثناء وجوده في روما سيلفت نظر وانتباه رجال الفاتيكان الى « الخطر الاسلامي » ، وانه سيحاول تحريك الفاتيكان للقيام بعمل مضاد، وفي حديثه مع بابا الصليبية سيؤكد على الأهمية التي يعطيها النصارى في لبنان للاستيطان اليهودي القومي في فلسطين والدولة اليهودية في حال قيامها .

وقال انه يقدر « الدكتور حاييم وايزمن » وانه سيكون مسروراً للقائه في باريس عندما يصلها . وطلب البطريرك من اليات ان يهتم وسكرتيره الخاص (سكرتير البطريرك)، يوسف رحمة، في ترتيب اللقاء مع وايزمن في اثناء وجودهم في باريس [٥٩] .

محادثات البطريرك عريضة مع بـابا الصليبية في روما

اثنـاء وجوده في ايـطاليـا كـان البـطريـرك يعبـر في كـل مناسبـة عن اعجابه بإيطاليا وموسوليني وبالاستقبالات التي حظي بها .

لكن هذا الاعجاب كمـا يقول سكـرتيره يـوسف رحمة لم يقلل أبـداً من العلاقة الـودية والنـظرة الى فرنسـا ، فالبـطريرك كـان ولا يزال مخلصـاً لفـرنسا التي لهـا علاقـات تاريخيـة وتقليديـة مع لبنـان ، وسيهتم في اثنـاء زيـارته لبـاريس بتوثيق هـذه العلاقـات اكثر فـأكثـر . وقـال رحمـة « خـلال لقاءاته مع البطريرك في الفاتيكـان كان هنـاك اهتـمام شديـد بخطة تقسيم فلسـطين ، وكان هنـاك اطمئنـان وثقـة في انه عنـدمـا سيعلن التقسيم فـان الفـاتيكان سيهتم بـالحصول على ضمـانـات دولية بحيث لا تقـع الامـاكن المسيحيـة المقـدسـة في ايـد غيـر مسيحيـة ، وبشكـل خـاص في ايـدي المسلمين » [٦٠] .

ان هـذه الأماكن المقـدسـة التي يهتم بـابوات رومـا كثيـراً بـأمـرهـا ومصيـرها لا تنسى صيحـة البابـا اوربـان الثـاني في كليرمونت بـالـدعـوة للحروب الصليبية التي داست كل المقدسات .

ان مـدينة القـدس لا تنسى المجازر الـرهيبة التي ارتكبهـا الصليبيون قبل اكثر من ثمانية قـرون واستباحـوها أسبـوعاً كـاملاً فقتلوا خلاله اكثر من سبعين ألفاً .

ان هـذه المدينـة المقدسـة لا تنتظر من بـابوات الفـاتيكان ، بـابوات الصليبية الحاقدة اكثر من هذا .

ان مقدسات فلسطين لا تحتاج الى غيـرة البابـا وأتباعـه من أصحاب

الصلبان من بطاركة ورهبان .

وهي لم ولن تنس مـواقف البطاركة الـذين تآمـروا عليهـا وشـاركـوا بابوات روما في حملاتهم الصليبية .

لقاء البطريرك عريضة مع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن ١٩٣٧ م - ١٣٥٦ هـ

لدى وصوله الى باريس أكد يوسف رحمة سكرتير البطريرك أن الموارنة راغبون بحدود مشتركة مع الدولة اليهودية .

وقد شرح له الياهو ايلات ما هية الأخطار التي سيواجهها الموارنة اذا فصلت الدولة اليهودية عن لبنان بحدود او ممر يسيطر عليه المسلمون ففي مثل هذه الحالة سيتضايق الموارنة ، وسيكون في هذا الممر بلا شك مدينة وميناء جديد سينافس ميناء حيفا وميناء بيروت الذي يستفيد منه الموارنة ، كما ان الصادرات من لبنان الى فلسطين ستتعرض لحواجز جمركية ، وهذا الأمر سيخلق ايضاً صعوبات أمام حركة السياحة .

وأكد يوسف رحمة ان هناك مجموعة من الكهنة في بكركي يعملون من اجل ابراز الطابع الماروني للبنان وتحجيم تأثير الاسلام والطوائف المسيحية الأخرى قدر الامكان .

وأبدى تخوفه من امكان حدوث نزاع داخلي بين الموارنة أنفسهم بسبب تنافس اميل اده والبطريرك انطون عريضة على الزعامة واعتبر ان نزاعاً داخلياً كهذا سيضعف الموارنة ويقوي المسلمين (٦١) .

اثناء وجود البطريرك في باريس زاره حاييم وايزمن برفقه الياهو

إيلات . استقبل البطريرك وايزمن بمودة زائدة وفي بداية الحديث عبر وايزمن عن تقديره للخطاب الذي ألقاه البطريرك في الكنيس اليهودي في بيروت،ورد البطريرك قائلاً ان خطابه ليس سوى تكرار لأقوال سبق أن قالها علانية واكثر من مرة ، وأنه يؤمن ايماناً تاماً بأن على اليهود والموارنة العيش بسلام معاً وتقديم المساعدة لبعضهم البعض . وقال ان لبنان سيفرح « بحدود مشتركة مع فلسطين اليهودية » .

عبر وايزمن عن تأييده لكلام البطريرك وقال ان البطريرك يعرف بالتأكيد امر المساعدة التي قدمها للبنان أثناء المحادثات التي أقيمت هنا حول مصير صيدا وصور (والمقصود هو اخضاع هاتين المدينتين للسلطة المارونية بالتعاون مع الصهيونية) .

أجاب البطريرك ان الأمر واضح وشكر وايزمن على مساعدته،ورداً على سؤال وايزمن حول القضايا التي يحتاج فيها الموارنة الى مساعدة فرنسا أجاب البطريرك ان على بلوم (رئيس الحكومة الفرنسية) ان يؤمن كيان لبنان المستقل وان يدافع عنه ضد نوايا المسلمين . وأضاف ان اخطاراً كبيرة ستقف أمام المصالح الفرنسية في المنطقة اذا أعطيت حرية تامة للمسلمين ولسوريا المسلمة . فلبنان هو عكاز فرنسا في الشرق العربي ، وعلى بلوم ان يقوي هذه الدعامة بكل ما في استطاعته (٦٢) .

وقد تم اللقاء في السادس من حزيران ١٩٣٧ م في فندق لوتسيا (lutetia)الذي كان ينزل فيه البطريرك .

تأسيس حزب الكتائب

قبل الانتقال الى الحديث عن سياسة إميل اده ودوره في تحقيق « الوطن القومي الماروني » لا بد من التذكير ان الموارنة كانوا قد فكروا بإنشاء حزب « قومي لبناني »،وفي تشرين الثاني عام ١٩٣٦ م اسسوا منظمة « الكتائب اللبنانية » التي كانت وبالاً على لبنان . لقد تنظمت « الكتائب اللبنانية » على غرار المنظمات شبه العسكرية الدارجة آنئذ في ايطاليا واسبانيا . وكان على رأسها الصيدلي الماروني بيار الجميل الذي تأثر بالنازيين عقب رؤيته للألعاب الأولمبية في برلين عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م .[٦٣]

ولم ينف بيار الجميل ان زيارته الى برلين عام ١٩٣٦ ، بمناسبة الألعاب الأولمبية، هي التي دفعته لتأسيس حزب الكتائب . بعد عودته الى بيروت شكل اولى المجموعات المنظمة المماثلة للفرق النازية : قبعات استعمارية ، زي موحد ، قمصان وربطات عنق قاتمة اللون (كاكي لدى الكتائب) وتحية باليد الممدودة. والمعلوم أن آل الجميل يقيمون ومنذ ان كانوا في مصر اي قبل الاحتلال الفرنسي للبنان علاقات متينة مع الصهاينة وبعد مجيئهم الى لبنان اصبحت تربطهم صلة عميقة الجذور مع

القلة اليهودية في لبنان . وقد كانت الكتائب حماتهم شبه الرسميين ، كما برهنوا على ذلك خلال جميع الحروب التي وقعت بين المسلمين والصهاينة .[٦٤]

ثم ان حزب الكتائب هو حزب العنصرية المارونية ، المؤمنة بلبنان وطن لها وحدها « أبدي ، أزلي ، سرمدي » كما قال بيار الجميل ، وقد حمل هذا الحزب المشروع الماروني وقاتل من اجله تحت اعمق الاتجاهات الفاشية والعنصرية . واعتنق الحزب فكرة « القومية اللبنانية » داعياً الى « حماية الوجود المسيحي في لبنان » . وقد ظهر منذ اللحظة الأولى التي تأسس فيها الحزب تعاطف واضح بينه وبين سلطات الانتداب الفرنسي ، التي اخذت تسعى جاهدة لتعزيز موقع الحزب الجديد بين الأوساط المسيحية المقربة اليها بهدف تأسيس قوة سياسية ذات ثقل لمواجهة التيار الاسلامي المعادي لسلطات الإنتداب .ولم يقتصر التعاطف والتعاون على الصعيد السياسي بل امتد الى الصعيد العسكري ، فبتاريخ ٢٤ تشرين الأول ١٩٣٦ اتصل جورج نقاش ، وهو من اعضاء اللجنة التأسيسية للحزب بالجنرال الفرنسي « هنتزيغر » لأجل تأمين تدريب الشبيبة الكتائبية على يد مدربين عسكريين فرنسيين وبالفعل افرزت سلطات الإنتداب احد ضباطها وبوشر العمل.وفي ٦ شباط اعلن بيار الجميل عن انضمام « كلية القديس بطرس ، معهد الفرير ، مدرسة الحكمة والمدرسة البطريركية » الى الحزب .

اميل إده

كان اده يعكس وجهة النظر المارونية التقليدية المتزمتة الضيقة تلك التي تتربع في حضن الاستعمار الفرنسي بهناء وصفاء عيش وكان يرى في لبنان الكبير وطناً قومياً مسيحياً موسعاً .[٦٥]

وفي الفترة القصيرة التي تولى فيها رئاسة الوزراء ١٩٢٩ - ١٩٣٠ اتبع منهجاً في السياسة زاد في تنفير المسلمين منه . فقد سعى الى تثبيت طائفية الدولة وترسيخ التبعية للفرنسيين والعداء للمسلمين . وعمل في حقل التربية الوطنية على تعزيز نفوذ البعثات الكاثوليكية الأجنبية التي كان المسلمون يعتبرونها استعماراً ثقافياً يهدف الى القضاء على معالم التراث الاسلامي في لبنان . وتحدى مشاعر المسلمين بتشجيعه الفكرة « الفينيقية » التي دعا اليها صديقه شارل قرم [٦٦] .

وكان الكثير من الفرنسيين يعتبرونه صديق فرنسا الأول في لبنان والضمان الكبير لاستمرار النفوذ الفرنسي في بلاد المشرق . وكانت لإده صداقات شخصية مع المسؤولين الفرنسيين في بيروت وباريس التي امضى فيها فترة طويلة قبل رجوعه الى لبنان على ظهر البارجة الحربية الفرنسية عام ١٩١٨ م . كما كانت له بين الموارنة شعبية عارمة فرضت بقاءه في المعترك السياسي طيلة عهد الإنتداب .

وكان اميل اده يعتبر ان لبنان هو « الجزيرة المسيحية الوحيدة في البحر الإسلامي » وأن بيروت مدينة تشبه مدن جنوب فرنسا ، وآمن ان لبنان يحمل رسالة مسيحية في الشرق الأدنى ويجب ان يحافظ على تحالف دائم مع فرنسا[٦٧] .

وكان يصر على « نقاء » لبنان المسيحي . وقد رفع مذكرة بهذا الشأن الى نائب وزير خارجية فرنسا وذلك عند زيارته لباريس عام ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م،ومضمون هذه المذكرة ان احصاء عام ١٩٣٢ يظهر ان التكاثر السكاني الاسلامي يشكل خطراً على الاكثرية المسيحية ، ويقترح اده على فرنسا فصل المناطق التي اضيفت عند خلق لبنان الكبير وذلك من اجل ضمان مصالح فرنسا في المنطقة[٦٨] .

لقد رأى اميل اده في لبنان صورة الغرب الذي في الشرق ، والحدود التي تنتهي عندها الحضارة الغربية ويبدأ بعدهاعالم آخر[٦٩] .

واعتبر ان مصير لبنان متعلقاً بإقامة علاقات وثيقة مع الغرب وحضارته وفي المحافظة على الطابع المسيحي للدولة عن طريق تأمين سيطرة الأغلبية المسيحية لسكانه .

وكان حلم اده ان يثير في وسط النصارى في لبنان بشكل خاص في البداية، وفي وسط الموارنة المنتشرين في جميع انحاء العالم حركة « العودة الى لبنان » ، لا ليزيدوا عدد النصارى فحسب بل ليجلبوا معهم ايضاً الأموال والخبرة العلمية والمهنية والنظريات المتقدمة في المجال السياسي والاجتماعي بوصفهم سكنوا البلاد الغربية كما يزعم .[٧٠]

وآمن اده طيلة حياته بأهمية العلاقات التاريخية الوثيقة مع فرنسا وذلك ليس من النواحي الروحية والثقافية فحسب ، بل من الناحية السياسية والأمنية ايضاً .

وفي احدى لقاءاته مع الياهو ايلات شرح لـه ان توقف كـون جبل لبنان قلعة للموارنة نظراً لتوسيع حدود الجمهورية اللبنانية على حساب مناطق ذات اغلبية اسلامية ، يشكل خطراً على الطابع المسيحي للدولة الشابة . واضاف نظراً لأن نسبة الزيادة في السكان وسط الطوائف الاسلامية اكثر منها عند السكان النصارى فان من الضروري القيام بكل الوسائل الممكنة للحفاظ على الطابع المسيحي للبنان . وحسب رأيه فان فرنسا فقط تستطيع ان تصمد في هذا الامتحان بوصفها « الدولة العظمى الوحيدة في العالم المرتبطة بعلاقات تاريخية مع لبنان » .

عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م واثناء توليه الرئاسة استبدل اميل اده عبد الله بيهم (مسلم) في امانة سر الدولة ، بأيوب ثابت وكان هذا الأخير انجيلياً من اصل ماروني عرف بعصبيته اللبنانية المسيحية[٧١] .

وكان اميل اده شديد العداء للثقافة الاسلامية وقد اعتبرها مقيدة للفكر وحرية الرأي ، ومن اجل تقوية تأثير الثقافة الغربية في الحياة التربوية والتعليمية في لبنان بحث في سبل « تطوير العلاقات الثقافية بين لبنان والغرب بصورة عامة وفرنسا بصورة خاصة »

وفي لقاءاته المتكررة مع الجاسوس الصهيوني ءالياهو ايلات ، كثيراً ما كان يسأله عن رأيه في كيفية قطع الجسور مع العالم الاسلامي والثقافة الإسلامية وترويج ثقافة غربية شديدة التبعية لباريس .

واثناء توليه منصب رئاسة الحكومة عام (١٩٢٩ - ١٩٣٠) م وبالإضافة الى صرف اربعمائة معلم اصدر قراراً يلغي فيه المدارس الرسمية على ان توزع المخصصات المرصودة لها على المدارس التبشيرية امعاناً في سد الطريق امام تطور التعليم الرسمي ، ومن اجل تعزيز ذلك التفاوت الصارخ في المستوى الثقافي في لبنان بين المسلمين والنصارى، وكاد مشروع اده يتحول الى حقيقة لولا المعارضة الشديدة التي لقيها من

المسلمين فاضطر للتراجع عن قراره .[٧٢] .

وقد اسس اميل اده حزب « الكتلة الوطنية » برعاية فرنسا واما اهدافه فكانت بكل صراحة تحويل « لبنان الى وطن قومي للنصارى في الشرق » وانه لا مكان للمسلمين فيه .

وبعد وفاة اميل اده انتقلت قياده هذا الحزب الى ابنه ريمون الذي تبنى الأهداف نفسها .

اميل اده والصهيونية

كان اميل اده صديق الصهيونية الى حد بعيد وعدو الاسلام بالدرجة الأولى وقد تعرف عليه الياهو ايلات اثناء دراسته في بيروت في الجامعة الأميركية خلال السنوات (١٩٣١ - ١٩٣٤ م) .

وعندما كان (الياهو ايلات) يعمل مراسلاً لصحيفتي دافار ولوكالة انباء رويتر في سوريا ولبنان التقى اميل اده بإيلات لأول مرة في منزل البرت نقاش من مؤسسي جمعية « الشبان الفينيقيين » .

يقول الياهو ايلات في مذكراته :

« منذ اليوم الأول لتعرفي عليه وخلال فترة طويلة من العلاقات الودية بيننا تأكد لي صدق تفكيره وآرائه التي كان معتاداً ان يعرضها بصدق لا يثير الشك » .

ورأى اميل اده في الصهيونية وفلسطين اليهودية حليفتين « للبنان المسيحي المحرر » والمحصن من التبعية للاسلام . وقد عبر عن رأيه هذا في حديث مع الياهو ايلات .

وحول هذا الموضوع بالذات تحدث مع سياسيين فرنسيين اثناء

مرورهم في بيروت ، او اثناء لقائه اياهم في باريس .

وكان مؤسفاً بالنسبة له ، انه لم يلق دائماً التأييد من قبل السياسيين الفرنسيين وخصوصاً في وزارة الخارجية التي سيطرت عليها علاقة سلبية ازاء الصهيونية .

وطرح اده فكرة تقوية المصالح المشتركة بين النصارى الموجودين في البلاد العربية واليهود في فلسطين . تلك الفكرة التي سادت اوساط الكنيسة المارونية وادت الى ولادة دور لا يستهان به بخصوص تقرب البطريرك الماروني انطون عريضة واغناطيوس مبارك في بيروت من فكرة هذه المصالح بين اليهود والنصارى .

ومنذ ان اصبح اميل اده رئيساً للجمهورية في العام **١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م** كانت هناك علاقة وثيقة بينه وبين الدائرة السياسية للوكالة اليهودية في القدس . والقيت على (الياهو ايلات) كمسؤول في الدائرة عن العلاقات مع الدول المجاورة ، مهمة المحافظة على هذه العلاقات مع إده الذي كان يعرفه قبل انتخابه للرئاسة .

وكان الياهو ايلات بين الفترة والأخرى يزور بيروت لكي يطلعه على ما يجري في الحلبة السياسية المتعلقة بفلسطين ، وليسمع آراءه بأمور كان خبيراً بها،منها ما يدور في المعسكر العربي والاسلامي ، بالاضافة الى سياسة فرنسا في الشرق الأوسط وغيرها .

وكان الموارنة يعتبرون ان اقامة دولة يهودية مجاورة للبنان تعتبر دعماً لهم في مواجهتهم مع المسلمين .

يقول الياهو ايلات : « وجدنا في اده منذ بداية صراعنا من اجل الدولة اليهودية التأييد لفكرة التقنيم حيث رأى ان اقامة دولة يهودية انما هي دعم لاستقلال لبنان » .

ورأى اده في قيام الدولة اليهودية خطوة مشجعة للقوى المادية للمعسكر المعادي للمسلمين ، « وتقوية لأصحاب المطامح الذين يريدون المحافظة على الطابع المستقل والسيادة للأقليات التي لا تقبل بثقافة وطرق حياة الأغلبية الاسلامية » .

« ورأى اده في الدولة اليهودية شريكاً مخلصاً للبنان الذي يرتبط مستقبله بتلك المبادىء والأسس التي قادت الى نجاح المشروع الصهيوني في فلسطين في حقول الثقافة والتطوير الزراعي والصناعي » كما كان يزعم باستمرار .

وكان اميل اده يلح على ان يؤمن مشروع التقسيم في فلسطين حدوداً مشتركة بين الدولة اليهودية ولبنان . وقد اكد على هذه النقطة اكثر من مرة في احاديثه مع الياهو ايلات .[٧٣]

اتصالاته في باريس ١٩٣٧ م - (١٣٥٦ هـ)

يقول (ايلات) :

« عندما علمت ان اميل اده سيسافر في نهاية شهر حزيران **١٩٣٧** الى باريس ، اقترحت عليه ان يلتقي الدكتور حاييم وايزمن لتبادل الآراء حول موضوعات ذات مصلحة مشتركة بيننا وبين لبنان . قبل اده فوراً الاقتراح واعرب لي الدكتور وايزمن عن سروره بفرصة التعرف على الرئيس اللبناني والتحدث معه . وتم اللقاء في **٢٢** حزيران في فندق (لوتسيا : Lutetia) الذي نزل به الرئيس اده مع حاشيته » . وهو نفسه الفندق الذي نزل فيه البطريرك حيث اجتمع مع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن .

اشترك في هذا اللقاء الثاني اضافة الى اميل اده وحاييم وايزمن وزير الصحة والتربية والاقتصاد في حكومة اميل اده ، حبيب ابو شهلا

ومدير غرفة رئاسته جورج حيمري والياهو ايلات نفسه ، الذي وصف اللقاء على الشكل التالي :

« بعد تبادل التحيات بين الاثنين قدمت الواجبات للضيوف ، واوقف الدكتور وايزمن الحديث فجأة واخرج ساعته التي كان معتاداً ان يضعها في جيب معطفه الكبير وظهر الأمر كأنه محض مصادفة وقال بعد نصف ساعة تقريباً سيجري التوقيع على تقرير لجنة بيل الملكية وفيه اقتراح بتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية في جزء منها » .

وفي البداية لم يعلق اده على هذه الأقوال بأي شيء بل واصل توجيه الأسئلة لصديقه اليهودي ، « وفي منتصف الحديث تطلع اده الى ساعته وقام من مكانه وتقدم من الدكتور وايزمن وقال « الآن وبعد ان مرت نصف الساعة التي اشرت اليها ، وبعد ان وقع تقرير لجنة بيل واصبح وثيقة رسمية لي الشرف ان اهنىء الرئيس الأول لدولة اليهود التي ستقوم » .

واضاف اده ان كوني اول المهنئين للدكتور حاييم وايزمن بالقرار التاريخي الذي حاربت الحركة الصهيونية من اجله لاستقلال الشعب اليهودي في ارض الوطن التي خسرها قبل الفي سنة فانني اطلب من الذي سيقف على رأس الدولة الجديدة ان يكون اتفاق حسن الجوار الأول الذي يوقع بين دولة اليهود واية دولة اخرى ، مع لبنان » .

هكذا يعتبر اميل اده ان فلسطين هي ملك « للشعب اليهودي » التي خسرها قبل الفي سنة ولهذا فانه يهنىء صديقه الحميم وايزمن باقامة الدولة اليهودية على هذا الجزء من البلاد الاسلامية .

يقول ايلات : « وظهر لي ان الرجلين ، الرئيس اده والدكتور وايزمن كانا منفعلين جداً من الموقف الدراماتيكي العاطفي الفريد من نوعه والذي كنا شهوداً له في مسكن الرئيس اللبناني في العاصمة

الفرنسية . ووصل الشعور بالأهمية التاريخية لتلك اللحظة الى قمته عندما رفع اده ووايزمن نخب الصداقة العتيده والمصالح المشتركة بين الدولتين المتجاورتين . . .

وكانت كلمات الوداع بين الرئيسين وايزمن واده عاطفية ومؤثرة جداً ، وعبر كلاهما عن الأمل باللقاء مرة اخرى وفي ظروف افضل » .

« ولا بد ان اشير الى انه عندما كنت ازور الرئيس اده في بيروت بعد ذلك اللقاء كان يتحدث بانفعال واضح عن لقائه بالدكتور وايزمن » ذلك ان هذا الأخير رأى في اده « صديقاً مخلصاً يرى الصداقة بين لبنان والدولة اليهودية ليس فقط مصلحة للبلدين انما ايضاً مصلحة لثبات الثقافة الغربية في الشرق الأوسط » . (٧٤)

وقد اكد المؤرخان كريستوفر وساشر لقاء اده ـ وايزمن واوضحا ان وايزمن صرح ان هدف هذا الاجتماع هو لاقامة الصداقة الدائمة بين الدولة اليهودية والجمهورية اللبنانية ، وان الزعيم الصهيوني انتظر تأسيس اتحاد يربط بين المسلم والمسيحي والأمة اليهودية في شرقي البحر الأبيض المتوسط .

ومن اجل ذلك فان اميل اده امسك بيد وايزمن وهزها وقال : احيي الرئيس الأول للجمهورية اليهودية . (٧٥)

لقد اثبتت الأحداث السياسية حينها ان رئيس الجمهورية اميل اده كان ينطلق في سياسته كممثل للموارنة وليس لكل اللبنانيين ، فقد صرح اثناء زيارته لباريس في ٢١ حزيران ١٩٣٧ م قائلاً : « ان ايجاد جمهورية صهيونية ليس من شأنه ان يكون غير سار لنا » . وفي باريس تابع مباحثاته مع الزعماء الصهيونيين هادفاً الى انشاء دولتين في المنطقة ، الأولى مسيحية مارونية في لبنان والأخرى يهودية صهيونية في فلسطين يكون بينهما حلف دائم في وجه جيرانهما المسلمين . (٧٦)

وفي نفس اليوم وخلال افتتاح الجناح اللبناني في معرض باريس الذي اقامه الفرنسيون امعاناً في توثيق عرى التبعية اللبنانية لهم ، القى اده خطاباً اشار فيه الى ان اللبنانيين يرجعون في الأصل الى سلالات شعوب البحر المتوسط وانهم احفاد الفينيقيين .

واعلن ان الساحل اللبناني يعتبر كله قاعدة بحرية لفرنسا

فقد جاء في تصريحاته الى جريدة (الاكودو باريس) :

« لقد عقدنا معاهدة لمدة خمس وعشرين سنة تتجدد ضمناً بنفسها . وقد كنا نود عقد معاهدة ابدية . ولكن المشرعين اكدوا ان هذا الشكل من التعاقد لا يقوم ، وخشي غيرهم زيادة على ذلك ، ان يؤدي الى اتهام فرنسا بالاستعمار المستتر ، ونحن على كل حال قد بذلنا جهدنا لإلباس هذه العلاقة صفة الدوام بشكل ملموس . اذ بينما طالب جيراننا سحب الجيوش الفرنسية ، طلبنا نحن بقاءها دون شرط ودون تحديد زمن » .

وهكذا ففي الوقت الذي كانت جيوش الاحتلال الفرنسي لا تزال جاثمة على ارض لبنان كان « رئيس جمهورية لبنان » يطالب بعقد معاهدة ابدية ثم يعلن على الملأ بكل فخر واعتزاز بأنه طالب وجماعته ببقاء قوات الاحتلال الى ما لا نهاية .

ثم يسأله الصحفي : « انكم يا سيدي اذن لا ترون مانعاً من انشاء قاعدة بحرية في الشرق على ما اقترح الجنرال ويغان » ؟

فيجيبه : كلا ابداً بل انا اضيف ان الساحل اللبناني يعد كله قاعدة فرنسية[٧٧] .

وقد اجتمع اده في باريس برئيس الوزراء الفرنسي « ليون بلوم » اليهودي،وتباحثا في العلاقات اللبنانية ـ الصهيونية . وكان من ذيول هذه

المباحثات تسهيل بيع اراضي في جنوب لبنان لبعض الشخصيات اليهودية . فما كان من المطران غريغوريوس حجار ـ مطران الروم الكاثوليك في فلسطين ـ الا ان وجه رسالة الى الموارنة المتعاملين مع الحركة الصهيونية قال فيها « . . . فأنتم في لبنان مخدوعون بامر الصهيونية لا ترون فيها غير الحال الذي جاءت به الى بلادنا ، ولكن مال اليهود باق لليهود . . . » ثم اضاف قائلاً : « هل تعتقدون ان الشعب الفلسطيني وصل الى هذه الحالة من الحماسة والتضحيات وركوب الأخطار الا بعد ان استولى اليأس عليه تماماً ولم يعد يجد منفذاً سلمياً يخرج منه ؟ وهل تعتقدون ان في فلسطين غير الشقاء والفاجعة اليوم . ومع هذا فأنتم في لبنان ما تزالون تعتقدون ان وجود اليهود عندنا ثروة لنا ، وبينكم من يتغنى بهم ومن احباركم الأجلاء من يأخذ جانبهم »[٧٨] .

ان العلاقات الجيدة التي اقامها اميل اده مع الزعامات الصهيونية سمحت للصهيونيين بشراء العديد من الأراضي والمؤسسات في لبنان .

وعندما عرض البرت نقاش عام ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٨ م امام شركة فلسطين الإقتصادية في الولايات المتحدة اقتراحات مشروع لبناني ـ يهودي مشترك لاستغلال مياه الليطاني لمصلحة البلدين ، ايد اده المشروع ورأى فيه املاً جدياً لتوسيع المشاركة في مجالات اخرى ، وكانت شركة ترابة شكا من بين الشركات التي كادت تشتريها مؤسسة صهيونية بدعم وتأييد من البطريرك انطون عريضة ، غير ان بشارة الخوري والشري درويش الحداد اسرعا في شراء المؤسسة بالاتفاق مع مؤسسة تجارية سويسرية وذلك في عهد الفرد نقاش (١٩٤١ ـ ١٩٤٣ م)[٧٩] .

دعوة بن غوريون ١٩٣٧ م - (١٣٥٦ هـ)

يتبين من لقاءات وايزمن مـع زعماء المـوارنة وفي مقـدمتهم اميل اده والبطريرك انطون عريضة ان العلاقـات المارونيـة ـ الصهيونيـة قد تـوثقت ، وكانت هذه العـلاقات تقـوم على مبدأ تبـادل الخدمـات،ففي الوقت الـذي كان البطريرك واعوانه يعملون من اجل الصهيـونية وطمـوحاتهـا في فلسطين من اجـل ايجـاد حليف سياسي وعسكـري دائم لهم في المنطقـة ، كـان للبنـان النصيب الأكبـر من الاهتمـامـات الصهيـونيـة التي سعت الى خلق وضع سياسي في لبنان يشكل دعامة لها ، ويسمح لها بالتوسع .

وكـان ديفيد بن غـوريون متحمسـاً جداً لاقـامة الـدولة المـارونية في لبنان تكون حدودها الجنوبية نهـر الليطاني ، وتكـون حليفاً مستقبليـاً للدولة اليهودية في فلسطين .[٨٠] .

عـام ١٩٣٧ م ، وقبل عشر سنوات من قيام دولـة اسرائيـل اقترح ديفيد بن غوريون قيام دولة مسيحية في لبنان على اساس ان قيـام مثل هـذه الدولة سيشكل حليفاً ومبرراً لقيام دولـة اسرائيـل . وجاء ذلـك الاقتراح في الخـطاب الـذي القـاه امـام المجلس العـالمي لعمـال صهيـون حيث قال : « ان جوار لبنان يشكل دعامة سياسية رائعـة للدولة اليهـودية . وذلـك

ان لبنـان هو الحليف الـطبيعي ليهـود ارض اسـرائيـل وان لمسيحيـي لبنـان مصيـراً مشابهـاً لمصير الشعب اليهـودي . . . وان جوار لبنـان يـوفـر حليفـاً مخلصـاً للدولة اليهـودية منـذ يوم قيـامها ، وليس مستحيـلاً علينا ان نجتـاز الحدود الشمالية ، حيث يتاخم لبنـان حدود الـدولة اليهـودية ، ممّـا يسمح لنا بالتوسع بموافقة جيراننا المحتاجين الى عوننا »[٨١] .

مشروع السريان الكاثوليك ١٩٣٧ م - (١٣٥٦ هـ)

والواقع ان المشروع الماروني هو مقدمة لمشاريع ادهى وأمر لأنه يعتمد على « تضخم » مشكلة الأقليات وضرورة مساعدتها للتوصل الى « حل عادل لمشاكلها » او على الأقل حصولها على ظروف افضل كما يقول الياهو ساسون .

وقد استطاع الموارنة ومن لف لهم ان يستفيدوا من الواقع الجديد الذي خلقته نتائج الحرب العالمية الأولى الإفاده القصوى ، فعمدوا الى تشجيع سائر الأقليات على المطالبة بأوطان قومية خاصة بها ، بعد ان نجح الاستعمار في تحويل المسلمين الى لبنانيين وسوريين واردنيين وعراقيين وفلسطينيين ومغاربة وأكراد وعرب واتراك .

ان الموجات الإقليمية والعرقية التي فرضت هذه التسميات هي وليدة التدخل الخارجي في شؤون المسلمين ، وهذه التسميات انما هي بدع يجب القضاء عليها لأن المسلمين لا تفصل بينهم الحواجز والحدود ، والاسلام لا يعترف بهذه الحدود الإقليمية التي جزأت الوطن الاسلامي وحولته الى اوطان عديده متنافرة لا يجمع بينها دين .

كان تبوني بطريركاً (لطائفة السريان الكاثوليك) يؤمن بأن لا حياة

للأقليات النصرانية في المنطقة دون مساعدة الدول الأجنبية وبصورة خاصة فرنسا ، لذلك حاول توحيد الطائفتين المارونية والسريانية باعتبار ان الكنيسة المارونية هي سريانية الأصل .

وكان الأشوريون في شمالي سوريا يفكرون ويحاولون ان يجعلوا من لواء الجزيرة وطناً مستقلاً لهم تحت حماية فرنسا .

وقد نشط البطاركة والكرادلة لتحقيق هذا المشروع من اجل ايجاد حلف دائم ودولة صديقة للدولة المارونية .

فكان الكاردينال تبوني والمطران حبي وغيرهما من رجال الاكليروس كالبطريرك الماروني انطون عريضة وغيره يسعون لتطبيق هذه الفكرة لدى المراجع الفرنسية العليا وجعل لواء الجزيرة حكومة « مسيحية اشورية » لكي يصبح في الساحل وطرق الداخل السوريين حكومتان مسيحيتان تحصران حكومة الشام في دائرة اكليركية »[٨٢] .

ولهذا الغرض فقد ذهب الكاردينال تبوني « رئيس الكنيسة الكاثوليكية في الشرق » في زيارة الى باريس وروما حيث التقى البابا واجرى مباحثات « لدى المقامات الدينية والمدنية بمهمة تتعلق بالأقليات والكنيسة الكاثوليكية في الشرق »[٨٣] .

وقال في خطاب له : « يوجد ثلاث قضايا متلاحمة ملتصقة هي فرنسا ، والكنيسة ، والكثلكة في الشرق ، ان هذه القضايا لا تعرف لها حدوداً منفصلة وهي دائماً تسير متحدة ملتحمة »[٨٤] .

فرقة مارونية لتوثيق العلاقات مع الصهاينة
١٩٣٨ م - ١٣٥٧ هـ

في حزيران عام ١٩٣٨ تشكلت في بيروت فرقة مارونية برئاسة جورج مشحور ، احد زعماء الموارنة ، بهدف العمل على تدعيم وتوثيق العلاقات بين الموارنة في لبنان واليهود في فلسطين ، والعمل على اقامة وطن قومي للنصارى في لبنان .

وقد اعتبرت هذه الجماعة انه بالتعاون المخلص والعلاقات الوثيقة بين اليهود والموارنة يصبح بالامكان تأمين قيام كيان ماروني وآخر يهودي في قلب المحيط الاسلامي في الشرق الأوسط .

تقدم جورج مشحور بالخطة الى الوكالة اليهودية بواسطة الياهو ساسون ، بغية الحصول على جواب من زعماء الحركة الصهيونية بعد الدراسة والتدقيق .

النص الحرفي للخطة :[٨٥]« القدس ٢٤ - ٦ - ١٩٣٨

ان اقامة وطن قومي يهودي في ارض اسرائيل (فلسطين) يعني انه مع تكاثر عدد اليهود في البلاد سيتغلب اليهودي على العنصر العربي الذي يضم اكثرية اسلامية .

وبما ان السكان المحليين سيعارضون بشدة هذا الأمر ، فاني اعتقد ان على اليهود ايجاد حلفاء لهم في البلدان المجاورة لكي يؤيدوهم في مطالبهم ويساعدوهم على تحقيقها ، ومن الواضح ان غالبية سكان البلدان المجاورة سواء في سوريا او عبر الأردن هم من المسلمين الذين لن يساعدوا اليهود بأي شكل كان ، لأن الأفكار اليهودية تتعارض مع الوحدة الاسلامية . . .

ومن جهة اخرى يقع لبنان على الحدود الشمالية ، وعلى اليهود ان يتوجهوا اليه ، وبصورة خاصة الى منطقته الجنوبية المتاخمة لأرض اسرائيل ، والسؤال الذي يطرح نفسه امام هذا الوضع ، هل هناك اية امكانيات للتوصل الى اتفاق مع سكان هذه المنطقة ؟

سوف احاول الاجابة عن هذا السؤال بدقة ، والاشارة الى ان المسيحيين الذين يشكلون ١/٨ السكان (ثمن السكان) في جنوب لبنان لا يؤيدون فكرة اقامة وطن قومي يهودي في ارض اسرائيل (فلسطين) - يعتبر جورج مشحور ان فلسطين هي ارض اسرائيل ولهذا فانه لا يشير الى اسمها الحقيقي - ولكنهم في الوقت نفسه لا يعارضون هذه الفكرة ، انهم في الواقع يتخذون موقفاً حيادياً وسيكون من السهل التوصل الى تفاهم معهم ، نظراً لأن مستواهم الثقافي قريب من المستوى الثقافي لليهود . وهم في الوقت نفسه لا يزالون يكنون حتى الآن ، وبشكل خفي ، الكراهية للمسلمين نتيجة المذابح الدموية التي تعرضوا لها في الماضي القريب » .

وبعد هذا يتقدم جورج مشحور بخطة لإثارة الفتنة و« تحقيق الانفجار » بين صفوف المسلمين .

على انه يجب الإشارة الى ان مخططات الفتنة التي تبارى في وضعها اعداء المسلمين قد نجحت الى حد بعيد وسقطت القيادات المزيفة وهي كثيرة مع الأسف في الفخ واصبحت تعمل بوحي من تلك الخطط

المشؤومة . فيجب اذن على المسلمين ان يعرفوا الزوايا التي تهب علينا منها ريح الاستعمار والحفر التي تثب منها القلاقل والفتن .

وهناك خطط عديدة وضعت في لبنان وخارجه في سبيل زرع الفتن والقلاقل بين صفوف المسلمين .

وأخيراً يعلن جورج مشحور :

« انني اتقدم بهذه الأفكار والمقترحات الى قادة الحركة الصهيونية لدراستها وبحثها ، مع التأكيد على ضرورة الاعتناء بشكل خاص بسكان هذه المنطقة .

التوقيع : جورج مشحور

بيروت

ملاحظة : ان المرحلة الصعبة التي تمر بها البلاد حالياً تستوجب في رأيي بحث هذه الخطة المقترحة ، ودراسة امكانية تركيز حراس على الحدود اللبنانية للعمل ، بمساعدة السكان المحليين ، على ايقاف جهود العصابات في سبيل الحصول على امدادات واسلحة من خارج البلاد » .

وفي ٢٠ تموز ١٩٣٨ وعلى اثر حدوث انفجارات في مدينة صيدا ضد المؤسسات اليهودية وصل الى بيروت الجاسوس الصهيوني الياهو ساسون حيث طمأنه نور الدين الرفاعي بوصفه قائداً للشرطة بأنه فرض المراقبة على الفلسطينيين ، ووضع شرطيين بصورة دائمة في منزل المفتي الحاج امين الحسيني ـ الذي فر الى لبنان هرباً من ملاحقة السلطات البريطانية له في فلسطين ـ مهمتهما تسجيل اسماء الزوار ومراقبة الرسائل التي تصله او ترسل من قبله ، وكذلك التنصت على الأحاديث التي يجريها سواء مع زواره او اهل بيته . واكد له ان السلطات في صيدا اتخذت اجراءات مشددة بحق الذين قاموا بعمليات التفجير وابلغه انه قام شخصياً بزيارة خاصة لصيدا حيث اشرف على عمليات التحقيق ووضع بالتعاون مع المسؤولين الأمنيين الآخرين خطة تهدف الى الدفاع عن

اليهود والمحافظة عليهم وعلى مصالحهم .[٨٦] .

هذا في وقت كانت المقاومة المسلحة في فلسطين وخارجها لا تزال قضية شعبية بالدرجة الأولى وليست قضية انظمة وزعامات .

حديث اميل اده مع الجاسوس الصهيوني الياهو ساسون في ١ - ٨ - ١٩٤١ م

في اول آب ١٩٤١ اي بعد انقضاء اربعة اشهر على تقديم استقالته من رئاسة الجمهورية ، استقبل اميل اده الجاسوس الصهيوني الياهو ساسون واكد له انه كلبناني ماروني سيعارض بشدة اية خطة من شأنها المس « بحقوق طائفته في لبنان او اعطاء لبنان وجهاً عربياً » . واضاف ان موقفه شبيه بموقف الصهاينة في فلسطين ، وانه على هذا الأساس يجب التعاون بين الموارنة والصهاينة في الشرق وفي اميركا ، لوضع « خطة عمل مشتركة » .

وقال اده ان للموارنة قوة تأثير لا بأس بها في اميركا الشمالية والجنوبية ، وانه يجب استغلال هذه القوة الى اقصى حد ، وأضاف : صحيح ان الاتصالات مقطوعة اليوم بين بيروت ونيويورك بسبب الحرب ، لكن يفترض ان باستطاعة اليهود تأمين وسيلة لايصال الأوامر والتوجيهات من الموارنة في لبنان الى اخوانهم في اميركا . كما يعتقد ان هناك واجباً اساسياً لترميم وتحسين العلاقات بين الموارنة والصهاينة واقترح في هذا المجال : « من الأفضل ان يقام لقاء كل اسبوع او اسبوعين بين احد ممثلينا (اي الموارنة) والصهاينة » .

واعرب اده عن رغبته في اللقاء بموشي شاريت (شرتوك) وقد وافقه على ذلك الياهو ساسون واضاف ان الأمر يتعلق الى حد كبير باعتراف الموارنة بالواجب والحاجة الى التعاون مع اليهود مؤكداً له في الوقت نفسه ان اليهود مقتنعون بواجب التعاون والدليل على ذلك زيارته له والزيارات العديدة لممثلي الحركة الصهيونية له في الماضي .[٨٧]

حديث المطران عبد الله الخوري مع الجاسوس الصهيوني ساسون في ٢ - ٨ - ١٩٤١

وفي اليوم التالي استقبل المطران عبد الله الخوري الياهو ساسون في مركز البطريركية المارونية الصيفي في الديمان التي تبعد حوالي ١٥٠ كيلومتراً الى الشمال من بيروت .

خلال الحديث الذي استغرق ساعتين اكد المطران ان الكنيسة المارونية ستبذل كل جهد ونفوذ في لبنان واميركا والفاتيكان للمحافظة على طابع لبنان المسيحي ، وعلى « حقوق الموارنة باعتبارهم ابناء اكبر طائفة في لبنان » كما زعم .

وقال المطران خوري ان الكنيسة المارونية ترغب في ان يبقى لبنان الى الأبد تحت السيطرة الفرنسية ، وذلك على الرغم من مساوىء فرنسا ، ولكن نظراً الى ان الوضع الدولي قد تطور بحيث اصبحت فرنسا نفسها دولة من الدرجة الثانية او الثالثة وذلك بسبب هزيمتها في الحرب العالمية الثانية واجتياح الألمان لباريس فان الكنيسة المارونية ستطالب باستقلال لبنان الماروني طبعاً . واكد ان الكنيسة لن تتنازل عن مطالبها حتى ولو ادى الأمر الى نزاع شديد مع المسلمين ، ولهذا فقد اعتبر المطران اخيراً ان هناك مجالاً واسعاً للتعاون بين اليهود والموارنة .[٨٨] .

بشارة الخوري يقترح على ساسون تهجير ابناء جبل عامل ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م

وبتوصية من المطران عبد الله الخوري فقد زار الياهو ساسون بشارة الخوري الذي اقترح عليه خطة لتهجير ابناء جبل عامل .

فعندما تطرق الاثنان في الحديث الى ضرورة التعاون بين الدولة اليهودية ولبنان الماروني قال له الخوري « يوجد بيننا وبينكم حاجز يجب ازالته ، وهذا الحاجز هو جبل عامل ، هنالك ضرورة لتفريغ هذه المنطقة من المسلمين الشيعة الذين يشكلون خطراً على بلدينا ، وقد سبق لهم اثناء فترة الاضطرابات في فلسطين ان تعاونوا مع عصابات المفتي[*] لتهريب السلاح والرجال » .

واوضح الخوري انه يجب تفريغ جبل عامل من سكانه وتوطين الموارنة اللبنانيين المهاجرين حالياً الى اميركا فيه وذلك بعد انتهاء الحرب واقترح على الياهو ساسون ان تقرض الصهيونية « البطريرك الماروني انطون عريضة مبلغاً كبيراً من المال لكي يتم شراء منطقة الجبل لاسكان الموارنة فقط هناك في المستقبل . وبهذه الطريقة يصبح الموارنة جيراناً لليهود ، ويصبح التعاون سهلاً ودون مضايقات ، وسيقف عندئذ اليهود

(*) اشارة الى المفتي الحاج أمين الحسيني .

والموارنة صفاً واحداً امام الزحف الاسلامي القادم من الشرق ، وبذلك يحافظ اليهود ايضاً على حدودهم الشمالية »[٨٩] .

وهكذا فبعد تهجير المسلمين الشيعة من مناطق جبل لبنان ، البترون وجبيل وكسروان والمتن ارتأى بشارة الخوري ـ اول رئيس جمهورية لدولة الاستقلال ـ تهجيرهم من جبل عامل لكي يتسع لبنان لجميع الموارنة الموجودين في العالم . كما كان يحلم بذلك سلفه اميل اده .

ان المشروع الماروني يقضي بتهجير المسلمين من كل لبنان لكي يكون قادراً على استيعاب اكبر عدد ممكن من الموارنة ومن ثم تحويله الى دولة مارونية صليبية ، مثلما ينص المشروع الصهيوني على انشاء « دولة اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات لكي تكون قادرة على استيعاب معظم يهود العالم ، من هنا سر التحالف الوثيق بين اصحاب المشروعين الصهيوني والماروني .

الفصل الثامن

مسرحية الاستقلال

حكام لبنان عام ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م

في ١٨ آذار **١٩٤٣**م اقال الجنرال كاترو الفرد نقاش وسامي الصلح من رئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس الوزراء واستبدلهما بأيوب ثابت كرئيس للجمهورية ورئيس للدولة في آن معاً ، وكلفه الاشراف على الانتخابات واعداد العدة لها .

سعى أيوب ثابت وهو من غلاة أنصار إميل اده ، منذ توليه رئاسة الحكومة بتشجيع من الأوساط المارونية والنصرانية المتطرفة والفرنسيين الى تعزيز الوجود النصراني في مجلس النواب فأصدر مرسوماً باعادة توزيع المقاعد في المجلس النيابي وجعلها أربعة وخمسين مقعداً ، اثنان وثلاثون منها للنصارى واثنان وعشرون للمسلمين [1] .

وكان أيوب ثابت يريد اعطاء مقاعد في المجلس للمغتربين الموارنة .

ثار المسلمون على هذا المشروع واعتبروا المحاولة مورنة نهائية للبنان ونظروا الى اعطاء مقاعد للمغتربين على إنه مؤامرة مفضوحة .

يعترف كاترو بأن المسلمين اتحدوا « لمقاطعة الانتخابات وذلك

على اثر تحيز الدولة وايوب ثابت مع الفئة المسيحية باصداره قراراً يسجل بموجبه المهاجرون اللبنانيون في قائمة الناخبين لاكثار عدد مقاعد النصارى في المجلس » (٢) .

وبالفعل فقد اجتمع المسلمون والحوا على ضرورة الغاء المرسوم والمبادرة الى احصاء عام وقرروا الامتناع عن الاشتراك في الانتخابات ما لم تتحقق المطالب .

وكان البطريرك الماروني انطون عريضة ، رائد هذا المشروع، يسعى لتثبيت المرسوم وجعله نافذاً فقد وجه برقية في ١٣ تموز ١٩٤٣ م الى رئيس الدولة تقول : « نقاوم كل سعي لتعديل قرارات حكومتكم العادلة بشأن الإحصاء وتوزيع المقاعد النيابية ونؤيد حكومتكم في موقفها التاريخي الشريف » (٣) .

وأمام قوة المعارضة الاسلامية اضطر ايوب ثابت الى الاستقالة في ٢١ تموز وعين مكانه بترو طراد (ارثوذكسي) . مناهج « التاريخ الرسمي » التي اقرتها « وزارة التربية الوطنية » في ظل النظام الماروني في لبنان تزيف الحقيقة كعادتها وتقول : « استقال « ايوب ثابت) من منصبه على اثر خلاف وقع بينه وبين مسيو هللو المفوض السامي الجديد فتسلم الحكم عندئذ الاستاذ بترو طراد » (٤) .

وللحال تقرر أن يزداد عدد المقاعد في المجلس الى خمسة وخمسين مقعداً ثلاثون منها للنصارى وخمسة وعشرون للمسلمين .

ومع ان هذه النسبة البالغة ستة إلى خمسة تعتبر اجحافاً صريحاً بحق المسلمين الذين يشكلون الأكثرية الساحقة في لبنان فقد بقيت معمولاً بها حتى اليوم .

جرت الانتخابات النيابية في أواخر صيف ١٩٤٣ م ، تحت رقابة

بترو طراد والجنرال سبيرز البريطاني(*) والمندوب السامي الفرنسي . فكان من الطبيعي ان يسودها الغش والتزوير ، وبالفعل فقد أدت الى فوز « الكتلة الدستورية » وحلفائها فوزاً صارخاً . وانتهت اخيراً بوصول بشارة الخوري الى رئاسة الجمهورية .

وكان هذا الأخير زعيماً لحزب « الكتلة الدستورية » الذي رعت تأسيسه بريطانيا وكانت لهذه الكتلة صلة وثيقة بالسلطات البريطانية في المنطقة وذلك بواسطة أحد أقطابها كميل شمعون (٥) .

وبعد وفاة بشارة الخوري انتقلت قيادة هذا الحزب الى الأحضان الأميركية .

ان الذين كانو يتنافسون على حكم لبنان عام ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م لم يكونوا في الواقع من المتحمسين لقضية الاستقلال ذلك لأنهم كانوا أفراد تلك الطبقة الغنية التي تعتبر أي مكان في العالم كله وطناً لها ، والتي تطلعت الى فرنسا بوصفها الحكم الأول والأخير في قضايا الذوق ومصدر المباهج المترفة الصافية ، وكان رجال هذه الطبقة أصحاب مصارف وممتلكات عقارية ، كانوا يمتلكون ضيعاً وأحراج زيتون وحقول قمح واسعة ، ويزرعون الحشيشة ، وكانوا أغنياء الى درجة بعيدة ، اذ لم يكونوا يدفعون ضرائب يعتد بها (٦) .

(*) ان جيوش بريطانيا دخلت مجدداً الى لبنان في تموز ١٩٤١ اثناء الحرب العالمية الثانية بعد سقوط باريس بأيدي الألمان .

الموارنة يرفضون الاستقلال

ان الموارنة في الواقع لم يرغبوا بالاستقلال عن فرنسا وكان الكثيرون منهم ناقمين على مبدأ الاستقلال حتى ان البطريرك عريضة اعلن رفضه صراحة لجلاء القوات الفرنسية من لبنان .

لكن هزيمة الفرنسيين في بداية الحرب العالمية الثانية واجتياح باريس من قبل الألمان ادى إلى إضعاف النفوذ الفرنسي عسكرياً وسياسياً مما حمل الموارنة على اعادة النظر في مواقفهم .

وقد بلغ شك الأقلية المارونية بالضمانة الفرنسية حداً جعل البطريرك عريضة يقرر ارسال موفد من قبله الى أنقرة للاتصال بفوبابن السفير الألماني لدى تركيا وابلاغه ان الموارنة ليسوا مرتبطين ارتباطاً عضوياً بفرنسا وانهم على استعداد لموالاة المانيا اذا أصدر هتلر بياناً يقول فيه انه يسلم للموارنة بنفس ما يسلم لهم به الفرنسيون ، ويقدم ضمانته بديلاً عن الضمانة الفرنسية ، وكان الموفد صاحب هذه المهمة العام ١٣٦٠ هـ - ١٩٤٠ م حميد فرنجية (٧) .

وعند دخول الانكليز والديغوليين لبنان عام ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م ووضوح الأرجحية السياسية والعسكرية الانكليزية واعلان الجنرال كاترو

(فرنسي) بيانه بالتعهد باستقلال لبنان قَوِيَ في الأوساط المارونية شعور الخطر على الذات من الاعتماد المبالغ فيه على الصداقة الفرنسية وحدها حتى ان البطريرك عريضة دعا الى مؤتمر « للطوائف اللبنانية » في بكركي للبحث في قضية الاستقلال . والجدير بالذكر ان حزب الكتائب ومنذ عام ١٩٣٩ م وضع « جميع قواه المعنوية والمادية تحت تصرف الجيش وسلطات الانتداب الفرنسية » ، لأن « مصلحة لبنان تملي عليه ان يقف الى جانب فرنسا في تلك الظروف العصيبة » . وقد حيا رئيسه علاقة « الصداقة الشريفة ذات الجذور التاريخية » التي تربط بين لبنان وفرنسا ، ودعا جميع اعضاء حزبه الى التقيد بأومر السلطات العسكرية الفرنسية واعلن « ان جيش فرنسا الباسل سيثبت ، كما اعتاد دائماً ، انه كان ولا يزال حامي الانسانية من شرور المظالم والمطامع . . . » .

وأما ما يحدثنا عنه التاريخ الرسمي ، من مظاهرات صاخبة تطالب الفرنسيين بالخروج ومن اعتقال لزعماء البلد لعدة ساعات من قبل سلطات الانتداب ، فليس الا مسرحية وضعت فصولها بإحكام ، قصد اضفاء مسحة من الفروسية على ما تم تسويته في الظلام ، ولكي تعطى المساومات الرخيصة ملمحاً من شرف النضال .

وقد سعى الموارنة في الفترة الفاصلة ما بين قيام الاستقلال وتحقيق الجلاء بوضع لبنان على طريق الانفصال التام عن الأمة الاسلامية فقد كانوا يرفضون ان يتخذ الاستقلال معنى اخلاء البلاد تماماً من الوجود العسكري الفرنسي الا بحصولهم وبشكل متنام على قرارات تصفية الوجود الإسلامي سياسياً ومعنوياً تمهيداً لتصفيته عسكرياً ابتداء من عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

وهكذا لم يتحقق الجلاء في ٣١ كانون الأول ١٩٤٦ الا بعد ان اطمأن الموارنة على ان لبنان سيكون دولة ذات وجه ماروني .

كما ان الموارنـة استغلوا تلهف البسطاء من اللبنانيين الى رؤية العلم اللبناني حراً وخروج الجيش الأجنبي من الوطن ليخوضوا معركة عقائدية كاملة تشمل الاقتصاد والثقافة والادارة وذلك بابقاء دولة الانتداب مستمرة في عهد الاستقلال ، فرئيس الجمهورية هو المفوض السامي والدولة هي كل التراث الذي تركته المفوضية في البلاد عندما كانت حاكمة ، من أشخاص ومؤسسات وادارات حكومية .

وفي الأشهر الأولى للاستقلال بل في السنوات الأولى كان المزاج العام للأقلية المارونية هو التأكيد على وجوب وجود دولة في لبنان ، في وجه نزعات التذمر والاحتجاج والثورة في صفوف المسلمين . والمعنى التاريخي لذلك هو مصلحة الموارنة في ابقاء دولة الانتداب محمية من رياح التغيير المفترض ان تحمل معها تبديلات سياسية وادارية للدولة التي اقامها الانتداب الفرنسي بالاستقلال عن ارادة ابناء البلاد ، وصاغها بالشكل المعادي لفئات ومناطق اسلامية كان يعرف النقص في ولائها له فيتهمها بنقص الولاء للبنان ، وولد شعار الاستقرار الذي كان يزاحم الاستقلال في التردد على الشفاه وفي حق التقديس كذلك ، فالاستقرار يعني ان تبقى دولة الانتداب ويظل الاستقلال مجرد علم مرفوع احتفالياً على هذه الدولة .

ولم تيأس فرنسا من جهدها الدائب لاستعادة سيطرتها على لبنان على الأقل ضمن الأشكال المألوفة بعد زوال الانتداب ، فكانت ما تزال تغذي فكرة تبعية لبنان لفرنسا وتعتبره « الابن البكر » لها ولهذا فان الرموز نفسها المرتبطة بالاستعمار الفرنسي ظلت ناشطة لتحقيق حلم الدولة الصليبية المرتبطة بفرنسا .

فما ان يفوز المرشح الزغرتاوي يوسف كرم في انتخابات فرعية لمقعد نيابي في الشمال في عام ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م حتى انفجرت حركة شبه انقلابية مسلحة ، اذ قاد أنصار فرنسا مظاهرة مسلحة جمعوا لها

الناس - من الناقمين على مبدأ الاستقلال - من الشمال والمتن والحدث ، الى مجلس النواب برفقة يوسف كرم رمز هذا الحلم الرجعي بالدولة المارونية المرتبطة بفرنسا .

وكانوا يهتفون امام المجلس بحياة فرنسا وبسقوط العهد الاستقلالي بشعارات منها :

« نحن رجالك يا ديغول »

« البلاد بلادك يا ديغول » [٨] .

وكان ادوار حنين، نائباً من نواب « الكتلة الوطنية » فأعلن سخطه على مبدأ الاستقلال ومثل مع مجموعة من المثقفين والكتاب الموارنة اعتراض المثقف الماروني على سياسة الاستقلال عن فرنسا .

وقد اجتمع هؤلاء في مجلة « المكشوف » التي اعيدت الى الصدور بعد الاستقلال لغاية معينة هي محاربة مجرد فكرة الاستقلال .

فكان قلم ادوار حنين الى جانب قلم « ابو الحن » (فؤاد حداد) وقلم فؤاد حبيش ، يجتهد في التأكيد من ضمن خط اميل إدة السياسي على ان اللبنانية الصميمة هي ضد الخط الجديد ، وان من الخطأ عدم التفريق بين اللبناني الصميم واللبناني غير الصميم وان شعب لبنان هو في البداية والنهاية الموارنة ، وان حب فرنسا هو من صميم وطنية اللبناني .

وكان يؤازر هذه الأقلام في تلك الحقبة صلاح لبكي كاتب الافتتاحيات في جريدة « البشير » واول رئيس لـ « اهل القلم » في لبنان ، وقد خلفه في الرئاسة ادوار حنين[٩] .

والمعروف عن جريدة البشير انها كانت تصدر منذ أيام المتصرفية وهي زعيمة الصحافة الكاثوليكية باعتراف المبشرين أنفسهم ، وشديدة

العداء للمسلمين .

كما كان يبرز بين الحين والآخر سعيد عقل ، بصياغته للطروحات ذات الجاذبية بالنسبة للعصبية المارونية ونجيب الدحداح في كتاباته باللغة الفرنسية في جريدة « الاكسيون l'action » الكتائبية .

وقد ظل البطريرك عريضة يطالب حتى آخر لحظة ببقاء قوات الاحتلال الى جانبه .

فقد حضر حفلة أقامتها مدرسة عينطورة (الفرنسية) يوم الثلاثاء في ١٥ ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ - ١٩ آذار ١٩٤٦ م بمناسبة عيد شفيعها القديس يوسف وكان في الحاضرين الجنرال بينه وجمهور من الموظفين والضباط الفرنسيين .

وقد مثل جورج حيمري الحكومة اللبنانية في هذا الاجتماع .

ولما استوى المدعوون حول مائدة الطعام نهض البطريرك الماروني والقى (باللغة الفرنسية) كلمة جاء فيها :

« وما معهد عينطورة هذا سوى ظاهرة واحدة من مظاهر الروابط الوثيقة التي تربط فرنسا بلبنان والخدمات الجلى التي اداها رجال فرنسا نحو وطننا المحبوب فيقضي الواجب باعلان هذا الجميل والمجاهرة به بل أني أذهب الى ابعد من هذا فأقول : ان الاستقلال الذي نتمتع به الآن انما هو وليد الجهود التي جاءت بها فرنسا منذ ان قدمت هذه البلاد برسالتها الإنسانية . . .

فنحن لا يمكننا نكران هذا الجميل ، بل اننا نخالف الذين يطالبون بجلاء الجيوش الفرنسية عن بلادنا .

وبما أن وجود هذه الجيوش عندنا لا يتنافى مع الاستقلال ، فاننا نشجب شجباً عالياً اولئك الذين يصرون على المطالبة بجلاء القوات

الفرنسية عن بلادنا . وفيما نحن نجاهر برأينا هنا نعرف اننا نعبر عن رأي الأكثرية الساحقة من عقلاء البلاد ورجال الوطنية الصادقة » (١٠) .

بعد هذا مهما قيل عن ان المارونية هي التي بنت لبنان ، فان هذا البناء لا يعدو كونه دعوة صريحة على مر الأجيال وتعاقب الدهور الى الاحتلال الأجنبي والانضواء تحت لواء المستعمرين ابتداء من العهود البيزنطية في اوائل الفتح الاسلامي الى آخر اجتياح إسرائيلي عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م مروراً بالحروب الصليبية ومراسلات البطريرك الماروني مع نابليون الثالث التي انتهت بحوادث ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م والانزال العسكري الفرنسي على شواطىء بيروت ثم الترحيب والولاء الكاملين للاحتلال الفرنسي ثانية ودعم قواته طوال مدة الانتداب . حتى ان اميل اده اعتبر ان الساحل اللبناني هو قاعدة بحرية فرنسية .

وقد ظلت فرنسا التي تمتعت بمركز ثقافي وتجاري ممتاز في المنطقة لا سيما لبنان منذ الحروب الصليبية تعتبر لبنان في دائرة نفوذها السياسي والثقافي والعسكري .

يقول بيار ورينيه غوسيه في كتابهما : « آسيا المرعبة » يتحدثان عن جولة قاما بها في بيروت :

« ان لجادة الفرنسيين معناها في بيروت ، ولن نخشى أن يصيبها ما اصاب شوارعنا في سايغون (*) » .

وبعد ان اجتمعا حول مائدة جورج نقاش مدير جيدة الأوريان التقيا (بجوزيف ح) مدير الشؤون الخارجية وصديقهم في السابق عندما كان وزيراً مفوضاً في بروكسل فقال لهم :

(*) سايغون : مدينة في الهند الصينية طرد منها الفرنسيون فتبدلت شوارعها اسماء جديدة وأوجهاً جديدة .

« انه لما حيل بينهم وبين فرنسا بعنف . . . وجدوا أنفسهم فجأة بلا ثقة أخرى ولا لغة أخرى ، ولا أسلوب من أساليب التفكير سوى تلك التي كانوا تعلموها في كلياتنا ومدارسنا (كليات فرنسا ومدارسها) » .

وفي معرض التهكم على البلاد الاسلامية والذي نال لبنان أمره يقول المؤلفان أن موظفاً في الجمارك أسر لهم : « ان لبنان هو الابن البكر لفرنسا »[11] .

الوصايا العشر

ان الالتزام الوحيد للدولة المستعمرة في لبنان هو اقامة وطن قومي مسيحي .

في عام ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م عثر في احد أديرة لبنان على منشور مكتوب باللغة الفرنسية موجه من فرنسا الى الموارنة ويتضمن عشر وصايا هذه ترجمتها :

من الدولة الأم الى ابنائها المخلصين . .

١ - قد رتبنا لكم أهم الأشياء التي تضمن لكم معيشة حسنة على هذه المنطقة ، مثل تمليك الأراضي والوكالات الأجنبية والوضع السياسي وشؤون النقد ، ويبقى عليكم ان تحافظوا على هذه المكاسب .

٢ - ان هذا الوطن لم يخلق الا لكم ، حتى تجمعوا شملكم وتباشروا حريتكم بعد الحروب الأخيرة التاريخية . فاعلموا جيداً ان كلمة لبناني معناها مسيحي . اما العرب الذين جاؤوا من الصحراء فيجب ان يعودوا اليها .

٣ - جاهدوا للسيطرة على المصايف وأمور السياحة وامتلاك ساحل

البحر وأخرجوهم من قراهم كلما أصبحتم أغلبية ، ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطي في مدينة غير بيروت لا يكون فيها مسلمون وذلك عندما تسنح لكم الفرص .

٤ ـ عليكم بأسباب القوة من رياضة وسلاح وتنظيمات للشباب واهتموا بالجيش وعليكم بكتمان أموركم .

٥ ـ احرصوا على الزعامة الأبدية مثل نشر الكتب والسيطرة على النقابات والاتحادات ، ولا تعترفوا بأن تراث لغتكم وتاريخكم ملك للمسلمين ، وحاربوا بلا هوادة الافكار والأشخاص الذين يعاكسون اتجاهاتكم .

٦ ـ ان الاختلافات المذهبية بينكم يجب الا تخرج عن النظرة السطحية لأن حياتكم مرهونة باتحادكم امام العدو الكافر من حيث انكم ابناء يسوع الذي علمنا المحبة .

٧ ـ ادرسوا دائماً مخططات الآخرين وتدخلوا معهم لكي تعرفوا ما عندهم . ولا مانع للبعض من التظاهر بتأييدهم عند الضرورة ، ولكن على كل واحد منكم ان يبقى مرتبطاً برؤ سائه وكنيسته .

٨ ـ ارفعوا شعائركم وكنائسكم في كل مكان مرتفع ، واعلموا بأن كل القوى الجبارة في العالم الحر تساعدكم وتقف الى جانبكم في اسرع وقت . ولكن عليكم ان تتصرفوا كأنكم لا تعرفون ذلك .

٩ ـ اجتهدوا بالتقرب من ملوك العرب ورؤ سائهم بالخدمات الشخصية ، وهذا شيء سهل جداً ، ولكنه يفتح لكم مجالات واسعة للعمل ، ويدر عليكم اموالاً هائلة ونفوذاً اكبر ، حتى في البلدان المستعصية عليكم .

١٠ ـ ان الجنسية اللبنانية شديدة الأهمية ، فدققوا كثيراً في ذلك ، واهتموا باخوانكم المغتربين والذين نزلوا عليكم من البلدان الأخرى ،

لتحتفظوا بحقوق الأغلبية المقررة لكم وإلا ضاعت كل الجهود [١٢] .

هـذا هـو الـدستـور الـسـري والحقيقي والعـملي لـمـا سمـي بـ « الجمهورية اللبنانية » .

والواقع أن هذه الأفكار تشكل منذ البداية البنود الرئيسية والسرية في المشروع الماروني وان كانت خافية على كثير من الناس .

فان فرنسا تعتبر ان كلمة لبناني معناها مسيحي وان لبنان لم يخلق الا للموارنة وان عليهم ان يعملوا جاهدين لاخراج المسلمين منه . ثم توصي فرنسا عملاءها بالسيطرة على الشواطىء وامتلاك ساحل البحر وذلك من أجل حرمان المسلمين من نعمة هذه الشواطىء وما فيها من مرافىء أولاً ولتسهيل اتصالاتهم مع أسيادهم في أوروبا ثانياً .

ان لبنان لا ينتظر من فرنسا شيئاً غير هذا وهو لا ينسى ان اول حملة صليبية احتلت مدن الساحل تألفت في فرنسا وكانت تضم ثلاثمئة الف مقاتل .

مفوض ماروني يحكم لبنان

عندما جرى تعديل الدستور في ٨ تشرين الثاني **١٩٤٣** م جرى الغاء النص على صلاحيات المفوض السامي . ونقلت هذه الصلاحيات الى رئيس الجمهورية ، الذي اصبحت له الكلمة الأخيرة في تقرير شؤون البلاد .

ان تعديل الدستور الغى الوجود الفرنسي الدستوري بلا شك ولكنه في الوقت نفسه سلم الموارنة احد أقوى مواقعهم في السياسة اللبنانية ، اي رئاسة الجمهورية .

فرئيس الجمهورية الذي انتقلت اليه بشطبة قلم صلاحيات المفوض السامي فوق صلاحياته الأصلية من غير ان يرافق ذلك اي تغيير آخر في الدستور ، اصبح في الحقيقة والواقع حاكم لبنان لا رئيس جمهوريته ، لأنه وريث الحاكم الانتدابي المطلق التصرف .

وكما كانت فرنسا تحكم البلاد من خلال المفوض السامي الفرنسي اصبحت الأقلية المارونية هي التي تحكم من خلال صلاحيات رئيس الجمهورية فرئيس الجمهورية اللبنانية يملك صلاحيات لا يملكها الملوك والأباطرة اذ يعقد وحده المعاهدات ويعلن وحده الحروب ويحل مجلس

النواب ويقيل الوزراء . ومن الخطورة بامكان ان مكتب الرئيس بكليته يديره نصارى .

وهكذا فان رئاسة الجمهورية رغم كونها اقوى مركز في لبنان - اذ تشتمل وظائف رئيس الدولة ، وسلطات المندوب السامي العليا كذلك - لا تعتبر سلطة مسؤولة ، وبذلك تجعل من رئيس الجمهورية حاكماً حقيقياً غير مسؤول يتمتع بامتيازات فوق العادة .

وهذا المركز الأعلى يشغله دائماً ماروني على الرغم من ان المسلمين يشكلون الأكثرية الساحقة .

وحتى عام ١٣٦٨ هـ - **١٩٤٩** م لم يكن رئيس الجمهورية هو قائد الجيش الاعلى الا انه في تلك السنة اضيفت لصلاحيات الرئيس - قيادة الجيش العليا وقد تم ذلك في عهد بشارة الخوري الذي حاول بما لدى مركزه من سلطات استثنائية أن يعدل الدستور بحيث يسمح له بإعادة انتخابه .

هذا التدبير حسم بشكل كامل الترادف بين رئاسة الجمهورية و « الشرعية » لامن الناحية القانونية فحسب بل من الناحية العملية بمعناها العسكري ايضاً . فضباط الموارنة كانوا ابتداء من عام ١٣٦٨ هـ - **١٩٤٩** م وحتى قيام الحملة الصليبية ضد مسلمي لبنان عام ١٣٩٥ هـ - **١٩٧٥** م وبعدها ، يتصرفون « شرعياً » لأنهم كانوا يتلقون التعليمات من شخص رئيس الجمهورية ، فلا أهمية لا لرأي رئيس الوزراء ولا حتى لوزير الدفاع ، بل لا أهمية لقائد الجيش نفسه رغم انه ماروني ، فللشرعية معنى بسيط وواضح ومختصر : هو ارادة رئيس الجمهورية .

ورئيس الوزراء لم يعد تماماً كما في الدستور ، الا أحد الوزراء ، كبيرهم اذا شئنا ، لكنه لا يزيد عن ان يكون احدهم .

يعتبر الموارنة ان مارونية الرئاسة الأولى هي « ضمانة لاستقلال لبنان » .

ويقول بطرس ضو « انها ضمانة لا للكيان اللبناني فحسب ولكن للوجود المسيحي والماروني ايضاً » .

ويؤكد بأن هذه الضمانة تقوم مقام « ألانتداب والحماية الغربية » .

ويزعم بطرس ضو « ان لبنان بفضل نظامه هذا ذي الرأس المسيحي ، اكثر تطوراً من كل البلدان الاسلامية ، واكثر ازدهاراً وارفع مستوى من الناحية الثقافية والحضارية والاجتماعية والإقتصادية من أي منها . . وابدال النظام ذي الرأس المسيحي بنظام اسلامي من شأنه ان يعيد البلاد الى الوراء » . لأن الاسلام على حد زعمه لا يقر « الحقوق التي تقرها شرعية حقوق الانسان وكل دساتير الأرض » .

ويعتبر : « ان النظام المسيحي هو لا طائفي وعلماني بالواقع ، لأنه مستوحى من الإنجيل ، والإنجيل لا يميز في التعامل بين الناس ، بين مؤمن وكافر وقريب وعدو ، بينما هذا التمييز من صميم الدين الاسلامي » .

وبعد ان يثني على « التشريعات الانسانية المعاصرة كالدستور الفرنسي والأميركي وشرعة الأمم المتحدة وشرعة حقوق الإنسان » التي « انبثقت » برأيه « من العدل والمحبة والمساواة » ، يخلص الى ان « لبنان هو في الشرق المعقل الوحيد للديمقراطية في العالم وخاصة في العالم الثالث المتخلف » مضيفاً : « هذا ما يجب بيانه وابرازه بالوقائع للعالم الحر وللأمم المتحدة وغيرها .

وأضاف : « ان الرئاسة حق مكتسب للموارنة منذ الفتح العربي (المقصود الفتح الاسلامي) وعهد المردة - اي الموارنة

الأولين . . . حتى المتصرفية اذ كان المتصرف مسيحياً كاثوليكياً - مروراً بعهد الأميرين اللذين كانا مارونيين أي فخر الدين وبشير الكبير » ، ثم دعا الموارنة الى « المجاهرة بهذا الحق والتمسك به دون ضعف » (١٣) .

ميثاق ١٩٤٣ م

والواقع ان ميثاق ١٩٤٣ م لم يكن اكثر من خدعة لأن الموارنة شكلوا فعلياً القوى الأساسية الحاكمة وتمكنوا من ربط البلاد اقتصادياً وثقافياً بفرنسا خاصة وبالغرب عامة . فيما لم يتمكن الجناح الأضعف من الظفر بأية مكاسب . على العكس فقد خسر كل شي . وقد اثبتت الأحداث المتعاقبة منذ عام ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م ان الحكم في لبنان هو حكم فئوي طاغ ، برز في كل عهد من عهوده مجموعة من المستغلين السماسرة الذين حولوا الدولة الى مزرعة خاصة .

ومنذ مطلع الاستقلال باتت الادارة ملكاً للسياسيين، والموظف فيها أصبح رهينة بيد الذي وظفه ولذا كانت الشعارات تطلق على الموظفين في كل عهد . ففي عهد بشارة الخوري كان الشعار الدستوري هو السائد وفي عهد كميل شمعون درجت كلمة الشمعوني ، وفي عهد فؤاد شهاب خلقت « الشهابية » أجواء الادارة ، وفي عهد شارل الحلو تقاسم الإدارة الموظف الكتائبي والشهابي خلال ست سنوات ، وفي عهد سليمان فرنجية عمت كلمة « الزغرتاوي » معظم ادارات الدولة . ان الأحداث التي مرت على لبنان منذ العهد الاستقلالي برهنت ان الإدارة اللبنانية كانت رهينة بيد الحاكم .

فما يدعى بالميثاق الوطني هو في الحقيقة أعلان وحيد الجانب ، وقع فيه المسلمون صك اندحارهم تجاه المستعمرين وحلفائهم الداخليين ، وتسليمهم بأن الحكم شأن ماروني دون منازع ودون ان يحصلوا في المقابل على أي مكسب ،سوى الحاقهم رغم أنفهم بالدولة الجديدة .

اعتمد النظام الماروني سياسة التفرقة بين المسلمين وذلك في محاولة للإبقاء على أقصى حدود التجزئة والتباعد بين أبناء الدين الواحد ، ثم عمد الى اعطاء بعض رجال الدين من كل الطوائف رتباً ممتازة تحت ستار « صيغة التعايش » .

والهدف هو منع حدوث اي تمرد أو عصيان من اية طائفة كانت ما دامت كل الطوائف قد ارتبطت برؤ سائها .

والمعلوم ان زعيم كل طائفة كان يجد نفسه على الدوام بحاجة الى التحالف مع النظام من اجل البروز على شاشة التلفزيون او على صفحات الجرائدة والمجلات . فما على المسلم المطالب بحقوقه الا ان يبحث الأمر مع « زعيم الطائفة » لكي يوظفه فالمسؤول هو هذا الزعيم وليس الحكومة او النظام .

لقد عمد الموارنة الى احاطة انفسهم بحاشية من الانتهازيين الذين لا تهمهم الا مصالحهم الذاتية ولا تهمهم مصالح المسلمين ، طبقاً لسياسة بني صهيون .

جاء في البروتوكول الثامن لحكماء صهيون :(١٤)

« سوف نعد بهذه المناصب الخطيرة الى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم كي تقف مخازيهم حاجزاً بين الأمة وبينهم ، وكذلك سوف نعد بهذه المناصب الى القوم الذين اذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن ، والغرض من كل هذا انهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذي تنفث به صدورهم » .

اذن فالموارنة نجحوا في الخطة تماماً لأنهم احتكروا ثروة البلاد لهم وصرفوا عنهم الأنظار . ان سلطتهم لا تقوم الا على هذه التجزئة وهي اشبه ما تكون بالنظام الاقطاعي الذي كان سائداً ايام الدولة العثمانية . فالمسلمون تحولوا الى طوائف وأحزاب واصبح على كل مسلم ان يطالب بحقوقه من المقاطعجي المسؤول عنه معمماً كان او نائباً أو وزيراً أو رئيس شركة او رئيس مجلس .

ان قراءة في الوثائق تثبت ان ما يسمى بالزعماء المسلمين ليسوا إلا جماعة من أعوان النظام وأنصاره .

ولنأخذ مثالاً على ذلك كامل الأسعد الذي ورث الزعامة عن آبائه واسرته المعروفة بعمالتها القديمة لفرنسا والمحسوب زوراً وبهتاناً على قسم كبير من مسلمي لبنان .

في أواسط ذي القعدة ١٣٣٠ هـ - ١٤ تشرين الأول ١٩١٢ م بعث القنصل الفرنسي في بيروت (كولاندر coulondre) رسالة الى رئيس فرنسا (بوانكاريه -poincaré) يطرح فيها مشروع اقامة صلة بين كامل الأسعد الاول (جد كامل الأسعد الحالي) والقنصلية العامة الفرنسية وذلك بمناسبة الحملة الإنتخابية التي قام بها كامل الاسعد الجد من اجل انتخابه عضواً لمجلس « المبعوثان » ولحاجته لدعم مسيحيي المنطقة .

ويؤكد القنصل « ان افتتاح المرحلة الانتخابية قدمت » له الفرصة لعقد صلات مع الرجل المذكور والذي « ابدى دائماً بعض الليبرالية والموقف المتفهم حيال المسيحيين ، وقد اكسبته طبيعة مشاعره تجاههم تعاطفهم معه » .

ويتضح من الوثيقة ان كامل الأسعد أعلم القنصل بواسطة الدكتور الفرد خوري انه يرغب « في اقامة علاقات مع القنصلية العامة . فهو لكونه مرشحاً للانتخابات التشريعية اعتبر بدون شك أن » دعم القنصلية

« يضمن له مساندة الاكليروس الماروني « والملكي » في المنطقة مما يزيد في عدد الأكثرية المؤيدة له » .

ويضيف القنصل : « ان فرصة كسب تعاطف هذه الشخصية النافذة ينبغي الاستفادة منها . لذلك طلبت الى مطارنة المنطقة الا يلتزموا حياله قبل ان يتلقوا رأياً من قبلنا ، وفي الوقت نفسه جعلت الزعيم . . . يعرف ان القنصلية تكن له وداً ورغبة في استقباله صديقاً . وبعد أيام قليلة تلقيت زيارة أخيه وأبناء عمه الذين اعتذروا عن قريبهم الذي اضطر أن يبقى بعيداً عن بيروت بسبب مهمات الحملة الإنتخابية وقدموا لي كامل اخلاصه . وبعد طول تبادل في اللياقات والآداب الشرقية . . . صرحت لمحدثي انني اثق بكلامهم وصدقه ، بنفس القدر الذي يعبر عن توافق عواطفهم مع مصالحهم التي اعترفوا بها دون صعوبة . وقد برهنت لهم ان فرنسا مدعوة ان تلعب دوراً اكثر أهمية وأكثر اتساعاً في سوريا وأكدت لهم ضمان صداقتنا ومساعدتنا دون شرط مبادلتنا ذلك . وانني اتشرف بارسال رسالة كامل بك الاسعد التي بعثها لي في هذه المقابلة . وانني سأبذل جهدي في كسب صداقته التي يمكن ان تكون في عدة وجوه مفيدة لنا . لقد طلبت من المطارنة الذين تملك القنصلية بعض التأثير عليهم ان يدعموا ترشيحه . وأقترح ايضاً انه عندما تصل قطع بحرية حربية فرنسية الى شواطىء سوريا ، ينبغي اغتنام الفرصة للقيام بزيارة رسمية له بصحبة القائد .

ان تقرب كامل الأسعد من فرنسا لهو امر ثمين ذو معنى . فهو يحقق لنا نمواً ملحوظاً في النفوذ الفرنسي في منطقة كانت حتى هذا الحين بعيدة تماماً عن تأثيرنا ، كذلك يحقق لنا مساندة حوالي ٧٠٠٠ (سبعة آلاف) محارب في وقت الحاجة . وهو يدل فضلاً عن ذلك ان نفوذ فرنسا لا يضعف في سوريا » [١٥] .

وما ينطبق على كامل الأسعد ينطبق على غيره ايضاً لا سيما بعض من لبسوا لباس علماء الدين من الذين يلعبون دور وعاظ السلاطين ويتولون في ظل النظام الماروني شؤون الإفتاء وأمور الحلال والحرام ، وتقسيم المسلمين الى نحل ومذاهب وطوائف تتمثل كل منها بمجالس ومؤسسات مزيفة يقوم على رأسها المفتي المسؤول عنها .

ويكفي ان كميل شمعون كان وراء تنصيب مفتي الجمهورية ، وكذلك اصدر شارل الحلو في ١٢ كانون الأول ١٩٦٧ م مرسوماً يقضي بانشاء المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى لا حباً بالشيعة كما روجوا .

وحتى يحال بين علماء المسلمين الأكفاء الذين يشكلون وحدهم الزعامة الحقيقية والوحيدة وبين تحرير المسلمين من هذا التقسيم الاصطناعي ، فقد انتحل رؤساء الجمهورية لأنفسهم وكما فعل أسيادهم الفرنسيون من قبل سلطات خليفة المسلمين ، بتعيين العلماء « كموظفين حكوميين » .

ان القلة المارونية الحاكمة اصبحت تعين ، بمراسيم حكومية المفتي الأكبر وغيره ، قادة رسميين لأقسام الطائفة الاسلامية المجزأة بالتسجيل رغم انها لم تحاول فعل ذلك بما يتعلق بالطائفة المارونية ، او الأرثوذكسية او غيرها من المجموعات النصرانية الأخرى التي تصدر تعييناتها او تثبيتها من البابا ، او بطاركة انطاكية المختلفة .

ان هذه الدمى التي كان يدفع بها النظام الماروني الى الواجهة لا تستطيع حتى ان تعادي الدولة لأنها هي التي أوجدتها وعرفت الناس بها .

ان ثورية الزعامات المزعومة سرعان ما تبرز بالملموس ارتماء في احضان النظام الماروني والسبب هو أن زعامات هذه الطائفة او تلك لا يمكن ان تكون الا في عداد الزعامات المسيطرة والمستكبرة لا من بين جماهير المستضعفين .

ان هذه الثورية المزعومة لبعض زعامات الطوائف اللبنانية المسحوقة ليست إلا محاولة لتحسين مواقع نفوذهم في المشاركة ضمن تركيبة النظام الإقطاعي الماروني .

وعندما يحدث أن تكتب الصحف او يذيع الراديو نبأ عن معارضة هذا الزعيم او ذاك وتحديه للنظام فان الأمر يكون مدروساً من جميع الأوجه والاحتمالات .

فالزعيم الذي ينتقد النظام او يثور عليه انما يفعل ذلك من أجل أن ينال رضى مقاطعته وتأييدها والالتفاف حوله لكي يصبح ممثلاً شرعياً ووحيداً لها . وفي اليوم التالي يجدد بيعته « للميثاق » و « للبنان الوطن » و « لصيغة التعايش » وللنظام ذاته الذي لولاه لم يصبح زعيماً .

اذن فدعم النظام للنزعات المذهبية الفاغة لم يكن الا من اجل الحفاظ على النظام ذاته .

ان صيغة «الطوائف» كما أوجدها النظام الماروني هي خط الدفاع الأول والأخير له .

وهذه الصيغة مكنت الموارنة فيما بعد من تحويل الاسلام الى مؤسسات جامدة وداعمة للنظام . لم تلبث ان أصبحت جزءاً من تركيبة الدولة وجهاز الحكم لأنها أعطت لأرباب هذه الدولة شرعية الحكم والحل والربط .

لقد عمد النظام الماروني الى انشاء عدة تيارات واتجاهات من أجل تمويه الحقائق على الناس مما يؤدي الى قصورهم عن فهم الحوادث وأسبابها الحقيقية فهماً صحيحاً .

ذلك ان المشروع الماروني ومن اجل ان يصل الى شاطىء الأمان ويخرج الى النور فانه يحتاج الى بلبلة العقول وتشويش الرؤيا وتزييف الحقائق وحمل الناس على الضياع في مهاترات سياسية وتعليق الآمال على تصريحات ومواقف وشخصيات ووعود معسولة كلها ضرب من الخيال . ثم ازدادت الأوضاع سوءاً فتحول الانتماء الاسلامي الى عصبية مذهبية وانتماءات اقليمية وقومية وفرق حزبية متناحرة . ثم ظهرت تجمعات وحركات سياسية وحزبية عديدة تتنازع على تمثيل المسلمين .

هكذا استطاع الموارنة ان يحولوا المسلمين ونقولها بكل أسف الى ما يشبه سلعة تجارية تعدد مدعو وكالتها فراحوا يتنافسون ويتراشقون بالتهم من أجل الحصول على هذه الوكالة المزورة .

ذاك هو ميثاق ١٩٤٣ م (١٣٦٢ هـ) الذي انجب هذه الصيغة المشؤومة .

وهذه الصيغة انما هي بدعة هدفها تبرير الحكم الماروني .

بشارة الخوري اول وريث لسلطة الانتداب

في عهد بشارة الخوري كانت وطأة الفساد تزداد ازدياداً واضحاً ، فعمت المتاجرة في النفوذ ، وكثرت الفضائح ، ومما ساعد على انتشار

الفساد صلات الصداقة والقربى التي جمعت بين « رئيس الجمهورية » وكبار رجال الأعمال الذين استفادوا من وجوده في الحكم لخدمة مصالحهم .

رسم اسكندر رياشي صورة حية عن عهد بشارة الخوري كتب يقول :

« احاط ميشال شيحا . . . مدير البنك والكاتب الألمعي بشارة الخوري من اليمين ، وأحاطه من اليسار هنري فرعون ، وجيه الكاثوليك في البلاد ،المليونير الجريء المعروف وصاحب المكانة في عالم الرياضة وحياة الأندية الاجتماعية الحالية » .

وفي مقدمة رجال الأعمال الذين احاطوا بشارة الخوري آل كتانة وفريد شقير المليونير المشهور ، والفتال ، وعدد كبير من رجال المال والأعمال الذين اخذوا يدورون بفلكه ويستبشرون ، ويرون فيه الشمس الطالعة ، وكان هناك ايضاً أصهار وأقارب آل شيحا الكثيرون المعروفون في عالم الوجاهة المالية [١٦] .

والى جانب هذا كله كان أخوه سليم ـ الذي لقب بالسلطان سليم ـ السمسار الأكبر في الدولة .

وقد حاول بشارة الخوري بيع اراضي المرفأ الى هنري فرعون وكانت الحكومة قد اشترت اراضي واسعة عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م لتوسيع مرفأ بيروت ، لتكون مستودعات وعنابر ، ورغم أن بيع عقارات الدولة يقتضي مناقصة عامة ، فقد جرت مداولات سرية لبيع الأراضي الى احد أقرباء الخوري على ان تحدد لجنة من الخبراء ثمن الأراضي . وقد نسب كميل شمعون لنفسه ايقاف هذه العملية بوصفه وزيراً للمال . وكانت المحاولة قد جرت عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٤٧ م [١٧] .

وقد استثمر بشارة الخوري مركزه كرئيس جمهورية الى أقصى حد

وسهل لأنسبائه الثلاثة : هنري فرعون ، ميشال شيحا وفريد شقير شراء أرض سكة حديد الحجاز وهي ملك للحكومة بشروط مفيدة لهم، وتشييدهم فوق تلك الأرض بناية كانت وقتها أكبر بنايات بيروت واستثمارها لمدة مئة سنة على ان تعود بعد ذلك للحكومة . كذلك تسهيل استملاك أراضي خلدة والأوزاعي واليرزة وبناية النجمة في بيروت [18] .

وكانت مدة رئاسة الجمهورية قد أعيد تحديدها ، قبيل انتخابات ١٩٤٣ م ، بست سنوات غير قابلة للتجديد .

فما ان جاء عام ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م حتى تبين ان الخوري ينوي تعديل الدستور ليتمكن من تجديد مدة رئاسته . وكان ذلك العام موعداً لأول انتخاب نيابي يجري في عهد الاستقلال . وجرى هذا الإنتخاب فعلاً في ٢٥ أيار ١٩٤٧ م فكان فضيحة العهد الكبرى . اذ لجأت الحكومة فيه الى التزوير على نطاق واسع لتضمن المجيء بمجلس جديد مؤ يد للرئيس ، وقد اكد اسكندر الرياشي في مقال كتبه في « الصحافي التائه » ان عدداً من النواب قد جرى تعيينهم من قبل ميشال شيحا الذي مول الانتخابات فكان لبنك فرعون - شيحا وهو الذي كان يدير سياسة الدولة الأقتصادية وتشريعها المالي أربعة وعشرون نائباً ، هم « زلمه وزبائنه ومدينوه وصنائعه وهو الذي عملهم نواباً » .

وفي العام التالي قام هذا المجلس الجديد بتعديل الدستور بحيث أفسح لبشارة الخوري، بصورة استثنائية مجال انتخابه لمدة ست سنوات أخرى تبتدىء في ١٣٦٨ هـ - أول أيلول ١٩٤٩ م .

وفي انتخابات ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م التي وصفها بشارة الخوري بأنها انتخابات مثالية في مذكراته (حقائق لبنانية)،في هذه الانتخابات كانت تدار معركة لوائح القصر بالجهاز الذي لم يعد سرياً آنذاك وعلى رأسه « السلطان سليم » اخو بشارة الخوري . وقد افتعلت السلطة حادث

الصدام بين الدرك وبين جماعة في سكان الباروك في محاولة لكم الأفواه .

حاول المجلس دعم الرئيس القديم حتى النهاية ضد رغبات الشعب وما لبث الشعب ان تمكن ، اثر اضراب عام دام بضعة أيام من تنحية هذا الحاكم عن الرئاسة في نهاية عام ١٣٧١ هـ - ١٨ أيلول ١٩٥٢ م بعد تسع سنوات من توليه الرئاسة [19] .

دور الجيش

لقد اعتبر الموارنة ان الجيش هـو ضمانـة دائمة مستقـرة لبقائهم على رأس الحكم وقد حرصوا منذ البـداية على جعله جيش نـظام لا جيش وطن وكانوا على الدوام يطالبون بتثبيت هذا الواقع وتجـذيره وتـوسيع مجـالاته . حتى اصبح الجيش وقفاً مارونياً خالصاً وجزءاً من ممتلكات الكسليك .

ان عـلامـات استفهـام كثيـرة تـطرح نفسهـا حـول تـاسيس « الجيش اللبناني » . اولى علامـات الاستفهام تلك تـوضع حـول الزيـادة الكبيـرة في اعـداد الضباط النصـارى على انـدادهم المسلمين عنـدمـا انشئت الفـرق اللبنانية في الجيش الفـرنسي في حين ان العكس كان مـطبقاً على مستـوى الأفراد وهذا الواقع ما زال سائداً حتى الآن .

ثـاني الاستفهـامـات ، ان حكـومـة الاستـقـلال بعـد استـلامهـا لقيـادة جيشهـا ، عمدت الى تعيين قـائـد مـاروني لـه (فؤاد شهـاب) ولم تكلف مسلمـاً بهـذه المهمــة رغم وجـود ضبــاط مسلمين صـالحين لمثـل هـذا المنصب .

وثالث علامـات الاستفهام ، ان فؤاد شهـاب نفسه ، عمـد الى تعيين ضباط موارنـة في المراكـز الأساسيـة والادارات الحساسـة في الجيش يأتي بعدهم باقي النصارى ويأتي المسلمـون في الدرجـة الثالثـة . هذا بـالرغم من عدم وجود أي نص في الدستور او القوانين اللبنانيـة في ذلك الـوقت ، يقضي بـطائفية او فئـوية هـذا المنصب أو ذاك ، او بـأرجحية طـائفـة على أخـرى ، ولا على انتمـاء او تخصص الجيش اللبنـاني بحمـايـة فئـة أو طائفة ، على حساب او دون مراعاة مصالح الفئات اللبنانية الباقية .

ان هـذه الهيمنـة المـارونيـة تحـولت الى قـانـون مقـدس ومتبع على الـدوام فالـولاء للنظام المـاروني والانتماء للأقليـة المارونيـة هما الأسـاس بنظر أصحاب المشروع الماروني لبناء أي جيش في لبنان .

فهذه المؤسسة العسكرية هي واحدة من المؤسسات « الركائـز » في بنية النظام الماروني ومفتاح رئيسي من مفاتيح السلطة ، لم تقبـل الأقليـة المارونية الحـاكمة تحت اي حجـة او منطق التنـازل عنه او افسـاح المجال لسـواها كي تتبـوأ مناصبـه الرئيسيـة او تمسك بـزمام القـرار فيـه . والجيش اللبنـاني يشبـه في بعض النـواحي « الامـارة » من حيث ان القـائـد مـطلق الصــلاحيـة،والآخـرين على اختـلاف مـراتبهـم « رعيـة » فمنصب رئيس الأركان على سبيل المثـال منصب شبه بـروتوكـولي والقـائـد هو الـذي يعين مفتش الجيش خلافاً لكل قوانين العالم العسكرية .

وقـائد الجيش مـاروني يعين من قبل رئيس الجمهـورية ويـرتبط بـه مبـاشرة ولـه حق الاشراف الكـامل والشـامل على الجيش وتحـديد مهـامـه ومستلزماته .

مـدير المخـابرات في الجيش مـاروني يعين من قبـل قـائـد الجيش ويرتبط به مباشرة وله صلاحيات قانونية واسعة منها :

أ ـ وضع السياسة العامة للاستعلام العسكري .

ب ـ ضبط معنويات الأفراد .

ج ـ امن الجيش الداخلي .

د ـ ارساء العلاقات مع الجيوش الأجنبية والملحقين العسكريين .

هـ ـ وضع خطط قمع النشاطات المعارضة للنظام .

و ـ مراقبة المطبوعات .

ان الجيش مهمته ان يبقي للموارنة دورهم الأول في السياسة اللبنانية وفي جملة مقومات هذا الجيش ان تكون قيادته مارونية يتحد فيها مفهوم الولاء للوطن بمفهوم الولاء للنظام اتحاداً كاملاً .

بعد حرب فلسطين التي أثرت بشدة على دور الجيش وعلى نظرة اللبنانيين الى جيشهم زجوا الجيش في حوادث ثأرية ضد ابناء احدى عشائر بعلبك انتقاماً لمقتل أحد ضباط الجيش المجرمين بحق ابناء المنطقة نفسها وهو كاثوليكي الانتماء .

عمد الحكم اللبناني الى استنفار قواه ، وأرسل وحدات الجيش المتمركزة في ثكنة أبلح ودفع رئيس الجمهورية بشارة الخوري بقواته . وبالرغم من وقوع عشرات حوادث القتل في كل انحاء لبنان لم تبادر الدولة الى القيام تجاهها بعمل في هذا المستوى .

عاد الجيش من المعركة مهزوماً وعلى اثر هذه الحادثة وحين التقى المطران مبارك اغناطيوس مبارك والبطريرك انطون عريضة برئيس الوزراء رياض الصلح قال له الأول احتجاجاً على الحادثة :

« ماذا يريد المسلمون من لبنان ، فللشيعة العراق والكوفة ، وللسنة الجزيرة ومكة اما لبنان فلنا نحن المسيحيين »[٢٠] .

الاستقلال اللبناني في الكتب المدرسية

عندما تتحدث كتب التاريخ المدرسية في ظل النظام الماروني عن الاستقلال فانها تركز على حادثة اعتقال رئيس الجمهورية والوزراء وربط انجاز الاستقلال بإطلاق سراحهم في ٢٢ تشرين الثاني (١٩٤٣ م) الذي اصبح فيما بعد عيداً وطنياً للاستقلال علماً ان هذا الاستقلال وان كان ظاهرياً اعلن رسميا في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١ م ولم يصبح عملياً إلا في ٢٩ آب ١٩٤٣ م .

ان التركيز على العلاقة بين « الاستقلال » ومساجين قلعة بشامون اعطى لهؤلاء امتيازات جمة فما يزال بعضهم الى الآن يحتل مقاعد في مجلس النواب ومجلس الوزراء .

ثم ان هذا التركيز يعطي انطباعاً بأن تحقيق الاستقلال لم يكن ممكناً لولا هؤلاء .

والحديث عن الاستقلال في كتب المدارس النصرانية هو مناسبة للحديث عن « جميع رؤساء الجمهورية » الذين تعاقبوا على الحكم وتسليط الأضواء عليهم وكأن الاستقلال هو من صنعهم، وذلك بقصد الأشارة من جهة الى اهمية سدة الرئاسة الأولى التي هي مارونية منذ ما

قبل الاستقلال ، ومن جهة أخرى الى ان النصارى عامة والموارنة خاصة هم الذين صنعوا لبنان وبالتالي هم المسؤولون بالدرجة الأولى عن الحفاظ على ما صنعته أيديهم .

ثم ان جميع الكتب خلال سردها لمراحل الاستقلال فانها تكتفي بسرد الاجراءات القانونية والادراية التي ادت اليه ، والتي رافقته وتسهب في الحديث عن العلم الجديد وتخليد ذكرى الاستقلال على لوحة رخامية على صخور نهر الكلب وادارة المؤسسات اللبنانية ، دون ان تتطرق الى المكتسبات التي حققها او التي كان يجب ان يحققها الاستقلال على الصعيد الاجتماعي والإقتصادي والسياسي .

ان جميع الكتب تتحاشى الخوض في هذه المواضيع لئلا ترى نفسها مضطرة لاجراء مقارنة بين عهد ما قبل الاستقلال وعهد الاستقلال وبالتالي لكي توفر على نفسها الاجابة امام تلاميذها عن السؤال :

« لماذا يجب ان نعتبر الاستقلال محطة انتقال في حياة لبنان واللبنانين؟ وماذا أضاف الاستقلال على حياة اللبنانين لكي نعتبره عيداً وطنياً ؟ فلكي تتحاشى الأجابة على هذه الأسئلة ، تقصر الكتب حديثها على الاجراءات الشكلية التي رافقت الاستقلال او نتجت عنه .

وبينما تتحاشى الخوض في المواضيع الاصلاحية والاجتماعية في درس الاستقلال ، نرى جميع الكتب تركز على الاصلاحات والانشاءات التي حققها الانتداب الفرنسي على جميع الأصعدة .

وتركز كتب الدولة والمدارس المسيحية على تمثيل لبنان في المنظمات الدولية والغربية واشتراكه في هيئة الأمم المتحدة وفي الجامعة العربية وفي المحاضرات والهيئات والمؤتمرات الدولية وارسال السفراء الى جهات العالم الأربع دون ان تتحدث شيئاً عن نتائج هذا الاستقلال على الصعيد الداخلي .

ان هذا التركيز على نتائج الاستقلال على الصعيد الخارجي انما هو من جهة دعوة للتلاميذ الى الاهتمام بالمظاهر السطحية دون النظر الى العمق ، إنه لفت نظر الى اهمية الشكليات الدبلوماسية ، التي لا تعني شيئاً على مستوى الاستقلال ، فيمكن ان يكون البلد ممثلاً في هيئة الامم المتحدة دون ان يكون مستقلاً فعلاً .

ومن جهة ثانية هو نوع من الهروب من الحديث عن نتائج الاستقلال على الصعيد الداخلي ، هذه النتائج المفروض ان تعطي اكثر من غيرها الصورة الحقيقية عن هذا الاستقلال . والمقصود بذلك التأكيد للتلاميذ على ان استقلال لبنان كما هو حالياً معترف به دولياً وهذا مما يرسخ هوية لبنان الحالية ذات الطابع الغربي بنظرهم ويثبت دعائم النظام الماروني

الحريات

ان الحرية يجب ان تكون اداة للتغيير بينما هي في لبنان كرست الوضع القائم اذ استطاع الموارنة أن يستفيدوا من كل الشعارات من اجل تثبيت دعائم سلطتهم .

فحرية العقيدة تهدف الى تشكيك الناس بعقائد الاسلام عن طريق النقد الحر وترويج المجلات والصحف ذات الثقافة الماجنة . والحرية الاجتماعية هي حرية الانحلال الخلقي وارتكاب الجرائم والاعتداء على المقدسات وجر الجيل الى مستنقع الفساد والرذيلة ومراكز القمار ، وحرية صالات السينما في استيراد الأفلام والأزياء الأجنبية وترويج الثقافة الماجنة ، ثقافة الصدور العارية والخصور النحيلة .

جاء في البروتوكول التاسع لحكماء صهيون : (٢١)

« لقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها ، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة وخارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل ، بل بتحريفها في بساطة ، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد اليها مشترعوها » .

ان المجتمع الاسلامي في لبنان تحول بفضل النظام الماروني الى مجتمع خاضع للسياسة الصهيونية .

ان التعاون الصليبي ـ الصهيوني خلق مجتمعاً هو بالتحديد ذلك المجتمع الفاسد الذي وصفه اليهود في بروتوكولاتهم وعزموا على ايجاده .

فانتشرت الخمور والمسكرات في المَحلات والمؤسسات من اجل افساد الجماهير خلقياً وتدمير كل القيم الاسلامية والروحية لأن النظام الماروني ليس بإمكانه ان يحكم شعباً يتمسك بهذه القيم .

الحرية السياسية والإجتماعية

جاء في البروتوكول الأول لحكماء بني صهيون بصدد هذا الموضوع :

« ان الحرية السياسية ليست حقيقة بل فكرة . . ان صيحتنا الحرية والإخاء والمساواة قد جلبت الى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين » .

وجاء في البروتوكول التاسع :

« ان الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي « الحرية والمساواة والاخاء ـ تماماً نفس الشعارات التي طرحتها الثورة الفرنسية ـ وسوف لا نبدل كلمات شعارنا بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة ، وسوف نقول حق الحرية وواجب المساواة وفكرة الإخاء وبها سنمسك الثور من قرنيه ، وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة الا قوتنا » .

لقد استورد النظام الماروني هذه الخطة من حلفائه الصهاينة واستطاع ان يحيط نفسه بهالة من الشعارات الفارغة كتلك الشعارات التي تطرحها الماسونية من أجل مسخ كل المبادىء والنظريات وتزييفها .

ان النظام الماروني اعطى للناس الحرية الشكلية في التعبير عن الرأي ولكنه احتفظ لنفسه بكل الحريات وعلى حساب الناس .

ان الحرية السياسية التي يتمتع بها الانسان ليست بذات قيمة ما دام النظام الحاكم هو الذي يتخذ القرار ويسوس الناس بالبطش والإرهاب .

ماذا يفعل المستضعف بهذه الحرية الشكلية بالتعبير عن رأيه اذا كانت مقدرات الدولة كلها حكراً على الصليبيين من أحفاد لويس وشارلمان ونابليون ان هذه الحرية لا تسمن ولا تغني عن جوع .

وهذه المقايضة ليست بذات قيمة ولم تمنح المسلمين شيئاً بل انها سلبتهم كل شيء مقابل ان يدرج الصحفي مقالاً في جريدة او مجلة يغمز فيه من قناة الحكام الذين لا تهمهم كل ما تبديه الصحف والجماهير من امتعاض واستياء وتذمر وشكوى ما دام الدستور قد منحهم صلاحية الحكم بهذا الثمن الزهيد .

حرية النشر

جاء في البروتوكول الخامس لحكماء صهيون :

« ان المشكلة الرئيسية لحكومتنا هي كيف تضعف عقول الشعب بالانتقاد وكيف تفقدها قوة الإدراك التي تخلق نزعة المعارضة ، وكيف تسحر عقول العامة بالكلام الأجوف . . .

ولضمان الرأي العام يجب اولاً ان نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحي لكل اساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأميون في متاهتهم . وعندئذ سيفهمون ان خير ما يسلكون من طرق هو ان لا يكون لهم رأي في المسائل السياسية ، هذه المسائل لا بقصد منها أن يدركها الشعب بل يجب ان تظل من مسائل القادة الموجيهن فحسب وهذا هو السر الأول » .

اذن فالنقد على أسس غير صحيحة يؤدي الى تعطيل العقول وتضليلها عن طريق الاغراء بتشجيع الجدل من أجل الجدل لا من أجل الحق .

وهذه البلوى عمت كل الشعوب المستضعفة .

وجاء في البروتوكول الثاني عشر :

« وفي الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية وستكون دائماً يقظة للدفاع عن مصالحنا ، ولذلك سيكون نفوذها على الشعب ضعيفاً نسبياً .

وفي الصف الثاني سنضع الصحافة شبه الرسمية التي سيكون واجبها استمالة المحايد وفاتر الهمة . وفي الصف الثالث سنضع الصحافة التي تتضمن معارضتنا، والتي ستظهر في احدى طبعاتها معارضة لنا ، وسيتخذ اعداؤنا الحقيقون هذه المعارضة معتمداً لهم ، وسيتركون لنا ان نكشف أوراقهم بذلك .

ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة ، من ارستقراطية وجمهورية وثورية ، بل فوضوية ايضاً ، وسيكون ذلك طالما ان الدساتير قائمة بالضرورة وستكون هذه الجرائد مثل الاله الهندي فشنو له مئات الأيدي وكل يد ستجس نبض الرأي العام المتقلب .

ومتى أراد النبض سرعة فان هذه الأيدي ستجذب هذا الرأي نحو مقصدنا ، لأن المريض المهتاج الأعصاب سهل الأنقياد وسهل الوقوع تحت اي نوع من أنواع النفوذ . وحين يمضي الثرثارون في توهم أنهم يرددون رأي جريدتهم الحزبية فانهم في الواقع يرددون رأينا الخاص ، او الرأي الذي نريده . ويظنون انهم يتبعون جريدة حزبهم على حين انهم في الواقع يتبعون اللواء الذي سنحركه فوق الحزب ، ولكي يستطيع جيشنا الصحافي ان ينفذ روح هذا البرنامج للظهور بتأييد الطوائف

المختلفة يجب علينا أن ننظم صحافتنا بعناية كبيرة .

وباسم الهيئة المركزية للصحافة سننظم اجتماعات أدبية ، وسيعطي فيها وكلاؤ نا ـ دون ان يفطن اليهم ـ شارة للضمان وكلمات السر .

وبمناقشة سياستنا ومناقضتها ، ومن ناحية سطحية دائمة بالضرورة ودون مساس في الواقع بأجزائها المهمة سيستمر أعضاؤ نا في مجادلات زائفة شكلية مع الجرائد الرسمية ، لكي تعطينا حجة لتحديد خططنا بدقة اكثر مما نستطيع في اذاعتنا البرلمانية ، وهذا بالضرورة لا يكون الا لمصلحتنا فحسب ، وهذه المعارضة من جانب الصحافة ستخدم أيضاً غرضنا ، اذ تجعل الناس يعتقدون ان حرية الكلام لا تزال قائمة ، كما انها ستعطي وكلاءنا فرصة تظهر ان معارضينا يأتون باتهامات زائفة ضدنا ، على حين انهم عاجزون عن أن يجدوا اساساً حقيقياً يستندون عليه لنقض سياستنا وهدمها .

هذه الإجراءات التي ستختفي ملاحظتها على انتباه الجمهور ستكون انجح الوسائل في قيادة عقل الجمهور ، وفي الإيماء إليه بالثقة والاطمئنان الى جانب حكومتنا . . . .

وان الأخبار التي سننشرها ستعتمد على الأسلوب الذي يتقبل الشعب به ذلك النوع من الأخبار ، وسنحتاط دائماً احتياطاً عظيماً لجس الأرض قبل السير عليها والمقالات الجوفاء التي سنلقي بها في الصف الثالث من صحافتنا سنفندها عفواً بالضرورة تفنيداً ، شبه رسمي .

يقوم الآن في الصحافة الفرنسية نهج الفهم الماسوني (اي تكوين الجماعة سرياً والتفاهم بين أعضائها بطريقة لا يفهمها غيرهم) لإعطاء شارات الضمان فكل أعضاء الصحافة مرتبطون بأسرار مهنية متبادلة على أسلوب النبوءات القديمة ولا أحد من الأعضاء سيفشي معرفته بالسر ، على حين ان مثل هذا السر غير مأمور بتعميمه .

ولن تكون لنا شر بمفرده الشجاعة على افشاء السر الذي عهد به إليه والسبب هو أنه لا أحد منهم يؤذن له بالدخول في عالم الأدب ما لم يكن يحمل سمات بعض الأعمال المخزية في حياته الماضية .

وليس عليه ان يظهر الا أدنى علامات العصيان حتى تكشف فوراً سماته المخزية . وبينما تظل هذه السمات معروفة لعدد قليل تقوم كرامة الصحفي بجذب الرأي العام اليه في جميع البلاد وسينقاد له الناس وسيعجبون به » .

فحرية النشر لم تكن الا من أجل تدمير المجتمع الاسلامي ودفعه الى الفساد .

هذه السياسة تعاون على تنفيذها موارنة لبنان مع الصهاينة . ومن بنود هذه السياسة تحويل انتباه الجماهير واهتمامهم الى مشاكل وقضايا جانبية لصرفهم عن الأمور السياسية كالفن والرياضة والمسرح والسينما والمدارس الفكرية المختلفة .

جاء في البروتوكول الثالث عشر لحكماء صهيون :

« ولكي نذهل الناس المضعضعين عن مناقشة المسائل السياسية نمدهم بمشكلات جديدة ، اي مشكلات الصناعة والتجارة . ونتركهم يثوروا على هذه المسائل كما يشتهون . . . ولكي نبعدها (الجماهير) عن أن تكشف بأنفسها اي خط عمل جديد سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات للفراغ والمجامع العامة وهلم جرا .

وسرعان ما سنبدأ الاعلان في الصحف داعين الناس الى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات : كالفن والرياضة وما اليهما . هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل

بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد : هو اننا سنكون اعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة » .

سياسة التعليم : خطة يسوعية

قال وليم هول مدير الدائرة الاستعدادية في الجامعة الأميركية في بيروت في الفترة (١٨٩٦ - ١٩٢٧) م في شأن المدارس الرسمية :

« التعليم في نفسه قوة تبشيرية أساسية . . . ان المدارس الرسمية تمهد الطريق أمامنا بنفي التحزب ثم بفتح آفاق جديدة .

تلك هي نتائج جميع نظم التعليم الحديثة . ان مدارس الارساليات المسيحية الغربية يجب ان تقدم على كل ما سواها في الاحتفاظ بهذه الزعامة ، ويجب على المبشرين ان يحتفظوا في كل زمن بوجهة نظر المسيح فيما يتعلق بالحياة الفياضة » [٢٢] .

اذن فالتعليم الرسمي حسب النظم الحديثة يتخلله ثغرة ينفذ منها المستعمرون وهذه الثغرة هي في عدم التحزب لجهة الحق والمنطق السليم مما يفتح الباب واسعاً لتقبل آراء المستعمرين وخططهم .

ان نظم مناهج التعليم الرسمي في شكلها الحالي هي في خدمة المستعمرين لأنها ترفض التحزب للحق مما يسهل على المبشرين اعمالهم ويحول الطلاب الى دمية ، فينساقون وراء الأطروحات والنظريات الغربية .

يجب ان يكون التعليم خط دفاع شديد ضد منفذي الخطط والمؤمرات لا ان يكون نقطة ضعف ينفذون منها .

وعلى صعيد آخر ، استمرت الدولة ، بعد الاستقلال ، في التنازل عن مسؤوليتها في حقل التعليم للمؤسسات التربوية الخاصة التي كانَ معظمها تبشيرية .

وقد جاء في مرسوم حدد بنية وأعمال وزارة التربية بأنه « في حين تعترف الوزارة بالتطور القديم العهد للمساعي والمؤسسات التربوية الخاصة وبأهميتها في لبنان ، فانها مع هذا تضطلع بعبء توفير التعليم العام حيث لا توجد مدارس خاصة وخلق ودعم الادارات والنشاطات التربوية الأخرى » [٢٣] .

ومعنى هذا أن التعليم الرسمي يأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهتمام ويعود السبب في ذلك الى أن المدارس الرسمية تضم عدداً اكبر من أبناء المسلمين ، ولهذا ظلت تعاني من رداءة التجهيز وضعف الامكانيات في حين انه لا يوجد اصلاً ابنية مدارس في معظم قرى المسلمين .

بينما تنفق الدولة الملايين من أموال الخزينة على تطوير المدارس الخاصة التنصيرية والتبشيرية .

قدرت احدى نشرات الكنائس الكاثوليكية قيمة الاستثمارات المنقولة وغير المنقولة لمؤسساتها التربوية الابتدائية والثانوية بـ ٦٣٣, ٤٤٢, ٣٢٥ ليرة لبنانية . ولاحظت النشرة ان هذا ليس تقييماً كاملاً [٢٤] .

وقد اقترح حزب الكتائب على الدولة ان تتحمل ٦٠ في المائة من تكاليف المدارس الابتدائية الخاصة و٥٠ في المائة من تكاليف المدارس التي تجمع المستويين الإبتدائي والثانوي [٢٥] .

جدول

تطور التعليم الابتدائي والثانوي في المدارس العامة والخاصة[٢٦]

عدد المدارس

العام الدراسي : ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦   ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

المحافظة	١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ عامة	١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ خاصة	١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ عامة	١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ خاصة
بيروت	٢٧	٢١٦	٥٤	٢٦٠
البقاع	١٧٥	١٢٧	٢٠٩	١٥٤
جبل لبنان	٣٦٧	٤٣٠	٣٧١	٦٩٧
لبنان الجنوبي	٢٥٧	٨٢	٣٠١	١١٦
لبنان الشمالي	٢٨١	١٧٣	٣٥٥	٢٥٧
المجموع	١١٠٧	١٠٢٨	١٢٩٠	١٤٨٤

عدد المعلمين

المحافظة	١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ عامة	١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ خاصة	١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ عامة	١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ خاصة
بيروت	٥٤٩	٢٤٤٥	١٦٠٢	٥١٧٠
البقاع	٤٥٩	٤٠٧	١٩٢١	١٣٥٣
جبل لبنان	٨٦٨	١٦٨٣	٣٤٧٥	٨٥٥٤
لبنان الجنوبي	٦٦١	٣٣٤	٢٩٦٧	١١٧٤
لبنان الشمالي	٩٣٥	٦٦٧	٣٩٣٧	٢٠٢٥
المجموع	٣٤٧٢	٥٥٤٥	١٣٩٠٢	١٨٢٧٦

عدد الطلاب

المحافظة	١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ عامة	١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ خاصة	١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ عامة	١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ خاصة
بيروت	١١٩٨٨	٦١٦٤٧	٢٥٥٠٩	١١٩٣٥٠
البقاع	١٥٩٠٠	١٢٩٣٦	٣٦٦٦٧	٣٤٨٦٧
جبل لبنان	٢٤٥٦٣	٤٤٦٢١	٦٣١١٥	٢٠٢٢٨١
لبنان الجنوبي	٢١٩٦٤	٩١٥٥	٦٥٧٦٩	٢٩٠٥٣
لبنان الشمالي	٢٨٣٢٣	٢١٦٩٥	٧١٨٤٣	٥٣٥٧٣
المجموع	١٠٢٧٣٨	١٥٠١١٤	٢٦٢٧٣٥	٤٣٩١٢٤

جدول

التوزيع الطائفي للمدارس الابتدائية المجانية الخاصة بحسب المحافظات (١٩٦٤ ـ١٩٦٥) م

المحافظة	كاثوليكية	غير كاثوليكية	مجموع المدارس النصرانية	غيرنصرانية (اسلامية)	غير طائفية	المجموع
بيروت	٣٠	١٣	٤٣	٦٦	٦	١١٥
البقاع	٦٣	١٣	٧٦	٥١	٣	١٣٠
جبل لبنان	٢١٧	١٨	٢٣٥	١١٢	٢٥	٣٧٢
لبنان الجنوبي	٣٢	٩	٤١	٤٩	١	٩١
لبنان الشمالي	١١١	٨	١١٩	١٠٩	٤	٢٣٢
المجموع	٤٥٣	٦١	٥١٤	٣٨٧	٣٩	٩٤٠

وهكذا يكون المجموع ٥١٤ مدرسة للنصارى مقابل ٣٨٧ مدرسة للمسلمين .

جدول

التوزيع الطائفي للمدارس الثانوية الخاصة بحسب المحافظات (١٩٦٤ ـ ١٩٦٥) م [٢٧]

المحافظة	كاثوليكية	غير كاثوليكية	مجموع المدارس النصرانية	غير نصرانية (اسلامية)	غير طائفية	المجموع
بيروت	١٨	٢٢	٤٠	١٨	٤	٦٢
البقاع	٨	٤	١٢	٢	—	١٤
جبل لبنان	٣٧	١٣	٥٠	٨	٢٧	٨٥
لبنان الجنوبي	٤	٢	٦	٤	٤	١٤
لبنان الشمالي	١٢	٧	١٩	٤	٥	٢٨
المجموع	٧٩	٤٨	١٢٧	٣٦	٤٠	٢٠٣

فيما يلي جدول يبين التوزيع الطائفي للطلبة في الجامعات الثلاث : الجامعة الأميركية في بيروت ، جامعة القديس يوسف اليسوعية والجامعة اللبناية .

ففي حين ان جامعة القديس يوسف على سبيل المثال ممثلة ونصيرة للثقافة الفرنسية ويتركز فيها الطلاب الكاثوليك فان الجامعة الأميركية تنشر الثقافة الغربية ، الأنكلو ـ سكسونية .

جدول

التوزيع الطائفي للطلبة في ثلاث جامعات لبنانية [٢٨]

اسم المؤسسة	(١٩٥٥ ـ ١٩٥٦) م	(١٩٦٢ ـ ١٩٦٣) م	(١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) م
الجامعة الأميركية			
مسلمون	٥٨٦	١٢٦٥	١٢٩٨
كاثوليك	٢٧٢	٣٣٩	٤٠٤
روم ارثوذكس ـ بروتستانت	٩٥٩	١٢٠٣	١٣٩٢
مجموع النصارى	١٢٣١	١٥٤٢	١٧٩٦
جامعة القديس يوسف			
مسلمون	٢٨٩	٢١٧	٢٣٢
كاثوليك	٩٤٣	١٢٢٦	١٤٤٧
روم ارثوذكس ـ بروتستانت	٢١٤	٢٧٣	٢٦٠
مجموع النصارى	١١٥٧	١٤٩٩	١٧٠٧
الجامعة اللبنانية			
مسلمون		١٨١٧	٣٠١٨
كاثوليك		٨٥٧	١٨٠٣
روم ارثوذكس ـ بروتستانت		٣٥٦	٧٤٢
مجموع النصارى		١٢١٣	٢٥٤٥

ان سياسة التعليم كانت منذ عام ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٢٠م سياسة استعمارية ولا تزال مستمرة كذلك الى اليوم . ان السلطة اللبنانية اليوم تسير على نفس المنهاج الذي وضعه الانتداب وتستخدم لتنفيذه الأشخاص الذين خلقهم الأنتداب .

لقد كان لليسوعيين الدور الأكبر في توجيه المستشارين الفرنسيين

المشرفين على التعليم مما جعل المناهج الرسمية خاضعة لنفوذ اليسوعيين مباشرة وقد ظلت كذلك بعد انتهاء فترة الانتداب .

فالمنهاج الرسمي سيء لأنه منهاج استعماري ، وهو منهاج امتحان في الدرجة الأولى لا منهاج تدريس لانه يهتم بنتائج الامتحان فقط ، ذلك الامتحان الذي يتناول عاماً واحداً من اعوام الدراسة ، وينجح فيه الطالب أحياناً بوسائل بعيدة عن العلم الصحيح .

وهم المدارس ينصرف الى اعداد الطلاب للنجاح في الامتحان بصرف النظر عن قيمة العلم الذي تحرص على بثه بين اولئك الطلاب .

والمنهاج الرسمي يتمشى مع النفوذ السياسي والاداري لا مع المنافسة العلمية . ويدعو الى احياء الرموز المرتبطة بالاستعمار الفرنسي ومشاريع أوروبا الصليبية عبر العصور .

تتضمن مناهج البكالوريا اللبنانية قصة شيقة بالفرنسية إسمها رودريك (Rodrique) وتعتبر هذه القصة وهي الزامية ، مادة خصبة لطرح الأسئلة في الامتحانات وهذا الاسم رودريك ، له دلالة تاريخية تتعلق بموقف أوروبا تجاه الاسلام .

ففي عام ٨٩٧ هـ ـ ١٤٩٢ م باشر الغرب بتسيير حملة صليبية على إسبانيا المسلمة بقيادة ملك القوط واسمه : رودريك ، ليزيل من هناك الحضارة التي لولاها لما عرفت أوروبا النور .

طغى رودريك ، ملك القوط ، وتجبر في أرض الاسبان (المسلمين) ، سام أهلها الخسف والويل والعذاب ، استغل ما فيها ، واستذل من فيها ، هام في شهوة النفس والبدن ما وسعه أن يهيم ، واغتصب احدى بنات المسلمين [٢٩] .

لكن رودريك هذا أصبح في مناهج البكالوريا اللبنانية بطلاً

اسطورياً يعتد به .

جاء في كتاب السفير « المارونية السياسية » :

« ثم ان التوجيه الثقافي يدعو الى تقديس الحضارة الغربية في ما عدا واقعها الفعلي في دولها ومجتمعها ، فايطاليا هي روما القديمة والفاتيكان وموسوليني لا روما المحكومة بتحالف مسيحي ـ شيوعي .

وفرنسا هي فرنسا لويس الرابع عشر والجنرالات الفاتحون والانتداب،هي الصديقة والمحامية وليست فرنسا ميتران او مارشيه او حتى ديغول،واوروبا كاملة في منظار هذا التوجيه الثقافي ولكن اوروبا المعنية هي اوروبا الماضي لا اوروبا المستقبل ، بل لا اوروبا الحاضر ، بل هي اوروبا الماضي كما تصوره كتب اليسوعية والبعثات الثقافية والاستعمارية وهو نوع من اوروبا لم يقم اصلاً في اي عصر من العصور » (٣٠) .

ان النظام الماروني في لبنان يقدم مساهمة كبرى في هذه الحرب الاستعمارية ضد الاسلام والمسلمين وذلك باهمال التاريخ الاسلامي والتركيز على تدريس تاريخ اوروبا واميركا ، وفي الامتحانات الرسمية يجعلون ثورات فرنسا واميركا وبريطانيا مواداً أساسية ، أما الثورات الاسلامية ومظاهر الحضارة الاسلامية فإنها عندهم ليست بذات قيمة،انهم يرون « اصلاحات » بسمارك وجورج وشنطن وولسون ونابليون . . مهمة يجب ان يعرفها الطلاب والا رسبوا في الامتحان ، اما اصلاحات قادة الاسلام وأئمة اهل البيت فلا شأن لهم بها .

ان مناهج التعليم الصالحة يجب ان تنشىء تلاميذها على الخضوع لله لا للاميركي او الفرنسي او البريطاني .

حتى عام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م كانت تطرح اسئلة في الامتحانات

من قبيل التهجم على الفلسفة الاسلامية والحضارة الاسلامية والويل للتلميذ الذي ينتصر لهويته الاسلامية او يكتب كلمة اسلامية في مسابقته . ان هذا يكفي لكي يشطب المصحح على مسابقته .

ثم ان النظام الماروني اراد ان يشبع ابناءه بالفكرة الفينيقية والجاهلية ولهذا فقد استوحى مناهج التعليم من جهود اليسوعيين والمبشرين الفرنسيين وهو لا يريد تغييرها خوفاً من ان يخدش مشاعر « الام الحنون » فرنسا ، مهد الصليبية .

يصف الدكتور عمر فروخ تبعية المناهج الدراسية لادارة اليسوعيين بقوله : (٣١)

« وكانت الأحوال السياسية من (١٣٤٧ هـ) ـ ١٩٢٩ م الى (١٣٥٨ هـ) ١٩٣٩ م موافقة للاستعمار التعليمي في المدارس الرسمية ، وكان اليسوعيون اصحاب اليد العليا في العزل والتولية ، لقد كانت فرنسا يوم ذاك في ابان مجدها ، فأغلقت المناصب وحرمت الإمتيازات وهضمت الحقوق الا على من يمنون بصلة التعليم الى اليسوعيين او الى التعليم الاستعماري . ولقد اضطر الشباب الذين أبوا التعليم الاستعماري الى ان يقنعوا أنفسهم بمراكز متواضعة المظهر او ان يضربوا في الأرض طلباً للرزق : في فلسطين وشرق الأردن والعراق وفي مصر والسودان . ثم حملوا أنفسهم الى افريقيا واميركا لأن « الجمهورية اللبنانية » في عهد الانتداب لم تكن تتسع الا لتلاميذ اليسوعيين ، او اللاجئين الى اليسوعيين علىٰ ان عدداً طيباً من الشباب الأحرار استطاعوا ان يثبتوا في مراكزهم وأن يفرضوا أنفسهم في وجه جميع انواع المُقاومة وأمام أسباب الاغراءات المختلفة .

ثم جاء تموز ١٩٤١ وأعلنت الجمهورية اللبنانية انها اصبحت

جمهورية مستقلة، وتوالت الحكومات الاستقلالية على الجمهورية اللبنانية وأخذت الوزارات تكيل الوعود وتترك الوفاء ، ويهمنا المعارف هنا فقط ، لقد تركت الحكومة جميع رجال العهد البائد في مناصبهم وزادت نفوذ نفر منهم ، ثم ضربت بالاختصاص عرض الحائط » .

وبالنسبة لوجود مخلصين اكفاء وهم قليلون جداً في المعارف ، يوضح « . . ثم لو فرضنا جدلاً ان هؤلاء المخلصين طبعوا تلاميذهم بطابع وطني نبيل في اثناء التدريس الابتدائي وبعض التدريس التكميلي فانهم في آخر الأمر سيضطرون الى ان يسلموهم الى مدارس استعمارية او مدارس غير وطنية ، فتهدم هذه المدارس ما بناه المعلمون المخلصون في المدارس الرسمية » .

واشار في النهاية الى انه « لو ان الأمر ترك لليسوعيين وإخوانهم - اي امر الاستقلال وامر التعليم ايضاً ، لطلبوا ان يظل لبنان في الاستعمار الى الأبد » .

سموم الكتب

يورد كتاب التبشير والاستعمار بعض الكتب التي كانت تدرس في المدارس حتى بعد الانتداب[٣٢] .

ففي مدارس الأخوة المسيحية (الفرير) في بيروت وفي جميع المدارس التابعة لهذه الرهبنة في غير بيروت . كان يدرس كتاب اسمه :

« البحث عن الدين الحقيقي » وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحي في باريس طبعة ١٩٢٨ م ونال رضا البابا ليون الثالث عشر في القرن الماضي .

جاء في الكتاب في موضوع الاسلام ما يلي :

« الاسلام - في القرن السابع (للميلاد) برز في الشرق عدو

جديد ، ذلك هو الاسلام الذي اسس على القوة وقام على اشد انواع التعصب.لقد وضع محمد السيف في ايدي الذين اتبعوه ، وتساهل في اقدس قوانين الأخلاق ، ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات ، وبعد قليل اصبحت آسية الصغرى وافريقية واسبانيا فريسة له ، حتى ان ايطاليا هددها الخطر وتناول الاجتياح نصف فرنسا ، لقد اصيبت المدنية ، ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول في الاكثر كلاب النصارى . . . ولكن انظر ، ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في موجة سير الاسلام المنتصر عند بواتيه (٧٥٢ م) ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩ - ١٢٥٤ م) في سبيل الدين فتدجج اوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية ، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق السهلة . . » .

كتاب آخر كان يدرس في نفس الفترة في المدرسة البطريركية في بيروت وفي مدارس اخرى كثيرة في لبنان وخارج لبنان ، لطلبة الصف الرابع الابتدائي . وجاء فيه :

واتفق لمحمد في اثناء رحلاته ان يعرف شيئاً قليلاً من عقائد اليهود والنصارى . ولما اشرف على الأربعين اخذت تتراءى له رؤى اقنعته بان الله اختاره رسولاً .

- والقرآن مجموعة ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم ، وقد امر محمد اتباعه ان يحملوا العالم كله على الاسلام بالسيف اذا اقتضت الضرورة .

- وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنون به يدونون كلماته على عجل .

- ودخلت فلسطين في سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد .

كتاب آخر كان يدرس في مدرسة القديس يوسف للبنات في بيروت وفي جميع مدارس هذه الإرسالية واسمه تاريخ فرنسا جاء فيه :

« ان محمداً ، مؤسس دين المسلمين ، قد امر اتباعه ان يخضعوا العالم وان يبدلوا جميع الأديان بدينه هو . ما اعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى . ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس « اسلموا او تموتوا » ، بينما اتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم . ماذا كانت حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا اذن لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين .

وقد ابدل هذا الكتاب فيما بعد بكتاب آخر احسن منه شكلاً وأسوأ منه مضموناً .

ان المركز الثقافي الممتاز هو البديل الذي اراده الفرنسيون لسيطرتهم المباشرة على لبنان ، ولم يخطىء الفرنسيون في تقديرهم لأهمية هذا النوع من الرباط ، فالاستعمار الثقافي ما يزال يحافظ على كل شروط التبعية الاقتصادية بالشكل الملطف والحضاري .

فجميع الذين شغلوا منصب رئاسة الجمهورية اللبنانية عهد الانتداب وبعده هم من خريجي المدارس اليسوعية بشكل عام ، وكلية الحقوق فيها بشكل خاص . وحتى عهد فؤاد شهاب كانت الأغلبية الساحقة من الوزراء والمدراء العامين وكبار موظفي الإدارة والنواب المثقفين من بين خريجي هذه الكلية دون سواها .

لقد شغل خريجو كلية الحقوق في الجامعة اليسوعية ابرز المناصب الإدارية الاستقلالية في لبنان ، فحق للجنرال كيللر ان يصف دور المعاهد الفرنسية بلبنان بأنها « وسط ممتاز للدعاية الفرنسية » ويعلن « سوف لن نهملها ابداً »[٣٣] .

ولا يمكن ان تنفصل حياة الأقلية المارونية ومشاريعها الاستعمارية في لبنان وسيرتها الفكرية والعملية وقيمها ومفاهيمها واهدافها التكتيكية والاستراتيجية عن اليسوعية ، تلك المؤسسة التي عملت في لبنان بحيوية المؤسسة العالمية ذات الشعور بانها تخوض فيه معركة هي من اهم معاركها بل رمز وجودها التاريخي ، فهي تخوض على الساحة اللبنانية معركة جد كبيرة هي معركة الاسلام والكفر معركة الجاهلية والصليبية ضد الاسلام ، معركة اوروبا مع آسيا ومعركة الحاضر بل الماضي ضد الطموح الى التغيير .

والذي انتجته اليسوعية من نظريات وآراء ومعتقدات ومفاهيم في ما هو التاريخ العربي وما هو التاريخ اللبناني وما هي الحضارة الإسلامية وما هي الحضارة « اللبنانية » المارونية ـ كما يسمونها ـ وما خرجت به من تشخيص لأمراض الواقع اللبناني وادوية معالجة له، كاد يؤدي الى اغتصاب لبنان وفصله كلياً عن الأمة الإسلامية كما حل بفلسطين ، فلبنان كان ساحة الصراع ولبنان كان المختبر ولبنان كان شهادة النجاح في العمل والصدق في الدعوة .

وفي بيئة اليسوعية خرجت دراسات (الاب لامانس) التي كانت تنظر الى سوريا كلها على انها لبنان الأكبر ، فسوريا ـ الأب لامانس ليست في الحقيقة الا لبنان الماروني مطروحاً بشكل اكثر تجديداً وخبثاً وقابلية لمواجهة العالم الإسلامي كله .

على اثر ظهور فكرة لبنان الكبير عام ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٢٠ م كتب لامانس مقالاً يشبه ان يكون : حذار انشاء لبنان الكبير فان بامكاننا ان نصنع لبنان الأكبر منه ، من سوريا الطبيعية كلها ، وبكل اقلياتها الإجتماعية[٣٤] .

وبذل « الاب شيخو » جهده كاملاً على صعيد اشعار النصارى

بالتفوق الفكري والعنصري على المسلمين ، حاضراً وماضياً وذلك من خلال كتاباته المتواصلة عن شعراء النصرانية وغير ذلك .

ومن اليسوعية خرج الرجال ، لا الأفكار والدعوات فقط ، فان اغلب الكوادر المارونية هي من خريجي اليسوعية وقلائل هم من لعبوا دوراً في الحياة السياسية اللبنانية ولم يكونوا من خريجيها ، يتساوى في ذلك المسلمون والنصارى ، والمسلم اليسوعي هو جندي اكيد في قضية المشروع الماروني .

ويمكن القول ان اغلب الرؤساء والوزراء الذين تولوا شؤون الدولة اللبنانية استلهموا المقاييس التي انشأتهم عليها اليسوعية ، وطلبوا الأهداف التي رسمتها لهم وكانوا اوفياء للتربية اليسوعية روحاً واسلوباً ومنطلقاً مع فارق وحيد هو فارق الجدية والحماسة الدعوية التي نجدها عند الراهب اليسوعي ولا نجدها عند رجل السياسة او الإدارة اللبناني .

وبعد ان نشأت الدولة اللبنانية بل قبل ان تنشأ هذه الدولة اعتبرت اليسوعية نفسها مصنعاً للرجال ومسؤولاً عن امداد دولة لبنان بطبقة قادرة على الحكم والتناسل السياسي .

ويقول الجنرال كاترو في مذكراته ان رئيس اليسوعية « الاب شانتور » طلب من سلطات الاحتلال اقفال كلية الحقوق في دمشق لأنها تعطي طلابها ثقافة ضارة بالانتداب ولم تطاوعه سلطات الانتداب نفسها لأنها رأت في ذلك تطرفاً غير معقول .

وبعد عشرات السنين وقف محامو لبنان من خريجي اليسوعية نفس موقف شانتور فأضربوا ستة اشهر ضد انشاء كلية حقوق عربية في لبنان .

وكانت الحجة يسوعية ايضاً لأنها كانت تتحدث عن مستوى التعليم في حين ان الدولة تعترف بشهادات الدكتوراه في سويسرا وفرنسا حيث يأخذ الطالب الشهادة من دون ادنى مقابل علمي .

ويقول احد الطلبة في الجامعة اللبنانية حسب محاضرة للاستاذ حسن مشرفية انه دخل مرة مكتب رئيسها فوجد فؤاد افرام البستاني وادوار حنين يكتبان نص منشور ضد المطالبة بإنشاء كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية يوم اثيرت هذه القضية ، واضرب من اجلها الطلاب .

وفؤاد افرام البستاني هو تلميذ الاستشراق اليسوعي البار عمل مع المستشرق (الأب لامنس) وحفظ تعاليمه في التقليل من اهمية المساهمة الاسلامية في حضارات المنطقة والعالم .

وتجند لكتابة « التاريخ الرسمي » في كتب مدرسية كانت وما زالت معتمدة وفيها تأكيد على شخصية لبنان التاريخية المارونية طبعاً و « المميزة » ونفخ لرجال الاقطاع على امتداد التاريخ ، وفيها ابراز للعلاقات الوثيقة بين الموارنة والصليبيين وتضخيم للفتن الطائفية ، ودعوى ان الانسان الأول كان لبنانياً وان الديموقراطية والحرية وجملة من الشعارات البراقة هي نتاج لبناني متحرر منذ ايام الفينيقيين .

وطبعاً ليس في تاريخ فؤاد افرام البستاني شيء اسمه الحقبة الاسلامية او العهود الاسلامية فهي من نتاج « الغزو العربي » ليس الا وموجة بربرية سرعان ما انحسرت عن لبنان .

وقد تولى فؤاد افرام البستاني رئاسة الجامعة اللبنانية وصرح لأحد الصحفيين الفرنسيين انه انما عين في رئاسة الجامعة لمنع تطورها ، فهو لا يؤمن كالمجانين بامكانية قيام غير الجامعات الأجنبية .[٣٥]

ولليسوعية ايضاً يعود الفضل في نظام البكالوريا اللبنانية وشروطها التعجيزية حيث يجد الطالب المسلم والفقير نفسه مضطراً للوصول الى البكالوريا اما عن طريق المدارس الطائفية الخاصة او المدارس التجارية البحتة او المدارس الحكومية غير الموجودة .

فاذا ذهب لنيل شهادة من مصر او سوريا اعتبر متعلماً من الدرجة

العاشرة وغير صاحب اهلية لتحصيل الرزق واحياناً متجاوزاً للسيادة اللبنانية .

وهجرة المسلمين والفقراء الى البلاد العربية لأخذ الشهادات تكاد تكون وحدها الهجرة غير المشجعة من لبنان فالمفروض ان يبقوا في لبنان ويبقوا كما هم او كما يريدهم النظام الماروني ان يكونوا .

ويأتي بعد دور اليسوعية دور معهد الحكمة الذي انشأته نزعة عنصرية معادية للمسلمين عند الأقلية المارونية .

وفي الحكمة عاش تقليد من الاعتزاز باللغة الغربية وآدابها وقدرة الموارنة على خدمة هذه اللغة وتلك الآداب .

واساقفة من امثال يوحنا مارون وبعده اغناطيوس مارون يعطون فكرة عن الدور البارز الذي يمكن ان تلعبه ادارة مدرسة الحكمة ، واغناطيوس مارون مدير معهد الحكمة العالي على سبيل المثال هو رئيس رابطة المدارس الكاثوليكية التي تشكل معقلاً من معاقل الثقافة التي وقفت تاريخياً ضد جميع مشاريع توسيع التعليم الرسمي ، اما يوحنا مارون الذي ادار معهد الحكمة في فترة وكان مسؤولاً عن كاتدرائية مارجرجس فهو احد اكبر الشخصيات المارونية الذين ربطوا البطريركية المارونية والاكليروس الماروني باكثر المؤسسات الثقافية والسياسية الغربية .

واسماء كعبد الله البستاني وبشارة الخوري ووديع عقل وغيرهم تميز دور الحكمة عن دور اليسوعية وان كان هذا الدور قد بقي في اطار اشعار الموارنة بتميزهم وتفوقهم فصب في النهاية مصب المشروع الماروني .

اما جامعة الكسليك فتشكل طموحاً مارونياً الى مواجهة تحديات الفكر الاسلامي ولذلك تحولت الى دار تنظير للفكر الانعزالي الماروني وفيها ولدت « جبهة الحرية والانسان » التي قادت المعركة ضد المسلمين عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

والسؤال المطروح هل كان بوسع الأقلية المارونية الصمود لولا هذه المدارس التي خرجت الدعاة الصليبيين الذين كانوا هم قادة الأحزاب العنصرية ووقودها في المناطق التي ظلت الكثافة السكانية فيها نصرانية ؟ .

ان نشاط الرهبانيات المارونية المسماة « الرهبانيات اللبنانية » خلال الأحداث اللبنانية ابتداء من عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، وهي صاحبة مجموعة كبيرة من المدارس التي تغذيها الارساليات الأجنبية فكراً ومالاً وثقافة ، واثرها في تزويد الميليشيات بالدعم المادي والمعنوي سواء في لبنان ام في الخارج ، يؤكدان خطورة الدور الذي قامت به مدارس الارساليات الأجنبية وصنيعاتها : الحكمة واليسوعية والكسليك في السياسة التي قادت الى خراب لبنان ودماره وتهجير سكانه بعدما تمكنت من توظيف الحقد الطائفي في اتجاه السيطرة العسكرية والسياسية على لبنان لتحويله الى وطن قومي ماروني .

الدعوة الى اللغة العامية

انتشرت في بيئة اليسوعية الدعوة لاعتماد الحروف اللاتينية بدل العربية ، وفيها قامت الدعوة الى اعتماد « اللغة » العامية وفيها تم التنظير لعدم قابلية العقل العربي للتطور ، وكون اللبناني (الماروني) وحده القادر على التفكير الحر في مشاكل العصر .

لقد رأى المستعمرون ان استعمار الشرق وتحويله الى ممالك صليبية ودول عنصرية يحتاج الى تقطيع اوصال المسلمين وفصلهم عن الاسلام ، المعين الذي لا ينضب .

لقد رأوا ان وجود لغة واحدة وشائعة الانتشار يعبر بها المسلمون عن آرائهم وينفذون من خلالها الى تراثهم الماضي فيرتبط حاضرهم بماضيهم وبمستقبلهم ، امر يشكل عقبة كأداء في طريقهم فأرادوا ان يقضوا على لغة القرآن عن طريق تشجيع اللهجات العامية وان يكون لكل بقعة لغتها المستقلة ثم تحويلها الى لغة مكتوبة بالحروف اللاتينية بدلاً من اللغة الفصحى ، وعندها تتشكل في كل بقعة من بقاع المسلمين « دولة مستقلة ذات سيادة » وتصبح الدولة المارونية امراً واقعاً لأن مشاريع بناء الدول تعرض عندها بالمزاد العلني .

ان ما يريده اصحاب المشاريع الإستعمارية من صليبية او مارونية او صهيونية هو حمل المسلمين على التخلي عن الحرف العربي واحلال الحرف اللاتيني ثم نبذ اللغة الفصحى واستبدالها باللغة العامية لكي تنقطع صلة المسلمين بأدبهم القديم وبالمؤلفات الدينية واللغوية والعلمية والتاريخية والفكرية والإسلامية العديدة . وحينئذ تتحول لغة القرآن الى وحدات لغوية متضاربة لا يجمعها دين ولا تاريخ ولا لغة مما يتيح للمستعمرين اخضاعهم بأهون السبل .

ثم ان هذه الدعوة ليست الا تنفيذاً لمآرب تبشيرية استعمارية غايتها فصل المسلمين عن تراثهم .

لقد كان زعيم هذه الحركة الداعية الى الكتابة باللغة العامية وبالحرف اللاتيني هم الفرنسيون ، اسياد الموارنة ، وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية : لويس ماسينيون ، الذي حاول ان يبث دعوته في مصر وبلاد المغرب وسورية وفي لبنان بشكل خاص[٣٦] . تجاوب الموارنة مع هذا الطرح العجيب وشجعوا هذه الحركة كيف لا وهم تلاميذ فرنسا ولويس .

ان المشروع الماروني هو في حاجة ماسة الى مثل هذه الدعوات ، ونجاحها يعتبر نجاحاً له .

ومن دون القضاء على معاقل الاسلام وتدمير لغة القرآن ونشر البدع بين صفوف المسلمين وإحياء رموز الشرك ، واصنام الجاهلية ورفع اعلام الصليبية وهيمنة ادواتها على كل مدينة وقرية ، وعلى كل بيت من بيوت المسلمين يبقى تحقيق المشروع الماروني امراً في غاية الصعوبة .

وكان سعيد عقل رائد هذه البدعة وقائدها على جميع الأصعدة .

والواقع ان جميع الذين تبنوا هذه الفكرة خرجوا من المدارس

الفرنسية ورضعوا حليب اليسوعيين امثال شكري الخوري ومارون غصن المدرس في مدرسة عينطورة . ومن هؤلاء « الأب رافائيل نخلة » الذي روج لهذه الحركة واصدر كتاباً بهذا الشأن اسمه « قواعد اللهجة اللبنانية السورية » . وهذا الكتاب موضوع بالفرنسية وقد اراد صاحبه ان يطبق الخطة على الفور فكتب النصوص العربية بالحرف اللاتيني .

ولا نعجب ان الكتاب طبع في المطبعة اليسوعية وقد انتقلت هذه الفكرة من اليسوعيين الى الجامعة الأميركية . فجاء انيس فريحة (خريج الجامعة الأميركية) يدعو لنفس الفكرة تحت ستار « تسهيل اللغة » . ويروج للغاية التي يريدها ابناء اوروبا في القضاء على الاسلام .

يقول فريحة في كتابه : « نحو عربية ميسرة » :

« غير ان القرآن الكريم نزل بلغة الأدب والشعر والدين لذلك العصر ومن الطبيعي ، بل من الضروري ، ان ينزل بلغة الأدب والشعر والدين ونعتقد ان المجتمع الاسلامي الأول ، نسبة لإعجابه بهذه اللغة ونسبة لمقام القرآن الكريم في نفوسهم ، جهدوا ان يجعلوا من هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لغة الناس اليومية ، يدلك على ذلك مبلغ الجهد الذي انفق في سبيل ضبط احكام هذه اللغة ، وفي محاربة اللحن ، وفي اصرار المقامات العليا على ان تكون هذه اللغة لغة الدواوين والكتاب والمنشئين ، ووضع سياج حول اللغة للحفاظ عليها امر طبيعي ، لا بل ضرورة ، لكل امة ناشئة »[٣٧] .

ما يريد ان يقوله انيس فريحة هو ان اللغة العربية لغة طارئة انتشرت مع ظهور القرآن الكريم ثم فرضت على الكتاب والمنشئين اما الآن فقد عفا عليها الزمن ولهذا نراه يدعو الى ازالتها وان لم يذكر ذلك صراحة :

« اقول لنفسي انه يجب ان تخضع العربية لي وان تلين لفكري ،

لا ان يخضع فكري وعلمي لقوالب معينة تروق (المقصود كانت تروق) لأذواق جيل من الناس ماتوا منذ مئات السنين » .

« اننا ناقمون على القواعد . . . ان وضع الأحكام يقيد اللغة . . . انه يقف في مجراها الطبيعي ويسد عليها الطريق كما حدث للغة العربية الفصحى ، فان وضع الأحكام لها اوقف عمل النواميس اللغوية عند نقطة معينة في الزمان والمكان » .[٣٨]

وقد فضح انيس فريحة نفسه لما القى السؤال الذي يقع وراء دراساته واقتراحاته ويفسر نقمته على اللغة الفصحى والحرف العربي ، فبعد ان دعا لاعتماد اللهجات العامية وبالحرف اللاتيني قال :

« ولكن للناس (يقصد المسلمين) ان يسألوا ، ماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وجوابنا هو ان القرآن الكريم سيخلد على ما هو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب . ورغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب فان (لغة هذه الكتب) حافظت على روعتها وجلالها ومقامها الديني . هاك لغة التوراة الانكليزية المعروفة بترجمة الملك جايمس ، (اوائل القرن السابع عشر الميلادي) فانها على قدمها تعتبر في الانكليزية، الى جانب مقامها الديني قطعة ادبية رائعة . . . ولكنها تخالف لغة الناس . وقل مثل هذا في لغة شكسبير فانها حافظت على كيانها ومقامها . وها هي الكنيسة الكاثوليكية فانها تعتبر الترجمة اللاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرسمية ، ولا يكون القداس الا باللغة اللاتينية . وقل مثل هذا في الكنيسة الأرثوذكسية التي حافظت على اللغة اليونانية التقليدية ، والكنيسة المارونية التي احتفظت باللغة السريانية ، والكنيسة المسيحية الحبشية التي احتفظت باللغة السامية القديمة المعروفة بلغة الجعز .

على ان الفارق بين هذه الكنائس التي احتفظت بلغاتها القديمة

وبين الاسلام عظيم جداً ، ذلك لأن العامية المهذبة المحكية لا تختلف عن لغة القرآن الكريم اختلاف السريانية عن العربية او الإغريقية عن العربية او اللاتينية عن الفرنسية . فلن تكون لغة القرآن الكريم غريبة عن افهام الناس . وسيظل الناس يتعلمونه ويحفظونه غيباً ويدرسون صرفه ونحوه وسحر بيانه كما يفعلون اليوم . وسيظلون يقرأونه ويستظهرونه تبركاً . . . هذا فيما يتعلق بالمستقبل القريب ، ولكن ما سيحدث في المستقبل البعيد بعد مئات السنين ؟ هنا ندخل في نطاق الحدس والتخمين ولكن يتراءى لي ان في ذلك الزمن لن تكون الحياة الروحية وقفاً على الكلمة ولفظ الكلمة وشكل كتابة الكلمة . . . عندها يكون للناس الحرية ان ينظروا الى الدين من خلال نظاراتهم لا من خلال نظاراتنا نحن . . . نحن زائلون والحياة للأجيال القادمة . . . لا تحرص ان تفرض على ابنك عقائدك وعاداتك ومقاييسك وذوقك ونظرك الى الحياة . . . »[٣٩] .

يتضح من هذا الكلام ان الرجل يريد ان يقطع العرب صلتهم بالقرآن الكريم وان يتحول هذا القرآن الى اثر قديم في المساجد كما تقرأ اللاتينية في الكنائس الكاثوليكية وان يصبح كتاب دين لا علاقة له بالحياة يقرأه المسلمون دون ان يفهموا منه شيئاً .

واخطر ما في الأمر ان الكاتب يعرض افكاره واهدافه ، فيبرهن ويعلل ويستنتج ويصول ويدور بشكل يموه على القارىء ويخفي نواياه واهدافه الخبيثة .

﴿ **يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ . سورة التوبة ٣٢

ثم ظهرت محاولات لإحياء اللغة السريانية والكتابة الكرشونية التي رعتها الرهبانيات .

وقد اصر سعيد عقل على نشر هذه البدع التي احتضنتها المدارس الكاثوليكية ودعى لها في كتبه « يارا » ، « آيات وصور من الشعر الفينيقي » ، « انجيل يوحنا » ، «منتخبات من نهج البلاغة »،والكتيبات الثلاثة الأخيرة كتبها باللغة العامية وبالحرف اللاتيني او « باللغة اللبنانية » كما يقول . وكان يطبع منها خمسة عشر الف نسخة ، وتفرض فرضاً على طلاب تجمع المدارس الكاثوليكية لجعل البدعة الجديدة في الكتابة مألوفة لدى الجيل الجديد .

وفي اوائل التسعينات من القرن الماضي الهجري عرضت شريكته مي المر على بعض خريجي الجامعة العربية في بيروت ان يقوموا بكتابة بعض سور من القرآن بما اسمته « اللغة اللبنانية » وهي اساساً اللغة المحكية مكتوبة بالخرف البدعة (اللاتيني) . ثم اصدر الإثنان اثناء الحملة الصليبية على المسلمين في لبنان جريدة اسبوعية اسمها « لبنان » ، تولت امر الدعوة لهذه البدعة والترويج لها وراحت تخصص الجوائز لمن يكتب بها .

النماذج الآتية توضح البدعة التي تقصد فصل الجيل الناشىء في بعض مناطق لبنان عن باقي المناطق ، وذلك بعد ان ضعف استخدام اللغة الفرنسية كلغة ام . وبعد ان اجهضت محاولات احياء اللغة السريانية والكتابة الكرشونية .

فقد ورد في العدد ٨٢ بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٧٧ م الدعوة التالية :

4 - Ma yetcaqqaq b ·vala jamaaya men jamayaat Lebnaan.

5 - Yexqmu l Lebnaniyyi xaalun be t tasaawi.

6 - Yquun el xeqm b Lebnaan mestacbali w batal, we j jayc celu xermi yalamiyyi.

7 - Yetkaffad yadad baciit el cagraab, el yayciin b Lebnaan, la cadd 4 % men cahlu l mucimiin, we yquunu mnaccayiin.

8 - Tquun el card el Lebnaniyyi we j jensiyyi l Lebnaniyyi bass la l Lebnaniyyi.

9 - Yerya Lebnaan yazâmit el Yaalam el Lebnaani, w yentedib zeyama ha l Yaalam la leyb dawr xaasim b texciic el Yaalam el Waaxid.

10 - Yerjayu l Lebnaniyyi, metlma qaanu yeddit marraat be t Tariik, cemmi taliiyit cemam er ruciyy.

Sayud YACL

HARR EL YASMIIN

Ç

Ya l be l xelem, cal, men zamaan,

Qenti celi lawn el hana,

Rannit farax, caahit gena.

W cal qiif zettaytiq cana

Kalfi ... w qif taar el xsaan !..

B

Çal gaafyi w xaddiq gewit

Wardi mcaccic mabsama ....

Dakliq ceza yyuuniq newit

Teftax ma betcuuli s Sama ?..

P

Gesn el wared qan fawcna w cal cescalu :

Miinha w miinaq? » W yetqi men bared...

Çellu : «Cu baaq? » Yredd ha l ma cajmalu :

«Men bayd caametha nxazaf gesn el wared »

Sayiid YACL

وفي العدد ١٦١ تاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٧٨ نشر سعيد عقل الوصايا التسع.

L WASAAYA T 9

1 - Çaamin b Çalla, w saaxib el ciyam we l mayaarif en naabya mennu.

2 - Rtefiy b yawaatfaq, w ksuusan be l xebb. We xterim jes iaq.

3 - Taaliy b qetra.

4 - Zaawil el qaram we l gay yyi.

5 - Qtoob be l legga l btelsena.

6 - Dallaq metteliş ya tariik el mestacbal.

7 - Trassal.

8 - Xterif fann mne l fnuun, w law hiwaayi.

9 - Wsaa bas be [illegible].

S. Y.

وفي العدد ١٦٣ تاريخ ٢١ شباط ١٩٧٩ ظهر لسعيد عقل مقال «هالعشرة» وهي الوصايا العشر للبنان.

HA L 10

1 - Ma yebca Falestiini ya card Lebnaan

2 - Yquun Lebnaan ma gayr xaalu , yemni Lebnaani. Bass sadiic la qell ed dewal , we tquun sadaactu la l waaxdi menun b nesbit ruciyya w tacaddeda b tetbiic xcuuc el censaan .

3 - Tquun el Lebnaniyyi b xarfa l yaalami leggit Lebnaan , w mertaqaz cacaaftu maziij men turaasu l yaziim we mne t turaas el xadaari l yaalami l casiil.

كتوب باللبناني ورباح جايزي

كتِبلنَــــا كم سطر (٢٠ كلمي ع الكتــــير) باللغـــا اللبنانيّي وحرفها ، يكونو من وَحي سلسلة « اجمـــــل كتب العالم » : « روميـــو وجولييت » ترجَمِة كمـــال شرابي او « شِقَف مــــن النَهج » ترجمة نجيب جمال الديـــن ، ووَصّلنـــا النص بواسطة اللي بتشتري منــو جريدتك . وكتوب إسمَــك تحتو واضِح . إزا طلـــــع نصّك أجمَل نص مننشِر لَك هو بهـ الجريدي وبتربَـــح جايزي كتاب جميل .

هادا نص باللغـــا اللبنانيي وحرفها :

L malaq metl n nahr l qbiir l btecrab mennu s swaaci: n xeli btexla, we n melix btemlax.

وابتداء من العدد ١٣٣ تاريـــخ ٤ كانون الثاني بدأ ينشر سعيد عقل خماسيات بالحرف البدعة فــكان أولها النص التالي :

KUMASIYYAAT

Yam tcuuli ha s sabi l jebtii

Ta taaqlu rsasaat ha l gerbaan,

Raytu beci xelm w ma hazhaztii ?

Lacc, we byeqfi ceza dfantii

Ma btedfni sayfu l xama Lebnaan.

Sayiid YAÇL

سياسة الإفقار ونتائجها السيئة

اعتمد النظام الماروني سياسة الفقر والحرمان في المناطق الاسلامية وفقاً لنفس الخطة التي وضعها الصهاينة .

جاء في البروتوكول الثالث لحكماء صهيون :

« ان الناس مستعبدون في عرق جباههم للفقر بأسلوب افظع من قوانين رق الأرض . فمن هذا الرق يستطيعون ان يحرروا انفسهم بطريقة او بأخرى ، على انه لا شيء يحررهم من طغيان الفقر المطبق . ولقد حرصنا على ان نقحم حقوقاً للهيئات خيالية محضة . فان كل ما يسمى « حقوق البشر » لا وجود له الا في المثل التي لا يمكن تطبيقها عملياً . ماذا يفيد عاملاً اجيراً قد حنى العمل ظهره وضاق بحظه ـ ان يجد ثرثار حق الكلام او يجد صحفي حق نشر اي نوع من التفاهات ؟ ماذا ينفع الدستور العمال الأجراء اذا هم لم يظفروا منه بفائدة غير الفضلات » .(٤٠)

ان سياسة الإفقار التي طبقها النظام الماروني اقتضت تعطيل الزراعة والصناعة ، فبارت الأرض وكثر البطالون وانتشرت الأخلاق الفاسدة واقبل الناس على شرب الخمر والأميال الشريرة من اجل الترويح

عن النفس ونسيان الواقع المر بدل ان يثوروا على النظام الذي سبب تعاستهم . ثم فتح باب التجارة على مصراعيه واصبح لبنان يستورد كل ما يحتاجه وذلك لضرب الصناعات المحلية ولفتح الأسواق بوجه المنتوجات الأجنبية .

لقد اراد النظام الماروني من خلال هذه السياسة صرف الناس الى مصالحهم المادية وبعيداً عن امور الحكم والسياسة لكي لا يفطن احد الى المؤامرة الصليبية ـ الصهيونية . كما نجح في دفع الكثير من الشبان المسلمين الى الإنخراط في صفوف الأحزاب والمنظمات للحصول على لقمة العيش . ففي الوقت الذي استولى الموارنة على مقدرات البلاد مكونين بذلك قوة منظمة وفعالة تفرق الشبان المسلمون في احزاب ومنظمات متناحرة يقاتل بعضها بعضاً على تأويل « القومية » و « الوطنية » و « الحرية » و « الوحدة » و « الاشتراكية » . جاء في البروتوكول الثالث لحكماء صهيون :

« اننا نقصد ان نظهر كما لو كنا نحن المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم ، حينما ننصحهم بان يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الإشتراكيين والفوضويين والشيوعيين . ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين باننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية الإجتماعية » .(٤١)

هذه السياسة اضعفت المسلمين ومزقتهم وبددت شملهم وحولتهم الى فرق متناحرة يقاتلون بعضهم بعضاً من خلال المنظمات العديدة بينما كون الموارنة جبهة متحدة تتحدى كل من يتعرض للنظام ويمسه بسوء .

وهكذا يكون الموارنة قد استطاعوا تدمير كل القوى ما عدا قوتهم . ومن اجل ارضاء البسطاء وتمويه الخطة حرصوا على ان تبقى هذه القوى

نظرياً في نشرات الأخبار في الاذاعة والتلفزيون . فحين يقف زعيم من زعماء « المعارضة » ليعارض انما يفعل ذلك بشكل صوري ويكون حائزاً على رضى السلطة والنظام لأن هذا النظام هو بحاجة ماسة الى مثل هذه المواقف « المعارضة » التي لن تمسه بسوء بل مهمتها تضليل الناس وجعلهم يعلقون الآمال على خطط ومشاريع ورموز وشخصيات كاذبة ومزيفة .

ثم ان عدم وجود مؤسسات اقتصادية واسلامية تتولى خدمة المجتمع وتأمين احتياجاته وفق القوانين الاسلامية ـ لأن السلطة تعمدت اهمال قضايا المسلمين خاصة ـ دعم خطة التمويل الخارجي للمسلمين لدفعهم الى التبعية والإستزلام .

هذه الخطة جرت على المسلمين الويلات والنكبات لأنها ادت الى اضعاف الشعور الاسلامي لدى المسلمين وسلوك كل السبل المعوجة للحصول على لقمة الرزق .

ان النظام الماروني حرم المسلمين من حقهم في العيش بحرية وكرامة واحتكر لنفسه ثروات البلاد من اجل تبديد الشمل الإسلامي وبعثرة المسلمين في الأحزاب والحركات التي تتحرك بارادة صليبية او صهيونية .

لقد سيطر الموارنة على جميع المقومات الإقتصادية الأساسية من اجل الوصول الى عقول الشبان وتخديرها بالسموم الفكرية واللاأخلاقية .

نعم كانت هناك خطة مقصودة لضرب التعاليم الإسلامية بالدس عليها وتسخيفها عن طريق سياسة الإفقار وترويج النشاطات الحزبية التي تتحرك جميعها بأوامر صليبية . ان الخطة تعاونت في سبيلها اجهزة الدولة الرسمية مع كل القيادات السياسية والحزبية.

ان الملحدين والعلمانيين الذين يروجون الأفكار المعادية للاسلام

ويعملون على نشر مختلف الوسائل التي تساعد على تحلل المجتمع الاسلامي فكراً وجسداً وتفكك ارتباطه بالقرآن والسنة : مصدري التشريع الأساسيين ، انهم بذلك يتفقون مع الصليبيين والأجهزة الرسمية لضرب الاسلام والمسلمين .

هذه السياسة اعطت نتائجها بوضوح عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

وتجدر الإشارة الى ان رؤساء الأحزاب في لبنان من « تقدمية » و « وطنية » و « ديموقراطية » و « اشتراكية » ويمين ويسار معظمهم من النصارى .

فجورج حاوي زعيم الحزب الشيوعي اللبناني هو ماروني وتربطه قرابة خاصة بوليم حاوي القائد العسكري لحزب الكتائب الذي قتل في معارك تل الزعتر عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

ثم ان الحزب الشيوعي اللبناني تأسس عام ١٩٢٣ م في بكفيا حيث يقطن آل الجميل وكان يضم الكثير من النصارى واليهود. اذن فالخطة واحدة والمؤامرة واحدة انما هناك اسلوب اسمه توزيع الأدوار .

ولنبدأ بالأرقام . فاذا تركنا وظيفة الوظائف ، ورئاسة الجمهورية ومستشاريها ومديريها ، جانباً فاننا سننتقل بشكل طبيعي الى قيادة الجيش ، وقيادة الدرك ، ولن نتعرض هنا للترقيات التي تكون بلا حساب للنصارى وتكون بحساب شديد ، بل يمتنع على الضباط المسلمين الترقي ، لذلك لم نسمع في يوم من الأيام ان مسلماً اصبح جنرالاً . وبعد ان نترك قيادة القوى العسكرية واركانها ومجالسها العليا ومصالحها الرئيسية وشعبها المهمة وكلها لغير المسلمين نعود الى السلك المدني فنرى ان اهم وزارات الدولة ليس فيها توازن بين المسلمين وغيرهم . فهذه مديريات وزراة التربية والخارجية والدفاع والاعلام والداخلية والمالية والبرق والبريد ، نكاد لا نرى فيها مسلماً ، حتى ان السفراء المسلمين

في الخارجية اللبنانية لا يتجاوز عددهم ربع عدد السفراء ، وعندما جرى التوظيف بالتعاقد في اكثر وزارات الدولة والجيش والاعلام كان الحرمان المطلق من نصيب المسلمين .

ثم لو عدنا الى رئاسات مؤسسات عامة لوجدنا ان الرئاسات التالية هي لغير المسلمين ومحظر على المسلمين تسلمها :

١ ـ رئاسة مجلس القضاء الأعلى
٢ ـ رئاسة النيابة العامة التمييزية
٣ ـ رئاسة مصرف لبنان
٤ ـ رئاسة مجلس الخدمة المدنية
٥ ـ رئاسة الجامعة اللبنانية
٦ ـ رئاسة تعاونية الموظفين
٧ ـ رئاسة الجمارك العليا
٨ ـ رئاسة مجلس البورصة
٩ ـ رئاسة الأمن العام
١٠ ـ رئاسة مجلس السياحة
١١ ـ رئاسة الريجي
١٢ ـ رئاسة التنظيم المدني
١٣ ـ رئاسة المشروع الأخضر
١٤ ـ رئاسة الأنعاش الإجتماعي
١٥ ـ رئاسة كهرباء لبنان
١٦ ـ رئاسة مشروع الليطاني
١٧ ـ رئاسة المجلس الوطني للبحوث العلمية
١٨ ـ رئاسة المجلس التأديبي .

كما ان منصب مدعي عام التمييز يشغله احد القضاة الموارنة منذ

عام ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م . وفي حال شغور منصب من مناصب ومراكز الادارة اللبنانية ، ويكون هذا المنصب لمسلم ، على قلة تلك المناصب ، فانه في الغالب تبقى هذه الوظيفة شاغرة فترة من الزمن ، وتوجه خلال فترة الشغور وكالة الى موظف غير مسلم ، حتى اذا جد الجد ووجب التوظيف عين غير المسلم فيها .

وهكذا انتقلت عدة مراكز من أيدي المسلمين الى أيدي النصارى :

فمديرية المالية ومديرية التربية ومديرية البريد والبرق والهاتف ورئاسة الاطفائية ومحافظة بيروت كلها كانت للمسلمين وطبعاً كان هذا الانتقال بدون عوض .[٤٢]

والمعلوم ان الغاء طائفية الوظيفة وتحريرها من المناصفة من شأنه ان يطلق العنان مجدداً للموارنة بالتعيين الإعتباطي .

ان الهيمنة المارونية بمختلف اشكالها ابتداء من اعلى منصب سياسي (رئاسة الجمهورية) واعلى منصب عسكري (قيادة الجيش) وصولاً الى ادنى مؤسسة او ادارة عامة او خاصة ، كما نرى في النقابات المهنية ، (الاتحاد العمالي العام ، نقابة الأطباء ، نقابة المحامين) . . . وكلها لا يسمح لغير ماروني او مسلم متمورن بترؤسها ، هذه الأوضاع منسجمة تماماً مع ما رسم للبنان منذ ان تمت صياغة المشروع الماروني .

وكان لإهمال المناطق الريفية المسلمة اثار سيئة ونتائج اقتصادية خطيرة فبينما نرى المنح الحكومية السخية تعطى بغير حساب لتحسين الطرق والماء والكهرباء والمشاريع والمؤسسات الاقتصادية في مناطق لبنان المسيحية وخاصة تلك التي توجد فيها بلدات وقرى مارونية تتعاون سياسياً مع زمرة الأقلية الحاكمة في بيروت ، نرى ان هذه المنافع تحجب عن المناطق الاسلامية مما دفع بأبناء هذه المناطق الى الهجرة الى بيروت ـ واحياناً الى الخارج ـ ليتكدسوا بالألوف في شوارعها وهكذا

تناقص عدد العاملين في القطاع الزراعي مقابل نمو لعدد العاملين في قطاع الخدمات .

ونتيجة لسقوط الأملاك الخاصة والمشاع والجماعية في ايدي كبار المقاطعجيين والمستكبرين منذ ايام الدولة العثمانية ، واعطاء الدولة اللبنانية هذا النوع من الاغتصاب والسرقة صفة شرعية فقد تحول هؤلاء المقاطعجيون الى كبار الملاكين لاحقاً وحرم الفلاحون في معظم الأراضي اللبنانية من حق الملكية العقارية ، ثم سجل كبار الملاكين الأغلبية الساحقة من تلك الأراضي كملك خاص لهم بموجب « الطابو » في دوائر الدولة ابان الاحتلال الفرنسي وكذلك فعلت الكنيسة المارونية .

وتقول دراسة اجريت بتكليف من الكنيسة المارونية ان ملكية الكنيسة للاراضي تبلغ ٣ في المائة من مساحة الأراضي الإجمالية للبنان و ٢ في المائة من جميع الأراضي الزراعية في البلاد[٤٣]، وبالاضافة الى ملكية الأراضي فان الكنيسة الكاثوليكية تسيطر وتساهم في شركات عديدة .

الفصل التاسع

العلاقات المارونية الصهيونية بعد الاستقلال والقضاء على الطابع الإسلامي للبنان « المستقل »

أولاً : العلاقات المارونية - الصهيونية بعد الاستقلال

تمهيد

بعد تطور القضية الفلسطينية ، تبين مدى ارتباطها بالقضية اللبنانية والقضية الصهيونية ، مما دعا نوري السعيد رئيس وزراء العراق الى اصدار « الكتاب الأزرق » متضمناً اقتراحات على الحكومة البريطانية مؤداها العمل لقيام وحدة عربية تشمل بلاد الشام والعراق على ان يكون للموارنة في لبنان كيان واستقلال ذاتي كما كان زمن الامبراطورية العثمانية ، وان يعطى لليهود في فلسطين كيان واستقلال ذاتي ايضاً [١] .

وقد أيد اليهود مثل هذه الصيغة من الوحدة العربية ، بل ان حاييم وايزمن نفسه سبق ان طالب عام ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م بضرورة قيام اتحاد عربي ينضم اليه الصهاينة في اطار تأسيس كمنولث يهودي يكون متحداً مع الاتحاد العربي[٢] .

ان النظام الماروني منذ الاستقلال عام ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م ابدى معارضته النظرية ضد الأطماع الصهيونية دون ابداء معارضة او مشاركة عملية . وقد اشيع في لندن عام ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م ان هناك اتفاقاً فرنسياً - لبنانياً يتضمن قسمة الأراضي اللبنانية بحيث يلحق القسم الجنوبي حتى مدينة صيدا بفلسطين ليسمح بزيادة الهجرة اليهودية على

ان يبقى القسم الآخر من لبنان تحت النفوذ الفرنسي[٣] .

وقد ذكرت صحيفة « النهار » مدى النشاط الصهيوني في داخل لبنان بقولها « فقد اتصل بنا عن ثقة ان جماعات من الصهيونيين في فلسطين شرعت منذ مدة في اجتياز الحدود الى لبنان خلسة تحت ستار الكتمان وبواسطة سماسرة ماهرين في دلهم على الطريق ، وقد تكاثرت جموع الفارين منهم على مختلف نقاط الحدود فتوزعوا بين العاصمة ومدن المحافظات ولا نعلم اذا كان المقصود بهذه الحركة افساح المجال للاجئين الجدد الى فلسطين ام التوطن في لبنان عن طريق شراء الأراضي والعقارات لتوسيع الوطن الصهيوني على حساب لبنان . »[٤] .

اعترافات ومذكرات شولا كوهن

تتحدث شولا كوهن رئيسة شبكة التجسس الاسرائيلية المشهورة في لبنان في مذكراتها ، عن التعاون الوثيق منذ الاستقلال بين حزب « الكتائب اللبنانية » وحاييم مولشو احد قادة المخابرات الصهيونية في لبنان ، وتقول كوهن ان رئيس حزب الكتائب بيار الجميل قد شارك شخصياً مع قادة حزبه في احتفال اقيم لابنها (وهو الاحتفال الذي يقام وفق الشعائر اليهودية لكل ذكر يبلغ الثالثة عشر من عمره) كتعبير عن متانة العلاقات المشتركة . كما ان رئيس الجمهورية اللبنانية السابق كميل شمعون قد ارسل الى الكنيس اليهودي في وادي ابو جميل سيارة ليموزين سوداء تابعة للقصر الجمهوري محملة بالزهور في المناسبة .[٥]

وتذكر كوهن ان ميليشيا حزب الكتائب قد شاركت في حماية الحي اليهودي مع ميليشيا الحي التابعة لحركة « ماكابي » اثناء احداث ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م في فلسطين واحداث ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م في لبنان ويذكر الدكتور يشعيا توبن وهو محاضر في الآداب الأجنبية في جامعة بن غوريون في النقب في مقال له :[٦] .

« لم تكن التمارين الرياضية التي كان يقوم بها شبيبة حركة مكابي

اليهودية في وادي ابو جميل سوى قناع يخفي وراءه النية لتشكيل قوة دفاع ذاتية يهودية . وقد اشتركت هذه القوة مع قوات « الكتائب » التي كانت قد شكلت آنذاك . .

الزعماء الموارنة يطالبون بدولة يهودية ودولة مارونية

لا ينسى المسلمون ترحيب البطاركة والموارنة بالخطط الصهيونية في المنطقة ، والدعوات المارونية في عهد الاستقلال لجعل لبنان وطناً قومياً مسيحياً والتي كان ابرزها دعوات ومذكرات المطران اغناطيوس مبارك والبطريرك انطون عريضة الذي قدم مذكرته الشهيرة الى الأمم المتحدة عام ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م طالباً جعل لبنان وطناً قومياً لنصارى الشرق .[٧]

وكان البطريرك قد اعلن عن مواقفه هذه مرات عديدة وفي عام ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م طالب بتأسيس دولة صهيونية في فلسطين ودولة مارونية في لبنان وارسل الى هيئة الأمم المتحدة يطلب مساعدتها في تحقيق هذين المشروعين .[٨]

ولم يكتف البطريرك بمواقفه المعلنة بل اراد ترسيخ هذه الفكرة الصليبية في نفوس اتباعه فأصدر كتيباً يحمل عنوان « ولبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الأدنى » وذلك في عام ١٩٤٦ م.وضع هذا الكتاب باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والإسبانية وغيرها ، وكأن البطريرك شاء من خلال كتابه ان يجعل من فكرة تحويل لبنان الى « وطن قومي

مسيحي » قضية دولية ومشروع دولي تتنافس الدول الكبرى في سبيل تحقيقه . والحقيقة ان مطلب البطريرك عريضة كان في صلب مهمات جميع البطاركة الذين سبقوه .

ولو كانت هذه الحقائق مجرد إشاعات لما تولد منها خطر مباشر على المسلمين ، ان الموارنة اعلنوا عن خططهم ومشاريعهم عبر خطبهم وصحفهم وكتبهم وقاموا من اجل ذلك بحملة اعلامية دولية لكسب الرأي العام الى جانبهم .

كان اميل اده لا يخجل من التصريح علناً على مسامع المسلمين بأن لبنان « هو الجزيرة المسيحية الوحيدة في بحر من البلدان الاسلامية » . واعتبر « ان لبنان يحمل رسالة مسيحية في الشرق الأدنى ويجب ان يحافظ على تحالف دائم مع فرنسا » . وشبه اميل اده بيروت بالمدن في جنوبي فرنسا .

وكان رئيس اساقفة بيروت الماروني ، اغناطيوس مبارك يعلن في كل مناسبة وعلى مسامع المسلمين بأنهم (اي المسلمين) طوائف لاجئة الى لبنان ، ويحاول في كل خطاب ان يفرض شفاعة مار مارون على جميع اللبنانيين ، كأن اللبنانيين هم الموارنة .[٩]

وكثيراً ما لوحظ عليه عطفه على الاسرائيليين ضد المسلمين ، وسجلت عليه بياناته التي بلغت من الطيش احياناً ، ما اربك حتى الزمرة المارونية واحرجها ، والتي لم تكن في وضع يسمح لها بتحدي العالم الاسلامي عامة وعلناً ، فقد اصدر بيانات تقول للجنة الامم المتحدة المعنية بجمع الحقائق عن فلسطين ، بانه يؤيد وجود دولة اسرائيل الصهيونية للعمل معاً ضد المسلمين . بشارة الخوري اقترح تفريغ سكان جبل عامل من بنيه واستبدالهم بالموارنة لأنهم على حد قوله « حاجز يجب ازالته » اما الدول الكبرى فقد اتضح انها تؤيد هذه الخطط

وتوافق اغناطيوس مبارك وبشارة الخوري واميل اده والبطريرك عريضة وكل البطاركة من اجل قيام دولة لبنان المسيحي .

نحن جميعاً نعلم اهداف فرنسا وسجلها قبل اخراجها من هذا البلد ونعلم ايضاً انها ترغب في استعادة نفوذها عن طريق الموارنة الذين جاؤوا بها اصلاً الى لبنان عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م ومرة ثانية خلال ١٣٣٦ - ١٣٣٨ هـ - (١٩١٨ - ١٩٢٠) م .

كما وجد الموارنة في الحركة الصهيونية وحليفتها الولايات المتحدة صديقاً مخلصاً لأن الصهاينة الأمريكان قرروا تأييد المشروع الماروني كأفضل وسيلة لتدعيم جبهة الصراع ضد المسلمين .

تصريح المطران مبارك للجنة التحقيق الدولية

في ربيع الثاني من عام ١٣٦٥ هـ ـ آذار ١٩٤٦ م وصلت الى المنطقة لجنة التحقيق الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية ، فأبدى المسلمون رفضهم لإنشاء دولة يهودية على حسابهم في فلسطين ، فيما رحب الموارنة وادلى رئيس اساقفة بيروت الماروني السابق المطران اغناطيوس مبارك ـ مطران ابرشية بيروت بتصريح طالب فيه بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين يكون عوناً للموارنة في مشاريعهم ومخططاتهم .

جاء في كلام المطران : « ان لجنة التحقيق الدولية الانكليزية ـ الأميركية لم تسمع صوت لبنان الحقيقي ولا الرأي العام عندما استمعت الى شهادات الشهود في بيروت . لو سمعت اللجنة صوت لبنان الحقيقي لكانت سمعت ذلك الصوت يعلن مؤازرة العمران اليهودي في فلسطين ومؤازرة الصهيونية باعتبارها شعاراً للتقدم لشعوب الشرق الأوسط كلها » .

واوضح ان رأيه هو رأي البطريرك الماروني الذي اعلن كثيراً عطفه على اليهودية العالمية والصهيونية .

وزاد المطران مبارك قائلاً : « ان لجنة التحقيق قد سمعت فقط

اشخاصاً انتخبتهم الحكومة وقالوا ما طلبت منهم الحكومة ان يقولوا . وإني اتهم رئيس جمهوريتنا بأنه لم يعط رأيه الحقيقي عن الصهيونية لأنه يخاف من الجامعة العربية وهو يعتقد عكس ما يقول وقد قلت له ذلك انا بنفسي ، والحكومة الحاضرة ما كانت لتصل الى الحكم لولا مساعدتي فقد جلبت تأييد المسيحيين لرئيس الجمهورية الذي اتهمه الآن انه لم يوضح شعوره الحقيقي للجنة التحقيق .

ان تقدم لبنان مربوط بتقدم فلسطين ونحن اللبنانيون المسيحيون نعلم ذلك وندرك ان الصهيونية تأتي بالتمدن لفلسطين وللشرق الأوسط كله ، واني متحمس جداً للصهيونية ، لأني احب الخير لفلسطين واذا احببتم ان تماشوا رغبات العرب المسلمين ، فهؤلاء يرغبون في السيطرة على البلاد وفي طرد المسيحيين منها .

واني اقول لكم بصراحة انكم اذا قاومتم الصهيونية في فلسطين فان ذلك يعني ارجاع الشعب الى حكم الهمجية وإرجاع البلاد الى حالة الفوضى والبرطيل كما كانت ايام حكم سلاطين بني عثمان »[١٠] .

عندما طرح موضوع مقاطعة الحركة الصهيونية اعلن بيار الجميل رئيس حزب الكتائب انه يأسف لمقاطعة الصهيونية لأنها تجلب على لبنان اضراراً بالغة على حد قوله واضاف انهم قبلوا المقاطعة مرغمين ، وانه لو ترك لهم الخيار لما قاطعوا الصهيونية[١١] . ونظراً للاتجاهات المارونية وموقفها من الصهيونية ، فقد اعتبرت صحيفة « العروبة » ان انشاء الوطن القومي اليهودي امر قائم لا محالة ، والأمر الذي يخيف هو قيام وطن قومي مسيحي في لبنان[١٢] .

وفي نيسان ١٩٤٦ م وصل الى الولايات المتحدة انطون عقل ، المبعوث الشخصي للبطريرك الماروني انطون عريضة واعلن بأنه سيتقدم الى مجلس الأمن طالباً ان يحمي لبنان من « السيطرة الاسلامية » وقال :

« ان استقلال لبنان تهدده الدول الاسلامية المحيطة به . . . واذا تم ذلك فسوف يبتلع لبنان ويقضى على ديموقراطيته »[١٣] .

وعندما طرح موضوع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ م ومع دخول فرنسا وبريطانيا في مفاوضات الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية قدم اقتراح بان يضم الجليل الأعلى الى دولة لبنان الكبير ، فاحتج المطران مبارك والبطريرك عريضة على هذا الإقتراح ، وكتبا الى الإدارات الخارجية الأوروبية محتجين بقوة على هذا الضم باعتبار انه يخل إخلالاً واضحاً بالمعادلة السكانية ويحول النصارى في لبنان الى مجرد اقلية قليلة لا حول لها ولا قوة . واقترحا بالمقابل ان يقتطع جنوب الليطاني ويضم الى فلسطين لكي تبقى الهيمنة المارونية من الناحية العددية مضمونة .

خطة عمل اسرائيلية في ٢٠ ـ ١١ ـ ١٩٤٦ م .

في خطة العمل التي قدمها الى موشي شاريت في اواخر ١٣٦٥ هـ ـ ٢٠ كانون الأول ١٩٤٦ م لكي تبحث في المؤتمر الصهيوني يقول ساسون :[١٤]

« . . . كما يتوجب علينا ايضاً تشجيع العناصر الطامحة لتقسيم لبنان الى دولتين مسيحية واسلامية ، او العناصر الطامحة لاعادة لبنان الى حدوده في العام ١٩١٧ واقامة دولة مسيحية نقية من العنصر الاسلامي داخل هذه الحدود ، ان دولة كهذه في حال قيامها ستدعم الأهداف الصهيونية في فلسطين وتقوي من جديد النفوذ الفرنسي في لبنان وفي الشرق الأوسط بأجمعه ، وفي الوقت نفسه من المستحسن العمل لايجاد طرق اخرى لتحقيق هذا الهدف مثل :

١ ـ تقوية نفوذ الكنيسة المارونية

٢ ـ تقوية الصحافة المارونية

٣ ـ تقوية الكتل البرلمانية والمنظمات والأحزاب ذات الميول الإسبارطية » .

ومن البديهي ان تكون الدولة « النقية من العنصر الاسلامي »

مشابهة في الأغراض والأهداف للدولة الأخرى التي كانت على وشك الظهور اي الدولة اليهودية ، وعلى هذا الأساس يكون هناك مبرر لإقامة كيانات طائفية اخرى .

ويوضح ساسون هذه الفكرة بشكل صريح حين يقول :

« اذا تم تقسيم لبنان واقامة دولة مسيحية في احد اجزائه قبل اقامة الدولة اليهودية ، فان هذا الوضع سيستغل من جانبنا كنموذج سابق لحل مشكلة فلسطين وسيضعف الى حد كبير المعارضة العربية لتحقيق اهدافنا السياسية . اما اذا تم تقسيم لبنان واقامة الدولة المسيحية بعد اقامة الدولة اليهودية فهذا الوضع سيسهل اقامة تعاون مخلص بين الدولتين الجديدتين المسيحية واليهودية من جهة ، وبين الدول الديموقراطية العظمى وهاتين الدولتين من جهة اخرى وكذلك سيشجع هذا الوضع خلق جبهة مسيحية ـ يهودية مشتركة في قلب المحيط العربي من اجل تطويره حقيقياً في شتى المجالات » .

ويدعو ساسون الى « اجراء تغيير اساسي في العالم العربي » واثارة الفتن والمؤامرات و « تضخيم مشاكل الأقليات بشكل عام » .

الموارنة يخوضون مع اسرائيل معركة المصير

في عام ١٣٦٦ هـ ـ ٥ آب ١٩٤٧م ارسل المطران اغناطيوس مبارك مذكرة جديدة الى لجنة التحقيق الدولية طالب فيها صراحة بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ووطن قومي مسيحي في لبنان « وان هناك اسباباً رئيسية اجتماعية وانسانية ودينية تقضي بأن يخلق وطنان للأقليات : وطن مسيحي في لبنان ـ كما كان دائماً ، ووطن يهودي في فلسطين وسيكون هذان الوطنان مرتبطين ببعض جغرافياً ويتساندان ويتعاونان اقتصادياً ، ويكونان جسراً لا بد منه بين الشرق والغرب سواء من الناحية الثقافية او الحضارية »[١٥] .

والجدير بالذكر ان القوى المارونية تفاخر بموقف المطران مبارك فيذكر وليد فارس بان المطران كان يمثل التيار الشعبي الماروني والمسيحي ويقول « فقد ترددت عباراته التي اطلقها ومطالبه على ألسنة الجماهير المسيحية في الجبل والمدن الساحلية شمالي بيروت » مؤيدةً مطالبه بانشاء الوطن القومي اليهودي والوطن القومي المسيحي .[١٦] وفي عام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ذهب المطران الى باريس فصرح بما يلي :

« ان لبنان بلد كاثوليكي ، ويحاول المسلمون ان يستعبدوه كما يحاولون استعباد جميع المواطنين الذين يسكنون معهم في بلد واحد كاليهود في فلسطين . يجب ان يكون لليهود وطن قومي كي يتمكنوا من العيش الهادىء ، والا فان اية ولاية غير اسلامية لا تستطيع ان تعيش بحرية وتمارس معتقداتها الدينية تحت سيطرة اسلامية بحت »[١٧] .

وفي نفس اليوم ، في ٢١ حزيران ١٩٤٨ يعلن فؤاد افرام البستاني في محاضرة عن مار مارون : « حتى اذا اطلت طلائع الصليبيين (على لبنان) امكن للموارنة ان يمدوهم بثلاثين الف نبال ، اجمع الفرنجة على الاعجاب بشجاعتهم ومهارتهم فالمارونية بنت لبنان ، ولبنان في الكثير من مزاياه وخصائصه من صنع المارونية . . . فلا وطن لها سواه ولا كيان له بدونها . . فهما ثابتان على كرور الأيام ، لا انتقاصاً من حق قريب ولا عداء لجار ، مندفعان ولا تهور ، صابران ولا يأس راجيان ولا غرور »[١٨] .

وقد اوضح الدكتوران مصطفى خالدي وعمر فروخ في كتابهما « التبشير والاستعمار » ان وزيراً مسؤولاً في الحكومة اللبنانية قام بإرسال « برقية حكومية رسمية » بالتعزية في سمسار لليهود .[١٩] .

هذا وقد اشار الياهو ساسون في مذكراته في كتاب « في الطريق الى السلام » انه سافر خصيصاً الى بيروت في ٢١ نيسان ١٩٤٨ م تلبية لطلب مدير القسم السياسي في الوكالة اليهودية موشي شاريت (شرتوك) للقاء الياهو رابينو فيتش - يهودي يسكن في بيروت - للاطلاع على ما لديه من معلومات . وكان هذا الأخير على علاقة وثيقة مع راشد ريشاني صديق بيار الجميل الحميم ورئيس تجمع الصيادلة في لبنان ، ويملك في الوقت نفسه صيدلية في منطقة زقاق البلاط في بيروت .

اجتمع الياهو ساسون مع اصدقاء رابينو فيتش وبحث معهم في

تفاصيل الخطط والمشاريع الصهيونية والصليبية .

اما فيما يختص بموقف الموارنة من حرب فلسطين ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م فانهم رفضوا اشتراك لبنان في الحرب مقابل دعمهم وتأييدهم للصهاينة . وكما اسلفنا فقد شاركت ميليشيا حزب الكتائب في حماية الحي اليهودي في وادي ابو جميل في بيروت مع ميليشيا الحي التابعة لحركة « ماكابي » اثناء احداث ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

وكان الموارنة يأملون من ذلك ان يخفف قيام دولة اسرائيل من ضغط المسلمين على النصارى في لبنان ، بحيث تصبح قضية الوطن القومي الماروني في لبنان مسألة سهلة التحقيق »[٢٠] . وفعلاً فقد جاءت نكبة فلسطين عام ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م وقيام اسرائيل لتساعد على اعطاء الأقلية المارونية عربياً ودولياً قدرة على الحركة لم تكن لها في السابق .

كما ان الموارنة انتهزوا محنة فلسطين ليتخذوها سلماً الى قهر المسلمين . وقد كانت نشوتهم عظيمة بتلك المحنة .

وكان دافع الثمن المباشر لهزيمة العام ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م هو جبل عامل صاحب العلاقة الحيوية والعريقة بفلسطين والذي تحول فيما بعد الى هدف دائم للاعتداءات الاسرائيلية .

وقد نجح الموارنة في تهريب الكثير من اليهود من العراق وسوريا الى داخل فلسطين .[٢١]

عام ١٩٤٨ م كتب بن غوريون ، الصهيوني المتمرس، في مذكراته ما يلي :

« ان نقطة الضعف في اتحاد العرب ، تكمن في لبنان ، وان سيطرة الاسلام في هذا البلد ، سيطرة مفتعلة ، وان ازالتها شيء عملي

بسيط ، ويجب ان تتواجد حكومة مسيحية في لبنان ، حدودها الجنوبية نهر الليطاني ، وعلينا في المستقبل البعيد ان نعقد معاهدة سلام معها . »

ومنذ ان تم قيام دولة « اسرائيل » ارتبط الموارنة بعلاقات وثيقة معها وكانت « منظمة الكتائب » تعمل بكل قواها على جمع القوى النصرانية حول فكرة الدولة المارونية القائمة على اساس التفاهم مع اسرائيل وضم لبنان الى املاكها ، ومن ثم تربية الموارنة في احضان اسرائيل لانقاذهم من المسلمين « الذين لا يمكن العيش معهم »[٢٢] .

وفي ١٣ أيار ١٩٤٩ م نشرت وثيقة مرسلة من عكا الى بيروت اثبتت تعامل الكتائب والمطران اغناطيوس مبارك مع اسرائيل لقلب نظام الحكم في لبنان وانشاء الوطن القومي الماروني .[٢٣] .

وقد اشار شارل مالك وزير لبنان المفوض في واشنطن عام ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م الى هذه العلاقات وامكانية « ان يحصل اتفاق خفي بين اسرائيل وبين بعض اللبنانيين القصيري النظر فيحدثوا انقلاباً موالياً لإسرائيل »[٢٤] .

لقد اثبتت الوقائع التاريخية منذ اوائل القرن العشرين ان الأقلية المارونية ابدت تأييداً مطلقاً لأهداف الحركة الصهيونية في فلسطين ضمن اطار المصالح والعلاقات المتبادلة ، واستمر هذا الموقف حتى في عصر الاستقلال ، بل اننا نرى ان رئيس الوزراء سامي الصلح اتهم مباشرة رئيس الجمهورية بشارة الخوري وعائلته بالتعامل مع اسرائيل وذلك في بيان اذاعه في المجلس النيابي بقوله « . . . حاربونا لأننا شرعنا في مكافحة التهريب الى اسرائيل لأن هذه المكافحة تقطع عليهم الرزق الحرام . . . »[٢٥] . واستمر موقف الموارنة وعلاقتهم بإسرائيل عبر عهد الرؤساء كميل شمعون وفؤاد شهاب وشارل الحلو وسليمان فرنجية والياس سركيس وامين الجميل ، كما ان هذه العلاقة التاريخية لم تنحسر مطلقاً .

اتفاق الهدنة

بين لبنان واسرائيل

١٩٤٩

رأس الناقورة ، ٢٣ آذار ١٩٤٩

مقدمـة :

إن الفريقين في هذا الاتفاق ،

استجابة منهما الى قرار مجلس الأمن الصادر في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ الذي دعاهما ، كتدبير اضافي مؤقت بمقتضى المادة ٤٠ من ميثاق الأمم المتحدة ومن أجل تسهيل الانتقال من المهادنة الحالية الى سلم دائم في فلسطين ، الى التفاوض لعقد هدنة .

وحيث انهما قررا الدخول في مفاوضات برئاسة الأمم المتحدة بصدد تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ ، وعيّنا ممثلين معتمدين للمفاوضة وعقد اتفاق هدنة .

فإن الممثلين الموقعين أدناه ، بعد أن تبادلوا وثائق اعتمادهم المطلق التي وجدت مستوفية جميع الشروط ، اتفقوا على الأحكام التالية :

المادة الأولى :

في سبيل تسهيل اعادة السلم الدائم الى فلسطين واعترافاً بما للضمانات المتبادلة حول العمليات العسكرية المقبلة للفريقين من أهمية في هذا الشأن ، يؤكد هذا الاتفاق المبادىء التالية التي ينبغي على كل الفريقين التقيد بها تقيداً تاما أثناء الهدنة :

١ - يجب على الفريقين كليهما من الآن فصاعدا أن يحترما بكل أمانة توصية مجلس الأمن بعدم اللجوء الى القوة العسكرية في تسوية القضية الفلسطينية .

٢ - لا يجوز للقوات المسلحة البرية أو البحرية أو الجوية التابعة لأي من الفريقين القيام بأي عمل عدواني او التخطيط له او التهديد به ضد شعب الفريق الآخر أو قواته المسلحة ، مع العلم بأن عبارة « التخطيط » المستعملة في هذا السياق لا تتناول التخطيط المعتاد الذي تجريه القيادات في المنظمات العسكرية عموما .

٣ - يحترم احتراماً تاماً حق كل من الفريقين في أمنه واطمئنانه الى عدم الهجوم عليه من جانب القوات المسلحة التابعة للفريق الآخر .

٤ - تعتبر اقامة هدنة بين قوات الفريقين المسلحة خطوة لا بد منها في سبيل تصفية النزاع المسلح واعادة السلم الى فلسطين .

المادة الثانية :

تنفيذاً لقرار مجلس الأمن الصادر في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ ، على وجه التخصيص ، يؤكد هذا الاتفاق المبادىء والغايات التالية :

١ - يُعترف بمبدأ عدم كسب أية ميزة عسكرية او سياسية من جراء المهادنة التي أمر بها مجلس الأمن .

٢ - ويُعترف أيضاً بأنه لا يمكن بشكل من الأشكال لأي من بنود هذا الاتفاق أن يمس حقوق أي من الفريقين أو مطالبه أو مواقفه في التسوية السلمية النهائية لقضية فلسطين ، اذ ان احكام هذا الاتفاق مبنية على الاعتبارات العسكرية وحدها .

المادة الثالثة :

١ - تطبيقاً للمبادىء الواردة أعلاه ولقرار مجلس الأمن الصادر في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ ، أقرت بهذا الاتفاق هدنة عامة بين القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية للفريقين .

٢ - لا يجوز لأية فئة من القوات البرية او البحرية او الجوية ، العسكرية أو شبه العسكرية ، التابعة لأي من الفريقين ، بما في ذلك القوات غير النظامية ، ان ترتكب أي عمل حربي أو عدائي ضد قوات الفريق الآخر العسكرية أو شبه العسكرية ، أو ضد المدنيين في الأراضي التي يسيطر عليها الفريق الآخر ، ولا يجوز لها لأي غرض كان أن تتخطى أو تعبر خط الهدنة المبين في المادة الخامسة من هذا الاتفاق ، أو أن تدخل أو تعبر المجال الجوي التابع للفريق الآخر او المياه الواقعة ضمن ثلاثة أميال من الخط الساحلي التابع للفريق الآخر .

٣ - لا يجوز توجيه أي عمل حربي أو عمل عدائي من أراضٍ يسيطر عليها أحد فريقي هذا الاتفاق ضد الفريق الآخر .

المادة الرابعة :

١ - يسمى الخط الموصوف في المادة الخامسة من هذا الاتفاق

« خط الهدنة » ، ويُحدد طبقاً للغاية والقصد اللذين ينطوي عليهما قرار مجلس الأمن الصادر في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ .

٢ ـ إن الغاية الأساسية من خط الهدنة هي تحديد الخط الذي لا يجوز أن تتخطاه القوات المسلحة التابعة لكل من الفريقين .

٣ ـ إن تعليمات قوات الفريقين المسلحة وأنظمتها التي تحرم على المدنيين اجتياز خطوط القتال أو دخول المنطقة الواقعة بين هذه الخطوط تبقى سارية بعد توقيع هذا الاتفاق ، وذلك بالنسبة الى خط الهدنة المحدد في المادة الخامسة .

المادة الخامسة :

١ ـ يتبع خط الهدنة الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين .

٢ ـ في منطقة خط الهدنة تتألف القوات العسكرية لكلا الفريقين من قوات دفاعية فقط كما هي محددة في ملحق هذا الاتفاق .

٣ ـ يتم سحب القوات الى خط الهدنة وتخفيضها الى المستوى الدفاعي وفقاً لاحكام الفقرة السابقة خلال عشرة أيام من تاريخ توقيع هذا الاتفاق . وكذلك يتم في المدة عينها نزع الألغام من الطرق والمناطق الملغومة التي يخليها كل من الفريقين ، وارسال المخططات التي تبين مواقع حقول الألغام الى الفريق الآخر .

المادة السادسة :

يجري تبادل جميع أسرى الحرب الذين يحتجزهم أي من الفريقين والتابعين للقوات المسلحة النظامية أو غير النظامية للفريق الآخر كما يلي :

١ ـ يجري تبادل أسرى الحرب تحت اشراف الأمم المتحدة ومراقبتها في جميع المراحل ، يجري التبادل في رأس الناقورة خلال أربع وعشرين ساعة من توقيع هذا الاتفاق .

٢ ـ يشمل تبادل الأسرى هذا أسرى الحرب الملاحقين جزائياً وكذلك الذين صدرت بحقهم أحكام جنائية أو غيرها .

٣ ـ ترد إلى اسرى الحرب المتبادلين جميع الأشياء ذات الاستعمال الشخصي والأشياء القيّمة والرسائل والوثائق ومستندات الهوية وسواها من الأمتعة الشخصية أيا كان نوعها ، وإذا كان الأسرى قد هربوا أو توفّوا ترد الى الفريق الذي ينتمي هؤلاء الى قواته المسلحة .

٤ ـ جميع الشؤون التي لم يرد عليها نص صريح في هذا الاتفاق تقرر وفقاً للمبادىء الواردة في الاتفاقية الدولية المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب والموقعة في جنيف في ٢٧ يوليو (تموز) ١٩٢٩ .

٥ ـ تتولى لجنة الهدنة المشتركة المنصوص عليها في المادة السابعة من هذا الاتفاق مسؤولية البحث عن المفقودين ، من عسكريين ومدنيين ، داخل المناطق التي يسيطر عليها كل من الفريقين ، وذلك لتسهيل تبادلهم على وجه السرعة . ويتعهد كل فريق بأن يبذل للجنة كل تعاون ومساعدة في القيام بهذه المهمة .

المادة السابعة :

١ ـ تشرف على تنفيذ أحكام هذا الاتفاق لجنة هدنة مشتركة تتألف من خمسة أعضاء يعين اثنين منهم كل من فريقي هذا الاتفاق ، ويكون رئيسها رئيس اركان هيئة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة أو أحد كبار الضباط من هيئة المراقبين في تلك المنظمة يعينه رئيس الأركان المذكور بعد التشاور مع فريقي هذا الاتفاق .

٢ ـ يكون مقر لجنة الهدنة المشتركة في مخفر الحدود الى الشمال من المطلة ، وفي مخفر الحدود اللبناني في الناقورة ، وتجتمع اللجنة في الأماكن والأوقات التي تراها ضرورية لتصريف أعمالها بصورة فعالة .

٣ ـ تعقد لجنة الهدنة المشتركة اجتماعها الأول بدعوة من رئيس أركان هيئة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة في موعد لا يتجاوز أسبوعاً واحداً من توقيع هذا الاتفاق .

٤ ـ تكون قرارات لجنة الهدنة المشتركة بالاجماع كلما تيسر ذلك ، وإلا اتخذت القرارات بأكثرية اصوات أعضاء اللجنة الحاضرين المقترعين .

٥ ـ تضع لجنة الهدنة المشتركة القواعد الاجرائية التي تتبعها . ولا تجتمع الا بناء على دعوة يوجهها رئيسها إلى الأعضاء حسب الأصول . ويكتمل النصاب بحضور أكثرية أعضائها .

٦ ـ تكون للجنة سلطة استخدام المراقبين من بين المنظمات العسكرية التابعة للفريقين ، أو من بين عسكريي هيئة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة ، أو من كلتا الجهتين ، بالعدد الذي يُعتبر ضروريا للقيام بمهماتها . وفي حالة استخدام مراقبي الأمم المتحدة لهذه الغاية فانهم يظلون تحت قيادة رئيس اركان هيئة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة . أما المهمات ذات الطابع العام أو الخاص التي تسند الى مراقبي الأمم المتحدة الملحقين بلجنة الهدنة المشتركة فتكون خاضعة لموافقة رئيس أركان الأمم المتحدة أو ممثله المعين في اللجنة أيهما كان متولياً رئاستها .

٧ ـ تحال بشكل فوري المطالب أو الشكاوى التي يتقدم بها أي من الفريقين ، والمتعلقة بتطبيق هذا الاتفاق ، إلى لجنة الهدنة المشتركة بواسطة رئيسها . تتخذ اللجنة بشأن جميع هذه المطالب أو الشكاوى

الاجراءات التي تراها مناسبة ، وذلك بواسطة اجهزة المراقبة والتحقيق لديها ، بغية الوصول الى تسوية عادلة مقبولة لدى الفريقين .

٨ ـ إذا اختلف على تفسير معنى بند معين من بنود هذا الاتفاق ، فيما عدا المقدمة والمادتين الأولى والثانية ، يعمل بتفسير اللجنة . ويجوز للجنة ، بمحض تقديرها وكلما دعت الحاجة ، أن تقترح على الفريقين من وقت إلى آخر تعديلات في أحكام هذا الاتفاق .

٩ ـ ترفع لجنة الهدنة المشتركة إلى كلا الفريقين تقارير عن أعمالها كلما رأت ذلك ضروريا . وترسل صورة عن كل من هذه التقارير إلى الأمانة العامة للأمم المتحدة لإحالتها الى الادارة أو الوكالة المختصة في الأمم المتحدة .

١٠ ـ يمنح أعضاء اللجنة ومراقبوها حرية التنقل والوصول في المناطق المشمولة بهذا الاتفاق إلى المدى الذي تراه اللجنة ضرورياً ، على انه في حال اتخاذ اللجنة مقررات كهذه بأكثرية الأصوات يستخدم مراقبو الأمم المتحدة وحدهم .

١١ ـ توزع نفقات اللجنة ، غير تلك العائدة الى مراقبي الأمم المتحدة بين فريقي هذا الاتفاق بالتساوي .

المادة الثامنة :

١ ـ لا يخضع هذا الاتفاق للابرام ، بل يصبح نافذا فور التوقيع عليه .

٢ ـ حيث ان هذا الاتفاق قد جرت المفاوضة فيه ، وعقد استجابة لقرار مجلس الأمن الصادر في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ الذي دعا الى إقرار هدنة لدرء الخطر الذي يهدد السلم في فلسطين ولتسهيل

الانتقال من المهادنة الحالية الى سلم دائم في فلسطين ، فإنه يبقى نافذا حتى الوصول الى تسوية سلمية بين الفريقين ، باستثناء ما ورد في البند ٣ من هذه المادة .

٣ ـ يجوز لفريقي هذا الاتفاق بالرضى المتبادل تعديله هو أو أي من أحكامه ويجوز لهما وقف تطبيقه ، فيما عدا المادتين الأولى والثالثة ، في أي وقت . وإذا لم يتوصل إلى رضى متبادل ، وبعد أن تكون قد انقضت سنة واحدة على وضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ من تاريخ توقيعه ، يجوز لأي من الفريقين أن يطلب إلى الأمين العام للأمم المتحدة دعوة ممثلي الفريقين إلى مؤتمر غايته مراجعة أو تعديل أو تعليق أي من الأحكام الواردة في هذا الاتفاق باستثناء المادتين الأولى والثالثة . ويكون الاشتراك في مؤتمر كهذا الزامياً للفريقين .

٤ ـ إذا لم يسفر المؤتمر المشار إليه في البند ٣ من هذه المادة عن حل متفق عليه لنقطة مختلف عليها ، جاز لأي من الفريقين أن يرفع الأمر إلى مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة طلباً للحل المنشود على أساس ان هذا الاتفاق إنما عُقد استجابة لقرار مجلس الأمن في سبيل إقرار السلم في فلسطين .

٥ ـ وقع هذا الاتفاق على خمس نسخ ، يحتفظ كل فريق بنسخة ، وتسلم نسختان إلى الأمن العام للأمم المتحدة لارسالهما الى مجلس الأمن وإلى لجنة التوفيق الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة ، ونسخة إلى الوسيط لفلسطين بالوكالة .

كتب في رأس الناقورة في الثالث والعشرين من شهر مارس (آذار) سنة ألف وتسعمئة وتسع وأربعين بحضور المندوب الشخصي لوسيط

الأمم المتحدة لفلسطين بالوكالة ورئيس أركان هيئة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة .

عن حكومة اسرائيل :

تواقيع :

المقدم مردخاي ماكليف

يهوشوع بلمان

شبطاي روزين

عن حكومة لبنان :

تواقيع :

المقدم توفيق سالم

الرائد ج . حرب

مذكرات موشي شاريت: الوثائق الاسرائيلية للمشروع الماروني

تقدم مذكرات « موشي شاريت » وثائق كاملة توضح كيف ان الصهاينة وضعوا بالاتفاق مع الموارنة خططاً شيطانية « لنصرنة لبنان » (وجعله مسيحياً) قبل ان يصبح الوجود الفلسطيني عاملاً سياسياً في لبنان .

هذه الوثائق تعني الكثير على الصعيد اللبناني فيما لو عرضنا الماضي على الحاضر .

كان بن غوريون يرى « ان نقطة الضعف في التحالف العربي هو لبنان ، وان نفوذ المسلمين يمكن اسقاطه بسهولة ، ثم تقوم هناك دولة مسيحية تنتهي حدودها عند نهر الليطاني ، وتتحالف مع اسرائيل ، واعتبر ان وجود دولة مسيحية في لبنان امر طبيعي لأن له جذوراً تاريخية ، وسيلقى دعم وتأييد قوى كبرى بين اوساط العالم المسيحي الكاثوليكي والبروتستانتي ... ولهذا يجب استثمار كل الإمكانيات والوسائل ، واستخدام كل الأساليب التي تؤدي الى احداث تغيير اساسي في لبنان ... كما يجب تجنيد الياهو ساسون وغيره واذا طلب نقوداً فلا يجب ان نبخل بالدولارات حتى لو ربطنا الأموال بقرن الغزال » .

وستتحدث عن هذه الخطط بالتفصيل .

في ٢٧ شباط ١٩٥٤م من العام ١٣٧٣ هـ اي بعد اقل من ثماني سنوات على وضع خطة ساسون عقد اجتماع بين بن غوريون وشاريت ولافون ودايان بحثت خلاله الخطوط العريضة لمشروع يقترح تمزيق اكثر جارات اسرائيل مسالمة تلك الأيام : لبنان .

وقد احتلت هذه المسألة حيزاً لا بأس به من مذكرات موشي شاريت فأورد في هذا الصدد ما يلي .

« ثم انتقل بن غوريون الى موضوع ثان ، وقال ان هذا هو الأوان لدفع لبنان مما يعني مارونيي ذلك البلد ، الى اعلان دولة مسيحية » .

ولكن شاريت تردد قائلاً ان الموارنة منشقون على انفسهم ... ولن يجرؤ طرف منهم على عمل اي شيء .. واقامة لبنان مسيحي يعني تخلي المسيحيين عن صور وطرابلس والبقاع وفي هذه الحالة سوف يفقد لبنان سبب وجوده الاقتصادي » .

وكان رد فعل بن غوريون غاضباً ... وراح يعدد المبررات التاريخية لوجود لبنان مسيحي محدود وقال « انه اذا حصل مثل هذا التطور فان القوى المسيحية (في العالم) لن تجرؤ على معارضته » .

وقد تخوف شاريت من « مغامرة تجلب لهم الخزي » وذلك بسبب نقص في الأموال ، وجاء الجواب انه لا بد من ايجاد المال اللازم ... واذ لم يكن من خزينة الدولة ، فمن الوكالة اليهودية ... ذلك ان مثل هذا المشروع يستحق التضحية بمئة الف ، او نصف مليون ، او حتى مليون دولار .. وعندما يحصل ذلك سيحصل تغيير جذري في الشرق الأوسط ، وسيبدأ عصر جديد »[٢٦] .

خطة بن غوريون

وفي اليوم التالي ، ازسل بن غوريون الى شاريت الرسالة التالية :

« الى موشي شاريت ، رئيس الوزراء

سديه بوكر **٢٧ شباط ١٩٥٤**

. . من الواضح ان لبنان هو النقطة الأضعف في الجامعة العربية فكل الأقليات الاخرى في الدول العربية هي اقليات مسلمة باستثناء الأقباط ، ولكن مصر هي الأكثر تماسكاً وصلابة بين الدول العربية ، والأكثرية فيها تتألف من كتلة واحدة صلبة ، من عرق واحد ودين واحد ولغة واحدة ، والأقلية المسيحية فيها لا تؤثر جدياً في وحدتها السياسية والوطنية ، ولكن المسيحيين في لبنان ليسوا كذلك فهم اكثرية في لبنان التاريخي . . . وهذه الأكثرية لها تقليد وثقافة يختلفان عن تقاليد وثقافات الأعضاء الآخرين في الجامعة العربية . . ولذلك فإن ايجاد دولة مسيحية ، هو عمل طبيعي ، وله جذور تاريخية ، وسيجد الدعم لدى اوساط العالم المسيحي الكاثوليكي والبروتستانتي . في الأوقات العادية ، يكاد ذلك يكون مستحيلاً ، اولاً وقبل كل شيء بسبب غياب المبادرة والشجاعة لدى المسيحيين ، اما في ايام الفوضى او الحرب الأهلية فالأمور تأخذ مساراً آخر ، وحتى الضعيف يعلن نفسه بطلاً ، وربما يكون الوقت قد حان ، وليس في السياسة شيء اكيد ، للعمل على اقامة دولة مسيحية بجوارنا . . ودون مبادرتنا ومساعدتنا القوية لن يتم ذلك ، ويبدو لي ان هذه هي المهمة المركزية ، او ، هي على الأقل واحدة من المهمات المركزية لسياستنا الخارجية ، وهذا يعني انه يجب توظيف الوقت والطاقة والوسائل من اجلها ، وان علينا ان نعمل بكل الطرق

الممكنة لتحقيق حصول تغيير جذري في لبنان . ويجب تعبئة ساسون وبقية خبرائنا بالشؤون العربية . . واذا كانت هناك حاجة الى المال ، فيجب عدم توفير اية كمية من الدولارات رغم ان هذا المال قد ينفق عبثاً . . . علينا ان نركز كل جهودنا على هذا الموضوع ، فهذه فرصة تاريخية ، ولن يسامحنا احد اذا اضعناها . . . وليس في هذا اي تحد للقوى العالمية . . يجب عمل كل شيء في رأيي بسرعة وبكل طاقة . ولن نصل الى الهدف طبعاً ، من دون تصغير الحدود اللبنانية ، ولكن اذا ما عثرنا في لبنان ، وبين المغتربين منه ، على رجال مستعدين للتعبئة لاقامة دولة مارونية ، فان الحدود الموسعة والعدد الكبير من السكان المسلمين لن يفيدوهم ، وهذا لن يشكل اي عامل مزعج »[٢٧] .

ورد شاريت ، رئيس الوزراء ، في ١٨ آذار **١٩٥٤** قائلاً انه لا يستبعد احتمال تحقيق هذا الهدف في اعقاب موجة من الهزات التي تجتاح الشرق الأوسط وتدمر عناصر التركيبة الحالية واوضح مشيراً الى ضرورة تحرك الموارنة في الداخل ان الدعم الخارجي « لا يكون الا عندما تظهر هذه الحركة بعض النشاط المستقل لكي تكون هناك فكرة لتقويته وربما قيادته الى النجاح عبر تشجيعه ومساعدته من الخارج » .

ولكن شاريت كان على الدوام متردداً وذلك لأسباب منها :

- « ان المسيحيين لا يشكلون الأكثرية في لبنان » .
- ان الحرب الدموية التي ستنفجر حتماً نتيجة لمثل هذه المحاولة ربما لا تقتصر على لبنان .
- ان جبل لبنان لم يكن وحده مكتفياً بذاته حتى قبل الحرب العالمية الأولى ، حتى يمكن فصله عن بقية المناطق ، وقد يؤدي هذا الى انتحار لبنان اقتصادياً .

وبعد هذا كله يؤكد شاريت انه يؤيد بكل تأكيد « فكرة مساعدة اي

مظهر للتحرك داخل الطائفة المارونية يميل الى تقوية ميولها الانعزالية » .

ثم يوصي اخيراً بالحفاظ على جانب السرية في العمل قائلاً :

« اذا لم يحافظ على سرية الخطة ، واصبحت معروفة ، وهو خطر لا يمكن التقليل منه في ظروف الشرق الأوسط ، فان الضرر الذي سنعاني منه لن يوازيه حتى النجاح المحتمل للعملية نفسها » .[٢٨]

وفي هذه الفترة جرت « اتصالات مع اوساط معينة في لبنان » وقد نوقشت في ٢٤ نيسان من نفس العام بين رئيس الوزراء وبعض معاونيه في وزارة الخارجية .[٢٩]

مشروع دايان

يوم ١٦ ايار ١٩٥٤م ١٥رمضان ١٣٧٣ هـ وخلال اجتماع مشترك لكبار مسؤولي وزراتي الدفاع والخارجية عاد بن غوريون ، بعد ان اصبح وزيراً للدفاع ، الى ما يسميه شاريت « حلمه القديم » في التدخل في لبنان ، واثار مجدداً المطالبة بأن تفعل اسرائيل شيئاً بالنسبة للبنان . . . وفي رأيه كانت اللحظة مناسبة جداً نظراً لتجدد التوتر بين سوريا والعراق وللمشاكل الداخلية في سوريا . وقد عبر دايان عن دعمه المتحمس قائلاً :

« ان الشيء الوحيد الضروري هو العثور على ضابط لبناني ، ويمكن حتى لضابط برتبة رائد ان يؤدي المهمة ، وعلينا اما ان نستميله او نشتريه بالمال كي يوافق على اعلان نفسه منقذاً للسكان الموارنة وبعد ذلك يدخل الجيش الاسرائيلي الى لبنان ويحتل الأراضي اللازمة ويقيم نظام حكم مسيحي متحالف مع اسرائيل ، وستضم الأراضي الواقعة جنوب الليطاني بشكل نهائي الى اسرائيل ويصبح كل شيء على ما يرام ، ويوصي موشي دايان بالعمل على تنفيذ الخطة فوراً ـ اي غداً » .

وامام الحاح بن غوريون ، شكلت مجموعة مشتركة من وزارتي الخارجية والدفاع للتعامل مع الشؤون اللبنانية ، برعاية شاريت الذي كان يتوقع منها تصاميم خلخلة الوضع في لبنان[٣٠].

ثم ان رئيس الأركان (موشي دايان) دعم خطة لاستئجار ضابط لبناني يوافق على ان يخدم كدمية ، بحيث يبدو الجيش الإسرائيلي وكأنه يستجيب الى دعوته لكي « يحرر لبنان المسيحي من نير مضطهديه المسلمين »،ومع ان شاريت اعتبر الخطة مغامرة مجنونة فإنه اوصى « بأن تكلف اللجنة بمهمات ابحاث وعمليات حذرة موجهة الى تشجيع الأوساط المارونية التي ترفض الضغوط الاسلامية وتقبل الاعتماد » على اسرائيل . واعترف شاريت بانه « في الحقيقة كانت لنا صلات مع مجموعة ما » داخل لبنان ، و « اننا قمنا بمحاولات عدة للاتصال بمجموعات اخرى ، وان التركيز كان على ترتيب اتصالات داخل الجيش اللبناني .

واشار شاريت الى رغبة دايان في رفض معاهدة امنية قدمت من الولايات المتحدة الأميركية لأنها تقيد حريتهم في العمل العسكري والى ان قائد الأركان صاغ نوعاً من عقيدة « الحرب تساوي السلم » . ولذا فان على الدولة ان تخترع المخاطر ، وان تعتمد « اسلوب التحريض الذي يليه الانتقام » ، وفوق كل ذلك تأمل بحرب جديدة مع البلاد العربية حتى تتمكن اخيراً من التخلص من مشاكلها « ومن اكتساب مساحات جديدة » .[٣١]

العمليات الحذرة استمرت . . . ويوم ٢٢ ايلول ١٩٥٤ ، وقعت عملية فدائية في فلسطين فقد هوجمت سيارة باص في الجليل ، قرب صفد فقتل شخصان وجرح عشرة من الصهاينة ، وحتى قبل ان يستطيع التحقيق معرفة الجهة التي اتى منها المهاجمون . . طلب دايان القيام بعملية انتقامية ضد لبنان ، وتم اختيار قرية لبنانية لتنسف منازلها .

هذا بالذات ما اراده موشي دايان وكان يسعى اليه . . .

هدم استقرار لبنان والبحث عن سلف لسعد حداد الذي اعلن دولة مارونية عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ . وكان لهذه الخطة التمزيقية ان تجد الدعم والتأييد بشكل كاف من حكام لبنان الموارنة الذين رفضوا ان يقوم الجيش بدوره في حماية الوطن ودرء الأخطار الخارجية .

ومنذ ذلك الوقت بدأت عمليات قصف اسرائيل لجنوب لبنان والهادفة الى هدم استقراره .

محادثات نجيب صفير - ممثل كميل شمعون - لعقد حلف دائم مع اسرائيل .

في ١٢ شباط ١٩٥٥م من العام ١٣٧٤ هـ اوفد كميل شمعون ، رئيس جمهورية النظام الماروني في لبنان ، نجيب صفير (ماروني) الى روما للبحث في عقد سلام دائم مع اسرائيل وكان نجيب صفير على صلة وثيقة مع شاريت منذ عام ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م والتقى الياهو ساسون في بيروت مرات عديدة .

وفي ٦ حزيران ١٩٣٨م من العام ١٣٥٧ هـ ، اوفد حاييم وايزمن وموشي شاريت الياهو ساسون الى بيروت للبحث مع نجيب صفير في قضية المشروع الصهيوني في فلسطين ، والمشروع الماروني في لبنان[٣٢].وقد سبق لوايزمن نفسه ان ناقش هذين الموضوعين مع صفير. لدى وصوله الى روما قام صفير بزيارة السفير الاسرائيلي « الياهو ساسون » واعلن انه مرسل من قبل « الرئيس اللبناني كميل شمعون المستعد لعقد سلام منفرد مع اسرائيل مقابل ثلاثة امور :

- ضمان الحدود اللبنانية .

- مساعدة لبنان في حالة تعرضه لهجوم سوري .

- شراء فائض لبنان الزراعي »

واقترح ساسون ان يجتمع هو نفسه الى شمعون خلال زيارة هذا الأخير الى روما .[٣٣]

خطة بن غوريون اثناء العدوان الثلاثي على مصر

عام ١٩٥٤ م قال ديفيد بن غوريون في رسالة جوابية الى الزعيم الفرنسي شارل ديغول « ان امنيتي في المستقبل هي جعل نهر الليطاني حدود اسرائيل الشمالية» . وفي الأول من تشرين الأول ١٩٥٥ م - ١٣٧٥ هـ اعطت الحكومة الأميركية عبر وكالة الاستخبارات المركزية الضوء الأخضر لاسرائيل للهجوم على مصر ، واصبحت طاقات المؤسسة الأمنية الاسرائيلية كلها موظفة للاستعدادات للحرب التي وقعت بعد عام كامل .

في صيف ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م واثناء التحضيرات السرية للعدوان الثلاثي على مصر جرى تدعيم التحالف العسكري والسياسي مع فرنسا وعرض دافيد بن غوريون الذي كان رئيساً للحكومة الاسرائيلية امام المسؤولين الفرنسيين في الاجتماع السري الذي عقد في قصر سيفر تفاصيل خطته التي تتلخص بالأمور التالية :

اولاً : اجتياح مصر

ثانياً : احتلال الضفة الغربية

ثالثاً : تتقدم القوات الاسرائيلية الى نهر الليطاني جاعلة منه الحدود

الشمالية لدولة اسرائيل ، اما القسم الآخر من لبنان فتقام عليه دولة مسيحية .[٣٤]

ثانياً : نصرنة لبنان

الاحصاء والتجنيس

في ١٧كانون الثاني ١٩٢٢م من العام ١٣٤٠ هـ جرى اول احصاء في تاريخ لبنان الحديث . ولم يكن هذا الاحصاء عاماً وشاملاً ولا حتى نزيهاً .

ثم تم الاحصاء الثاني عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م[٣٥]، فطالب البطريرك الماروني بإحصاء المهاجرين - واكثريتهم من النصارى - وبتسجيل اسمائهم في سجلات الاحصاء ، لإثبات ان النصارى هم الأكثرية وقد جرى تسجيل اسماء هؤلاء النصارى في سجلات الاحصاء في الوقت الذي لم يشمل هذا الاحصاء جميع المسلمين . ومنذ ذلك الحين ، نشهد سباقاً يقوده البطاركة في كل مرة يدعى الى احصاء للنفوس للتمسك ببدعة « لبنان المسيحي » .

ومع ان الاحصاء اجباري قانونياً كل عشر سنوات ، ولأن اجراء مثل هذا الاحصاء من شأنه ان يكشف عن اكثرية حاسمة غير نصرانية فان السلطة المارونية ظلت ترفض بعناد اجراء الاحصاء الذي يدمر بضربة واحدة الخرافة القائلة بان لبنان بلد مسيحي .

وبدلاً من ذلك فقد لجأ النظام الماروني الى محاولات مفضوحة لخلق اكثرية مسيحية ، الامر الذي لا يمت الى الواقع بصلة . فالمهاجرون من النصارى الى اميركا يشجعون على تسجيل انفسهم كجزء من سكان لبنان .

والنظام الماروني يعيد الى المغتربين النصارى الذين هم من اصل لبناني حق التمتع بالجنسية اللبنانية من جديد مع احتفاظهم بالجنسيات التي اكتسبوها .

هذه المحاولات ترمي الى ايجاد جنسية مزدوجة وولاء مجزء غير عادل بالنسبة للأقطار الأميركية والأجنبية في الخارج ، وهي تعتبر كذلك ممارسة تستحق الشجب في تلك الأقطار نفسها .

وبينما نرى ان الجنسية اللبنانية مع حق مزاولة العمل لكسب المعيشة في لبنان قد منحت لنحو من ٢٨ الف مسيحي من اللاجئين الفلسطينيين نجد ان ١٠٠ (مئة) الف لاجيء مسلم اعتبروا غرباء وغير مرغوب فيهم[٣٦] . ان هذا التمييز ليس الا جزءاً من المخطط العام لاخفاء حقيقة الأكثرية غير المسيحية او لتدميرها ، وذلك بعدم اجراء احصاء او بتغيير الظروف بحيث تكون نتائج الاحصاء داعمة للخرافة التي روجوا لها رسمياً ، وهي خرافة لبنان المسيحي .

ومن ناحية اخرى نجد ان عشرات الألوف من الأرمن النصارى الذين لجأوا الى لبنان في الحرب العالمية الأولى قد ادمجوا بالأهالي مواطنين لبنانيين ، ونالوا الجنسية اللبنانية بسهولة منذ وصولهم الى لبنان خلافاً لما عومل به الاكراد اللاجئون والبدو ، ذلك لأنهم نصارى وهم الآن يضخمون القوائم الانتخابية الرسمية بمئات الألوف . وايضاحاً لسياسة النفاق ، نطرح امامنا قضية الأكراد المسلمين الذين لجأوا مع الأرمن الى لبنان منذ الحرب العالمية الأولى ، لكنهم لم يعطوا الجنسية

اللبنانية لأنهم مسلمون ، وبذلك ظلوا غير قادرين على تحسين احوالهم ، بل انهم يعملون حمالين وغير ذلك من الأعمال التي تمتهنها ادنى طبقات المجتمع .

ليس هذا فحسب بل رفض النظام الماروني تسجيل المسلمين في الدوائر كمسلمين واعتبرهم فرقاً وشيعاً واحزابا .

وهكذا اصبح المسلمون يجبرون على تسجيل انفسهم لا كمسلمين وانما كفرق ونحل ومذاهب مما جعل النصارى يظهرون على قلتهم وكأنهم الطائفة الكبرى في لبنان رغم الحقيقة ، وهي ان المسلمين يدينون بدين واحد هو الاسلام وليس هنالك من شيء يفرق بينهم ويجعلهم مجموعات متباينة كما لدى النصارى .

اعطاء لبنان الطابع الكاثوليكي

ان الدعوات المارونية المتتالية لاغتصاب لبنان وتحويله الى « وطن قومي ماروني » رافقتها خطب ومهرجانات واحتفالات في كل المناسبات لتكريس هذه الفكرة وتحويلها الى امر واقع .

كان الموارنة على الدوام يعتبرون ان لبنان هو وطن للموارنة دون سواهم وكان البابا يبارك ويؤيد هذه الفكرة معتبراً ان لبنان هو بلد كاثوليكي* ، وانه « مفتاح الكثلكة في الشرق » .

في عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م تم ترميم كنيسة المدرسة المارونية في روما بمساعدة البابا ، وبعد ان دشنت هذه الكنيسة قابل رئيسها المعتمد البطريركي الماروني بولس السمعاني وتلامذتها ، البابا بيوس الحادي عشر والقى المعتمد خطاباً اعتبر فيه ان لبنان بلد ماروني وكاثوليكي واجاب البابا بكلام مماثل معرباً عن « حبه للبنان وللطائفة المارونية » ومما قاله :

« اننا لمغتبطون كثيراً برؤيتكم في بيت المؤمنين العام هذا ، انتم

(*) الموارنة هم أقرب ما يكون الى الكاثوليك .

ايها اللبنانيون (الموارنة) القادمون الينا من بعيد تحملون اسماً كبيراً هو الاسم اللبناني الماروني » [٣٧] .

كانَ ابراهيم سليم النجار صاحب جريدة اللواء البيروتية يريد ان يجعل « بيروت عاصمة مسيحية »،فقد كتب في مقال له في ٢٩ آذار ١٩٤٦ م-٢٥ ربيع الثاني ١٣٦٥ هـ : « واللبنانيون المخلصون يريدون لبنان لبنانياً خالصاً ذا طابع خاص به يختلف ويتميز به عن طوابع جميع البلاد العربية لا يفقد فيه خاصته وميزاته اللبنانية ، ولا ينسى طابعه المسيحي القديم الذي عرف وامتاز به طيلة عصور طويلة ماضية ، واشتهر وتميز به في العصر الحديث ، اذ أصبحت عاصمته مركزاً لكردينال مسيحي هو امير من امراء الكنيسة وهو الكردينال الوحيد في الشرق كله ، وعاصمة لسبعة بطاركة يعتبرون مرجعاً لسبعين اسقفاً مسيحياً بحيث اصبحت في الشرق علناً وجهراً عاصمة للمسيحية بعد روما عاصمة الكثلكة في الغرب »[٣٨] .

سفارة بابوية ام سفارة صليبية ؟

في عام ١٣٦٦ هـ - اوائل عام ١٩٤٧ م عين شارل الحلو وهو من خريجي الجامعة اليسوعية وزيراً مفوضاً ومندوباً فوق العادة للبنان لدى الفاتيكان وكان البابا بيوس الثاني عشر يلقبه « بالسفير الممتاز » .[٣٩]

وفي كلمة القاها امام بابا روما في ١٥ آذار من نفس العام اعتبر ان لبنان بلد كاثوليكي وان العلاقة بين لبنان والبابوية لم يدشنها هو انما اكملها لانها تتفق مع مسرى التاريخ ،« وهي علاقات يعود عهدها الى منشأ الكنيسة وهي معدة للاستمرار حتى منتهى الدهر » ،ثم ان البابا نفسه عندما رد على هذه الكلمة اعتبر بدوره لبنان بلداً كاثوليكياً ايضاً [٤٠] .

وفي ٢ حزيران من نفس العام ، افتتحت في لبنان السفارة البابوية فوصل السفير البابوي الى بيروت في ١٩ حزيران ، ولدى وصوله الى

بيروت التقى البطريرك الماروني انطون عريضة في « مأدبة تكريمية » علق خلالها السفير على صدره وسام الصليب الأكبر الفرنسي لجوقة الشرف .[٤١] .

ثم زار السفير ، « رئيس الجمهورية » ، بشارة الخوري والقى خطاباً خيل للمستمعين اليه انه يتحدث في بلد ربما لا ينتمي الى ارض الاسلام والأمة الاسلامية . وقد رد « رئيس الجمهورية » بخطاب استفزازي على « اسقف فينيقية وهليوبوليس » كما سماه وزعم ان « تاريخ العلاقات بين لبنان والسدة البابوية تاريخ معروف ، فهو لوح شفاف خطت فيه بحروف ازلية ، بوادر الإنتباه والعطف الذي اختص به الآباء الأقدسون ابناءهم ، اياً كانت الطائفة التي ينتسبون اليها »،وقال ان « لبنان لسعيد بان يكون اول بلدان الشرق التي سلكت الطريق الى مدينة الفاتيكان التي يعتلي سدتها الحبر الأعظم »[٤٢] .

استمرت الاحتفالات والخطب الاستفزازية بضعة اشهر على مسامع المسلمين وامام اعينهم .

وفي ١٥ آذار ١٩٤٨م من العام ١٣٦٧ هـ ، اقام الموارنة حفلة بمناسبة ذكرى تتويج البابا بيوس الثاني عشر في ٢ آذار ١٩٣٩ . ومما قاله وزير خارجية لبنان حميد فرنجة في حفلة موسيقية في قاعة الأعياد بجامعة القديس يوسف اليسوعية :

« ان لبنان لا يعتد بأية اهمية له في مجال القوة المسلحة ، بل يبقى في دائرة الفاتيكان بلداً مختاراً هو جزء من تلك القيم الروحية ، التي بعد الفاتيكان تحسب اقدر من كل دولة في الارض على قدرها تضاف الى ذلك روابط دقيقة متينة يظهر انها تربطنا بالكرسي الرسولي » وادعى ان « في بانياس قرب النبطية ، اول ما اعلنت اولية بطرس ورفعة شأنه ، ومن شواطئنا سافر الى اقطار الأرض اول رسل الإنجيل »

ورد سفير البابا معتبراً ان لبنان كله ماثل امامه بكامله في اشخاص قادته ، يحفون برئيسه المحبوب وقد جاؤوا جميعاً يؤدون فروض الطاعة والولاء لبابا الفاتيكان ـ (بابا الصليبية) ـ وكنيسته التي تخفق اليوم زهواً وفخراً وأملاً وانهم ينضمون الى«كاثوليك العالم اجمع »[٤٣] .

و « مراعاة للمقام البابوي » فقد اصدرت الدولة اللبنانية قراراً برفع الحجز الحربي عن ممتلكات « الجمعيات الدينية الايطالية » في لبنان وكانت هذه الممتلكات قبل هذا القرار تعتبر من ممتلكات العدو الجائز الاستئثار بها ، ومن اخص هذه الممتلكات :

ـ مدرسة الاناث الإيطالية للراهبات الكائنة في رأس بيروت .

ـ مدرسة الذكور الايطالية للآباء الدومينيكانيين في رأس بيروت .

ـ مستشفى الراهبات الكرمليات في طرابلس . . .[٤٤]

اذن فقوة لبنان في ضعفه وحسب قول وزير خارجيته يومذاك فانه لا يعتد بأيه اهمية له في مجال القوة العسكرية ، حسبه ان يبقى في دائرة الفاتيكان .

ولهذا لم ير النظام الماروني ضرورة لاشتراك لبنان في حرب ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م والدفاع عن جبل عامل فاللبنانيون جميعاً ، وحسب رأيه ، اصبحوا كاثوليكاً في دائرة الفاتيكان تربطهم بالصهاينة صلة حب وصداقة .

في شعبان ١٣٧٠ هـ ـ ايار ١٩٥١ م زار السفير البابوي بلدة عبرين ومدرستها فنصبوا له اقواس النصر ومعالم الزينة .

وقال مغتبطاً : « ان الحبر الأعظم يعرف تاريخ الموارنة ولبنان ، ويقدر عظم ما قاس اللبنانيون من مكاره في سبيل الحفاظ على ايمانهم ، كما انه يدرك تعلقهم الشديد بالكرسي الرسولي ويعطف على لبنان

باعتباره مفتاح الكثلكة في الشرق » .[٤٥]

ان « محبة الاب الأقدس للبنان والطائفة المارونية » كما اعلن عنها مبعوث الصليبية[٤٦] ، يعرفها لبنان جيداً ويعرف كنهها ويعرف مدلولها وطعمها من خلال الحملات الصليبية التي قادها بابوات روما انفسهم وكانت وبالاً على لبنان وشعبه ، شعبه المسلم ، لا الموارنة،لأن الموارنة تآمروا مع بابوات روما وحملوا السلاح ضد هذا الشعب المسلم جنباً الى جنب مع اخوانهم الصليبيين . نعم نحن نسمي الأشياء بأسمائها ونميز بين الألفاظ فلا نعزف على النغمة ذاتها التي ملأوا الدنيا بها ضجيجاً ولا نطلق التعابير نفسها التي يطلقونها عن « لبنان والموارنة » و « محبة الحبر الأعظم للبنان وللطائفة المارونية ».

ان لبنان شيء والمارونية شيء آخر . إذ لا يعقل ان يكون تاريخ لبنان هو تاريخ الموارنة حتى يمكن اعتبارهما اسمان لمسمى واحد .

ان تاريخ لبنان هو تاريخ الجهاد المستمر والعمل الدائب ضد سياسات المستعمرين واحلاف المتآمرين وعملائهم في الداخل .

واما تاريخ الموارنة فهو تاريخ المؤامرة الطويلة والتبعية الدائمة للإستعمار .

فلماذا هذا التلاعب بالألفاظ ؟

ما هذه التعابير الوقحة التي ملأوا بها كتبهم وصحائفهم وخطبهم ؟ يجب ان يقولوا بصراحة ان محبة حبرهم الأعظم للطائفة المارونية يقابله تعصب اعمى واحقاد دفينة ومؤامرات مجنونة عمرها قرون ضد لبنان وشعبه.

ويكفي ان نستطلع احوال لبنان والقاء نظرة بسيطة على احوال شعبه وبنيه لكي نكشف مدى هذا الحب الكبير الذي يكنه بابا الصليبية في

روما مرجع الموارنة وحبرهم الأعظم للبنان .

ان موارنة لبنان الذين يعملون بوحي من تعاليم بابواتهم قد خربوا لبنان وهجروا سكانه وحولوه الى مشكلة دولية لكي تحيا دولة مارون وينجح المشروع الماروني ، او البابوي لا فرق . واعجب من هذا كله ان لبنان لم يعد في عرفهم « وطن الموارنة » او « لبنان والموارنة » فحسب بل اعتبره دعاة الصليبية « مفتاح الكثلكة في الشرق » مفتاح الجاهلية والصليبية .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ففي ٢٨ تشرين الأول **١٩٥٤** م من العام ١٣٧٤ هـ ، منح كميل شمعون وهو يومذاك « رئيساً للجمهورية » السفير البابوي لقب « مواطن لبناني » .[٤٧]

وهكذا ففي الوقت الذي حرمت جماهير واسعة من المسلمين في لبنان من حق الجنسية اللبنانية « وبطاقات الهوية » اللبنانية اصبح رسول الصليبية الى لبنان الصليبية الى لبنان ، لبنانياً من الدرجة الأولى .

هل اصبح لبنان بلداً كاثوليكياً ؟ .

يقول الخوري انطون قرطباوي في احدى لقاءاته مع البابا :

« ايها الأب الأقدس ان لبنان في الشرق هو كبيت القربان في الكنيسة ؟ .

ويجيبه البابا « نعم يا ابني انه كذلك » .[٤٨]

ولكن المسلمين يا « قداسة البابا » لا يقبلون ان تكون بلادهم كذلك .

الفصل العاشر

مرحلة طويلة من التخطيط والإعداد

صيحة خطر

عام ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م كتب الدكتور مصطفى خالدي في كتابه « حاضر لبنان المسلم » ما يلي :[١]

« **رابعاً** » الأزمة المقبلة :

ولما كانت أحوال الماضي السيئة ، وظروف الحاضر التي لا تطاق ، غير كافية لإخماد لبنان المسلم وإخضاعه ، فان علامات تلوح في الجو تشير الى ان الكتائب الفاشستية اللبنانية تحت قيادتها المتصلبة المارونية المتعصبة تستعد لاستخدام قوة العنف مع التآمر في الحلقات الدينية والسياسية لخلق دولة انفصالية مناوئة للعروبة والاسلام في لبنان .

هذه الدلائل لم تعد مقتصرة على الاشاعات والتقارير الكلامية بل تعدتها الى الظهور علناً في الصحف اللبنانية دون أدنى اهتمام او انكار من العناصر المعنية التي تشعر بأنها من القوة بحيث تستطيع ان تتباهى بعرض المخططات الغاشمة وغير الدستورية في مواجهة المسلمين اللبنانيين دون أية عقوبة .

وعلى سبيل المثال نلاحظ في نبأين صحفيين جميع عناصر التآمر في صورة متكاملة ، فقد نشرت صحيفة « النداء » نبأ استدعاء البطريرك

الماروني رئيس الكتائب الى مؤتمر سري مع الأساقفة في الصرح البطريركي في الديمان ، وشخصية سياسية مرموقة من الحكومة ، بينما نجد صحيفة التلغراف قد نشرت بياناً موجزاً فيما يتعلق بسياسة الكتائب بشأن تدريب الشباب الموارنة نساء ورجالاً على أعمال الرماية العسكرية وحمل السلاح .

ولا نستطيع إلا أن نرقب بفزع ما في الجو من غيوم ملبدة تنذر باقتراب القلاقل ، اذ أن الأمور عندما تصل الى تدريب حتى الشابات المارونيات على الخدمة المسلحة على يد منظماتهم الفاشستية شبه العسكرية ، فذلك شيء لا يبد وعرضاً ، وانما يعكس لنا دلائل تشير الى نضوخ مخططات طويلة الأمد مبيتة ذات أهمية سياسية خطيرة .

وعندما نفحص بتمعن ، طبيعة تلك المنظمات شبه العسكرية ، وتدريباتها نرى ما يدل على ان الكتائب قد تدربت نفس تدريب عصابة الهاجانا الاسرائيلية التي تدربت على أيدي ضباط الجيش البريطاني ، ومن ثم أصبحت فيما بعد الجيش الوطني الاسرائيلي . هذا ويقال ان مدرباً سابقاً في الهاجانا يعمل الآن كبير مستشاري الكتائب العسكريين .

ولو كانت هذه الحقائق مجرد اشاعات لما تولد منها خطر مباشر على مسلمي لبنان الذين ليس لديهم مثل تلك المنظمات الفاشستية تحت تصرفهم ، إلا أن اصطدامات أخيرة بين جماعات اسلامية غير منظمة ، وتلك المنظمات الفاشستية المارونية شبه العسكرية في برج البراجنة من ضواحي بيروت ، ومنطقة الهرمل في البقاع قد برهنت على أن الموارنة يمتلكون اسلحة اوتوماتيكية ومدافع رشاشة ، لا بل ومدافع راجمة من عيار صغير ، مثل تلك الأسلحة التي استعملتها الهاجانا في اغتصاب فلسطين من أهلها ، فهل ثمة تفاهم بين الاسرائيليين والمارونيين يشمل المساعدات العسكرية والتعهدات السياسية ، بما في ذلك تدريب الكتائب

على أيدي ضباط عسكريين سبق لهم أن عملوا في قوات الهاجانا ؟ .

ان مثل هذا التفاهم ، يمكنه كذلك ان يفصل الشعوب العربية عن كامل ساحلهم الواقع من غزة الى شمال طرابلس اللبنانية ، على البحر الأبيض المتوسط .

ان مثل هذا التفاهم يستطيع بسهولة ان ينجز طرد مسلمي لبنان الى الصحراء أو الى سوريا ، كما طرد الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ م » .

لقد بدأ حزب الكتائب يعد لأول حرب أصلية بعد (الاستقلال) ، وأخذ ينظم صفوفه على أساس عسكري ، ويدرب ميليشياته ويزودها باسلحة حديثة .

وقد نال هذا العمل مباركة ودعم السلطات الرسمية ، التي دفعت عدداً من ضباط الجيش اللبناني النصارى ، لتنظيم مخيمات التدريب التي أقامها الحزب في كسروان والمتن الشمالي .

ثورة ١٣٧٧ ـ ١٣٧٨ هـ ـ (١٩٥٨ م)

عام ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م اصبح كميل شمعون رئيساً للجمهورية وقد تسنى له ان يمارس سلطاته الواسعة بموجب الدستور دون رادع فقد كان هو الملتزم للدولة عن طريق شبكة من السماسرة الأقل حجماً منه ، بما ساد الإنتخابات النيابية من ارهاب وتزوير واستغلال لآلام الناس الذين ألمت بهم الزلازل والكوارث ورشوة بمال الأجنبي وتهديد بقواته الراسية امام السواحل اللبنانية .

وكان ختام هذه المخزيات المحاولة المجرمة لاعادة تقسيم سنة ١٢٥٨ هـ ـ ١٨٤٢ م وانشاء وطن مسيحي لن يكتب له الدوام معنوياً ولا سياسياً ولا اقتصادياً [٢] .

وقد تمادى شمعون في غيه فكان له مشروع « لفينقة » البلد وتقطيع أوصاله الروحية مع الماضي ومع الجوار ومع ذاته وجنحت به هذه السياسة الى تأييد وطن قومي مسيحي في لبنان على شاكلة اسرائيل [٣] .

وانتشرت فكرة « الوطن القومي المسيحي » وتطورت في بعض الأذهان والمحافل الدولية الى انشاء « اسرائيل مسيحية » على شواطىء لبنان في مقابل اسرائيل اليهودية .

وقام كميل شمعون بمنح السريان جوازات السفر اللبنانية من أجل إكثار أعداد النصارى وضمان سيطرة الموارنة باسم[٤] المسيحية والمسيحيين في الوقت الذي حرم الكثير من المسلمين من تلك الجوازات . وكذلك قام بإعطاء الهوية اللبنانية الى النصارى الفلسطينيين ومنعها عن المسلمين ومنح اولئك النصارى الجنسية اللبنانية وتم تسجيلهم رسمياً في سجلات الإحصاء .

ماذا على الصعيد الدولي

على الصعيد الدولي شهدت اعوام ١٣٦٥ ـ ١٣٧٧ هـ ـ (١٩٤٦ ـ ١٩٥٨ م) وقائع تاريخية ومؤامرات عالمية ادت الى دعم الموارنة وتشبثهم بأحلامهم ومشاريعهم الاستعمارية .

في كانون الأول ١٩٤٦ نزلت فرقة عسكرية اميركية في بيروت واحيطت بهالة واسعة من الدعاية .

في ١٢ كانون الأول ١٩٤٧ تقدم الرئيس الأميركي ترومان باقتراح شامل عرف فيما بعد بـ (مبدأ ترومان) يقول نصه الحرفي انه يرمي الى تأييد « الشعوب الحرة للصمود في وجه الأقليات المسلحة في الداخل او الضغوط الخارجية » [٥] .

والجواب ببساطة بالغة هو وضع شعوب العالم الإسلامي تحت الوصاية الأميركية المباشرة تحميها من اية ثورة داخلية يدعوها مبدأ ترومان بالأقليات المسلحة ، ومن ثم ترسيخ التمزق داخل منطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة ما دام الكيان الصهيوني قائماً ، وربط دول المنطقة في ما عدا اسرائيل بعجلة التخلف الاقتصادي ربطاً محكماً بإدخالها ضمن دائرة النفوذ الاستعمارية .

وفي عام ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م وقعت الولايات المتحدة اتفاقية مع تركيا حول المساعدة الحربية على اساس « مبدأ ترومان » ووقعت في

العام التالي اتفاقية التعاون الاقتصادي الاميركي على اساس « مبدأ مارشال » .

وفي عام ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ وافق الكونغرس الأميركي على ان يشمل المبدأ دول الشرق الأوسط فوافق رئيس لبنان ووقع الاتفاقية في العام نفسه (٢٩ ايار) وحصل بموجب « النقطة الرابعة » منها على مساعدات اقتصادية فنية من شأنها تثبيت السيطرة الأميركية الاستعمارية على المنطقة .

وقد اعترف الأميركيون أنفسهم بأن مساعداتهم للدول النامية مشروطة بتحقيق أغراض سياسية معينة . وجاء هذا الاعتراف مثلاً في تصريح لرئيس بعثة « النقطة الرابعة » في مؤتمر صحفي عقده في بيروت قال فيه « ان جميع المشاريع التي تضعها الحكومة الأميركية للمساعدات الفنية والإقتصادية والعسكرية تخضع لإشراف دوائر الدفاع المشترك »(٦) .

وأكد الرئيس الأميركي ، ترومان ، « ان مشروع النقطة الرابعة يعني بالنسبة للولايات المتحدة توسيع نطاق التجارة وزيادة أسواق التصريف وتموين اميركا بالمواد الأولية » .

وفي الوقت نفسه صرح احد زعماء الحزب الديموقراطي الأميركي ان مشروعات النقطة الرابعة من شأنها ان تضع البلاد المتخلفة في خدمة الخطط العسكرية للولايات المتحدة الأميركية لأنها ستكون منابع للمواد الأولية الاستراتيجية . وقال وزير الخارجية الأميركي السابق ، المستر دين اتشنسون : « ان الدافع على الرغبة في نجاح المشروع ليس حب اميركا للنوع البشري ، بل هو مصلحة أميركا العملية »(٧) .

عام ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م وتنفيذاً لمؤامرة عالمية اشتركت فيها

روسيا(*) وأميركا وفرنسا وبريطانيا وغيرهما ، حقق المشروع الصهيوني

(*) من الضروري الإشارة الى موقف الاتحاد السوفيتي من قيام دولة اسرائيل وإن كان هذا الأمر لا يمت بصلة الى موضوع كتابنا .

فقبل الاعلان عن تأسيس دولة اسرائيل طالب العرب بطرح المشكلة على الأمانة العامة للأمم المتحدة تحت عنوان « استقلال فلسطين وانهاء الانتداب (البريطاني) عليها » فرفضت الأمانة هذا العنوان وطرحت القضية تحت عنوان « مستقبل الحكم في فلسطين » ضاربة بعرض الحائط المطلب العربي .

اما الدول الكبرى فكانت كلها متعاطفة مع اسرائيل حتى ان المندوب الروسي غروميكو قال : « لا يستطيع أحد أن يرغم الجمعية العامة على اتخاذ قرار يؤيد مطلب العرب » بل ذهب أبعد من ذلك حين أصر على ضرورة حضور الوكالة اليهودية ممثلة للشعب اليهودي وكذلك احزاب يهودية أخرى ولم يجد ضرورة لدعوة ابناء فلسطين للاستماع الى رأيهم في موضوع بلدهم وأرضهم(*) .

طرح الاتحاد السوفيتي وجهة نظره الأولى القاضية بتقسيم فلسطين فنادى (بحكم يتساوى فيه العرب - وهم الأكثرية - مع اليهود - وهم الأقلية - في دولة يحكمها العرب واليهود حكماً مزدوجاً) ، فاذا تعذر ذلك فقد يكون الحل في تقسيم فلسطين الى دولتين يهودية وعربية ، وفي عمق الاقتراح نفهم تأييد قيام دولة اسرائيل في فلسطين . وقد أقرت اللجنة المكلفة المتفرعة من الأمانة العامة للأمم المتحدة هذا الاقتراح دون أخذ رأي المسلمين .

وبعد فترة من الوقت توجه مجلس الأمن الدولي نحو تثبيت الوضع الأمني في فلسطين وكذلك الوضع اليهودي فيها . تراجعت الولايات المتحدة عن تأييد قرار التقسيم وأعلنت طلبها بأن توضع فلسطين تحت وصاية دولية مؤقتة تحافظ على وحدتها الجغرافية ، فثار الاتحاد السوفيتي بشخص غروميكو وأتهم اميركا بخيانة

(*) ان تعاطف الماركسية مع اسرائيل امر طبيعي فكارل ماركس يهودي الأصل وقد تتلمذ على يد المفكرين اليهود . والثورة الشيوعية في روسيا هي من صنع اليهود وقد كان تروتسكي يهودياً أيضاً . وفي المؤتمر الشيوعي الذي عقد عام ١٩٠٧ م وحضرته كل الأحزاب الشيوعية في روسيا وخارجها كان عدد المؤتمرين ٣٣٦ مندوباً ٢٢٠ منهم يهودياً .

اليهود تحت ضغط المصالح البترولية ولإرضاء الرجعية العربية ! ومما قاله غروميكو بتأثر عميق « ان من الشناعة ان تترك الأمة اليهودية وهي التي نزلت فيها فواجع النازية تحت رحمة عنصرية اخرى أو نسخر مصائب هذه الأمة العظيمة لمعالم البترول وأصحاب العرب . وفور انسحاب القوات البريطانية من فلسطين بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨ أعلن قيام دولة اسرائيل الأمر الذي أقرته اميركا وروسيا معاً ، وتحركت الجيوش العربية ودخلت فلسطين في حرب مع اليهود فاستنكر ذلك الاتحاد السوفيتي وطالب بقرار يدين العرب بالعدوان ويهددهم بفرض العقوبات ، وكان الاتحاد السوفيتي اول من اطلق نعت « العصابات العربية » على الجيوش العربية التي دخلت فلسطين .

ومما قاله غروميكو مظهراً تأييد بلاده لقيام دولة اسرائيل : « لقد أيدنا خلق الدولة اليهودية ونحن نصر على الاعتراف الكامل بها وحمل الأمم المتحدة على تنفيذ ذلك وجعل هذه الدولة حقيقة ثابتة » وفيما طالب الوسيط الدولي برنادوت بوقف القتال في فلسطين لإيقاف سيل اللاجئين الفلسطينيين الى الخارج رد غروميكو عليه « ان مسؤولية طرد العرب من أراضيهم تقع على الرجعية العربية التي بدأت القتال وليس على اليهود الذين نفذوا مقررات الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ومارسوا حقهم في اقامة دولتهم القومية الخاصة » رافضاً مساعدة اللاجئين . وقد اعلن مندوب سوريا فارس الخوري بأن « موسكو لا تريد العدل ولا الانصاف ولا السلام ولا مبادىء الأمم المتحدة ، ان كل ما تريده زرع استعمار جديد في القلب من العالم العربي » . وكان الحل السوفيتي لتوطين اللاجئين الفلسطينيين ما قاله المندوب السوفيتي آنذاك في شهر آب ١٩٤٨ م « ان الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين ليس في تقديم المعونات لهم بل في توطينهم ضمن البلاد العربية ووفق مبادىء التعايش السلمي التي تجمع الجماهير التقدمية العرب واليهود معاً ، وأخيراً انتهت المؤامرة الشيوعية - الرأسمالية - الصهيونية بإقرار انتساب اسرائيل الى الأمم المتحدة في ٣ آذار ١٩٤٩ م . هذه هي مواقف زعيم الكتلة الاشتراكية و « صديق الشعوب » تجاه قضايا الشعوب الاسلامية . لكن الشيوعيين عندما يتحدثون عن روسيا أو عن اي حكم شيوعي او اشتراكي فإنهم يصفون الجنة . فاذا كان صحيحاً ان الروس يريدون حشر الناس الى جنة الفردوس ونعيم الاشتراكية الدائم فلماذا يهجر الملايين من افغانستان وتركستان المسلمة تاركين وراءهم جنة الإشتراكية .

أهدافه وقامت الدولة اليهودية على جزء من أرض فلسطين كخطوة أولى وأصبحت حليفاً اساسياً للموارنة كما تبين لنا في الفصول السابقة .

عام ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م نجحت الادارة الاميركية في تأسيس حلف استعماري لها عرف بحلف بغداد وقد تم بعضوية نظام نوري السعيد في العراق ونظام الشاه المقبور في ايران بالاضافة الى حكومتي تركيا والباكستان .

وقد أعرض المسلمون في لبنان عن هذا الحلف ولكن حكومة شمعون خانت هذه الإرادة وأخذت تتعاون سراً مع حكومات الدول الأعضاء في الحلف ، ولا سيما تركيا وايران والعراق مستمدة من الحكومة العراقية المال يتسلمه شمعون نفسه ويتصرف به على هواه ، وقد استقدم من تركيا وحدها حمولة اثنتين وعشرين طائرة « داكوتا » من السلاح والذخيرة » لقتال المسلمين ، ولا سيما اثناء الثورة[8] .

في ربيع الأول عام ١٣٧٦ هـ - تشرين الأول ١٩٥٦ م وقع العدوان الثلاثي على مصر . وقد كان من المفترض ان يتمخض هذا العدوان في حال نجاحه عن تقدم الجيوش الاسرائيلية حتى نهر الليطاني وتحول القسم الباقي من لبنان الى دولة مارونية .

في جمادى الثانى عام ١٣٧٦ هـ - كانون الثاني ١٩٥٧ م أقر الكونغرس الأميركي مبدأ ايزنهاور (الرئيس الاميركي) ، يسمح المشروع للرئيس الأميركي « بأن يستخدم القوات المسلحة التابعة للولايات المتحدة لحماية اية دولة في الشرق الأوسط تطلب مساعدتها[9] .

وتقدم ايزنهاور باقتراح زيادة المساعدات الإقتصادية والعسكرية خصوصاً وطلب منحه سلطات شاملة لاستخدام القوات المسلحة الأميركية

« لضمان وحماية الاستقلال السياسي وحقوق السيادة للدول التي تطلب هذا العون ضد العدوان المسلح الصريح من قبل أيه دولة تسيطر عليها الشيوعية العالمية » على حد زعمه[١٠] .

وقبل الحديث عن النتائج والشؤون العسكرية لهذا الحلف أرى من الضروري توضيح مسألة « المساعدات الاقتصادية » مرة ثانية . يقول المستر سنكلر وزير التجارة الأميركية في حكومة ايزنهاور :

« انني أرجح ان أرى رؤوس الأموال الخاصة لا القروض الحكومية هي التي ستتدفق على الخارج ، واذا ما ذهبت قروض خاصة الى الخارج فمن رأيي انه يجب على الحكومة الأميركية ان تسهر على تأمين نجاحها كما يجب ان تتمتع رؤوس الأموال هذه بقسط من الحماية »[١١] .

والحماية المطلوبة هذه هي في تنفيذ سياسة أميركا في البلاد الفقيرة وعلى يد عملائها المحليين أو بواسطة خبرائها وفنييها .

اذن فيجب الا يتبادر الى الذهن ان الأوروبيين والأميركيين ينفقون اموالهم في بلاد المسلمين اسرافاً وتبذيراً وكيفما اتفق على العكس انهم مقتصدون جداً ولا ينفقون الا بمقدار وبما يحقق لهم منافع عاجلة .

وكما قال سابقاً أحد المبشرين : « يجب الا نبالغ في الناحية الخيرية على كل حال »[١٢] .

شارل مالك ينظر لدخول لبنان مشروع ايزنهاور

وعلى الصعيد العسكري فقد انضم شمعون الى هذا المشروع ونزلت جيوش اميركا في لبنان عام ١٩٥٨ م .

ولكن قبل الحديث عن هذا الإنزال لا بد من عرض الأمور بشيء من التفصيل .

في ربيع ١٩٥٧ م ـ ١٣٧٦ هـ ارسل الرئيس الأميركي ، جيمس ريشاردز ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية الى لبنان، لإجراء محادثات مع شمعون حول الانضمام الى المشروع والقبول بمبدأ ايزنهاور مما أثار سخط المسلمين واحتجاجهم[١٣] .

وكان كميل شمعون يستعين في سياسته الخارجية بشارل مالك وزير خارجيته الذي كان ينظر لدخول لبنان مشروع ايزنهاور . وشارل مالك هو ارثوذكسي واميركي الثقافة ولكنه في المجتمع السياسي الماروني يطل اطلالة المعقد المزايد ، فلكي يؤكد مارونيته تبدو هذه المارونية أشد ضيقاً وتعصباً من مارونية سواه ، واستسلامه المطلق لاهوتياً وفكرياً للكاثوليكية .

« وتتلخص دعوته بان اعتناق الكاثوليكية هو الامارة الأساسية لاخلاص المرء للحقيقة الفلسفية ، وقد كان طلابه في الجامعة الاميركية يدخلون الى الصف ارثوذكساً و(. . .) ويخرجون كاثوليكاً ويبقى هو على هويته الأرثوذكسية مدخله الوحيد الى عالم المناصب والمراكز في لبنان .

اما دعوته في السياسة فهي ان اللبنانية لا تكتمل في شخص الا باعتناقه المسيحية ، اذ أن كل مسلم يبقى مشكوكاً بلبنانيته حتى يتخلى عن اسلامه ويدخل اللبنانية بمقوماتها الكاملة وابرز هذه المقومات وأعمها هو النصرانية ، فالنصرانية هي دين وحضارة وطريقة في الحياة، واللبنانية الحقة تشترط توفر ذلك في اللبناني » .

باختصار يرى شارل مالك انه على المرء ان يكون نصرانياً حتى يكون لبنانياً[١٤] .

ولمـع نجم شـارل مـالـك في « جمعيـة حـوض البحـر الأبيض المتوسط » التي كان فيهـا الى جانبـه ميشال شيحـا وشارل حلو وغيـرهما ، داعيـاً لجعل لبنـان بلداً مسيحياً أوروبياً ، متجهاً الى البحـر أي الى الغرب منفصلاً عن الصحراء اي العرب .

وارسل شارل مالك الى الولايات المتحـدة كأول سفيـر للبنان فجعـل من نفسه رجل الحضارة الغربيـة في الأمم المتحدة ، بـاسم هذه الحضـارة يهـاجم منـدوب الاتحـاد السوفييتي ، وبـاسم هـذه الحضـارة يـرفض دخـول الصين لـلأمم المتحـدة ، وبـاسم هـذه الحضـارة اخيـراً يشـارك في وضـع وثيقة حقوق الانسـان من زاوية اعـطاء المسلم في البلاد العـربية حق تغيير دينـه اذا شاء فيعتـرض غيره من منـدوبي الدول العـربيـة وتحصـل فضيحـة يظهر فيها الاسلام هناك بمظهر الدين الرجعي [١٥] .

شارل مالـك هذا أصبـح في عهد كميـل شمعون وزيـراً للخارجيـة ، وفي رمضـان ١٣٧٦ هـ ـ ١٦ آذار ١٩٥٧ م وقع البيـان اللبناني ـ الأميـركي والذي نص على موافقة لبنان رسمياً على مبدأ ايزنهاور .

في ذي القعـدة ١٣٧٦هـ حزيـران ١٩٥٧محدثت فضيحـة أخرى فقـد جـرت انتخابـات نيابيـة سادهـا الارهاب والتـزويـر ، ومـولت المخـابـرات الأميركية الحملة الانتخابية بعشرات الآلاف من الدولارات [١٦] .

كـان كميل شمعـون يسعى الى تعديـل الدستـور وتجديد رئاسته كمـا فعـل سلفه بشـارة الخـوري ، ولهـذا الغـرض فقـد تـلاعب بـالانتخـابـات وزورها ليأتي بمجلس مـطواع في التجـديـد له ، وفي تنفيـذ سياسته، وعلى اثـر ذلك وأمـام صرخـة المسلمين واحتجـاجهم تقـدم رؤ سـاء الحكـومـات السـابقين وسواهم من ممثلي المسلمين بعـريضة يـرفضـون فيهـا قبـول اي مركز مسؤ ول في العهد القائم [١٧] .

وأخيراً الثورة .

يقـول فؤاد عمون « وانتفض الشعب في ربيـع ١٩٥٨ م انتفـاضـة لم يسبق لها قبل في شدتها ومداها » [١٨] .

شرع المسلمون بوضع المتاريس عند النقاط الحيويـة لمدينـة بيروت وحفروا الخنادق حول مناطق تجمعها .

وكانت الأسلحة والذخائر تصل بغـزارة الى شمعون وانصاره من دول حلف بغداد وقد وصل من تركيا وحدهـا كما أسلفنـا حمولـة اثنتين وعشرين طائرة « داكوتا » من السلاح والذخيرة .

والى جـانـب تلك المسـاعـدات كـان شمعـون يتـزود بـالسـلاح الاسـرائيلي ولم يكن قـدوم السـلاح من اسـرائيـل أمـراً جـديـداً ، فتلقى خمسمائة رشـاش طومسـون وريتا وبـرن ، وتعاون رابـين (رئيس الحكـومة الاسـرائيلية سـابقاً) كمـا كتب في مذكـراتـه حين كـان في قيـادة المنـطقـة الشمالية مع شمعون ليضعا حداً لتسريب السلاح من سـوريا الى لبنـان بغية قلب النظام الماروني [١٩] .

وقـامت وحدات عسكـريـة من « الجيش اللبنـاني » مضمـونـة الـولاء لقـائدهـا فؤاد شهاب بضـرب الثوار المسلمين في منـطقة بعلبـك الهـرمـل وطـرابلس ، وفي اكثر من مـنطقة لبنـانية . واستعمـل سـلاح الـطيـران في قصف تجمعات الثوار في البقاع وفي تدميـر جزء من قـرية عـرسال ويحكى ان الـطائـرات اللبنـانيـة كثيـراً مـا لاحقت السيـارات على طـرقـات البقـاع المكشوفة فيما قامت قوة من الجيش اللبناني بمحاولة اقتحـام قريـة عـرسـال فصدت وقتل قائدها « بنوا بركات » [٢٠] .

ولم يستـطع شمعـون ان يسوق الى هـذه المعـركـة الجيش اللبناني

ككل ولكنه استطاع أن يسوق كل قوى الأمن الأخرى وجزءاً كبيراً من الجيش ، واستطاع ان يشكل من الضغط على قائد الجيش فؤاد شهاب ما يجعل هذا الأخير يحمي مؤخرة شمعون في كثير من الجبهات .

فالجيش كان هناك دائماً ليحد من امكانية النصر الكامل على كميل شمعون وكان هناك ليحمي حيث يستطيع المقرات الحكومية ورموز السلطة . والجيش كان هناك ليضمن بقاء شمعون الى آخر دقيقة من حكمه . وقد هيأ بعض الضباط انقلاباً على كميل شمعون ، وكادوا يقدمون على هذا العمل لولا ان فؤاد شهاب تدارك الأمر في آخر لحظة وحافظ على استمرار ولاية شمعون الى نهايتها .

واستعان شمعون خارج قوى الدولة بالكتائب وأنشأ فرق انصار يقاتلون الى جانبه بأموال الدولة دون ان يكونوا من الموظفين [21] .

انزال اميركي

لم يكن لدى كميل شمعون الأعداد الكافية من المسلحين لكن اعتداده بإمكانية التدخل الأميركي عند الطلب ، كما ينص على ذلك مبدأ ايزنهاور ، جعله متصلباً في مواقفه[22] .

ثم اعلن السفير الأميركي في بيروت ان للرئيس شمعون الحق في طلب المعونة العسكرية الاميركية استناداً الى نصوص المبدأ السالف الذكر[23] . وفي ١٤ تموز سقطت حكومة نوري السعيد في العراق ، ثم اعلن شمعون ، جلاد الشعب ، طلب المساعدة العسكرية من اميركا فتعهد له السفير بوصولها خلال ثمان واربعين ساعة وهذا ما حدث فعلاً ففي ١٤ تموز ١٩٥٨ م إستجاب الرئيس الأميركي لطلب جاء في برقية من شمعون بانزال القوات الأميركية في لبنان مرسلاً اربعة عشر الفاً من الجنود في مشاة البحرية او ما يقارب ضعف حجم جيش لبنان في ذلك الوقت[24] ، ووصل الأسطول الأميركي في اقل من اربع وعشرين ساعة ،

وتدفق الجنود منه افواجاً بوجوه متجهمة وبنادق مصوبة على شواطىء بيروت[25] . وقد اثار نزول بحارة الأسطول السادس الأميركي في ذلك الوقت حماسة وعزيمة بعض الجنود الغيورين في الجيش اللبناني ، وظهر بين الضباط من وجه مدافعه الى الجنود الأميركيين وكاد اطلاق النار يحصل لولا تدخل فؤاد شهاب شخصياً (قائد الجيش) في آخر لحظة وذهابه بشخصه لاستقبال القائد الأميركي العزيز على قلب فؤاد شهاب وعلى قلوب جميع الموارنة ، والمرور به سالماً غانماً تحت مرمى المدفعية اللبنانية .[26] .

ووقف الى جانب الأميركيين كل من كميل شمعون ووزرائه ومعظم النصارى في لبنان ، وطبقة رجال الأعمال الأميركيين ، بالاضافة الى وكالة الاستخبارات المركزية .[27] .

لما نزل الاسطول السادس على شاطىء بيروت ليخمد الوضع كان ثلثا الوطن اللبناني في يد الثوار وكان الثلث فقط في ظل دولة شمعون . ويقول الموفد الأميركي روبرت مورفي في كتاب الفه عن مهمته انه لاحظ ان العلم اللبناني كان يرفرف على مناطق مزدهرة اقتصادياً اما حيث لا ازدهار فلم يكن هناك علم لبناني . وكأن مورفي كان يعطي بعداً اجتماعياً للحرب الناشبة ويلفت النظر الى ان الدولة الشمعونية التي خاضت الحرب ضد الثوار على اساس الحفاظ على لبنان لم تكن تعامل القسم الأكبر من اللبنانيين على انهم لبنانيون .[28] .

ثم طلب شمعون ان يقوم الجنود الأميركيون بغزو عسكري لمناطق المسلمين من اجل تمشيطها وتفتيش بطون الأودية ورؤوس الجبال ثم يتحركوا لسد كل المنافذ عبر الحدود ومصادرة اية مساعدات او اسلحة للثوار .

لقد اراد شمعون ان يستولي الأميركيون على كل لبنان من اجل

تصفية المسلمين تصفية جسدية ونهائية لكن الأميركيين دب في قلوبهم الرعب باعتراف الجاسوس الأميركي مايلز كوبلاند (Miles Copeland) مكتفين « بأن للرئيس شمعون الحق بتقرير ما يروق له ، دون ان يظهر اي لين ، او يبدي خضوعاً للإرهابيين في بيروت »[٢٩] . وهكذا لم يتجاوزوا بيروت الى مناطق اخرى .

على ان انزال هؤلاء الجنود لم يضع حداً للثورة ولم يحمل المسلمين على إلقاء سلاحهم بل كانوا يصرون على تغيير النظام السياسي واستقالة كميل شمعون الذي باع البلاد للدول الاستعمارية[٣٠] . وقال احد الأميركيين : ١٩٥٨ كانت ثورة لبنانية حقيقة ، بارسالنا للمارينز ، منعنا تطورها الطبيعي الذي يمر عبر سلطة سياسية متنامية لصالح المسلمين »[٣١] .

التسوية

في ١٦ تموز ، اي بعد نزول القوات الأميركية بيوم واحد وصل روبرت مورفي ، وكيل وزير الخارجية الأميركية ، الى بيروت موفداً من الرئيس الأميركي ايزنهاور لمساعدة كميل شمعون في محنته وانقاذ النظام الماروني من السقوط . بعد محادثات ومشاورات تم تعيين الإحتياطي الماروني فؤاد شهاب خلفاً لكميل شمعون في ٣١ تموز .[٣٢] .

اما الثورة فلم تتأثر بهذا التعيين واستمرت على حالها لأنها لم تكن تهدف الى استبدال ماروني بآخر انما جاءت تعبيراً صارخاً عن الهيمنة المارونية بجميع اشكالها على زمام الحكم ومقدرات الدولة ، واستعباد المسلمين وإفقارهم ،كما جاءت رداً على سياسة النظام الماروني ، وانخراطه في مشاريع الأحلاف الاستعمارية ، وعقده الاتفاقيات والمعاهدات الخطيرة معها ، ومراهناته على التدخلات الأجنبية ، وسعيه الدائب في الداخل والخارج لتحويل المشروع الماروني الى امر واقع

وفرضه على جماهير المسلمين مستعيناً بخطط بني صهيون وخبرتهم في السياسة والدهاء والخداع ، ومتمثلاً بما حققته الصهيونية من نجاحات باهرة على صعيد مشاريعها الإستعمارية في فلسطين .

لقد رأى المسلمون ان تبديل الرؤساء والحكومات لا يرد حقاً ولا يدفع باطلاً ولا يغني ولا يسمن عن جوع .

لكن الزعماء ، طلاب المناصب ، او « أمراء الطوائف » شاؤوا اقتسام الجبنة اللبنانية ، كما يقول فؤاد شهاب[٣٣]، وانهاء الاقتتال « بين الإخوة » ، طبقاً لصيغة « لا غالب ولا مغلوب » . لقد زوروا ثورة المسلمين وخنقوها في المهد لأنهم لم يكونوا اكثر من طلاب مناصب ، وفوتوا الفرصة على احداث اي تغيير في هيكلية النظام خاصة بعد التدخلات الخارجية . فقد تمكنت احدى شركات البترول من تحقيق لقاء بين من اسمتهم « زعماء المعارضة » وبين انصار شمعون حيث اتفقوا على وجوب التوقف عن تخريب « البلد الحبيب » وعلى ضرورة حسم النزاع بالوسائل السلمية . كما اعربوا عن ترحيبهم بانضمام السفارة الأميركية الى « هذه البادرة السلمية » وعن رغبتهم في أن تضطلع ببعض المهام فيها .[٣٤] .

وكان للسفير الأميركي وغيره (. . .) دور بارز في مسخ اهداف الثورة وحرفها عن اهدافها ليتمكنوا بالتالي من فرض الأمر الواقع طبقاً لصيغة لا غالب ولا مغلوب .

مكث جنود الاحتلال في بيروت ثلاثة اشهر قفلوا بعدها عائدين الى قواعدهم بعد ان تمت التسوية مع « امراء الطوائف » الذين تآمروا على الثوار والشهداء والضحايا ومصير الوطن ، وبعد ان تم انقاذ « الميثاق » و « الصيغة » .

فتقدم « اللواء فؤاد شهاب » وامسك بزمام السلطة ليبني دولة

يحكمها « المكتب الثاني » والجيش من اجل القمع والارهاب .

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

بعد احداث ١٣٧٧ ـ ١٣٧٨ هـ ـ (١٩٥٨ م) كلفت الدولة اللبنانية الأب الفرنسي لوبريه بدراسة الواقع اللبناني من مختلف جوانبه كي تكون دراسته الأساس الاجتماعي العلمي لمشروع الانماء الشامل الذي ظل حبراً على ورق . وكالعادة تكتمت الدولة على تقرير الأب لوبريه لخطورته ولم تترجمه الى اللغة العربية الا بشكل كتاب مختصر مبتور مع ان الأصل الفرنسي المنشور للتقرير يقع في ثلاثة مجلدات ضخمة . وخطورة التقرير تكمن في اثباته ان ٤ بالمائة فقط من سكان لبنان هم المتمتعون بخيرات لبنان .

وانعكس هذا الوضع على القوى العاملة بالشكل التالي :(٣٥)

القطاع	نسبة القوى العاملة	الحصة من الدخل الوطني
الزراعة	٥٠ ٪	١٤ ٪
الصناعة	١١ ٪	١٢ ٪
التجارة	١١ ٪	٣١ ٪
المال	٠,٤ ٪	٦,٥ ٪

وفي احصائيات بعثة ايرفد ، كانت النسب على الشكل التالي :(٣٦) .

الفئة	النسبة المئوية من السكان	الحصة من الدخل الوطني
اغنياء	٤ ٪	٣٢ ٪
ميسورون	١٤ ٪	٢٨ ٪
متوسطو الحال	٣٢ ٪	٢٢ ٪
فقراء	٤٠ ٪	١٨ ٪
معدمون	٩ ٪	

واذا عدنا قليلاً الى الوراء نجد ان تطور بنية الاقتصاد كانت على الشكل التالي :

القطاع	١٩٥٠ م	١٩٥٥ م	١٩٦٢ م
الزراعة	٢٠ ٪	١٦ ٪	١٤ ٪
الصناعة	١٤ ٪	١٢,٧ ٪	١١,٧ ٪
التجارة	٢٩ ٪	٣٠ ٪	٣١ ٪
القطاع المالي	٣,٨ ٪	٥,١ ٪	٦,٥ ٪
القطاع العقاري	٩ ٪	ـ	١١ ٪

ان نسبة مساهمة الخدمات في الدخل القومي بلغت عام ١٩٥٠ م حوالي ٦٧ بالمئة ، بينما لم تصل الزراعة والصناعة الى اكثر من ٣٣ بالمئة ووصلت مساهمة انتاج الخدمات غير المنظورة الى ٧١ بالمئة عام ١٩٥٥ م ثم الى اكثر من ٧٤ بالمئة عام ١٩٦٢ م بينما هبطت نسبة انتاج السلع الى ٢٩ بالمئة ثم الى ٢٦ بالمئة عام ١٩٦٢ م .(٣٧) .

ثلاثة جداول احصائية عن الأوضاع الاجتماعية لعام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ م (٣٨)

	موارنة	نصارى آخرون	مسلمون	غير ذلك	المجموع	النسبة المئوية
الطبقات الحاكمة	٥	٣	٦	٣	١٧	١١
المستخدمون الموظفون	١٢	١١	٨	١	٣٢	٢١
الحرفيون ـ التجار	١٠	٧	١٧	١	٣٥	٢٣
المستثمرون الزراعيون	٤	٣	٣	١	١١	٧٥
العمال غير الزراعيين	٥	٥	١٦	٣	٢٩	١٩
العمال الزراعيون	ـ	٢	٥	٢	٩	٦

التوزيع حسب الانتماء الديني لعينة نموذجية من رؤساء المؤسسات في لبنان ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م .

	نصارى	مسلمون	غير ذلك	المجموع
الصناعة	١٠٥	٢١	٤	١٣٠
مال	١١	٢	١	١٤
خدمات	٤٠	٥	٢	٤٧
غير ذلك	١٠	٦	–	١٦
المجموع	١٦٦	٣٤	٧	٢٠٧

النسبة المئوية للمستويات المدرسية والأوضاع الاجتماعية

	(طبقات وسطى وعليا)		(طبقات شعبية)				
	نصارى	مسلمون	نصارى	مسلمون	نصارى	مسلمون	المجموع
غير متعلمين	٢٨,٥	٥٨	١٤,٥	٣١	٦٣,٢	٨٠	٤٢,٨
دراسة ابتدائية او تكميلية	٣٧,٥	٢٦,٥	٣٧	٣٤,٥	٣٦,٨	٢٠	٣٢
دراسة ثانوية أو عليا	٣٤	١٥,٥	٤٨	٣٤,٥	–	–	٢٥,٢
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
النسبة المئوية	–	–	٣٦,٦	٢٢,٢	١٤,٥	٢٦,٧	–

سياسة فؤاد شهاب

مع نزول بعض الوحدات العسكرية « المضمونة الولاء » لحكام لبنان الى ساحة الصراع واشتراك سلاح الطيران في قصف المناطق المسلمة ، فان فؤاد شهاب ، قائد الجيش يومذاك لم يقحم الجيش كلياً في الصراع الداخلي بل حافظ على تحييده في بعض المناطق غير المضمونة النتائج لعدم ثقة القيادة الكاملة بقدرتها على الحفاظ على تماسك بنية الجيش ، اذا ما زجته بالصراع الداخلي ، فينقلب السحر على الساحر ويسقط النظام الذي طالما سعى الموارنة للاستعانة بالأجانب وعقد الأحلاف الاستعمارية لتثبيته ووقف تداعيه .

ثم ان هذا الجيش قد بناه الفرنسيون وتعهده فؤاد شهاب منذ عام ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م بالمحافظة عليه بعيداً عن العواصف الهوجاء ليكون احتياطي الأقلية المارونية والسند الرئيسي لها .

كان فؤاد شهاب متشدداً جداً في عزل لبنان عن محيطه الاسلامي وتكريس ارتباطه اقتصادياً وثقافياً بالغرب .

والمعلوم ان حكام لبنان ، كان كل منهم يستند الى قاعدة ، اما

طائفية او عشائرية او اقليمية ، تدعم موقعه السياسي والمالي في المجتمع .

اما فؤاد شهاب فلم يجد امامه من هو جدير بثقته وتثبيت حكمه غير رجالاته الذين تربوا على اياديه منذ سنوات عديدة ، ضباط الجيش وعناصره .

ومن بين هؤلاء كان الأكثر ولاء للقائد ، وللرئيس في ما بعد ، وموضع ثقته المطلقة ، عناصر جهاز المخابرات العسكرية ، المسماة « الشعبة الثانية » والمعروفة اليوم بالمخابرات العسكرية . هؤلاء اعتمد عليهم شهاب وسلمهم المراكز الأساسية في ادارته . وهكذا ما ان حسم شهاب قراره باتجاه الامساك بالادارة والحكم الذي تربع على كرسيه ، حتى بدأت رياح العسكر تهب على البلاد واخذ نفوذهم يزداد ويتوسع برعاية من شهاب نفسه الذي قام بتعيين مديرين للأمن العام وللأمن الداخلي وعدد آخر من الادارات من ضباط الجيش .

وهكذا بدأ فؤاد شهاب حملته بأساليب جديده وبسماسرة جدد فتكفل المكتب الثاني واجهزة الأمن والشرطة بمنع قيام اية نشاطات او تجمعات معادية للحكم وذلك بالتضييق على المسلمين .

وكان الياس سركيس ، مدير عام الرئاسة ، احد ابرز المساهمين في عمليات التطهير فقد كان له الرأي الأساسي في اختيار المديرين العامين للادارات والمؤسسات العامة والمصالح المستقلة في صفوف المثقفين واصحاب الاختصاص .[٣٩]

لقد بدأ تيار سياسي بالتكون وامساك البلاد بقوة عرف في ما بعد « بالتيار الشهابي » او « الشهابية » كان الجيش منطلقه وجهاز « الشعبة الثانية » جهازه القيادي ، فحكم البلاد في الفترة الواقعة ما بين اعوام ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م و ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م عندما خسر المرشح الشهابي

الياس سركيس في انتخابات رئاسة الجمهورية امام سليمان فرنجية .

خلال هذه الفترة اصبح الجيش هو الأداة الرئيسية للموارنة في السيطرة على البلاد والاعتداء على ارواح الناس .

ان خلاصة هذه التجربة كانت السعي الى « مورنة » لبنان بأكمله عبر صفقة خارجية واخرى داخلية .

فقد تظاهر فؤاد شهاب بميله الى العرب مع اتخاذ اقسى اجراءات القمع الداخلي ، وللشعبة الثانية جولات وجولات ومآثر في هذا المجال .

ان « الشهابية » لم تكن في حقيقتها سوى طرح صيغة اخرى للمشروع الماروني .

وكان حزب الكتائب « الربيب المدلل للشهابية » ، فقد كان الدعم الشهابي لهذا الحزب حاسماً الى درجة تحويله من مجرد حزب صغير يعجز رئيسه عن الفوز بمنصب « مختار » لقريته : بكفيا ، الى الحزب الأساسي والأول للموارنة ، الذي يحمل مشاريعهم ويقاتل من اجلها .

كان فؤاد شهاب الماروني المتعصب بكل ما في الكلمة من معنى حتى ان البعض كان يسميه « بطرك الموارنة السياسي » .

ودفعاً للأوهام سندلل على سياسة العهد الشهابي بالحادثة التالية :

بعد اعلان استقلال الجزائر ، عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ، اتضح ان سلاح الثورة الجزائرية لم يكن موحداً بل كان من مصادر متنوعة مما يتنافى مع تسليح جيش نظامي حديث . وعليه فقد اصبح لدى الجزائر فائض ضخم من الأسلحة الجديدة غير الملائمة لسياسة التسليح النظامية لذلك وعبر بعض التشكيلات السرية آنذاك ، والتي اصبحت فيما بعد قوى علنية ضخمة في الشرق الأوسط ، قدم عرض لكل من فؤاد شهاب

والملك حسين لتسليح قرى مناطق الحدود في بلديهما بالأسلحة الفائضة في الجزائر وبإشراف الجيشين اللبناني والأردني ، وقد رفض كلاهما العرض .

وكان جواب فؤاد شهاب للوسطاء المفاوضين : انا لا اوافق على تسليح اهالي قرى الحدود في الجنوب ولو بإشراف الجيش اللبناني لأنهم مسلمون .(٤٠) .

وكان جهاز الشعبة الثانية يزيف ارادة التمثيل الاسلامي داخل مجلس النواب وفي مختلف القطاعات الأهلية ، ويعطي الفرصة للأقلية المارونية لتحافظ وتدعم مؤسساتها السياسية منطلقة منها « لمورنة » قطاع محدود من الموظفين المسلمين ، العسكريين والمدنيين ، فكان الموظف المسلم - وما زال - بحاجة لشهادة حسن سلوك من مروؤسيه الموارنة ، ومن جهاز الشعبة الثانية حتى يحصل على حقه في الترقية او في الوصول الى مرتبة اعلى في وظيفته ، او في الحصول على اجازة حمل سلاح اذا كان مدنياً ، حتى وصل الأمر الى حد تدخل عناصر « الشعبة » في اعطاء او منع « رخص العمار » في المناطق الاسلامية النائية .

وانفق فؤاد شهاب مبالغ خيالية على بلدة جونية بالذات ، فلقد كانت الاعتمادات ترصد لتنفق على مختلف المناطق ، لكن التنفيذ لا يتم الا في المناطق المحظوظة .

البابا يتحالف مع اسرائيل

تمهيد

ان التعاون قائم منذ القديم بين الصليبية والصهيونية لابتلاع اراضي المسلمين .

ومنذ ان انفردت عائلة « بير ليوني » اليهودية بتعيين « بابوات من الحي اليهودي » واتيح لبعض افرادها او لمن مت اليها بأواصر القربى الوصول الى المنصب البابوي في روما ، وقلما نجد خطة او مؤامرة او مشروعاً من المشاريع الاستعمارية لم يشترك الاثنان في صنعه وصياغته وبلورته .

فالبابا اوربان الثاني الداعي للحروب الصليبية هو نتاج اسرة بير ليوني اليهودية الأصل ، كما ان الصراع بين البابا البير ليوني انا سولت والبابا انوسنت له ارتباط وثيق بقيام الحملة الصليبية الثانية وكان بطاركة الموارنة في لبنان على علاقة وثيقة مع بابوات روما اليهود والصليبيين واغتبطوا كثيراً بوصول حملاتهم العسكرية الى الشرق ، فبعد ان قدمت الحملة الصليبية الأولى بعث البطريرك الماروني يوسف الجرجسي وفداً مارونياً الى روما لتهنئة البابا بفتوحاته الجديدة واما ارميا العمشيتي فقد ذهب

بنفسه الى روما واشترك مع البابا في التخطيط للحملة الصليبية الخامسة .

واما شمعون او سمعان الثاني فقد امد لويس المخذول بالرجال والعتاد فحاز على عطف البابا ورضاه .

وفي الوقت الذي كانت جحافل الصليبيين تنهزم وتتلقى الضربة تلو الضربة كان الموارنة تحت قيادة بطريركهم دانيال الحدشيتي ومن بعده ارميا الدملصي يقاتلون الى جانبهم ويحمون حصونهم معوقين بذلك سبل النصر والتحرير .

ثم جاءت حملة التبشير فكانت صهيونية وصليبية في آن معاً .

كانت البابوية والصهيونية والبروتستانتية كلها تتنافس على بلاد المسلمين عامة وعلى فلسطين خاصة ، ومن اجل ذلك تعاونت الإرساليات الأجنبية مع اليهود وفتحت لهم باب الهجرة للعبور الى فلسطين ، فكان روتشيلد الممول اليهودي يساعدهم جميعاً .

كان (المستر اوسكار ستراوس) وزير الولايات المتحدة المفوض في تركيا يهودياً ومع ذلك فانه كان يساعد المبشرين النصارى ويقول « انا امريكي في الدرجة الأولى ثم انا يهودي » وعندما سحبته الولايات المتحدة الأميركية اسف المبشرون لذلك .[٤١]

ومنذ الزمن البعيد نشأت في الأوساط المسيحية فكرة حل اليهود من ذنب التدبير لصلب المسيح ، تلك الفكرة التي نفذتها البابوية عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م ذلك لأن النصارى كانوا يحملون عداء شديداً اعتقاداً منهم بان اليهود هم الذين اغروا الحاكم الروماني بقتل المسيح وصلبه .
كتب (ليفي بارسونز) في تقرير له عام ١٢٣٥ هـ - ١٨١٩ عن الارسالية الأميركية في فلسطين يقول :

« ان جمهور المسيحيين يجب ان يدعو لليهود دعوة صالحة وان

يغفر لهم صلب المسيح كما كان المسيح نفسه قد غفر لهم ذلك . ان عيون (اليهود) تشخص الى القدس ، فهم يعتقدون ان المسيح سيظهر فيها . . . ويقول بارسونز اننا اذا استطعنا ان نحمل البروتستانت على ان يجعلوا في القدس نواة من اليهود تتقبل المسيح فان جميع يهود العالم سيقتفون خطاها حالاً » [٤٢]

وهكذا اهتمت جميع الارساليات التبشيرية بالخطوة التي خطتها الإرسالية الأميركية .

وكان الأسقف الأول على اسقفية القدس في القرن الماضي ميخائيل سلمون اسكندر وهو حاخام يهودي متنصر .[٤٣] .

عام ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٢ م ، تأسس في الولايات المتحدة الأميركية مذهب شهود يهوه وهو فرقة نصرانية وذات ميول يهودية راحت تفسر التوراة والانجيل تفسيراً خاصاً بها ، ثم اصبحت تقوم بالتبشير الديني والسياسي معاً وتعمل على بعث السيطرة اليهودية في الاجتماع والسياسة[٤٤] . وكان تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين امراً اقره الأوروبيون منذ القرن الماضي وجاهدت في سبيله كل الإرساليات التبشيرية ، حتى ان بريطانيا اعلنت « الوطن القومي اليهودي » قبل وصولها الى فلسطين وكان المندوب السامي البريطاني الأول في فلسطين السير هربرت صموئيل يهودياً[٤٥] .

يقول لورنس براون في كتابه الذي اصدره عام ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٤ م :

« لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الإختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف ، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر (باليابان) وبالخطر البلشفي ، الا ان هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه . اننا وجدنا اليهود اصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل

مضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا ان البلاشفة حلفاء لنا ، اما الشعوب الصفر فان هنالك دولاً ديموقراطية كثيرة تتكفل بمقاومتها . . . ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وفي قدرته على التوسع والاخضاع ، وفي حيويته : انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي »[٤٦] .

اثناء الاعداد للمجمع المسكوني الثاني فوض البابا يوحنا الثالث والعشرون الكاردينال بيا بوضع مرسوم يتعلق باليهود. وتقول مجموعة المجمع المسكوني الثاني ان البابا لما كان قاصداً رسولياً في الشرق الأدنى اطلع على حال الشقاء التي كان فيها كثير من اليهود الذين هربوا من مضطهديهم وقد انقذ حياة نفر كثيرين منهم . ثم انه ابدى عليهم عطفاً في مناسبات مختلفة .

وفي ذلك الوقت نفسه ، اثناء الاعداد للمجمع الثاني ايضاً ، طلب معهد التوراة في روما ان يكون للمجمع تفسير (رأي) في الوجود اليهودي.وفي عام ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ قام العالم اليهودي يوليوس ايزاك (اسحاق) بزيارة للبابا طالباً منه ان يعدل الفقرات المعادية للسامية في التعليم الديني . وفي هذا الوقت بعث المطران اويسترا يشر رئيس المؤسسة اليهودية المسيحية في ستون هول بالولايات المتحدة الى الكاردينال بيا عريضة وقعها خمسة عشر قسيساً يطلبون فيها ان تستمر ازالة العبارات التي تدعو الى سوء التفاهم ثم حذف التعابير الجارحة لليهود من العظات المسيحية (القداديس) .

وفي ربيع الثاني ١٣٨١ هـ - تشرين الأول ١٩٦١م استقبل البابا وفداً من اليهود الأميركيين الذين جاؤ وا ليشكروه على مواقفه المؤيده لهم ، فاستقبلهم البابا بهذه الكلمات :

« انا يوسف اخوكم . اجل ان ثمة فرقاً بين الذي لا يؤمن الا

بالعهد القديم (اي التوراة - يعني اليهودي) وبين الذي يؤمن بالعهد الجديد (الإنجيل - اي النصراني) انه الشريعة الهادية العليا . ولكن هذا الفرق لا ينقص شيئاً من الأخوة القائمة على اصلنا الواحد : السنا جميعاً ابناء اب واحد في السموات ؟ فيجب ان يكون بيننا حب مشرق ، حب نشيط فعال »[٤٧] .

ولا يسعنا في المقام الا ان نبارك للبابا واخوته في الأصل الواحد ، هذا « الحب المشرق النشيط والفعال » بين بني صهيون ودعاة الصليبية ، ولكن لا يسعنا الا ان نأخذ كامل الحذر والحيطة من خططهم ومشاريعهم المعادية للمسلمين .

نعم ان هناك « اخوة قائمة » على أصلهم الواحد في العداء للحق واتباع سبل الباطل . وعلى المسلمين ان يكونوا على بينة من امرهم .

ولنعود الى الوراء الى ما قبل تسعة قرون الى عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م الى الآباء الأوائل والأجداد الذين انحدر من اصلابهم بابوات روما واخوانهم في الأصل الواحد والعقيدة الواحدة ، الى الحملة الصليبية العاتية التي شنها الغرب على الشرق باسم الصليب فعلى الطريق الذي شقه قادة هذه الحرب الحاقدة سار الأبناء وسارت البابوات ، وسار الأحفاد ،ثم تسير الى اليوم ، والى الغد ، سلالتهم لسحق المسلمين وإطفاء نور الإسلام .

الم يلبثوا في القدس وحدها اسبوعاً يرقصون طرباً ويترنمون بأناشيد النصر على هدير التدمير ودوي الإنهيار . الم تتحالف الصليبية مع الشرك اثناء حملة المغول الصليبية ، فعانى الشرق الاسلامي من هذا الحلف الشيطاني عشر سنوات ؟ وفي كل مكان حل به ، كان يخوض في دم ، ويمشي على جماجم ، ويأمر بالمدن فتنهب ثم تدمر وتسلم للنيران ، ويعمل السيوف في الرقاب ، ذبحاً ونحراً حتى يفني السواد الأعظم من

السكان ولا يجلو الا عن دمار وحريق وهلاك . الم يتعقبوا العائلات المسلمة في اسبانيا فأبيدت ابادة تامة بعد التعذيب الذي ابتدع له الأوروبي فنوناً ووسائل عديدة فكانت النتيجة ان قتلت صليبية اوروبا في اسبانيا وحدها ثلاثة ملايين مسلم اي معظم الشعب لأنهم كانوا مسلمين .

« فبزغ نجم اسبانيا المسيحية فترة من الزمن ، ولكنه اضاء كما يضيء القمر بضوء مستعار ليس منه . ثم تلا هذا خسوف ، اعقبه ظلام دامس ما زالت اسبانيا منذ ذلك الحين تتخبط به »[٤٨] .

وفي عام ٩٢٧ هـ ـ ١٥٢١ م اقتحموا مانيلا ـ عاصمة الفيلبين . وبدأت هناك حملة صليبية جديدة بالابادة والإرهاب والتنصير ثم اطلقوا على مسلمي الفيلبين نفس الاسم « موروس » الذي كانوا يطلقونه في بلاد الأندلس على المسلمين . وتتوالى المذابح عاماً بعد عام وجيلاً بعد جيل ملايين وملايين لاقوا حتفهم في القرون المظلمة كما في « القرن العشرين » قرن الحضارة المزيفة .

بعد عام ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م نزح اهالي الفيلبين الى الغابات والأحراش والجبال ليقتاتوا من النباتات واوراق الأشجار وفي خلال ثلاث سنوات سقط نصف مليون شهيد ثم وضعوا المسلمين بالمزاد العني .
يقول عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه « صليبية الى الأبد » :

« اذن الرجل المسلم بمائة جنيه » .

« وثدي المرأة المسلمة بمائة . . . »[٤٩]

الى هذه الحالة وصل المسلمون .

وفي افريقيا يموت الناس جوعاً لأن صليبية اوروبا لم تعط لهم حقاً في الحياة .

عندما خضعت الحبشة (اثيوبيا) للاستعمار الايطالي عام

١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦ م عددنا قضيتها قضيتنا واستنكر المسلمون هذا الاحتلال ، وبدأوا يناضلون معها لكن الحبشة ما ان تحررت حتى وجهت سهامها نحو المسلمين واستولت على اريتريا واعلنت عليها حرباً صليبية .

اية بقعة سلمت من شرهم واذاهم في الجزائر وحدها قتلوا مليون مسلم في فلسطين اجبروا المسلمين على الرحيل وتحول من تبقى منهم الى غرباء كأنما ارضهم ليست لهم . في لبنان كل شيء ، ذبح وقتل وسبي ونفي وتهجير .

اجراءات الصلح

عام ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م وضع الكاردينال بيا بصفته رئيساً للأمانة العامة في مؤسسة وحده المسيحيين في الفاتيكان المرسوم اليهودي الذي يتضمن الفكرة الآنفة الذكر .

ثم دعا البابا يوحنا الثالث والعشرون الى عقد المجمع المسكوني الثاني في جمادى الأول ١٣٨٢ هـ ـ تشرين الأول ١٩٦٢ .

وقيل ان مبعوثاً لاسرائيل قابل البابا في شأن الوثيقة او المرسوم اليهودي وحضر الجلسة التي أقرت فيها .[٥٠] كما حضر المجمع من لبنان كل من :

ـ البطريرك الماروني ، بولس المعوشي ، واربعة عشر اسقفاً ورئيسان عامان .

ـ بطريرك الروم الكاثوليك ومعه تسعة عشر اسقفاً وثلاثة رؤساء عامون .

ـ الكردينال تبوني من السريان الكاثوليك ومعه تسعة اساقفة .

ـ البطريرك الأرمني الكاثوليكي ومعه اثنا عشر اسقفاً .[٥١] .

وكان البطريرك المعوشي قد تم تعيينه عام ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م مباشرة من قبل البابا وبه بدأت سابقة اعتبرت اخر مظهر عملي واكمل مظهر من مظاهر عضوية المارونية في الكنيسة الكاثوليكية العالمية . وكان يتصرف على اساس حق المارونية في قيادة المسيحية العربية في كل مكان(٥٢) ، فعينه البابا عضواً في « لجنة الكنائس الشرقية التابعة للمجمع »(٥٣) .

بحث المجمع في جميع الشؤون مما يتصل بـ :

- اعداد المبشرين (من رجال الدين ومن غير رجال الدين) ذلك ان المبشرين يجيئون الينا في ثياب مختلفة : في ثياب رجال الدين وفي ثياب الأطباء وثياب المدرسين وثياب العلماء وثياب المكتشفين وفي ثياب الموظفين . . .

- اثارة حوار بين النصارى وبين غير النصارى . وغاية هذا الحوار زعزعة العقائد على السنة اشخاص معروفين في قومهم . والحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان اقوى يداً وارفع صوتاً .

والحوار هو وسيلة جديدة من وسائل التبشير وتمرير المؤامرات .

- ابداء رأي الكنيسة في اليهود عامة واسرائيل خاصة . وقد جاء في هذا الشأن ما يلي :

« أ - تقر الكنيسة بأن جذورها تذهب بعيداً في ارض اسرائيل القديمة وتقر بذلك بسرور . . . ان جذورها ترقى الى الأسباط والأنبياء وخصوصاً الى ذلك اليوم الذي دعي فيه ابراهيم ليخرج من بيت ابيه الوثني وليسير في طريق الإيمان الجريئة . انها ترقى الى تلك الساعة التي اختار الله فيها موسى ليخرج ابناء اسرائيل من ارض العبودية وليصل بهم الى قرب الميعاد .

ب - والكنيسة ، برغم انها مؤسسة جديدة كل الجدة ، مستمرة مع اسرائيل القديمة (في الوجود) . ان هذا التأكيد ليس فقط تعبيراً عن حقيقة تاريخية ، بل عن واقع يملأ وجود الكنيسة ووجود كل مسيحي ويعيش فيهما .

ج - ان اوثق صلات الكنيسة بالشعب اليهودي « انسانية » المسيح . ان الكنيسة لا تستطيع ان تنسى ولا تريد ان تنسى - ان الله لما اصبح اخا للبشر (اختار) ان يكون يهودياً ، وبتعبير آخر ، ان مخلص العالم عاش ومات على انه شخص من الشعب الذي انعم الله عليه فاختاره واعتنى به . ولا يسع الكنيسة ان تنسى ايضاً ان مريم ام يسوع كانت في بيت داوود ، وان الرسل والحواريين (تلاميذ المسيح) كانوا من نسل ابراهيم ، وان هؤلاء جميعاً قد قضوا ايام طفولتهم بين ابناء اسرائيل .

هـ - ومع ان السكان القدماء في القدس كانوا كلهم من اليهود الذين آمنوا بيسوع مسيحاً مهدياً ، فان القسم الأكبر من الشعب المختار لم يؤمن بيسوع مسيحاً . ولقد استنتج اهل العصور الماضية من ذلك ما يلي : بما ان اليهود بجملتهم (بمجموعهم) لم يؤمنوا بيسوع مسيحاً ، فان جميع بني اسرائيل اخذوا بهذه الجريرة . فالمجمع المسكوني يعلن - خلافاً لذلك - انه من الخطأ ان يستنتج الإنسان من الكتاب المقدس مثل هذه النتيجة .

و - فاتهام الشعب اليهودي بجملته ، اذن - من عاش منه في الماضي ومن يعيش منه اليوم - باطل ، انه انسياق في الضلال وارتكاب للظلم ، اما فيما يتعلق بالذين ارادوا قتل المسيح ، فانهم زمرة قليلة العدد من اليهود وروماني واحد وحفنة من السوريين التابعين للكتيبة العاشرة التي كانت مرابطة في فلسطين . وقد قال السيد المسيح عنهم كلهم - كما قال رسله بعده - : اغفر لهم ، (يا رب) ، فانهم لا يدرون ما يفعلون »(٥٤) .

وقد حدث شيء من الهياج في البلاد العربية من اجل ذلك فصرف النظر عن الوثيقة مؤقتاً . غير ان المجمع المسكوني الثاني عاد فأقرها .

ثم ان الوثيقة التي اقرها المجمع المسكوني الثاني بكاملها نشرت في منشورات المجمع ، وهذه منشورات قلما يطلع عليها جمهور القراء . من اجل ذلك دفعت خلاصة الوثيقة والغاية الأساسية منها الى وكالات الأنباء العالمية فوزعتها الوكالات على صحف العالم ونشرتها صحيفة النهار في ١٢ - ١٢ - ١٩٦٩م بالشكل التالي : « وثيقة اقرها الفاتيكان تطلب من الكاثوليك الاعتراف بالمعنى الديني لدولة اسرائيل » :

« أذاع رئيس اساقفة بالتيمور الكاردينال لورنس شيهان امس وثيقة اقرها الفاتيكان عن العلاقات الكاثوليكية - اليهودية ، ترمي الى ازالة العداء التاريخي بين اتباع الديانتين ، وكانت امانة الفاتيكان لتشجيع الوحدة المسيحية قد اقرت هذه الوثيقة في الأسبوع الماضي في روما ، وحضر الكاردينال شيهان الاجتماع الذي تم اقرارها فيه .

وذكرت الوثيقة ان على الكاثوليك ان يعترفوا بالمعنى الديني لدولة اسرائيل بالنسبة الى اليهود وان يفهموا ويحترموا صلة اليهود بتلك الأرض »(٥٥) .

زيارة البابا الى اسرائيل

في ٢١ شعبان ١٣٨٤ هـ - ٤ كانون الثاني ١٩٦٥ م ذهب البابا بولس السادس في « زيارة ودية لإسرائيل » استغرقت ثلاثة أيام .

وعلى الفور ارسل الصليبيون في لبنان وفوداً لاستقبال البابا في مطار عمان فذهب وفد ماروني برئاسة البطريرك المعوشي ووفد رومي كاثوليكي برئاسة البطريرك مكسيموس الصائغ ووفد ثالث يمثل السريان الكاثوليك .(٥٦)

ووجه البابا المتحالف مع اسرائيل برقية الى رئيس جمهورية النظام الماروني في لبنان ، فؤاد شهاب،اعرب له فيها عن « اطيب التمنيات والتهاني »،وزعم ان تقاليد لبنان الروحية والمسيحية حية في ذهنه وانه يرفع صلواته « من اجل هذه الأمة النبيلة » التي يستنزل من قلبه « وافر البركات السماوية لزعمائها السياسيين ورجال الدين فيها » .(٥٧)

ورد فؤاد شهاب معتبراً ان اللبنانيين هم جميعا من اتباع البابا وان انظارهم « كانت متجهة الى العلاء ترافق بالعين » حليف الصهيونية،ثم

بعث له بـ « أخلص الشكر على العاطفة التي » خص « بها لبنان » . ولا ندري اي لبنان هذا الذي يعطف عليه البابا ويحبه حباً جماً . لحد خاطر ، احد خريجي مدرسة الحكمة والذي كان يعمل في جريدة البشير اليسوعية الصليبية يصف زيارة سيده الى فلسطين المسلمة واجتماعه هناك بالصهاينة كما لو كانت فتحاً عظيماً[٥٨] . بعد عودته الى روما استقبل البابا ثلاثة آلاف من المهنئين وخطب فيهم كما تقول صحيفة (Tempo) اعظم خطبة .

كيف لا وهي تزف الى الجماهير بشرى الوحدة مع اسرائيل وتوحيد الجهود ضد العدو المشترك : الاسلام .

كما اعلن البابا عن عزمه في نشر النصرانية في العالم كله .[٥٩] .

اسقف يهودي لمدينة باريس

ما من احد يشك ان هذا التعاون الوثيق بين بابوات روما والصهيونية من شأنه ان يساهم مرة ثانية في اخراج وتنصيب بابوات من الحي اليهودي وجعل ظاهرة (بير ليوني) تتكرر من جديد .

نهار الاثنين في ٥ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ ـ ٩ شباط ١٩٨١ م اعلن ان البابا يوحنا بولس الثاني عين الأسقف جان ـ ماري لو ستيغر من ابوين يهوديين اسقفاً عاماً لمدينة باريس . الأسقف لو ستيغر Lustiger وهو في الرابعة والخمسين من عمره كان قبل تعيينه على باريس اسقفاً لمدينة اورليانس الفرنسية .

واسقف باريس يحمل تقليدياً رتبة كاردينال وتقول مصادر الفاتيكان ان البابا قد اختار الأسقف لو ستيغر لأنهما اي البابا ولوستيغر يعتبران من مجددي العادات القديمة[٦٠] .

الموارنة : مزيد من التطرف

كان لوثيقة التحالف التاريخية بين الصليبيين والصهاينة اكبر الأثر في تدعيم جبهة الحلف الماروني ـ الصهيوني. فقد اعطت زيارة البابا لإسرائيل دعماً كافياً للموارنة في مشاريعهم ومخططاتهم .

وبعد ان رأوا سيدهم يعطف على الصهاينة ويشجعهم في سياساتهم التوسعية الرامية الى اجتثاث جذور الاسلام من فلسطين بحجة انها اسرائيل القديمة قرروا دفع عجلة التعاون مع اسرائيل الى حدها الأقصى وتحويل لبنان بالقوة الى « وطن قومي ماروني » يكون حليفاً طبيعياً لإسرائيل سراً وعلانية .

وكان بولس السادس قد اجتمع مرتين ببيار الجميل في روما واحاطه « برعاية خاصة مظهراً تقديره لأسرة الجميل الكريمة » كما قال واثنى على اعماله التي اعتبرها في « خدمة الوطن وقيادة الشبان في مضمار العزة والتضحية الى كل هدف سام نبيل » .

وقابل البابا موريس الجميل وهو من قياديي حزب الكتائب ، وتحدث وإياه عن مشاريع الموارنة واثنى على مواقفه معرباً ـ كعادته ـ عن حبه للبنانيين . وهكذا فان آل الجميل الذين يشبهون النازيين هم موضع احترام منقطع النظير لدى حبرهم الأعظم في روما .[٦١]

لقد وثق البابا بولس السادس علاقاته مع صليبيي لبنان وكانت تربطه واياهم روابط متينة حتى ان القسم العربي في دار اذاعة الفاتيكان كان يديره صليبي من لبنان هو الخوري ادمون فرحات من عين كفاع .[٦٢] .

ومنذ ذلك الحين تشجع الموارنة اكثر فأكثر الى اللجوء الى الحل

العسكري وصارت الأمور تسير باتجاه الحسم .

في ايلول من عام ١٩٦٤ م - ١٣٨٤ هـ اصبح شارل الحلو رئيساً للجمهورية وكانت تربطه ببولس السادس صداقة عميقة الجذور تعود الى عام ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م يوم كان وزيراً مفوضاً للبنان لدى الفاتيكان وهناك تبادل الصداقة مع بولس السادس الذي كان يومها وزيراً لخارجية البابوات . ارسل البابا برقية تهنئة الى شارل الحلو قال فيها انه يرى فيه « طالع سعد لمستقبل هاد للأمة اللبنانية العزيزة » التي يرفع صلواته الحارة لها وانه يمنح من صميم قلبه رئيسها الجديد بركته الرسولية .[٦٣]

ورد شارل الحلو زاعماً انه يتحدث باسم « الشعب اللبناني المتحد » . وما لبثت هذه الصداقة المنقطعة النظير ان توجت بزيارة رسمية قام بها البابا الى « ابنائه وبناته »* في لبنان .[٦٤] .

في رمضان ١٣٨٣ هـ - ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٥ م ، عين البابا بولس السادس سبعة وعشرين كردينالاً جديداً اخذ اثنين منهم من لبنان وهما البطريرك الماروني المعوشي ومكسيموس الصائغ بطريرك طائفة الروم الكاثوليك .

وفي ٢٦ شباط قابل البابا الوفد الماروني الذي ضم المعوشي ومكسيموس الصائغ والقى المطران عبد رئيس اساقفة طرابلس كلمة بالفرنسية شكر فيها للبابا باسم الطائفة المارونية التقدير الذي خصها به ومما قاله « ان الموارنة ليفخرون بما عرف عنهم عبر تاريخهم الطويل من ديمومة الولاء لكرسي بطرس ومن الاعتصام المستمر بالإيمان الكاثوليكي» واعتبر لبنان بلداً مارونياً مذكراً بما كان « للبنان والطائفة المارونية

(*) التعبير هو للبابا نفسه الذي خاطبهم على المطار بقوله : « يا بناتي وابنائي » .

على مرور الأجيال من مكانة خاصة لدى الأحبار الرومانيين » . ورد البابا بكلام مماثل .[٦٥] .

وفي نفس العام قام شارل الحلو بزيارة للبابا وجاء في كلام هذا الأخير :

« ان لبنان هو بلد اناس مؤمنين (بالنصرانية) ، فللمسيحية جذور عميقة وقد برزت الكنيسة الكاثوليكية على مر القرون في مؤسسات ابداً متجددة . وهذه الحيوية المسيحية التي يتحلى بها وطنكم اللبناني الجميل هي ما اردنا ان نعترف به ونكرمه لرفعنا اخيراً الى مرتبة الكردينالية واحداً من ابنائه الأفذاذ بطريرك الطائفة المارونية ، وكنا بذلك نكرم امة بأجمعها » .[٦٦] .

الحلف الثلاثي (بيار الجميل ، كميل شمعون ، ريمون اده)

لما كان آل الجميل يقيمون منذ زمن طويل علاقات متينة مع القلة اليهودية في لبنان ، وكانت « الكتائب » حماتهم شبه الرسميين فقد ضربت مجموعة من « ميليشيا الكتائب » خلال حرب ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م طوقاً محكماً حول الحي اليهودي في بيروت ، ووادي ابو جميل ، « منعاً لدخول عناصر مؤذية »[٦٧] ولإيجاد الحماية اللازمة لرفقاء الدرب والسلاح .

وبعد ان انجلت الحرب عن هزيمة ساحقة للأنظمة العربية عمد الموارنة الى الاستقواء بالنصر الاسرائيلي .

وهكذا فبعد انقضاء شهرين على الهزيمة وفي ربيع الثاني ١٣٨٧ هـ - ٧ آب ١٩٦٧ م وجه البطريرك المعوشي رسالة الى شارل الحلو كانت بمثابة الاعلان عن قفزة جديدة او خطوة جريئة في رحلة الألف ميل واعلن عن رفضه القاطع لتقديم بعض التسهيلات العسكرية البسيطة في لبنان كوضع رادار لمجلس الدفاع العربي المشترك[٦٨] . وذكرت صحيفة « الفيغارو » الفرنسية في خبر لها انه في شهر حزيران ١٩٦٨ تم لقاء في احد فنادق باريس بين موشي دايان واحد قياديي

الكتائب الياس ربابي . ثم تجمع الموارنة عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م وراء « الحلف الثلاثي » كميل شمعون - بيار الجميل - ريمون اده ، ومعهم زعامة موارنة الشمال : سليمان فرنجية . وقد لعب حزب الكتائب الدور الرئيسي في توجيه سياسة الحلف ، نتيجة لكونه الفريق الأقوى .

اعطى الحلف لنفسه صفة جبهة انقاذ لبنان وانتهج سياسة هجومية ترمي الى تكريس الطابع الماروني للبنان .

فبيار الجُميل ، وكميل شمعون ، وريمون اده ظهروا في ذلك الحين كما لو انهم كل المارونية ، لا ينازعهم في القيادة حتى فؤاد شهاب برغم امارته وبرغم نجاحه كحاكم ماروني متعصب ، وبرغم كونه قائداً للجيش والمحنك في عدم ربط لبنان بالعرب والصامد ضد اي اتفاق عسكري لبناني - سوري على الحدود الجنوبية لتفادي الخنجر الصهيوني . كانت انعزالية فؤاد شهاب الذي كان يسمي الفرنسيين « اعمامنا » اشارة الى كون زوجته فرنسية غير مشبعة لكميل شمعون وبيار الجميل[٦٩] . تبنى « الحلف الثلاثي » بزعامة وقيادة وتخطيط حزب الكتائب ، وبدعم من الرهبانيات حملة تحريض وتعبئة ، بغية تحضير الموارنة للاستعداد للحرب .

نزل الحلف موحداً في معركة انتخابات ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ وبشعارات معادية للمسلمين .

وجاءت نتائج الانتخابات من حيث عدد النواب والأصوات التي نجح بها الحلف مرتفعة جداً .

فازت الكتائب بتسعة نواب مقابل اربعة نواب عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م والأحرار (حزب شمعون) بتسعة نواب واده بستة نواب وجاءت الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت في اواسط ١٣٨٩ هـ - ٢٨ - ١٢ - ١٩٦٨ م لتعطيهم اصواتاً إضافية .

فبعد ان استقالت حكومة عبد الله اليافي عمد الحلف الى افتعال الأزمات ورفض تشكيل حكومة من خارج المجلس في محاولة لتأزيم الأوضاع وفرض شروطه وسياسته . ثم دعا الى اضراب عام في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٩ تجاوبت معه بعض مناطق بيروت الشرقية .

وفي آذار من العام نفسه ، طالب الحلف المذكور بالاستعانة بالبوليس الدولي وهدد باللجوء الى السلبيه .[٧٠] .

وفي هذا الوقت تقدمت الكتائب بمشروع لضمان الرساميل الأجنبية خوفاً من تطور الأوضاع السياسية . وكان هذا الطلب قد تقدمت به السفارة الأميركية في بيروت من الحكومة اللبنانية بشكل رسمي عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ .

في مطلع شهر نيسان شنت السلطة المارونية حملة من الاعتقالات وقامت بعدد من التضييقات ووقعت صدامات واسعة . فانطلقت مظاهرات الاستنكار في بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبر الياس وبعلبك . . . فواجهتها السلطة بالقمع يومي ٢٣ و ٢٤ نيسان ١٩٦٩ . فكانت حصيلتها قرابة ثلاثين شهيداً ومئة جريح .

وفي ظل ازمة سبعة شهور من غياب الحكومة قدمت الولايات المتحدة عرضاً للسلطة المارونية للقيام بإنزال قوات اميركية في لبنان . وما كانت السلطة لتحجم عن قبول الطلب لولا خوفها من ردات الفعل .

وفي محاولة للإرهاب والسيطرة على الموقف . . دعى الحلف الثلاثي الى الاضراب العام في ٣٠ - ١٢ - ١٩٦٩ م وبدأت مرحلة جديدة افتتحها البطريرك المعوشي بخطاب جديد ضمنه تحريضاً واضحاً على المسلمين زاعماً ان « لبنان نظامه الديمقراطي في احتضار ووضعه الدستوري في انهيار »[٧١] .

وقد الف كل من اركان « الحلف الثلاثي » ميليشيا مسلحة حددت

هدفها المعلن بالقضاء على الحركات « المعادية للبنان » كما ادعت .

وبمعنى اوضح فان الحركات « المعادية للبنان » كما يفهمها الموارنة هي جماهير المسلمين الواسعة ولذا فان الحلف المذكور يكون قد اعلن عن لجوئه للسلاح .

سليمان فرنجية

عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م اصبح سليمان فرنجية ، مرشح الحلف الثلاثي بالدرجة الأولى، رئيساً لجمهورية النظام الماروني . استهل عهده بقوله : ناموا وابواب بيوتكم مفتوحة ، فأصبح الناس ينامون وليس لديهم لا بيوت ولا أبواب . اما السمسار الأكبر في عهده فكان ابنه طوني . وشرع منذ توليه الرئاسة بإنشاء ميليشياه الخاصة : « المردة » . وكان مجيء سليمان فرنجية الى رئاسة الجمهورية هو ذروة الدور الذي بدأت مارونية الشمال تلعبه .

وكان فؤاد شهاب قد اكثر من الاعتماد على ممثلي هذه المناطق : رينيه معوض - انطون سعد - انطون بركات .

جاء مع سليمان فرنجية بشكل مباشر مثقفو الزاوية ووجهاؤها يتولون لأول مرة المراكز الأساسية في الإدارة وفي الشركات وفي المصارف بشكل لم يسبق له مثيل ، وقائدا الجيش اللذان عينهما سليمان فرنجية في عهده هما اسكندر غانم من صغبين وحنا سعيد من القليعة في الجنوب .

احاط بعهد فرنجية منذ البدء مناخ التراجعات العربية :

فمن تصفية المقاومة الفلسطينية في الأردن اعوام ١٣٩١ و ١٣٩٢ هـ (١٩٧١ و ١٩٧٢ م) مروراً بالاجتياح الاسرائيلي للعرقوب عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م الى الانزال الاسرائيلي في بيروت والغارة على فردان والفاكهاني عام ١٩٧٣ م دون اي مقاومة من ثكنة الجيش القريبة من مكان العملية . وفي عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م تصاعد الضغط الاسرائيلي على لبنان فالاعتداءات فاقت كماً ونوعاً ما حصل بين ١٣٨٨ و ١٣٩٤ هـ - (١٩٦٨ و ١٩٧٤) م حتى انها قاربت مجموع القتل والتدمير الذي عرفه لبنان عامة والجنوب خاصة طوال السنوات الست التي سبقت ، اذ قتل عام ١٩٧٤ م مئة وثمانية وستون مواطناً مقابل مئة خلال (١٩٦٨ - ١٩٧٤) م [٧٢] . مما حدا بالموارنة الى التمادي في غيهم وسياستهم الرامية الى اخضاع المسلمين واخراجهم من لبنان اذا امكن .

ثم تلا ذلك حملة إعلامية في الصحف والاذاعات لم يسبق لها مثيل فكان غسان تويني وجوزيف ابو خاطر في « النهار » وغيرهم كثيرون يكتبون محرضين على المسلمين .

كان تتويج هذه الحملة التعبوية التحريضية المؤتمر الصحفي الذي عقده بيار الجميل رئيس حزب الكتائب بعد مؤتمر الحزب المنعقد في ١١ رمضان ١٣٩٤ هـ - ٢٧ ايلول ١٩٧٤ في برمانا حيث راح يدعو الى « حرب تحرير لبنان » من المسلمين .

وسرعان ما تحولت مناطق الموارنة الى اماكن للتدريب العسكري . وكانت بلغاريا الدولة الشيوعية ، تزودهم بالسلاح بكميات كبيرة واستمرت في ذلك بعد بدء المعارك .[٧٣]

وكان الملك حسين وهو صديق قديم لكميل شمعون قد شجعهم وساعدهم على إنشاء مخيمات تدريب في اراضي الأردن[٧٤]،وراح يمدهم بالسلاح مع آل سعود في الجزيرة العربية - وهم يتحدرون من

اصل يهودي ويقيمون علاقات وثيقة مع اسرائيل منذ ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م* .

(*) يتحدر آل سعود من سلالة مردخاي بن أبراهام بن موشي ، اسم جدهم اليهودي الذي قدم من البصرة وسكن في منطقة الدرعية في الحجاز وذلك قبل خمسمئة عام تقريباً .



سمحا ايرلخ ، الصهيوني المقاتل سابقاً ، ووزير مالية اسرائيل في عهد حكومة مناحيم بيغن التقط له هذه الصورة عام ١٩٤٥ م جون فيلبي مستشار المخابرات الانكليزية لدى عبد العزيز آل سعود ، وقد علق عليها فيلبي بقوله :

« جاء سمحا ايرلخ - مرسل بن غوريون - الى عبد العزيز يستفسر منه عن مغزى تصريحات عبد العزيز التي ادلى بها « جلالته » واعداً الفلسطينيين بارسال اسلحة ومتطوعين واموال لإنقاذهم وقوله انه يعتبر ان فلسطين للفلسطينيين . وذكر سمحا ايرلخ عبد العزيز « بالاتفاقيات التي عقدت بينه وبين بريطانيا لدعم اليهود في وطن لهم في فلسطين والمواثيق التي عقدت بينه وبين روزفلت وعلى اساسها اقدمت بريطانيا وتقدمت امريكا لدعمكم » . فأبلغه عبد العزيز ان كل هذه التصريحات التي قلتها وسأقولها تصريحات للتغطية ، فماذا تريد ان اقول مثلاً ؟ هل تريد ان اقول انني أؤيد اليهود لإعطائهم فلسطين لأحطم نفسي بهذه الأقوال ؟ كن على ثقة مما اعمله لليهود ولا تثق بما اقول » . فأطمأن ايرلخ .

اما كيف وصل ايرلخ الى الرياض . فهذا ما يوضحه فيلبي بطريقة مضحكة

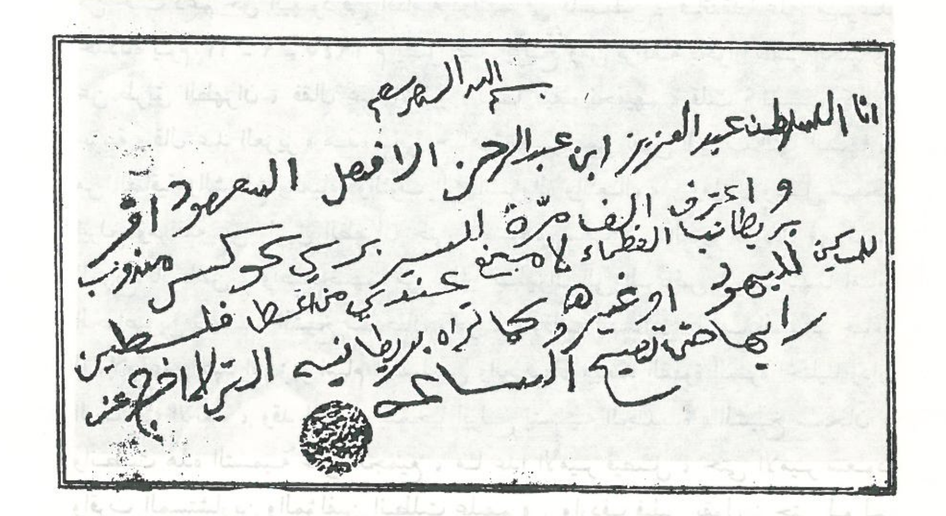
رغم انها مخزية . يقول فيلبي :

« بعد مجيئي من فلسطين ، ابلغت عبد العزيز بقلق الأوساط اليهودية ، وقلق بن غوريون بوجه خاص من تصريحات عبد العزيز واولاده للوفود الفلسطينية - الآنفة الذكر - وقلت لعبد العزيز انني ابلغت بن غوريون ان بامكانه ارسال من يشاء ليطمئن على ان السعودية تأتي في المقام الرابع بعد بريطانيا واميركا واليهود من حيث دعم حق اليهود في اقامة دولتهم في فلسطين . فاتفقنا على موعد حددناه يوم ١٣ - ٩ - ١٩٤٥ م يصل فيه ايرلخ ومن يرافقه بجواز سفر انكليزي عن طريق الظهران ، فقال عبد العزيز « لكننا كيف نخفيهم » قلت « نلبسهم كسوة عربية » قال عبد العزيز « هذه ثيابي جاهزة نلبسهم من نفس الثياب التي البسها ، من الطاقية والشماغ والعباءة والثوب الى السروال والنعال » . وما ان وصل سمحا ايرلخ ومرافقه عن طريق الظهران حتى البسناهما ثياب عبد العزيز فقابلاه في قصر المربع بالرياض ، واصطحبتهما من مطار الظهران الى الرياض ، وقدمتهما امام الحاضرين باسم « الشيخ سمحان وخويه » وقلت انهما من عرب المهجر جاءا للسلام على عبد العزيز امام المسلمين والعرب ، وبعد القهوة المرة اختلينا ودار الحديث الآنف ، وقد اعجب سمحا ايرلخ بتسميته الجديدة « الشيخ سمحان » وانطلت هذه التسمية على الجميع ، ما عدا الأمير فيصل ، حتى الأمير سعود واقرب المستشارين والمؤلفين انطلت عليهم » . واردف فيلبي يقول : حتى لو لم اكن انا الذي رتبت هذه المقابلة من اولها حتى آخرها لانطلت علي ، فاللباس العربي لباس يخفي تحته اكثر مما يخفيه اي لباس آخر ، انه لباس يستر كل من يريد الستر ، خاصة في البلاد العربية والسعودية بالذات ، لكنه في اوروبا علامة فارقة . واخيراً قال فيلبي : « ان سمحا ايرلخ خرج مقتنعاً بصدق نوايا عبد العزيز ، وقد منحه عبد العزيز عشرة آلاف جنيه استرليني ، خرجية تليق بمقامه « كشيخ مغترب » وقال وهو يودعه امام الحاضرين : سلموا لي على الرجال داوود ، « والرجال » الذي يقصده عبد العزيز هو « ديفيد بن غوريون » .

النص الحرفي للوثيقة التالية :« بسم الله الرحمن الرحيم . . . انا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، اقر واعترف الف مرة للسير برسي كوكس مندوب بريطانيا العظمى لا مانع عندي من اعطاء فلسطين للمساكين اليهود او غيرهم كما تراه بريطانيا التي لا اخرج عن رأيها حتى تصيح الساعة » . وقد وقعها عبد العزيز بفص خاتمه .

إضافة الى بطل القومية العربية والحارس الأمين « للبوابة الشرقية للعالم العربي » ، صدام العراق الخائن.[٧٥]

وقبل الحديث عن الحملة الصليبية عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م لا بد من استعراض الأوضاع الاجتماعية التي سبقت او واكبت تلك الفترة ولنبدأ اولاً بإهمال الدولة المتعمد لجبل عامل على الصعيد العسكري


بسم الله الرحمن الرحيم

انا السلطان عبد العزيز ابن عبد الرحمن الافصل السعود اقر

و اعترف الف مرة للسير برسي كوكس مندوب بريطانيا العظمى لا مانع عندي من اعطا فلسطين للمسكين اليهود او غيرهم كما تراه بريطانيا التي لا اخرج عن رايها حتى تصيح الساعة

وفي عام ١٩٦٧ ارسل الملك فيصل رسالة الى الرئيس الأميركي جونسون يطلب فيها منه ان تحتل اسرائيل مصر وسوريا .

هذه الوثيقة مأخوذة من كتاب ارسله جون فيلبي من منفاه في بيروت عام ١٩٥٢ م الى الملك سعود وفيصل مع صاحبه حسين العويني يهدد السعودية بنشره اذ لم يعاد الى وطنه « الأصلي نجد » كما قال فيلبي . وشرح في كتابه هذا عن هذه الوثيقة بقوله : ان عبد العزيز وقعها في مؤتمر العقير بناء على طلبي ، لنثبت للمخابرات الإنكليزية حسن نوايا عبد العزيز تجاه اليهود ، بعد ان جمدت المخابرات البريطانية مرتبه الشهري البالغ خمسمئة جنيه استرليني فراح يبكي امامي شاكياً احواله ، واستخرج القلم من جيبه المتدلي - من صدره الى سترته - وكتب موافقته (باعطاء فلسطين وطناً لليهود المساكين) (*) .

(*) راجع في هذا الصدد : تاريخ آل سعود لناصر السعيد .

المؤامرة على جبل عامل

ان المؤامرة على جبل عامل تعود الى عام ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م حين اتصل دافيد بن غوريون وحاييم وايزمن بالبطريرك الماروني الياس الحويك واقنعاه بالتخلي عن جبل عامل لقاء وعد بتقديم مساعدات مالية لتطوير لبنان بحيث يصبح بعد سلخ الجنوب عنه « ذا اكثرية مسيحية » .
وقد اشار مؤسس الحركة الصهيونية « تيودور هرتزل » في مذكراته « ان المؤسسين الحقيقيين للأرض الجديدة القديمة (يقصد دولة اسرائيل المقترحة في برنامجه يومذاك) هم مهندسو المياه ، فعليهم يعتمد كل شيء من تجفيف المستنقعات ، الى ري الساحات المجدبة ، وانشاء معامل توليد الطاقة الكهربائية من الماء » .

وبعد فليس ادل على كذب آل سعود واستبدادهم من انهم غيروا اسم البلاد التي حكموها فصارت تعرف بالسعودية . واسمها الحقيقي الحجاز او الجزيرة العربية . يقول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة . . . ﴾ النمل ٤٣ .

واكدت هذه الفكرة وثيقة سرية كتبها « بن غوريون » في العام ١٩٤١ م وجاء فيها « علينا ان نتذكر انه من اجل قدرة الدولة اليهودية على البقاء لا بد ان نكون من جهة جيراناً للبنان المسيحي . . . ومن جهة اخرى يجب ان تكون اراضي النقب القاحلة . . . وكذلك مياه الأردن والليطاني مشمولة داخل حدودنا » .[٧٦] .

وكما تبين لنا من خلال الفصول السابقة فان الموارنة والصهاينة تآمروا على جبل عامل من اجل إقامة دولة مارونية في لبنان ودولة صهيونية في فلسطين . وقد كشفت مذكرات ساسون عن محاولات حثيثة قام بها زعماء الموارنة لبيع الجنوب الى اسرائيل تخلصاً من ثقله السكاني . اما بشارة الخوري فقد اقترح تهجير المسلمين من جبل عامل واسكان الموارنة فيه لكي يكونوا على مقربة من اخوانهم الصهاينة ولكي لا تكون هنالك حواجز تفصل بين الحليفين .

عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م انقضت العصابات الصهيونية على جنوب لبنان بعد احتلالها لمدن فلسطين ووصلت الى مشارف نهر الليطاني بعد ان ارتكبت مجزرة مروعة في قرية « حولا » سقط فيها اكثر من سبعين شهيداً ودام هذا الاحتلال يومها لجبل عامل ما يقارب الستة اشهر انسحبت بعدها مقتطعة ثلاثين قرية جنوبية ومساحات كبيرة من الأرض تقدر بحوالي ثلاثة وعشرين الف دونم ومخلفة اتفاق الهدنة الموقع سنة ١٩٤٩ م .

وفي خطاب لرئيس الحكومة البريطانية الأسبق « تشرشل » عام ١٩٤١ م قال فيه : « ان اليهود طالبوا الحكومة البريطانية بضم الجنوب اللبناني الذي يجري فيه نهر الليطاني الى فلسطين مقابل وضع اليهودية العالمية امكانياتها في تصرف بريطانيا والحلفاء » . اما بيغال آلون قائد القوات الصهيونية عام ١٩٤٨ م فيرى انه « لولا امر بن غوريون بوقف القتال لكانت قواتنا احتلت الليطاني وحررت وطننا » .

كان دافع الثمن المباشر لهزيمة العام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م وقيام دولة إسرائيل هو جبل عامل نفسه .

ولم يلاحظ على الموارنة ادنى تأثر لاحتلال القوات الاسرائيلية اجزاء من جنوب لبنان ذاته ولا شك انهم ابدوا رغبتهم في وقوعه تحت الاحتلال الاسرائيلي . ان جبل عامل منطقة اسلامية بكليته ، ومثل هذا التغيير من شأنه ان يخلصهم من الأكثرية غير النصرانية ، ويقيم اتصالات مباشرة ودعماً وثيقاً بين الدولتين الصهيونية والمارونية .

ان مالكي المصايف الموارنة في عالية وما يحيط بها كانوا يتحرقون شوقاً الى مثل هذا التبديل وهذا التفاهم الذي يجلب لهم تدفقاً من الاسرائيليين يصرفون المال عندهم كل صيف كما كان يحدث قديماً في ايام ما قبل حرب ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م .[٧٧] .

على اثر اعتداءات الصهاينة على حدود لبنان الجنوبية عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م ، وجه سماحة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (رحمه الله) رسالة الى رئيس جمهورية لبنان ، بشارة الخوري جاء فيها :

« وحسبنا الآن نكبة جبل عامل في حدوده المتاحة ودمائه المباحة وقراه وقد صيح فيها نهباً ، واطفاله وقد تأودت رعباً ، وشبابه وقد استحر بهم الفتك ، الى ما هنالك من هلاك الحرث والزرع ، هذا الجبل المرابط يدفع جزية الدم لشذاذ الآفاق من كل من لفظته الأرجاء ونبذته الأرض والسماء .

هذا الجبل تضرب عليه الذلة والمسكنة ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة في سحيق التاريخ .

هذا الجبل الذي يقوم بما عليه من واجبات ولا يعطى ما له من حقوق كأنه الشريك الخاسر ، يدفع الغرم ومن الغنم يحرم ، اجل جاسوا

دياركم يتصرفون بها تصرف الفاتح ، فاذا لم يكن من قدرة على الحماية افليس من طاقة على الرعاية ؟ واذا لم تؤد الحقوق فلماذا يستمر العقوق ؟ واذا قرأتم السلام على جبل عامل فقل السلام عليكم وعلى لبنان . . . »[٧٨] .

لكن النظام الماروني لم يعط لهذا التحذير اذناً صاغية واصر على اكمال المؤامرة ولنبدأ باستعراض النكبات التي تعرض لها جبل عامل بسبب سياسة النظام الماروني الممالئة لحلفائه الصهاينة .

لقد كان سكان الشريط الحدودي بالنظر لقربهم من حدود فلسطين المحتلة ولكون مواقع العدو في بعض المرتفعات موجهة اليهم مباشرة ، على موعد دائم مع وسائل التدمير والقذائف الإسرائيلية . لقد عانوا من هذا الوضع منذ العام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م . وكان الأهالي يرون تحركات الصهاينة بالعين المجردة واسلحتهم مصوبة نحوهم (نحو السكان) في حين يتغيب الدفاع الوطني اللبناني تغيباً شبه كامل .

كانت التهديدات الاسرائيلية تطلق عليهم كل يوم لأتفه الاسباب وشعار « قوة لبنان في ضعفه » هو شعار السلطة .

كان الاسرائيليون يغيرون على القرى امام اعين ضباط الجيش اللبناني وكثيراً ما كان يعاقب بعض افراد هذا الجيش الغيورين بسبب تصديهم للصهاينة دون الرجوع الى اوامر الضباط الخونة .

ان النظام الماروني تعمد إهمال الجنوب وتركه لقمة سائغة لإسرائيل . هذه السياسة الصليبية الحاقدة بحق المسلمين اباحت عدداً من القرى للصهاينة منذ عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م مثل كفر كلا وعديسة وبليدا ، وهذه الأخيرة اشبه ما تكون بقرية اسرائيلية (قبل الاحتلال الاسرائيلي)،ذلك ان عدداً من ابنائها كانوا يعملون داخل فلسطين المحتلة والعملة الاسرائيلية كانت متداولة فيها والدكاكين تعرض

المنتجات الاسرائيلية ثم ان دوريات العدو الصهيوني كانت تدخل الى القرية وتخرج منها بلا حسيب او رقيب وبصورة يومية تقريباً .

ان السلطة المارونية لا يهمها ابناء الجنوب ولا تعتبر نفسها مسؤولة عن حياتهم ، هذه البقعة التي امتزج ابناؤها وهواؤها وترابها بفكر المجاهد الجليل ابي ذر الغفاري حتى اصبح جبل عامل شمس الاسلام المشرقة ومنبع العلماء ومحط الشهداء .

ان جبل عامل الجريح بسيوف الصليبيين والصهاينة هو إحدى جذور الأمة الاسلامية وقلبها النابض ولهذا قرروا احتلاله من اجل اخضاعه وإذلاله .

الجنوب من لبنان عند قبض ضرائب الكهرباء وشراء التبغ بأثمان بخسة وحين دعم الإقتصاد اللبناني بتصدير الفواكه والحمضيات اما اذا طلب ابناء الجنوب ادنى حد من حقوقهم وهو الأمن والهدوء وان يدافعوا عنه في وجه الهجمات الاسرائيلية والغارات البربرية وعصاباتها المسلحة فلا احد من المسؤولين له علاقة في الجنوب ، وهم ينامون على حرير حتى تهدأ الحالة واكثر ما يقومون به هو نشر خبر صغير عن الغارة عبر الاذاعة والتلفزيون ثم يذيعون ان لبنان قدم شكوى الى مجلس الأمن .

هكذا كانت سياسة النظام الماروني منذ العام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م . ولنبدأ بالأدلة والبراهين .

عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م اغتصب الصهاينة خمسة وعشرين الف دونم من الأراضي الخصبة تعود لأهالي ميس الجبل بلدة بي ذر الغفاري ، الشاهد والشهيد .[٧٩]

وفي نفس العام نقل الجيش الإسرائيلي سكان قريتي اقرت وكفر برعم بعد ان اعطوا وعداً بالعودة الى منازلهم بعد انتهاء العمليات الحربية

ولكن وحتى الآن لم يسمح لأهالي القريتين بالعودة على اساس انهم يشكلون « خطراً على امن الدولة » واعطيت اراضيهم الى الصندوق القومي اليهودي « الكيرن كايميت » دون ان يدفع ثمنها الى اصحابها الشرعيين » .[٨٠]

ماذا كان موقف النظام الماروني ؟

لقد كان النظام الماروني مشغولاً باحتفالات ذكرى تتويج البابا بيوس الثاني عشر ولم يكن لديه متسعاً من الوقت ليبحث في شؤون الدفاع عن الوطن والمحافظة عليه .

حكام لبنان ملأوا الدنيا ضجيجاً يومذاك في احتفالاتهم بإحياء اصنام الجاهلية ورموز الصليبية بدل الدفاع عن الوطن .

ظلوا اشهراً يخطبون خلف الميكرفونات ومكبرات الصوت وعدسات التصوير مفتعلين الهياج والصخب بمناسبة افتتاح السفارة البابوية في بيروت ، وبمناسبة مرور تسع سنوات على تتويج بابا الصليبية في روما . من الممكن ان تكون الموائد الدسمة التي اجتمعوا حولها قد انستهم احزان الجنوب وشجونه وشؤونه .

وفي الوقت الذي كانت قرى جبل عامل تتعرض للقصف والتدمير كان وزير خارجية لبنان حميد فرنجية يعلن على مسامع المسلمين في حفلة موسيقية في قاعة الأعياد بجامعة القديس يوسف اليسوعية بذكرى تتويج البابا بيوس الثاني عشر:

« ان لبنان لا يعتد بأية اهمية له في مجال القوة المسلحة ، بل يبقى في دائرة الفاتيكان بلداً مختاراً هو جزء من تلك القيم الروحية التي بعد الفاتيكان تحسب اقدر من كل دولة في الأرض على قدرها تضاف الى ذلك روابط دقيقة متينة يظهر انها تربطنا بالكرسي الرسولي » وكان يدعي ان « في بانياس قرب النبطية ، اول ما اعلنت اولية بطرس ورفعة

شأنه ، ومن شواطىء لبنان سافر الى اقطار الأرض اول رسل الانجيل »[٨١] .

هكذا فليطمئن ابناء جبل عامل على مصيرهم حسبهم ان يبقوا في دائرة الفاتيكان وقيمه الروحية وان « البابا يحب لبنان والموارنة » . ولا ضرورة للدفاع والرد على الاعتداءات بالمثل « فلبنان لا يعتد بأية اهمية له في مجال القوة المسلحة » . وليس من الضروري حماية الجنوب بل يجب اخضاعه ، فالصليبية تدعي انه مسقط رأسها ولهذا لا تمانع في تسليمه للصهاينة ضمن اطار سياسة تبادل المنافع .

ومنذ عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م اغتصبت اسرائيل جزءاً من ارض يارين طوله ثلاثة كيلو مترات بعمق وسطي بلغ سبعماية وخمسين متراً اي ما يقدر بحوالي ٢٣٠٠ دونم تقريباً وضمته اليها ، كما اغتصبت اراضي اخرى من جبل عامل المجاورة لفلسطين واقامت عليها نقاطاً عسكرية ثابتة ، احدى هذه النقاط اقيمت في اراض تابعة لقرية رامية عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٦٨ م[٨٢] ، فيتقدم الناس بعروض من « حضرة صاحب الدولة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، اللواء فؤاد شهاب » لتسليح قرى الحدود لكي يدافع ابناء جبل عامل عن بلادهم بأنفسهم ما دامت الجمهورية اللبنانية في شغل شاغل عنهم وما دام الجيش اللبناني مشغولاً عنهم ايضاً بحماية النظام بما يقوم به من اذلال للناس واعتداء على كرامتهم .

ويعلن فؤاد شهاب في جوابه على العرض وعلى مسامع المسلمين بالحرف الواحد وبالفم الملآن والعريض :

« انا لا اوافق على تسليح اهالي قرى الحدود في الجنوب ولو بإشراف الجيش اللبناني لأنهم مسلمون » .

ومنذ ان اصبح شارل الحلو رئيساً للجمهورية وبعد هزيمة عام

١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م اصبحت قرى الجنوب على موعد دائم مع الاعتداءات الاسرائيلية والقذائف والصواريخ .

في عام ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م وقع اعتداء اسرائيلي على بلدة ميس[٨٣] الجبل اسفر عن استشهاد عدد من المسلمين . وتهدم عدد من البيوت . وكثيراً ما كان الصهاينة ينسفون المنازل ويروعون السكان بلا سبب . لقد كانت اسرائيل تريد من الأهالي ان يمارسوا دور شرطي الحراسة عندها .

بلغ عدد المهجرين من بلدة ميس الجبل وحدها ثمانية آلاف . اما بليدا فقد كانت تتعرض للقصف الاسرائيلي باستمرار وقد هودتها اسرائيل فيما بعد .

عام ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م دخل الاسرائيليون الى قرية ضهيره وابادوا عائلة بكاملها بعد ان نسفوا المنزل فقتل الزوج والزوجة مع اولادهم الخمسة[٨٤] ، ثم دخلها الكوماندوس الاسرائيلي ثانية عام ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م ونسف عدة بيوت وخطف عدة مسلمين . ثم تعرضت من جديد عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م لغارة اسرائيلية واسعة النطاق اختطفت اثنين من ابنائها واقتادتهما الى الأراضي المحتلة حيث عذبا واستمرارهن الاعتقال مدة شهرين .

عام ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م تعرضت رامية لقصف مدفعي من جانب العدو عدة مرات مما كان يسبب باتلاف المزروعات واصابة بعض المنازل وكان هذا القصف يستهدف الارهاب والاضرار بمصالح الناس بقصد حملهم على النزوح،ودخلها الكوماندوس الاسرائيلي لأول مرة عام ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م ونسف عدة بيوت،وفي عام ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ تعرضت رامية لعدوان اسرائيلي واسع النطاق[٨٥] .

وقد اتلفت حقول التبغ وكثير من المواشي بسبب القصف المدفعي

المتقطع منذ عام ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م،ففي هذا العام قصفت قرية يارين بخمسة وسبعين قذيفة مدفعية من عيار ١٢٠ ملم مما ادى الى احراق عدد كبير من اشجار الزيتون وتلف مزروعات اخرى كما تسبب القصف في تصدع عدة منازل . وفي عام ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م اغار العدو على البلدة ونسف خمسة منازل .

بين اعوام ١٣٩٠ و ١٣٩٥ هـ ـ (١٩٧٠ و ١٩٧٥) م اصبحت قرى الحدود عرضة لسلسلة طويلة من الاعتداءات الاسرائيلية التي تمثلت بالقصف المدفعي وبغارات الكوماندوس الخاطفة لنسف البيوت فوق اصحابها .

ومنذ العام ١٣٩٤ هـ ـ ٩٧٤ م ارتفعت حدة الاعتداءات الاسرائيلية وصار الصهاينة يدخلون الى كل بيت ويقتادون من يشاؤ ون من السكان الى معسكر التعذيب والاعتقال . فلقد تعرضت يارين لغارة واسعة نسف العدو خلالها احد عشر منزلاً دفعة واحدة وقام باختطاف ثلاثة اشخاص ثم دخلها ثانية في ٢٧ شباط ١٩٧٥ .

وفي عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م اغار الصهاينة على بلدة الطيبة ودمروا احد عشر منزلاً .

وكانت بلدة رب ثلاثين قد داهمها العدو منذ ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م عديدة[٨٦] في المرتين الأولى والثانية قام العسكريون الاسرائيليون باستعراض قوتهم موجهين الانذارات والتهديدات للأهالي ، وفي المرة الثالثة تمركزوا على تلة تابعة لخراج قرية الطيبة وقصفوا القرية منها بمدفعية الدبابات فأصابوا ستين بيتاً بأضرار بالغة اي ثلث بيوت القرية . وبعد القصف دخلت قوة العدو القرية فقتلت عدداً من السكان ونسفت بضعة منازل .

وفي الوقت الذي كانت اسرائيل تقوم بتهجير المسلمين من جبل

عامل كان الموارنة يمارسون سياسة الضغط والارهاب بحق المسلمين في مناطق اخرى من لبنان مثل جبيل وعمشيت وفتوح كسروان وتآمروا على افقارهم وتجهيلهم وحرمان قراهم من خدمات المؤسسات الرسمية من طرق ومياه وكهرباء وهاتف ومستوصف ومدارس . كما تآمروا على اخراج علماء الاسلام من هذه المناطق وجعل المسلمين يبتعدون عن علمائهم .

كيف كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين عشية اعلان الحرب الصليبية ١٩٧٥ م

ان سياسة الإفقار التي طبقها النظام الماروني في المناطق الإسلامية اعطت نتائجها المطلوبة فقد تفرق المسلمون في الأحزاب « القومية والاشتراكية والديموقراطية » واصبحوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون .

كما ان خطة التمويل الخارجي دفعت الكثيرين الى التبعية والاستزلام وهكذا ضعف المسلمون وتمكن الموارنة من تدمير كل القوى ما عدا قوتهم .

وقد هيمنت الرساميل الأجنبية الغربية والأميركية خاصة على المصارف اللبنانية فعمقت تبعيتها لهاء ، وفي عام ١٩٦٩ م كانت المصارف الأجنبية تستحوذ على ٩٣ بالمئة من مجموع الودائع في لبنان .(٨٧)

ثم شهدت الفترة اللاحقة توسعاً في افتتاح الشركات الأجنبية ليس فقط في القطاع المصرفي بل والقطاع الصناعي ، بحيث نشأت صناعات جديدة ، تلعب دوراً منافساً للصناعة اللبنانية .

وبالاضافة الى تعميق تبعية الاقتصاد اللبناني للرأسمال الإمبريالي ، توسعت الاحتكارات مما ادى الى استنزاف كبير للقطاعات المنتجة .

شملت الاحتكارات الكثير من مجالات الإنتاج (التبغ ، السكر ،

الحليب ، القطن ، صب الحديد) بالاضافة الى الاحتكارات التجارية التي استشرت الى حد مذهل (الأدوية ، الحبوب والمواد الغذائية ومواد البناء والأسمدة الزراعية . . .) .

وادى اهمال الدولة للقطاع الزراعي الى تناقص عدد العاملين في هذا القطاع في حين ازداد عدد العاملين في قطاع الخدمات :

تطور القوى العاملة في لبنان حسب القطاعات : ١٩٥٩ ـ ١٩٧٠ م :(٨٨)

القطاع	١٩٥٩ م	النسبة المئوية	١٩٧٠ م	النسبة المئوية
زراعة	٢٢٠ ، ٠٠٠	٤٩ ٪	١٠٢ ، ٠٠٠	١٩ ٪
صناعة	٨٧ ، ٠٠٠	١٩ ، ٣ ٪	١٣٦ ، ٠٠٠	٢٥ ٪
خدمات	١٤٣ ، ٠٠٠	٣١ ، ٧ ٪	٣٠٠ ، ٠٠٠	٥٦ ٪
مجموع	٤٥٠ ، ٠٠٠	١٠٠ ٪	٥٤٨ ، ٠٠٠	١٠٠ ٪

وقد اثبتت الاحصاءات ان الجنوب يساهم في المرتبة الأولى من الزراعة (١٠٨ مليون ليرة من اصل ٣٣١ مليون الدخل الوطني من الزراعة) . وفي الدرجة الثانية بعد البقاع في مجموع الانتاج الزراعي والحيواني . وتشكل زراعة الحمضيات الجزء الأكبر من ثروة الجنوب الزراعية حيث تراوح قيمة انتاجها السنوي بين ٥٠ و ٦٠ مليون ليرة(٨٩) . وفي الوقت الذي ما زال القطاع الزراعي يستقطب جزءاً هاماً من القوى العاملة في لبنان فان سياسة الدولة تعمدت اهمال هذا القطاع . فالتنمية الزراعية غير واردة على الاطلاق .

في ميزانية ١٩٦٩ م خصصت الدولة لوزارة الزراعة بما في ذلك الإدارات المستقلة حوالي ٢ بالمئة من الموازنة اي بما يوازي اقل مما

يخصص لليانصيب الوطني .[٩٠]

ونتيجة لسياسة الدولة ايضاً ظل التفاوت في حجم الملكية هائلاً فبينما يعادل حجم الأراضي التي يملكها الفرد بـ ٢ ، ١ هكتار نرى ان ربع المالكين لا يملكون مساحة فردية تتعدى ١ ، ٠ هكتار ويساهم مجموعها باقل من ١ بالمئة من الأراضي الزراعية . بينما واحد ونصف بالمئة من المالكين الكبار يساهمون بـ ٤٠ بالمئة ، ويملكون مساحة فردية تزيد عن عشرة هكتارات[٩١] .

واذا اعتمدنا الجنوب ايضاً كمقياس لحصة الصناعة من القوى العاملة والمؤسسات والأجور نجد انه يحوز على ٥ بالمئة من المؤسسات الصناعية و ٥ بالمئة من القوى العاملة و ٢ بالمئة من الأجور [٩٢].لم يكن هنالك اذن من توزيع عادل للثروة على مستوى جميع الصعد والقطاعات . فالعاملون في قطاع الخدمات والمهنيون يحظون بجزء من الدخل القومي يتجاوز الى حد بعيد عددهم لمجموع القوى العاملة .

ان العاملين في القطاع التجاري البالغ عددهم عام ١٩٧٠ م حوالي سبعين الفاً يحصلون على ٣٠ بالمئة من الدخل القومي في حين ان نسبتهم من القوى العاملة ١٣ بالمئة فقط . ويحصل العاملون في قطاع الزراعة البالغ عددهم ١٠٢ الفاً على ٥ ، ٩ بالمئة من الدخل القومي في حين ان نسبتهم لمجموع القوى العاملة ١٩ بالمئة .[٩٣] .

وعلى صعيد التعليم ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م . عدم التناسب بين عدد التلاميذ وعدد السكان .

في جبل لبنان التلامذة ٥ ، ٢٤ بالمئة من عدد السكان .

في بيروت التلامذة ٨ ، ٢٢ بالمئة من عدد السكان .

في الشمال التلامذة ١٩ بالمئة من عدد السكان .

في الجنوب التلامذة ١٩ بالمئة من عدد السكان .

في البقاع التلامذة ٢ ، ١٨ بالمئة من عدد السكان .

ونسبة التلامذة الى عدد الذين هم في سن الدراسة

الجبل ٣ ، ٧٣ بالمئة .

بيروت ٦ ، ٤٨ بالمئة .

الجنوب ٦ ، ٤٨ بالمئة .

الشمال ١ ، ٤٨ بالمئة .

البقاع ٤ ، ٤٦ بالمئة [٩٤] .

ولما كانت الأقلية المارونية ذات امتيازات سياسية خاصة ، فقد اتاح لها ذلك ان تصبح ذات امتيازات اقتصادية أيضاً .

ولنعد الى ما سلكه الموارنة في لبنان من تخطيط للسيطرة على الإقتصاد حسب رغبة اخوانهم الفرنسيين التي جاءت في الوصايا العشر :

جدول لمجموعة من نصارى لبنان وما يملكون :[٩٥] عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م :

١ - جوزيف شادر : عضو المكتب السياسي لحزب الكتائب . ونائب الأرمن الكاثوليك عن دائرة بيروت الأولى ، وهو محام لعدة شركات منها شركة (كوبان ترايدنغ) تعمل في كوبا .

- وهو عضو في مجلس ادارة (شركة لبنان العقارية) وهي تعمل في المضاربة العقارية .

- ويتعاطى شادر تجارة السلاح بعد ان حاز على وسام من نظام شاه

إيران من درجة عالية وقد جمع في فترة الحرب مع بعض التجار الآخرين في المكتب السياسي اموالاً ضخمة في حملة التسليح التي جرت في لبنان .

ـ وهو رئيس اللجنة البرلمانية المالية ، واحد كبار المدافعين من بين اركان (الكتائب) عن مشروع ضمان الرساميل الأجنبية .

٢ ـ انطوان جزار : محام وعضو المكتب السياسي لحزب الكتائب .

ـ رئيس مجلس ادارة (شركة اوربـاكو) العقارية التي تتعاطى المضاربة بالأراضي وعمليات الرهن والسمسرة واستيراد المواد الخام للبناء .

ـ عضو مجلس ادارة (شركة جاك منهاسي) وهي شركة وكالات تجارية مؤسسوها من الفرنسيين والألمان .

ـ عضو مجلس ادارة (شركة انفستور اوفر سيز سرفيس) فرع الشرق الأوسط ، وهي شركة اميركية تمثل مصالح عدة شركات احتكارية مالية .

ـ عضو مجلس ادارة (محلات لويس صباغ) وهي تهتم بالتجارة والوكالات وخاصة البحرية منها .

٣ ـ انطوان خليفة : عضو مجلس بلدية بيروت .

ـ شريك في شركة (ميش للشرق الأوسط المحدودة) وهي شركة مقاولات بناء وخدمات .

ـ عضو ومحام في شركة التأمين (اندريا اتشورنس كومباني)

ـ امين الصندوق سابقاً في حزب الكتائب .

ـ صاحب مطبعة خليفة .

ـ مدير وشريك في الشركة الالكترونية للطباعة والتجارة .

٤ ـ بطرس الخوري واولاده :

سليم بطرس الخوري شريك ادمون رزق في مستودعات التبريد في بكفيا .

صهر بطرس الخوري (يوسف ضاهر) مسؤول عن الكتائب في محافظة لبنان الشمالي ويجري بواسطته تمويل حزب الكتائب .

ـ بطرس الخوري شريك جان سكاف في معمل السكر .

ـ خليل بطرس الخوري شريك الياس ربابي في بنك بيبلوس .

ـ يملك بطرس الخوري واولاده مع شركائهم الشركات التالية :

الشركة اللبنانية لتكرير السكر ، مصرف التسليف الزراعي والصناعي والعقاري ، شركة قاديشا لكهرباء لبنان الشمالي ، بنك لبنان والمهجر ، شركة زيوت اسعد جبر ، شركة مصنع السكر في لبنان ، بنك الصناعة والعمل ، شركة كنسروة لبنان ، الشركة الصناعية للشرق ، مئات الأسهم في شركة الترابة اللبنانية ، الشركة اللبنانية للتأمين ، بنك بيبلوس ، شركة مستودعات التبريد في بكفيا ، شركة نقل الطاقة الكهربائية ، شركة كهرباء البارد ، ايتون امبورت اكسبورت ، شركة انتركوت ، شركة الخشب المضغوط للبناء ، شركة الحديد اللبنانية وشركة الفنادق العصرية .

٥ ـ جورج ابو عضل : شريك انطوان جزار في شركة الفن التقني .

رئيس نقابة ارباب العمل الجديدة التي يشغل كريم بقرادوني امين سرها الإداري .

ـ من كبار مستوردي الأدوية .

- يملك (محلات جورج ابو عضل وشركاه) لاستيراد الأدوية وادوات التجميل والساعات والولاعات والسجاير ويملك أيضاً :

- الشركة الدولية لصنع ادوات التجميل

- الشركة اللبنانية للإنماء الزراعي (سوليدار) .

- شركة توزيع المستحضرات الصيدلية .

- شركة تأمينات الشرق .

- شركة انتربود وللأدوات المكتبية .

- الشركة العامة للمنتوجات الغذائية .

- شركة المنشورات الشرقية وتصدر عنها مجلة ماغازين (Magasine) الفرنسية والأسبوع العربي .

- الوكالة الشرقية للدعاية والريبورتاج المصور

- شركة ميدل ايست ميديا .

- الشركة اللبنانية الحديثة للملبوسات .

- شركة انترناسيونال براندس .

- الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .

- شركة مخازن (اي . ب - رقم ٨) .

٦ - آل الصباغ : وهؤلاء هم شركاء انطوان جزار في شركات عديدة ويملكون الشركات التالية :

- الخطوط البحرية للشرق الأوسط .

- محلات لويس صباغ .

- شركة نقل الفحم الحجري البحرية .

شركات افرسيز للملاحة البحرية .

- شركة لابريفيدانس للملاحة البرية .

- شركة تأمين تورينو المغفلة .

٧ - آل صحناوي : وهؤلاء على علاقة وثيقة مع حزب الكتائب وفي طليعتهم انطوان صحناوي الذي كان مرشحاً للانتخابات في لوائح الحزب التي قام بتمويلها ، وهو يملك مع شركائه الشركات التالية :

- البنك البلجيكي اللبناني .

- الشركة الوطنية للأنابيب .

- مئات الأسهم مع شركة الترابة اللبنانية وشركة اترنيت .

٨ - كتانة (الفرد وهنري) :

- شركاء ادمون رزق في شركة مستودعات التبريد في بكفيا ويملكون الشركات التالية :

- شركة كوماتسو اوفرسيز كومباني .

- الشركة اللبنانية للمكائن والتجهيزات .

- شركة الملاحة البحرية اللبنانية .

- شركة الفنادق السياحية في لبنان .

- شركة جل الديب للتنمية .

- شركة كبريت الشرق

- شركة كهرباء البارد .

- بنك بيروت بونيفرسال .

- شركة الانتاج اللبناني

- شركة نقل الطاقة الكهربائية

- شركة الدلهمية .

- شركة التوزيع الشرقية .

- محلات فرنسيس والفرد كتانة .

- الشركة العقارية للفرز والبناء .

هذه نماذج تدل على مدى سيطرة نصارى لبنان على الإقتصاد اللبناني جاءت على سبيل المثال لا الحصر وهذا غيض من فيض . ومع ذلك فلم يكتفوا بهذه السيطرة بل اعلنوا الحرب الصليبية على المسلمين .

الفصل الحادي عشر

حملة صليبية

حملة صليبية

الزمان : ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

المكان : لبنان

الموضوع : حملة صليبية مستمرة .

بعد ان ادت سياسة الإفقار والحرمان وإهمال قضايا المسلمين الى الغاية التي وضعت لها في الأصل . . .

وبعد الحملة الإعلامية المكثفة على المسلمين والتي اتخذت من وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان قميص عثمان لتسعير الحقد والبغضاء ، بعد سنين طويلة من الإعداد العسكري والسياسي وعلى جميع الأصعدة قرع الموارنة طبول الحرب .

وهكذا بعد معاناة طويلة من الفقر والحرمان والاعتداءات المستمرة من قبل إسرائيل وجد المسلمون انفسهم امام حملة صليبية لا ترحم .

فالنظام الماروني ركب رأسه وعزم على خوض المعركة وقتال المسلمين حتى النهاية ، دولة لبنان تحولت الى دولة صليبية بالكامل ، والموارنة اتخذوا قرار الحرب وعزموا على تهجير المسلمين والاستيلاء

على املاكهم بالقوة ، لتحويل لبنان بأكمله الى « دولة مارونية نقية من العنصر الإسلامي »، « الجمهورية اللبنانية » لم تعد تتسع لغير الموارنة واتباعهم ، دولة لبنان قررت تقتيل رعاياها لكي تحيا دولة مارون ، حكام لبنان كشفوا عن وجههم القناع الأخير ونزلوا الى الساحة ، لقد اصبحوا رجال حرب وقتال والمسألة بالنسبة لهم صارت « مسألة حياة او موت » . *

البطاركة يضعون الخطط بالاتفاق مع البابوات في روما ، الرؤساء والوزراء يضعون عليها اللمسات الأخيرة ، السلاح يتدفق مجاناً من إسرائيل وغيرها ، العالم كله يشارك في تمويل المعركة ، الأنظمة العربية لاهية في سكرها ومجونها وعربدتها ومنها من يشارك في دعم الحملة الصليبية .

لبنان في خطر ، ينتظر النجدة طويلاً طبقاً لقاعدة : « من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم »و « من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم » .

لكن صيحة لبنان ، لبنان المسلم ، تبخرت وسط ضجيج حملات الدعاية الصليبية والصهيونية بكل الوانها واشكالها من يمين ويسار .

فصل جديد في تاريخ المؤامرة ، بدأت الحملة الصليبية . تجربة فلسطين تتكرر .

مجازر الأندلس تتحول من جديد الى وقائع وصور حية تجري فصولها على ارض لبنان الجريح بسيوف الصليبيين والصهاينة . الانتماء الى الاسلام اصبح جريمة سياسية كبرى وخيانة عظمى تعاقب عليها دولة لبنان وتقيم الحدود الشرعية عبر حواجز الخطف والقنص وقذائف الموت

(*) من رسالة لكميل شمعون وجهها الى حليفه مناحم بيغن رئيس الحكومة الاسرائيلية . انظر الفصل القادم : معركة اخراج الردع .

والدمار . العالم الاسلامي اخرس لا يسمع شيئاً لأنه مغيب وراء ضجيج الإعلام ووكالات الأنباء وجيوش الأنظمة وسيادتها على كامل اراضيها .

مجازر الموت والدمار تتحول الى افلام سينمائية تتسلى بها الأمم عبر التلفزيونات فيبكي لها البار والفاجر .

حكام وملوك ورؤساء الدول الاسلامية صم بكم عمي لأنهم اعتادوا سماع البوم والغواني والراقصات ، فألفوا مشاهدها وصاروا يؤيدون ويشجعون احياء مجالس المجون والطرب واصبحت هذه المجالس جزءاً من خططهم « الخمسية والتنموية » التي يرصدون لها اموالاً طائلة من تعب الناس وعرق جباههم .

وبينما كانت الكنائس والمدارس تمارس عملها التحريضي كان تأسيس المزيد والمزيد من مخيمات التدريب ، يجري بسرعة محمومة ، لتلقف الشباب الذين تغلي الحماسة في صدورهم . ومنذ اواسط سنة ١٩٧٤ م اخذ حزب الكتائب يزود ميليشياته بأحدث الأسلحة ، ويستقدم المدربين العسكريين من الخارج ويتعاون بصورة سرية في هذا الحقل مع اسرائيل ، كما ان ضباطاً من الجيش اللبناني ساهموا مساهمة فعالة في نشاط مخيمات التدريب ، وان استيراد الأسلحة لحساب الكتائبيين اخذ يجري تحت سمع السلطة وبصرها ، عبر مرافىء تقع شرقي بيروت . وقد ذكرت صحيفة « شترن » الألمانية الغربية في تموز ١٩٧٤ ان حزب الكتائب قد عقد صفقة شراء اسلحة بصورة سرية مع احدى الشركات الألمانية الغربية بلغت قيمتها خمسة ملايين دولار وذلك في بداية عام ١٩٧٤ .

كانت التعبئة العسكرية في بيروت الشرقية آخذة في التصاعد . وكان حزب « التنظيم » المسيحي ـ ومعظم افراده اصحاب مهن حرة ، اطباء ، مهندسون ، محامون . . . ، والمدعوم بشربل قسيس الذي كان

يقف على رأس « منظمة الرهبانيات المارونية » - ينادي بتطهير لبنان من المسلمين وجعله « مسيحياً خالصاً » .

وقد حاول هذا الحزب منذ صيف ١٩٧٤ المبادرة بحوار سياسي مع اسرائيل واوفد لهذه الغاية مبعوثاً الى اوروبا حيث التقى ببعض الإسرائيليين . وزعم اعضاء هذه المنظمة ان لبنان هو بيت الشعب المسيحي في الشرق الأوسط تماماً كما هي اسرائيل بالنسبة لليهود[1] . وقد اعترف اريل شارون ، وزير الدفاع الاسرائيلي سابقاً ، امام لجنة التحقيق حول مجازر صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ ان اسرائيل قررت تنظيم قوة لبنانية داخلية تستطيع استغلالها ولهذا فقد اقامت علاقات وثيقة مع الكتائب منذ عام ١٩٧٥ وامدتهم بالسلاح والمعدات العسكرية واجهزة للاتصال . كما تولت تدريب قواتهم وارشادها .[2] .

وقد تحدث شيمون شيفر ، الصحفي الاسرائيلي ومراسل الاذاعة الاسرائيلية في لبنان ، في كتابه « كرة الثلج » عن وصول ممثلي « عائلات ورؤساء كنائس وجمعيات مسيحية من شمال لبنان وجنوبه » الى اسرائيل عام ١٩٧٥ م ، « وبكل بساطة قال هؤلاء : « اننا نقاتل عدواً مشتركاً ، ساعدونا في الحصول على السلاح وندفع لكم ثمنه » .[3] .

هذا وقد نشر الصحفيون الاسرائيليون في كتابي « كرة الثلج ، اسرار التدخل الإسرائيلي في لبنان » و « الحرب المضللة ، حرب اسرائيل في لبنان » الكثير من الوثائق والحقائق المتعلقة بالتحالفات السرية بين اسرائيل والميليشيات المارونية وعلاقة اسرائيل بزعماء الموارنة ابتداء من عام ١٩٧٥ م وحتى نهاية فترة الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م وكذلك فعل جوناثان رندل مراسل « الواشنطن بوست » في كتابه « حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي » .

وقد عبر احد الاسرائيليين عن العلاقات مع الموارنة كما جاء في

كتاب « كرة الثلج » ، بأنها عمليات « لا تحدث حتى في العلاقات بين دول » .

كانت اسرائيل تعتمد بشكل رئيسي على الموارنة ومنظماتهم العسكرية . ففي اوائل ربيع الثاني ١٣٩٥ هـ - ١٢ نيسان ١٩٧٥ م سئل رئيس وزراء اسرائيل لماذا لم تردوا على عملية (سافوي) فأجاب : سنترك هذه المهمة لعناصر لبنانية من داخل لبنان. وهكذا فبعد قمع المظاهرات التي اقامها صيادو الأسماك في صيدا في ٢٥ شباط ضد الامتياز الذي اعطي (لشركة بروتيين لصيد الأسماك) والتي اسسها كميل شمعون ، عمد النظام الماروني الى افتعال الفتن وتدبير الصدامات مع الجيش فذهب العشرات. ثم لجأ الموارنة الى التفجير العسكري الشامل فأقاموا المتاريس بسرعة في الدكوانة وعين الرمانة ثم شرعوا بعمليات القنص والخطف على الهوية لتهجير المسلمين من المناطق الشرقية في بيروت ، فداهموا الأحياء الاسلامية الآهلة بالسكان وقتلوا الآلاف ثم سبوا ما تبقى من اهلها .

ورأى سليمان فرنجية رئيس جمهورية النظام الماروني حينذاك ان يقوم بواجبه الوطني على الشكل المطلوب فألف في منتصف جمادى الأول - ٢٣ ايار حكومة عسكرية من اجل اخضاع المسلمين وتصفيتهم عن طريق العسكر ولكن هذه الحكومة لم تصمد اكثر من ثلاثة ايام . وكانت الأسلحة تتدفق على الصليبيين عن طريق مرفأ جونيه ، ففي ذي القعدة ١٣٩٥ هـ تشرين الثاني ١٩٧٥ فرغت سفينة الأكوا مارينا اسلحتها في المرفأ المذكور ، قال بعدها رشيد كرامي (رئيس الحكومة اللبنانية حينذاك) ان الجيش رفض تنفيذ الأوامر ومصادرة الأسلحة . وفي ٦ كانون الأول تم اختطاف مائتي مسلم ثم قتلوا جميعاً . وفي صفر ١٣٩٦ هـ - ١٩ كانون الثاني ١٩٧٦ م شنت القوات الصليبية هجوماً بحرياً وبرياً على منطقة الكرنتينا فهدمت المنازل والأكواخ وذكر ان ستمائة

شخص قد قتلوا ونزح عشرون الف شخص من الأهالي قبل ان تحرق المنطقة وتمهد بالجرارات وقد خرج سكان الكرنتينا يلوحون بالأعلام البيضاء في الهواء ويطلبون الاستسلام لكن الصليبيين قتلوا ابناءهم واستحيوا نساءهم ، وكانوا يحفرون الصلبان في اجساد القتلى بعد تشويهها ، ويجرون الأسرى خلف السيارات حتى الموت ، وقد روى مراسل « الواشنطن بوست » الذي شاهد المجزرة عن كثب في كتابه حرب الألف سنة قائلاً : « شبان من الميليشيا حول عنق كل واحد منهم صليب خشبي ضخم ، مخدرون بالحشيش او بالكوكايين ، بعضهم يعتمر خوذاً خرجت لتوها من المخازن النازية ، يقتلون بقلب منشرح »

وكان الصليبيون قد عزموا على توحيد الجهود في الحرب الدائرة ضد المسلمين ففي ٣١ كانون الثاني ١٩٧٦ م اقام زعماء الموارنة في الكسليك ـ الجامعة المارونية في جونية ـ « جبهة الحرية والانسان » وتألفت من فؤاد شمالي (عن التنظيم) سعيد عقل (عن حراس الأرز) ، بيار الجميل (عن الكتائب) ، الأباتي شربل قسيس (عن الرهبانيات المارونية) كميل شمعون عن (حزب الأحرار) شاكر ابو سليمان (عن الرابطة المارونية) وشارل مالك (ارثوذكسي معروف بميوله الصليبية) . سميت هذه الجبهة فيما بعد بـ « الجبهة اللبنانية ».

وينبغي التذكير بأن سعيد عقل هو قائد المؤامرة ضد اللغة العربية وقد ارتبط اسمه بالشعارات الفجة من نوع « لن يبقى فلسطيني على ارض لبنان». بيار الجميل : صليبي معروف بعدائه السافر للمسلمين وينتمي الى عائلة ذات ميول نازية وتربطها علاقات تاريخية مع الصهاينة ومهما قال عن حبه للبنان فهو مصري ولم يولد في لبنان. شربل قسيس هو الممثل لدور الكنيسة واما كنيسته فهي الرهبانيات المارونية الغنية التي تمتلك مساحات واسعة من الأراضي وجامعة الكسليك قرب جونية والتي كانت خزاناً للدعم المالي والبشري وساهمت بإنشاء وتمويل عدد من

التنظيمات المارونية المسلحة التي ظهرت خلال الحرب كـ « حراس الأرز » و « التنظيم » . والأمر نفسه ينطق على شاكر ابو سليمان رئيس الرابطة المارونية الغنية ورئيس اتحاد اولياء الطلبة في المدارس الخاصة . وشارل مالك كما اسلفنا كان ينظر لدخول لبنان مشروع ايزنهاور في عهد كميل شمعون .

وقد تربع ادوار حنين كاتباً اول « للجبهة اللبنانية » يصوغ بياناتها وينطق بالكلمة الصليبية كاملة بقوله مرة في مقال شهير : ان لبنان كل مرة كان يستقل كان يهتز ، وكل مرة كانت تحميه حماية (اجنبية) كان يعتز ». وقد اعترف احد اقطاب الكسليك في حديث مع جوناثال رندل ، مراسل « الواشنطن بوست » « ان مسؤولي الكسليك على علاقة بإسرائيل منذ العام ١٩٤٩ م »[٤] .

في ربيع ١٩٧٦ م اصيب الموارنة بانهيار عسكري شامل على جميع الجبهات فاضطر سليمان فرنجية الذي سلم مقدرات الدولة كلها لأصحابه ان يهرب الى ذوق مكايل في اواخر ربيع الأول ١٣٩٦ هـ ـ ٢٣ آذار ١٩٧٦ م ومن هناك الى الكفور ، ورفض ان يصغي لصوت الشعب ودعوته له بالاستقالة . وكان « سلاح الجو اللبناني » قد اشترك في الحملة الصليبية وقصف مناطق المسلمين بوحشية . ثم نهبت الميليشيات مرفأ بيروت ، وخاطب بيار الجميل المسلمين عبر الإذاعة بأن يكفوا عن القتال وبأنه يشهد بأن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله رغم ان احداً لم يطلب منه ذلك . وفي هذه الأثناء تكثفت الاتصالات مع الصهاينة ، فقد توجه الى لبنان وبناء على طلب كميل شمعون وبيار الجميل وفد اسرائيلي نزل على الشاطىء بالقرب من جونيه وكان على رأس الوفد العقيد بنيامين بن اليعيزر ، الذي كان يشغل آنذاك منصب قائد المنطقة المتاخمة لحدود لبنان[٥] .

وفي ٢ آذار وصل الى حيفا وفد كتائبي طالب بإرسال السلاح وبعد

ايام وعلى اثر دعوة الوفد المذكور توجهت سفينة حربية اسرائيلية الى ميناء طبرجة شمالي جونية .

وفي احدى الزيارات التي قام بها بنيامين بن اليعيزر الى جونية على رأس وفد اسرائيلي ولقائه بزعماء الموارنة ، اوصاهم بوضع قواتهم تحت قيادة موحدة وقال لهم سنحضر في الجنوب جيشاً مسيحياً مدرباً نقوم بتسليحه ويكون هذا الجيش لنصرتكم ، وشاهد الوفد الاسرائيلي مع بعض الفتيات المجندات في القوات الصليبية اصابع وآذان مقطوعة[٦] . ثم التقى اسحاق رابين رئيس الحكومة الاسرائيلية مع كل من كميل شمعون وبيار الجميل على متن سفينة حربية اسرائيلية داخل مرفأ جونية . وقد اعلن شمعون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك ، ومهندس هذا المشروع انهم اتصلوا « بالفريقين كل على حدة » . طالب كميل شمعون بمساعدة عسكرية وغذائية ووقود ووعده رابين خيراً،واضاف « بالنسبة الى السلاح سنجد السبيل الى تزويدكم به مجاناً » . وبعد اللقاء اكد كميل شمعون ان « النتائج ايجابية ، وسوف تؤتي ثمارها اذا استمرت المعارك » . وكان داني شمعون ابن كميل شمعون وقائد ميليشيا « النمور » قد بدأ الاتصال منذ مطلع الحرب عام **١٩٧٥** م .

وفي لقائه مع بيار الجميل وولديه امين وبشير اكد رابين لهم « ان اعداءكم اعداؤنا وسنقدم لكم مساعدة عسكرية لكننا لن نقوم بالمهمة عنكم » . وقد وصف احد الصهاينة الذين حضروا الاجتماع مع بيار الجميل ان هذا الأخير « كان ذكياً ، محنكاً وذا احترام » . وفي لقاء آخر مع كميل شمعون تم الاتفاق على اعطاء المساعدة الاسرائيلية للموارنة زخماً[٧] .

وبعد بضعة اسابيع من اللقاء الأول بين شمعون والاسرائيليين في عرض البحر في جونية ، غادرت الدفعات الأولى من الميليشيات الصليبية الى اسرائيل عبر قبرص ، لتتلقى تدريباً عسكرياً مكثفاً . وبين ليلة

وضحاها ، برزت بعض الملامح الاسرائيلية النموذجية في سلوك الميليشيات ، من احذيتهم ، واسلحتهم ، وزيهم الى طريقتهم في حمل الرشاش . والى جنوب لبنان وصلت بعض افراد الميليشيا من جونيه ، عبر مرفأ حيفا الاسرائيلي لتوسيع دائرة الحرب .

وكانت مؤسسة الاستخبارات والمهمات الخاصة الاسرائيلية (الموساد) هي المنظمة التي تتولى فعلياً العلاقات بين الكتائبيين واسرائيل ، واقام ممثلوها اتصالات وثيقة مع القيادة الكتائبية ، وخلال الاجتماعات بين قادة الكتائب والصهاينة كان القادة الكتائبيون يطرحون خططاً مختلفة لتقوية مواقع قواتهم . وبالاضافة الى ذلك فقد شاركت شعبة الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي (الاستخبارات العسكرية) في الاتصالات مع الكتائبيين ، وقدمت اسرائيل مساعدات مهمة للقوات الصليبية : الامداد بالأسلحة والبزات ألعسكرية . . . وكذلك من حيث التدريب والتأهيل .[٨] .



شامير مستقبلاً داني شمعون

وتحدث جوناثال رندل مراسل الواشنطن بوست في كتابه « حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي » عن وصول كميات كبيرة من السلاح الى الميليشيات الصليبية . وقد اكد له داني شمعون احد رفاق السلاح لآل الجميل أن المخابرات الأميركية في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ م قدمت للكتائب بواسطة الجيش اللبناني عدة ملايين من الدولارات .

وعلى اثر هذه المساعدات ارتفعت معنويات الصليبيين وقويت عزيمتهم ففي ٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ ـ ١٧ نيسان ١٩٧٦ م اذاعت اذاعة « صوت لبنان » الكتائبية تصريحاً لبشير الجميل قائد القوات الصليبية يقول فيه :

لدينا ١٨ (ثماني عشرة) لجنة عمل في شتى الحقول تقوم بعمل ١٨ : ثماني عشرة وزارة في بلد طبيعي ، ويمكن ان تطلق عليها كلها تسمية « وزارة ظل » وتابع يقول « وهدفنا من هذه العملية اذا بقي الوضع الراهن هو ان نستمر في مناطقنا[٩] ».

في جمادى الأول ١٣٩٦ هـ ـ ٨ أيار ١٩٧٦ م تم تعيين الياس سركيس حاكماً على لبنان . ومنذ شهر رجب ـ تموز بلغ حجم المساعدات والمعدات الاسرائيلية المرسلة نسبة دفعت احد الدبلوماسيين الأميركيين في بيروت الى القول « ان المسيحيين يتدبرون امرهم جيداً بمساعدة اسرائيل حتى انه لا داعي لأن نتدخل ، على افتراض اننا نتجرأ على ذلك » .

وقد شملت المساعدات المحروقات والمدفعية الثقيلة ودبابات (السوبر ـ شرمن) الأميركية الصنع والآلات الألكترونية المتقدمة وحتى الثياب .[١٠]

ثم ارسل سليمان فرنجية الى الجنوب وبسرية تامة سعد حداد ليقود المنطقة بالتنسيق مع اسرائيل . ووصل ايضاً الى المنطقة ضابط آخر

في الجيش اللبناني هو سامي الشدياق من اجل اقامة علاقات خاصة مع إسرائيل[١١] . وستتحدث فيما بعد وبالتفصيل عن الدور الذي اوكل الى سعد حداد ورفيقه .

وفي يوم من ايام صيف ١٩٧٦ م وصل الى جونية قادماً من اسرائيل ضابط الإرتباط مع الموارنة المعين من قبل « الموساد » والتقى بشير الجميل .[١٢]

وبناء لطلب داني شمعون فقد وصلت في تموز بعثة عسكرية اسرائيلية لتقييم الوضع في تل الزعتر . وفي بكفيا اجتمعت هذه البعثة بعائلة الجميل ووعدتهم بمواصلة الدعم الاسرائيلي لهم . وقد عادت ثانية في ايلول ١٩٧٦ م ثم زار بشير الجميل وداني شمعون اسرائيل لمطالبتها بالتدخل[١٣] .

في السادس من تموز وبعد الحصار الطويل تمكن الصليبيون من احتلال احياء النبعة وجوارها فارتكبوا المجازر وسبوا النساء . نفس الشيء حدث في تل الزعتر الذي عانى من الحصار بضعة اشهر حتى سقط في الثاني عشر من تموز ضحية التآمر الصليبي ـ الصهيوني ـ العربي .

وكان الصهاينة يقاتلون الى جانب حلفائهم وقد اعترف اريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي سابقاً عام ١٩٨٢ م ان اسحاق رابين رئيس الحكومة الاسرائيلية آنذاك كان يتعاون مع الكتائب وقد شاركهم اثناء مذبحة مخيم تل الزعتر عن طريق ضباط اسرائيليين شاركوا في تلك المجزرة[١٤] . صحفيان نجحا في دخول المخيم كتبا تقريراً بأنهما شاهدا نحو ستين جثة لأطفال ونساء وعجزة بقرت بطونهم. وقد اعلن الصليب الأحمر انه ذبح في تل الزعتر ثلاثة آلاف شخص .

نص المذكرة التي قدمتها « الرابطة المارونية » الى المبعوث الفرنسي كوف دي مورفيل ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٥ (١٩ ذو القعدة ١٣٩٥ هـ) وصل المبعوث الفرنسي كوف دي مورفيل فتقدمت منه « الرابطة المارونية » بمذكرة مطولة تدعو الى انشاء دولة مارونية بضمانات دولية . تقع المذكرة المكتوبة بالفرنسية في ثمانية فصول . والأرجح انها موضوعة من قبل لجنة الأبحاث في الكسليك وتحظى بتأييد « الرهبانيات المارونية » . عنوان المذكرة هو : « مذكرة مختصرة موضوعية صادقة وصريحة تساعد على فهم القضية اللبنانية » . وهي تبحث في المصطلحات السياسية ، الاسلام ، لبنان ، تكوين لبنان، التوازن اللبناني ، خطأ قيام « لبنان الكبير » ، المأساة الهزلية لعام ١٩٤٣ ، طريق الخلاص . . .

تنتهي المذكرة الى دعوة صريحة واضحة الى انشاء دويلة طائفية مارونية بضمانات دولية .[١٥]

وفيما يلي المقاطع الرئيسية من المذكرة :

في الاسلام :

يقوم هذا الفصل على اثبات الفرضيات التالية :

« ١ - ان الاسلام يقسم العالم الى دار الاسلام ودار الحرب ، ولا سلام بين الاثنين وانما هدنات مؤقتة ، ولو استغرقت قروناً من الزمن .

٢ - ان المسلمين جماعة وامة واحدة ، مهما تعددت الأوطان الظرفية التي يعيشون فيها ، ولا بد لهذه الأمة من ان تتحد اخيراً .

٣ - كل الدول العربية دول اسلامية تيوقراطية ، وهي تعامل المسيحيين كأهل ذمة محرومين من حقوق المواطنية الفعلية » .

وتستخلص المذكرة ما يلي :

« يستحيل تحقيق المساواة الفعلية بين المسلم وغير المسلم في دار الاسلام والمسلم القح لا يقر عملياً ولا يعترف نظرياً بأن يكون لغير المسلم الحقوق المدنية التي يتمتع هو بها ، بصفته المواطن الكلي الحقوق في دولته الاسلامية .

واذا كان المسيحيون واليهود رعايا واهل ذمة في الدول ذات الأكثرية الاسلامية ، فما شأن الدول التي يشكل فيها المسلمون اقلية ؟ » .

تجيب المذكرة :

« في دولة ذات اكثرية غير اسلامية ، فان الأقلية الاسلامية لن يكون لها الاطمئنان ولا الراحة الا بعد ان تنفصل عن تلك الدولة . وسوف يساعدهم جميع مسلمي العالم من اجل تكوين دولتهم الاسلامية ، بصفتها المخرج الممكن والمنطقي والطبيعي الوحيد في نظر الاسلام .

ولنتذكر هنا الحروب الإنفصالية في الهند والفيلبين وقبرص والحبشة التي يعتبرها العالم الاسلامي حروباً مقدسة ، وينظر اليها العالم كحروب مشروعة ، بينما ينظر هذان العالمان الى الحروب الانفصالية في نيجيريا وجنوب السودان على انها حروب مستنكرة وملوثة بالخيانة . وزنان ومكيالان » .

اذن فالمذكرة تنطلق من الفرضية القائلة ان اضطهاد ابناء الديانات الأخرى هو من صلب تعاليم الاسلام ، لتنتهي الى استحالة تعايش الأقليات المسيحية مع الأكثرية الاسلامية مستشهدة بأحداث

ونصوص تاريخية لا اساس لها .

والواقع ان هذه المذكرة تشكل اصفى تعبير عن الفكر الماروني الذي هو بحق استعادة حديثة للمنطق الصليبي بما يخالطه من نزعة تفوق ثقافية ـ مارونية على المسلمين والعرب عموماً وهي تعرض الركائز المتماسكة لهذا الفكر .

فالموارنة يجعلون من انفسهم اصحاب قضية عادلة ومشروعة . ان القتل على الهوية والحملات الصليبية ومآسي التهجير عبر المجازر الدامية في « حارة الغوارنة » و « سبنيه » والنبعة وتل الزعتر التي ادت الى سقوط اربعين الف قتيل ومائة الف جريح وخمسة آلاف مشوه ونصف مليون مهجر ومشرد ، كل هذه الوقائع تشكل بالنسبة للصليبيين حرباً مقدسة ومشروعة . والأدهى من ذلك ان المذكرة تتحدث عن جهاد المسلمين في مختلف البلدان لكي تعطي لأصحابها الحق في ان يفعلوا ما يشاؤ ون ، فالحملة الصليبية التي يقودونها ضد المسلمين هي مساوية لثورة اي شعب مسلم غايته تطبيق حكم الله في الأرض . ان الحق والباطل اصبحا في عرف الموارنة متساويين .

في لبنان :

« لبنان ليس بلد تعايش اسلامي ـ مسيحي ، يقوم على اتفاق بين ديانتين . ان الاعتقاد بأن لبنان مكون من نصفين وجناحين مسيحي واسلامي وفق سياسة النعامة الغبية ، خطأ فادح ستكون له عواقب وخيمة » .

وتتابع المذكرة :

« واذا كانت الطائفة المارونية قد احتفظت لنفسها بالمسؤوليات الأولى في الدولة (كرئاسة الجمهورية وقيادة الجيش) فلأنها تعذبت روحاً

وجسداً وبذلت الدم الكثير عبر القرون من اجل الحفاظ على لبنان حيث يبقى الموارنة رغم كل شيء الطائفة الأهم من حيث العدد والثقافة والموقع الاقتصادي والسمعة وامكانات التحرك الدولي بحيث لا يسعها ان تترك مصائر كل هذه بيد اناس لا يمكنهم ان يكنوا للبنان الحب الذي يكنه له الموارنة ولا الحماس للذود عنه ، بسبب معتقدهم الديني وعقدة التفوق عندهم وتطلعاتهم الى السيطرة النهائية ، والواقع ان لبنان بالنسبة للمسلمين ، لا يمكنه ان يكون الا مرحلة ، وطناً مؤقتاً صغيراً وظرفيا كغيره من الأوطان العربية « جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير من المحيط الى الخليج » والمؤكد ان المسيحيين ، والموارنة خاصة ، يفضلون ان يذبحوا حتى آخر واحد منهم ، على العيش كأهل ذمة في مثل هذه الامبراطورية الاسلامية » .

ان الموارنة يريدون ان يحيطوا انفسهم بهالة سحرية من التفوق الحضاري على المسلمين في سبيل ترسيخ سلطتهم واعطاء اعمالهم العدوانية وجرائمهم الوحشية صفة مشروعة .

وتتابع المذكرة :

« ان عاقدي اجتماعات الحوار والمصالحة ليسوا مقتنعين بدورهم وكل منهم على معرفة كاملة بعواطف الآخر الحميمة تجاهه ، لهذا تجده يهيىء خطة الهجوم الجديد خلال المعانقات الحارة . ولهذا يصح القول انهم جميعاً متفقون على اخفاء جوهر المشكلة انهم يضعون المسكنات حيث يحتاج الأمر الى المبضع » .

ان الموارنة انفسهم لا ينظرون الى اجتماعات الحوار والمفاوضات نظرة جدية . وهم يعتبرون ان جميع الاتفاقات ليست بذات قيمة وهي حبر على

ورق ولهذا فبعد كل اتفاق على وقف اطلاق النار كانوا يسارعون الى خرقه لأن « الأمر يحتاج الى المبضع » اي التقسيم :

« عندما يستشري وباء الريبة المتبادلة بين اعضاء جماعة معينة يجب حل هذه الجماعة ، وعندما تفتك « الغرغرينا » بعضو من الأعضاء ، فالعلاج الوحيد الذي ينقذ حياة المريض هو البتر وعندما يستحيل التعايش بين زوجين ولو كانا كاثوليكيين فالحل الوحيد هو انفصال الأجساد » .

في تكوين لبنان :

يكرر هذا الفصل الرواية المزورة لتاريخ لبنان على انه تاريخ لجوء الأقليات الدينية الى جبل لبنان هرباً من الفتح الاسلامي وتاريخ مقاومتها له واستفادتها من الحملات الصليبية « لتدعيم موقعها في لبنان ، ملجأ الأقليات ، في مواجهة العالم الاسلامي » وما تعرضت له من مجازر واضطهاد بعد انسحاب الصليبيين ، وبعد ذلك تقول المذكرة :

« ان الكارثة النادرة المثيل الواقعة حالياً على هذا البلد هي الثمرة الطبيعية ، والنتيجة المنطقية واللازمة ، للسياسة المؤيدة للعرب المعدة في بريطانيا وتحت العين الماكرة الراضية للولايات المتحدة الامريكية ولصالح اسرائيل .

ان هذه السياسة التي افتتحت في لبنان عام ١٩٤٣ بفضل مسرحية الاستقلال المأساوي - الهزلي ، هذه السياسة جرى تتويجها بانضمام لبنان الى جامعة الدول العربية واستهلكت نفسها في ايامنا هذه بالغارات الهمجية التي نشهدها .

وكل ذلك بسبب التواطؤ الغبي او المقصود لجميع حكامنا المسؤولين الذين عملوا يداً بيد ، منذ ذلك العهد المشؤوم ، في رئاسة

الجمهورية كما في رئاسة الوزراء ، ومجموعهم مجرمون وخونة ومرتكبو مجازر الابادة الجماعية ، يجب اعتقالهم فوراً وتسليمهم للقضاء » .

اذن فلبنان برأيهم يجب ان ينفصل عن محيطه كما انه يجب محاكمة جميع المسؤولين منذ عام ١٩٤٣ وحتى اليوم لا بسبب خيانتهم بحق المسلمين واهمال قضاياهم والتخلي عن جبل عامل وممالأتهم لإسرائيل وغير ذلك ، بل بسبب عدم مجاهرتهم بالنزعة الصليبية الحاقدة واعلان الحرب على المسلمين .

ان المقاييس هنا انقلبت والوطنية الصادقة والمخلصة هي في طرد المسلمين من ديارهم .

في التوازن اللبناني : ١٨٦٤ - ١٩١٥ م :

« ان لبنان الملجأ - الذي ينكر عليه بعض من ابنائه اللاجئين هذه الميزة لم يعرف هدوءاً نسبياً وسط جيرانه المسلمين الا بفضل اليقظة المستمرة لأبنائه المدججين بالسلاح . وهكذا يمكن القول ان لبنان عاش في ظل نظام السلم المسلح طيلة الفترة المملوكية - العثمانية .

اما في بقية ارجاء الأمبراطورية العثمانية فقد اضطر المسيحيون الى العيش في حالة من الخضوع الأقرب الى العبودية . ان نظام التمييز بين المسلمين والمسيحين قد ارتقى بفضل الشرع الاسلامي الى مستوى مؤسسة للحق العام ، كما بينا سابقاً »

ان لبنان الذي يتحدث عنه الموارنة هو دائماً لبنان المعادي للمسلمين والملتزم التزاماً كاملاً بمشاريع الاستعمار العالمي . لا بل هو « الوطن القومي الماروني » الصليبي .

وتضيف المذكرة :

« وهكذا فان اوروبا التي وافقت على دخول تركيا في « مؤتمر الدول الكبرى في العالم المتمدن »* بعد حرب القرم متجاهلة احكام الشريعة ، لم تستطع ان تقبل باستمرار نظام التمييز بين المواطنين الذي يتناقض بشكل صارخ مع المبادىء الأساسية للحق الطبيعي التي تحكم المجتمعات والدول . وهكذا اضطر السلطان عبد الحميد اضطرارا الى اصدار تشريع « خطي همايون » الشهير في ١٨ شباط ١٨٥٦ الذي فرض المساواة في الضرائب والوظائف العامة على كل رعايا الأمبراطورية بدون تمييز في العرق والدين .

ولقد ادى اصدار هذا القرار ، الذي يبدو امراً طبيعياً في البلدان الأخرى الى اثارة استنكار مسلمي الأمبراطورية ايما اثارة واخذ علماء الدين يذكرون ابناء دينهم بتقاليد السنة المطبقة منذ الغزو الاسلامي والتي لا يجوز مسها والتي تقول ان اهل الذمة هم جماعة يمكن التسامح معهم واستخدامهم ولكن ليسوا من الأمة ولا هم مواطنين يتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية .

هذا التحريض الذي وقع على ارض صالحة ، اتى ثماراً دموية بعد وقت قليل ، عام ١٨٦٠ ، حيث ذبح مئتا الف مسيحي في دمشق وزحلة ، وحاصبيا وراشيا ودير القمر ، وكتب « رينان » الذي كان في زيارة لسورية ولبنان انذاك « ان الشعوب التي قهرها الاسلام لم يترك لها من وطن سوى الجامع والزاوية » .

ان الموارنة يتنصلون من مسؤولية احداث عام ١٨٦٠ ويلقون التبعة

(*) اشارة الى المؤتمر الذي عقدته دول اوروبا في باريس بحضور الدولة العثمانية بعد حرب القرم والتي استولى فيها الروس على مساحات واسعة من اراضي الدولة العثمانية . وقد كرست معاهدة باريس هذه النتائج وادت الى ازدياد التدخل الأوروبي في شؤون الأمبراطورية . وعلى أثر تصاعد النفوذ الأوروبي قويت شوكة النصارى .

على عاتق المسلمين وقد رأينا سابقاً ان هذه الأحداث كان سببها الموارنة وحليفتهم فرنسا . ثم يثنون على مواقف اوروبا التي ارسلت اساطيلها الى شواطىء لبنان لضرب المسلمين ومن اجل ان تحيا دولة مارون :

« اذا كان الاضطهاد المستمر ضد مسيحيي الشرق والذي تخللته مجازر محلية لم يؤد عبر العصور الى تدخل قوي وجذري من جهة اوروبا فان العالم المتمدن نهض مستنكراً المجزرة المتعمدة المنظمة عام ١٨٦٠ . وكان هذا الانفجار الدموي نتيجة لاختمار طويل غذاه ممثلو تركيا بعناية فائقة ، على حد قول تشرشيل « شرشربيك » كما كان يسميه لبنانيو ذلك الزمان) . ولقد رأت اوروبا مدفوعة بعاطفة انسانية وببقية من الشهامة الفروسية ان التدخل المسلح بات ضرورياً ، فأرسلت اساطيلها الى مياه بيروت ، واتفقت الدول الأوروبية في اجتماع الثالث من آب عام ١٨٦٠ في باريس على ارسال فرق عسكرية فرنسية الى لبنان .

وصل ستة آلاف جندي بقيادة « بوفور » فأعادوا الأمن وساعدوا على رفع الأنقاض في القرى المدمرة »* .

ثم تبارك المذكرة « بروتوكول ١٨٦٤ » الذي جعل من لبنان بلاداً مفتوحة يسرح الاستعمار على ارضها ويمرح بأمان فتقول :

« من جهة اخرى قامت لجنة تضم ممثلي انكلترا وفرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا وتركيا ، بعد سلسلة اجتماعات في بيروت بوضع بروتوكول ١٨٦٤ الذي يعطي لبنان وضعاً مستقلاً حيال « الباب العالي » بضمانة « الدول الست » الكبرى التي اصبحت « الدول السبع بعد انضمام ايطاليا ، واحد القرارات المهمة في البروتوكول هو ان يكون حاكم لبنان مسيحياً كاثوليكياً .

(*) لقد أشرنا في فصل سابق الى ان حملة بوفور كانت غايتها قيام الدولة المارونية .

امن استقلال لبنان نصف قرن من الهدوء والسلام والتوازن الاجتماعي في الداخل ، واستقراراً سياسياً في الشرق الأوسط كله واصبح لبنان ، اكبر من اي وقت مضى ، ملجأ المسيحيين المضطهدين في كل مكان تقريباً من الامبراطورية العثمانية » .

ينبغي علينا الا نأخذ حملة التظلم هذه على محمل الجد . « فالمسيحيين المضطهدين » « والاضطهاد المستمر ضد مسيحيي الشرق » كل هذه التعابير ليست الا من اجل كسب التأييد والدعم محلياً ودولياً .

ثم تثني المذكرة على نشاطات الارساليات التبشيرية التي كانت وبالاً على لبنان ، وقد جاء في هذا الصدد :

« وكفى المسيحيين احساسهم بأنهم غير خاضعين لنظام الإرهاب والإخضاع المسلح ليتفتق نبوغهم الأدبي » .

والمعلوم ان هذا النبوغ الأدبي لم يتفتق الا في مدارس الإرساليات الاجنبية ولا سيما الفرنسية .

ثم ان شربل قسيس وشاكر ابو سليمان اللذين قدما المذكرة الى « كوف دي مورفيل » هما من خريجي اليسوعية .

وتتابع المذكرة :

« ويعود الفضل في وجود المطابع الأولى ، والصحف الأولى والمجلات الأولى ، والكتب الكلاسيكية الأولى ، والموسوعة الكبيرة الأولى ، الى مسيحيي لبنان . وكل ذلك بفضل تعليم ثانوي في مؤسسات محترمة (ارساليات التبشير) لا يهدف برنامجها التعليمي الذي وضع بمنأى عن اي قسر ، الا الى تنشئة « الانسان الشريف » بالاعتماد على الثقافة الكلاسيكية المتعددة .

وكم من خيبة امل تلقينا بعد ذلك ! وكم من انتكاسة في هذا الميدان الثقافي !

فمنذ ان بدأ التوازن الاسلامي المسيحي يتحول الى قاعدة في كل مؤسسات الدولة ونحن لا نزال نتقهقر في كافة الميادين . وهذا على كل حال ، اسلوب تحقيق المساواة بشد المجتمع الى تحت . ولكن الأبشع في كل هذه التخليات هو خيانة الاكليركيين » .

هكذا اصبح المسلمون برأي الموارنة عامل تقهقر وانحطاط ينبغي التخلص منهم بالقتل والتهجير والتعذيب . انهم حجر عثرة في طريق الدور الذي يريد الموارنة ان يلعبوه في « العالم المتمدن » :

« كيف تريدون منا ، اذا كانت هذه تربيتنا (التسامح مع المسلمين) ان نستمر في لعب دورنا في العالم المتمدن ؟

كيف تريدون منا ان نستمر في خدمة العرب في نهضتهم الفكرية عندما تكون شهاداتنا الجامعية المفرغة من كل مضمون انساني بفضل هذه البرامج التافهة (البرامج التي تتحاشى استفزاز مشاعر المسلمين) مهددة بالسقوط الى مستوى شهاداتهم ؟

انها نتيجة مؤذية جداً ، بين نتائج اخرى ، لصفة « عربي » (مسلم) التي الصقت باسم لبنان » .

ان الموارنة يخاطبون سيدتهم فرنسا باللغة التي تستعذبها فكأنهم يقولون انه من غير الممكن ان يلعب لبنان دوره المطلوب كقاعدة استعمارية صليبية في الشرق ، بدون جعله « الوطن القومي الماروني » .

في خطأ قيام لبنان الكبير :

« . . ولم يكن بوسع اللبنانيين (والمقصود الموارنة واتباعهم) بعد

ان اعتادوا هذه المفاهيم (اي المفاهيم التي تعلموها في مدارس انكلترا وفرنسا وغيرها . . . . .) التفكير بامكانية العودة الى دولة ثيوقراطية ، ترتكز الى سيادة الاسلام مع كل ما يجره ذلك من نتائج معلومة ، حتى ولو اصبح المسلمون ذات يوم هم الأكثرية في لبنان الجديد » .

اذن فالمطلوب هو سلخ لبنان واغتصابه من الأمة الاسلامية لأن هناك جماعات صليبية حاقدة تعلمت مفاهيم زائفة واصبحت ذات مشاعر وديعة ومرفهة ، ولا يمكنها ان تعيش في دولة تحكم بحكم الله . رغم ان الحكم هو منذ البداية ماروني والنظام ماروني وصليبي أيضاً.وجاء في المذكرة

« وهكذا قرر المجلس التمثيلي للبنان في ايار ١٩١٩ ان يطلب من مؤتمر السلم المنعقد في فرساي « استقلال لبنان في حدوده الطبيعية » وطالب غبطة البطريرك حويك بأن يرأس الوفد اللبناني الى المؤتمر*. وفي باريس حاول سياسي ماروني كبير خبير بسياسة الأمبراطورية الاسلامية العثمانية ، وخبير جداً بالتطلعات الابدية للعرب المسلمين في الشرق الأوسط ، لفت انتباه غبطة البطريرك الى خطورة توسيع الحدود اللبنانية ابعد من المناطق المسيحية وضم شعوب اخرى الى لبنان تهدد بإخلال التوازن فيه . وقال ان مسلمي لبنان الجديد ما ان يظنوا انفسهم اكثرية حتى يحاولوا تحويل لبنان ، بمساعدة اخوتهم في البلدان المجاورة ، الى دولة اسلامية ، ثيوقراطية حكماً ، يضعونها تحت حماية دولة اسلامية كبرى . غير ان غبطته وقف ضد هذا الكلام ، واضعاً ثقته ، مثل كل اللبنانيين الطيبين في ذلك الوقت ، في خلود صداقة فرنسا وحمايتها .

ولم يكن باستطاعة احد ان يتخيل في الواقع ، ان يوماً سيأتي يقف

(*) لقد تحدثنا عن هذه المواضيع في اطارها الصحيح .

واحد مثل ميشال جوبير ، يحمل خرقة مغمسة بالوقود ، ليحاول ان يمحي من تاريخ العلاقات الفرنسية - اللبنانية اسماء سان لويس وفرنسوا الأول ، ولويس الرابع عشر ، ونابليون الثالث وكلمنصو والجنرال ديغول » .

كما يتضح من الوثيقة ينظر الموارنة الى تلك الشخصيات بكثير من العظمة والإجلال حتى غدا رجال فرنسا التاريخيون ابطالاً مشهورين في صناعة التاريخ الماروني نفسه فان لويس هو لويس التاسع ملك فرنسا ، الذي جاء الى مصر على رأس الحملة الصليبية السابعة عام ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م حيث وقع في الأسر وكان ان امده الموارنة بالرجال والعتاد فبعث الى البطريرك رسالة اكد من خلالها ان الموارنة جزء من الأمة الفرنسية .

وفرنسوا الأول هو الذي عقد معاهدة الامتيازات الأجنبية مع الدولة العثمانية عام ٩٤١ هـ - ١٥٣٥ م ، وبموجب هذه المعاهدة اعلنت فرنسا حمايتها للموارنة مما ادى الى نشوء علاقات طويلة ومشبوهة بين الطرفين ادت في النهاية الى مآسي ومجازر عديدة في هذه البقعة من العالم الاسلامي .

ولويس الرابع عشر كما بينا في فصول سابقة جدد حماية فرنسا للموارنة وتوسع في شرحها وتفسيرها الى ابعد الحدود .

ونابليون الثالث هو الذي ارسل عام ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م حملة عسكرية بقيادة بوفور لإعلان الدولة المارونية .

ان الموارنة لم يجد واحرجاً في التغني بمآثر هذه الشخصيات وتحويلها الى رموز حية ومثل عليا .

نعود الى ما جاء في المذكرة :

« وهكذا ففي الأول من أيلول ١٩٢٠ أعلن الجنرال غورو قيام دولة

لبنان الكبير ضد إرادة جميع المتذمرين .

وكان هذا انتصاراً للمسيحيين في نظر المسلمين اما بالنسبة للمسيحيين فلم يلبثوا أن لاحظوا بمرارة سخافة هذا الانتصار .

ان فرنسا « القوة الاسلامية » (لنتذكر افريقيا الشمالية) كانت دائماً تعطي المسلمين وقد اعطتهم داخل الدولة الجديدة اكثر بكثير مما يحق لهم لكي تستميلهم الى جانب القوة المنتدبة » .

ما هو هذا الشيء الكثير الذي منحته فرنسا للمسلمين ؟

تجيب المذكرة :

« الم تذهب (فرنسا) الى حد تحويل موظف بسيط لدى المحاكم المختصة (المفتي) الى رأس للهرم الاكليركي في الاسلام اللبناني ، والزعيم الروحي للطائفة الاسلامية ؟ وهذه هرطقة ضد روح الاسلام ونصه . فهل سمعنا سابقاً عن مفتي الجمهورية السورية ؟ او عن الزعيم الروحي لمسلمي هذه البلاد ؟ في مصر ؟ أو العراق ؟ ان للسياسة اسباباً لا يملكها العقل والمنطق .

اكان يعقل اعطاء الاسلام اللبناني هذا الامتياز العظيم والمفاجيء لو لم يكن في لبنان بطريرك ، هو رأس الهرم الإكليركي الماروني ، يعتبر ، عن حق ، كزعيم للمسيحيين ؟ » .

اذن فالشيء الكثير الذي استكثره الموارنة على المسلمين هو منصب « المفتي » أو « الإمتياز العظيم » الذي يجعله « نداً للبطريرك الماروني » . وما يحز في القلب ان المسلمين كانوا على الدوام يطالبون

بحقوقهم المهضومة من هذه الجماعات التي استكثرت عليهم منصب المفتي الذي لا يسمن ولا يغني عن جوع ولا يقيم حقاً ولا يدفع باطلاً ، ان الموارنة لا يريدون رد الحقوق الى اصحابها انما يريدون ترحيل المسلمين من ارضهم .

وجاء في هذا الصدد :

« وهكذا جرى تكريس انقسام لبنان رسمياً الى طائفتين متنافستين . وعوض استلهام المثال السويسري (اتحاد الكانتونات ـ الطوائف) الذي يعكس تماماً الطبيعة المركبة للمجتمع اللبناني كاتحاد بين الطوائف ، اختارت فرنسا لكي تحتل موقعها في لعبة التوازنات السياسية ، ان تؤسس في الواقع دولة ثنائية الرأس .

لقد كان ذلك تكراراً غير دستوري لمشروع تعيس ذي نتائج بائسة هو مشروع القائمقاميتين .

وأول من فوجيء بهذه البدعة هو المفتي نفسه الذي استمر يقبض معاشه المتواضع من خزينة الدولة كما كان الحال ايام العثمانيين باعتباره موظفاً مساعداً للقضاء وذلك رغم الإرتقاء غير المنتظر والاختصاص غير الطبيعي في الاسلام اللذين يدعيان جعله ، في اعين السلطة المدنية ، نداً للبطريرك الماروني . فوجد نفسه ناطقاً رسمياً باسم الطائفة الاسلامية . يطالب بصوت عال بما يهمس به الزعماء السياسيون في اذنه ولو من دون ان يعتبروه زعيماً لهم » .

تكشف هذه الفقرة عن مدى خطورة المشروع الماروني ،فالصليبيون لا يريدون ان يبقى في لبنان شيء يمت الى الاسلام بصلة ولو بالاسم لأنهم لا يريدون « دولة ثنائية الرأس » ، انما يريدون دولة مارونية صليبية لا يوجد فيها مسلم واحد .

في المأساة الهزلية لعام ١٩٤٣ :

يدعي الموارنة انه في الوقت الذي « كان المسيحيون قد منعوا من طلب المساعدة من القوى الأجنبية ، فان المسلمين استمروا في التحضير لقيام الوطن العربي (المسلم) الكبير . . ويمكن القول أن مهد الاستقلال كان عهد الثأر الاسلامي وتضيف المذكرة :

وكان يمكن للبنان الا يجد غضاضة في كل ذلك لولا هذا الإتجاه الى السيطرة ولولا هذه الإرادة والعناد في جعل الدولة اسلامية تحت ذريعة تعريبها .

ويكفي التذكير بالاصرار العنيد من قبل الزعماء المسلمين على الصاق صفة « عربي » رسمياً باسم لبنان للتأكد من نوايا التوسع الاسلامية لهؤلاء الزعماء ورغبتهم في تحويل لبنان الى مثيل « لأشقائه العرب » ومحو كل علاقة مميزة تعطيه مركزاً متميزاً على الصعيد الاجتماعي والسياسي والأدبي والفني . . . وأكثر فأكثر تتحول المطالبات الطائفية (الاسلامية) الضاغطة والوقحة ، عاملاً يعرقل مسيرة الدولة . ويصبح كل هم الحكام قسمة المغانم » .

ثم يصبون جام غضبهم على الفلسطينيين خوفاً من « اسلمة لبنان » :

« فلنتناول واحدة من تلك النتائج . تلك التي تخص اللاجئين الفلسطينيين والتي هي في اعتقادنا اساس مصائبنا . . .

لقد دفع المسلمون ، المدعمون بحوالي ٤٠٠ ألف فلسطيني . . .

دفعوا التناقض الاسلامي ، المسيحي الى الذروة . وها هي المطالبات تتتالى وتتحدد اكثر فأكثر متصاعدة نحو الهدف الحقيقي « اسلمة » لبنان . . . ذي الحضارة الانسانية والوجه المسيحي الذي لا تزال ملامحه ظاهرة حتى الآن رغم كل التشويهات والأخاديد . . . وها هي السلسلة المتواصلة من التنازلات والتراجعات ، والتخليات الرامية الى محو او على الأقل اخفاء ، كل أثر مسيحي في هذا البلد المسكين عبر استكمال عملية تعريبه الكاملة أي اسلمته » .

الفصل الأخير من المذكرة : في طريق الخلاص :

في هذا الفصل يتوجه الموارنة الى حليفتهم فرنسا بطلب الدعم والمساندة لانتزاع لبنان من الوطن الاسلامي :

« فان المسيحين يرفضون كل فكرة تقول بالتعايش السلمي ضمن دولة اسلامية .

وحتى يكون الأمر كذلك ، فان لبنان يطلب الى العالم تفهم قضيته تفهماً صحيحاً ، صادقاً وخالياً من الأفكار المسبقة ، وتقديم الدعم في سبيل حلها ، بصورة فعالة ، ومتحررة من كل شرط مسبق ، ومنزهة عن كل مصلحة شخصية .

ان لبنان يناشد القوى الروحية والمعنوية في العالم وعلى رأسها الكرسي الرسولي ، والقوى الضامنة للحق والحرية ، ومثقفي العالم وفلاسفته ، وشعرائه ، وعلمائه ، وفنانيه ، الا يسمحوا بانطفاء الشلعة الأصلية التي أنارت مهد الحضارة البشرية على الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط ، بواسطة اللهب الحارق الأتي من الصحراء . الا يسمحوا بان تغرق في بحر البترول ، تلك الجزيرة الفردوسية التي هي الملجأ الوحيد في الشرق بأسره ، حيث يعيش الإنسان ويتنفس ويتحرك . . .

ان اللبنانيين (الموارنة) ليسوا اذن ضحايا بائسين يبحثون عن طعام أو كساء . انهم رجال أحرار ، وفخورون بأنفسهم ، محبون للسلام بطبعهم وثقافتهم الدينية والانسانية ، لكنهم مضطرون لحمل السلاح دفاعاً عن استقلالهم في وجه الغازي الذي يهدد حريتهم كمسيحيين ، وكرامتهم كبشر ، (اليوم كما في القرن الخامس والثامن والرابع عشر) .

فيا أقوياء هذه الأرض ، ازاء هذه الزوبعة الهمجية المسيطرة على لبنان بأكمله ، وحيث يذبح المسيحيون بالآلاف ويجري اجتياح المدارس والأديرة ، ويخنق الرهبان في صوامعهم ، وتستباح الكنائس بالعشرات وتنظم الغارات على القرى المارونية والكاثوليكية والارثوذكسية ... قفوا أمام هذه الإبادة الجماعية . . .

واعملوا دونما اي تفريط بمصالحكم الاساسية في العالم العربي من اجل حقنا في حرية ابن الله وفي كرامتنا كبشر أحرار .

ساعدونا بدعمكم المعنوي وقوتكم المادية للتوصل الى المخرج الوحيد الممكن لأزمتنا ، عند الضرورة .

المخرج الوحيد ؟

لقد اكدناه أعلاه :

عند ما يستشري وباء الريبة المتبادلة بين اعضاء جماعة معينة يجب حل هذه الجماعة . وعندما تفتك « الغرغرينا » بعضو من الأعضاء فالعلاج الوحيد الذي ينقذ حياة المريض هو البتر ، وعندما يستحيل التعايش بين زوجين ، ولو كانا كاثوليكيين ، فالحل الوحيد هو انفصال الأجساد .

ان المخرج الوحيد الممكن هو العودة الى صيغة لبنان القديم المستقل ، الحيادي ، بضمانة الدول الكبرى . (والمقصود هو لبنان في ظل نظام المتصرفية) عندما يخسر صور وصيدا وطرابلس وجزءاً من

البقاع وعكار ، وكلها مناطق تحتلها الآن زمر الغزاة المسلحة ، انحسرت عنها السيادة اللبنانية فعلياً ، فان لبنان الانساني سيربح كثيراً من حيث الكرامة والاستقلال الثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، ولكن ربحه الأكبر هو الحرية في تحركاته الدولية . . .

هل نتجاوز الحد اذا طالبنا اقوياء هذا العالم ، وجميع الذين لازالوا يؤمنون بقيمة الانسان ، ان يرفعوا من مستوى مثلهم العليا باسم الأمم المتحدة ، على ضمان لبنان « كملجأ دولي » حيث يمكن لبعض النماذج النادرة والغريبة من بقايا الكنائس الشرقية التي هربت من الأدغال الأسيوية ان تعيش بسلام وحرية وكرامة بمنأى عن الصيادين الأشد همجية ؟ » .

الحل من منظور الكتائب

قدم حزب الكتائب الى ما سمي بـ « الجبهة اللبنانية » الصليبية وثيقة جاء فيها : [١٦]

مشكلة لبنان هي نفسها مشكلة الأقليات في الشرق . . . فالأكثرية الإسلامية بحكم طبيعتها كأكثرية أولاً ، ثم كأكثرية اسلامية ثانياً ، طاغية سواء كان ذلك بارادتها او بغير ارادتها لذلك فهي (الأكثرية الاسلامية) خطر دائم على لبنان ، وبالتالي على الوجود المسيحي فيه بوجه عام » .

وبالنسبة للحل المطروح فقد اعتبر حزب الكتائب انه « اذا أصبح النظام والحكم اسلاميين فلا يعود من مبرر لوجود هذا الوطن » . ذلك ان الأداة الفضلى برأيه هي « التي تعطي الحضور المسيحي في لبنان المناعة التي تمكنه اكثر فأكثر من مقاومة الطغيان الأكثري والمحافظة على التوازن في ميزان القوى » .

« والمناعة هذه على انواع :

- فهي في العدد وكثافته .

- وهي في مدى انتشار المسيحيين على أرض لبنان وإشغالهم لهذه الأرض .

- وهي في الانسان المتفوق على غير غطرسة أو عداء » .

وبمعنى أوضح فان حزب الكتائب يرى في تقتيل المسلمين وتهجيرهم حلاً معقولاً لأن هذا الحل يزيد في عدد الموارنة ويوسع مدى انتشارهم على ارض لبنان « وإشغالهم لهذه الأرض » .

وقد تشاءمت الوثيقة من فكرة التقسيم ذلك لأن المطلوب هو لبنان كله . جاء في البيان :

« التقسيم أولاً لا يبدل من طبيعة الطغيان الأكثري في المنطقة أو يحد منه . بل على العكس من ذلك ، يزيده وينشطه ، ويمكنه من الإستيلاء على نصف لبنان ، أو على بعضه ، فاذا هو في مقر الدار بدلاً من ان يكون على الأطراف . .

وبالمقابل ، التقسيم يعني انكفاء وتراجع من قبل الحضور المسيحي الى مواقع دفاعية اقل مناعة واكثر منالاً ، سياسياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً وأمنياً ، مع ما يستتبع ذلك من تقلص في قدراته هذه المحدودة في السكان والعدد وفي الامكانيات الطبيعية والانسانية بوجه عام » .

واعتبرت الوثيقة أن اللامركزية او الفدرالية هي « بلا ريب أفضل الصيغ » وأنها « صيغة مثلى » غير أنها « تؤدي الى اضعاف الحضور المسيحي بدلاً من تعزيزه وتنمية قدراته » .

يقول الكتائب : « يجب ان تأخذ خطة حماية لبنان من الطغيان الأكثري في المنطقة (الأكثرية الاسلامية) ، وبالتالي حماية الوجود المسيحي فيه ، اتجاهاً آخر يهدف الى بسط سيطرة المؤمنين بلبنان مجتمعاً حضارياً منفتحاً متميزاً (المقصود الموارنة وحلفاؤهم) على اكبر رقعة من أراضيه والأفضل على كل أراضيه ، فتمر هذه الخطة بالمراحل التالية :

المرحلة الأولى : تأكيد السيطرة على المناطق الموصوفة بالمناطق الحرة وتعزيزها وتنميتها باستمرار . .

المرحلة الثانية : الانطلاق نحو المناطق الأخرى بعد إحياء الوجود المسيحي فيها ، ثم تعزيز الوجود وتنميته ايضاً باستمرار وتوسيع رقعته الى أقصى الحدود . .

المرحلة الثالثة والأخيرة : قيام الدولة الديمقراطية الحقيقية (الدولة المارونية) على أرضية ثابتة، وقدرة دفاعية ذاتية أكيدة ، تجعل لبنان اكثر قوة ومناعة في مقاومة الطغيان الأكثري الملازم لطبيعة هذه المنطقة » .

كلام واضح وصريح يدعو الى الاحتفاظ « بالمناطق الحرة » أي المناطق التي تشرد منها المسلمون تمهيداً للانطلاق نحو مناطق أخرى وإخضاعها بنفس الطريقة ومن ثم قيام الدولة المارونية « النقية من العنصر الاسلامي » .

ولهذا يوحي الحزب بوضع « استراتيجية عامة » لتنفيذ هذه البنود. تقول الوثيقة : « تنفيذاً لهذه الخطة ، ينبغي وضع استراتيجية عامة تحدد وسائل تحقيق هذه المراحل ، وتؤمن الوصول الى الهدف النهائي في اقصر فترة زمنية ممكنة .

تعتبر الاستراتيجية المذكورة بمثابة عهد أو ميثاق يلتزم به المؤمنون بلبنان (الموارنة) وطناً نهائياً ، ويدخل في برامج أحزابهم وهيئاتهم وتنظيماتهم كلها .

وبانتظار وضع هذه الاستراتيجية واقرارها وتوضيحاً لبعض المرحلة وتسهيلاً كذلك لجهة الذين سيرسمونها نقترح ما يلي :

أ ـ الإكتفاء مرحلياً بنوع من اللامركزية الادارية في اطار النظام السياسي الراهن ، بعد تعزيز الضمانات والصلاحيات المعطاة فيه

للمسيحيين ، وفي هذا الاطار يعهد الى لجنة متخصصة في العلم الدستوري تضع في أقرب وقت مستطاع مشروعاً بالتعديلات الدستورية اللازمة والملائمة ، يكون بعد الموافقة عليه من قبل الجبهة ، اساساً للحوار والاتفاق المرحلي مع الفريق الآخر . .

ب ـ العمل على إعطاء اللامركزية الادارية مضموناً يحقق ويؤمن بصورة رئيسية الأغراض التالية :

ـ منع قيام تجمعات سكنية غريبة جديدة في المناطق الحرة مثل (الكرنتينا) سابقاً (وتل الزعتر) وسواها » .

ـ تنمية اقتصادية وتربوية ـ ثقافية ومتواصلة ومتفوقة بما يكفل لهذه المناطق (الحرة) قدراً معيناً من الإكتفاء والاعتماد على الذات .

ـ مهر المناطق المذكورة من التجهيزات الأساسية (لضمان) تحررها من الإرتهان للمناطق الأخرى في مجالات الطاقة والمواصلات على أنواعها في الداخل ومع الخارج . . » . انتهت الوثيقة ـ .

اذن فعودة المهجرين أرجئت الى ما لا نهاية لأن مناطقهم اصبحت بزعم الكتائب مناطق حرة ينبغي الاحتفاظ بها .

بعد ان سيطر الصليبيون على اماكن تواجد المسلمين في بيروت الشرقية وأجزاء واسعة من مناطق لبنان . وبعد المجازر الدموية التي ذهب ضحيتها أربعون ألف مسلم ومائة الف جريح وخمسة آلاف مشوه ونصف مليون مهجر . وبعد الخسائر المادية التي قدرت بـ ١١ مليار ليرة لبنانية . . . وانقضاء المرحلة الأولى من الحملة الصليبية الطويلة والتي انتهت بتعيين الياس سركيس حاكماً على المسلمين . . .

بعد هذا كله عقد الملوك والحكام العرب مؤتمراً في الرياض في شهر ذي القعدة ١٣٩٦ هـ - أواسط تشرين الثاني ١٩٧٦ م وقرروا إنهاء ما أسموه بـ « الحرب الأهلية في لبنان » .

في الواقع ان الموارنة كثيراً يستقوون بالعروش العربية وقد كان بالإمكان تحويل الهزيمة التي مني بها الموارنة في بداية عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م الى هزيمة نهائية تقضي على مشاريعهم وأحلامهم فيما لو شاءت الأنظمة العربية ذلك . ولكن انى لنا هذا ، وفي كل مرة يجتمع وجهاء قريش ويصممون على قتل الأمين الجالس في غارقم لإنقاذ جاهليتهم من السقوط ، فيما سفن (الروم) تمخر عباب الماء على شواطىء لبنان وتحاصر بيروت وصيدا وصور ، لأن الصليبية ظلت ناشطة منذ القرون الأولى ، وهي لا تنتهي ومسلسلها طويل ، تضرب ذات اليمين وذات الشمال كالأخطبوط الذي له عدة أرجل .

ومنذ العام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م امتلأت دراسات الكسليك بالدس على الاسلام والمسلمين بل وعلى نبيهم محمد (ص) في حين ان ايمان المسلم لا يكتمل إلا بعد الإيمان بالرسل الكرام عليهم السلام جميعاً . فقد جاء في احدى نشرات « القضية اللبنانية » ان معظم زوجات النبي وفرها له أصحابه أيام الغزو ، وان عزاء الشهيد المسلم في الجنة هو في متعته الكبرى وما ترغب شهوته من نساء الحور العين .

وتضيف النشرة : « ان تفصيل انواع الزواج الشائع عند المسلمين في تراثهم الحضاري الاجتماعي لا يخفى على أحد،« كل فنون التهتك والمجون سبق بها الاسلام دول اسكندنافيا بأكثر من ١٣٠٠ سنة سواء على صعيد الخلفاء ، أو على صعيد العامة من كتاب وشعراء ومجتهدين ومؤمنين ».وأخيراً انتهت الدراسة الى ان لبنان أمانة تاريخية وحضارية في عنق الموارنة وليس في عنق المسلمين الذين يفتقرون الى لمعة ضمير » (١٧) .

ان جامعة الكسليك وضعت العصبية العمياء فوق كل القيم ، ومنها خرجت فكرة التعددية والكونفدرالية والحضارات وتوزعت في كراريس صغيرة عليها طابع التبشير العقائدي للمؤمنين بالمشروع الماروني وبلبنان الماروني .

ان عمليات الدس ونفث الحقد وانماء العنصرية التي قام بها مفكرو النصارى والموارنة اكثر من ان تحصى . فالنائب ادوار حنين امين عام الجبهة الصليبية والذي كان يقول بأهمية الوفاق اللبناني لم يجد حرجاً في ان تكون بكركي فاتيكان الشرق وذلك لإضفاء الطابع الماروني على لبنان ، وقد بنى « قصراً » للثقافة أعلن به قيام الانقسام الثقافي بشكل نهائي داخل لبنان متسلماً المشعل من « الندوة اللبنانية » التي كانت ايام لبنان الواحد مركز نشاط مثقفي الأقلية المارونية الا ان الحياء الوطني كان يلجم الندوة عن تبني فكرة المشروع الماروني علناً .

كما ان الأب بولس نعمان رئيس الرهبنة المارونية يرى انه لولا الموارنة لما كان لبنان . كذلك فان من يطلع على كتابات وليد فارس وأمين ناجي وطوني مفرج يدرك حقيقة الاتجاهات الصليبية ضد المسلمين .

محاضرة بطرس ضو

بتاريخ ٢١ صفر ١٣٩٧ هـ ـ ٨ شباط ١٩٧٧ م ألقى بطرس ضو محاضرة مطولة بمناسبة « عيد مار مارون » ضمنها تحريضاً مكشوفاً على المسلمين وقد تخللها الكثير من الدجل والكذب والإفتراء وطمس الوقائع [١٨] .

يرى « الاب بطرس ضو » ضرورة قيام الوطن القومي الماروني المستقل عن العرب والمسلمين ، وانه من خلال المقارنة بين مختلف العهود التي اختبرها الموارنة طوال ١٣٠٠ سنة يتضح ان عهد الوطن القومي الماروني المستقل عن الدول الاسلامية عربية كانت أو غير عربية هو العهد الذهبي الأمثل . ويضيف انه من الضروري التمسك بسياسة الكنيسة المارونية القائمة على بقاء لبنان ذي الرأس المسيحي والأسس المسيحية ، وذلك ليس من أجل الحقوق والحريات والكرامة الانسانية ، ولكن من أجل الوجود المسيحي ذاته والرسالة المسيحية « فلبنان بنظامه المشار اليه حصن وملجأ المسيحية في الشرق وبانهيار نظامه تنهار المسيحية ذاتها » .

وبعد ان تحدث عن المردة وأثنى على « عهد الأميرين اللذين كانا

مارونيين أي فخر الدين وبشير الثاني » (*) ، دعا الموارنة الى التمسك برئاسة الجمهورية واعتبرها « ضمانة وطنية لاستقلال لبنان ضد طغيان الأكثرية » وأضاف « ان اختصاص الرئاسة الأولى بالموارنة له طابع وطني لا طائفي وغايته تعزيز استقلال لبنان وديمومة هذا الاستقلال » .

وادعى انه « ليس من الحكمة والمسؤولية التخلي عن الضمانات » التي بيده ليلقي بنفسه وبالشعب الموكول اليه « والتراث والرسالة في خضم المجهول ، تحت رحمة السيف الإسلامي » .

ثم أوصى الموارنة بالتمسك بما لديهم « من ضمانات والعمل على الاستزادة منها على صعيد القوة الذاتية والعلاقات العربية والدولية » .

ونبه قومه أنه « لا يجب التراخي على الإطلاق » مع جماهير المسلمين الذين يكن لهم بطرس ضو ورفاقه مزيداً من الحقد والكراهية بل يجب « الصمود أمام هذا الرمل المتحرك ، والتمسك بالميثاق هو الحل الحكيم الأوحد ، والتزحزح هو الخطأ ، لأنك اذا أعطيت المسلمين اليوم شبراً يطالبون غداً بمتر » .

وقال « يجب ان يكون الهدف مع التمسك بالرئاسة ـ كحق للموارنة ـ العمل الحثيث على لبننة الفريق العروبي غير المؤمن بلبنان » وذلك عن طريق « تربية العقيدة اللبنانية في النشء والشبيبة خاصة » في المدارس الخاصة . وفي المجال الثقافي دعا لإحياء ما سماه بـ « الآداب اللبنانية والفلسفة اللبنانية والفنون وسائر فروع الحضارة . . وتدريس الآداب اللبنانية والفلسفة وما يليها مستقلة في المدارس المارونية » عن الآداب والفلسفة الاسلامية والعربية .

(*) لقد استقينا من هذه المحاضرة بعض الشواهد في حديثنا عن المردة ومارونية الرئاسة الأولى وغيرها .

وأشار الى ضرورة كسب الرأي العام الدولي والعالمي بطرق عدة منها : « الصداقة بين موارنة لبنان والدول الكبرى خاصة فرنسا والولايات المتحدة صداقة راسخة الجذور » .

اما مع الولايات المتحدة فصداقتهم متينة خاصة بسبب المهاجرين من الموارنة ودعا الى تكوين اداة فعالة من هؤلاء المغتربين « لترسيخ هذه الصداقة بتمتين الروابط بينهم وبين الوطن الأم وتنظيمها » .

« وما ينطبق على دور المهاجرين الموارنة في الولايات المتحدة من حيث تمكين الصداقة مع هذه الدولة ينطبق على المهاجرين في كل أقطار العالم وخاصة في الدول اللاتينية الأمريكية » .

ونوه بإهمية بناء القوة الذاتية العسكرية قائلاً : « انه لا يجب في هذا الموضوع ان نهمل الدفاع عن أنفسنا بسبب الإتكال على الحماية الأجنبية ، التاريخ يثبت ذلك بصورة قاطعة . وفي الأحداث الأخيرة لو لم نصمد ونحسن الدفاع عن أنفسنا لما كان تحرك العالم العربي لصالحنا في مؤتمر الرياض والقاهرة » .

وزعم أن« سوريا والعراق ومصر وآسيا الصغرى كانت كلها مسيحية وكانت المسيحية فيها على غاية الإزدهار . ولكن لأن هذه الشعوب لم تحسن الدفاع عن نفسها واتكلت في ذلك على الدولة البيزنطية فإنها انهارت حالاً أمام الإجتياح الاسلامي وانقرضت المسيحية والمسيحيون فيها مع أنها مهد المسيحية » .

« ولحيازة قوة عسكرية ذاتية تمكننا من الاحتفاظ باستقلالنا وحقوقنا وكرامتنا يجب العودة الى شعار الآباء والجدود في عهد المردة والوطن الماروني . وهذا الشعار هو كل ماروني جندي » وأضاف « كان كل

ماروني من سن الخامسة عشرة حتى يبلغ السبعين من العمر جندياً مدرباً مثل أحسن جندي في الجيوش الأوروبية » .

« وبالإضافة الى التدريب البشري ، يجب وضع خطة شاملة او استراتيجية كاملة تشمل الجيل اللبناني الماروني كله بشبكة من التحصينات والتجهيزات العسكرية ، كما كانت الحال ايضاً ، في عهد الوطن الماروني المستقل . من النادر أن تجد قرية مارونية ليس فيها محل يدعى الحصن أو القلعة أو البرج . الكنائس والأديار كانت حصوناً تبنى بشكل قلاع فيها الاستحكامات والمرامي والجدران الضخمة والأبواب الحصينة . يجب أن يعود الجبل كله كأنه حصن واحد منيع مجهز بأحسن الوسائل الحربية ، هذا طبعاً يتطلب جهوداً وأحوالاً ولكنه ليس مستحيلاً نظراً لطاقات المقيمين والمغتربين والصداقات الدولية ، والتنفيذ يتم بموجب خطة طويلة المدى » .

« والاعتماد في ذلك على الجبهة والقوات اللبنانية (الصليبية) اذا توسعت بحيث تضم كل الموارنة وفقاً لشعار « كل ماروني جندي » . « وعلى الصعيد الدولي العالمي يجب ان تنصب جهود الكنيسة في الشرق عامة والكنيسة المارونية خاصة ، على ان يبقى لبنان معقل الديمقراطية والحرية والانسانية في هذه البقعة من العالم ببقاء نظامه ذي الرأس المسيحي وذي الأسس المسيحية وذلك صيانة لا للحقوق والحريات والكرامة الانسانية فحسب ، ولكن للوجود المسيحي ذاته والرسالة المسيحية . فلبنان بنظامه المشار اليه حصن وملجأ المسيحية في الشرق وبانهيار نظامه تنهار المسيحية ذاتها .

وكانت الكنيسة المارونية ولا تزال بنظر العالم الحر (الدول الصليبية) تعتبر المركز الرئيسي والدعامة الكبرى للبنان ومن ثم للديمقراطية والحرية في هذا المقلب من العالم .

ولكن يجب ترميم نفوذ وعلاقات الكنيسة المارونية لدى الدول الغربية الكبرى ولا سيما فرنسا واميركا وغيرها ، ولدى المؤسسات الدولية الكبرى وخاصة الأمم المتحدة بإنشاء علاقات منظمة مع هذه الدول والمؤسسات سواء بالاتصال المباشر أو بواسطة الفاتيكان والكنائس المسيحية المنتشرة في العالم وخاصة فرنسا والولايات المتحدة وذلك عن طريق الصداقات الشخصية والبعثات والمراسلات وسائر أنواع الإتصال ، وسواء بواسطة المغتربين الموارنة والمسيحيين المخلصين للبنان .

ولا بد لأجل ذلك من ان تكون لدى الكنيسة المارونية خطة مدروسة تشمل السياسة الخارجية والداخلية ، وخطة متماسكة ومستمرة لا تزول وتتغير بزوال الأشخاص ، ولكن تبقى مستمرة وفاعلة في جوهرها مع ما يلزم من التطور والتكييف . ولدى الكنيسة المارونية من الوثائق والأرشيف ما يساعدها على وضع هذه الخطة الشاملة المتكاملة .

وللكنيسة المارونية في هذا الموضوع فضلاً عن وثائق أرشيفها واختباراتها على مدى العصور مجموعات المهاجرين الموارنة الذين يمكن الاستعانة بهم كقوة عالمية .

وعندما تكتمل هذه الخطة الشاملة المتكاملة البعيدة المدى مستقبلاً والمستوحاة من تراثنا الماروني اللبناني العميق الجذور ، يمكن عندئذ جمع الأسرة المارونية حول هذه الخطة المدروسة ورص الصفوف تحت رايتها ،وهذا دور فريد للكنيسة المارونية لايمكن لأية هيئة أخرى القيام به .

ومن الضروري أيضاً النهوض بالرسالة المارونية الى سابق ازدهارها ومجدها في الأزمان العابرة » .

الياس سركيس : وجه آخر للصليبية

من هو الياس سركيس ؟ .

كان الياس سركيس قاضياً في ديوان المحاسبة عندما كان فؤاد شهاب قائداً للجيش . وعندما أصبح هذا الأخير رئيساً للجمهورية عينه مديراً عاماً للرئاسة[١٩] ، وكلفه الاشراف على عمليات التطهير الواسعة فكان سركيس من ابرز المساهمين في هذه العمليات التي تمت في العهد الشهابي ، وكان له رأي أساسي في اختيار المديرين العامين للادارات والمؤسسات العامة والمصالح المستقلة في صفوف المثقفين واصحاب الاختصاص[٢٠] . قال عنه فؤاد شهاب « انه اكثر المدنيين عسكرة »[٢١] . وتحول في عهد شارل الحلو رمزاً لاستمرار النهج الشهابي .

ويقول بعض المطلعين على خفايا المرحلة ان فؤاد شهاب فكر في العام ١٩٦٤م بترشيح الياس سركيس لرئاسة الجمهورية بعد ما كان قد عزف عن تجديد ولايته . وكان يعتقد ان سركيس سيكون أفضل من شارل الحلو لأنه اكثر ضمانة منه في الحفاظ على استمرار النهج الشهابي وعندما رأى انه من الصعب عليه ذلك صمم على تقديم شارل الحلو . ومنذ ذلك الوقت بدأ سركيس يعد نفسه للرئاسة وكان اعتماده الأول على فؤاد شهاب .

في اواخر عهد شارل الحلو جدد جماعة النهج الشهابي مساعيهم لإعادة ترشيح فؤاد شهاب لكن هذا الأخير رأى انه بامكانه ان يعود للرئاسة عن طريق الياس سركيس غير أن سركيس فشل امام فرنجية عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م بفارق صوت واحد وكان يومذاك حاكماً للبنك المركزي الذي تسلمه في اواخر عهد شارل الحلو[٢٢] .

لم يشذ الياس سركيس عن بني قومه في ابراز « الذاتية اللبنانية » أو « القومية اللبنانية » و« التفوق الماروني » المزعوم .

وتميز عهده بعدم توحيد المؤسسات والادارات العامة بما في ذلك الوزارات .

كما رفض سركيس الأخذ بمبدأ توحيد الاعلام . فقد تجاهلت الدولة وضع موظفي الاعلام الذين يعملون في اجهزتها وفي الوقت نفسه يعملون في الأجهزة الصليبية للاعلام والتي سميت « غير الشرعية » وبصورة مكشوفة حتى ان البعض منهم كان يقدم البرامج الإنتقادية الى الدولة وأجهزتها . وبقيت مختلف الادارات الرسمية تحت وطأة اللامبالاة كما تفشت الرشوة في معظم الإدارات الرسمية لا سيما ادارات الخدمات . وفرضت « الجبهة اللبنانية » الصليبية وصايتها على الموظفين النصارى .

لقد أعطي الياس سركيس ما لم يعط أي رئيس قبله ورغم ذلك رفض توحيد البلاد والمؤسسات . وتعمد الابقاء على العناصر الصليبية التي شاركت في الحرب في صفوف الجيش واستبعاد العناصر المسلمة .

وشهد عهده ولادة دويلة سعد حداد والارتماء كلياً في القبضة الاسرائيلية .

ان السقوط في السلم الأميركي الاسرائيلي في عهد سركيس لم يكن بديلاً نهائياً عن التقسيم الذي روج له الموارنة اثناء الحرب بل هو

تجاوز للتقسيم الى ما هو أخطر . فالمشروع الانتحاري (التقسيم) كان يمهد للدخول في مستنقع الصلح مع العدو الاسرائيلي ، اما السقوط في السلم الأميركي الاسرائيلي فهو ثمرة من ثمار روح التقسيم ، التي كان يراد لها ان تكتسب صفة الشرعية بعد ان كانت تمارس خارج النطاق الشرعي .

ان سركيس وطد سلطة تحالف شمعون - الجميل بتنازلاته أمامهما وتنفيذه لرغباتهما وبعد أن ادت مواقفه التآمرية الى وجود دويلة سعد حداد . وبعد ان اشرف بنفسه على بناء جيش بسلاح وخلق امريكيين استعداداً لاستعماله مرة أخرى في قتل الشعب وحماية النظام .

عندما قال بيغن عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ان لديه ما يؤكد بأن دعوته الرئيس سركيس للاجتماع به لم تقابل بالسلبية تماماً من المسؤول الأول في لبنان ، فان ذلك يجب الا يؤخذ على أنه مجرد مناورة . لقد كانت الخطة تقتضي وجود حكومة أو نهج حكومي غير معاد لهذا الإتجاه اذا لم يكن موالياً له ثم تأمين وصول الموافقين على هذا الاتجاه الى السلطة .

وقد تم ذلك فعلاً وحكمت « الكتائب » فيما بعد بصورة مباشرة . لقد أراد الاستكبار العالمي أن يكون لبنان هو البلد المسلم الثاني الذي يقيم صلحاً مع اسرائيل فعمد الى نقل الروح الانفصالية التي يقودها سعد حداد في الجنوب الى السلطة المركزية ذاتها ووافق الياس سركيس على هذا المخطط على أمل الاحتفاظ بسلطته الشكلية .

ان خطة سعد حداد كانت خطة الدولة ذاتها . انها الانتصار الكبير الذي كان يحلم به ابطال الصليبية الجديدة .

ان بروز سعد حداد في الجنوب كميليشيا منشقة عن « الجيش

اللبناني » ولا تأتمر بأوامر السلطة الشرعية هو كذب ودجل غايته تحقيق المشروع الماروني بأدهى الطرق وأخبثها .

وكان الياس سركيس كجميع الرؤساء الذين سبقوه وتبعوه شديد العداء للمسلمين وفي حديث له أعرب عن تخوف الموارنة من « العروبة » لا خوفاً من العروبة بحد ذاتها ذلك ان جميع الحكام العرب هم في خدمة المشروع الماروني انما « السبب هو ان العروبة اصبحت مرادفة للاسلام » كما قال سركيس (٢٣) .

وكان على الدوام سنداً قوياً لبشير الجميل في احلامه وطموحاته ومما قاله في حديث له مع كريم بقرادوني (عضو المكتب السياسي الكتائبي) في ٢٧ ذي القعدة ١٣٩٩ هـ - ١٧ تشرين الأول ١٩٧٩ م « اشعر بتعاطف كبير مع بشير ، وأكن له في قراره نفسي بعض الاعجاب »(٢٤)ومما يؤسف له ان « القيادات المسؤولة » والتي كان يفترض فيها أن تكون على بينة من أمرها شاركت في تضليل الناس وبقيت طوال ست سنوات تعمل في سبيل نصرة « الشرعية » المارونية معتبرة ان « الشرعية ممثلة برئيس الجمهورية » و« ان الياس سركيس هو رمز وحدة هذا الوطن » .

اول دعوة لإقامة الجمهورية الإسلامية

منذ عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م وفي الوقت الذي كان فيه قادة الميليشيات يدعون لتأييد النظام الماروني ويترددون على قصر بعبدا حاملين لواء الشرعية المارونية من أجل تجيير الحالة الثورية الأصيلة السائدة في أوساط المسلمين لمصلحة المخططات الصليبية القذرة ، ووقع القسم الأكبر من الشبان المسلمين في فخ الأطر التنظيمية الضيقة حيث كان المعيار في التفاضل هو الإنصياع لهذا « المسؤول » أو ذاك كانت أقلية قليلة ملتزمة بالعمل الإسلامي الهادف على قاعدة « ولا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله » لم تقع في أسر التنظيمات ولم تتسمك بأسماء محددة ولم تنظر يوماً بعين ضيقة الى العمل الإسلامي بل جعلت نصب عينها إقامة حكم إسلامي طبقاً لمبدأ ولاية الفقيه . وكانت هذه الفئة تستخدم أسماء آنية لخطوات معينة ففي فترة كانت تطلق الدعوات بتوقيع « رجال الدين المناضلون في لبنان » واستمر العمل تحت هذا الإسم مدة طويلة عرفته الأوساط الاسلامية والإعلامية وبعد مدة انتخبت اسم « علماء الدين المناضلون في لبنان » وقامت في ظل هذا الاسم بنشاطات كثيفة ومركزة لفضح حقيقة النظام الماروني والمرتبطين به وكذلك توعية المسلمين الذين ضللتهم الثقافة المارونية المستوردة والتي

جعلت القبول بالتسلط الماروني على المسلمين بديهياً لا يقبل النقاش . ودعت الى محاربة النهج العميل الذي أشار على المسلمين ان يتمسكوا بسركيس الدمية حماية لأنفسهم من ضربة التحالف الشمعوني الكتائبي الإسرائيلي في حين كان يعمل اولئك وبالتنسيق معه لاستلام السلطة بكاملها وفرض هيمنتهم على كل لبنان . وكان السيد صادق الموسوي رائد هذا العمل الذي شكل نواة الحركة الاسلامية في لبنان .

جاء في بيان للسيد صادق الموسوي في ٢٨ رجب ١٣٩٨ هـ - ٤ حزيران ١٩٧٨ م :

« واليوم في لبنان يعملون كل شيء من أجل الحفاظ على سلطتهم وبالنتيجة هيمنتهم على المسلمين ، ويخرج أشخاص من بين المسلمين نالوا المناصب بفضلهم يدعون الناس الى الالتفاف حول شرعيتهم والخضوع لسلطانهم والاستسلام لارادتهم . . . متغافلين عن أن الإسلام يرفض استسلام المؤمن للكافر وهيمنة اعداء دينه على عباده .

وعلى المسلمين ان يحافظوا على يقظتهم ولا ينخدعوا بهذه الدعوات المخالفة لأوامر الله في القرآن الكريم من اية جهة او شخص أتت فلا يكونوا أبواقاً لأعداء دينهم وكرامتهم وان يفضلوا رضى الخالق على سخط المخلوق » .

وكانت هذه الحركة على صلة وثيقة بقادة الثورة الإسلامية في ايران وتنبأت بنجاحها ولم تخطىء فيها الحساب في وقت كان الكثيرون يعتقدون عكس ذلك . وقامت بنشر وترجمة البيانات والنداءات العديدة التي كان يصدرها الامام الخميني من العراق ثم من باريس،ودعت المسلمين في لبنان الى السير على خطى اخوانهم في ايران وبأن يضعوا « جانباً كل الخلافات التي تزرعها أيادي التحالف الصليبي - الصهيوني في صفوف المسلمين لاستنزاف طاقتهم الجبارة » وذلك « بتعميق

الخلافات وتأجيج نار الحرب بين ابناء الدين الواحد والرب الواحد والكتاب الواحد » .

وكانت هذه الحركة ومنذ انطلاقتها واضحة في أهدافها وخطواتها ، وأكدت « ان لبنان بلد اسلامي حرره اجدادنا المسلمون بدمائهم الزكية ولكن تآمر العملاء جعل هذا البلد تحت حكم أقلية مارونية مرتبطة بالمستعمرين الأوروبيين والأمريكان » ، ونهت في بياناتها عن تأييد « الأقلية المارونية التي تحتكر كل السلطة لنفسها ولا تقبل بين صفوفها من المسلمين إلا من استسلم لارادتها وتخلى عن دينه والمسلمين » ، وأعلنت ان « السلطة التي لا يعطيها الاسلام الشرعية هي غير شرعية » وان « سلطة الكفر على المسلمين لا يوافق عليها الإسلام » .

وجاء في بيان للسيد صادق الموسوي « اذا كان الاسلام لم يرض بنظام الشاه المتواطىء مع الكيان الصهيوني ، واذا كان ظلم نظام الشاه دفع اخواننا في ايران ليهبوا للاطاحة به فنظام لبنان ليس بأحسن حال منه ، واذا كان الشاه برفضه تنفيذ احكام الله مستحقاً لثورة الشعب المسلم ضده فها هو نظام سركيس يتجاهل الاسلام والوجود الاسلامي في البلد ويهضم حقوق المسلمين » .

ودعا البيان الى اتباع « الشدة على الكفار » والحفاظ على الوحدة وإقامة « حكم الله الذي حرم القرآن القبول بغيره » ثم دعا الى « الكفاح لتحرير لبنان من سلطة الكافرين الخائنين ولبناء دولة العدل والاسلام على اشلاء نظام الظلم والعمالة والكفر » .

هذا وفي الوقت الذي كان الآخرون يترددون على « قصر الشرعية » في بعبدا ويتزودون بتوجيهات الياس سركيس ويتشرفون بمقابلة سفراء أميركا في لبنان ويعملون جاهدين لتكريس الأوهام الباطلة التي كرسها النظام الماروني في أذهان الشعب ليسهل السيطرة عليه ويمنعه من العمل

للتخلص من أسرها . أعلن المجاهدون الرساليون عن هدفهم الصريح والواضح وهو إقامة الجمهورية الاسلامية في لبنان ودعوا المسلمين بواسطة البيانات والنداءات المتكررة للعمل من أجل تحقيق هذا الهدف المقدس . وفيما يلي صورة طبق الأصل لبيان صادر عن اتباع الاسلام وطلاب الجمهورية الاسلامية :

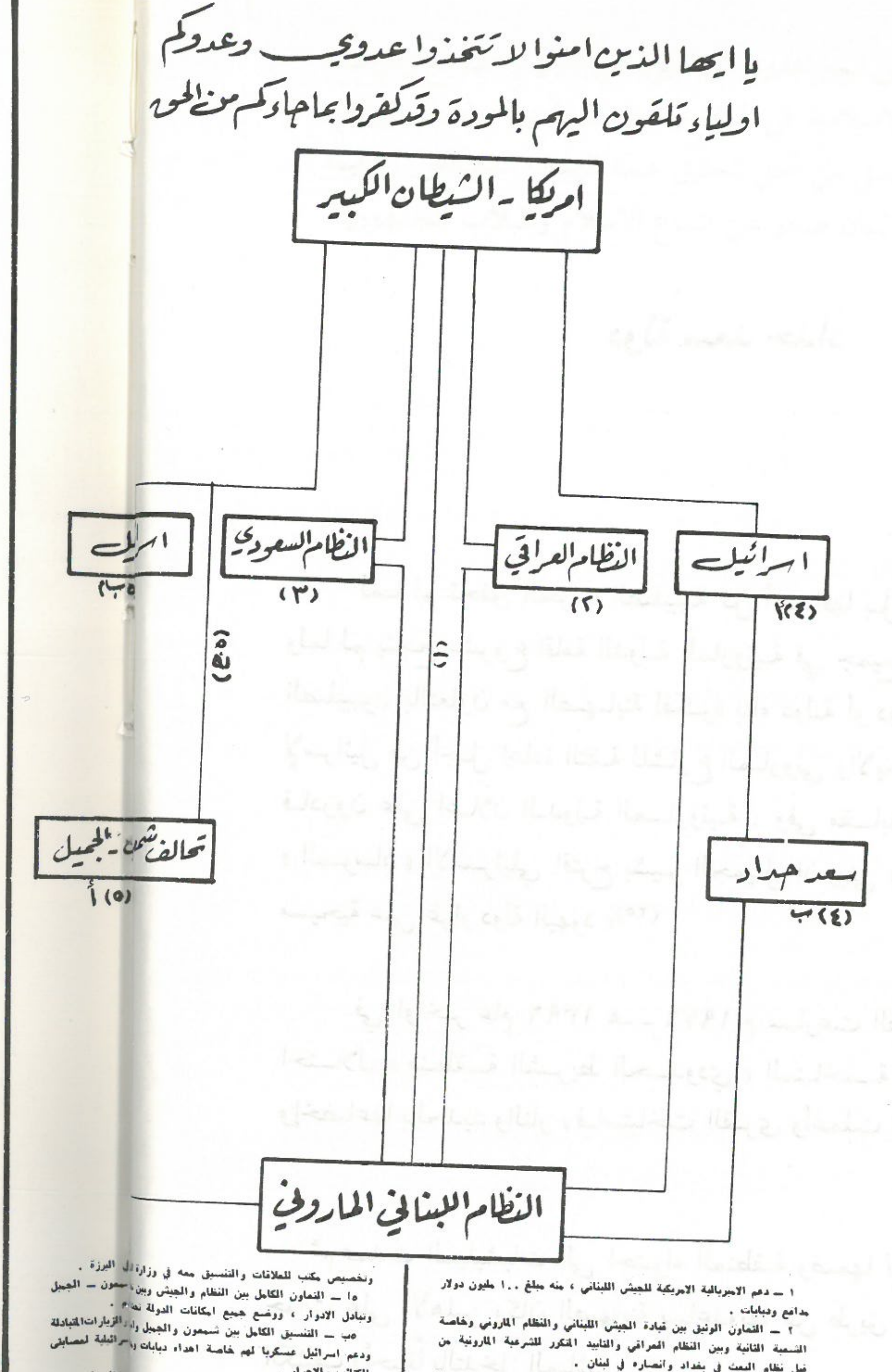
دولة سعد حداد

لما لم تحقق الحرب الصليبية كل أهدافها بل حققت جزءاً منها ولما لم ينجح مشروع اقامة الدولة المارونية في جميع انحاء لبنان ، عاد الصليبيون بالتعاون مع الصهاينة لفكرة بناء دولة أو دويلة مارونية مجاورة لإسرائيل من أجل اعادة الثقة للشارع الماروني والايحاء لأصحابه بأنهم قادرون على اعلان الدولة المارونية . وفي مقابلة مع احد رجال « الموساد » الاسرئيلي اقترح بشير الجميل ان يبني في الجنوب « دولة مسيحية على غرار دولة اليهود »[٢٥] .

في اواخر عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م سارعت القوات الصليبية الى احتلال « منطقة الشريط الحدودي » المتاخمة لفلسطين المحتلة وإخضاعها بالحديد والنار ،فاستباحت القرى وأعملت فيها القتل والنهب

ثم عمدت الميليشيات الى احتواء المنطقة وضمها لإسرائيل وفرضت خوات على الأهلين وكان الصهاينة يساعدونها عن طريق القصف المدفعي الكثيف وأحياناً بالتدخل المباشر .

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق



١ ـ دعم الامبريالية الامريكية للجيش اللبناني ، منه مبلغ ١٠٠ مليون دولار مدافع ودبابات .

٢ ـ التعاون الوثيق بين قيادة الجيش اللبناني والنظام الماروني وخاصة الشعبة الثانية وبين النظام العراقي والتاييد المتكرر للشرعية المارونية من قبل نظام البعث في بغداد وانصاره في لبنان .

٣ ـ دعم النظام السعودي القوي ماديا وسياسيا للنظام الماروني والشرعية وتقديم عشرات الملايين من الدولارات مساعدة للسلطة والاطراف المساندة لها .

٤أ ـ تعاون الجيش والنظام اللبنانيين مع الكيان الصهيوني والسكوت عن اعتداءاتها الوحشية وعدم ايجاد مقومات الصمود في الجنوب بالاضافة الى العلاقات الاخرى السرية .

٤ب ـ التعاون الوثيق بين النظام والجيش اللبنانيين وبين سعد حداد وتخصيص مكتب للعلاقات والتنسيق معه في وزارة الدفاع في اليرزة .

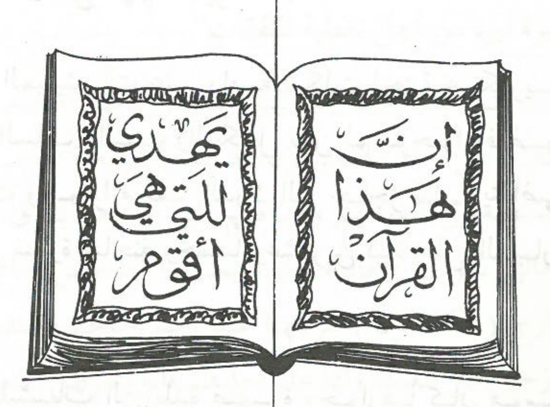
٥أ ـ التعاون الكامل بين النظام والجيش وبين شمعون ـ الجميل وتبادل الادوار ، ووضع جميع امكانات الدولة تحت تصرفهم .

٥ب ـ التنسيق الكامل بين شمعون والجميل وامراء الزيارات المتبادلة ودعم اسرائيل عسكريا لهم خاصة اهداء دبابات واسرائيلية لعصابتي الكتائب والاحرار .

٥ج ـ العلاقات الحميمة والقديمة بين كل من شمعون والجميل مع الامبريالية الامريكية والزيارات المتكررة لسفير امريكا للتنسيق وزيارات انجالهما للولايات المتحدة بالاضافة الى الدعم المالي لمرافقهما وتسهيل فتح مكاتب اعلامية لهم في الولايات المتحدة .

وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون





الجمهورية الإسلامية في لبنان

هذا وفي الوقت الذي حوصرت فيه المنطقة المذكورة وضع الياس سركيس امكانيات الدولة كلها بتصرف القوات الصليبية التي سفكت الدماء وأهدرت الكرامات وارتكبت مجازر تاريخية لم يتحرك الضمير العالمي من أجلها .

ولكي يتسنى للقارىء تكوين صورة واضحة عن المجازر فإننا سنعرض بعض الوقائع :

في ٤ صفر ١٣٩٧ هـ ـ ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٧ م اقتحم الصليبيون وبالتعاون مع الصهاينة بلدة الطيبة وهجروا من أهلها اربعة آلاف نسمة أي ما يعادل نصف السكان بعد أن قتل منهم الكثير[٢٦] .

وبعد ان سيطرت الميليشيات على رامية شكلت لجنة عسكرية وسياسية لتنظيم عمليات السلب والنهب والتنكيل بمن لم ينزحوا،وفرضوا خوة شهرية على كل بيت وحولوا مخفر الدرك الى حاجز ثابت يتقاضى مائة وخمسين ليرة عن كل سيارة شاحنة وخمساً وعشرين ليرة على السيارة الصغيرة .

وعندما دخلت الميليشيات الى بلدة ضهيرة وجوارها كان موسم التبغ على أمه ولم تمهل السكان لجنيه حين عاجلتهم بالاعتداء فأبادت المواسم وشردت أصحابها الذين طالبوا فيما بعد ادارة حصر التبغ والتنباك بتعويضات عن الخسائر لكنهم لم يلقوا آذاناً صاغية لأن دولة مارون مشغولة عنهم بأمور الحكم « والتحرير والسيادة »[٢٧] .

سكان مروحين ويارين اصبحوا كلهم مهجرين وارزاقهم نهبتها الميليشيات .كما عمد الصليبيون الى اجبار الناس على حمل السلاح والحراسة بالعسف والقوة وكانوا يضربون الأهلين بقسوة ويستبيحون

أعراضهم ويسلبون ممتلكاتهم كما يأخذون من الدكاكين ما يشاؤ ون من المواد الغذائية دون أن يدفعوا الثمن واعتدوا على الرعاة وسلبوا منهم مواشيهم ، وفرضوا على السكان خوة تحت ضغط التهديد بنسف منازلهم إذا رفضوا .

في بلدة مركبا فرضوا ضريبة شهرية على كل بيت مقدارها عشر ليرات وكان على الأهالي ان يدفعوا على تصاريح الخروج والدخول عشر ليرات أيضاً والسيارات التي تدخل القرية او تخرج منها تدفع الواحدة منها خمس عشرة ليرة[٢٨] .

وفي بلدة بليدا فرضوا ضريبة شهرية على كل بيت مقدرها خمس عشرة ليرة من أجل تغطية النفقات .

ان اعتداءات اسرائيل المتكررة منذ العام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م لم تكف بل جاء الصليبيون وفرضوا شريعة الغاب واستنزفوا من جماهير المستضعفين أموالهم وأرزاقهم التي جنوها بعرق جباههم . ثم وزعوا على الأهالي نموذجاً لبطاقة اقامة يحملها الشخص فاذا غادر القرية ذاهباً الى خارج (الكانتون) يتركها عند آخر حاجز وعندما يعود يأخذها،ومنعوا النازحين من العودة واذا عاد أحدهم فانه يتعرض للتعذيب والقتل[٢٩] . لأن شعارهم هو من لا يقبل بالتهويد يطرد ويهجر الى خارج الكانتون.

ومن هنا جاء تهديد سعد حداد لأهالي الطيبة اكثر من مرة قبل الهجوم الاسرائيلي في ٦ ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ ـ ١٥ آذار ١٩٧٨ م وبعده بأن « مصير البلدة سيكون مثل مصير الخيام »[٣٠] التي دمرت تدميراً شاملاً . وزيادة في الارهاب والابتزاز قامت الميليشيات بفرض خوة على المهجرين يدفعها أقاربهم ومقدارها خمسون ليرة شهرياً تحت طائلة التهديد بنسف البيوت ونهبها[٣١] .

تبقى ظاهرة أشد خطورة وهي ظاهرة التهويد فقد تدخل الصهاينة

في برامج التدريس وفرضوا تعليم اللغة العبرية[٣٢]،وأصبحت الدكاكين تعرض المواد الاستهلاكية الإسرائيلية. اكثرية الشباب غادروا القرى ولم يبق فيها الا كبار السن[٣٣].

ان الأعمال الأكثر قسوة وهمجية في قرى « الشريط الحدودي » في أقصى جبل عامل هي التي ارتكبت تحت قيادة واشراف العناصر المرتبطة بما يسمى بـ « الجبهة اللبنانية » او بهذه وبإسرائيل في آن معاً .

وبالرغم من انه لا توجد مقاييس محددة لأعمال القتل والتعذيب والأذى والتخريب ، الا اننا نلاحظ انه من الخيام حتى علما الشعب كانت عمليات التهجير والتنكيل الأشد ايلاماً وقسوة خاضعة لأهداف العدو الصهيوني الاستراتيجية .

ان سعد حداد لم يؤسس دولته عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م إلا بإذن من الدولة اللبنانية ومن وزارة الدفاع في اليرزة والجيش اللبناني كما أكد فرنسيس رزق، الناطق باسم الجبهة الصليبية وممثل الكتائب والمستشار الخاص لسعد حداد، في مقابلة مع الاذاعة الاسرائيلية مساء يوم السبت في ٣ شعبان ١٣٩٨ هـ - ٨ تموز ١٩٧٨ م اذ قال : نحن نتلقى رواتبنا من بيروت ولا نستطيع العيش دون مساعدة مالية من هناك[٣٤].

فمن يصدق انها ميليشيات منشقة ؟ .

وقد أعلن سعد حداد نفسه ان رجاله « هم جنود في الجيش اللبناني وانهم يتلقون ، مثله ، معاشاتهم من بيروت » واكد انه يحتفظ باتصال عبر الراديو مع بيروت باعتباره جندياً في الجيش اللبناني منتدباً من قبل قيادته في مهمة » .

وأشار حداد الى انه طوع بعض المجندين وأن هؤلاء يتلقون أوامرهم منه كما يتلقى هو أوامره من قائد الجيش فكتور خوري . ووردا

على سؤال حول احتلال اسرائيل للجنوب قال حداد « الاسرائيليون حلفاء لنا . . . اسرائيل هي دولة صديقة وليس لها مطامع توسعية . واعتبر ان اللبنانيين (الموارنة) ارقى من باقي الشعوب العربية » ، وقدم أسماء بعض الضباط الذين حضروا الى حيفا للمناقشة مع الجيش الاسرائيلي في اطار لجنة الهدنة[٣٥] .

وقد كشف فادي افرام خليفة بشير الجميل في قيادة القوات الصليبية جملة حقائق في هذا الشأن ، اذ قال :

« وللمعلومات والتاريخ ذهب سعد حداد بأمر مباشر من رئيس لبنان عام ١٩٧٥ م سليمان فرنجية . . ذهب بأمر واضح يقول له : « روح دافع عن منطقتك » قال كيف . . أجابه فرنجية « دبر حالك »[٣٦] .

وتابع فادي افرام قائلاً :

« الشيء الذي كنا نفعله في عامي ٧٦ و٧٧(م) كان سعد حداد يفعله في الوقت نفسه في الجنوب . كان يدافع عن أرضه ضد الهجمات الإرهابية والجيش السوري » .

وبعد ان اعترف بعلاقته مع اسرائيل قال « ان الرجل (سعد حداد) لبناني في الصميم . . ولبناني وبس » .

وقال « ان أهدافنا واحدة بالنسبة للبنان » .

وأكد ان هناك تنسيقاً بين الجيش اللبناني وقواته[٣٧] . فيما اكد عازار وايزمن وزير الدفاع الاسرائيلي « ان الرائد سعد حداد يمثل عنصراً مهماً في حياة وأمن الحدود الشمالية لإسرائيل » [٣٨] .

ان تراخي الدولة اللبنانية مع سعد حداد لم يكن الا لأنه من أهل البيت ولا تجوز مقابلته . ان العائلة المالكة كلها على دين واحد ، هو دين التسلط والاستعباد والعمالة والصليبية ولكن رجال الحكم لعبوا

مع الشعب لعبة العاقل والمجنون ، فسركيس كان يتظاهر بالتعقل والاعتدال ويساير الأطراف الأخرى في الساحة اللبنانية ، والعمل المكشوف والجنوني هو لسعد حداد وشمعون والجميل . ولا يصح الا القول ان دويلة سعد حداد كانت مرخصة من دولة سركيس ، وكل ما كان يقال ويصرح به ليس الا للضحك على الذقون وتضليل البسطاء من الشعب .

في ربيع ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م أرسلت الدولة اللبنانية مفرزة من الجيش اللبناني الى الجنوب زعموا أنها ستنهي دويلة سعد حداد ولكن ماذا حصل .

لقد تقوقعت هذه القوة ضمن القوات الدولية التي جاءت بعد الغزو الاسرائيلي عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ولم تطلق رصاصة واحدة ضد سعد حداد الذي قصفها مرات . وكل ما قامت به هو تنظيم شبكات التجسس وتأليف زمر العملاء للتخريب فارتكبت مجزرة في دير قانون ، ذهب ضحيتها سبعة أبرياء ثم التحق منفذ المجزرة وهو أحد عملاء الشعبة الثانية بأحد مخافر الجيش في الجنوب ومن هناك تم نقله الى اليرزة حيث أعطي مكافأة على ادائه « للواجب الوطني » وعين برتبة عريف[٣٩] .

ان من حقنا جميعاً أن نسأل : « اذا كانت الحرب اللبنانية اسماً والصليبية فعلاً قد توقفت نسبياً في شهر ذي القعدة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٦ م فلماذا تأخر وصول الجيش الى الجنوب ثلاث سنوات علماً ان اسرائيل قامت بهجوم واسع النطاق في ٦ ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ - ١٥ آذار ١٩٧٨ م بعد تهديدات علنية استمرت طويلاً ؟ ان تأخير وصول الجيش وأسلوب ارساله ، وضمه الى قوات الطوارىء الدولية لدليل واضح على ان المؤامرة كانت جاهزة ولكن حداد لم يكن قد اتم استعداداته لاعلان الإنفصال وانشاء الكيان الظل لإسرائيل ، فآثروا التريث . . .

ان ميوعة اجراءات السلطة اللبنانية بحق سعد حداد وحماية شمعون والجميل لخطته وعدم اعطاء الجيش المرسل الى الجنوب صلاحيات قتالية يوضح ان الاعلان وتوقيته كان متفقاً عليه .

من سعد حداد الى كميل شمعون

جاء في رسالة بعثها سعد حداد الى كميل شمعون بتاريخ : ٢٧ - ٤ - ١٩٧٩ م - (٣٠ جمادى الأول ١٣٩٩ هـ) ما يلي :[٤٠]

« أعدك يا سيادة الرئيس بأن أعمل على خطى الجبهة اللبنانية وسنحرر هذا الوطن من الآلام ولن نرضى بجزء من لبنان ، بل لبنان المعترف به دولياً لأننا نحن اتخذنا في الشريط الحدودي قرار تحرير كل لبنان وسيقدم لنا الاسرائيليون كامل الدعم والمساندة وسأعمل على وقف الاتهامات ضدكم وضد رئيس الجمهورية شرط وقف المحاكمة وابطال تهمة الخيانة العظمى بحقنا وسأطلب من الإسرائيليين في الوقت الحاضر ، مساعدتنا في تنظيم وإعداد قواتنا لمعركة تحرير لبنان ونطلب منكم ارسال المقاتلين والمال ونطلب منكم الدعم السياسي وسننقذكم من الأخطبوط .

سيدي الرئيس :

اذكرك بأنني تلقيت رسالة تهنئة من رئيس الوزراء المصري مصطفى خليل وقد زارني مستشاره الخاص في المطلة ، وايضاً طيلة فترة شهر أيار سنؤازر الجيش الاسرائيلي في عملياته ضد المواقع الفلسطينية واليسارية حسب نصوص الاتفاق المعقود مع هيئة الأركان في الجيش الاسرائيلي وقد مثلكم فيه الشيخ بشير الجميل » . وفيما يلي صورة طبق الأصل عن الرسالة :

من رسالة سعد حداد الى كميل شمعون

وثيقة

النص الحرفي لهذه الوثيقة :

« تقدمت إحدى الجهات المقربة بمذكرة « للجبهة اللبنانية » تليت

على الأعضاء في الجلسة الأخيرة .

وبعد استعراض الأوضاع الراهنة وتقييمها وضرورة اتخاذ مواقف لبنانية جديدة حفاظاً على مصالح لبنان وديمومته واستقلاله ، تطرقت المذكرة الى موضوعين رئيسيين :

١ ـ رسالة الجبهة اللبنانية (السياسية) الى قداسة البابا وتعرضها للصهيونية واتهامها بتسليح الفلسطينيين لاقامة وطن بديل لهم في لبنان والتواطؤ معهم(*) .

٢ ـ امكان فتح باب التفاوض شبه الرسمي مع اسرائيل لتوضيح موقفها من القضية اللبنانية واقامة حلف طبيعي معها .

ورداً على الاقتراح الأخير ، صرح الشيخ بيار الجميل ان الجبهة قامت باتصالات مع اسرائيل وعقدت معها اتفاقات (ولم يشر اذا كانت خطية ام شفهية) ولكنها لم تنفذ تنفيذاً كاملاً بل جزئياً (وبالتنقيط) خدمة لمصالحها الخاصة وليس لمصالح لبنان . لأنها كانت تلعب على الحبلين

(*) في الواقع ان نغمة التوطين هذه والتي روج لها الإعلام العالمي طوال ست سنوات لم تكن اكثر من حيلة أو خدعة أريد منها صرف الأنظار عما يحاك وراء الكواليس وإيجاد أرض خصبة لوقوع الفتنة بين المسلمين كما سنرى فيها بعد . ومع الأسف الشديد فقد انطلت هذه الحيلة على الكثيرين وظن الناس أنها حقيقة ، حتى القيادات المزيفة لدى المسلمين أصبحت رهينة الإشاعات وشاركت في الفتنة عن وعي أو غير وعي . وكم كان حري بهذه القيادات أن تتنحى وتعتزل السياسة وتترك الناس وشؤونهم . والحقيقة ان مؤامرة التوطين إنما كانت تعني توطين الصهاينة لا الفلسطينيين في جبل عامل وقد ثبت فيما بعد للجميع صحة هذا الكلام .

يقول الإمام علي (ع) : « اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل » .

الحبل اللبناني والحبل الفلسطيني ، تشد الأول أو تشد الثاني . . . يبقى التوتر قائماً . كما تبين في معركة تل الزعتر ومعارك الجنوب :

ملاحظة : لسنا نعلم اذا كانت اسرائيل مستعدة للتعاون واقامة تحالف طبيعي ودائم للتصدي لأعداء الشعبين اللبناني والاسرائيلي المشتركين في الداخل والخارج علماً ان اقامة وطن بديل للفلسطينيين على أرض لبنان لا يخدم القضية الاسرائيلية على المدى الطويل » .

رسالة فرنسيس رزق

ممثل « الجبهة » الصليبية

وزيارته الى اسرائيل

لقد وصلت العلاقة الحميمة بين الصليبيين والصهاينة الى درجة تبادل الزيارات وابداء الاعجاب بـ « الحضارة اليهودية » .

فقد وجه فرنسيس رزق المستشار السياسي لسعد حداد وقائد القوات الصليبية في جنوب لبنان رسالة في ٢ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ - (١٣ - ٩ - ١٩٧٧ م) الى رئيس كيبوتس كفار - بلوم في الجليل الأعلى وذلك أثر جولة قام بها رزق على المستوطنات الصهيونية في شمال فلسطين[٤١] .

ومن خلال قراءة الرسالة يتبين تطابق الأفكار والآراء بين ما يطرحه رزق وما سبق ان طرحه إميل اده ومؤسسو جميعة « الشبان الفينيقيين » .

جاء في الرسالة :

« الأخ الحبيب بيني :

كان لزيارتنا الأخيرة لكيبوتس كفار - بلوم أطيب الأثر في نفوسنا جميعاً ، فقد لقينا في ربوعكم كل ترحيب وشعرنا وكأننا في بيوتنا بين

أهلنا وذوينا ، فقد كنت والحق يقال في عيد وفرحة لا تعادلهما سوى أفراح الأهل بلقاء أبناء اعزاء على قلوبهم بعد طول افتراق .

اخي بيني : ليس غريباً ان نلقى بينكم ما لقينا ، كما انه ليس صدفة ان نلتقي فنحن اخوة تجمعهم أهداف مشتركة وأمامهم مصير مشترك . نحن أخوة يتطلعون الى غد أفضل ، يعملون بوحي من تاريخهم المشرق ، فقد تعاون من قبلنا اجدادنا منذ آلاف السنين وكان تعاونهم على الخير ومن أجل السلام ، كانت بيننا لغة مشتركة من التفاهم والتحالف والمشاركة في التقاليد والعادات والمفاهيم . وحلت بالعالم كارثة جسيمة يوم انهارت القوة اليهودية ـ الكنعانية الخيرة وخلفتها قوات أخرى جعلت امجاد القتال هدفها الأول والأكبر وأهوال الحروب غايتها القصوى . كانت مهمة الملك اليهودي او الفينيقي الآرامي ، اقامة الحق على اساس العدالة . اما في البلدان الأخرى فكان الملوك يفاخرون بقطع الرؤوس وبناء أهرام من الجماجم وتدمير المدن واحراق المواسم وسفك الدماء وتقتيل الأبرياء . مثل هذا فعلوا ولا يزالون يفعلون . لا حاجة لي بان اذكر بحكمة سليمان وعدله(*)، ولا حاجة بأن اذكر بعدالة ملوك فينيقيا ، فقد ابلغتنا عنها لوحة فخارية تم اكتشافها في مدينة أوغاريت تقول :« في ظلال الأشجار الوارفة جلس الملك يحكم في دعوى أرملة وبعون حق اليتيم » . كل هذا كان في بلادنا يا أخي يوم كان الناس قبائل ترعى الجمال في النهار وتغزو في الليل وتقتل وتسبي النساء ، يوم كانوا

(*) ان من هوان الدنيا على الله ان قادة الحركات الصليبية والصهيونية ينسبون أنفسهم إلى سلالات الأنبياء والصديقين صلوات الله عليهم أجمعين ويتغنون بمآثرهم وأمجادهم .

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه ﴾ سورة المائدة ١٨ ـ .

يقتلون بناتهم ويدفنونهن احياء في الرمال مخافة العار ، بينما كانت المرأة الإسرائيلية والفينيقية تفوق الرجال في كثير من الميادين .

عد معي الى ما فعلته يهوديت واستير ، والى ما حققته اليسار بانية قرطاجة في عصور كانت المرأة فيها ، وعند سوانا ، عبدة رقيقة تباع رقيقة وتشترى كأي سلعة ، تدفن حية أو تجرش الملح . وبعد قد يطول الحديث فننسى التعاون الذي تم بين الملك سليمان الحكيم وأخيه الملك احيرام ملك صور ابن الأرملة اليهودية من عائلة نفتالي ، والذي كان من نتيجته بناء هيكل الرب في أورشليم من أخشاب أرز الرب في جبال لبنان ، وأهدى بعده سليمان لأحيرام عشرين قرية آمل ان تكون قريتي(*) احداها .

وانني هنا يا بيني انحني باحترام أمام شعبكم الخلاق الذي اعطى الله للعالم وأعطى معه الوصايا العشر التي يمكن اعتبارها وبحق أساساً لكل دين ولكل شريعة عادلة في الأرض .

وهنا لا بد من ذكر حروف الهجاء الفينيقية التي انطلقت من بيبلوس على الساحل اللبناني لتجوب العالم ولتكون خشبة الخلاص لشعوب غارقة في بحر الجهل ، التي نفخر ان تكون التوراة قد سميت بيبل نسبة اليها . . .

أنا وارث أعظم حضارات الدنيا الحضارة الفينيقية ، الأرامية ، الكنعانية اليهودية فأي حضارة يرثون ؟ .

وبعد يا أخي فالعرب دخلوا بلادنا محتلين غزاة دخلوها ليسلبوا خيراتها كما يشهد بذلك جمهرة المؤرخين(*) ، دخلوا سوريا ولبنان

(*) اشارة الى قرية القليعة في جنوب لبنان .

(*) على عكس ما يقوله فرنسيس رزق فقد أثبت التاريخ وأثبت المؤرخون ان البربرية هي الصليبية بعينها التي التزم بها رزق مع جماعته .

واسرائيل فهدموا وخربوا الكثير من حضارتها ومازالوا يخربون . فرضوا
على سكانها الأصليين من نصارى ويهود اتباع الاسلام فرحل من رحل
وأسلم من أسلم فلا غساسنة ولا مناذرة ، واعتصم آبائي الموارنة
« المردة » في جبال لبنان وما زالوا يقاومون الغزوة البربرية منذ آلاف
السنين وحتى أيامنا هذه .

ان قلت لهم اننا لبنانيون ثار ثأرهم واتهموك بالانعزالية والرجعية
والعمالة للاستعمار والامبريالية والصهيونية لأنك لا تريد ان تنكر أصلك ،
وبالرجعية لأنك ترفض ان تتراجع عن وصفهم بالغزاة والمحتلين ،
والعمالة للاستعمار لأنك منفتح على العالم وخاصة الغربي منه ، ولانك
يهودي أو مسيحي لا تريد التخلي عن دينك وتقاليد شعبك . وأخيراً
فنحن صهاينة لأننا نحفظ التاريخ ولا نريد أن يطمس الحقيقة التاريخية
كائناً من كان .

اخي بيني : انا لبناني واعتز بلبنانيتي ولست عربياً ، كما أنك
اسرائيلي تعتز باسرائيليتك وانني أسعى للتعاون، معك على أساس من
الاحترام المتبادل وحسن الجوار ، سيما ونحن ابناء ارض واحدة يجمعنا
مصير مشترك وتاريخ طويل . فاذا كنت انت تجيد العبرية وأنا أجيد
العربية فقد يأتي يوم نجيد فيه أنا وأنت ، اللغتين معاً . المهم ان تتفتح
قلوبنا وعقولنا للسلام والمحبة وان ندرك جيمعاً مصالح شعوبنا فنتعايش
مع الازدهار والسلام .

انني من هذا المنطلق أهيب باخواني العرب ، ان يكفوا عن
المغامرة في التعصب وأن يؤمنوا بحق الشعوب في العيش بحرية وكرامة
وان السلام والمحبة خير من الحرب والبغضاء ، وان يدركوا ان عهد
الفتوحات قد ولى . وكما أجبروا بالأمس على ترك الأندلس وغيرها
سيتركون لبنان وشأنه . وانه خير لهم ان يفهموا دينهم الذي يدعوهم الى

الايمان بالتورات والزبور والإنجيل الى جانب القرآن . وان اليهود
والنصارى اخوة لهم ، وان الحرب لا تفيد احداً ولا ترضي الله ان احبوا
مرضاته . وعليهم ان يعلموا ان الله خالق الكون ومدبره وسينصر الحق ،
وان قلة صغيرة مع الله خير من كثرة لا تحفظ وصاياه . وليس من المهم
ان يتكلم احدنا العبرية او العربية او الانكليزية . . . الخ ، فربك يا أخي
رب قلوب ويفهم جميع الألسن ولا تغشه المظاهر .

اخي بيني ، الى لقاء آخر معك راجياً ان تكون السنة العبرية
الجديدة سنة خير وبركة علينا جميعاً تحمل معها السلام والأمال والامان .
سلامي وتحياتي لكل فرد من افراد كيبوتس كفار - بلوم . الى هذه العائلة
الكبيرة المتعاونة على الخير ومخافة الله والتي أفخر الآن بأنني كنت ضيفاً
مكرماً بينها ، كل عام وانت بخير . والى اللقاء .

القليعة في ١٣ - ٩ - ١٩٧٧ - اخوك المحب فرنسيس رزق»

بقي ان يعلمنا فرنسيس رزق أحكام الإسلام ويشرح لنا سبل
الإيمان. يقول الله تعالى في كتابه العزيز﴿ **ولتجدن أشد الناس عداوة للذين
آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ سورة المائدة رقم الآية ٨٢ - .

وفي مكان آخر ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم** ﴾ - سورة البقرة ١٢٠

خسئت الصليبية وخسىء دعاتها .

وما يستوقفنا في المقطع الأخير من الرسالة هو التذكير بمصير
الأندلس وان المسلمين سيجبرون على ترك لبنان كما تركوا تلك البلاد
الواسعة الأرجاء ونحن وان كنا نعرف مدى تشبث المسلمين بأرضهم
وتضحياتهم للذود عنها الا اننا نريد ان يتدارك المسلمون هذا الخطر

الكبير قبل اسفحاله فالرجل يعني ما يقول وتجربة فلسطين ليست ببعيدة ، ولبنان في خطر ، والمؤامرة كبيرة ، وما لم يتم القضاء على المشروع الماروني قضاء تاماً فان النار تبقى تحت الرماد .

الموارنة يشاركون في الهجوم

الاسرائيلي عام ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م

في ٥ ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ ـ ١٥ آذار ١٩٧٨ م بدأ الاستعمار الصهيوني في فلسطين هجوماً واسع النطاق على طول واجهة الحدود مع لبنان ، من الناقورة غرباً الى راشيا شرقاً على جبهة طولها مئة كلم . بدأ الهجوم البري بعد التغطية والتمهيد الكثيف بالقصف الجوي بدفع قوات كبيرة من المشاة تدعمت بالآليات وبلغ مجملها حوالي ٢٨ ألف جندي ، أربعة ألوية تقريباً وخمسمائة (٥٠٠) دبابة وأربعة الوية مدرعة تساندها المدفعية الصاروخية أرض ـ أرض والمدافع الثقيلة .

تم الهجوم على خمسة محاور :

محور مرجعيون ـ الخيام ـ ابل السقي ـ بلاط ـ تلة زهير .

محور العديسة ـ الطيبة .

محور يارين ـ طير حرفا .

محور الناقورة ـ صور .

محور بنت جبيل ـ مارون الراس .

رافقت عملية الهجوم محاولات انزال وقصف بحري على طول الشاطىء الجنوبي .

مع بداية العدوان الاسرائيلي لاحتلال جبل عامل ، وضح ان القوى

الصليبية في جبل لبنان وفي مناطق القتال تنسق عسكرياً وسياسياً مع الصهاينة وقد دللت اذاعة اسرائيل هذا الأمر بوضوح خلال الاعتداء وهذا بعض ما جاء على لسان اذاعة اسرائيل نفسها :(٤٢)

« بالنسبة للمسلحين من المسيحيين فان لهم قسطهم ودورهم ، وان الأرض على كل حال هي ارضهم وقراهم وبيوتهم » .

وقد زار رئيس الحكومة الاسرائيلية القرية المارونية علما الشعب وقال عنها « هناك سكان في جنوب لبنان لدينا اتصالات معهم ، وهناك اخوة لهم في شمال لبنان وهم مرتبطون تنظيمياً ببعضهم في الحاضر والمستقبل . ونحن سنحرص على تحسين وضعهم ليستمروا في الحياة سوياً معنا بود وصادقة » ثم أكد على ان للصليبيين دوراً في العملية الحالية وقال :

« ان اهالي القرى النصرانية كانت السعادة طاغية عليهم . فعملية جيش الدفاع الاسرائيلي قضت على التهديد الدائم لحياتهم بعد أن رفرفت الأعلام الاسرائيلية على مرجعيون والقليعة ، كما مرت المدرعات والدبابات في شوارع هاتين البلدتين » .

لقد تعاون المقاتلون (الموارنة) حسب قول بيغن - مع جنود جيش الدفاع الاسرائيلي وقدموا مساعدات مهمة لمعرفتهم الجيدة بالمنطقة ، في حين اعدت النساء القهوة وقدمنها للجنود . وقام رجال سعد حداد بنقل المعدات التي تركها المدافعون عن أرض الوطن الى مخازنهم .

عندما بدأ الهجوم الاسرائيلي قام شاب صليبي ووقف في ساحة الحدث الرئيسية وأطلق النار من مسدسه وهتف بنشوة : لقد احتلت اسرائيل الجنوب ، وتوالى قرع الأجراس لنقل الخبر السعيد .

قال مراسل الاذاعة الاسرائيلية :(٤٣)

« قدمت قوات (الصليبيين) في جنوب لبنان عوناً ذا شأن لقوات الجيش الاسرائيلي التي كانت تتقدم في الجنوب ، بالمعلومات والمشاركة الفعلية . وعلمت (المراسل) انه قد تبلورت في وزارة الدفاع ورئاسة الأركان خطة للتنفيذ الفوري بعد انتهاء الحملة العسكرية وذلك لإقامة شريط اقليمي واحد في جنوب لبنان ، وهذا الشريط الإقليمي سيربط علما الشعب عن طريق رميش وحتى مرجعيون . ولضمان هذا الحاجز الأمني سيعود جيش الدفاع الاسرائيلي الى اسلوب تسيير الدوريات بشكل دائم داخل الأراضي اللبنانية وعلى امتداد خط الحدود . وان الجيش الاسرائيلي سيبقى داخل لبنان حتى توجد قوة أخرى قادرة على منع (المقاتلين المسلمين) من قصف المستوطنات الاسرائيلية او التسلل لضربها وايذاء سكانها .

عندما دخلت القوات الاسرائيلية الى بلدتي القليعة ومرجعيون استقبلهم اهاليها بالهتاف : الله ينصركم ، الله يحميكم ، اهلاً وسهلاً بكم . وقامت نساء منهن برش الأرز على رؤوس الجنود الاسرائيليين بينما رمى بعضهن انفسهن في احضان الجنود . وكان فرنسيس رزق مسؤول الكتائب السياسي في الجنوب على رأس المستقبلين والذين رفعوا الأعلام الاسرائيلية لتحية الجنود .

وفي القليعة ومرجعيون صعد الصليبيون على السطوح مستقبلين زئير كل طائرة بالتصفيق وعندما كانت الطائرات تلقي بقنابلها على قرى المسلمين ، كان التصفيق يدوي عالياً .

وقال احد أهالي القليعة : املنا كبير باسرائيل » .

لقد تعاون الموارنة والصهاينة على تدمير القرى وتشريد السكان ففي بلدة الطيبة لم يبق من أصل ثمانمائة بيت بيتاً واحداً سالماً ، لقد دمرت البلدة كلياً او جزئياً وقامت الميليشيات بنهب أثاث البيوت وسائر

الممتلكات بما فيها موجودات المحلات التجارية والسيارات والتراكتورات[٤٤] . كما دخلت الميليشيات الى قرية يارين وباشرت عمليات النسف والتدمير الكلي للقرية بما في ذلك المسجد والحسينية حتى ان نسبة البيوت المدمرة بلغت ٩٠ بالمائة[٤٥] . واقتحم رجال سعد حداد بالتعاون مع الصهاينة بلدة الخيام فقتلوا أكثر من ستين مدنياً عاجزاً ودمروها تدميراً شاملاً . وقد حدث نفس الشيء في بلدتي كونين والعباسية . فماذا كان موقف الدولة اللبنانية ؟ .

اثناء الهجوم لم تقم دولة لبنان بأكثر من تقديم شكوى الى مجلس الأمن ولم تسمح للجيش بالدفاع عن « الوطن » وحفظ « السيادة » .

هذا في وقت كانت الإبادة الجماعية لأبناء جبل عامل يسير على خطين : صليبي وصهيوني .

ومما يدل على ان الخطة كانت مدبرة بين اسرائيل والنظام الماروني في لبنان هو انسحاب اسرائيل من المناطق التي احتلها وتسليمها الى سعد حداد ممثل « الشرعية » في جبل عامل ليضمها الى « دولة لبنان الحر » نواة الدولة المارونية في ظل غياب كامل لجيش الدولة .

وتنفيذاً لقرارات « مجلس الأمن » ، صنيعة الإستكبار العالمي فقد حلت « القوات الدولية » على الحدود الشمالية لدولة سعد حداد بحيث شكلت حاجزاً أمنياً يعرقل تحرك المقاومة ضد الغزاة ويحفظ أمن إسرائيل وعملائها . وبدل ان يفضحوا هذه اللعبة القذرة فإن « القادة » المزيفين والمحسوبين على المسلمين ،أبو إلا أن يكونوا عبيداً لأولياء نعمتهم وبدأوا من جديد يدعون الناس الى نصرة « الشرعية » المارونية ويطلقون التصريحات إشفاقاً على « مجلس الأمن » وقراراته .

وقد اعقب هذا الهجوم الاسرائيلي تعهدات خطية وعلنية من قبل اسرائيل للموارنة بدعمهم .

ففي ١٣ جمادى الأول ١٣٩٨ هـ - ٢١ نيسان ١٩٧٨ م نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية مقالاً تحليلياً طويلاً لشموئيل سيغيف كشف فيه النقاب عن أوجه التعاون بين اسرائيل والموارنة وذلك على النحو التالي :

١ - فرض حصار بحري اسرائيلي على موانىء التموين التي لا تخضع لسلطة الموارنة في صيدا وصور ، واغراق السفن المحملة بالأسلحة .

٢ - تأمين خط بحري دائم بين نصارى الشمال وبين مواقعهم في جنوب لبنان .

٣ - المساعدة في تأمين غطاء مدفعي اسرائيلي لتمكين الرائد سعد حداد من الحفاظ على مواقعه في المناطق الحدودية .

٤ - اقامة شبكات اتصال بين مواقع سعد حداد في قرى الحدود وبين المواقع الاسرائيلية بهدف تبادل المعلومات حول تحركات المسلمين في المنطقة .

٦ - تزويد النصارى بمساعدات عسكرية تتضمن اسلحة أوتوماتيكية ودبابات من طراز شيرمن ونصف مجنزرات ومدافع وألبسة وعتاد طبي .

وتم كل ذلك استناداً الى « ان المصلحة السياسية للمعسكر المسيحي هي مصلحتنا السياسية . ومن الحماقة عدم التعاون معه »[٤٦] .

وقد بدأ الموارنة يشركون الاسرائيليين في تفاصيل خططهم كافة . وذكر مناحيم بيغن أن اسرائيل تعهدت في آب ١٩٧٨ م (١٣٩٨ هـ) لوفد لبناني من « مسيحيي الشمال » زار القدس ، بالدفاع عنهم وحضر الاجتماع الذي ضم شخصيات قيادية من الجانب اللبناني كل من موشي دايان ، وعازار وايزمن ومناحيم بيغن . وقد جرى تكرار هذا التعهد علناً في نيسان ١٩٨١ م (١٤٠١ هـ) - وكان اسحاق رابين رئيس الحكومة

الاسرائيلية السابق قد اعلن انه لسبق لحكومته ان قدمت « مساعدات عسكرية واقتصادية للمسيحيين في لبنان منذ العام ١٩٧٦ م[٤٧] .

وقد نشرت صحيفة « هاارتس » الاسرائيلية في ربيع ١٩٨١ م - ١٤٠١ هـ وثيقة أشارت الى أن هناك تعهداً خطياً من مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي الى بشير الجميل منذ صيف ١٩٧٨ م يتضمن دعم اسرائيل للنصارى في لبنان[٤٨] .

وفي ٢٠ رمضان ١٣٩٨ هـ ـ ٢٣ آب ١٩٧٨ م سافر شمعون بحراً الى اسرائيل حيث استقبل في منزل بيغن بحضور دايان وزير الخارجية ، وعازار وايزمن وزير الدفاع[٤٩] .

« جبهة تحرير لبنان من الغرباء »

ان الموارنة لا يتورعون عن التعاون مع « الشيطان » في سبيل تنفيذ مآربهم كما أعلن عن ذلك بيار الجميل .

وقد انبثقت جبهة تدعي حماية لبنان وتحريره من « الغرباء » لتبرير تعاملها مع إسرائيل .

وقد وضعت هذه الجبهة وثيقة مشروع اتفاق مع الكيان الصهيوني لتحرير لبنان من « الغرباء » في سنة ١٩٧٨ م ـ ١٣٩٨ هـ وجاء في هذه الوثيقة :[٥٠]

« تقدم جبهة تحرير لبنان ميثاق شرف تلتزم به مع دولة اسرائيل لخلاص شعبيهما من كل خطر يحدق بهما ولأي جهة انتمى ».وجاء في الوثيقة البنود التالية :

« ١ ـ اعتبار اسرائيل ودولة لبنان الجديد دولتان مكملة الواحدة للأخرى في كافة الميادين والمرافق الحياتية .

ب ـ اعتبار جبهة تحرير لبنان القوة اللبنانية الرائدة التي يجب أن تتمحور حولها وضمن خطتها وتكتيكها واستراتيجيتها كافة القوى اللبنانية

العاملة من أجل سعادة شعبها والمحافظة عليه من الابادة والذوبان .

ج ـ قيـام حلف طبيعي على الصعيـد المعيشـي والعسكـري بـين الطرفـين .

د ـ تتعهد جبهة التحرير اللبناني بعقد حلف دفـاع مشترك فـور اعلان الدولة اللبنانية لنظامها الجديد على كافة الأراض اللبنانية .

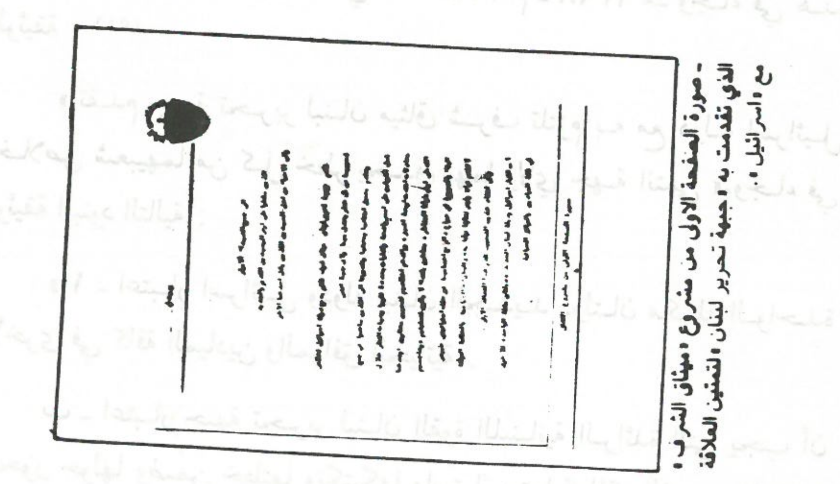
هـ ـ تشكيل لجان مشتركة على الصعيدين الاعلامي والعسكري » .

وعلى الصعيد العسكري جاء :

« تستقبل اسرائيل كافـة الاعداد والعنـاصر التي تـرى الجبهة ضـرورة اخضاعها لعمليات او دورات تدريبية .

ـ تشكيل لجنة مشتركة لوضع وتنظيم الخطط .

ـ تتعهـد الجبهـة فـور الانتهـاء من عمليـة التحـريـر واعـلان الـدولـة اللبنـانية الجـديدة بـانشاء سـوق اقتصادي مشتـرك مع اسـرائيل كمـا تتعهد بتسليمهـا حاجـاتهـا من ميـاه جنـوب لبنان على ان تبقى اعبـاء ومصـاريف الانشاءات اللازمة لذلك على عاتق اسرائيل » .



ـ صورة الصفحة الاولى من مشروع «ميثاق الشرف» الذي تقدمت به «جبهة تحرير لبنان» المتضمن العلاقة مع اسرائيل .

ان الجبهـة المـذكـورة اعلنت مسؤ وليتهـا عن عـدة عمليـات تفجيـر كانت تحصد الأبرياء وتمزق الناس اشلاء في مناطق المسلمين في بيـروت الغربية وبعلبك والجنوب وطرابلس .

ان المقصـود من « تحـريـر لبنـان من الغـربـاء » هـو تحـريـره من المسلمين فـالموارنـة يعتبرون ان المسلمين هم غـربـاء يجب ان يخـرجـوا وبعـدهـا يعقـد « حلف دفـاع مشتـرك بين الـدولـة اللبنـانيـة الجـديـدة واسرائيل » .

وتتعهـد الجبهة بتسليم اسـرائيل « حـاجاتهـا من مياه جنـوب لبنـان » وكأن جنوب لبنان هو ملك للموارنة يورثونه لاسرائيل متى شاؤ وا .

اذا كان المطلوب هو اخراج الغـرباء من لبنـان فما على المـوارنـة الا الرحيل لأنهم أغرب الغرباء ولو لم يكونوا كـذلك لأحسـوا مع هـذا الشعب الذي قتلوه بوطنيتهم وعشقهم الكبير للبنان .

ان المـوارنـة هم فئـة غـريبـة عن هـذه البـلاد التي لا تـربطهم بهـا أيـة عاطفة . لـو كانـوا منها لما فعلوا ما فعلوا ، ولمـا تآمـروا عليها وتعـاونـوا مـع اسرائيل ضدها .

كان الموارنة دائماً يعولون على الاحتلال الأجنبي ولهذا شاركوا الأوروبيين في الحـروب الصليبيـة وفي جميـع الحـروب التي شنتهـا أوروبا على الشـرق المسلم ، ونتيجة لهذه العمالة الطويلة وهذا الاستعـداد الفطري في كيـانهم للعب دور الجـاسـوسيـة والعمـالـة بكل أشكـالها فقـد استصدروا قـراراً دوليـاً تـاريخيـاً بمسـانـدة مشـروعهم لأغتصـاب جبـل لبنان من أصحـابـه المسلمين الشيعـة . واثنـاء حملتهم الصليبيـة الأخيرة اغتصبـوا مناطق بيـروت الشرقيـة . ولهـذا فالمطلوب ان يخرج المـوارنـة من جبـل لبنان واعـادته الى أصحـابـه الشـرعيين وتسليم بيـروت الشـرقيـة بـأسـرهـا والتي يـدعـون ملكيتهـا الى المسلمين .

مقابلة فرنسيس رزق مع الاذاعة الاسرائيلية

مساء يوم السبت في ٣ شعبان ١٣٩٨ هـ ـ ٨ تموز ١٩٧٨ م وفيما كانت اذاعة « الكتائب » تشيع عن انزال اسرائيلي على سفوح جبل الشيخ وبعض مناطق جنوب لبنان وفيما كان القصف الاسرائيلي يشمل القسم الأكبر من جبل عامل كان فرنسيس رزق الناطق باسم الجبهة الصليبية يطالب اسرائيل عبر اذاعتها بوضع اقوالها عن حماية الموارنة في لبنان موضع التنفيذ .

لقد ناشد فرنسيس رزق في المقابلة التي أجريت معه الحكومة الاسرائيلية ان « تعين المسيحيين في بيروت لأنهم لن يستطيعوا الصمود طويلاً ما لم تقدم اسرائيل المعونة لهم » . وقال « ان حال المسيحيين في بيروت ستسوء جداً خلال بضعة أيام فهم لا يملكون ما يكفي من الغذاء ولا مياه ولا كهرباء ولا امكانيات طبية » وتابع قائلاً :

« نحن نتألم ولا نشعر بارتياح ونحن نطالب الشعب الاسرائيلي وحكومة اسرائيل وكل العالم المسيحي بمساعدة اسرائيل ودفعها لإنقاذ المسيحيين في لبنان وبعد ذلك سيسود السلام ولن ننسى ابداً هذه المساعدة ».وأضاف « انا أشعر أن اسرائيل لا تريد ان تحتل لبنان وكذلك

اطلب المساعدة من اسرائيل واقول دائماً ان مصيرنا مشترك ، والشعب الاسرائيلي يفهم جيداً ما تعني كلمات ابادة شعب ، حتى الآن نتلقى رواتبنا من بيروت ولا نستطيع العيش دون مساعدة مالية من هناك ، ويؤثر الوضع في بيروت على معنوياتنا أيضاً » (٥١) .

في الوقت الذي كان فرنسيس رزق يدعو اسرائيل الى اجتياح ثان من اجل وضع أقوالها عن حماية الموارنة موضع التنفيذ كانت القوات الإسرائيلية تلقي قنابلها المضيئة على ميمس ، وحاصبيا ، وكوكبا وتكثف تحركاتها العسكرية باتجاه مرجعيون والماري وشبعا ومرتفعات كفر شوبا وظهرت دورياتها بالقرب من كفر حمام كما أن الطائرات الاسرائيلية حلقت مرات عديدة في النهار على ارتفاع شاهق في مختلف مناطق جنوب لبنان والبقاع (٥٢) .

الياس سركيس عمل لإبقاء الجيش وقفاً مارونياً خالصاً

تمهيد

لقد بينا ان « الجيش اللبناني » لم يكن القصد من تأسيسه حماية الوطن بدليل أن العدو الصهيوني كان يغير دائماً على جبل عامل أمام سمع وبصر هذا الجيش دون ان يحرك ساكناً .

وعندما كانت العناصر المسلحة والغيورة تعلن عن سخطها وتذمرها كانت تحال فوراً الى المحاكمة بتهمة الخيانة .

ان القصد من تأسيس هذا الجيش كان تقديم التحيات للزعماء والسير في عرض امام الرؤساء وحماية وجود النظام .

انه جيش مشبع بالعداء لكل ما هو اسلامي . ويمثل بعض المسلمين فيه مجرد زينة او ديكور يستخدم في صرف الانظار عن كونه امتداداً للميليشيات الصليبية .

ورغم هذا فان المارونية شككت بقدرتها على سوق الجيش كاملاً في معاركها ، ومنذ العام ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م نشطت لإساء القواعد لجيش شعبي ماروني بحت مؤلف من صيغة الميليشيات وكانت الكتائب اول البادئين لكن غيرها ايضاً سار على الطريق ومنهم سليمان فرنجية

الذي أنشأ « جيش التحرير الزغرتاوي » و« المردة » .

وفي عام ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م لم يبق عند الموارنة أي شك بأن الجيش لن يكون قوتهم الضاربة في الساعة التي يقررون، فرموا ثقلهم في تقوية الميليشيات وتوسيعها وأبقوا الأبواب مفتوحة بين الميليشيات والجيش حتى أصبح الناس لا يعرفون ان يبدأ الجيش الشرعي وأين تنتهي الميليشيات .

وفي كل جيش هناك ما يسمى في الأعراف العسكرية « باحتياط القيادة » وهي القوات الموثوقة من قبلها ، والأكثر تسليحاً وتدريباً ، ورعاية ، ويناط بها التمركز بالمواقع القريبة والمحيطة بالمقرات المركزية للحكومة وبموقع القيادة العسكرية ، ضماناً للحماية ضد أي طارىء ، وخاصة أعمال التمرد العسكري او الإعتداءات الخارجية .

وفي الجيش اللبناني ، في مرحلة ما قبل ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م، كان احتياط القيادة مشكلاً على النحو التالي[٥٣] :

١ ـ سلاح الطيران : وهذا السلاح منذ انشائه لم يتول قيادته بتاتاً قائد مسلم ، بل ان قيادته حكر على الموارنة من دون غيرهم اضافة الى ان ٨٠ بالمائة من ضباطه وكادراته الرئيسية ، من النصارى أيضاً، وتنحصر مراكز المسلمين فيه في معظمها بالوظائف الإدارية ومن أصل حوالي خمسة وعشرين طياراً نفاثاً ، هم طيارو سلاح الجو اللبناني ، لا نجد منهم من المسلمين بعدد اصابع اليد الواحدة ، تنحصر قيادتهم لطائرات « الهوكر هنتر » و« الفوغا » القديمة ، بينما لا يسمح بقيادة طائرات الميراج التي استوردت خصيصاً لتحديث سلاح الطيران ، الا للطيارين المسيحيين ، وهذا أمر معروف وشائع ، وعند استعراض اوضاع سلاح الطيران اللبناني ، تجدر الاشارة الى حوادث الطائرات التي لا تصيب دوماً الا الطيارين المسلمين في سلاح الجو ، فتودي بهم ، وفي هذا

المجال تتعدد أسماء هؤلاء الطيارين الذين أودت بهم طائراتهم : (محمد المقداد ، محمد طبارة ، عبد الله شمص ، خالد فرج ، مهيب غصن وآخرون من آل رباح وسنو وغيرهم وجميعهم مسلمون) .

ويروى ان الطيار عبد الله شمص كان قائد سرب لطائرات « الهوكر هنتر » وكان سربه قد كلف بقصف المخيمات الفلسطينية عام ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م اثناء الاشتباكات المعروفة بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية ، وقد شاهد البعض احدى الطائرات ترمي بحمولتها في البحر وعرف فيما بعد ان قائدها هو عبد الله شمص ، الذي رفض ان يلقي بقنابله فوق رؤوس الأمنين ، فكان جزاؤه الموت ، فسرعان ما طرأ حادث لطائرته وهو يقوم بطيران تدريبي فوق البقاع اودى بحياته .

٢ ـ ثاني قوة في احتياطي القيادة كانت ، كتيبة المغاوير ، والتي كانت تتخذ من حمانا مركزاً لها ، وكانت قيادتها على الدوام في يد ضابط نصراني ومضمون الولاء للحكم .

تأسست هذه الكتيبة على يد مجموعة من الضباط الذين تلقوا دورة صاعقة في مصر ومنهم سمير الأشقر ، عبد الله ضاهر ، نبيه فرحات ومخول حاكمة ، وذلك في الفترة السابقة لحرب ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م . وقد تكفلت التشكيلات التي قامت بها القيادة بالابقاء على قيادة كتيبة المغاوير بيد نصرانية ، لمدة تزيد على الخمس عشرة سنة ، ونبيه فرحات رغم أنه من مؤسسي الكتيبة تم نقله الى المدرسة الحربية ، عندما خلت أمامه الساحة لتسلم قيادة كتيبة المغاوير ، التي تم تسليمها في ذلك الوقت لرياض شمعون وهو الذي شارك بدورة مغاوير بأميركا وفشل فيها .

كان تعيين شمعون مرحلة انتقالية تسنى خلالها تأهيل مخول حاكمة وترفيع رتبته وسلم بعدها قيادة الكتيبة بمعاونة محمود أبو ضرغم ونبيه فرحات وسمير الأشقر وأنيس طوبية .

وتعتبر مصادر عسكرية كبيرة ان وضع قوات المغاوير في ثكنة حمانا كان لعدة أسباب منها :

ـ موقع الثكنة المناسب القريب من طريق الشام ومواقع الفياضية واليرزة وبعبدا .

ـ الامساك بممر ضهر البيدر الاستراتيجي للتصدي لتقدم « عدو محتمل » ، (سوريا) .

٣ ـ ثالث القوى في احتياط القيادة ، كتيبة مصفحات الفياضية ، وهذه الكتيبة لا تسلم قيادتها الا لضابط نصراني ، او مضمون الولاء للقيادة ، وغالباً ما يكون مقرباً من رئيس الجمهورية أو قائد الجيش (كان انطوان بركات قائداً لها أثناء الحملة الصليبية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م وهو قريب لرئيس الجمهورية يومذاك سليمان فرنجية) .

٤ ـ رابع قوى الاحتياط ، كانت كتيبة مدرعات صور ، وهذه القوة كانت أقوى قوة في الجيش اللبناني ، وكانت قيادتها المتعاقبة دائماً تسند لقائد نصراني ، رغم الاطمئنان الفعلي الى ضعف الخطر الذي يمكن ان تشكله على الحكم ، نظراً لبعد مسافة موقع تمركزها ، ولقدرة الطيران على شل أي تحرك لها قبل ان تصل الى بيروت .

ومنذ ان ثارت ثائرة ابناء الاسلام الغيارى في تلك المؤسسة عمد الموارنة الى اعادة بنائه على أسس اكثر صليبية .

وتولى الياس سركيس بنفسه هذه العملية ليجعل منه جيشاً صليبياً بالكامل تقريباً لكي تكون مهمته اكثر انسجاماً مع المخطط الماروني . وأسند المواقع الرئيسية كلها لبني جلدته من الصليبيين فأصبح جيشاً يدين بالولاء السياسي شبه المطلق للجبهة الصليبية .

بعد التشكيلات التي اجراها الياس سركيس في ٦ ربيع الثاني

١٣٩٨ هـ - (١٥ - ٣ - ١٩٧٨ م) كـانت تـركيبـة الجيش على الشكـل التالي(٥٤) :

قائد الجيش :

العماد فيكتور خوري ، ماروني .

عميد اول وعميد :

١٦ نصرانياً بينهم ٨ موارنة و٧ مسلمين .

عقيد :

٥٠ نصرانياً بينهم ٣٣ مارونياً و٣٣ مسلماً .

مقدم :

٥٩ نصرانياً بينهم ٣٧ مارونياً و٢٢ مسلماً

رائد :

١٠٢ نصارى بينهم ٦٩ مارونياً و٤٥ مسلماً .

نقيب :

٩٨ نصرانياً بينهم ٥٦ مارونياً و٥٥ مسلماً .

ملازم أول :

١٥٢ نصرانياً بينهم ٨٣ مارونياً و ١٢٧ مسلماً .

ملازم :

١١٨ نصرانياً بينهم ٦٨ مارونياً و١٠٩ مسلمين

وهكذا يلاحظ انه مع هبوط مستوى الرتب يصبح التـوازن اكثر عـدلاً في حين انه مفقود تمـاماً بين رتبتي العمـاد (٧٠ الى ٣٠ بالمـائه) ومـلازم

أول (٦٥ الى ٣٥ بالمائة) .

كمـا يـلاحظ ان ٦٠ بـالمئة من ضبـاط الجيش هم من النصـارى وبينهم ٣٥,٧ مـوارنة ، والـواضح ان التكتـل الوحيـد هو التكتـل الماروني الذي يضم ٣٥٥ ضابطاً من كل الفئات .

هوية القيادة العليا والشعب

الوضع على مستوى القيادة العليا :

رئيس الأركان ، العقيد منير طربيه ، مسلم .

نائب رئيس الأركان العملاتي : العقيد زين مكي : مسلم .

نائب رئيس الأركان اللوجستي : العقيد البير منير ، وهو مدير التسليح بالجيش وامين سر قائد الجيش : ماروني .

رئيس الفرقة العسكرية : المقدم اميل لحود - ماروني .

رئاسة امانة السر العامة : المقدم هنري عازار - ارمن كاثوليك .

غرفة وزير الدفاع :

رئيس الغرفة العسكرية : الرائد روجيه عقل - ماروني .

رئيس الغرفة المدنية : ميلاد القارح - ماروني .

الشعبة الأولى :

العقيد البحري فارس لحود .

وفي هذه الشعبة يوجد ضابط مسلم واحد من اصل ٨ ضباط .

الشعبة الثانية :

الرائد جوني عبدو - ماروني وكل رؤساء الأقسام فيها ضباط موارنة .

الشعبة الثالثة :

المقدم زهير التنير : مسلم .

الرائد نسيب عبد : ماروني .

الشعبة الرابعة :

المقدم فارس ماضي : ماروني .

والمقدم جبران : ماروني .

الشعبة الخامسة :

الرائد محمود مطر : مسلم .

هوية المديرات

مديرية الافراد :

العقيد الياس الحداد - كاثوليك ومساعده المقدم نعيم سلامة : ماروني

مديرية الدفاع المدني :

العميد بحليس - ارثوذكس . ومعاونه الرائد انطوان سعد : ماروني .

مديرية التعبئة :

العقيد انطوان خليفة : ماروني .

سلاح الهندسة : الرائد يوسف قسطون : ماروني .

سلاح الطيران : العقيد جريس الغريب : ماروني .

وجميع الطيارين من الضباط الموارنة .

مديرية العتاد :

العقيد جان سالم ـ كاثوليك .

مديرية القوامة :

العقيد فوزي هنود : ماروني .

مدير الصحة :

العميد الطبيب جورج قمير : ماروني .

رئيس المستشفى العسكري :

الطبيب المقدم برنس : ماروني .

مدير الشؤون الإجتماعية :

المقدم جان خوري : ماروني .

مدير المدرسة الحربية :

المقدم رياض شمعون ـ ماروني .

المفتش العام العسكري :

العقيد الطبيب لويس كريدي : ماروني .

رئيس مركز الدراسات :

العقيد جرجس القزي : ماروني .

قائد موقع صربا ـ كتيبة الاستطلاع الثانية :

العقيد روجيه فغالي : ماروني .

قائد كتيبة الاستطلاع الأولى :

حل محل انطوان بركات الماروني بعد التشكيلات العقيد ميشال سالم : ماروني .

قائد كتيبة الشرطة العسكرية :

نايف كلاس : كاثوليك .

قائد منطقة البقاع :

المقدم ميشال خوري شقيق قائد الجيش : ماروني .

ومساعده الرائد ابراهيم شاهين الذي يعمل لحساب الصليبيين .

قائد منطقة بيروت :

مختار مزبودي : مسلم .

ومساعده المقدم سامي طانيوس : ماروني .

قطع العملاتية في سلاح البر

اما قادة القطع العملاتية في سلاح البر ، غير المشاة فيتوزعون على الشكل الآتي :

١٩ مارونياً ، ٣ أرثوذكس ، ٣ كاثوليك ،١ أقليات أي ٢٦ نصرانياً و ٥ مسلمين .

ويخضع لأمرة هؤلاء وحدات البر المقاتلة التي تؤلف ٨٥ بالمئة من عدد الجيش المقاتل .

أما اسماؤهم فهي :

١ ـ كتائب المدفعية :

كتيبة المدفعية الأولى : المقدم عبد الرؤوف كنج : مسلم .

كتيبة المدفعية الثانية : المقدم عون ـ ماروني .

كتيبة المدفعية الثالثة : المقدم اسكندر : ماروني .

كتيبة المدفعية الرابعة : المقدم نظمي المعلوف : كاثوليك .

٢ ـ كتائب المدرعات :

كتيبة الاستطلاع الأولى : العقيد انطوان بركات : ماروني .

كتيبة الاستطلاع الثانية : العقيد روجيه فغالي : ماروني .

كتيبة المدرعات الأولى : المقدم خوري : ماروني .

كتيبة المدرعات الثانية : المقدم عازار (نصراني) .

كتيبة المدرعات الثالثة : الرائد ذبيان ـ مسلم .

٣ ـ اسلحة الدعم والمساندة :

قائد كتيبة الأشغال ، الرائد غسان ضاهر : مسلم .

كتيبة الهندسة ، المقدم كرم : ماروني .

قائد كتيبة الإشارة : المقدم مرسيل دروبي : ارثوذكس .

قائد كتيبة النقل : الرائد انطوان حداد : ماروني .

قائد كتيبة مضاد للطائرات : المقدم سعيد القعقور : مسلم .

سلاح البر : اغلبية مارونية ساحقة

قادة القطع العملاتية في سلاح البر : كتائب المشاة :

١٨ قائداً بينهم ١٢ مارونياً و٢ ارثوذكس و٢ كاثوليك ومسلمان وفي ما يلي الأسماء :

كتيبة مقر عام الجيش : العقيد جوزيف غانم : ماروني .

كتيبة مقر عام لواء أول : المقدم قيصر فرح : ارثوذكس .

كتيبة مقر عام لواء ثاني : المقدم جرجس رعد : كاثوليك .

كتيبة مقر عام لواء ثالث : المقدم فايز حداد : ارثوذكس .

كتيبة مشاة أول : المقدم نايف كلاس : كاثوليك .

كتيبة مشاة ثان : الرائد خليل كنعان : ماروني .

كتيبة مشاة ثالث : المقدم رينيه سمراني : ماروني .

كتيبة مشاة رابع : الرائد حنا جعارة : ماروني .

كتيبة مشاة خامس : الرائد ماجد حمادة : مسلم .

كتيبة مشاة سادس : المقدم دحداح : ماروني .

كتيبة مشاة سابع : المقدم حليم كيروز : ماروني .

كتيبة مشاة ثامن : الرائد ابراهيم شاهين : مسلم بالهوية .

كتيبة مغاوير أولى الرائد مخول حاكمة : ماروني .

كتيبة مغاوير ثانية : النقيب سمير الأشقر : ماروني .

كتيبة الشرطة العسكرية : المقدم شمعون : ماروني .

الحرس الجمهوري : الرائد شالوحي : ماروني .

الطيران والبحرية

أما الوضع في سلاحي الطيران والبحرية فهو نموذجي لجهة السيطرة المارونية الصافية :

قائد سلاح الطيران : العقيد جورج غريب : ماروني .

قائد قاعدة رياق الجوية : المقدم فهيم الحاج : ماروني .

قائد قاعدة بيروت : المقدم فوزي أبو فرحات : ماروني .

قائد كتيبة الرادار : الرائد قرطاوي : ماروني .

قائد سلاح البحرية : العقيد فارس لحود : ماروني .

الحالة عند صف الضباط

اذا كانت هذه هي الحالة بالنسبة للقيادات العليا في الجيش فكيف الوضع بالنسبة لضباط الصف والموظفين المدنيين ؟ .

تتوزع النسب فيما يتعلق بضباط الصف بين ٦٢ بالمئة نصارى و٣٨ بالمئة مسلمين أما النسبة في المكاتب والسكرتيرات والادارات فهي : ٧٥

بالمئة نصارى و٢٥ بالمئة مسلمون .

وفي الأركان النسبة هي ٨٢ بالمئة نصارى و١٨ بالمئة مسلمون أما الموظفون المدنيون فهم من النصارى بنسبة ٨١ بالمئة و١٩ بالمئة مسلمين والعدد الإجمالي هنا يتجاوز الأربعة آلاف .

الملاحظة التي يمكن تقديمها هنا هي ان عدد ضباط الصف النصارى اكثر من عدد ضباط الصف المسلمين لكن سياسة الترفيه المشبعة حيالهم في الجيش جعلت من غالبيتهم موظفين إداريين فأصبح الميل ، في الوحدات المقاتلة ، لضباط الصف المسلمين لا سيما وان اكثرية الجنود هم من المسلمين .

يتضح من هذه التشكيلات كم كان الياس سركيس يتجاهل الوجود الاسلامي في لبنان ويهضم حقوق المسلمين .

معلومات حول بعض المسؤولين في الجيش

العقيد انطوان بركات : وهو غني عن التعريف منذ تمرده الأول في الفياضية بالتعاون مع سمير الأشقر الى تمرده الثاني واشتباكه مع قوات الردع العربية في سبيل اعلان الدولة المارونية .

كان قائد القطاع رقم واحد قبل تشكيلات ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٧٨ ، وبعدها اصبح في كنيسة مقر عام الجيش موضوعاً تحت تصرف وزير الدفاع فؤاد بطرس .

العقيد روجيه فغالي : كتائبي معروف ، شارك في قيادة الهجوم على الكرنتينا . وكان قبل التشكيلات التي اجريت في ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٧٨ رئيس اركان القطاع رقم ٣ وقائد كتيبة الاستطلاع الثانية ، فأصبح قائد

لموقع صربا وهي الثكنة التي كانت تضم نواة ما سمي بجيش « الشرعية » .

الرائد جوني عبدو : قائد الشعبة الثانية وهو كتائبي معروف . وكان يروى عنه انه كان موضع حديث ذات مرة بين رئيس لجنة الادارة والعدل ، ناظم القادري، ورئيس الجمهورية ، الياس سركيس، قال الاول للثاني : ان جوني عبدو كان كتائبيا لمدة ستة اشهر ، وعضو في المجلس الحربي الكتائبي . فرد الثاني مصححا لا بل اقل من ذلك !

ورغم كل شيء اصبح مسؤولاً عن الشعبة الثانية .

الرائد محمود مطر : قائد الشعبة الخامسة وهو نموذج المسلم الذي كانت ترتاح السلطة الى التعاطي معه بصفته احد ابطال فضيحة الميراج الشهيرة .

العقيد وجيه مزبودي : مسلم آخر محبب الى السلطة المارونية باعتباره هو الذي اصدر امرا الى فرقة المكافحة في الجيش بتجريد ثكنات المنطقة الغربية في بيروت من اسلحتها .

العقيد انطوان خليفة : مسؤول مديرية التعبئة وهو عضو المجلس الحربي الكتائبي وسافر الى فرنسا في نيسان ١٩٧٨ م لاتمام صفقة اسلحة لحساب « الكتائب » .

المقدم نايف كلاس : سلم الاعتدة والاسلحة الثقيلة للرائد سعد الحداد في القليعة عندما كان قائدا لمنطقة مرجعيون .

المقدم ابراهيم طنوس : قائد المجموعة العسكرية (رقم ٣) اي ثكنة رومية وكان معروفا في الوسط العسكري باسم موشي دايان (وزير الدفاع الاسرائيلي سابقا) لحقده على المسلمين . وقد عينه امين الجميل فيما بعد قائداً للجيش .

فرنسيس زين : اصدر قائد الجيش فكتور خوري مذكرة ينوه فيها باعماله بعد احداث الفياضية التي اشترك فيها الى جانب انطوان بركات وسمير الاشقر .

الرائد فايز حرب : من تنورين ، كان رئيس الشعبة الثانية في جبل لبنان او اخر عهد سليمان فرنجية ، اشترك بمعارك الشمال ضد المسلمين الى جانب العقيد يوسف روكز وحليم كيروز .

النقيب سمير الاشقر : احد ابرز مسؤولي المغاوير وبطل حادثة الفياضية التي اريد منها اعلان الدولة المارونية .

النقيب كمال كرم : سلاح الهندسة ، مسؤول عن شعبة الصواريخ . كان مدرس الهندسة المدفعية واطلاق الصواريخ في التنظيمات الصليبية .

المقدم رينيه سمراني : وهو احد الضباط الرئيسيين الذين قاتلوا على جبهة عينطورة ، المتن ، طيلة سبعة اشهر مستمرة .

العقيد البير منير : من زحلة ، نائب رئيس الاركان معاون اللوجستي وكان يطلق عليه في وزارة الدفاع لقب الحاكم العسكري للدلالة على نفوذه (٥٥) .

ان الوقائع بالأرقام والاسماء تكشف حقيقة الهيمنة المارونية . بل ان مقارنة واقع الجيش قبل اعلان الحرب الصليبية مع واقعه بعدها تكشف تشددا اكثر في عملية الهيمنة المارونية وتحولها في اكثر من جانب الى هيمنة حزبية ، بحيث يشكل الضباط المحسوبون على حزبي الكتائب والأحرار وبالتالي على القوات الصليبية ككل العصب القائد في الجيش وهي الكتلة القوية ، صاحبة القرار النافذ فيه ، رغم كل ادعاءات البعض بوطنية الجيش . ان هذا الجيش قاتل الى جانب الموارنة ضد المسلمين ويكفي استعراض وقائع تدمير الضاحية والجبل وقصفه المستمر لبيروت

الغربية حتى ندرك مدى خطورة الدور الذي يلعبه في ترسيخ كيان النظام الماروني . وأما وجود المسلمين فيه فلا يتعدى مصدر الرزق واكمال العدد .

ورغم ذلك كانت القيادات الطفيلية والمزيفة تجاهر بحمايتها للجيش وتأييدها له وتعلن ان كل اعتداء على الجيش يعتبر اعتداءا عليها وان الجيش « لن يكون مكسر عصا » .

ما الغاية من تسليح الجيش

مع بدايات اعادة بناء الجيش ، تم التركيز في المرحلة الاولى على بناء « لواء الدفاع » والذي تشكل منه فيما بعد ، اللواء الثامن ، وأصبح أقوى لواء في الجيش اللبناني عدة وعددا وتدريباً ، وكانت مهمة هذا اللواء التمركز حول وزارة الدفاع والقصر الجمهوري لحماية البقعة الصغيرة التي يتحرك فيها الحكم خارج نطاق الميليشيات ولو شكلياً، وفي هذه المرحلة تم استيراد شحنات كثيفة من الأسلحة والمعدات والآليات العسكرية والمدرعات حشدت كلها وخزنت في منطقة اليرزة، وتحولت المساحات الأرضية المحيطة بوزارة الدفاع في يوم من الأيام الى مستودع ضخم للأسلحة ، وكاراج كبير للسيارات العسكرية ، وتم الإبقاء على باقي الوحدات العسكرية على شكل تجمعات عسكرية ضعيفة التسليح ، قليلة العدد والعدة ، في ثكناتها المعتادة او في تجمعاتها المستحدثة .

لقد عهد الياس سركيس الى الولايات المتحدة الامريكية بتدريب هذا الجيش وتولي شؤونه ومده بالأسلحة ليتمكن من اداء الدور المطلوب منه .

في ١٩ جمادى الأول ١٤٠٠ هـ ـ (٤ نيسان ١٩٨٠ م) وصل الى بيروت وفد عسكري اميركي مؤلف من خمسة ضباط برئاسة الكولونيل

روبرت ل . داي ، وعقد سلسلة اجتماعات مع وزير الدفاع فؤاد بطرس وقائد الجيش فيكتور خوري ورئيس الاركان العامة منير طربيه ومعاونيه العملاتي واللوجستي وقادة الأسلحة ورؤساء الشعب . كذلك اطلع الوفد على تنظيم الجيش وأسس التدريب في مختلف الأسلحة والوحدات وعلى حاجات الجيش العسكرية والتقنية .

وزار الوفد خلال اقامته في لبنان الثكنات والقواعد والمؤسسات العسكرية برفقة ضباط مختصين واطلع على امكانات الجيش وحاجاته الضرورية لاعادة بنائه على أسس اكثر انسجاماً مع المخططات المعادية للمسلمين .

وقد خرج الوفد من خلال الاتصالات بزعماء الموارنة بانطباعات تؤكد ضرورة الاسراع في انجاز المهمة .

ووضع اعضاء الوفد ، وجلهم من الخبراء المختصين بأنواع الأسلحة تقريراً مفصلاً يتضمن قائمة باحتياجات الجيش التي قال انها « ستقدم مجاناً خلال ثلاثة أشهر » .

وحدد التقرير « طريقة بناء الوحدات العسكرية اللبنانية والتدابير التي يجب اتخاذها لصيانة الأعتدة والطرق اللوجستية التي ستعتمد » .

وركز التقرير على ان تكون قيمة القروض والمساعدات العسكرية والفورية للجيش ، باستثناء نفقات الدورات الدراسية والمساعدات الفنية ، مئة مليون دولار . وقد تم الإتفاق بين قيادة الجيش المارونية والوفد الأميركي « على تبادل الاختصاصات والخبراء واقامة دورات دراسية في لبنان والولايات المتحدة » . كما توصل الوفد الأميركي الى تقويم اولي يحدد عدد افراد الجيش الذي يحتاج اليه لبنان بـ ٤٥ ألف جندي كحد أدنى ، وان تجهيزهم بالمعدات والآليات يحتاج الى ٥٠٠ مليون دولار [٥٦] .

وكان متحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية قد اكد « رغبة الولايات المتحدة في مساعدة لبنان على تكوين جيش قوي »[٥٧] .

والمقصود « بالجيش القوي » هو الجيش القمعي والصليبي .

وقال المتحدث ان تحقيق هذه الرغبة يعتبر هدفاً بعيد المدى واستبشر الموارنة خيراً ، تقول جريدة العمل :

« وتعتزم الحكومة الاميركية تزويد لبنان على مدى ثلاث سنوات بمساعدة عسكرية شاملة قيمتها مئة مليون دولار تم دفع ٢٥ مليون دولار منها بالفعل » أي قبل ٢٤ - ٣ - ١٩٧٨ م .

ثم بدأ السلاح الأميركي الثقيل يشق طريقه الى بيروت وبدأت البواخر الأميركية ترسو في ميناء بيروت لتفرغ أسلحتها التي صبت فيما بعد حمماً وقذائف على أحياء المسلمين ولا سيما الضاحية الجنوبية التي دمرها القصف .

يقول كارتر رئيس الولايات المتحدة الاميركية في تلك الفترة [٥٨] :

« ضمن برنامجنا الشامل لدعم حكومة الرئيس سركيس وسيادة لبنان شجعنا منذ العام ١٩٧٦ تدريب وتأهيل وتقديم القروض المالية والتجهيزات العسكرية واعادة القوات المسلحة اللبنانية . وكانت الولايات المتحدة تصبو الى تأمين حاجات الجيش اللبناني الوطني الموالي للحكومة المركزية » .

وفيما يلي قائمة ببعض هذه التجهيزات والقروض التي وصلت عام ١٩٨٠ م فقط :

- ستة مدافع أمريكية نموذج ١٩٨٠ تستعمل في امريكا ولبنان في وقت واحد .

- مئة آلية عسكرية امريكية [٥٩] .

- ثمانية مدافع (١٥٥) ملم وثلاثة آلاف بندقية وثلاثة قواعد لـ مئة واثنين وسبعين صاروخ تو أميركية [٦٠] .

- باخرة اعتدة وذخائر امريكية[٦١] .

- ثمانون دبابة محاطة من طراز سنتوريون الأمريكية (من الأردن)[٦٢] .

- ستة وثلاثون مدفعاً منها مدافع مباشرة (١٠٥) و(١٠٦) ومدافع الميدان (١٥٥) ايطالية [٦٣]) .

- ثمانية عشر مدفع ميدان (١٥٥) وسبع قواعد صواريخ تاو أمريكية[٦٤] .

- اسلحة اميركية بقيمة مئة وعشرين مليون ليرة لبنانية [٦٥] .

- أربعة مدافع امريكية (١٥٥) مع ذخيرتها [٦٦] .

- سبعون مليون ليرة لبناء الجيش اللبناني من الولايات المتحدة الأمريكية [٦٧] .

- أربع ناقلات جنود من نوع (م ١١٣) امريكية [٦٨] .

- باخرة معدات امريكية للجيش اللبناني وهي آليات وقاطرات وذخائر وأعتدة مختلفة الأنواع والأحجام .

- قرض بمبلغ اثنين وأربعين مليون ونصف المليون دولار من امريكا للبنان لتسليح الجيش وقرض آخر بمبلغ ثمانية وثلاثين مليون دولار ضمن المساعدات العسكرية الأمريكية للبنان عام ١٩٧٩ [٦٩] .

يقول سفير الولايات المتحدة في بيروت [٧٠] :

« ان روزنامة تسليح الجيش لا تنتهي ابداً نظراً لحاجة الجيوش الدائمة الى التزود بالأسلحة الجديدة والمعدات المتطورة .

من جهتنا سنستمر في تزويد الجيش اللبناني بكل ما يطلبه » .

لماذا هذا الدعم والمساعدة من الولايات المتحدة « للجيش اللبناني » ؟

يقول الموارنة في احدى جرائدهم [٧١] :

« ان الولايات المتحدة تصر على ان يلعب الجيش دوره في البلاد » . وقد القت الجريدة بعض الأضواء على هذا الدور فقالت :

« ان مصدر ديبلوماسي مسؤول يجيب انه يجب ان ننظر الى الموضوع « من زاوية أخرى وبالتحديد من زاوية المصلحة ، او المصالح الأميركية ، والتغييرات ، والتطورات التي تطرأ على المواقف السياسية والأمنية لتبقي على التوازن المصلحي قائماً ومتعاقباً » وأضاف المصدر قائلاً :

« ان الولايات المتحدة تلتزم بمسلمات ثلاث في الشرق الأوسط :

الأولى : المحافظة على نفط الخليج ورعايته .

الثانية : تثبيت دعائم المعاهدة المصرية الاسرائيلية ودفعها خطوات جديدة الى الأمام .

الثالثة : دعم الشرعية اللبنانية (النظام الماروني) » .

اذن فالغاية من تسليح ما سمي بـ « الجيش اللبناني » هي ان يلعب دور المساعد لإسرائيل ويتصدى للمسلمين .

ولهذا فليس من الغريب ان يعلن خريش ، البطريرك الماروني :

« ان لا خلاص الا بالجيش »[٧٢] .

الفصل الثاني عشر

الحملة مستمرة والقيادات تائهة

والموارنة ينعمون بالحماية الإسرائيلية

مقارنة بين موقفين

ان كل نظام طاغوتي يعمد الى تسيير مختلف المؤسسات والهيئات بواسطة افراد منبوذين ليسوا على شيء من قوة الخلق ولا المقدرة السياسية بل العوبة بأيدي النظام يقتاتون على موائد القصور في مراكز الحكم وادارات الدولة .

وحكام لبنان ساروا على هذه القاعدة مقتبسين سياستهم من تلك البروتوكولات الخطيرة التي وضعها الصهاينة .

جاء في البروتوكول التاسع لحكماء صهيون :

« اننا نسخر في خدمتنا اناساً من جميع المذاهب والأحزاب ، من رجال يرغبون في اعادة الملكيات واشتراكيين وشيوعيين وحالمين بكل انواع الطوبويات » [1] .

ان اجهزة الدولة الأساسية والتي تديرها ايدي مارونية استطاعت ان تحول معظم القيادات السياسية والدينية والاجتماعية بما في ذلك المعارضة الى قيادات مرتهنة ومرتبطة بكل من يساعدها على الحفاظ على زعامتها ومطالب الجماهير التي تدعي تمثيلها من اجل ان تحوز على تأييد

أجهزة الدولة الأساسية التي فرقت بين الجميع وأشعلت بينهم نار الحرب لتعود في النهاية وتوحدهم في طاعتها من حيث لا يدرون .

وهكذا فان القيادة السياسية التي ادعت تمثيل المسلمين ليست من الاسلام في شيء لأنها خاضعة لمبدأ تبادل الخدمات مع مراكز القوى الرسمية المحلية والخارجية ولو على حساب عامة المسلمين وفوق التعاليم السماوية .

وبدل ان تخوض «القيادات المسؤولة» معركة تحرير لبنان من الهيمنة المارونية كانت تخوض معركة دعم « الشرعية » والدفاع عن مؤسساتها . وبعضهم أعلن صراحة عن رغبته في وجوب « عودة سلطة الدولة على كل الأراضي اللبنانية وتحقيق الوفاق الوطني على الأسس التي اعلنها الرئيس سركيس ».وكان لسفراء أميركا اليد الطولى في استيعاب هذه القيادات ودفعها الى اتخاذ مواقف داعمة للشرعية حتى صار بعضهم يرى ان « دعم مؤسسات الشرعية واجب وطني وإنساني»وان « الشرعية ممثلة برئيس الجمهورية » و« ان الياس سركيس هو رمز وحدة هذا الوطن » . ثم كانت زيارة سركيس الى « المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى » في ٣ تموز ١٩٨٠ ـ ٢٠ شعبان ١٤٠٠ هـ ، فاعتبرها البعض « خطوة كبيرة ومتوقعة » وأصبحت موضع اعتزازهم وتقديرهم العميق للعقلية المارونية المنفتحة .

﴿ يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ سورة النساء ٦٠ ـ .

ليس هذا فحسب بل لقد تعمد هؤلاء ان يرشقوا بالتهم والإشاعات والأباطيل كل من يخرج على تعاليمهم ولا يلتزم بإطارهم الحزبي الضيق الذي كان يجمعهم والذي سجن طاقات الألوف من الشبان وقام بمصادرتها وتعطيل فاعليتها ومنعها من أداء دورها المطلوب . على ان ذلك لم يؤثر على عزيمة القلة المؤمنة ولم يفت في عضد الفتية الذين آمنوا بربهم .

جاء في بيان للسيد صادق الموسوي في ٩ جمادى الأول ١٣٩٩ هـ ـ ٦ نيسان ١٩٧٩ م تحت عنوان الشرعية غير الشرعية : « ان اعداء الله والمسلمين يسعون جاهدين لفرض سيطرتهم الكافرة علينا وان يستعبدونا . . . وفي لبنان يرتكبون جرائمهم تحت غطاء الشرعية والقانون . اية شرعية هذه التي يرفضها الإسلام ؟

اليس الاسلام ينهي المسلمين عن ولاية غير المؤمنين وقبول سلطتهم ؟

أية شرعية ترضى بان تبقى الأقلية المارونية تحتكر كل السلطة لنفسها ولا تقبل بين صفوفها من المسلمين إلا من استسلم لإرادتها وتخلى عن دينه والمسلمين ؟

اية شرعية تقبل بان يذهب شبابنا ضحايا لينالوا هم المكاسب ؟

اليس شبابنا يدفعون إلى ساحات القتال باسم الدفاع عن الوطن والشرعية ثم يثبت الكفرة أقدامهم بفضل تضحياتهم ؟

ايها المسلمون : ان المسلم الذي ربط نفسه بربه ورضاه بشهادة التوحيد لا يمكنه الانحراف عن دينه والقبول بطروحات اعداء الاسلام ، والشرعية التي تناقض شرع الاسلام مرفوضة دون تردد ، والسلطة التي لا يعطيها الاسلام الشرعية غير شرعية .

هل سلطة الكفر على المسلمين يوافق عليها الاسلام ؟

هل سلطة الظلم على المستضعفين يرضى بها الاسلام حامي مصالح المستضعفين ؟

هل سلطة العملاء على الأرض والشعب يقبل بها دين جاء لإعادة الاستقلال للارض والسيادة للشعب وطرد المستعمرين ؟ » .

وجاء في بيان باسم « علماء الدين المناضلون في لبنان » في ٥

محرم ١٤٠١ هـ ـ ١٥ تشرين الثاني ١٩٨٠ م : « ان على ابناء الاسلام في لبنان حث العلماء على تقدم مسيرة جنود الله وان يفتحوا النار على الصهاينة والصليبيين الذين يعملون مسرعين في سبيل احكام قبضتهم وتعميم سيطرتهم ووضع المسلمين دمى في أيديهم ينصبون ويقيلون من يشاؤون ويفرضون عليهم ما يريدون مستفيدين من اختلاف المذاهب وتعادي الاخوة وتباعد المخلصين ، وان عدم نهوض المسلمين أو تأخرهم يفقدهم ديار أجدادهم ويحولهم الى عبيد او لاجئين والله عز وجل يعلن **﴿ لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾** .

وجاء في بيان آخر يحمل نفس التوقيع في ٢٥ محرم ١٤٠١ هـ ـ ٥ ـ ١٢ ـ ١٩٨٠ م :

« ليس سركيس وصياً على احد من المسلمين ولا الذين نصبهم يمثلون شيعة علي (ع) ويجب على المسلمين توحيد صفوفهم ونبذ المنافقين من بينهم وان يرفعوا راية الاسلام ويمسكوا امور بلادهم بأيديهم ويرسخوا اكثر فأكثر تلاحمهم مع الثورة الاسلامية في ايران ويحققوا « المؤمنون كالجسد الواحد » وعندها يأتي نصر الله : **﴿ ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ﴾** .

اراد الموارنة اعلان شربل مخلوف قديساً على لبنان فلم يعترض القادة المزيفون مجاملة لهم حتى ان اجهزة الاعلام صدرت لها الأوامر كي لا تنشر اعتراض بعض المسلمين . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل شارك بعض المسلمين في الطقوس الدينية في الفاتيكان . ولم يكن لكل هذا الأمر من داع لو اكتفى الموارنة باعلان شربل مخلوف قديساً للموارنة ولو اعلن القادة المزيفون ان طاعة رب العالمين اعظم عندهم من مجاملة بعض خلقه .

كان بعضهم لا يجد حرجاً في الاجتماع الى سفراء اميركا الذين

زاروا مؤسساتهم ومجالسهم مرات عديدة واطلعوا على أحوالهم وعلموا بشؤونهم وقضاياهم كل ذلك على حساب عزة المسلمين وكرامتهم حتى كان الرد الحاسم في اقتحام السفارة الأميركية على أيدي جماعة من المؤمنين الخلص بقيادة السيد صادق الموسوي .

ولنعيد الى الأذهان موقف سماحة الامام محمد حسين آل كاشف الغطاء عندما تلقى كتاباً من نائب رئيس جمعية اصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية في ١٩ جمادى الثاني ١٣٧٢ هـ ـ ١٥ آذار ١٩٥٤ م يدعوه فيها لحضور مؤتمر لرجال الدين في بحمدون من المسلمين والمسيحيين لبحث المثل العليا في الديانتين .

نقتطع بعضاً مما قاله في كتابه المشهور « المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون » .

جاء في رد الإمام على الرسالة التي تلقاها :

« يا للعار والشنار وسوء الدمار ، وخراب الدار ، واليوم جاءتنا نيويورك وجمعية أصدقاء الشرق الأوسط تناشدنا الحضور في مؤتمر نبحث فيه عن القيم الروحية والمثل العليا .

يا هؤلاء العتاة المردة ، ويا شياطين الأبالسة ، انهضوا من عثرتكم واستقيلوا من خطيئتكم ، واخرجوا من ضلالكم ، وردوا الحق الذي اغتصبتموه الى اهله ، ردوا فلسطين الى أصحابها الشرعيين واخرجوا منها الصهيونيين وردوا أهلها المشردين اليها ، ثم اعقدوا المؤتمرات للبحث عن المثل العليا والقيم الروحية ، اما يد تسبح ويد تذبح ، وعين تدمع ، وكف تصرع ، فهذه مهزلة من المهازل .

كل هذه الفظايع والشنايع التي تتجاهر بها امريكا وانكلترا ووليدتهم البنت المدللة عندهم « اسرائيل » كله عجيب بل من اعجب الأعاجيب وأعجب من ذلك خمود جمرة العرب . . . .

وقسماً بكل المقدسات لو ان الدول العربية بقي في ظروفها وشل من الغيرة . . والنخوة الاسلامية لقاطعوا كل امريكي وانكليزي . . . »[٢] .

هكذا يتخذ القادة الحقيقيون مواقفهم . **﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾** الصافات ٦١ **﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾** - سورة المطففين ٢٦ - .

ان في زعماء المسلمين من كان يدين بالولاء للبنانيته قبل الاسلام ، ومنهم من يدين بالولاء لسياسة انظمة عربية ليست من الاسلام في شيء لاعتبارات مصلحية فرضتها العقيدة السياسية المشتركة ، ومنهم من يدين بالولاء لدول غير اسلامية في سبيل التحضر والتقدمية .

ان القيادة السياسية لدى المسلمين عموماً تبنت فكرة فصل الدين عن الدولة . لقد حملت الأفكار والمشاريع الاستعمارية فلم يكن بإمكانها ان تتصدى للمستعمرين . هذا في الوقت الذي تمارس مهامها ضمن الدولة لأنه مكتوب على هويتها انها مسلمة .

ان هذه القيادة شرذمت الدين الى اسلام سياسي واسلام تعبدي واحتكرت لنفسها حق التحدث باسم المسلمين . لقد حولت الاسلام الى « ديكور » إجتماعي ديني تزين بها الصالونات ويستخدم في المناسبات والحفلات،

بعض « القادة » صاروا يدخلون الى المساجد ويصلون رئاء الناس كأن الاسلام اصبح هو الموضة السائدة او السلعة التي كثر عليها الطلب والرغبة . لقد هيمن هؤلاء القادة على المؤسسات التي يفترض انها إسلامية فجعلوها في خدمة السياسات التنصيرية والتبشيرية لتغريب المسلمين في أوطانهم .

الحوار

. . منذ ان عقد المجمع المسكوني عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م قررت « امانة سر المجمع الفاتيكاني لشؤون غير النصارى » غزو العقل المسلم وتشويش افكاره عن طريق الحوار والانفتاح . وفي عام ١٩٦٩ م استطاعت الأمانة المذكورة وبالتنسيق مع « لجنة الحوار مع اتباع العقائد المختلفة » وضع الأسس لما سمي بـ « لقاءات الحوار المسيحية الاسلامية » ثم بدأ العمل وجرى عقد اللقاءات التالية :

لقاء جنيف (بين مثقفين ودعاة) ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

لقاء روما (بين الفاتيكان وبعثة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة) ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

لقاء برمانا (بين مثقفين مسلمين ونصارى من عشرين دولة) ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

لقاء اكرا - غانا (بين مثقفين مسلمين ونصارى من الدول الافريقية الناطقة بالانكليزية)١٩٧٤

لقاء قرطبة - اسبانيا (بين مثقفين من ٣٣ دولة عربية واسلامية وأوروبية) ١٩٧٤ م .

لقاء القاهرة (بين وفد الكنيسة الرومانية والمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة) ١٩٧٤ م .

لقاء الفاتيكان (بين وفد سعودي وامانة سر المجمع الفاتيكاني لغير المسلمين) ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

لقاء تونس (لقاء بين جامعيين مسلمين ونصارى) ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

لقاء هونغ كونغ (بين مثقفين مسلمين ونصارى من اندونيسيا وماليزيا وسنغفورا والفلبين ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

لقاء طرابلس - ليبيا (بين خمسمائة شخصية اسلامية ونصرانية من خمس وخمسين دولة) ١٩٧٦ م .

لقاء جنيف (بين مثقفين) ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

لقاء قرطبة (مائتا مسلم ونصراني من مختلف انحاء العالم) ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

لقاء بيروت (بين مثقفين) ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

لقاء القاهرة (بين مسؤولين في الأزهر وبعثة من الفاتيكان) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

لقاء فينيسيا (بين مفتي سوريا واسقف فينيسيا) ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م [3] .

وبينما هذه اللقاءات تعقد ويدعى الى امثالها كانت الخطط الصليبية تسعى جاهدة لانتزاع لبنان من الأمة الاسلامية كما انتزعت فلسطين والاندلس وتركستان وغيرها .

كما ان البعثات التبشيرية في العالم الاسلامي واصلت جهدها بشتى

الوسائل لغزو المجتمع الاسلامي وشرذمته وشله والقضاء عليه ، ومع كل صرخة استغاثة من المسلمين كانت دعوة نصرانية لعقد لقاء للحوار ، للتغريب، للتعايش، للتفاهم . ان هذا النشاط النصراني ، الهادف ظاهرياً الى تقريب وجهات النظر بين المسلمين والنصارى في العالم هو مكمل لدور البعثات التبشيرية في العالم الإسلامي .

وفي لبنان اتخذ هذا الحوار أشكالاً خطيرة . فأصبح « الزعماء المسلمون » يعقدون جلسات الحوار مع الصليبيين تحت سقف واحد ، من اجل « حل المشاكل ».وبعضهم اصبحوا يتوافدون على الأشرفية لعقد المؤتمرات في الكنائس ان اخطر ما في هذا الحوار أن أعوان اسرائيل لم يعودوا خونة وعملاء بل صاروا أصحاب قضية .

حتى ان أعضاء « لجنة المتابعة العربية » التي انبثقت عن مؤتمر بيت الدين في ٥ - ٦ شعبان ١٤٠١ هـ . (٧ - ٨ حزيران ١٩٨١ م) لم يجدوا حرجاً في الاجتماع الى بشير الجميل المتعامل مع اسرائيل . غير عابئين بالمبادىء الاسلامية ولا بموقف الشارع الاسلامي في لبنان ، ولا بالتفسير السياسي لاجتماع « لجنة المتابعة » مع بشير الجميل بأنه اعتراف بشرعية التعامل مع اسرائيل .

والغاية الحقيقية من هذه المفاوضات هي زعزعة العقائد بجر الناس الى القبول بما يطرحه النظام الماروني .

وفي احدى اللقاءات طالب وفد من « الكتائب » بتأمين وتبني تنازلات اسلامية تكون دليل « حسن نية من المسلمين تجاه النصارى حتى تدور عجلة الحوار بين الطائفتين » . وأخطر ما في هذه المطالب الكتائبية أنها تضمنت :

« **أولاً** : ان تتوقف جمعية المقاصد عن التوسع في منشآتها التعليمية بحيث يضطر المسلمون الى تسجيل ابنائهم في المدارس النصرانية ومدارس الإرساليات . ولا يتحولوا الى مدارس المقاصد نتيجة المناخ الذي ساد الأوساط الإسلامية بسبب الأحداث .

ثانياً : العمل على تصفية مدارس المسلمين في القرى واحلال التعليم الرسمي اللاديني مكان التعليم الاسلامي فيها .

ثالثاً : وضع حد لنشاط جامعة بيروت العربية وانهاء دورها التربوي ولو شكلياً في المجتمع الاسلامي في لبنان والبلاد العربية » [٤] .

وفي صيف ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م توجه عدد من رجال الدين المسلمين الى مقر « مجلس النواب » في قصر منصور حيث اجتمعوا الى النائب الكتائبي ادمون رزق وتباحثوا جميعاً في شؤون الوفاق والحوار « الاسلامي - المسيحي » واصدروا بياناً وفاقياً في ختام اللقاء مما أثار عليهم جميعاً غضب الشارع الاسلامي على اختلاف تياراته . وبعد فترة وجيزة تدفق جمع من رجال الدين على القصر الجمهوري للتزود بتوجيهات « الرئيس سركيس » التي التزموها واكدوها في تصريحاتهم التلفزيونية والصحفية الداعمة « للشرعية » والحوار ودخول الجيش الى المناطق الاسلامية [٥] .

لقد كانت القوى الصليبية ومن خلال مؤامرة الحوار تريد استيعاب هذه القيادات عبر توريطها وكشف أوراقها ، ومن ثم اثبات أن النظام القائم هو خير نظام لحكم لبنان ، وان جميع الدعوات الأخرى لا تصلح الا لجزء او لمجموعة من اللبنانيين وبالتالي الإبقاء على الإمتيازات المارونية .

في جلسة حوار عرضها التلفزيون اللبناني في ١٠ محرم ١٤٠١ هـ - ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٠ م ساق كريم بقرادوني ، الممثل الكتائبي ،

اتهاماته المعروفة ضد المسلمين وقال : « ان عليهم ان يعرفوا أن هناك شخصاً اسمه بشير الجميل يجب التحاور معه وبدونه لا يحدث شيء . . . » [٦] .

ان الحوار لا يكون بين فئة حاكمة وأخرى محكومة ، لأن الفوز في هذا الحوار لن يكتب إلا للمتسلط الذي لن يتنازل عن موقعه الا بحد السيف .

والمستضعف الذي ينتظر من حاكمه المستكبر ان يتنازل عن كبريائه ويقدم له حقوقه التي يطالب بها على طبق من ذهب ، هذا المستضعف لن يكتب في عداد الوارثين .

وعلينا ان نتذكر جميعاً ان مسلسل الذبح والتهجير والقتل على الهوية الذي مارسه النظام الماروني في لبنان . هذا المسلسل ترافق منذ اليوم الأول مع مسلسل الحوار والمناقشات واتفاقات لا تحصى على « سحب المسلحين » و « فتح الطرقات » و « وقف اطلاق النار » و « اعادة المهجرين » فماذا كانت النتيجة ؟

لقد اشار الموارنة في المذكرة التي قدموها الى المبعوث الفرنسي كوف دي مورفيل إلى انهم لا ينظرون الى الحوار نظرة جدية ، لأن هدفهم هو أبعد بكثير من هذه الاتفاقات المحدودة ،والمؤامرة التي خططوا لها هي اكبر من مجرد اتفاقية على وقف اطلاق النار او فتح معابر المرور بين شطري بيروت الغربية والشرقية .

ان الموارنة أنفسهم لم يعولوا على جلسات الحوار والمفاوضات بل اتخذوها سلماً للوصول الى أهدافهم ومقاصدهم بعكس « الزعماء المسلمين » .

أن حمـلات القـول والـرد بين « مختلف الـزعمـاء » لم تكن الا مسـرحية أريـد منها تضليـل الناس وإلهـائهم وتوهين عـزائمهم عن النهوض والقضاء على رأس الفتنة : النظام الماروني .

ان النـظام المـاروني كـان يعتبـر ان كـل الاتفـاقيـات التي يعقـدهـا والوعود التي يقطعها على نفسـه والمفاوضـات التي كانت تجـري باستمـرار ليست إلا خطوات تكتيكية لتحقيق الهدف النهائي وهـو : تحويـل لبنان الى « وطن قوي ماروني » .

وعندما كان هذا النظام يتنازل عن بعض مـواقفه عنـد الحاجـة أو عند الضيق فلكي يحافظ على ملكيته للقرار لأنـه ما دام القـرار بيده، فـان بإمكـانه ان يتخـذ قرارات جـديدة في الوقت المناسب أي عند زوال الشدة .

ان الطواغيت في كل عصـر ومصر يـريدون أن يشعـر الناس بتفـوقهم وعظمتهم . وأن تعمـر قلوب الجماهيـر بشعور عـظمة الحكـام وكبريـائهم وغطرستهم .

جـاء في البـروتـوكـول الخـامس عشر لحكمـاء صهيـون « والشـرط الأسـاسي في استقرارهـا (يعني استقرار الحكـومة) يكمن في تقـوية هيبـة سلطاتهـا ، وهـذه الهيبـة لا يمكن الـوصـول اليهـا الا بقـوة عـظيمـة غيـر متأرجحة وهي القوة التي ستبدو انهـا مقدسـة لا تنتهك لهـا حرمـة ومحاطـة بقوة باطنية لتكون مثلاً من قضاء الله وقدره » (٧) .

اذن فالمستكبرون الذين يسيرون جميعهم على هذه القاعـدة يريـدون أن يجعلوا سلطتهم من « قضاء الله وقدره » . وأن يزرعوا بـذرة الذل والعبـودية في دمـاء الناس التي تجـري في عروقهم والهـواء الذي يتنشقون منه .

يـريدون من المستضعفين أن يستصغـروا قدرهم أمـام الحكـام وبـألا يحدثوا أنفسهم بـامكان المـواجهة معهم .

ان المستكبر يصور نفسه دائماً عبر وسائل الإعلام وكـأنه قـوة راسخة أرسخ من الجبال أو هو المحور والأساس . ويحـاول ان يحمل النـاس على اعتبار وجـوده شـرطـاً ضرورياً وأساسياً لدوام حياتهم وتحصيل معاشهـم .

ألم يقـل فرعـون ﴿ **ما علمت لكم من الـه غيـري** ﴾ القصص ٣٨ . ﴿ **انا احي وأميت** ﴾ البقرة ٢٥٨ - . ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ النازعات ٢٤ .

ان فـراعنة عصـرنـا وان لم يقـولـوا هـذا الكـلام لكنهم في الحقيقـة كلهم متـألهون يـريدون من الآخـرين ان يملأوا قلوبهم وعقـولهم بمشـاعـر الهيبة والوقار تجاه الحكام . مثلما كان يفعل انـور السـادات في خـطاباتـه المطولـة عبر الاذاعـات.

ثم الم يقل شاه ايـران بأنـه اذا ما رحـل فستغرق البـلاد في بحر الـدماء لكننا رأينا جميعاً انه ما ان رحل حتى اشرقت ايران بنور ربها .

وفي المجتمـع الـذي تنتشر فيـه البـدع ويقضى على السنن ، فـان استعبـاد النـاس قـد يقـود الى نتـائـج سيئـة ، اولهـا الشـرك ، اذ يـظن المستضعف ان سلطة الحاكم الظالم هي امـر واقع لا بـد منه ولا يمكن أن تستقيم الأمور بدونه .

الم يعلن « جان جاك روسو » انه لا يستـطيع ان يتصـور فرنسـا بدون ملك رغم انه كان من الداعين الى تطوير النظام ؟

ان « جـان جاك روسـو » نشأ في ظـل الملكية وتنفس هـواءهـا فـظن انهـا مقدسـة وانهـا أبـدية لن تـزول ، ولم يعلم انهـا وليـدة يـوم من ايام التاريخ تهيـأت لها الأسبـاب فوجـدت وستتهيأ الأسباب فتزول ، ولن يبقى منها شيء .

يقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر في كتابه « بحث حول المهدي » : « . . . لأن من ينشأ في ظل حضارة راسخة ، تعمر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها ، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها لأنه ولد وهي قائمة ، ونشأ صغيراً وهي جبارة ، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة ، وخلافاً لذلك شخص يتوغل في التاريخ عاش الدنيا قبل ان ترى تلك الحضارة النور . . . » .

ويضيف :

« فبقدر ما يعمر قلب القائد المغير من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها واحساس واضح بأنها مجرد نقطة على الخط الطويل لحضارة الإنسان ، يصبح اكثر قدرة من الناحية النفسية على مواجهتها والصمود في وجهها ومواصلة العمل ضدها حتى النصر » .

وهناك سبب آخر لتقديم التنازلات وهو حب السلطة . ان المظاهرات أو العمليات الفدائية التي يقوم بها الشعب للحصول على حريته قد تدفع الحاكم الى القبول بما يفرض عليه من مطالب واصلاحات حفاظاً على السلطة .

ان كل المستكبرين في هذا العالم مصابون بهذاء الداء الخطير . فالبقاء على كرسي العرش حتى ولو كان شكلياً هو بالنسبة لهم يبقى فوق كل اعتبار .

فلقد قدم شاه ايران في ايامه الأخيرة تنازلات جوهرية ووافق على اجراء اصلاحات جذرية في نظامه مقابل ان يبقى هو ولو ظاهرياً على كرسي العرش ليسبح الناس بحمده .

ثم ان جزار العراق عرض على الجمهورية الاسلامية والحرب في أوجها ان ينزل في طهران « لحل المشاكل بالوسائل السلمية » . ولم يكن من

الممكن ان يتقدم بهذا العرض لو ان الوسائل العسكرية قد نجحت معه ولو انه حقق من خلال هجومه الغادر مآربه الشيطانية .

لقد اتخذ موقفاً مغايراً عندما علم أن مركزه قد زعزعته الحرب وأنه على وشك السقوط ، فأعلن عن استعداده للذهاب الى ايران وتلبية كل طلباتها من اجل الا يصاب سلطانه بأذى أو سوء . لكن طلبه قوبل بالرفض لأن « طهران لا تستقبل المجرمين » .

وعندما بدأ « الكتائب » حملتهم الصليبية على المسلمين في لبنان وخسروا المعركة عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ذهب الصليبي بيار الجميل الى الإذاعة وخاطب المسلمين بأن يكفوا عن القتال وبأنه يشهد بأن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله رغم ان أحداً لم يطلب منه ذلك .

هل اسلم هذا الصليبي الحاقد ؟

ان النظام الماروني في لبنان وبعد كل المجازر التي ارتكبها مازال يعتبر أن المارونية هي من دعائم لبنان وهي شرط أساسي لوجوده .

ان الهالة السحرية التي يحكم بها الطواغيت والجبابرة ويركزون بها سلطانهم وعروشهم سوف يستصغرها كل انسان عندما يثور عليها .

ان الاسلام يرفض هذا الحوار الذي يقوم بين مسلم مستضعف وصليبي مستكبر سيما وأن هؤلاء الصليبيين قد تآمروا على المسلمين مع القوى الصهيونية منذ قرون . ان من يتحالف مع اعداء الاسلام هو عدو للاسلام ايضاً : صديق عدوك عدوك . «﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ سورة المائدة - ٥١

والحقيقة أن الموارنة لا يريدون محاورين بل يريدون حلفاء والحوار لم يكن إلا وسيلة للوصول الى الغاية المرسومة .

يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدي ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير ﴾ البقرة - ١٢٠ .

يقول احد المحامين النصارى لصحيفة لوموند الفرنسية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م :

« لا شك بأن المسلمين اكثر تسامحاً منا ففي منطقة الحمراء ، ٨٠ بالمائة من التجار مسيحيون ولم يحدث يوماً ان فكر أحد بازعاجهم حتى في الحالات التي تقتل فيها قنابلنا مسلمي المنطقة الغربية »[٨] .

ان المخطط الماروني معروف بتآمره على الوجود الاسلامي في لبنان وعلى معتقدات المسلمين . انه يهدف الى اقتلاع جذور الاسلام من هذه البقعة من الأرض الاسلامية. ومن اجل تحقيق اهدافه المرسومة فانه لم يكف عن التعاون مع اسرائيل :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ آل عمران - ٦٤ .

وقفة مع الأوضاع الاجتماعية

اذا نظرنا الى الواقع اللبناني عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م بعد الحرب الطويلة نجد ان طبقة الـ ٤ ٪ لاتزال ٤ ٪ من السكان بينما الـ ٩٦ ٪ يعيشون في ظروف معيشية صعبة . انما الفرق هو في تغير الوجوه والانتماءات .

في السابق كانت طبقة الـ ٤ ٪ مشكلة أساساً من تحالف الإقطاع السياسي والاقطاع الاقتصادي والإقطاع الديني اما الآن (١٤٠٠ هـ) فهي مشكلة من تحالف الاقطاع الحزبي والإقطاع الاحتكاري والاقطاع العقائدي . اما الـ ٩٦ ٪ من الناس فيعيشون على فتات موائد الـ ٤ ٪ .

في عهد الاستقلال تميز النصارى بالقوة ورضخ المسلمون عن جهل واليوم وبعد ان فقد لبنان قناعه وظهرت طبيعة المعادن البشرية التي فيه ، فإن النصارى يحاولون جهدهم ابقاء مفاتيح البلاد في ايديهم والامتيازات من نصيبهم ولو أدى ذلك الى تقسيم لبنان . ان ريح الانتفاع بالمصالح لا تهب الا باتجاه جزء من هذا المجتمع ولا يشعر بها الجزء الآخر ، فالمشاريع المقامة ، وصمامات الامان في الادارات معظمها ان لم تكن كلها - وهي وسيلة الارتزاق وأدواته - تختص النصارى دون المسلمين .

ان الاحصـاءات العدديـة اللاحقـة تثبت هذا الكـلام وهي مستقاة من سجلات مجالس الخدمة المدنية وتتناول موظفي الفئـة الأولى في الادارات العـامـة ، وفي المؤسسـات العـامـة ، وفي المشـاريـع العـامـة ، وفي المؤسسات المختلطة ، وغير الداخلين في الملاكات السابقـة ، من حيث عـدد المراكـز وانتماء شـاغليها الى الـطوائف الدينيـة كمـا كـانت في شهـر نيسان ١٩٨٠ م [٩]،ولكنها لا تشمل سلك القضاء والسلك العسكري .

دراسة احصائيـة عن وظائف الفئـة الأولى والمناصب المماثلة لها في الدولة

رؤساء وأعضاء مجالس ادارة المشاريع العامة

المشاريع العامة	عدد المراكز	مسلمون	نصارى	مراكز شاغرة
مجلس تنفيذ المشاريع الانشائية	٣	٢	١	
مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت	٣	٢	١	
المشروع الأخضر	٣	١	٢	
راديو اوريان	٣		٢	١
المجموع	١٢	٥	٦	١
النسبة المئوية	١٠٠	٪ ٤١,٧	٪ ٥٠	٪ ٨,٣

جدول موظفي الفئة الأولى في بعض الإدارات العامة

الإدارة العامة	عدد المراكز	مسلمون	نصارى	مراكز شاغرة
مجلس الخدمة المدنية	٣	١	٢	
المجلس التأديبي العام	٣	١	٢	

الإدارة العامة	عدد المراكز	مسلمون	نصارى	مراكز شاغرة
رئاسة الجمهورية	٦	٢	٣	١
وزارة الخارجية والمغتربين	١	-	١	
وزارة المالية	٢	١	١	
وزارة الصحة العامة	١	—	١	
وزارة الاقتصاد والتجارة	٢	—	٢	
وزارة العمل والشؤون الاجتماعية	١	—	١	
وزارة الصناعة والنفط	٢	—	٢	

موظفو الفئة الأولى في المؤسسات العامة

المؤسسة العامة	عدد المراكز	مسلمون	نصارى	مراكز شاغرة
مصرف لبنان	٤	٢	٢	
الجامعة اللبنانية	١	—	١	
مجلس الانماء والاعمار	١	١	—	
المركز التربوي للبحوث والإنماء	١	—	—	١
مصلحة كهرباء لبنان	١	١	—	
مصلحة مياه بيروت	١	—	١ (ماروني)	
مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت	١	١	—	
مجلس تنفيذ المشاريع الانشائية	١	—	١ (ماروني)	
المصلحة الوطنية لنهر الليطاني	١	—	١ (ماروني)	
الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي	١	١	—	
مصلحة سكك الحديد والنقل المشترك	١	—	—	١
مكتب الانتاج الحيواني	١	١	—	
مصلحة الابحاث العلمية والزراعية	١	—	١ (ماروني)	
مكتب الفاكهة اللبنانية	١	—	١ (ماروني)	
مصلحة الانعاش الاجتماعي	١	١	—	
المجلس الوطني للبحوث العلمية	١	—	—	١

المؤسسة العامة	عدد المراكز	مسلمون	نصارى	مراكز شاغرة
مكتب الاستخدام	١	ـ	١ (ماروني)	
مؤسسة المحفوظات الوطنية	١	ـ	١ (ماروني)	
تعاونية موظفي الدولة	١	١	ـ	
معرض لبنان الدولي في طرابلس	١	ـ	ـ	١
ادارة منشآت راديو اوريان	١	ـ	ـ	١
المجمـوع	٢٤	٩	١٠	٥
النسبة المئوية	١٠٠	٣٧,٥	٪ ٤١,٧	٪ ٢٠,٨

خلاصة احصائية لموظفي الفئة الأولى في لبنان ومن في حكمهم عدا السلك الخارجي (السفراء)

موظفو الفئة الأولى	عدد المراكز	مسلمون	نصـارى موارنة	روم	كاثوليك	بقية الطوائف	مراكز شاغرة
الادارات العامة	٧١	٣٥	١٩	٦	٦	٢	٣
المؤسسات العامة	٢٤	٩	٨		١	١	٥
ادارة المشاريع العامة	١٢	٥	٢	٢	١	١	١
المؤسسات المختلطة	٦	٣	١	١			١
المجمـوع	١١٣	٥٢	٣٠	٩	٨	٤	١٠
النسبة المئوية	١٠٠	٪ ٤٦	٪ ٢٦,٥	٪ ٧,٧	٪ ٧,٦	٪ ٣,٥	٪ ٨,٧

وظـائف الفئة الأولى في وزارة الخـارجيـة (السفـراء والـوزراء المفـوضون) بعـد صدور حركة التشكيـلات والترفيـع بتاريـخ ٨ جمـادى الأول ١٣٩٧ هـ ـ ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٧ م [١٠] .

اولاً : السفراء في الملاك :

١ ـ نجيب الدحداح	ماروني
٢ ـ انطوان جبر	ماروني
٣ ـ جوزف نفاع	ماروني
٤ ـ انطوان فرنسيس	ماروني
٥ ـ انطوان فتـال	سرياني
٦ ـ ادمون خياط	ماروني
٧ ـ البرناصيف	كاثوليك
٨ ـ ادوار غرة	كاثوليك
٨ ـ نجيب صدقة	كاثوليك
١٠ ـ جان جاجي توما	ارثوذكس
١١ ـ اميل مطر	ارثوذكس
١٢ ـ حليم ابو عز الدين	مسلم
١٣ ـ نجاتي قباني	مسلم
١٤ ـ عبد الرحمن الصلح	مسلم
١٥ ـ عادل اسماعيل	مسلم
١٦ ـ مدحت فتقت	مسلم
١٧ ـ محمود البنا	مسلم
١٨ ـ محمود حافظ	مسلم
١٩ ـ نديم دمشقية	مسلم
٢٠ ـ منير غندور	مسلم
٢١ ـ خليل عيتاني	مسلم

ثانياً : السفراء خارج الملاك .

٢٢ ـ جوزف دوناتو	لاتين
٢٣ ـ منير تقي الدين	مسلم
٢٤ ـ حسين العبد الله	مسلم
٢٥ ـ خليل الخليل	مسلم
٢٦ ـ سعيد الأسعد	مسلم
٢٧ ـ جوزف سلامة	ماروني
٢٨ ـ كسروان لبكي	ماروني
٢٩ ـ انطوان دحداح	ماروني
٣٠ ـ نصري سلهب	ماروني
٣١ ـ بطرس ديب	ماروني

المدارس

بينما نرى أن المدارس والكليات والجامعات التابعة لإرساليات مسيحية أجنبية ، تحصل على التأييد والاعتراف الرسمي ، واحياناً على المساعدات ، وبينما نرى ان المساعدات الحكومية في متناول المدارس المسيحية الخاصة في لبنان ، لا نجد مثل هذا الاهتمام الرسمي بتعليم المسلمين . ان المدارس العامة التي يؤمها المسلمون بصورة رئيسية لا يصيبها تحسين ، ولا توسيع ولا يرفع بمستواها بحيث تجاري المدارس المسيحية او معاهد الإرساليات على الرغم من ان حاجة السكان المسلمين أمس في هذا الحقل ، علاوة على انه لا يوجد لديهم معاهد مماثلة للارساليات الأجنبية ، ومدارسهم الخاصة تهملها الحكومة .

في ١٤ رجب ١٣٩٧ هـ ـ ٣٠ حزيران ١٩٧٧ م صدر مرسوم اشتراعي رقم ٨٩ نص على اعطاء تسهيلات مالية لمؤسسات التعليم

العالي (التنصيرية طبعاً) نص المرسوم في مادته الأولى على ما يلي :

« استثناء من كل نص مخالف ، يجاز للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ان يمنح كلاً من مؤسسات التعليم العالي التالية قروضاً بالمبلغ المبين امام اسم كل منها وذلك ضمن توظيفات الصندوق لآجال طويلة :

١ ـ الجامعة الأميركية في بيروت تسعة عشر مليون ليرة لبنانية .

٢ ـ جامعة القديس يوسف ثلاثة ملايين ليرة لبنانية .

٣ ـ كلية بيروت الجامعية مليون ليرة لبنانية » .

وقد نصت هذه المراسيم على ان نسبة الفائدة المتوجبة هي فائدة بسيطة ٣ ٪ سنوياً وان مدة القرض هي عشر سنوات وأن التسديد يبدأ من نهاية السنة الخامسة .

ثم قررت الدولة منح قرض بشروط مشابهة للمستشفى اللبناني للأمراض العقلية والعصبية علماً بأن للجمعيات الطبية البريطانية دوراً أساسياً فيه . وقد تم توقيع اتفاقية هذا القرض والبالغ مقداره خمسة عشر مليون ليرة لبنانية بموجب المرسوم رقم ١٦٤٥ تاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٧٩ م [١١] .

وفي ٢٥ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ ـ ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٩ م صدق مجلس النواب على تقديم قرض جديد لجامعة القديس يوسف قيمته ستة ملايين ليرة لبنانية من اموال الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي وبهذا أصبح مجموع القروض التي منحتها الدولة للمؤسسات النصرانية بفوائد مخفضة وبكفالة الدولة أربعة وأربعين مليون ليرة لبنانية مقابل لا شيء للمؤسسات الإسلامية [١٢] .

وفي الوقت الذي نجد ان التعليم الرسمي بعيد كل البعد عن رسالة

الاسلام ، فانه يبحث عن شخصية مستقلة في خضم الصراع الثقافي القائم في لبنان بين انصار الثقافة الفرنسية وأنصار الثقافة الأميركية فان الدولة تعمل جاهدة لدعم المدارس الخاصة التنصيرية . واحصاءات المدارس المحللة في الجداول التالية مستخرجة من دراسات ميدانية قام بها المركز التربوي للبحوث والانماء التابع لوزارة التربية خلال العام الدراسي ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ م .

اما الاحصاءات العائدة للجامعات والمعاهد العليا فتعود للعام الدراسي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ م ومن ملفات مجلس التعليم العالي في لبنان .

ومن هذه الاحصاءات يتبين لنا ان المدارس النصرانية الخاصة المجانية تفوق الاسلامية عدداً بـ ١٩٢ مدرسة ، وفي المدارس الخاصة غير المجانية بـ ٢٢٩ مدرسة ، وفي مؤسسات التعليم العالي الخاصة بثماني مؤسسات .

المدارس الخاصة المجانية

المحافظة	المدارس المحصاة	المدارس الاسلامية	المدارس النصرانية	المدارس التي يملكها افراد
بيروت	٧٣	١٥	٣٠	٢٨
جبل لبنان	٢٥٧	٢٩	١٤٠	٨٨
الشمال	١٢٩	٣٧	٧٥	١٧
الجنوب	٥٢	١٧	٢٠	١٥
البقاع	٧٧	١٩	٤٤	١٤
المجموع	٥٨٨	١١٧	٣٠٩	١٦٢
النسبة المؤوية	١٠٠٪	٢٠٪	٥٣٪	٢٧٪

المدارس الخاصة غير المجانية

المحافظة	المدارس المحصاة	المدارس الاسلامية	المدارس النصرانية	المدارس التي يملكها افراد
بيروت	١٠١	١١	٥٧	٣٣
جبل لبنان	٢٤١	٣	١١٣	١٢٥
الشمال	٤٠	٢	٣٢	٦
الجنوب	٣٦	١	٢٠	١٥
البقاع	٣١	١	٢٥	٥
المجموع	٤٩٩	١٨	٢٤٧	١٨٤
النسبة المئوية	١٠٠٪	٤٪	٥٥٪	٤١٪ (١٣)

مؤسسات التعليم العالي الخاصة

الفئة	المجموع	المؤسسات الاسلامية	المؤسسات النصرانية
جامعات	٤	١	٣
معاهد عليا	٦	—	٦
المجموع	١٠	١	٩
النسبة المئوية	١٠٠٪	١٠٪	٩٠٪

الغزو التنصيري لمسلمي لبنان

وهكذا فان معظم المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية والأندية ومراكز الخدمات كلها تعمل في سبيل الغزو التنصيري لمسلمي لبنان . وللدلالة على ذلك يكفي ان نأخذ بيروت الغربية كمثال على هذا المخطط الرهيب .

اهم المدارس غير الاسلامية في بيروت الغربية : [١٤]

رأس بيروت :

راهبات المحبة ، القديسة لويزا
سيدة الوردية (مارونية)
المدرسة الإنجيلية الابتدائية
مار الياس المارونية
الثانوية الإنجيلية الفرنسية (بروتستانت)
الانجيلية الوطنية للبنان ، ثانوية
الانجيلية الوطنية للبنين
القديس منصور لراهبات المحبة
القديس فرنسيس للآباء الكبوشيين

الراهبات الكرمليات ، القديس يوسف
الليسيه الفرنسية اللبنانية الصغرى
القديسة حنة لراهبات البزنسون

المزرعـة :

مار مخايل - ارثوذكس

زقاق البلاط :

راهبات مار يوسف الظهور
مدرسة بيروت الإنجيلية للبنات
البطريركية
الانجيلية اللبنانية - بيروت - للبنات ودار المعلمات
الليسيه الفرنسية اللبنانية للبنات

المصيطبة .

مار الياس المصيطبة المختلطة (ارثوذكس)
مار بطرس وبولس للسريان الأرثوذكس
المدرسة المارونية
الادفنتست السبتية
ثانوية مار سوير يوس للسريان الأرثوذكس
سيدة المصيطبة للروم الكاثوليك
مار افرام للسريان الكاثوليك
مار الياس بطينا الثانوية
المعمدانية الإنجيلية الثانوية
مجمع الكنائس للخدمة الاجتماعية في لبنان

اهم مراكز التنصير والخدمات في رأس بيروت :

مركز ريتا

مركز رأس بيروت

كلية اللاهوت للشرق الأدنى

وجدتها « حياة لبنان »

مركز الاتحاد الكنسي

المركز اللوثري

بيت الرعية « كنيسة الوردية »

المركز الجامعي المسيحي

الكنيسة الجامعية المعمدانية

ويبقى السؤال قائماً : بحماية من . . . وبسبب تقصير من . . . نشرت هذه المراكز في المناطق الاسلامية ؟ .

نماذج من المطبوعات الدينية المسيحية في لبنان لعام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م [١٥] .

اسم المطبوعة	كيفية الصدور	اللغة المستخدمة	البلد	الجهة التي تصدرها
القيامة	شهرية	العربية	منصورية بحمدون	كنيسة النبي الياس الأرثوذكسية
كلمة الحياة	اسبوعية	العربية	بيروت	مطرانية الروم الكاثوليك
رسالة	غير محددة	العربية	بيروت	جمعية الشبان المسيحية
رابطة الأخويات	غير محددة	العربية	بيروت	رابطة الأخويات
البستان	غير محددة	العربية	بيروت	الاتحاد العام للتهذيب المسيحي في الشرق الأدنى

اسم المطبوعة	كيفية الصدور	اللغة المستخدمة	البلد	الجهة التي تصدرها
النشرة الثقافية	شهرية	العربية والفرنسية	بيروت	مؤتمر اكليروس الروم الكاثوليك
المسيرة	فصلية	العربية	بيروت	تجمع المسيحيين الملتزمين
المدود	غير محددة	العربية	بيروت	اسرة البرادو في الشرق الأوسط
دار العناية	شهرية	العربية	صيدا	مؤسسة المخلص الاجتماعية
بـابـل	فصلية	العربية	بيروت	رابطة الشباب الكلدانية
الشبيبة العاملة	شهرية	العربية	بيروت	اللجنة المركزية لحركة الشبيبة العاملة
الرسالة المخلصية	شهرية	العربية	صيدا	دير المخلص
المنتدى	شهرية	العربية والانكليزية	بيروت	مجلس كنائس الشرق الأوسط
الايمان الرسولي	مرة كل شهرين	العربية	بيروت	ـــــ
الكتاب المقدس في العالم	فصلية	العربية	بيروت	دار الكتاب المقدس
النشرة الرعائية	فصلية	العربية	بيروت	مطرانية الروم الكاثوليك
الوحدة في الإيمان	فصلية	العربية	صيدا	دير المخلص
البشارة	غير محددة	العربية	بيروت	جمعية الكتاب المقدس
هو وهي	غير محددة	العربية	بيروت	دار مطبوعات الشرق الأوسط
النشرة	شهرية	العربية	بيروت	السنودس الانجيلي الوطني في سوريا ولبنان
نداء الصحة	شهرية	العربية	بيروت	دار الشرق الأوسط للطبع والنشر
نور وحياة	شهرية	العربية	طرابلس	عدد من الآباء الموارنة
النور	شهرية	العربية	بيروت	حركة الشبيبة الأرثوذكسية
المسرة	شهرية	العربية	جونية	الآباء البولسيون ـ حريصا
قنشرين	مرتين او اكثر في السنة	العربية والسريانية	بيروت	المجلس الملي للسريان الأرثوذكس
قافلة المحبة	فصلية	العربية	بيروت	المركز اللوثري للخدمات الدينية
الغريب	كل شهرين	العربية	بيروت	الكنيسة الإنجيلية المعمدانية
العيلة	فصلية	العربية	بيروت	رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الأوسط
الرعية	شهرية	العربية	بيروت	كنيسة مار مارون ـ الجميزة
رسالة الكنيسة	فصلية	العربية	بيروت	الكنيسة الانجيلية الوطنية
الرجاء	شهرية	العربية	بيروت	كنيسة الأدفنتست

اسم المطبوعة	كيفية الصدور	اللغة المستخدمة	البلد	الجهة التي تصدرها
الرائدة	فصلية نسائية	العربية والانكليزية	بيروت	نخبة من طالبات كلية بيروت الجامعية.
آفاق	شهرية	العربية	بيروت	
الرسول	شهرية	العربية	زحلة	مطرانية الروم الكاثوليك
على دروب الرب	شهرية	العربية	جونية	الآباء البولسيون ـ حريصا
أمسيات الأحد	دورية	العربية	جونية	الآباء البولسيون ـ حريصا
نشرة	شهرية	العربية	المتن الأعلى	دير مار جرجس الحرف

اما على الصعيد الاسلامي فالمطبوعات لا تتجاوز عدد اصابع اليدين علماً ان معظمها يتوقف عن الصدور فترات طويلة لأسباب مادية او سياسية او تنظيمية .

اسم المطبوعة	كيفية الصدور	اللغة المستخدمة	البلد	الجهة التي تصدرها
الفكر الاسلامي	شهرية	العربية	بيروت	دار الفتوى
الأمان	أسبوعية	العربية	بيروت	الجماعة الاسلامية
الرسالة الاسلامية	اسبوعية غير منتظمة	العربية	بيروت	فيصل السماك
المنطلق	كل شهرين	العربية	بيروت	اتحاد الطلبة المسلمين
صدى الجهاد	شهرية	العربية	بيروت	الحركة الاسلامية المجاهدة
المقاصد	شهرية	العربية	بيروت	جمعية المقاصد
التقرير الاسلامي	رقمية غير دورية	العربية	بيروت	المركز الاسلامي للتربية
العباد	شهرية	العربية	بيروت	جماعة عباد الرحمن

جدول عدد مدرسي « مادة الدين » لعام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ م(*) (١٦)

المنطقة	عدد المدارس	عدد التلاميذ	عدد الصفوف	نسبة طلاب المدارس الرسمية الى مجموع الطلاب في المدارس	غالبية السكان	عدد مدرسي مادة الدين المطلوب
بيروت الأولى	١٤	٥٩٤٦	٢٢١	٪ ٢٠,٦	نصارى	٢
بيروت الثانية	١٣	٦٦٣٤	١٨٣	٪ ٢٩	مسلمون	٢١
بيروت الثالثة	٣٩	٢٢٥٨٧	٦٦٨	٪ ٣٣,٩	مسلمون	٧٤
ضواحي بيروت الشمالية	٢١	١١١٩٤	٣٢٩	٪ ١٨,١	نصارى	٣
ضواحي بيروت الجنوبية	٣٨	٢٦٣٥٦	٧١٠	٪ ٢٩,٥	مسلمون	٧٨
المجموع	١٢٥	٧٢٧٣٥	٢١١١	٪ ٢٧		١٧٨
جبيل	٥٠	٦٧٣٧	٤٠٢	٪ ٤٩,١	نصارى	١٧
كسروان	٣٣	٤٦٦٥	٢٦٦	٪ ١٧,٨	نصارى	٢
المتن	٣١	٦٨٠٢	٣٣٠	٪ ٢٤,٦	نصارى	٢
بعبدا	٢٦	٢٨٢١	٢١٦	٪ ٤٠	مسلمون	٢٤
عالية	٦٢	١٣٩٧٤	٦١٤	٪ ٤٧,٦	مسلمون	٦٨
الشوف	٨٧	٢١١٨١	٩٣٤	٪ ٦٦,٦	مسلمون	١٠٣
المجموع	٢٨٩	٥٦١٨٠	٢٧٦٢	٪ ٤١,٤		٢١٦

(*) ان القاعدة التي اعتمدت في وضع هذا الجدول هي ان ينال كل صف ساعتين في الأسبوع علماً ان النصاب التعليمي لمدرس العلوم الدينية هو ٢٠ ساعة أسبوعياً في المناطق التي غالب سكانها مسلمون مع افتراض نسبة هدر مقدارها ١٠ ٪ نتيجة عدم امكان تأمين جداول كاملة لقسم من المعلمين في المدارس الرسمية الواقعة في هذه المناطق . اما المناطق التي غالب سكانها من النصارى فقد قدر لها عدد من المدرسين للعلوم الدينية تبعاً لوضع القرى الاسلامية فيها ، مع افتراض حد أدنى مقداره مدرسان .

المنطقة	عدد المدارس	عدد التلاميذ	عدد الصفوف	نسبة طلاب المدارس الرسمية الى مجموع الطلاب في المدارس	غالبية السكان	عدد مدرسي مادة الدين المطلوب
طرابلس وضواحيها	٧٤	٢٩٣٠٢	٩٨٥	٥٠,٩ ٪	مسلمون	١٠٩
قضاء طرابلس	٤٨	٩٠٤٩	٤١٦	٩٦,٢ ٪	مسلمون	٤٦
عكار	١١٦	٢٢٣٥٩	٩٦٨	٨١,٨ ٪	مسلمون	١٠٧
زغرتا	٣٣	٥٧٩٣	٢٩١	٥٥,٩ ٪	نصارى	٢
الكورة	٤٤	٧١٣١	٤٠٧	٦٢,٥ ٪	نصارى	١١
بشري	١٤	٢٧٢٩	١٣٥	٦٠,٩ ٪	نصارى	٢
البترون	٤٨	٥٥٣٦	٣٨٠	٦٥,٤ ٪	نصارى	٢
المجموع	٣٧٧	٨١٨٩٩	٣٥٨٢	٦٣,٥ ٪		٢٧٩
زحلة وضواحيها	٢٤	٦٧١٩	٢٨١	٣٥,٩ ٪	نصارى	٣
قضاء زحلة	٢٣	٥٦٣٤	٢٢١	٣٤,٧ ٪	مسلمون	٢٥
الهرمل	٢١	٢٢٤٣	١١٦	٦٤,٩ ٪	مسلمون	١٣
بعلبك	١٠١	٢٠١٧١	٨١٣	٦٠,٤ ٪	مسلمون	٩٠
البقاع الغربي	٣١	٨٨٨٠	٣٣٥	٦٢,١ ٪	مسلمون	٣٧
راشيا	٢٩	٤٩١٠	٢٢٠	١٠٠ ٪	مسلمون	٢٥
المجموع	٢٢٩	٤٨٥٥٧	١٩٨٦	٥٣,٣ ٪		١٩٣
صيدا وضواحيها	٢٩	٩٨٤٨	٣٧٥	٤٠,٤ ٪	مسلمون	٤٢
قضاء صيدا	٣٥	٨٩٩٣	٣٥٣	٦٦,٧ ٪	مسلمون	٣٩
جزين	٤٠	٤٠٤٥	٢٨٢	٧٣,٦ ٪	نصارى	١٠
النبطية	٥٢	١١٨٩١	٣٩٩	٧٥,١ ٪	مسلمون	٤٤
حاصبيا	١٣	٣١٥٤	١٢٣	٩٠,٧ ٪	مسلمون	١٤
مرجعيون	٢٨	٧٦٣٨	٢٠٨	٩٣,١ ٪	مسلمون	٢٣
صور	٦١	١٥٨٢٠	٥٤٦	٦٣,١ ٪	مسلمون	٦٠
بنت جبيل	٤٤	٦٥٢٠	٢٦٥	٧٧,٨ ٪	مسلمون	٣٠
المجموع	٣٠٢	٦٨٤٠٩	٢٥٥١	٦٥,٢ ٪		٢٦٢

ملخص الإحصائية

بيروت وضواحيها	١٢٥	٧٢٧٣٥	٢١١١	٢٧ ٪	١٧٨
جبل لبنان	٢٨٩	٥٦١٨٠	٢٧٦٢	٤١,٤ ٪	٢١٦
الشمال	٣٧٧	٨١٨٩٩	٣٥٨٢	٦٣,٥ ٪	٢٧٩
البقاع	٢٢٩	٤٨٥٥٧	١٩٨٦	٥٣,٣ ٪	١٩٣
الجنوب	٣٠٢	٦٨٤٠٩	٢٥٥١	٦٥,٢ ٪	٢٦٢
المجموع	١٣٢٢	٣٢٧٧٨٠	١٢٩٩٢	٤٤,٩ ٪	١١٢٨

وهكذا تبين لنا من ملخص الاحصائية ان ابناء المسلمين في المدارس الرسمية بحاجة إلى **١١٢٨** مدرساً لمادة الدين الاسلامي ، يضاف اليهم **١١٣** للتفتيش والادارة الدينية (١٠ ٪) فيكون المجموع العام **١٢٤١** شخصاً .

طب الأسنان في لبنان

تهدف هذه الدراسة الاحصائية الى توضيح حقيقة وضع مهنة طب الأسنان في لبنان بالنسبة الى المناطق المختلفة من اسلامية ونصرانية في ظل النظام الماروني .

والدراسة مبنية على معلومات مستقاة من نقابة اطباء الأسنان ومن كلية الطب في الجامعة اليسوعية . وتجدر الإشارة الى أن الأرقام العائدة للسكان وتوزيعهم على الأقضية هي ارقام الجامعة اليسوعية وهي تختلف بالطبع عن الأرقام الحقيقية .

وللتوصل الى تقرير عدد اطباء الأسنان اللازمين لكل منطقة أو قضاء ، اعتمدت الدراسة نسبة طبيب اسنان واحد لكل ألفين من السكان ، وهي النسبة التي اعتمدت في اليونان البلد المشابه الى حد ما لبنان جغرافياً وسكانياً واقتصادياً . في حين ان النسب العالمية تصل الى طبيب أسنان واحد لكل ألف من السكان في السويد ، والى طبيب اسنان واحد لكل الف ومائتين من السكان في النروج .

ويستنتج في نهاية الإحصائية ان المناطق الاسلامية لا تزال بحاجة الى ٧٢٧ طبيب أسنان بينما المناطق النصرانية لا تزال بحاجة الى ٣٣٤ طبيب أسنان فقط .

فاذا نظرنا الى ميدان تعليم طب الأسنان في لبنان ، نجد أن التعليم محصور في كلية طب أسنان واحدة قائمة في الجامعة اليسوعية في المنطقة الشرقية من بيروت ، وتضم من بين طلابها ١٢ طالباً مسلماً فقط من اصل ١٤٧ طالباً كانوا مسجلين فيها في العام الدراسي ١٩٧٧ - ١٩٧٨ والخلاصة الرقمية هي : مقابل نقص في عدد أطباء الأسنان لدى المسلمين يبلغ ٧٢٧ طبيباً يوجد فقط ١٢ طالباً في كلية طب الأسنان في لبنان ، بينما مقابل نقص لدى النصارى يبلغ ٣٣٤ طبيباً يوجد ١٣٥ طالباً في كلية طب الأسنان .

التوزيع الجغرافي لأطباء الأسنان عام ١٩٧٧ (١٧)

المنطقة أو القضاء	غالبية السكان	عدد السكان	عدد اطباء الأسنان المتواجدين	عدد اطباء الأسنان اللازمين	النقص في عدد اطباء الأسنان
بيروت وقضائي بعبدا والمتن	—	٨٨٨,٧٠٠	٤٥٣	٤٤٤	—
قضاء الشوف	مسلمون	١٩٢,٤٠٠	٧	٩٦	٨٩
قضاء عاليه	مسلمون	١٣٠,٥٠٠	٦	٦٥	٥٩
قضاء كسروان	نصارى	١١١,٢٠٠	١٤	٥٦	٤٢
قضاء جبيل	نصارى	٨٩,٢٠٠	٨	٤٥	٣٧
قضاء طرابلس	مسلمون	٢٤٤,٣٠٠	٦٧	١٢٢	٥٥
قضاء الكورة	نصارى	٧٤,٨٠٠	٢	٣٧	٣٥
قضاء زغرتا	نصارى	٨٨,٠٠	٢	٤٤	٤٢
قضاء البترون	نصارى	٧٨,٨٠٠	٣	٣٩	٣٦
قضاء عكار	مسلمون	١٨٦,٨٠٠	لا أحد	٩٤	٩٤
قضاء بشري	نصارى	٦٨.٣٠٠	١	٣٤	٣٣
قضاء زحلة	نصارى	١٦٦,٠٠	١٠	٨٣	٧٣
قضاء البقاع الغربي	مسلمون	٨١,٥٠٠	١	٤١	٤٠
قضاء بعلبك	مسلمون	١٦٧,٠٠٠	٥	٨٤	٧٩

المنطقة او القضاء	غالبية السكان	عدد السكان	عدد اطباء الأسنان المتواجدين	عدد اطباء الأسنان اللازمين	النقص في عدد اطباء الأسنان
قضاء الهرمل	مسلمون	٣٣,٠٠٠	لا أحد	١٧	١٧
قضاء راشيا	مسلمون	٤٦,٥٠٠	لا أحد	٢٣	٢٣
قضاء صيدا	مسلمون	١٢٨,٤٠٠	١٠	٦٤	٥٤
قضاء النبطية	مسلمون	٩٨,٣٠٠	١	٤٩	٤٨
قضاء صور	مسلمون	١١٨,٨٠٠	٣	٥٩	٥٦
قضاء بنت جبيل	مسلمون	٩٩,٦٠٠	١	٥٠	٤٩
قضاء مرجعيون	مسلمون	٨٨,١٠٠	٢	٤٤	٤٢
قضاء حاصبيا	مسلمون	٤٥,٢٠٠	١	٢٣	٢٢
قضاء جزين	نصارى	٧٤,٦٠٠	١	٣٧	٣٦
المجموع العام		٣.٣٠٠,٠٠٠	٥٩٨	١٦٥٠	١٠٦١
النقص في المناطق الاسلامية					٧٢٧
النقص في المناطق النصرانية					٣٣٤

مشروع زحلة الكبرى

يسعى النظام الماروني على الدوام إلى إذابة المسلمين في جميع المناطق من اجل احياء بدعة « لبنان المسيحي » .

ولهذه الغاية اعتمد خطة مشبوهة مغلفة بالمظاهر العلمية الخداعة تدعو الى انشاء زحلة الكبرى . وقد اثبتت الأحداث منذ العام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م أن أهالي زحلة كانوا يسعون في الحقيقة لتصفية الحزام الاسلامي المحيط بتلك المدينة من محاورها الثلاثة : الشمال والشرق والجنوب .

ولا أدل على نفسية أهالي زحلة من كونهم منعوا المسلمين من تأدية صلاة العيد في مسجد حوش الأمراء بحجة ان تأديتها تثير الحساسية لدى النصارى .

يهدف المشروع الى ضم مناطق جديتا ، شتورة ، تعلبايا ، سعدنايل ، حزرتا ، حوش الأمراء ، المعلقة ، الكرك ، الفرزل الى مدينة زحلة وجعلها مناطق تابعة لها من الدرجة الثانية والثالثة .

هذا بالرغم من ان البلدان المذكورة تعتبر كلها مناطق اسلامية ما عدا الفرزل وبعض أقسام جديتا حيث يشكل النصارى الأكثرية كما يتبين من الجدول

التالي حسب التقديرات المتوافرة : [١٨]

البلدة	العدد الاجمالي	مسلمون	نصارى
جديتا	٧٥٠٠	٢٥٠٠	٥٠٠٠
شتورا	١٠٠٠	٣٤٠	٦٦٠
تعلبايا	٢٥٠٠٠	٢٠٠٠٠	٥٠٠٠
سعد نايل	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	٠
حزرتا	٦٠٠٠	٦٠٠٠	٠
حوش الأمراء	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٠
معلقة زحلة	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٠
الكرك	٤٠٠٠	٤٠٠٠	٠
الفرزل	١٥٠٠٠	٠	١٥٠٠٠
المجموع	٧٩٥٠٠	٥٣٨٤٠	٢٥٦٦٠
النسبة المئوية	١٠٠ ٪	٦٨ ٪	٣٢ ٪

وإذا أضفنا الى هذه القائمة سكان زحلة نفسها والبالغ عددهم ٦٠ ألفاً من النصارى يصبح المجموع ١٣٩٥٠٠ نسمة وتصبح النسبة المئوية على الشكل التالي :

٣٩ ٪ مسلمون

و ٦١ ٪ نصارى

رغم هذه النسبة في توزع السكان فان تشكيل لجنة المتابعة لمشروع زحلة الكبرى المقدم من رئيس غرفة التجارة والصناعة والزراعة في زحلة الفرد سكاف يظهر غياب المسلمين شبه الكلي .

فاللجنة تشكلت على النحو التالي : [١٩]

عن نواب زحلة : جوزف سكاف ، الياس الهراوي ، سليم المعلوف .

عن أساقفة زحلة المطارنة : اوغسطينوس فرح ، اسبيريدون خوري ، جورج اسكندر .

عن الوزراء السابقين : جوزيف ابو خاطر ، جان سكاف ، جورج سكاف ، الفرد سكاف .

عن غرفة التجارة : جورج شديد ، سامي غرة ، يوسف الخطيب ، منير أبو الجلد .

عن بلدية زحلة : ميشال سابا ، ابراهيم حبيقة .

عن صحافة زحلة : جان عرابي ، جان بخاش ، نقولا ألوف .

عن المحامين : فايز الحاج شاهين ، جان مسلم .

عن المهندسين : البير بريدي ، جورج قرطاس ، جورج سكاف ، جان معلوف .

وقد اعتبرت اللجنة محافظ البقاع هنري لحود (يومذاك) رئيساً فخرياً لها .

الأهداف المعلنة

أما أهداف المشروع المعلنة فقد وردت في نشرة « الوكالة الوطنية للأنباء » الاولى بتاريخ ٢١ ذو القعدة ١٣٩٩ هـ - ١٢ تشرين الأول ١٩٧٩ م كما يلي :

« يشمل مشروع زحلة الكبرى شمالاً بلدة الفرزل وضمها الى كنار زحلة البلدي ، وجنوباً أعالي سعدنايل وتعلبايا وشتورا ، وغرباً ضهور زحلة والكرك ، وشرقاً أراضي حوش الأمراء والمعلقة .

ويهدف المشروع الى انشاء تجمع بلدي يضم بلديات زحلة -

المعلقة والفرزل وسعدنايل وتعلبايا وشتورا وجديتا . والى تنفيذ التكاثف السكني ليصبح عدد سكان زحلة الكبرى ما لا يقل عن خمسماية الف نسمة سنة ٢٠٠٠ (م) . كما ينص المشروع على دعوة الرساميل الزحلية واللبنانية والمصارف وشركات الضمان لتأليف التسليف والرساميل لأصحاب الأراضي وللراغبين في بناء المساكن والمتاجر والمنشآت العامة » . [٢٠]

حقيقة المشروع

أما حقيقة المشروع وأخطاره على الوجود الاسلامي في تلك المنطقة وعلى المناطق الاسلامية التي تمر طرق اتصالاتها ببيروت عبر منطقة « زحلة الكبرى » فتتضح بما يلي :

أولاً : الأهداف العسكرية : وهي كثيرة منها :

أ - عدم تكرار تجربة ١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠ م عندما هو جمت زحلة من ثلاثة محاور ، محور الشمال الشرقي ومحور الجنوب الغربي ومحور الشمال الغربي خاصة وأن المراكز النصرانية للاشراف على سهل البقاع والمتمثلة أساساً بالأديرة المشرفة على السهل والموزعة : شمالاً من دير الأحمر انتهاء بصغبين جنوباً مروراً بزحلة وقب الياس ، قد فقدت دورها نتيجة تغير الخارطة البشرية الدينية للبقاع .

ب - قطع طريق الاتصال بيروت - دمشق وجعل كل اتصال خاضع للنزوات النصرانية .

ج - خلال أحداث زحلة (ابتداء من ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) اضطر أهالي مناطق بعلبك الهرمل الى استخدام طريق شتورا - دير زنون - رياق للاتصال ببيروت . والمخطط الجديد سيقطع هذا الطريق البديل .

د - بسبب وجود الدولة المارونية والاحتلال الصهيوني في الجنوب اضطر أهالي حاصبيا وشبعا الى سلوك طريق شتورا - مجدل عنجر - راشيا كبديل وحيد لاتصال مناطقهم مع بيروت والمخطط الجديد يجعل الطريق البديل تحت رحمة غلاة الصليبية الحاقدة في زحلة .

هـ - والهدف العسكري الأهم هو ابقاء طريق زحلة - المتن مفتوحة لما يمثله من طريق امين للامدادات البشرية والعتاد . هذا الطريق الذي مثل شريان الحياة الأساسي لزحلة خلال حرب ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

ثانياً : أهداف إجتماعية

يظهر في الوقت الحاضر للمسلمين كيانات على النطاق البلدي في كل من تعلبايا وسعدنايل وحزرتا وحوش الأمراء ومعلقة زحلة والكرك ، بينما لو ضمت هذه المناطق الى زحلة لضاع الوجود الإسلامي فيها ولأدى الى الذوبان التدريجي للمسلمين في المجتمع الزحلي الجديد والى نزوح الكثيرين الى خارج نطاق مشروع زحلة الكبرى حرصاً على سلامتهم وأمنهم الشخصي وسلامة عائلاتهم .

وهناك خطر آخر على صعيد الخدمات البلدية قد يكون ناتجاً طبيعياً للسيطرة النصرانية على المجلس البلدي الجديد وذلك بتركيز الخدمات والمنشآت البلدية في الأحياء والمناطق النصرانية ، وتحويل المناطق الاسلامية الى مناطق درجة ثانية وثالثة نتيجة لإهمال مقصود ، مثل تخصيص اعتمادات الطرق للأحياء الممتازة ، او انشاء شبكات الإنارة العامة في تلك الأحياء ، أو شبكات المجارير العامة أو رفع النفايات الخ ..

والمعروف ضمناً ان المناطق التي تشعر انها متخلفة عن باقي المناطق في تجمع سكاني ما ، تصبح هذه المناطق عرضة لمختلف

تيارات الإنحلال والإذلال وما أحياء السود في نيويورك ببعيدة .

ثالثاً : أهداف اقتصادية :

نتيجة لحرب ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م وما بعدها فقدت مدينة زحلة ثقلها التجاري والصناعي والزراعي والسياحي في البقاع لأسباب أمنية ولانضمام معظم سكانها الى الميليشيات .

فقد مرت زحلة بفترة اصبحت فيها معزولة عن باقي البقاع واتخذ العزل كافة الأشكال المؤثرة كانقطاع الاتصال البشري والمقاطعة الإقتصادية .

وقد أدى هذا إلى نشوء مركز ثقل تجاري وصناعي وزراعي وسياحي جديد يتركز في مناطق سعدنايل - تعلبايا - شتورا .

وحتى تستعيد الرأسمالية الزحلية سيطرتها على موارد البقاع كان لا بد لها من القضاء على الرأسمالية الجديدة الناشئة خارج زحلة . فكان الحل في مشروع زحلة الكبرى بحيث تصبح هذه المناطق التجارية الجديدة جزءاً من زحلة ، ثم يجري تصفيتها تدريجياً عن طريق تخطيط المناطق وتصفيتها .

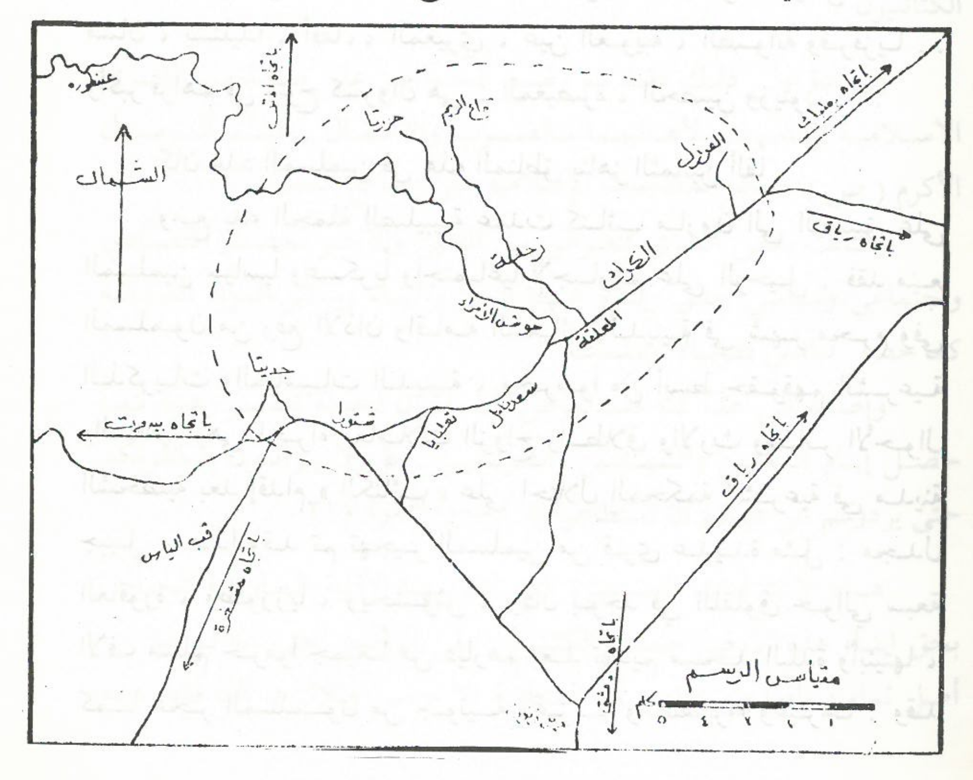
ولهذا نرى ان الجهات التي تقدمت بمشروع زحلة الكبرى والتي مثلت دور الواجهة له كانت الجهات الاقتصادية مدعومة بالجهات الدينية والعسكرية .

وقد بدأت الجهات المستفيدة منه على أساس تصفية الحزام الإسلامي حول زحلة بتنفيذ مرحلة الخطوة خطوة من المشروع ويتضح ذلك من أمرين :

أ - الظهور الاعلامي المضخم لشركة انماء البقاع والذي يهدف في ما يهدف اليه الى اقامة خمسمائة مسكن جديد سنوياً بالاضافة الى مناطق صناعية جديدة ، على غرار التضخيم الاعلامي الذي رافق انشاء شركة بروتيين والذي كان يهدف أساساً الى اخفاء الأخطار التي تصيب المسلمين نتيجة مثل هذه المشاريع وذلك بإظهارها مشاريع اقتصادية إنمائية ، بينما هي في الحقيقة تحمل في طياتها ابعاداً وأهدافاً خطيرة جداً على الوجود الاسلامي وكيانه في لبنان .

ب - تقدم بعض نواب زحلة بطلب لنقل قيد عقارات من مناطق التلال من منطقة حزرتا الإسلامية الى منطقة قاع الريم المسيحية بهدف سلخ الأرض الإسلامية واستغلالها من قبل غير المسلمين لإقامة تجمعات صناعية بحيث تقتصر الفائدة على المناطق والسكان النصارى . (٢١)

وفيما يلي خارطة توضيحية لهذا المشروع :



نكبة جبيل

قبل احداث ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م كان المسلمون ينتشرون في أحياء عديدة من مدينتي جبيل وعمشيت ، وفي ثلاثين قرية كبيرة وصغيرة ، مثل علمات ، لاسا ، اللقلوق ، حجولا ، رأس أسطا ، مشان ، بشتليدا ، أفقا ، المغيري ، عين الغويبة ، الصوانة وقرقزيا . . وأكبر قراهم في فتوح كسروان هي : المعيصرة ، الحصين وزيتون . . .

كان عدد المسلمين في هذه المناطق يناهز الثمانين ألفاً .

ومع بدء الحملة الصليبية عمدت كتائب مارون الى التضييق على المسلمين سياسياً وعسكرياً واجتماعياً لإجبارهم على الرحيل . فقد منع المسلمون من رفع الآذان واقامة الشعائر الدينية في شهر محرم وفي الذكريات والمناسبات الدينية ، وحرموا من أبسط حقوقهم الشرعية والمدنية وهي اجراء معاملات الزواج والطلاق والارث وسائر الأحوال الشخصية بعد إقدام « الكتائب » على احتلال المحكمة الشرعية في مدينة جبيل ، هذا وقد تم تهجير المسلمين من قرى عديدة مثل : مجدل العاقورة ، وطورزيا ، ويحشوش ، وكان يوجد في اللقلوق حوالي سبعة آلاف مسلم حرموا جميعاً من ديارهم بعد تهديم مسجد البلدة وأبنيتها ، كما هجر المسلمون من جونية وغزير والصفراء وغيرها . وقد

عمدت الميليشيات المارونية إلى احتلال المساجد والقاء المتفجرات عليها . ففي ميناء جبيل تحول جامع الصيادين الى مخزن للخشب ، واتخذ احد الكتائبيين من جامع الخضر في جبيل أيضاً منزلاً له .

وعلاوة على ذلك فقد منع المسلمون من اصلاح وترميم مساجدهم ، كما حصل في عين الدلبة ، ورأس أسطا ، وكفرسالا .

فيما تعرض أئمة المساجد لمحاولات الاغتيال والشتم والسب والاهانة مرات عديدة .

ومنع أبناء المسلمين في جبيل من ممارسة اي نشاط رياضي او اجتماعي أو صحي في قراهم لا سيما في كفرسالا والحصين وعلمات ومنعوا من تلقي العلوم الاسلامية في المدارس الرسمية في الوقت الذي اجبروا على حضور الدروس المسيحية وعلى الدخول الى الكنيسة وسط حملة من الشتم والاستهزاء بنبي الاسلام يقودها الطلاب والأساتذة الكتائبيون .

وزيادة على ذلك فقد تم وضع الحواجز على مداخل القرى الاسلامية والتعرض لأهاليها بالضرب والاعتقال ، وشتم الرسول الأكرم (ص) وسائر المقدسات الإسلامية على مسامع المسلمين .

وكانت بعض القرى تتعرض بين الحين والآخر لحصار اقتصادي واجتماعي وسياسي خانق ويمنع عنها الخبز والماء وسائر المواد الغذائية كما حصل لبلدتي كفرسالا وعلمات .

وإضافة الى هذا كله فقد تعرض المسلمون لحملة تنصير رهيبة كما حصل إبام المعنيين والشهابيين والفرنسيين . **﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ﴾** ـ سورة البقرة ٢١٧ ـ .

هذه الاعتداءات المستمرة التي تمارسها الأقلية المارونية الحاقدة بحق ابناء هذه الأرض حملت الكثيرين على الرحيل حتى انه لم يبق من أصل ثمانين ألفاً من ابناء هذه المنطقة الا خمس وثلاثون ألفاً فقط عام

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

﴿ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون ﴾ - سورة التوبة ٨ - .

يرضونكم بالإذاعات والتصريحات الرنانة .

﴿ لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ سورة التوبة ١٠ - .

« الأب بول خولي » اكد لجوناثال رندل مراسل الواشنطن بوست « اننا نكن كرهاً خاصاً للمسلمين » (٢٢) .

المؤتمر الماروني العالمي الأول في المكسيك ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بين ٢٥ ربيع الأول و ١ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ - ٢٢ و ٢٨ شباط ١٩٧٩ م عقد في المكسيك المؤتمر الماروني العالمي الأول الذي بحث في كيفية استنهاض صليبية جديدة بقيادة غلاة المفكرين والممارسين الصليبيين الجدد لتعبئة النفوس وشحنها ضد المحيط الاسلامي سياسياً واجتماعياً وثقافياً وللمناداة بالتفوق الحضاري على المسلمين وتبرير التحالف علناً مع الصهيونية العالمية تمهيداً لفصل لبنان واغتصابه نهائياً من الأمة الإسلامية .

قال أمين عواد (ماروني في المكسيك) :

« ان التحضير لهذا المؤتمر العالمي بدأ قبل عام ونصف والإتصالات لإنجاحه شملت أركان الجاليات في اميركا وأوستراليا وكندا ونأمل ان يحقق المؤتمر الخطوات الأولى لإنشاء « الوكالة اللبنانية في العالم » وسنعقد مؤتمراً عالمياً ثانياً في العام المقبل في الولايات المتحدة أو في البرازيل»(٢٣) .

سبق المؤتمر جهود حثيثة وحملة اعلامية واسعة في الصحف والإذاعات لإنجاحه وجعله شبيهاً بالمؤتمر الصهيوني عام ١٣١٣ هـ -

١٨٩٧ م . وكان الياس سركيس يركز مساعيه لانجاح « المؤتمر الماروني » ، والتقى لهذه الغاية النائب البطريركي الماروني المطران رولان أبي جودة الذي بحث معه في موضوع المؤتمر ودعمه .

وبذل سركيس جهوداً استثنائية وبكافة قواه لاجل اقناع السلطات المكسيكية بإعطاء تأشيرات دخول للقادة الصليبيين الذاهبين الى العاصمة المكسيكية [٢٤] .

وكانت السفارة البابوية تعمل في الخفاء وتعد للمؤتمر خلف الكواليس . وقد أرسل البابا رسالة دعم وتأييد .

أعمال المؤتمر

بدأ المؤتمر أعماله برسالة البابا يوحنا بولس الثاني وتلاها كاردينال المكسيك ، ورسالة البطريرك الماروني مار انطونيوس بطرس خريش وقد تلاها نائبه المطران رولان أبو جودة ، ثم كلمة حاكم العاصمة المكسيكية ثم سفير لبنان في المكسيك هاني الأمين ، وكلمة اميركا الجنوبية وقد القاها رئيس وفد البرازيل الدكتور الفريد وابو زيد ، ثم كلمة الرئيس الفخري للمؤتمر بطرس الشيخة [٢٥] . وبعد ذلك عقد المؤتمر جلسات مطولة على غرار المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في بال في سويسرا عام ١٨٩٧ م .

في المناقشات التي دارت وفي الكلمات التي القيت في المؤتمر حدد قادة الموارنة الدينيون والسياسيون مفهومهم لـ « الماروني » و « المارونية » مؤكدين ان المارونية قامت على اساس لاهوتي ثم تطورت الى ان أصبحت أمة .

فالأب يوسف محفوظ قال في كلمته ان الموارنة دافعوا عن الكنيسة الجامعة منذ القرن الخامس الميلادي حتى ايامنا هذه من منطلق الدفاع

عن العقيدة التي تقول بطبيعة المسيح المزدوجة « الاله الحق والانسان الحق » في وجه العقيدة التي تنفي صفة الانسانية عن المسيح وتعتبره الهاً فقط وفي وجه العقيدة التي تنفي الوهية المسيح وتعتبره انساناً فقط.

ويضيف الأب محفوظ ان الكنيسة المارونية اتخذت شكل أمة لتتمكن من ان تنجو بإيمانها وحريتها وهويتها ، فهي ليست جماعة دينية كبقية الكنائس الشرقية التي تمتعت ببعض الحقوق والأمتيازات لكنها خسرت هويتها الخاصة .

وتأكيداً لهذه المقولة تحدث الخوري انطوان حميد (ماروني) في المؤتمر فحدد أبعاد المارونية التي شكلت أسس قيامها :

- الايمان بالله وحده (المسيح) معتمداً كلمة بولس « إن لم تؤمنوا فلن تأمنوا »

- الهجرة من سوريا الى جبل لبنان .

- تجمع الموارنة في الجبل واختيارهم لواحد من رهبانهم بطريركاً عليهم .

- اجتماع العوامل السابقة شكل الهوية المارونية .

وبعد ذلك أوضح أدوار حنين في كلمته أمام المؤتمرين ان المارونية كانت بحاجة الى أرض فاقتطعها الموارنة لأنفسهم .

اذن فبطريقة غير مباشرة يعترف ادوار حنين وجماعته باغتصابهم لجبل لبنان .

ثم أوضح ان الموارنة والمارونية مرا في مراحل خمس كانت :

- تأمين الانسجام بين الوافدين والمقيمين .

اقامة وطن قومي مستقل (٦٣٦ - ١٣٦٧) م . أي من أيام المردة إلى ما بعد اغتصاب كسروان .

- اقامة وطن مشترك بين الموارنة والدروز (لبنان القائمقاميتين) .

- اقامة وطن مشترك بين الموارنة والدروز وسائر الطوائف . الاسلامية والمسيحية (١٨٦٠ - ١٩٤٣) م .

- اقامة وطن مشترك بين الموارنة والدروز وسائر الطوائف اللبنانية (١٩٤٣ - ؟) [٢٦] .

اذن فالموارنة يعتبرون أن أجدادهم المردة - الموارنة الأولين - نجحوا في اقامة وطن قومي مستقل امتد الى ما بعد الحروب الصليبية ونكبة كسروان ١٣٦٧ م . ولذلك فهم ينظرون الى ذلك العهد على انه العهد الذهبي الأمثل الذي يجب أن يعود .

ان دولة لا يرى فيها البطريرك خريش وجماعته الا شعباً مارونياً يحافظ على طابعه الكنسي ، ويعتبرها ادوار حنين مؤلفة الى حين من الموارنة وبقية الطوائف اللبنانية . وان جهوداً مارونية محلية وعالمية لتكريس الوطن القومي الماروني ، كل هذا يثبت مدى خطورة المؤامرة . وعلى المسلمين ان يعوا الحقائق ويكونوا على بينة من أمرهم ، وإلا فسيكون لبنان في خبر كان . ان لبنان يواجه خطر الاستشهاد وهو أمانة تاريخية في أعناق المسلمين فالمؤامرة كبيرة وعلى المسلمين ان يكونوا أكبر منها .

ولقد اعترف المطران عبدو خليفة في كلمته أمام المؤتمر انه دعا الموارنة عام ١٩٤٨ م الى انشاء الرابطة المارونية العالمية ، والى تجميع الوثائق التاريخية المارونية وتكليف لجنة اختصاص متفرغة لإعادة كتابة التاريخ الماروني ، كما دعا الموارنة قبل ان يذوبوا في المجتمع المحيط بهم وفي بلاد الاغتراب الى التشبه بإخوانهم الارمن الذين حافظوا على هويتهم ولغتهم ورسخوا التعامل على مختلف الأصعدة في ما بينهم .

وتأتي على قمة ما سبق كلمة الشكر التي وجهها البطريرك الماروني

بطرس خريش الى المؤتمرين على محافظتهم على الطابع الكنسي للشعب الماروني [٢٧] .

مقررات المؤتمر :

قرر المؤتمر الماروني العالمي الأول في المكسيك انشاء رابطة مارونية عالمية ، وتركزت الاتجاهات نحو توفير سبل الدعم المادي لها من قبل كل القوى في الاغتراب ، كما نادى المؤتمر بضرورة انشاء وتقوية التنظيمات المارونية في كل بقعة يتواجد فيها أبناء الطائفة ودعا كل المغتربين الموارنة للعودة الى لبنان ، حتى ان شاكر أبو سليمان طالب بعودة هؤلاء بدون قرار جمهوري ، وان كانوا لبنانيي الأصل ، أي لا يحملون جنسية لبنانية ، وأخيراً شدد من ضمن مقرراته على وجوب التفاف الموارنة في كل العالم ، حول قمتهم الروحية في لبنان ، وتنفيذهم لأوامر هذه القمة [٢٨] .

هذا بالاضافة الى عدة محطات أخرى، يجب الوقوف عندها ملياً كالتمسك بالحضارة والثقافة والازدهار الماروني ، وضرورة دعم موارنة لبنان في سعيهم للحفاظ على وطنهم « شمالاً وجنوباً وجبلاً » . ومنذ انتهاء المؤتمر لم يأل الموارنة جهداً في تنفيذ المقررات الثنائية والجماعية التي توصلوا اليها ان في « الوطن - الأم » أو في بلاد الإغتراب فأنشأت المراكز المتخصصة ، وأخرجت المطابع نواة الكتب التاريخية المارونية ، وتبودلت زيارات التعارف ، وأسست الجمعيات والمؤسسات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية ، كما نشطت الحملات الاعلامية لإظهار الموارنة كافة فكثر الحديث عن : خصائص الشعب الماروني ، الحقائق المارونية التاريخية،الرسالة المارونية ، العقيدة المارونية ، صفات الشعب الماروني ، الأدب والتراث الماروني ..

مقارنة بسيطة

من مؤتمر بال الى مؤتمر المكسيك .

في ربيع الأول ١٣١٣ هـ - ٢٩ آب ١٨٩٧ م انعقد في سويسرا مؤتمر « بال » الصهيوني وكان بداية الحركة الصهيونية العالمية التي تسببت للعالم ، ولمنطقة الشرق الأوسط خاصة بكوارث عديدة .

وعام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م انعقد في المكسيك « مؤتمر ماروني عالمي » لإقامة قاعدة عنصرية داعمة للصهيونية في مختلف ارجاء العالم .

المؤتمر الصهيوني قرر اغتصاب فلسطين .

والمؤتمر الماروني قرر اغتصاب لبنان .

اين هو الفرق ؟

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾

ان ثمة مقارنة بسيطة بين المؤتمر الصهيوني الذي عقد في بال والمؤتمر الماروني الذي عقد في مكسيكو تلقي الضوء على خطورة الخطط والمشاريع التي تضعها كل من الصليبية والصهيونية في سباقهما لاقتسام بلاد المسلمين .

في مؤتمر بال ، تركز التوجه حول انشاء الوكالة اليهودية العالمية وانصب العمل لتأمين الدعم المادي للحركة الصهيونية ، ولقولبة اليهود داخل تنظيمات اقليمية مسلحة وانبثقت منه الدعوة وتصاعدت لتشجيع هجرة اليهود الى فلسطين ، وللتمسك الشوفيني المتعصب والمتحجر

بالديانة اليهودية مع ما أضيف عليها من تحريفات تخدم أهداف الصهاينة .

وفي المؤتمر الماروني تقرر الدعوة لإنشاء وكالة مارونية عالمية ولقولبة الموارنة اكثر فأكثر داخل تنظيمات عنصرية مسلحة والمطالبة بجعل لبنان وطن قومي ماروني .

ان النظرة للمؤتمر الماروني العالمي الأول لا يمكن فصلها عن النظرة للمؤتمر الصهيوني العالمي ، لان الانطلاق التوسعي الاستيطاني واحد ، والتشكيل التنظيمي المنعزل والمتآمر واحد والانغلاق والتحجر الصهيوني والصليبي واحد . ليس هذا فحسب فقد أعقب المؤتمر الصهيوني عدة مؤتمرات ، وكذلك فعل الموارنة فقد أعلن بطرس الشيخة عميد الموارنة في المكسيك ان المؤتمر لن يكون الأخير وليس مهماً انه انعقد بمقدار ما تهمنا النتائج التي ستترتب عنه (٢٩) .

معركة اخراج الردع

بعد إنقضاء المؤتمر الماروني العالمي الأول بدأ الموارنة معركة اخراج الردع . وفي أواسط عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م أي بعد سنة من دعوة الجبهة الصليبية بلسان ممثلها فرنسيس رزق في الإذاعة الاسرائيلية للاحتلال العسكري الشامل . اعلن رئيس بلدية كريات شمونة في تصريح مدروس ملخصه :

ان على اسرائيل ان تعمد لاحتلال الجنوب كله مباشرة أو عن طريق سعد حداد ، ولا تتخلى عن هذا الاحتلال الا بعد توقيع معاهدة الصلح وحسن الجوار وتثبيت روح الجدار الطيب وهذا يجعل المتخاذلين في السلطة أمام عذر شرعي وهو أنه لكي تنتشر السيادة على كامل الأرض ونستعيد الجنوب فما علينا الا أن نتفاوض مع اسرائيل مباشرة ، وبذلك لا تظل دعوة بيغن - رئيس الحكومة الاسرائيلية - لتسوية الوضع بين لبنان واسرائيل مجرد دعوة على الهواء [٣٠] .

وكان بيغن قد طلب عقد مؤتمر مع الياس سركيس وأعلن ان لديه ما يؤكد بأن دعوته الرئيس سركيس للاجتماع به وتسوية الوضع بين لبنان واسرائيل لم تقابل بالسلبية . جاء هذا التصريح في وقت كان الصليبيون

يخوضون معركة اخراج الردع وكان اعتمادهم بالدرجة الأولى على اسرائيل .

حاول ضباط الكتائب اقناع اسرائيل بمهاجمة الجيش السوري وتوالت البرقيات من قادة الكتائب الى اسرائيل . كميل شمعون ناشد ضمير مناحم بيغن رئيس الحكومة الاسرائيلية آنذاك قائلاً له : « ان وجودنا بات في خطر . ان عملية اسرائيلية هي بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت » . وأكد بيغن في معرض رده « ستدافع اسرائيل عنكم بطائراتها » .

لقد قطع رئيس الحكومة الاسرائيلية وعداً للموارنة بمساعدتهم فكانت المساعدة العسكرية تتدفق بغزارة وأفرغت السفن حمولاتها في مرفأ جونية : دبابات مرممة ، مدافع وعتاد ومواد غذائية .

وكشف بيغن النقاب في احدى المقابلات ان معنويات حلفائه الكتائب قد ارتفعت معنوياتهم نتيجة المساعدة الاسرائيلية « واصبحوا يعرفون الآن انهم لن يكونوا وحدهم » [٣١] . في نهاية عام ١٩٧٩ م كان مئات من جنود الكتائب قد تلقوا تدريباتهم في اسرائيل . وفي ٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ م جرى لقاء بين قادة الموارنة ومبعوثين اسرائيليين قدموا من تل أبيب . وقد اجتمع بشير الجميل وممثل « الموساد » الى ديفيد غارت الخبير الأميركي الشهير في العلاقات العامة ووضع الثلاثة الخطط لتأليف جماعة ضاغطة (لوبي) لمسيحيي لبنان وقد نظموا هيئات مختلفة أيضاً [٣٢] .

وتحت عنوان « اسرائيل ومسيحيو لبنان » كتب كميل شمعون الى اسحاق رابين مقالاً مطولاً قال فيه : « ... يجب ان نعمل معاً .. ومن ثم يستولي المسيحيون على السلطة ، الأمر الذي سيتيح وحده التوصل الى سياسة تعاون ومساعدة متبادلة ... وأن هذا التعاون قابل للتحقيق إذا أصبح لبنان دولة فدرالية » [٣٣] .

وفي النهاية تم للموارنة ما أرادوا وتمكنوا من إخراج قوات الردع من المناطق التي أخضعوها لسلطتهم . ومن أجل ذر الرماد في العيون حاولوا إدخال الجيش اللبناني الى مناطق بيروت الشرقية ليحل محل قوات الردع العربية ومارسوا الإرهاب بحق العناصر المسلمة في الفرقة العسكرية المتواجدة هناك واضطروهم الى الفرار حتى أخذت طابعاً طائفياً ووضعت قواتها تحت تصرف القوات الصليبية ، وقد حاصرت هذه القوات ثكنة صربا عام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م وجردت عناصرها من السلاح ، واستعرضتهم في المنطقة ، رافعي الأيدي ، عندما لاح لهذه القوات أن هيمنتها على الثكنة ونفوذها عليها يواجه بعض الصعوبات .

ان السلطة اللبنانية وبطلب من الجبهة الصليبية جربت فكرة الأمن الذاتي وأخرجت قوات الردع ولم يتواجد الجيش الشرعي بل أخلت المنطقة لميليشيات شمعون والجميل . ثم تمكنوا في النهاية من اخراج قوات الردع من جميع مناطقهم ليتسنى لهم العمل بحرية تامة وفي سبيل احياء المخطط الصليبي .

وفي هذه الأثناء أعلن مناحم بيغن رئيس الحكومة الاسرائيلية :

« المسيحيون في لبنان يستطيعون الاعتماد على مساعدتنا ونحن لن نسمح بتدميرهم » (٣٤) .

بشير الجميل : الصليبي الحديث
رائد التحالف الماروني الصهيوني

بعد انقضاء مائة عام على موت بشير الشهابي جاء بشير الجميل لإحياء الرموز التاريخية من جديد فسبحان مقدر الأزمان .

كان بشير الجميل صديق اسرائيل المفضل ومنذ عام ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٥ م ارتبط بعلاقات ودية مع شمعون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك . وبسقوط هذا الأخير في انتخابات الكنيست في أيار ١٩٧٧ م ، جاءه بشير الى البيت مشجعاً وقدم له ساعة يد ، واصبح بشير بالتدريج قرة عين المؤسسة السياسية الأمنية في اسرائيل . فأطلقوا عليه لقب « قائد دولة عتيدة » . وأصدر مناحم بيغن بعد توليه منصب رئاسة الحكومة الاسرائيلية في أيار ١٩٧٧ م الى الموساد أمراً بتوسيع العلاقات بقادة الموارنة وتعميقها (٣٥) . ويؤكد مراسل « الواشنطين بوست » في كتابه « حرب الألف سنة » ان جميع ضباط بشير ، دون استثناء ، أعدوا في اسرائيل وقد وصفه جير الدو ريفيرا في المحطة الأميركية . أ ـ ب ـ ث ـ بمواصفات « الصليبي الحديث » (٣٦) .

ويبدو أن بشير الجميل كان متأثراً جداً بسلفه بشير الشهابي الذي تحدثنا عنه في فصل سابق .

في ٢٢ شعبان ١٤٠٠ هـ - ٧ تموز ١٩٨٠ م ، قامت الميليشيات الكتائبية بتصفية القوى العسكرية لـ « حزب الوطنيين الأحرار » الذي يتزعمه كميل شمعون ولم تشفع لـ « الأحرار » نصرانيتهم ولا عداؤهم للمسلمين ذلك لأن بشير الذي تعززت ثقته بنفسه نتيجة تلقيه المساعدة الاسرائيلية أراد تصفية الميليشيات التي تزاحمه،وفيما بعد وعندما جاء مبعوثون اسرائيليون لمعرفة ما يجري عند حلفائهم في لبنان قال لهم بشير : « كانت تلك مجرد لحظة في الكفاح من اجل الإنعتاق. لقد كان جسم المعسكر المسيحي بحاجة الى تدخل جراحي لاستئصال العفن » [٣٧] .

ومن جهة ثانية فقد كانت تصريحات بشير تتوالى بالتهديد والوعيد واستفزاز مشاعر المسلمين . في ٢ آب قال مهدداً : « اليوم نريد أن نتحرر حتى نقرر ما نريد ، ويجب أن نكون مستعدين لأن ساعة الصفر قد تكون قريبة ولا أحد يعرف ما يدور في المنطقة . ان تحرير لبنان لا يتطلب إلا قراراً والقرار سيتخذ عاجلاً أم آجلاً » [٣٨] .

وقال في تصريح آخر بعد عشرة أيام : « الم يتحقق الغرب أن من واجبه أن يقف بقوة ضد الإرهاب وضد أعدائه ؟ لقد خسرتم ايران وستخسرون أيضاً السعودية والكويت ، ويطالبنا الناس بإدانة اسرائيل ، لماذا يجب أن نفعل ذلك ، واذا فعلنا فان الناس ستطالبنا بإدانة الولايات المتحدة ، وبعدها سيطالبون بإدانة الفاتيكان » .

وفي اليوم التالي أعلن : « نحن اليوم انطلاقاً من هذه الرقعة الصغيرة التي تمثل لبنان الحر نتطلع الى استعادة سيادتنا على كافة أرض لبنان وإلى أن نعود أسياداً على هذه الأرض . اننا لا نريد ان نهدم الشرعية لمجرد تهديمها فما زال أمامهم سنتان لتحقيق الصفقات أما نحن فلنا أدوار أخرى نقوم بها وسيأتي يوم نخلق فيه شرعية ومؤسسات » [٣٩] .

في ليل ٢٥ شوال ١٤٠٠ هـ - ٥ أيلول ١٩٨٠ م وصل اسرائيليون

الى جونية من أجل لقاء بيار الجميل وابنه بشير وقيادات أخرى . وخلال الاحتفال في جونية رفرفت اعلام اسرائيل ولبنان وجيش القوات الصليبية . وجرى عرض عسكري حضره الضابط الاسرائيلي بنيامين بن أليعيزر [٤٠] .

وبعد عشرة أيام من هذا اللقاء أعلن بشير الجميل « ان الكتائب أصبحت جيشاً منضبطاً ومتطوراً » ولمح بصراحة الى عزم الكتائب على انشاء شرعيتها التي تكون مسؤولة عن أمنها [٤١] .

ثم جرى استقبال آخر للوفد الاسرائيلي في جونية في مطلع تشرين الثاني عام ١٩٨٠ م وقام بشير الجميل وقادة القوات الخاضعة لسلطته باستقبال الاسرائيليين كما يستقبل ممثلو دول صديقة .

قال بشير لضيوفه « سنواصل اشراككم في افكارنا وسنطلب مشورتكم دائماً من أجل مصير شعبنا المشترك » وقال : « ان الياس سركيس سيقف الى جانبنا في المستقبل » . وكشف النقاب عن اجتماعه الى سركيس وعرضه عليه استثمار الموارد لتطوير سريع للمنطقة الخاضعة للنفوذ الماروني وتهيئة الحكم لعملية استيلاء « القوى الشابة عليه التي ستعمل من أجل فرض هيمنة الموارنة على كل لبنان » . وأضاف « لقد اقترحت عليه المساعدة في تقوية البنية التحتية الإقتصادية وتعزيز النفوذ المسيحي في الجيش»[٤٢] .

وقبيل نهاية عام ١٩٨٠ م أصدر بشير الجميل أمراً بتعبيد طريق فرعية تربط زحلة ببيروت الشرقية ثم نقل بعض قواته الى زحلة .

وفي لقاء له مع السفير الأميركي جون غونتردين على مائدة جوني عبده مدير المخابرات في الجيش اللبناني في أواخر العام ١٩٨٠ م قال « نريد أن نكون جزءاً من الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط ونريد التعاون مع العالم الحر ، ونريد من الشرعية أن نصبح نحن الشرعية

وبـوسائـل شرعية » . وفي ١٧ صفر ١٤٠١ هـ ـ ٢٦ كـانـون الأول ١٩٨٠ م قـدم ممثلو بشير الجميـل برنـامج عمـل غايتـه « تحريـر الوطن من الغـرباء واسترداد السيادة وتغيير الذهنيـة السياسيـة السائـدة » [٤٣] . وقد أعـد بشير الجميـل بنفسه دراسـات عديـدة لإدخال ٦٠٠ ألف نصـراني الى لبنـان من أجل استعادة التوازن مع المسلمين الذين يشكلون الأغلبية الساحقة .

المؤتمر الماروني العالمي الثاني في نيويورك ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

مـا كان مجـرد أفكار في المؤتـمـر المـاروني الأول ومـا تحـول بعضـه الى حقيقـة جزئيـة خلال الفتـرة الفاصلة بين المؤتـمـرين أصبح مـع انعقـاد المؤتمر الماروني العالمي الثاني حقيقة ثابتة وكلية .

فتنفيـذاً لقـرار المؤتمـر المـاروني العـالمي الأول بعقـد المؤتمـر الماروني العالمي الثاني في نيويورك تلبية لدعوة المـطران فرنسيس الـزايك وجـه رئيس لجنة متـابعـة تنفيـذ قـرارات المؤتمـر الأول امين عـواد (مكسيكي) رسالة الى الموارنة في العالم يعلن فيها :

« الكنيســة المـارونيــة : روح وأرض ، شعـار المؤتمـر المــاروني العـالمي الثـاني ، هـذا يعني انهـا دين ، تـراث وجغـرافيـا ، الأمـر الـذي يجعلنا نأمل بالوصول معاً في مؤتمرنا المقبل الى رؤيـة مشتركـة تهدف الى تعـاون وثيق بين جميـع مـوارنـة العـالـم ، وتحت رعـايـة رؤسـائنـا الروحيين » [٤٤] .

وتـطور التحرك حتى صـار الموارنـة يؤرخون الاحداث انـطلاقـاً من عـام ٣٥٠ م تاريخ انتسابهم الى « القـديس مارون » . وكما هنـاك « القـرن العشرون الميلادي » و « الرابع عشر الهجري » اضافوا « القـرن السابـع عشر المـاروني » [٤٥] .

وكانت الأصابع الصهيونية والأميركية تقف وراء المؤتمر ، وقبل انعقاد المؤتمر بأيام أعلن كارتر رئيس الولايات المتحدة الأميركية يومذاك « ان هناك اتصالات دائمة بين القادة اللبنانيين وأعلى المراجع الرسمية في الولايات المتحدة . على سبيل المثال اجتمع في الاسبوع الماضي وزير الخارجية الأميركي ادموند موسكي مع وزير الخارجية اللبناني فؤاد بطرس كما ان هناك مراسلة ومراسلات متواصلة بين الرئيسين الأميركي واللبناني ولقد عينا دبلوماسياً عريقاً سفيراً لنا في لبنان »[٤٦] .

وقد وجه الرئيس كارتر فيما بعد رسالة الى المؤتمر الماروني العالمي الثاني اثناء انعقاده في نيويورك أعرب فيها عن تعاطفه مع المؤتمرين وأشاد بما أسماه « الشرعية اللبنانية »[٤٧] .

وقد يكون جورج عدوان عضو الوفد الماروني اللبناني الى المؤتمر لخص في تصريحه أعمال وأهداف هذا العدوان الماروني على المسلمين ، اذ قال :

« كل مرة يقوى الموارنة يستقل لبنان وتتسع حدوده وكل مرة يضعف الموارنة يتداعى استقلال لبنان فتقوى نزعة أعدائه الى تذويبه وطمس معالم هويته وحضارته المسيحية .

جاء الفتح الاسلامي فتصدى له الموارنة بجيش من المردة قوامه اثني عشر ألف محارب . طوال القرنين الثامن والتاسع حاول الخلفاء العرب مراراً تطويق الموارنة بغرس جماعات من الغرباء في السواحل مدوها بما استطاعوا من الدعم . واجب علينا إعادة بناء الدولة واسترجاع سيادتنا من مغتصبيها وواجب علينا بناء دولة تتضمن ديمومة هويتنا »[٤٨] .

اذن فقوة لبنان وضعفه يتعلقان بمدى قوة الموارنة او ضعفهم لأن لبنان هو بلد ماروني له « حضارة مسيحية » .

ولهذا يدعو جورج عدوان الى عدوان جديد على المسلمين

بتهجيرهم من لبنان طبقاً لمقولة « الغرباء » و« لبنان الماروني » .

رأى المؤتمر الماروني الثاني الذي عقد في نيويورك بين ٢٨ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ و ١ محرم ١٤٠١ هـ (٨ و ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٠ م) ان الوفاق اللبناني ـ اللبناني لا يتم الا وفق النظرية المارونية القائلة بتفوق العنصر الماروني على ما عداه من الفئات الاسلامية ، وحتى الفئات المسيحية الأخرى ، باعتباران لبنان بلد ماروني ووطن الموارنة الأم .

وقد بلغ التعصب بهذا المؤتمر حداً رفض معه استقبال السفير اللبناني في واشنطن ـ خليل عيتاني ـ بصفته مندوباً شخصياً عن « رئيس الجمهورية ، الياس سركيس » لا لشيء الا لكونه مسلماً .

ورغم ذلك لم يجد البطريرك الماروني بطرس خريش والرئيس الأسبق شارل حلو حرجاً في دعم المؤتمر دعماً مطلقاً وفي تأييد كل قراراته وتوجهاته[٤٩] .

لم يكد المؤتمر ينهي أعماله حتى أعلن حنين عن سروره واغتباطه بانتخاب رونالد ريغن معتبراً ان الولايات المتحدة الأميركية هي ام الديموقراطية في العالم وان ريغن هو رئيس جمهوريات العالم « ورئيسنا بما نحن جزء من هذا العالم الديمقراطي » .

وطالب حنين بأن يعي « رئيسنامن هو لبنان وبان يصونه ويساعده على العودة الى حياته العادية »[٥٠] .

بعد عشرة أيام من انقضاء المؤتمر بثت اذاعة الكتائب عبر برنامج « صوت من لبنان » مقابلة مع المفكر الكتائبي الياس ربابي الذي ذكر ان الموارنة في بلاد الاغتراب عملوا على تأسيس الوكالة المارونية ـ التي دعى لها المؤتمر الماروني الأول وبحثت اثناء انعقاد المؤتمر الثاني ـ متأثرين بالوكالة اليهودية وأن الكتائب ساعدت على السير في مشروع الوكالة المارونية نتيجة التأثير الكبير للصهيونية في حزب الكتائب الذي

حاول منذ تكوينه انشاء تنظيمات على غرار الهاجانا والأرغون . ثم قال ان« الجامعة الثقافية اللبنانية في العالم ليست في حقيقتها سوى جامعة كتائبية » [٥١] .

وفي ١٠ محرم ١٤٠١ هـ - ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٠ م أعلن كريم بقرادوني عضو المكتب السياسي الكتائبي من على شاشة التلفزيون ان على المسلمين ان يعرفوا ان هناك شخص اسمه بشير الجميل يجب التحاور معه وبدونه لا يحدث شيء .

ثم وجه كلامه الى الياس سركيس قائلاً : على الرئيس سركيس ان يقدم على خطوة تاريخية وان لا يسلم بعد سنتين رئيساً جديداً للجمهورية وانما يسلم الرئيس جمهورية جديدة (والمقصود جمهورية مارونية) وعليه ان يعلن ميثاقاً جديداً غير ميثاق ١٩٤٣ م ، وان يعتمد هذا الميثاق الجديد على الحل الفدرالي للبنان ، لان لبنان لن يعود كما كان بل سيكون فيه ادارات محلية او فدرالية او كونفدرالية [٥٢] .

وفي هذه الأثناء كانت صحيفة « الماروني » تعرب عن آراء الإتجاهات المارونية العنصرية والسياسية الداعية الى انشاء الوطن القومي الماروني في لبنان غير معترفة بوجود مسلمين فيه ، وتسهب في الحديث عن « الشعب الماروني » و« الأمة المارونية » و« الوطن الماروني » و« التاريخ الماروني » .وترى الصحيفة :

« ان الشعب الماروني حقيقة تاريخية لا يمكن ان يجادل بها أحد فالتاريخ شاهد على تحول الموارنة من طائفة في سوريا الى شعب في لبنان من جراء تفاعل الموارنة مع ارض لبنان طيلة سبعة قرون » . واعتبرت ان غير الموارنة في لبنان هم من اللاجئين والمجموعات اللاجئة ، وأن المسلمين في لبنان ليسوا لبنانيين انما غرباء ينتمون الى العرب والى القومية العربية [٥٣] .

جهاز العلاقات الخارجية للقوات الصليبية

عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م أنشأت القوات الصليبية ما عرف بـ« جهاز العلاقات الخارجية » . تحرك هذا الجهاز في شكل فاعل ناقلاً الصور الاعلامية المزيفة في جميع الحقول وعن كل الأحداث . ولم يكتف هذا الجهاز بتعبئة المغتربين الموارنة وغيرهم من النصارى في الخارج بل تخطاه الى التركيز على اجراء الاتصالات بالحكومات الأجنبية وبالصحافة الأجنبية في الداخل والخارج خاصة وان دور هذا الجهاز هو مكمل لدور الدولة كما قال نعوم فرح، اول رئيس لهذا الجهاز ، وأوضح ان حزب الكتائب كان له الدور الطليعي في هذا المضمار ، وقد قامت وفود كتائبية بزيارات عدة الى اوروبا والأميركيتين واستراليا ، لشرح قضيتهم للمغتربين والحكومات .

وأضاف ان القاعدة التي تحرك المغتربين (الموارنة) هي القاعدة الحزبية اللبنانية (المارونية) المؤلفة من آلاف اللبنانيين الموارنة المغتربين [٥٤] .

في البداية قامت الجبهة الصليبية بإنشاء خمس مكاتب لها في واشنطن ، باريس ، كراكاس ، مكسيكو وسان باولو .

وفي عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م وبعد عقد المؤتمرات في المكسيك

والولايات المتحدة وضعت الجبهة مشروعاً يقضي بفتح مكاتب للعلاقات العامة في ست عشرة دولة أجنبية ، وتقدمت الجبهة الصليبية بطلبات من بعض الدول للسماح لها بفتح مثل هذه المكاتب [٥٥] .

ومنذ ذلك التاريخ تم افتتاح مكاتب عديدة في عدد كبير من العواصم الأوروبية والدولية إضافة الى المكاتب الخمسة المذكورة ، ومنها :

بون ، ايطاليا ، بلجيكا ، واشنطن ، منتريال ، بوغوتا ، بيونيس ايرس، ليما، سانتياغو وسدني في استراليا ، فضلاً عن اتصالات القوات الصليبية بدول عديدة في المعسكرين الشرقي والغربي وان لم يكن لها فيها مكاتب [٥٦] .

مهام الجهاز

وبالنسبة لمهام جهاز العلاقات الخارجية فقد أوضح نعوم فرح : انه مؤلف من قسمين اساسيين :

١ ـ الادارة المركزية (مقرها بيروت)

٢ ـ المكاتب التابعة للعلاقات الخارجية للقوات (الصليبية) في عواصم الدول الأجنبية .

يتولى جهاز العلاقات الخارجية اعداد السياسة الخارجية للقوات الصليبية وتنفيذها وتعاملها مع الدول الأجنبية والمنظمات الدولية والاقليمية والأحزاب الأجنبية ، والصحافة والمؤسسات العامة والخاصة ، العاملة خارج لبنان، ويتم اتصال القوات الصليبية بالمؤسسات الأجنبية والدولية ، عبر جهاز العلاقات الخارجية بواسطة البعثات الديبلوماسية الأجنبية في لبنان ، ومكاتب الصليبيين في الخارج .

كما يتولى جهاز العلاقات الخارجية الاتصال بالصحافة الأجنبية

الموجودة في لبنان ، وهو يهتم بالاتصال بالمغتربين (الموارنة) وتنظيم صفوفهم خدمة لقضية المشروع الماروني .

وقال نعوم فرح ان ديبلوماسية قواته هي شبيهة بجبل الثلج أي ان القسم غير الظاهر ربما كان القسم الأهم وأن لقواته اتصالات خارجية متعددة الأطراف ، قليلاً ما يكشف النقاب عنها لفاعليتها .

وأكد فرح ان جهاز العلاقات الخارجية في قواته ليس بديلاً من وزارة الخارجية اللبنانية وأن دورهم مكمل لدور الدولة ، فالدور واحد لأن الدولة صليبية الانتماء ، « وفي غياب الدولة وانحسار دورها تقوم القوات (الصليبية) بملء الفراغ بصورة مؤقتة ريثما تستعيد الدولة عافيتها » .

وأعلن المتحدث « ان العلاقات الخارجية للقوات (الصليبية) تهدف الى تمثيل نضال الشعب المسيحي اللبناني » .

ولهذا فان مكاتب العلاقات الخارجية تنشر بصورة دورية اكثر من عشرين نشرة وجريدة بلغات متعددة عربية ، فرنسية ، ألمانية ، انكليزية ، اسبانية وبرتغالية وتملك نحو خمسين خطاً هاتفياً اذاعياً موزعة في انحاء العالم .

اما مبادىء السياسة الخارجية للقوات الصليبية فهي كما يراها أصحابها بلسان نعوم فرح :

« المبدأ الأول هو ان القضية اللبنانية (والمقصود قضية المشروع الماروني) مميزة عن باقي القضايا الأقليمية ، وبالتالي يفترض معالجتها بطرق ووسائل مميزة » .

أي تكثيف الاتصالات مع الدول الكبرى والحصول على دعم دولي كاف لفرض السيطرة على كل لبنان .

« المبدأ الثاني : هو ان في القضية اللبنانية مسألة مركزية هي وجود

الشعب المسيحي في لبنان ونحن نريد عكس المعادلة القديمة ، التي كانت تقول : لانقاذ المسيحيين ، يجب انقاذ لبنان اولاً ونقول نحن اليوم لانقاذ لبنان يجب انقاذ الشعب المسيحي أولاً » .

« المبدأ الثالث : هو انتماء لبنان الى العالم الحر » .

« المبدأ الرابع : هو حياد لبنان في الصراعات الإقليمية »[٥٧] .

أما معنى تحييد لبنان في الصراعات الإقليمية كما يراه نعوم فرح فيعني قيام علاقات حسن جوار مع إسرائيل.

الفيدرالية بدعة جديدة

في ١٤ صفر ١٤٠١ هـ - ٢٣ كانون الأول عام ١٩٨٠م نشرت « الجبهة اللبنانية » اسماً والصليبية فعلاً « الوثيقة التاريخية » والتي رأت ان خير حل للأزمة اللبنانية وللوفاق الوطني هو اعتماد نظام التعددية ، والاعتراف بالحضارات اللبنانية المتمايزة مع ديانات مختلفة ، ورأت أن الفيدرالية أو الكونفيدرالية هي الحل الأصوب للخلاص مما يعانيه لبنان » .

كيف يرون التعددية والفيدرالية والكونفيدرالية ؟

انطوان نجم والذي يسمي نفسه امين ناجي فيلسوف حزب الكتائب ومنظر العقيدة فيه يرى :

« فالتعددية اقرار بالتمايز بين الناس ضمن عقيدة المساواة المطلقة . انها التنوع الإنساني في وحدة الانسانية ، وهي غير التعددية السياسية المتعلقة باختلاف الآراء والعقائد والمواقف السياسية في داخل دولة واحدة او في عدة دول .

والتعددية على وجوه اشكال . فقد تتمظهر لسانياً أو دينياً أو مذهبياً او إثنياً أو سلالياً أو حضارياً . . . الخ » .

« وفي لبنان ، تأخذ التعددية تعبيراً حاداً بالنسبة للعالم الاسلامي . ذلك ان الاسلام يعتبر المؤمنين كتلة واحدة متراصة ، أفرادها مشدودون الى بعضهم وهم ذوو حقوق متساوية بصرف النظر عن أي فارق يقوم بينهم ، والمسلم وحده هو المواطن الكامل ، وما سواه الا مواطن من مرتبة ادنى ، ولكن الاسلام ، لظروف تاريخية وديموغرافية ، لم يتمكن من تطبيق معادلته في لبنان ، وأهم تلك الظروف ، أن مسيحيي لبنان ، وفئة الموارنة في الطليعة كانوا تاريخياً ، التعبير الرافض للواقع المواطني الناقص ، ففرضوا وجودهم السياسي على نحو يساوي وجود المسلمين السياسي ، وعند التعمق في دراسة الواقع اللبناني ، يتبين أن تعدديته ثنائية أساساً ، رغم التعددية القائمة ايضاً ضمن كل من الوحدتين الكبيرتين . فاذا أقر جميع اللبنانيين بواقعهم التعددي ، تحرروا من أوهامهم ونزعوا التصادمية من أجوائهم .

والاقرار بالواقع التعددي اللبناني يفترض احتراماً كلياً لارتباط كل جماعة بأصول قناعاتها ومعتقداتها وسلوكاً منسجماً مع هذا الاحترام على الأصعدة كافة .

كما يفترض احترام حق أي شخص يريد الخروج من جماعته التاريخية الى جماعة تاريخية أخرى ، او الاستقلالية عن اية جماعة » .

والمقصود من هذه الكلمات هو ضرورة احترام حرية الموارنة في ان يفعلوا ما يشاؤون ويعيثوا في الأرض فساداً .

وأضاف :

« لذا ينبغي تكريس هذا الواقع التعددي مؤسسياً . كما ينبغي ، في الوقت نفسه ، السعي لتجاوز سلبيات الواقع التعددي وذلك بجعل لبنان بوتقة لقاء للفكر الفاعل في حوض المتوسط » (٥٨) .

« كل مجتمع ينطلق من حقيقته في بنائه السياسي ليعطي حقيقته هذه إطارها الطبيعي الصالح .

ونعتبر ان المناطقية هي هذا الاطار الجغرافي - القانوني الذي يجعل الدولة اللبنانية فيدرالية خاصة ، متوافقة والحقيقة اللبنانية ، ومفسحة للجماعات اللبنانية في مجال المحافظة على شخصية كل منها وعلى نمط حياتها ، ومجال تنمية خصائصها ، ثم ممارسة حياة سياسية مشتركة في اطار الحرية الصحيحة .

فتحقق الرغبة المزدوجة في الاستقلال المحلي الواسع مع ما يوفره من ازالة لشعور الحذر عند المسيحيين ولشعور الغبن والغربة عند المسلمين ، والاشتراك في الحياة السياسية العامة مع ما يؤكده من وحدة الأراضي اللبنانية وتماسكها اقتصادياً ومالياً وجمركياً »(٥٩) .

« ثم ان معظم الخلافات القائمة في الدولة الوحدوية تجد لها حلاً بمجرد نقلها من المستوى الوطني العام الى مستواها المحلي الطبيعي .

والنزاع بين الطوائف على صعيد البلاد بكاملها يتقزم ليصبح تزاحماً وتنافساً بين سكان متجانسين طائفياً وفي منطقة واحدة من البلاد .

وفي ما يتعلق بالمشاركة (التي يطرحها واقع الدولة الوحدوية في مجتمع تعددي) فان القضية تحل على نحو عادل ، اذ تتولى كل جماعة ، في منطقتها ، الحكم وحدها كاملاً او بمشاركة واضحة وفاعلة . وعلى الصعيد المركزي ، يصبح في مجال الجميع ، الى اية طائفة انتموا ، ان يصلوا الى رئاسة الدولة ، ويمكن مجلس النواب ، بتفاهم ضمني ، ان يجعل خط الرئاسة ونيابة الرئاسة مداورة بين جميع الطوائف » .

والواقع ان الموارنة يغلفون مشاريعهم الصليبية عبر هذه الصيغ البراقة من أجل خداع البسطاء من الناس .

ثم أوضح نجم :

« ومن الناحية التربوية ، تستطيع كل جماعة ان تضع البرامج التربوية المتوافقة مع ميولها وتطلعاتها وأصولها الدينية والثقافية

والحضارية .

ومن الجهة الاقتصادية والاجتماعية ، لا تعود اية جماعة تحمل سواها مسؤولية التخلف . انها تتولى بنفسها انماء نفسها مع جميع الامكانات التشريعية والتنفيذية المساعدة . خصوصاً وأن الدستور سينص صراحة على حق أية منطقة ان تقبل هبات مادية من الدول الصديقة ، أو أن تعقد قروضاً خارجية مع هذه الدول ومع المؤسسات التي تعنى بالتنمية . ولا خوف من هذا الحق ، ما دامت سياسة لبنان ألخارجية مرتكزة على مبدأ الحياد الدولي الدائم .

وبهذا النظام اللامركزي تحل قضية اقامة الغرباء . فيكون من حق كل منطقة ان تنظم هذه الاقامة ونوعها ومدتها على النحو الذي تراه مناسباً ، والذي قد لا يناسب منطقة أخرى .

بهذه الطريقة تتدبر المناطق ذات الأكثرية الاسلامية أمر الفلسطينيين ، مثلاً ، فتقيمهم عندها الى ان تحل القضية الفلسطينية ، فلا يفرض المسيحيون على المسلمين طرد الفلسطينيين ، ولا المسلمون على المسيحيين ان يقيم الفلسطينيون بين ظهرانيهم . علماً بأن موضوع التجنس يبقى مربوطاً بالسلطات المركزية »[٦٠] .

هذا لبنان كما يريدونه ويا له من لبنان .

الموارنة ينعمون بالحماية الاسرائيلية

لقد تبين لنا أن الموارنة اعتمدوا بشكل رئيسي منذ عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م على إسرائيل وقرر زعماء الكتائب الإستمرار في مشروعهم حتى النهاية وذلك بعد أن حصلوا على وعد مسبق من اسرائيل بالتدخل لحمايتهم. ولكن في بداية عام ١٩٨١ بدأت هذه الحماية تتخذ أشكالاً خطيرة فلقد كررت اسرائيل تعهداتها للموارنة بدعمهم ومساندتهم. وفي ربيع الثاني ١٤٠١ هـ - آذار ١٩٨١ م بعث بشير الجميل ببرقية الى رفائيل ايتان رئيس هيئة الأركان الاسرائيلي تقول « ساعدونا »[٦١] . وفي هذه الأثناء كانت قوة الميليشيات الصليبية تتزايد باستمرار .ورفع رفائيل ايتان الى رئيس الحكومة الاسرائيلية تقريراً تحدث فيه عن ازدياد قوة الموارنة في الطريق « الى دولة مستقلة يسيطرون عليها وحدهم . لقد تأسسوا وجبوا الضرائب واستخدموا ميناء جونية وانتجوا الكهرباء وبنوا جيشاً »[٦٢] .

في ٨ نيسان ١٩٨١ م وصل الى جونية مبعوث خاص من قبل رئيس الحكومة الاسرائيلية وأبلغ بشير « ان اسرائيل تواصل التمسك بتعهدها للنصارى في لبنان بالدفاع عنهم »[٦٣] .

لقد منحت اسرائيل بشير الدعم الكامل لأعماله كافة. وفي أواخر نيسان ١٩٨١ بعث بشير الجميل رسالة الى بيغن جاء فيها :

« في هذه الساعات الحاسمة والمصيرية التي نمر بها فان التفهم والمساعدة والدعم من قبل دولة اسرائيل الى مسيحيي لبنان بصورة عامة وقوات المقاومة اللبنانية بصورة خاصة ، تبرز دليلاً راسخاً على التحالف بين شعبينا الذي لا تراجع عنه » [٦٤] .

في ٢٤ جمادى الثاني ١٤٠١ هـ - ٢٨ نيسان ١٩٨١ م أعلن بيغن « ان اسرائيل ستمارس التزامها ازاء المسيحيين في لبنان » . وقد كشف رئيس الحكومة الاسرائيلية النقاب في مقابلة مع « اذاعة اسرائيل » عن ان « اسرائيل تقدم طوال الوقت مساعدات كبيرة الى المسيحيين في لبنان ، في الجنوب والشمال ، اذ ان احدى مهماتها هي المحافظة على ميناء جونية كميناء حر من أجل الإبقاء على استمرار تدفق المساعدات » [٦٥] .

وقد بلغت هذه المساعدات حداً أثار اعتراض بعض القادة الإسرائيليين .

ففي ٤ رجب ١٤٠١ هـ - ٧ أيار ١٩٨١ م قال شمعون بيريز زعيم حزب العمل الاسرائيلي انه « ليس لبيغن (رئيس الحكومة الاسرائيلية) الحق في الزام اسرائيل بالقتال الى جانب المسيحيين في لبنان . ولم يحدث قط في ما مضى ان وقعت حكومة اسرائيلية شيكاً على بياض بهذه الصورة لصالح أمة أخرى، وضمن اختصاص اللبنانيين أنفسهم ان يقرروا معاً شكل الحكم الذي يريدونه ونحن لا نستطيع ان نتخذ لهم مثل هذا القرار » . وعن تأييده للموارنة قال : « بما ان الحكومة العمالية تؤيد سياسة مساعدة المسيحيين في لبنان فاننا نشعر بأننا مسؤولين ولكن هناك فرق بين المساعدة المالية وتقديم السلاح والتأييد السياسي وبين التدخل المباشر في لبنان » [٦٦] .

وقال في تصريح آخر في ٨ رجب ١٤٠١ هـ - ١١ أيار ١٩٨١ م :

« هناك في الواقع وجهات نظر سياسية متنوعة حول الشكل السياسي للحكم في لبنان . لكن معظم الآراء تتفق على ضرورة اقامة دويلة مسيحية على اعتبار أن مشكلة الموارنة بدأت في سان ريمو في نيسان ١٩٢٠ (م) وعندما أعلن المفوض السامي الفرنسي اقامة لبنان الكبير وضم مناطق ذات اكثرية اسلامية الى جبل لبنان » .

ويشارك بيريز في هذا التصور ابا ايبان، وزير الخارجية الاسرائيلي سابقاً، الذي اعتبر انه في حال استحالة اقامة دويلة مسيحية لسبب أو لآخر خاصة ان المسيحيين أنفسهم غير متحدين في ما بينهم الى درجة كبيرة ، فلا بد حينذاك من الاستمرار في دعم الحلفاء اللبنانيين بفرض تسوية سياسية تحفظ مصالح اسرائيل الاستراتيجية في هذا البلد . وقال ان لاسرائيل الآن قوة تأثير تستطيع ان تحدد بموجبها شكل وبنية المجتمع اللبناني على اساس يأخذ بعين الإعتبار مصالحها الاستراتيجية [٦٧] .

وفي ٢٣ رجب ١٤٠١ هـ - ٢٦ أيار ١٩٨١ م أوضح موشي دايان وزير الخارجية الاسرائيلية السابق « ان التزام اسرائيل بمسيحيي لبنان يجب ان يكون التزاماً اخلاقياً وليس عملياً » ، ثم دعا ميليشيات الكتائب الى طلب السلاح مباشرة من الولايات المتحدة الأميركية بدلاً من اسرائيل لا سيما وأن للكتائب ممثلاً في واشنطن . وفي نفس الفترة نشرت صحيفة « ها آرتس » الاسرائيلية وثيقة اشارت الى ان هناك تعهداً خطياً من مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي الى بشير الجميل منذ صيف ١٩٧٨ م يتضمن دعم اسرائيل للمسيحيين في لبنان .

وذكر أحد رهبان الموارنة التابعين للكتائب لمندوب صحيفة « لوموند » الفرنسية جان غيراس من ان القدر يجمع بين الإسرائيليين

والموارنة ، بل اكثر من ذلك « فان مصالح اسرائيل لا تتعارض مع مصالحنا » [٦٨] .

ولذلك فان التواجد الصهيوني في الأشرفية وزحلة والرادار الاسرائيلي في « الفرقة الفرنسية » في جبل صنين يؤكد عدم تعارض هذه المصالح الاسرائيلية ـ المارونية .

وقد اعترف ريمون اده بصراحة ان ميليشيا الكتائب هي « ذراع الجيش الاسرائيلي في لبنان » [٦٩] .

وكشفت مصادر رسمية اسرائيلية عن قيمة مساعدات بلغت ثمانية عشر مليون دولار ، قدمتها اسرائيل الى الكتائب خلال عامي ١٩٨١ و١٩٨٢ م .

وكانت القوات الصليبية تستمد التشجيع من المساعدات الاسرائيلية ، وادراكاً منهم ان اسرائيل لن تتخلى عنهم فقد أخذ زعماء الموارنة يمنون النفس بالسيطرة على كل لبنان .

وطوال شهر رمضان ١٤٠١ هـ ـ تموز ١٩٨١ م شنت الطائرات الصهيونية غارات مكثفة على بيروت الغربية مما أدى إلى مقتل ثلاثمئة نسمة من المدنيين وأصيب أكثر من ألف شخص بجروح بالغة .

وأميركا أيضاً

وبناء على دعوة من أميركا فقد توجه بشير الجميل الى واشنطن في شهر شوال ١٤٠١ هـ ـ آب ١٩٨١ م وقد نال اعجاب مضيفيه الذين قالوا عنه : « لم يعد متهوراً وزعيم عصابة ، بل أصبح شاباً ناضجاً وخصوصاً بحكم منصبه كزعيم للكتائب » وكان الديبلوماسي الأميركي فيليب حبيب وراء التوصية بزيادة المساعدات لبشير وحزبه [٧٠] .

بعد ان عاد من أميركا ازداد ايمانه بالمحافظة على علاقاته مع اسرائيل .

وكان بشير الجميل صديق السفير الأميركي في بيروت روبرت ديلون ، وخلال احدى لقاءاتهما انضم الى الحديث روبرت اماس وهو موظف كبير في وكالة الاستخبارات الأميركية (سي ، آي ، ايه) فقال أماس لبشير : « قررنا مساعدتك ، وخلال فترة قصيرة سيصل الى بيروت ممثل يبقى على اتصال بك ، وسنرسل أيضاً ممثلاً الى جونية ، يحمل لقب مدير مشروع المساعدات الأميركية ، ما هي طلباتك ؟ »

فرد الجميل بأنه يريد تدريب لواء يشكل من الكتائب ، والعمل على اعداد عدد من رجاله لقيادة لواء وكتيبة ، وارسال طوافات له ، وقطع بحرية ، وطلب بشير تزويده بدبابات وصواريخ ضد الدبابات وما شابه ذلك وأبلغه الأميركيون بأنهم سيرسلون له آلاف القذائف من نوع آر. بي. جي ٧ وآلاف القذائف المدفعية من نوع ١٢٠ ملم وذخيرة روسية ١٢٢ ملم وأجهزة لاسلكي ومعدات عسكرية علاوة على تفاصيل أخرى سيتم الاتفاق عليها في المستقبل [٧١] .

في محرم ١٤٠٢ هـ ـ تشرين الثاني ١٩٨١ م وبعد أن تم الإتفاق على الخطوط العريضة لعملية الاجتياح الصهيوني ـ الصليبي للبنان طلبت اسرائيل من قيادة الكتائب الاستعداد ورمزت الى ان الحرب قريبة . وقد أحيطت الولايات المتحدة الأميركية علماً بذلك . سارع بشير الجميل على الفور ورشح نفسه لرئاسة الجمهورية ، وفي احدى لقاءاته برافائيل ايتان قال انه يحلم وينتظر دخول الجيش الاسرائيلي . وقد فوجىء رئيس الاركان الاسرائيلي في احدى زياراته الى جونية عندما عزفت احدى الجوقات الكتائبية النشيد الوطني اللبناني والنشيد الوطني الاسرائيلي [٧٢] .

وكانت الخطة التي تم وضعها بين اسرائيل والقوات الصليبية في

لبنان على الشكل التالي : كمقدمة أولى للهجوم الاسرائيلي ـ الصليبي على مناطق المسلمين ستبذل الجهود المكثفة لاشعال فتيل الفتنة بين مختلف المنظمات المتصارعة على النفوذ ، بحيث يتم الهجوم بعد ان تكون الفتنة قد استنزفت الجميع واربكتهم بحيث لا يستطيعون جمع الشمل والتصدي للهجوم وهذا ما حدث فعلاً قبيل الهجوم الاسرائيلي عام ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

ثانياً : تتم عملية عسكرية من ثلاثة محاور هي :

المحور الأول : تحرك اسرائيلي عبر الشريط الحدودي لضرب المخيمات الفلسطينية وقواعد المقاومة في الجنوب .

المحور الثاني : تقوم القوات الاسرائيلية بعملية انزال بحرية في منطقتي الدامور والسعديات للقضاء على القواعد العسكرية ومراكز التدريب في ضهور الدامور ومنطقتها الداخلية ولقطع الطريق بين بيروت والجنوب .

المحور الثالث : تقوم القوات الصليبية بهجوم شامل وواسع عبر الضاحية الجنوبية لبيروت على المخيمات الفلسطينية في برج البراجنة وشاتيلا وصبرا وحصر الفلسطينيين وجميع المقاتلين في تلك المنطقة . وفي الوقت نفسه تتقدم القوات الصليبية والقوات الاسرائيلية المنزلة في الدامور شمالاً باتجاه بيروت لإحكام الحصار على بيروت الغربية [٧٣] .

هذه الخطة العسكرية ، إضافة الى خطط أخرى نفذت بحذافيرها عام ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م وهجم الصليبيون بالتعاون مع الصهاينة على بيروت الغربية واستباحوا المخيمات والأحياء السكنية .

إحياء الدويلات الطائفية والعنصرية

ان اخطر ما في المشروع الماروني انه مقدمة لمشاريع أدهى وأمر . ان قيام الدولة المارونية ليس الا الحلقة الأولى من سلسلة مخططات ترمي الى احياء الدويلات الطائفية والعنصرية . لذا فان تحقيق هذا المشروع يجعل نجاح المخطط الكبير أمراً ميسوراً ، لأنه يفقد الأمة سيطرتها على زمام الأمور .

في مقال نشرته مجلة يصدرها جهاز الدعاية في « المنظمة الصهيونية العالمية » كتب « اوديد ينون » وهو احد الموظفين السابقين في وزارة الخارجية الاسرائيلية وعلى اطلاع كامل بأمور السياسة الاسرائيلية ، كتب في عدد شباط ١٩٨٢ م (١٤٠٢ هـ) أي قبيل الاجتياح الاسرائيلي بأربعة أشهر يقول :

« ان تقسيم لبنان الى خمس مقاطعات ينبىء بالمصير الذي ينتظر العالم العربي بكامله ، بما في ذلك مصر ، سورية ، العراق والجزيرة العربية ».ويقترح انشاء خمس دول في لبنان وخمس دول في سورية وثلاث دول في العراق وعدة دول في مصر . والهدف من هذه التجزئة هو « الاضعاف العسكري لهذه المنطقة وجعل العرب والمسلمين في اقصى حالات الضعف واسرائيل في أقصى حالات القوة » .

ذلك « ان العالم العربي الاسلامي ليس سوى قصر من ورق شيدته القوى الأجنبية (فرنسا وبريطانيا في سنوات العشرين) على حساب تطلعات سكانه الأصليين . لقد قسمت هذه المنطقة عشوائياً الى ١٩ دولة مشكلة من مجموعات اثنية مختلفة ، واقليات معادية لبعضها الى حد ان كلاً من الدول العربية الاسلامية تجد نفسها مهددة داخلياً نتيجة الخلافات الاثنية والاجتماعية ، وتقف على عتبة الحرب الأهلية » . والواقع ان هذه الافكار لم تكن مجرد افكار مجنونة بل انها كانت تعبر عن طموحات المؤسسات الصهيونية وعن « خطة اسرائيلية تطال سنوات الثمانينات » .

واكد ينون « على انه سيتوجب على دولة اسرائيل في الثمانينات القيام بتغيير جذري في نظامها السياسي والاقتصادي كما في سياستها الخارجية استجابة للمعطيات الجديدة في الشرق الأوسط والعالم » . و حدد جملة اولويات في برنامج اسرائيل المفترض في الثمانينات فأكد انه « من الحيوي بالنسبة الينا ، والحالة هذه ، استعادة سيناء بمواردها المستثمرة والكامنة » .

وأشار صاحب المقال الى خطأ تل أبيب في الانسحاب من سيناء فقال :

« ان خسارة ينابيع النفط في السويس بالاضافة الى احتياطي البترول والغاز والموارد الطبيعية في سيناء ، وهي تساوي حجماً اكبر منتجي النفط في المنطقة تشكل بالنسبة الينا ، وفي المستقبل القريب عجزاً في الطاقة سيدمر اقتصادنا الوطني » (٧٤) .

وعندما نعلم ان اسرائيل اتخذت قرارها بالهجوم على لبنان في كانون الثاني من العام نفسه بالاتفاق مع الموارنة . ونفذت قرارها في شعبان ١٤٠٢ هـ ـ حزيران ١٩٨٢ م نرى ان هناك صلة ما بين « ازمة الطاقة » التي يشير اليها مقال ينون وحاجة اسرائيل الى تعويض خسارتها

بترول سيناء بمياه لبنان كمصدر جديد للطاقة كما أشارت الى ذلك الوثائق والتصريحات الصهيونية العديدة ، وذلك بمباركة الموارنة .

في غمرة الصراع حول اقتسام العالم العربي والاسلامي بين القوى العظمى في العالم تسربت اخبار كثيرة حول مشاريع لاقامة دويلات طائفية أو عنصرية بالاضافة الى الدولة المارونية وقد رأى الموارنة في هذه المشاريع بارقة أمل لأنها تجعل دولتهم أمراً مؤكداً وقائماً لا جدال فيه .

وقد علمنا فيما بعد ان الخطة القاضية بانشاء خمس دول في لبنان والتي عهد بها الى الجيش الاسرائيلي بالتعاون مع المليشيات الصليبية تقتضي ربط زحلة بالمنطقة الشرقية في بيروت تمهيداً لاعلان الدولة المارونية ومن ثم تقوم العصابات الاسرائيلية والصليبية بتهجير المسلمين الشيعة من جبل عامل من اجل تحويل هذه المنطقة الى دولة مسيحية برئاسة انطوان لحد الضابط المتقاعد في « الجيش اللبناني » وخليفة سعد حداد (٧٥) .

أما الدويلات التي جرى الحديث عنها فهي :

١ ـ الدولة المارونية في لبنان .
٢ ـ الدولة الدرزية وتضم مناطق من جبل لبنان ، ولبنان الجنوبي ومن جنوب سوريا وشمال فلسطين .
٣ ـ الدولة العلوية وتضم مناطق ساحلية من تركيا وسوريا ولبنان .
٤ ـ اسرائيل الكبرى .
٥ ـ بلوشستان وتشكل من جنوب غرب افغانستان وشمال غرب باكستان وجنوب شرق ايران .
٦ ـ كردستان وتشكل من مناطق تركية وايرانية وعراقية وسورية .
٧ ـ الدولة الأشورية وتشكل في شمال العراق .
٨ الدولة النفطية العالمية وتشكل من كامل شواطىء الخليج ومسقط وعمان .

٩ ـ دولة نجد وهي جزء من « المملكة العربية السعودية » .
١٠ ـ دولة الحجاز وهي جزء آخر من « المملكة العربية السعودية » .
١١ ـ الدولة القبطية وتقام على جزء من الأراضي المصرية .
١٢ ـ دولة برقة وتقام في الجزء الشرقي الشمالي من ليبيا .
١٣ ـ دولة فزان وتقام في الجزء الجنوبي من ليبيا .
١٤ ـ دولة طرابلس وتقام في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا .
١٥ ـ دولة البربر وتقام على مناطق من مراكش والجزائر وتونس وليبيا .
١٦ ـ دولة جنوب السودان وتقام في جنوب جمهورية السودان [٧٦] .

الفصل الثالث عشر

الإجتياح الصليبي ـ الصهيوني

قادة الموارنة يضعون خطة الغزو
مع حلفائهم الصهاينة

في ٢٧ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ - ١٢ كانون الثاني ١٩٨٢ م ، وصل اريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك في طوافة عسكرية إلى جونية ، على رأس وفد عسكري ضم رئيس الأركان في الجيش الاسرائيلي ومساعد وزير الدفاع اللواء ابراهام شامير ، والضابط المظلي ، قائد سلاح المشاة ، العميد عاموس يارون ، ورئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان العماد أوري سانحي ، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية اللواء يهو شواع ساغي ، وممثلون عن الموساد ، بالإضافة الى حرسهم الخاص ومدني واحد هو الدكتور بولسلاف (بولاك) غولدمان الطبيب في مستشفى شيفا وصديق شارون ، وقد نظم هذا اللقاء ممثلو الموساد العاملون مع الكتائب .

أثناء الإستقبال تعانق بشير الجميل وشارون بحرارة وقال الأول للثاني : « عرفت بأنك ستجيء وحسناً فعلت . لقد كنا في انتظارك » .

وبعد ان أقام بشير مأدبة عشاء تكريماً لضيوفه قال لهم :

« اننا في مرحلة مصيرية في لحظة الحقيقة ، ولذلك يجب ان نعمل سوياً لحماية « الوجود المسيحي في لبنان الذي هو الأساس

الوحيد المؤهل لضمان لبنان بلداً حراً . . . ولكي يستطيع الشعبان رد الأخطار التي تحيق بهما وبسلامة لبنان واسرائيل » .

وفي معرض رده ، أكد شارون على أهمية مشاركة الولايات المتحدة الأميركية ، وقال لبشير « انكم تستطيعون ان تقيموا لأنفسكم دولة حرة تتأسس على تواصل إقليمي في الجنوب ، في المناطق التي سنحتلها ، وفي المناطق التي تسيطرون عليها اليوم ، وفي عاصمتكم التي ستتحرر على أيديكم . وكان شارون يشدد من حين لآخر خلال كلامه على ان « بيروت مشكلتكم أنتم » . وقال « انها ليست سوى الزيارة الأولى ونحن شركاء مصير وأخوة سلاح منذ الآن ، وسيكون بيننا تنسيق ولقاءات كثيرة ، حتى نكون مستعدين لأي وضع يتشكل في المستقبل » .

وأكد الجميل في حديثه على ضرورة وصول الجيش الاسرائيلي إلى شمال لبنان فقال : « من الأهمية بمكان ان نأخذ في الحسبان أن اية مشاركة من جانبنا في السيطرة على بيروت ستضطركم الى الدفاع معنا عن السلامة الإقليمية للجيب المسيحي في شمال لبنان » .

وقد حضر هذه الجلسة فادي افرام رئيس اركان جيش الكتائب ، زاهي البستاني المسؤول عن شؤون الاستخبارات في قيادة الكتائب ، جان نادر المستشار السياسي الأكثر موالاة لاسرائيل في قيادة الكتائب ، بالاضافة الى رئيس فرع الحزب في الأشرفية وجوزيف ابو خليل وايلي حبيقة الذي رأس فيما بعد القوة التي نفذت مجازر صبرا وشاتيلا .

ثم زار الوفد الاسرائيلي مدينة بيروت ، يرافقه قادة الكتائب ومن بينهم بشير الجميل ، وشملت الجولة نقاط المراقبة ، والنقاط الأساسية وشبكة الطرق الرئيسية والفرعية . ومن نقطة المراقبة الأولى التي اختيرت على سطح مبنى كبير في الأشرفية راقب شارون المدينة بواسطة منظار .

وذهب الوفد في رحلة الى جبل صنين للاطلاع الى القيمة

الاستراتيجية الكبيرة للمنطقة . وقد أراد الجميل أن يحرر الاسرائيليون له شتورا وزحلة ويساعدوه في تعزيز مواقعه في جبال الشوف ، وفي « تطهير طريق بيروت ـ دمشق حتى الحدود مع سوريا » .

فلقد أشار الى طريق ضهر البيدر قائلاً لشارون « هذه هي المنطقة الحيوية التي تسيطر على طريق بيروت ـ دمشق ، اذا وصلتم الى هذه المنطقة فستضطرون الى توسيع أطر عملياتكم والسيطرة على زحلة وشتورا » .

وفيما بعد عقد لقاء آخر في بيت بشير الجميل في حي الأشرفية ، حضره بيار الجميل وكميل شمعون . استهل بيار الجميل حديثه بشكر إسرائيل على ما فعلته من أجل الموارنة في لبنان ، فقال :

« لن ننسى هذا أبداً . لقد كان نضالكم في أرض اسرائيل في عهد الإنتداب البريطاني رمزاً لنا ومثالاً لما تستطيع أقلية أن تنجزه . هذا هو الدرس الذي تعلمناه منكم » ، وختم كلامه فقال : « ان مستقبلنا ومصيرنا برمته متعلقان بالتعاون مع اسرائيل » . وأعرب عن ثقته بأن ينمي التعاون مع اسرائيل شبكة علاقات صداقة عميقة بين اسرائيل ولبنان ، وقال ان « من الممكن أن نضمن أن تصبح بلاد الأرز رأس جسر بين اسرائيل والدول العربية » .

ثم تحدث كميل شمعون فأكد أنه صاحب نهج ايجابي ازاء اسرائيل عندما كان رئيساً للبنان . وأثنى على الروابط التي توثقت بين الموارنة واسرائيل منذ بداية عام ١٩٧٥ م .

أمضى شارون وزملاؤه في بيروت ليلة ويومين في اتصال مع بشير الجميل والجناح العسكري لحزب الكتائب حيث تم وضع خطة الاجتياح الصهيوني ـ الصليبي ولم يبق سوى تحديد تاريخ الغزو [١] .

وحرصاً على ان يكون للقوات الصليبية دور فعال في الحملة

العسكرية فقد تسلمت هذه القوات بزعامة بشير الجميل مبلغ مئة مليون دولار بشكل أسلحة ومعدات وغير ذلك [٢] .

عندما عاد شارون الى إسرائيل اتصل بأحد أصدقائه وقال له : « أحكمت خطتي مع المسيحيين . نستطيع مباشرة العمل منذ الآن . فقد أوثقت أقدامهم » .

لقد علق بشير كل آماله على هذه الخطة لأنها ستؤمن له السيطرة على الدولة ، وكان ينتظر حلول الساعة التي ستقدم إليه اسرائيل الدولة على طبق من ذهب لبناء « نظام جديد » .

ومنذ ذلك الوقت بدأت القوات الصليبية بالإستعدادات العسكرية والسياسية استعداداً للعملية الاسرائيلية المتوقعة . وخلال الليل كانت البواخر تصل من اسرائيل الى جونية . وكان اللواء رفول ويكوتيئيل آدام وضباط آخرون في الجيش الاسرائيلي وممثلون عن الموساد يروحون ويجيئون لتنسيق الخطوات [٣] .

وفي نفس الفترة التي زار فيها الوفد الاسرائيلي بيروت وجه بشير الجميل انذاراً يتضمن الكثير من المعاني فيما لو عرضناه على واقع الأحداث التي تتالت بعد ذلك .

جاء في التهديد : « فالاستحقاقات أربعة :

١ ـ تحديد مصير وجود القوات الغريبة على الأراضي اللبنانية .

٢ ـ نهاية ولاية رئيس الجمهورية اللبنانية الحالي مع ما يتطلب ذلك من وجوب الإنتقال إلى ولاية جديدة أو طور جديد للحياة السياسية في لبنان ، وارتباط هذا الأمر بتأمين الحرية للارادة اللبنانية الأصيلة أو عدمه .

٣ ـ تحقيق المرحلة الأخيرة من الشق المصري ـ الاسرائيلي في

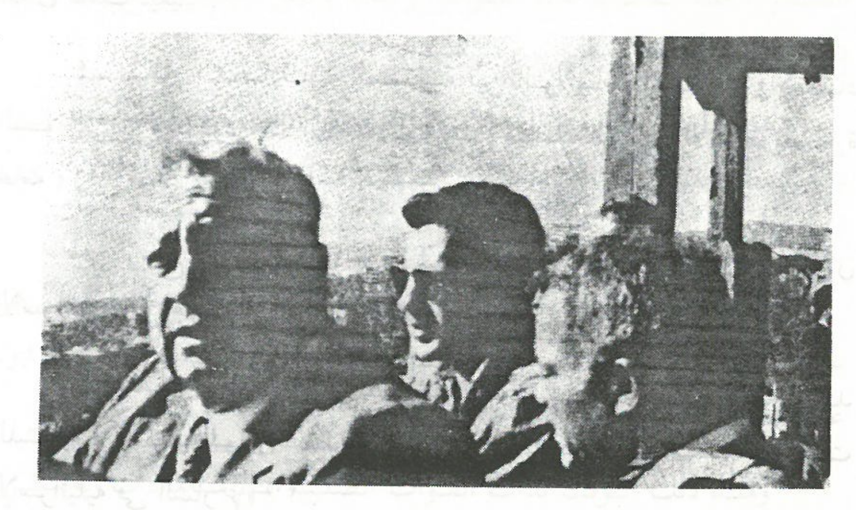
اتفاق كامب ديفيد .

٤ ـ نتائج المحادثات المرتقبة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، ومردود هذه المحادثات على منطقة الشرق الأوسط بصورة عامة » [٤] .

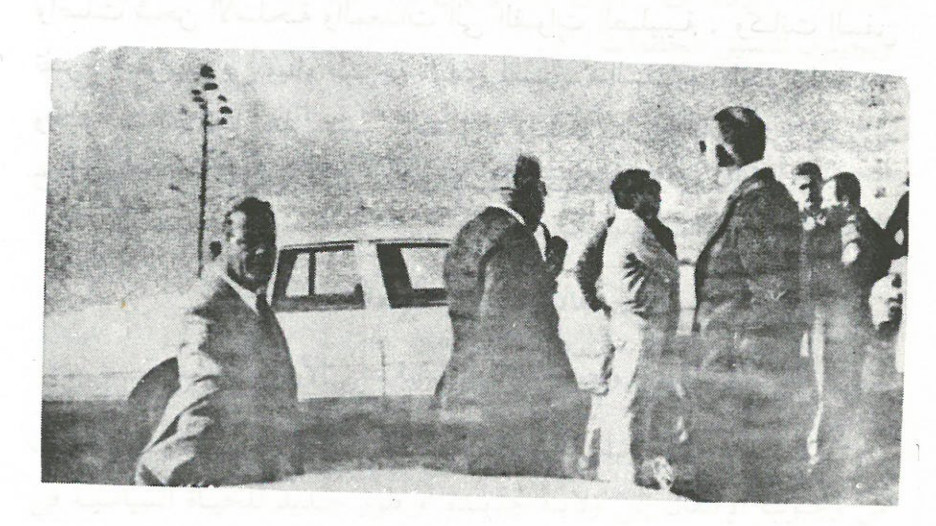
وفي ربيع الثاني **١٤٠٢** هـ ـ شباط **١٩٨٢** م وصل قائد الاركان الاسرائيلي الى جونية حيث اجتمع مع بشير الجميل وقادة الكتائب [٥] .

في جمادى الأول ـ آذار قال بشير الجميل لمدراء بعض الجرائد اللبنانية « لا تندهشوا إذا نظرتم من نافذة مكتبكم ، وشاهدتم الدبابات الإسرائيلية في الشارع » [٦] .

وبعد أن وعده الياس سركيس شخصياً بالدعم اتخذ بشير من جديد قراراً بترشيح نفسه للإنتخابات الرئاسية ، ثم جدد اتفاقه مع اسرائيل التي واصلت شحن الأسلحة والمعدات الى القوات الصليبية ، وكانت السفن تفرغ حمولتها في ميناء طبرجة الذي لقب بـ « السفارة الإسرائيلية » . واقترحت اسرائيل على بشير الجميل تزويدها بالمعلومات التي بحوزته حول أماكن تواجد المقاتلين والنقاط الإستراتيجية المهمة .



في بيروت وقبل خمسة أشهر من الإجتياح الصليبي ـ الصهيوني اجتمع هنا اريل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي حينذاك مع زعماء الموارنة . يظهر إلى جانبه مساعده لشؤون الأمن القومي ، اللواء ابراهام شمير .



الصليبي الحديث ، بشير الجميل ، اجتمع هنا مع اعضاء الوفد العسكري الإسرائيلي الذي زار بيروت سراً في ١٢ ـ ١٣ كانون الثاني ١٩٨٢ م : موشي ليفي ، يهوشواع ساغي ، ابراهام شمير ، وخلفهم مدينة بيروت .

الفتنة تتصاعد

كيف كانت الأوضاع عشية الاجتياح الصليبي ـ الصهيوني ؟

مزيد من الأشلاء بدل لم الشمل . إن الاجتياح الصليبي ـ الصهيوني سبقته فتنة عارمة لم يسبق لها مثيل . ورغم أن عملية الاجتياح باتت أحد الأسرار الشائعة في العاصمة اللبنانية ، وبدأت الصحف تكتب بإسهاب عن خطة الغزو وأكدت بما لا يدع مجالاً للشك على امكانية حدوث هجوم اسرائيلي شامل تؤازره القوات الصليبية من الداخل ، فان القيادات المتصارعة بقيت حتى اللحظة الأخيرة غارقة في معاركها الخاصة وغير عابئة بالمصير الأسود .

في جمادى الثاني ١٤٠٢ هـ ـ نيسان ١٩٨٢ م بلغت الفتنة أوجها ، وانبرى الخطباء وفيهم عدد كبير من رجال الدين يرغبون أتباعهم بالقتال على طريقة « كل حزب بما لديهم فرحون » . ثم اعلن الجميع التعبئة العامة ودخلت الفرق المسلحة على اختلاف ولاءاتها وانتماءاتها في أتون حرب منظمة استمرت حتى بدء الاجتياح . بعض « القادة » كانوا يرفعون أيديهم بعلامة النصر وبالطبع ليس على العدو الصليبي أو الصهيوني إنما على « الطرف الآخر » . لقد أصبحوا ادمى ، اصبحوا أضحوكة للصليبيين الذين كانوا يشمتون بالمسلمين وهم يرون مقاتلاً يقتل آخر ، ومجموعة

تعلن عن تحرير شارع كان « الطرف الآخر » قد احتله . إن مصطلحات التحرير والشهادة والهجوم والنصر انتقلت من قاموس الحرب الاسلامية - الصليبية الى قاموس حرب المنظمات وحلت محلها مصطلحات « الحل السلمي » و« الاعتراف المتبادل » . . . وأخيراً تتدخل الدولة « للحفاظ على الأمن » وللفصل بين متقاتلين هي التي اشعلت بينهم نار الحرب ثم تعود في النهاية وتوحد الجميع في طاعتها من حيث لا يدرون .

ولما كانت الفتنة مدبرة وتديرها أيدي صليبية - صهيونية من خلف الكواليس فقد عهد إلى « اذاعة لبنان » الرسمية وإذاعة « صوت لبنان » الكتائبية بنقل جميع التصريحات المختلفة والتي كان يطلقها القادة الطفيليون بحذافيرها ، وكذلك تولت الإذاعات والصحف تغطية الوقائع العسكرية بتفاصيلها ، وذلك من أجل شحن النفوس والهاب مشاعرها في معارك جانبية ، مما ادى الى استنزاف طاقات الناس في وقت كانت الساحة بأمس الحاجة الى توظيف هذه الطاقات ضد التحالف الصليبي - الصهيوني . وقد استفاد النظام الماروني مرة ثانية من هذه الشخصيات وذلك بعد أن حققت الفتنة أغراضها التي وضعت لها في الأصل ، فبعد أن كانوا يقفون وراء المكروفونات ومكبرات الصوت ويدفعون الناس الى التقاتل من اجل إرضاء نزواتهم الشريرة صاروا فيما بعد يجتمعون تحت سقف واحد ، ويقيمون المهرجانات معاً ، ويتغنون بما أسموه « المقاومة الوطنية » وهو الإسم المفضل عندهم لحركة المقاومة الإسلامية . وبعضهم صاروا وزراء في ما اصطلحوا على تسميته بـ « حكومة الوحدة الوطنية » والتي كانت من أولى أهدافها تثبيت النظام الماروني بعد أن تعرض لبعض الهزات وذلك بالتلهي بشعارات العدالة والمساواة واطلاق تعابير مزخرفة من قبيل « اعطاء المسلمين حقوقهم ونصيبهم في السلطة » ، وسوف نعالج هذا الموضوع في حينه ، ولكن من البديهي أن نسأل علام كان يتقاتل الناس ويتساقط الشهداء وهل هم من الشهداء الأحياء عند ربهم ؟ ان من الضروري الإشارة الى تلك الأحداث واللبيب

من الإشارة يفهم . وكم يصبح الرجوع الى تاريخ تلك الشخصيات وتصريحاتها أمراً ممتعاً ومفيداً في آن معاً ، وكم تصبح الإستفادة من عبر الماضي ضرورة قصوى لتوضيح السبل أمام كل العاملين للقضاء على جذور المشروع الماروني في لبنان . ذلك أن القضاء على هذا المشروع قضاءاً تاماً يستوجب أيضاً القضاء على رموزه وأدواته ومظاهره والتي لولاها لما كان الموارنة أقوياء إلى هذه الدرجة .

وقائع الاجتياح الصليبي - الصهيوني

وأخيراً اليوم الموعود .

الكارثة بدأت ، المشاريع أشبعت درساً ، والتحالف الصليبي - الصهيوني أعطى ثماره . .

في ١٣ شعبان ١٤٠٢ هـ - ٥ حزيران ١٩٨٢ م ، وبعد انقضاء خمس عشرة سنة على الإجتياح الاسرائيلي للضفة الغربية وصحراء سيناء ومرتفعات الجولان ، بدأت العمليات العسكرية في جنوب لبنان على ستة محاور . ثماني فرق اسرائيلية قدرت بمئة ألف جندي دخلت الى جبل عامل ، وبدأت حملة تدمير رهيبة لم يعرف العالم لها مثيلاً . كانت الطائرات تغير على المدن والقرى من الصباح حتى المساء لتلقي عليها قذائف الموت والدمار .

وفي نفس الوقت نشطت عمليات الإنزال ابتداء من صور وحتى مدينة بيروت ولا سيما في خلدة والأوزاعي من أجل حصار بيروت واقتحامها .

عندما بدأ الهجوم كان أحد كبار القادة الاسرائيليين يتناول طعام الغداء على مأدبة أحد وجهاء قرية « القليعة » في جنوب لبنان برفقة سعد حداد ، ثم دعي ضباط الكتائب للسفر إلى إسرائيل [٧] .

في اليوم الثالث من الحرب أحضر بشير الجميل للاجتماع الى صديقه المقرب رئيس هيئة الأركان في الجيش الاسرائيلي رفائيل إيتان ، وطرحت مسألة كيفية انخراط الموارنة في الحرب . وفي لقاء مع شارون روى بشير أنه أعد سرايا للدفاع الإقليمي في القرى التي يسيطر عليها ، وطرحت نية امكان قيام هذه القوات بمساعدة الجيش الإسرائيلي . والتقى بشير ثانية بشارون وبرئيس الأركان وقادة الجيش الإسرائيلي في ليل ٢٠ شعبان - ١٢ حزيران واستجاب رئيس الأركان لدعوة بشير بالسفر معه الى جونية ، فذهب الاثنان برفقة أمير درووري قائد المنطقة الشمالية لإسرائيل ومستشار وزير الدفاع لشؤون الأمن القومي الإسرائيلي اللواء ابراهام شامير ، والعميد عاموس يارون الذي كان قائداً لقوات الجيش الاسرائيلي في بيروت [٨] .

قدم الصليبيون للاسرائيليين مختلف أنواع المعلومات : أرقام الهاتف للتنصت عليها ، خرائط الأنفاق ، مواقع الأحياء العامة والمنشآت ذات الأهمية القصوى ، وكان الصهاينة ينقلون احتياجاتهم عبر مرفأ جونية .



في ٦ حزيران ١٩٨٢ م ومع بداية الإجتياح ، بشير الجميل والقادة العسكريون الإسرائيليون : ارييل شارون ، رفائيل ايتان ، بونا افرات وأمير دروري يدرسون خرائط المعركة .



الصليبي الحديث بشير الجميل ورئيس أركان قواته فادي افرام ومستشاره جوزيف أبو خليل يبحثون مع شارون بشأن الخطة المشتركة للاقتحام بين الجيش الإسرائيلي والقوات الصليبية ، ويقف وراءهم الضابط الصهيوني ابراهام شمير .



القيادة الصليبية ـ الصهيونية في احتلال عالية ٢٥ حزيران ١٩٨٢ م . ارييل شارون يتلقى تقريراً وإلى جانبه رئيس أركان القوات الصليبية ، فادي افرام ، الضابط الصهيوني موشيه ليفي وسكرتيره العسكري عوديد شمير .



بشير الجميل ورفائيل ايتان (من اليمين) وفادي افرام من اليسار يخططون لدخول الصليبيين إلى بيروت الغربية ـ تموز ١٩٨٢ .

في ٢١ شعبان ـ ١٣ حزيران تم الاتصال بين القوات الاسرائيلية والصليبية بالقرب من قرية بسابا ، واستقبل فادي افرام القوات الاسرائيلية ثم اتى بشير الجميل وبيار الجميل وملأت القوات الاسرائيلية شوارع بيروت الشرقية وسط استقبال شعبي كبير ، وبعد ذلك توجه قادة الكتائب وقادة الجيش الاسرائيلي الى جونية حيث عقدوا اجتماعاً بحضور شارون [٩] .

وفي نفس اليوم نزلت القوات الاسرائيلية بقيادة شارون ضيفاً مكرماً إلى بلدة بعبدا ، وتمركزت في المواقع المحيطة بقصر « الشرعية » الذي استأنس بها واستقبلها على الرحب والسعة .

والجدير بالذكر أن الياس سركيس رئيس جمهورية النظام الماروني آنذاك سحب الجيش الى الثكنات ورفض المشاركة في القتال ضد اسرائيل . ولم تسجل المعارك التي استمرت ثلاثة أشهر أن جندياً واحداً أطلق رصاصة على قوات الغزو .

نعم لقد استعاضت دولة سركيس عن دور الجيش بتشكيل « لجنة انقاذ » من « امراء الطوائف » كانت مهمتها الحقيقية هي فرض الأمر الواقع ، والسعي لإنجاز فصول المؤامرة وحملة الإبادة وفرض الاستسلام ، وتوهين القوى وتخدير العزائم ، علماً أن شارون صرح في نفس اليوم الذي تشكلت فيه اللجنة « بأن لبنان سيكون البلد الثاني الذي سيوقع معاهدة صلح مع اسرائيل » .

ان الموقف الطبيعي لأية دولة وأي شعب عندما يتعرضان للاعتداء هو المقاومة وبذل الغالي والنفيس في سبيل رد العدوان . هذه القاعدة درجت عليها كل الأمم اما في « الشرق الأوسط » فإن المسألة اتخذت اشكالاً أخرى تدعو للعجب .

ان الموقف في لبنان وفي المنطقة العربية بأكملها شذ عن هذه

القاعدة وتحول الى المطالبة بضرورة استسلام المقاتلين امام ما سمي بـ « الجيش الذي لا يقهر » .

لم يذكر التاريخ ان دولة واحدة ردت على العدوان بسحب الجيش الى الثكنات وفرض الهزيمة من الداخل . لكن دولة مارون أجازت لنفسها كل شيء في سبيل تحقيق أهدافها ، حتى أن مجلس الوزراء لم يعقد جلسته الأولى بعد الغزو إلا في ٢٢ رمضان ـ ١٤ تموز أي بعد أربعين يوماً من القتال ، بعد ان استباح الصهاينةُ جميع المدن والقرى في جبل عامل وحاصروا بيروت الغربية وقطعوا عنها الماء والكهرباء والغذاء تحت ظل القصف الجوي والبحري والبري .

والحقيقة ان دولة لبنان لم تكن تعتبر اسرائيل دولة معادية بل اعتبرتها ومنذ البداية دولة صديقة ومحامية ينبغي التعاون معها . ولهذا فقد كانت تعول على هذا الهجوم منذ أمد بعيد وعلقت عليه كل آمالها .

وكان الصليبيون كلما تقدمت القوات الإسرائيلية يصعدون مواقفهم بالتهديد والوعيد . النائب الكتائبي ادوار حنين والأمين العام للجبهة الصليبية اعتبر ان مصلحة لبنان تتوافق مع المطلب الذي تسعى إليه اسرائيل . وتساءل اذا كان تأييد اسرائيل هو خيانة وأكد أنه « واجب وطني » [١٠] .

وبعد تقدم الجيش الإسرائيلي الى مشارف بيروت أقامت وحدات تابعة لرئيس المخابرات في حزب الكتائب ايلي حبيقة الحواجز في مناطق مختلفة من لبنان وجرى على الفور تصفية خمسمئة مسلم .

وفي بيروت عهد الى الكتائبيين بمهمة التعرف على المقاتلين والقبض عليهم . واشتركت القوات الصليبية في العمليات العسكرية في حي الريحان ، وكلية العلوم ، وطلعة الجمهور ، وفي بحمدون وعاليه ، وسوق الغرب ، وبيت الدين حيث أقام قادة الكتائب قاعدة للتدريب وتم

دخول ثلاثمئة جندي من رجال بشير الى الثكنة العسكرية هناك [١١] .

في منتصف حزيران أقرت الحكومة الاسرائيلية خطة تنص على أن تقوم القوات الصليبية باحتلال بيروت الغربية بمساندة نيران المدفعية الاسرائيلية[١٢] .

في ٢ رمضان ـ ٢٤ حزيران ومع دخول الاسرائيليين الى عالية وبحمدون ، عقد دوري شمعون ابن كميل شمعون مؤتمراً صحفياً في نيويورك أعلن فيه « ان لبنان لن يحتج على الغزو الإسرائيلي ، لأنه يعتقد أن هذا الغزو يحقق الحرية للبنان » [١٣] .

وفي نفس اليوم أعلن بشير الجميل من جديد عن ترشيحه لرئاسة الجمهورية . وقرر آل سعود حكام الجزيرة العربية ، ان يدعموه في مواقفه فوجهوا له دعوة رسمية للحضور إلى الطائف في ٩ رمضان ـ ١ تموز حيث إجتمع بسعود الفيصل بحضور الوزير الكويتي عبد العزيز حسين والأمين العام لـ « جامعة الدول العربية » الشاذلي القليبي . وبعد عودته أدلى بتصريح قال فيه : « ان الكتائب تسعى لإقامة دولة مسيحية في لبنان يتمكن من خلالها جميع أبناء الطوائف المسيحية في المنطقة العربية من الإقامة فيها اذا كانوا لا يرغبون في الإقامة في الدول العربية والدول الاسلامية الأخرى » ، وحدد هذا الهدف الاستراتيجي للكتائب بشكل واضح لا يقبل الشك [١٤] . وعندها منحت الولايات المتحدة الأميركية تأييدها الكامل لترشيحه بصفته المرشح الذي تود وصوله الى منصب الرئاسة [١٥] . وأعلنت عن إرسال أربعة آلاف قنبلة عنقودية لإسرائيل فيما القذائف لا تزال تتساقط على مناطق المسلمين [١٦] .

قبيل نهاية شهر حزيران أبلغ مناحم بيغن رئيس الحكومة الاسرائيلية الكسندر هيغ ، سكرتير الحكومة الأميركية بأن الموارنة سيبدأون « بقرار منهم المعركة لتحرير عاصمتهم من الاحتلال الغريب ، وأن اسرائيل ستساعدهم » . وفي لقاء جرى بينه وبين الاسرائيليين وعد بشير بأنه عندما

يحين الوقت الملائم سيحول مخيمات اللاجئين القائمة في بيروت الى « حديقة حيوانات واحدة كبيرة » . ثم التقى بشير الجميل ورفاقه بمناحم بيغن وحضر اللقاء وزير الخارجية الاسرائيلي اسحاق شامير ، وشارون ، ورئيس الأركان رفائيل ايتان ، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ورؤساء الموساد .

قال بيغن لبشير : « انها فرصة تاريخية لتحرير بلدكم واحتلال العاصمة وانتزاعها من أيدي الغرباء . ينبغي للمسيحيين البدء فقط بتحرير بيروت وسنساعدهم بكل ما لدينا ، سنساعدهم بكل قوتنا » . واقترح بشير الجميل أسلوباً آخر للعمل ، هو أن يبدأ الجيش الاسرائيلي باحتلال الأحياء المحيطة بالعاصمة في منطقة المطار وفي مناطق أخرى ، ثم يدخل الكتائب وسط المدينة وشطرها الغربي [١٧] .

وبموجب الإتفاق الذي تم التوصل إليه مع بيغن واصل بشير ورفائيل إيتان التخطيط لدخول بيروت الغربية . وقال رئيس الأركان الاسرائيلي لبشير « ان الجيش الاسرائيلي سيقدم كل المساعدة المطلوبة للكتائب في المجال الجوي والمدفعي كما لو ان الكتائب وحدات نظامية في الجيش الإسرائيلي » . وطلب الجميل تزويده بألف كلاشينكوف مع مشطين من الذخيرة لكل واحد منها ووضع خمس شاحنات من نوع « ريو » تابعة للجيش الإسرائيلي في تصرف رجاله ، الى جانب مركبات أخرى ، وأجهزة لاسلكية . وقد استجاب رئيس الأركان للطلب [١٨] .

كما طالب الوزراء في الحكومة الاسرائيلية بأن يقوم الموارنة بدورهم في الحرب « لأن هذه الحرب هي حربهم » . لكن بشير الجميل أراد أن يربح مزيداً من الوقت ليقطف المزيد من الإنجازات ، وأعرب عن استعداده « لتطهير » بيروت الغربية اذا ساعدته اسرائيل على تطهير جبال الشوف ، وذلك من أجل توسيع سيطرته على منطقة جبلَ لبنان في ظل حراب الجيش الاسرائيلي [١٩] .

تنصيب بشير الجميل رئيساً للبنان

لا شك ان تنصيب بشير الجميل رئيساً للبنان وبناء « نظام جديد » يحقق للموارنة حلمهم التاريخي هو من الأهداف الرئيسية لعملية الاجتياح . وفي ٢٤ تموز أعلن بشير عن ترشيحه رسمياً وحذر من تعطيل جلسة الإنتخابات .

قبيل أيام من موعد انتخابات الرئاسة في لبنان هرع وزير الدفاع الاسرائيلي الى بيروت للقاء بيار الجميل وابنه بشير .

قال شارون لبيار : « ها نحن قد أوجدنا الأرضية ، وها اننا في بيروت كما سبق ان اتفقنا في كانون الثاني من هذه السنة » [٢٠] .

الصحفيون الاسرائيليون ومراسل « الواشنطن بوست » كشفوا النقاب عن أن بشير ورجاله دفعوا ملايين الدولارات لشراء أصوات « النواب » . وقد أعلن مساعدو بشير الجميل داخل القوات الصليبية انهم أنفقوا أقل بكثير مما توقعوا في بادىء الأمر [٢١] .

أنطوان نجم كان يحث بشير على أخذ السلطة بالقوة والغاء الانتخابات .

ويقول زائيف شيف واهود يعاري في « الحرب المضللة ، حرب

اسرائيل في لبنان » : « كان واضحاً انه في حالة فشل بشير (وهو المرشح الوحيد) في الإنتخابات القانونية فستقوم قيادة الكتائب بجعل سركيس يوقع على وثيقة يعين بموجبها بشير الجميل رئيساً للبنان » [٢٢] .

عند الإعلان عن تنصيب بشير الجميل في ٤ ذي القعدة ـ ٢٣ آب ثارت الفوضى في بيروت الشرقية وسائر المناطق التي يحتلها الموارنة وبدأت الاحتفالات وإطلاق النيران ، حتى ان رجال الموساد أطلقوا نيرانهم وأقاموا مأدبة عامرة . وأبرق بيغن اليه قائلاً : « تهاني القلبية الحارة بمناسبة انتخابك فليكن الله معك يا صديقي العزيز لتحقيق مهمتك التاريخية من اجل حرية لبنان واستقلاله ـ صديقك مناحيم بيغن » .

الولايات المتحدة الاميركية من جهتها رحبت بتنصيب بشير الجميل ، فقد ابرق ريغن اليه قائلاً : « ان الانتخاب جرى وفق عملية دستورية عادية » [٢٣] . كما وصلت برقية تهنئة من الرئيس الفرنسي فرانسو متيران . وكان أول لقاء لبشير بعد تنصيبه رئيساً للبنان مع رئيس الأركان الاسرائيلي رفائيل ايتان .

ووعد بيغن بان يتم توقيع اتفاق سلام مع لبنان ، وبأنه سينشأ حلف بين ثلاث دول في المنطقة : لبنان ، اسرائيل ومصر .

في ١٣ ذي القعدة ـ ١ أيلول قدم بشير الجميل الى نهاريا للقاء بيغن برفقة مستشاريه المقربين واحد اساتذة القانون الدولي في احدى جامعات بيروت . تصافح الجميل وبيغن وتعانقا ، ثم قال الأول للثاني : « أردت أن تظل أكثر قرباً كما كنا في الماضي » . فرد عليه بيغن قائلاً : « لقد آمنت دائماً بأنك ستكون رئيساً للبنان ، وستقود بلدك في طريق الإستقلال والسيادة على أراضيه كافة ، والى الديمقراطية والسلام مع جيرانه » . وتحدث بيغن بإسهاب عن « الرابطة المصيرية » بين الموارنة واسرائيل و « حلف الدم » الذي ربط بين اسرائيل ولبنان . وأضاف « ان

العلاقات الوثيقة بيننا لن تنقطع » وانهى كلامه قائلاً : « يعيش رئيس لبنان ، بشير الجميل » .

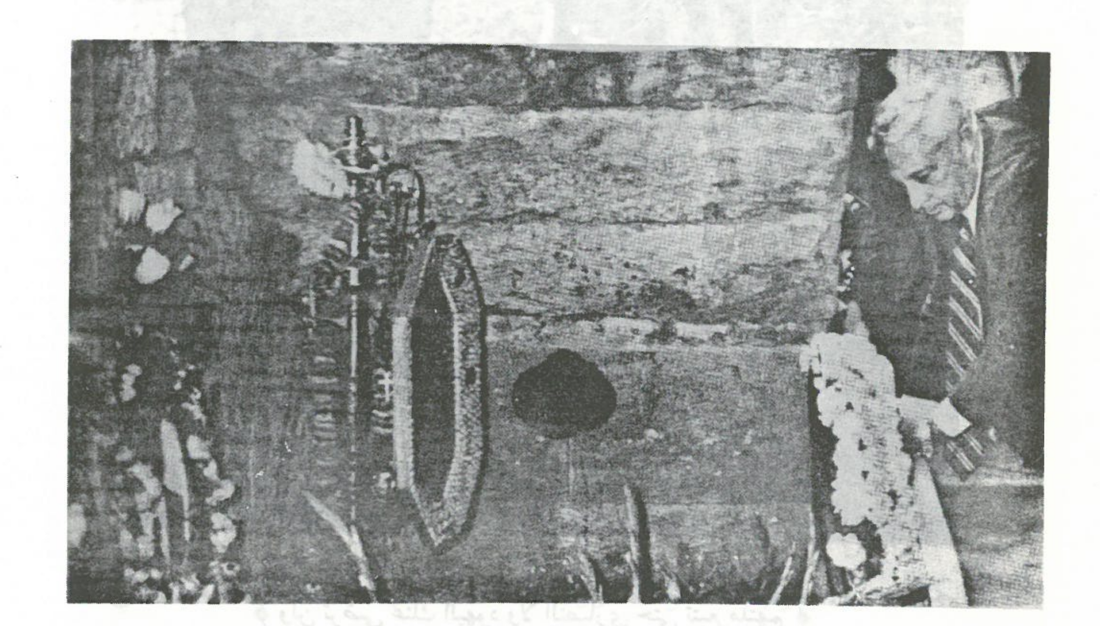
وصف بشير في كلمته الجوابية رئيس الحكومة الإسرائيلية بـ « القائد العظيم » وشكر بيغن على المساعدة التي قدمتها إسرائيل للموارنة بقوله : « لن ينسى المسيحيون ما فعلتموه من أجلنا ، وهذا الأمر سيتجلى بشكل ملموس في العلاقات التي ستنشأ بين الدولتين » . وفي ختام اللقاء تقرر تشكيل لجنة رسمية من ممثلين عن دوائر رئيس الحكومة الإسرائيلية ووزارتي الخارجية والدفاع ، ومن شخصيات من ادارة الجميل للبحث في مستقبل العلاقات بين لبنان واسرائيل (٢٤) . وقد حضر اللقاء إرييل شارون وسعد حداد .

في ٢٤ ذي القعدة ـ ١٢ أيلول ، وقبل مقتله بيومين ، التقى بشير ليلاً وزير الدفاع الاسرائيلي ، وعقد معه اتفاقات بعيدة المدى بشأن مستقبل العلاقات بين الدولتين بعد توليه منصب الرئاسة ، وقد حوت المقابلة على تخطيطات لتعاون عسكري وسياسي . واتفق الاثنان على دخول المخيمات . ووعد شارون صديقه بأن تتقدم القوات الإسرائيلية الى محاذاة المخيمات الفلسطينية من أجل حماية القوات الصليبية التي ستتولى عملية « التطهير » . كما وعده بإبقاء الجيش الإسرائيلي في لبنان لحفظ قواته من الإنهيار . وكان من المقرر أن يلتقي بشير بمجموعة من رجال الإستخبارات العسكرية الاسرائيلية في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الثلاثاء في ٢٦ ذي القعدة ـ ١٤ أيلون (٢٥) ، إلا أن هذا اللقاء لم يتم لأن بشير كان قد سبقهم الى جهنم في الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة من اليوم المذكور بينما كان يعقد اجتماعاً مع أركان قواته في بيت الكتائب بالأشرفية . حزن شارون عند تلقيه النبأ ومما قاله لصحافي اسرائيلي : « هذه المرة فقدناه حقاً » ، ملمحاً بذلك الى ان الاسرائيليين فقدوا أفضل اتصال لبناني (٢٦) .



﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾

الصليبية والصهيونية تتعاونان معاً للقضاء على الإسلام . بشير الجميل واريل شارون : خطط مشتركة واتفاقات بعيدة المدى . بيروت ـ أيلول ١٩٨٢ م .



شارون يضع اكليلاً من الزهر على قبر حليفه بشير الجميل في بلدة بكفيا .
أيلول ١٩٨٢ م .

دموع سركيس على فراق بشير

في الواقع ان الياس سركيس لم يكن الحمل الوديع كما ظن الكثير من البسطاء وكما ادعت القيادات المزيفة والعميلة ، بل كان يضع اللمسات الأخيرة على جميع الخطط والمشاريع والمؤامرات ، وكانت سياسته الممالئة لإسرائيل سبباً لما حل بلبنان من كوارث ومجازر بعد الاجتياح الاسرائيلي .

بقي الياس سركيس ست سنوات رئيساً للجمهورية ومع ذلك رفض اعادة بناء البلاد وتوحيدها على أسس سليمة .

كما أهدر المليارات من أموال الدولة وخزينتها ومما سرقة من أموال هذا الشعب وعرق جبينه بحجة اعادة بناء الجيش وزيادة أعداده حتى بلغ أربعين ألفاً ، بالإضافة الى عقد صفقات الأسلحة الحديثة من الولايات المتحدة الأميركية ، ورغم ذلك فقد رفض انزال الجيش الى ساحة المعركة مع إسرائيل ممهداً أمامها الطريق حتى تم للصهاينة ما أرادوا ووصلوا إلى بيروت دون خسائر تذكر .

ولم يكتف سركيس بتحييد الجيش ، بل حول النقمة على المقاتلين والمدافعين عن أرض لبنان بوجه الصهاينة ، وعمد الى القاء التبعة عليهم .

فبدل ان يقف الجيش اللبناني صفاً واحداً مع شعب لبنان ضد الغزاة الصهاينة كان يقف على الحياد وكأن الأمر لا يعنيه .

بعض الجنود والضباط كانوا يشربون القهوة مع الاسرائيليين لأن دولة سركيس لا يهمها الحفاظ على الوطن بقدر ما يهمها انجاز الفصول الأخيرة والحاسمة من المشروع الماروني .

ما إن اعلن بشير الجميل عن ترشيحه لرئاسة الجمهورية حتى أعلن سركيس متحدياً « أود ان تعلم دمشق رسمياً اني أؤيد ترشيح بشير » ، وبعد الاعلان عن تعيينه في منصب الرئاسة اعلن :

« انها المعجزة . كل الآلام والعذابات التي عانيتها طوال ست سنوات وجدت الآن معنى لها ، من كان يصدق : بشير الجميل رئيس للجمهورية ، الله كبير ، لقد نجا لبنان » .

ليس هذا فحسب بل أن سركيس جدد شبابه وعاش جواً من الحبور العارم وصار « يمزح ، يضحك ويقوم بزيارات خاصة امتنع عنها خلال ست سنوات ، كما انتقل الى منزله الخاص على مقربة من القصر الجمهوري ولم يعد يذهب الى مقر الرئاسة الا لحضور الاجتماعات الرسمية او البروتوكولية . وأخذ يمضي القسم الأكبر من وقته قرب مسبحه الخاص محاطاً بأصدقائه وأبناء أخيه ، لم يكن الرئيس سركيس في ما مضى من حياته ، متفائلاً كما هو اليوم . كل شيء بدا له ممكناً وفي متناول اليد » .

ومما قاله لكريم بقرادوني : « اني سعيد ، لأني تمكنت من الوصول الى نهاية ولايتي . اسلافي كلهم انهوا مدة ولايتهم ، فلماذا لا أكون مثلهم ، كان علي ان اتابع ونجحت بالبقاء في سدة الرئاسة رغم الموانع والمعاكسات وتابع يقول :

لا ريب في ان العناية الإلهية ساعدتني عام ١٩٧٨(م) . كدت

استقيل ولكني من حسن الحظ لم أفعل » [٢٧] .

وأضاف « اخترت منذ البداية الولايات المتحدة الأميركية وفرحي كبير لأني ساهمت مباشرة في فوز بشير ، منذ لقائنا الأول أحسست ان تعاوننا سيكون مثمراً » .

وبقدر ما كانت فرحة الياس سركيس عارمة عند ترشيح بشير وتعيينه للرئاسة كان حزنه عليه أكبر عندما قتل فقد بكى عليه وفاضت دموعه على خديه . ومما قاله مبدياً حزنه الشديد :

« نصحت بشير مرتين بان يأتي ويقيم في القصر الجمهوري ليقلل من تعرضه للخطر في تنقلاته الدائمة ، ولكنه كان فارغ الصبر . قلت له مرات عديدة ان المستقبل له ، وانه أمامه . . ان موته تجربة قاسية ، كبيرة وهي اكبر تجربة يتوجب على لبنان ان يتغلب عليها » .

وقال : « شعرنا مع بشير بأننا أقوياء . كان يخيف ويطمئن في الوقت نفسه . تولاني معه احساس مفاجىء بأن كل شيء يتحسن ، وكل شيء يتجدد والآن ها هي الأشباح تشيخ دفعة واحدة . . صحيح انني غير متزوج ، ففي نفسي شعور بأني فقدت اليوم ابني » [٢٨] .

مجازر صبرا وشاتيلا

عندما عجز الجيش الاسرائيلي عن الدخول الى بيروت الغربية بقوة السلاح لجأ الإستكبار العالمي الى خدعة هي في منتهى الخبث والغدر .

نصت الخطة على « ان تقوم قوات دولية بالنزول في بيروت من أجل ترحيل المقاتلين مقابل تعهد خطي أميركي بعدم دخول الجيش الإسرائيلي الى بيروت بعد ذلك » . ثم أعلنت كل من فرنسا واميركا وايطاليا في ١٨ رمضان ـ ١٠ تموز عن استعدادها للاشتراك في القوة الدولية التي ستتولى عملية اجلاء المقاتلين ، وكأن الهزيمة أصبحت قدر هذه الأمة .

في اليوم الأول من آب وتحت حرارة الشمس اللاهبة شنت الطائرات الاسرائيلية مائتين وعشر غارات على بيروت الغربية أمطرتها بمئة وخمس وثمانين ألف قذيفة ، ثم وصلت الدفعة الأولى من القوات الفرنسية في أول شهر ذي القعدة .

في ٢ ذي القعدة ـ ٢١ آب وقبل تنصيب بشير الجميل بيومين بدأت مغادرة المقاتلين ، وبعد ثلاثة أيام وصلت القوات الأميركية ثم تلتها القوات الفرنسية والإيطالية وغادرت جميعها في ٢٥ ذي القعدة ـ ١٣ أيلول .

ثمة أسئلة تطرح نفسها : لماذا رحلت القوات بهذه السرعة ؟ هل كانت نزيهة في مقاصدها ؟ طبعاً لا .

ان انسحاب القوات الأميركية والفرنسية والإيطالية قد تم وفقاً للخطة الموضوعة والقاضية بتأمين الحرية اللازمة للميليشيات الصليبية والقوات الصهيونية بالدخول الى بيروت الغربية ، فلقد خرجت هذه القوات قبل الموعد المحدد بضغط من فيليب حبيب ، الديبلماسي الأميركي والياس سركيس وبشير الجميل [٢٩] .

بعد خمسة أيام ، في ٢٧ ذي القعدة ـ ١٥ أيلول ، وبعد ان تم ترحيل المقاتلين ، دخل الجيش الاسرائيلي الى بيروت الغربية بعد ان عجز عن دخولها بقوة السلاح ، وتبين عندها للجميع ان التعهد الأميركي لم يكن اكثر من خدعة . اجتاح الجيش الاسرائيلي وبالتعاون مع الصليبيين جميع الأحياء ، وقاموا بحملة مداهمات واعتقالات واسعة ذهب ضحيتها الآلاف . كما صادروا كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر من البيوت والمستودعات .

في البداية لم يدخل الاسرائيليون الى المخيمات بل عزموا على تدميرها بواسطة الموارنة .

وقد أشار مراسل الواشنطن بوست الى ان شارون لم يجهز سوى مئتين من رجاله لهذه العملية ، ذلك لأن اسرائيل لها مجموعاتها الخاصة داخل ما يسمى « بالقوات اللبنانية » التي كانت على اتم الاستعداد للاصغاء للاسرائيليين [٣٠] .

هذا وقد عُلم فيما بعد ان وحدة خاصة اسرائيلية مكلفة منذ العام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م بالتنسيق مع حزب الكتائب ، وتعمل بأوامر مباشرة من وزير الدفاع الاسرائيلي آرييل شارون ، نظمت وأدارت مذابح مخيمي صبرا وشاتيلا . وقد وضعت هذه الوحدة لدى تشكيلها في العام ١٩٧٥

تحت القيادة المباشرة لشمعون بيريز زعيم حزب العمل الاسرائيلي المعارض الذي كان وزيراً للدفاع في ذلك العام . وشكلت هذه الوحدة تحت ستار تقديم المساعدة الفنية للكتائب وهي تضم ضباطاً اسرائيليينَ انهوا خدمتهم العسكرية في الجيش الاسرائيلي ، وهي لم تكن تخضع لرقابة رئيس الأركان الاسرائيلي والكنيست (مجلس النواب الاسرائيلي) وقد تورطت في مذابح مخيم تل الزعتر في العام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٥ م (٣١) .

وقد اعترفت صحيفتا « واشنطن بوست » و « نيويورك تايمز » ان كبار المسؤولين في « القوات اللبنانية » الصليبية ومن بينهم بشير الجميل خططوا وأقروا عملية دخول ميليشيا الكتائب الى مخيمي صبرا وشاتيلا .

كما أن ايلي حبيقة ، احد قادة هذه القوات المقربين جداً من بشير الجميل ، قاد العملية بنفسه . ووصفت « واشنطن بوست » حبيقة بأنه في الثامنة والعشرين من العمر ، قاس جداً لا يعرف الرحمة وهو مقاتل منذ ان كان في الرابعة عشرة من عمره ، ويرأس اجهزة الاستخبارات التابعة للقوات الصليبية ، كما كان اداة الإتصال الرئيسية في لبنان بجهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) والاستخبارات الأميركية (السي آي اي) .

ومن جهة ثانية فقد اكدت صحيفة معاريف الاسرائيلية ان المسؤولين الأميركيين كانوا على علم بالأمر .

إن مجازر صبرا وشاتيلا لم تكن رداً على مقتل بشير الجميل في ١٤ أيلول ١٩٨٢ - ٢٦ ذي القعدة ١٤٠٢ هـ ، فالخطة كانت مدبرة قبل ذلك . وقد شارك بشير الجميل نفسه في وضعها مع شارون لدى اجتماعه به في ١٢ أيلول .

يقول زئيق شيف واهود يعاري في كتابهما : « الحرب المضللة -

حرب اسرائيل في لبنان » : « لم يغير مقتل بشير الجميل الأهداف التي بدأت من أجلها الحرب فقد بقيت هذه الأهداف قائمة وكل ما جرى بعد مقتل بشير هو اعطاء دفعة الى الأمام لتنفيذ الخطوات والخطط التي اتفق عليها مسبقاً » ويتابعان :

« الأسباب التي رجحت الكفة لاختيار الكتائب من أجل تنفيذ مهمة التطهير في المخيمات هي :

١ - الرغبة الشديدة والمهمة في الحفاظ على حياة الجنود الاسرائيليين .

٢ - الحصول على نتائج أفضل للعملية بسبب مهارة الكتائب في تشخيص المخربين .

٣ - الفرصة التي أتاحتها الحكومة لإشتراك الكتائب بشكل فعال خلال الحرب وخاصة في بيروت الغربية .

٤ - ردود الفعل العالمية التي ستعقب عملية القوات الإسرائيلية داخل المخيمات » (٣٢) .

في الثالثة والنصف من فجر يوم الأربعاء في ٢٧ ذي القعدة - ١٥ أيلول اجتمع أهم مساعدي الجميل العسكريين مع الجنرال رافائيل ايتان قائد الأركان الإسرائيلي ، والجنرال امير دروري ، المسؤول الرسمي عن عملية الإجتياح ، في المركز الرئيسي لحزب الكتائب حيث طلب قائد الأركان الاسرائيلي من فادي افرام اعلان التعبئة العامة لجميع قواته استعداداً للدخول الى المخيمات . وفي خلال الاجتماع ابلغ رئيس الأركان قيادي الكتائب بأن الجيش الإسرائيلي سوف يدخل المخيمات إلا أن القتال سيكون على عاتق الكتائبيين . بعد الاجتماع انتقل ايتان الى « مركز القيادة المتقدم » والذي يقع على سطح مبنى مؤلف من خمس طبقات على بعد مائتي متر جنوبي غربي مخيم شاتيلا ، فيما أعلن احد

قادة الكتائب « تم الاتفاق على دخول المخيمات » (٣٣) . وفي الساعة الخامسة بدأت القوات الاسرائيلية بالتقدم الى داخل بيروت الغربية .

في الساعة الثامنة صباحاً وصل شارون الى مفرز « القيادة المتقدمة » التي اقيمت في بيروت واجتمع الى رئيس اركانه الذي قدم له تقريراً عن اتفاقه مع الكتائب . وقد صادق شارون على الإتفاق واتصل لهذه الغاية بمناحم بيغن (٣٤) . في الساعة العاشرة والنصف اجتمع قادة الكتائب مع شارون وممثل الموساد الذي حثهم على تعيين رئيس جديد للجمهورية .

في الساعة الثانية عشرة ظهراً عقد شارون اجتماعاً ثانياً مع رؤساء « الكتائب » في المركز الرئيسي ، حضره فادي افرام وايلي حبيقة وزاهي البستاني ، بالإضافة الى مدير الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية ورئيس جهاز الأمن العام وممثلين عن « الموساد » .

« الوضع خطر » ـ قال شارون ـ « وينبغي لنا ان نتخذ قرارات اليوم . نحن معكم مع كل الدعم المطلوب . مؤسف اننا فقدنا الانسان ، بشير ، كانت لدينا الكثير من الآمال » .

زاهي البستاني اوضح لشارون ضرورة السيطرة « على بيروت كلها » ، أجاب هذا الأخير « سنفعل ذلك لكننا بحاجة الى مساعدتكم . سنسيطر على بؤر ومقاطع طرق ، لكن يجب ان يدخل جيشكم ايضاً . ستجرون اتصالاً باللواء دروري وتقررون كيف تفعلون ذلك » .

وقد طلب شارون ان يدخل الكتائبيون الى بيروت الغربية بعد دخول الجيش الاسرائيلي . وبعد ان اوصاهم بأن يبقوا على اتصال دائم مع دروري انتقل الى بكفيا يتبعه رئيس « الموساد » ، حيث اجتمع مع بيار الجميل وابنه أمين وقدم لهما التعازي بمقتل حليفه بشير ، واكد الاثنان مواصلة طريقه (٣٥) .

وفي الساعة الثامنة مساء جرى اجتماع آخر بين دروري وقادة الكتائب لتنسيق الخطوات (٣٦) .

في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر يوم الخميس في ٢٨ ذي القعدة ـ ١٦ أيلول اجتمع الجنرال دروري مجدداً بقادة الكتائب ومنهم فادي أفرام وايلي حبيقة . . . في مقر قيادة احدى الفرق الاسرائيلية ، واتفق في هذا الاجتماع على انهم سيدخلون المخيمات وسيناقشون هذا العمل مع الجنرال يارون قائد الفرقة ، ويبدأ التنسيق بين يارون وقياديي الكتائب بعد ظهر الخميس في « مركز القيادة المتقدم » . واتفق ايضاً على ان يبقى ضابط اتصال كتائبي مع كل وحدة اتصالات على سطح « مركز القيادة المتقدم » ، اضافة الى وجود ضابط من الموساد في مركز قيادة الكتائب (٣٧) .

بعد الاجتماع اتصل دروري بشارون قائلاً : « أن اصدقاءنا سيدخلون المخيمات . لقد أمرتهم بالدخول مع مسؤوليهم » ، فأجابه شارون مهنئاً (٣٨) .

في الثانية عشرة من ظهر يوم الخميس بعث ممثل « الموساد » في بيروت برقية الى رئيس « الموساد » في اسرائيل اكد فيها ان هناك تنسيقاً مع قيادة الجبهة الشمالية من اجل اعداد الكتائبيين للقيام بعمليات تطهير لمدينة بيروت . وفي برقية إضافية ارسلت في ذلك الوقت قيل ان الكتائبيين سيبدأون عملهم في مخيم برج البراجنة (٣٩) .

وفي نفس اليوم ـ الخميس ـ أعلن ايتان رئيس الأركان الاسرائيلي خلال اجتماع للحكومة الاسرائيلية « ان رجال الكتائب بدأوا ظهر يوم الخميس في ١٦ أيلول ١٩٨٢ بالتعاون مع الجيش الاسرائيلي في الدخول الى بيروت الغربية من اجل التمشيط والبحث عن المقاتلين . اعتباراً من هذه الفترة تسير الأمور في الطريق الصحيحة وأن القوات

المسيحية ستأخذ على عاتقها مسؤولية معينة وستساعد الجيش الاسرائيلي في تنفيذ مهامه في بيروت » [٤٠] .

في الساعة الرابعة بعد الظهر قدم ايلي حبيقة لتنسيق أخير مع يارون ، وطلب منه يارون الدخول إلى المخيمات وعدم الإنتظار [٤١] .

وقد أعلن احد قادة الكتائب لصحفي إسرائيلي ان « الاغتصاب مسموح لمن هي فوق الـ ١٢ سنة » [٤٢] .

مساء يوم الخميس دخل الكتائبيون الى مخيم شاتيلا من الغرب والجنوب لا من جهة الشرق وذلك من أجل الخدعة وتحويل الرماية التي كانت توجه ضد الجيش الاسرائيلي نحو اتجاهات اخرى [٤٣] .

وفي هذه الأثناء كان القادة الاسرائيليون يتابعون التطورات مع ايلي حبيقة في « مركز القيادة المتقدم » . وعقدت الحكومة الاسرائيلية جلسة خاصة تتعلق بالتنسيق مع القوات الصليبية .

ومع حلول الظلام قام الاسرائيليون بمهمة تزويد القوة التي دخلت المخيمات بالإنارة بواسطة القنابل المضيئة .

وقد جمع الكتائبيون الكثير من النساء والأطفال والشيوخ ، واتصل ضابط كتائبي من القوة التي دخلت المخيمات بإيلي حبيقة قائلاً ان لديهم خمسين امرأة وطفلاً ، فماذا يفعل بهم ، فأمره حبيقة ، وبطريقة ساخرة أن يقتلهم . وقال (ضابط الاتصال الكتائبي ج) « قوموا بما يمليه قلبكم عليكم » [٤٤] .

وبعد بضع ساعات اعلن الكتائبيون عن مقتل ثلاثمئة نسمة .

وقال جود مان هيرش المراسل العسكري لصحيفة جيروليزاليم بوست الاسرائيلية « ان قائد الكتائب في مخيم شاتيلا اعلن لقائد الجيش الاسرائيلي في بيروت في الساعة الحادية عشرة ليلاً من يوم الخميس ١٦

- ٩ - ١٩٨٢ أنه حتى ذلك الوقت تم قتل ثلاثمئة (...) وقد نقل هذا التقرير في الحال الى قيادة الجيش الاسرائيلي وتم نقله الى مكتب وزير الدفاع ورئيس الاركان [٤٥] .

وقد شارك بعض الجنود الصهاينة في المجزرة جنباً الى جنب مع إخوانهم في القوات الصليبية رغم نفي لجنة كاهان لذلك .

نساء مسنات اخبرن انهن سمعن بعض الجنود وهم يتحدثون بالعبرية داخل المخيم خلال تنفيذ المذبحة .

ومهما يكن من أمر فان الذين نفذوا المذبحة كانت تربطهم علاقات شخصية حميمة برجال « الموساد » كما يشير تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا ، وكانت التعليمات التي تصدر اليهم مراقبة من قبل الاسرائيليين فاليهود والنصارى ﴿ **بعضهم أولياء بعض**﴾ - المائدة ٥١ - وهم ﴿ **اشد الناس عداوة للذين آمنوا** ﴾ - المائدة ٨٢ - .

حوالي الساعة التاسعة من صباح الجمعة ، اجتمع يارون بممثلين عن الكتائب في « مركز القيادة المتقدم » وتناقش معهم حول دخول قوة اضافية كتائبية الى المخيمات ، ثم اجتمع دروري بيارون في المدينة الرياضية في بيروت وتناقشا حول مسائل الحرب . وبعدها طلب يارون من القادة الكتائبيين ان يرسلوا قوة إضافية الى المطار الى حين تلقي الأوامر من رئيس الأركان بالذهاب الى المخيمات [٤٦] .

وبعد أن علم قائد الاركان الاسرائيلي رافائيل ايتان بأمر المذبحة اتخذ قراراً بإبقاء الميليشيات في المخيمين فترة اضافية .

وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر الجمعة في ٢٩ ذي القعدة - ١٧ أيلول عقد اجتماع بين فادي افرام قائد القوات الصليبية وبين رئيس الأركان الاسرائيلي ايتان وقائد القوات الاسرائيلية في لبنان امير دروري ، وفي خلال الاجتماع عبر ايتان عن « انطباعه الإيجابي

الذي كونه من خلال موقف القوات الكتائبية وسلوكها في الميدان » وخلص الى أن هذه « القوات ستتابع تمشيط المخيمات الخالية جنوب الفاكهاني حتى الساعة الخامسة من صباح الغد (السبت) » وقال « حسناً ، لقد قمتم بالواجب » .

وقد طلب الكتائبيون جرافة لإزالة ما أسموه بـ « الأبنية غير الشرعية » فرأى رئيس الأركان في ذلك أمراً ايجابياً ووافق على تزويدهم بجرافة [٤٧] . كما أن جماعة سعد حداد دخلوا حي فرحات وبدأوا يتقدمون الى داخل مخيم شاتيلا . يصف مراسل « الواشنطن بوست » المجزرة على الشكل التالي :

« كان القتل متنوع الأشكال بين الخناجر والبلطات واطلاق الرصاص ونسف البيوت ، وطيلة أربعين ساعة متواصلة ذبح عناصر الميليشيات بكل أعصاب باردة الرجال والنساء والأطفال حتى الخيول والكلاب والقطط . وقد استخدموا في وحشيتهم القنابل اليدوية ، والسكاكين ، والفؤوس ، والمسدسات ، والبنادق ، وبعض قطع المدفعية . قطعوا في بعض الأحيان اثداء النساء ، وحفروا صلباناً في الأجساد ، بقروا بطون الحوامل ، حتى الأطفال قطعوها إرباً ، وقد وجدت اطراف طفل مقطعة وموضوعة حول رأسه ، لغموا العديد من الجثث ، حتى بات من الصعوبة والخطوة مسها أو دفنها » .

وقد روى أحد القتلة لمراسل « الواشنطن بوست » بطريقة مثيرة ، كيفية مشاركته في المجزة فقال : « اطلقنا عليهم النار أمام الجدران ، ذبحناهم في عتمة الليل » . ورداً على سؤال عن عدد الضحايا أجاب « ستعرف ذلك يوماً ، اذا حفروا نفقاً للميترو في بيروت » ملمحاً الى أن عدد الضحايا اكبر بكثير مما أعلنته الأرقام الرسمية [٤٨] . وفي احد الملاجىء بلغت سماكة الدم حوالي ثلاثين سنتيمتراً .

كان القتلة يطلقون النار على كل ما يتحرك في المخيم ، وعلى ضوء القنابل المضية التي اطلقتها القوات الاسرائيلية وحولت ليل

المخيمين الى نهار كان هؤلاء القتلة يغادرون من منزل الى منزل ليقضوا على من بقي حيا ، في حين لم تسمح القوات التي كانت تطوق المخيمات لأي كان بالخروج .

لقد استمرت المجزرة حتى صباح السبت مما أعطى العناصر المسلحة وقتاً كافياً لابادة كل من كان موجوداً داخل دائرة الطوق هذه ، ونسف البيوت والمنازل على الجثث والقيام بمحاولات دفن جماعي للتخلص من آثار المذبحة التي ذهب ضحيتها خمسة آلاف مسلم*.

وقال شهود عيان استطاعوا الهرب ان القتل شمل كل أحياء المخيمات حتى الهررة والكلاب والجياد ، وكما أفادت وكالات الأنباء فان القوات الاسرائيلية اعتقلت ما يزيد على الألفين من سكان المخيمات .

في مستشفى عكا اغتصبوا خمس فتيات . احداهن طلبت منهم ان يقتلوها ، فلم يفعلوا ، فضربت أحدهم ، فقتلوها بضربة البلطة ، وهو من القوات الصليبية ، وأخرى اغتصبها تسعة جنود .

في السابعة والنصف من صباح يوم السبت قام فريق من المسلحين الكتائبيين بدخول مستشفى غزة التي تديرها جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ، وعمد هؤلاء المسلحون إلى اقتياد مجموعة من الأطباء والممرضات والعاملين في هذا المستشفى الى خارجه ومضوا بهم بقوة السلاح عبر شارع صبرا ، وقد شاهد أفراد المجموعة العديد من الجثث على جانبي الشارع ، كما شاهدوا مجموعات من الناس جلوساً على جانبي الشارع في حراسة القوات الصليبية [٤٩] .

في الساعة الثامنة من صباح يوم السبت خرج أولاد الأفاعي والخنازير من المخيمات بعد أن افترشوا الأرض ببساط من الآدميين والأشلاء الممزقة وأكوام الجثث المشوهة . وفي اليوم التالي دخلها

« الجيش اللبناني » للحفاظ على « السيادة » ، وبدأ حملة اعتقالات واسعة في صفوف الأهلين الذين نجوا من الذبح بعد أن كانت قوة من هذا الجيش وطوال مدة وقوع المجزرة تخيم بالقرب من نقطة الدخول الى المخيمات . وقد اعترف دروري انه كانت هناك خطة لدى « الادارة اللبنانية ومن ضمنها الكتائبيين والجيش اللبناني لتدمير كافة المباني غير الشرعية ومنها مبان كان مشادة داخل المخيمات » (٥٠) .

نهار الاثنين ، وبعد أربعة أيام من بدء المجزرة جاءت قرارات الملوك والزعماء العرب التاريخية والمشرفة كما نعهدها باستمرار ، وأعلنوا الحداد العام . وبعضهم اكتفى بإرسال رسائل الى ريغن رئيس الولايات المتحدة الأميركية لاستدرار عطفه لايقاف النزف المروع في لبنان وفاتهم أن الحق لا يسترد بذرف الدموع . والبعض الآخر اكتفى بالإعلان عن ترحيبه باستقبال المقاتلين .

هذا وقد حدثت مظاهرة استنكار في الكويت وهي المظاهرة الوحيدة التي جرت في « العالم العربي » بعد فلسطين المحتلة ، وعندئذ أرسل الصهاينة مذكرة احتجاج « عنيفة اللهجة » الى السلطات الكويتية ، فسارعت هذه الأخيرة لفرض الأمن والنظام . حتى المظاهرات في البلاد العربية ضد اسرائيل اصبحت من الكبائر والمحرمات التي تستوجب السجن والإعدام . لقد دمر اليهود شعباً واحتلوا بلداً ولم يحرك العرب ساكناً حتى أنهم لم يغيروا برامج اذاعاتهم بل بقيت على حالها في الغناء والطرب واللهو والمجون ، أما اذا مات منهم أمير أو شيخ عميل تراهم يعلنون الحداد أسابيع أو أشهر .

بعد ذلك تحولت مجازر صبرا وشاتيلا إلى افلام سينمائية تدور في البلدان لتتفرج عليها أمم الأرض ، فتسعد نفوس قوم ويأسف آخرون . هكذا تحول المسلمون في لبنان وفي ظل دولة مارون الى اداة تسلية تعرض على شاشات التلفزيون في باريس ولندن ونيويورك للترويح عن

النفس . ويبقى ان نردد مع الامام علي (ع) : « فلو ان امرءاً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديرا » .

وصفت بعثة مجلة « العربي » الوضع في بيروت في تشرين الثاني عام ١٩٨٢ على الشكل التالي :

« لقد دمر هتلر لندن ، ولكن دمار بيروت كان أبشع ، ودمر الحلفاء برلين . . ودمر الأمريكيون هانوي . . . ولكن الدمار هنا كان أشد وأقسى . . . ربما كانت هيروشيما بعد قصفها بأول قنبلة ذرية في الحرب العالمية الثانية ، اكثر المدن المدمرة شبهاً ببيروت الغربية بعد ثلاثة أشهر تقريباً من القصف الجوي والبري والبحري الذي صمد أمامه المقاتلون الأبطال والمدنيون الأبرياء العزل من السلاح الذين ظلت القنابل والقذائف والصواريخ تلاحقهم في البيوت والشوارع وحتى في المخابىء والمستشفيات التي لجأوا إليها وعاشوا في ظلامها بلا ماء ولا غذاء ولا دواء » .

هكذا سقطت بيروت ، عاصمة العواصم ، ومدينة المدائن العربية ، وملجأ الفقراء والمحرومين . . سقطت بيروت ، أسيرة الهيمنة المارونية وعاصمة « لبنان ـ الكبير » والجمهورية المزورة ، في قبضة التحالف الصليبي ـ الصهيوني ، بعد ان قاتلت ما استطاعت وقصفوها ما استطاعوا وبكل ما أوتوا من قوة طوال ثلاثة أشهر .

اغتصبوها ، أحرقوها أمام بقايا الصليبية وقبائل الأعراب وهم ﴿ أشد كفراً ونفاقاً ﴾ . قتلوها وجعلوا عيداً يوم قتلها ، ثم شربوا خمرة النصر وأكلوا معاً حلوى العيد . ان ما حدث في بيروت لم يكن صدفة لكنه بالتأكيد أمر يستحق الوقوف والتدقيق فيه ، حتى لا تتحول مجازر بيروت إلى حوادث طارئة ، منسية ، وماضية .

ما حدث في بيروت كان عملاً مدروساً ، ومخططاً بعناية ودقة ،

مدروساً من حيث اختيار الأدوات التي كان عليها أن تقوم بما قامت به من استهداف للوجود الإسلامي فيها ، تعبيراً عن أحقاد تاريخية موروثة عمرها اكثر من ألف عام .

بعد هذا يعلن قادة الموارنة عن حبورهم العارم وغبطتهم بالعيد:

يقول النائب الكتائبي ادمون رزق : « لولا الاجتياح الاسرائيلي لما كان لنا أمل بالتحرر » ، ويضيف « نحن مدينون لإسرائيل بأنها حركت هذه القضية وختمت هذا الملف » .

أما سعد حداد ، قائد العصابات التي دنست بلاد أبي ذر الغفاري ـ رضوان الله عليه ـ في جبل عامل فقد أعرب عن سروره البالغ لما حل بالمسلمين من مجازر وويلات وقال إن « تسعين بالمئة من الحرب الاسرائيلية لمصلحة لبنان وهي قامت بالعملية نيابة عنا » ، وأضاف « لولا وجود اسرائيل في بيروت اليوم لما استطعنا الحديث عن استقلال لبنان » ، ثم أوصى « الرئيس » بأن « يشترط على وزرائه لكي يأتي بهم الموافقة على توقيع معاهدة مع اسرائيل » ، التي « ليس لها مطامع في لبنان » . وقال مفتخراً : « شارون صديقي وصديق كثير من اللبنانيين » (٥١) .

قدرت الخسائر التي نجمت عن الإجتياح الصليبي ـ الصهيوني بأكثر من عشرين مليار دولار . أما عدد الضحايا الذين لم يعوضوا فقد زاد على خمسين ألف قتيل وجريح ، فضلاً عن آلاف المهجرين والمشردين من مدن وقرى جبل عامل التي دمر الكثير منها .

وكان الموارنة ينظرون الى كل هذه الخسائر والضحايا كضريبة عادلة لا بد منها ، ويجب على المسلمين تأديتها وتحمل كل تبعاتها لكي تحيا دولة مارون .

أمين الجميل يحكم لبنان

صباح يوم الخميس في ٢٨ ذي القعدة ـ ١٦ أيلول نقل رؤساء الكتائب رسالة الى اسرائيل تتعلق بترشيح أمين لمنصب الرئاسة . وقد أكد اثنان منهم لشخصية اسرائيلية أن أمين سيواصل طريق أخيه .

وفي اليوم التالي بعث فادي افرام برسالة ثانية الى اسرائيل في اثر محادثة أجراها مع أمين الجميل ، تؤكد الرسالة ان أمين وافق على وجوب التوصل الى اتفاق سلام مع اسرائيل ، طبقاً لما وافق عليه بشير . وكان أمين قد التقى بشارون ووعده بأنه سيحقق « كل وعود بشير لإسرائيل » . في الساعة الواحدة من بعد ظهر الجمعة التقى مبعوث اسرائيلي بأمين الجميل واخبره ان اسرائيل قررت دعمه .

صبيحة يوم الأحد في ٢ ذي الحجة ـ ١٩ أيلول وفي حديث مع أحد قادة اسرائيل في مسكنه ببيروت وعد أمين الجميل بإقامة علاقات جيدة وصلات عمل وثيقة مع اسرائيل وأخذ على عاتقه كل التعهدات التي تعهد بها أخوه (٥٢) .

هكذا وبنفس الأسلوب والطريقة وفي ظل الطائرات والقذائف الاسرائيلية تم في ٤ ذي الحجة ـ ٢١ أيلول تنصيب أمين الجميل رئيساً

للبنان ، ثم أعلن هذا الأخير بأنه سيسير على خطى أبيه بيار الجميل ويستوحي عمله من مدرسته .

في نهاية شهر أيلول حضر مبعوث من اسرائيل للاجتماع بقادة الموارنة . الشخصية الاسرائيلية اقترحت علاقات بـ « صيغة طهران » أي اقامة علاقات وثيقة دون ان ترفرف الأعلام في العاصمتين .

وأثناء اللقاء شهد جوزيف أبو خليل الذي التقى أمين الجميل قبل يومين من الاجتماع بالمبعوث الاسرائيلي ، ان امين قال انه « بعدما حدث فان معاهدة سلام مع اسرائيل هي أمر واجب فعلاً ، صيغة طهران هي صيغة يجب أن ندرسها » . وقال بيار الجميل للمبعوث الاسرائيلي : « انتم حلفاؤنا الطبيعيون . . . التعاون بيننا يجب ان يتم بصورة حضارية » .

وفي مساء ١٧ ذي الحجة ـ الرابع من تشرين الأول التقى شارون مجدداً برؤساء الكتائب الذين تحدثوا طويلاً عن مستقبل العلاقات مع اسرائيل ثم عقد اجتماعاً مع أمين الجميل [٥٣] .

وقد اجتمع شارون بسعد حداد في الجنوب ووعده بتتويجه على قطاع يمتد من الحدود الدولية حتى نهر الليطاني .

عزز أمين الجميل تحالفه مع الأميركيين والفرنسيين ، وعقد مع الصهاينة معاهدة صداقة وتعاون ، ثم شرع في بناء الدولة الصليبية المارونية التي يعمل لها الموارنة منذ قرون ، وبعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من بيروت الغربية اعطى اوامره للجيش باجتياحها من جديد وبتدمير الضاحية الجنوبية لأنها شقت عصا الطاعة ثم اعتمد سياسة الإرهاب والتجويع ، وسوف نعالج هذه المسائل بالتفصيل .

خدعة جديدة اسمها مغامرة الإنقاذ :

(الاستقواء بالأجنبي)

بعد وقوع المجازر الدامية عادت قوات الاحتلال المتعددة الجنسيات الى بيروت لمساعدة حكومة امين الوريث الشرعي لبشير المقبور في بسط سلطتها على أرض لبنان .

وفي نفس الوقت اعلن وزير الخارجية الفرنسي في ٩ ذي الحجة ١٤٠٢ هـ (٢٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) أن القوة المتعددة الجنسيات لن تنسحب من لبنان الا بالتشاور فيما بينها ومع حكومة لبنان [٥٤] .

وعاد الموارنة من جديد الى نغمة « الشرعية » .

وهكذا وبعد تقتيل مائة الف مسلم أرادوا من المسلمين أن يفتحوا صفحة بيضاء وكأن شيئاً لم يكن .

بعد ان شردوا الناس ودمروا البلاد وعاثوا في الأرض الفساد ، طلبوا من الناس اسداء المعونة للبدء بما أسموه « مغامرة الانقاذ » التي كان يقودها أمين .

لقد اراد الموارنة اخضاع الناس عن طريق الجيش الاسرائيلي حتى ان الاسرائيليين اعترفوا صراحة ، : « ان امين الجميل يريد فعلاً ابقاء الجيش الاسرائيلي في لبنان لأنه الوسيلة الوحيدة لضمان نجاح مغامرته

الدموية كما طرح شروطاً قاسية بالنسبة للانسحاب من اجل دفع الجيش الاسرائيلي الى البقاء في لبنان لفترة زمنية أطول » (٥٥) .

ورأى الموارنة ان الاحتلال الاسرائيلي وحده لا يكفي فقرروا استقدام جيوش اضافية من فرنسا وأميركا وإيطاليا وبريطانيا .

ان الحرب الصليبية التي مضى عليها سبع سنوات لم تمكنهم من تثبيت سلطتهم وكذلك حملات الابادة والمجازر التاريخية ، فتقدموا بطلب رسمي من امهم الحنون ، فرنسا ، مهد الصليبية ، والولايات المتحدة الأميركية ، عدوة الشعوب قاطبة ، ان ترسل الدولتان قوات اضافية الى لبنان من اجل فرض الحكم الصليبي على جماهير المسلمين بالقوة. وأعلن كريم بقرادوني ان لبنان بحاجة الى ثلاثين الفاً من القوات المتعددة الجنسية (٥٦) .

وذكرت صحيفة الواشنطن بوست الأميركية بتاريخ ٢٨ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ « ان الإدارة الاميركية تدرس على ضوء مطالبة الرئيس اللبناني امين الجميل زيادة عدد القوة المتعددة الجنسيات في لبنان الى ثلاثين الفاً ، زيادة القوات الأميركية في لبنان من (١٢٠٠) الى ثمانية آلاف جندي في نطاق عملية توسيع القوة المتعددة الجنسيات التي ينتظر أن ينضم اليها قوات من بريطانيا وهولندا واوستراليا وكندا ودول أخرى مرتبطة بالسياسة الأميركية أو بحلف الأطلسي » .

وفي نفس الوقت أعلن وزير خارجية الولايات المتحدة لنظيره الاسرائيلي«انه لا يجب الاسراع بموضوع اخلاء القوات الأجنبية من لبنان ما دام لم يتم تشكيل جيش لبناني مستقر » (٥٧) .

ان دولة مارون لا تحيا إلا بهذه الطرق ، والأنظمة الجاهلية التي تفرض نفسها على شعوبها بالحديد والنار نسعى دوماً للتفتيش عن مثل هؤلاء الحلفاء في الخارج .

ان خطة الاستقواء بالأجنبي هي أحد اركان السياسة المارونية منذ القديم . فلقد كانوا على الدوام يتعاونون مع القوى الأجنبية ضد أبناء هذه الأمة .

لم تكن اسرائيل قد غادرت بيروت حتى ارتكب الجيش الصليبي مجزرة بشعة ضد أهالي الرمل العالي أدت الى سقوط ستة شهداء وعشرات الجرحى .

هذا وقد أراد امين الجميل أن يربط لبنان مباشرة بالسياسة الأميركية عندما « اشار بوضوح الى الحكومة الفرنسية بان العلاقات مع امريكا تأتي في المرتبة الأولى من أولوياته حتى بالنسبة للعلاقات مع فرنسا » (٥٨) .

تضيف مجلة المجلة : « وهكذا حصلت امريكا حالياً على مرتبة الشرق التقليدية التي كانت فرنسا تحتلها حتى الآن لدى نظم الحكم اللبنانية السابقة » .

واعلن كريم بقرادوني عضو المكتب السياسي الكتائبي عن استعجاله بضرورة « نجاح الحل الأمريكي في لبنان قبل الربيع المقبل » . وقال :

« ان البديل للبنان وللشرق الأوسط هو امريكا . وان التباين بين امريكا واسرائيل ليس استراتيجياً ، كل ما هناك ربما بعض التباين التكتيكي بين البلدين ناشيء عن حرص واشنطن على المصلحة الامريكية التي تريدها ، وهي تعمل لحل المشكلة اللبنانية ، ان تحافظ على حسابات الدور العربي والعلاقات الوثيقة مع الدول العربية وخاصة مع دول الخليج في حين ان اسرائيل لا تريد ان تدخل في حسابها العالم العربي . واضاف ان امريكا لا

تريد ارسال جنود امريكيين ليحاربوا في لبنان بل تريد ان يكون لبنان حليفاً عسكرياًلها . وهي تطلب منحها تسهيلات عسكرية وواقعية في الحقل العسكري وليس من الضروري ان تكرس هذه التسهيلات باتفاقات خطية . وقال ان المناطق المسيحية آمنة ومحررة ومهيأة لان تسلم قيادتها للدولة »[٥٩] .

وبعد اسبوع صرح وزير الدفاع الاسرائيلي ارييل شارون « ان اهتماماتنا وامريكا مشتركة في لبنان » [٦٠] .

توقيع أيوب ثابت على البرقية المرسلة الى قنصل فرنسا في نيويورك

٣٧١

دولة صليبية بالكامل

في مطلع عام **١٩٨٣** م أعلن أحد المقربين لأمين الجميل انه يأمل « في ان يتوقف رجال الدين عن التدخل في الشؤون السياسية وأن يحصروا مهمتهم في التوجيه الديني ، وانه ليس من مهام رجال الدين التدخل في تأليف الحكومة مثلاً أو محاولة التدخل في الاستشارات » [٦١] .

هكذا وصلت بنا الحال الى ان احفاد الصليبيين اصبح بإمكانهم تحديد مهمات رجال الدين . وبقي ان يوضحوا للناس أحكام الدين ويشرحوا لهم شرائع الاسلام .

بعد هذا القرار أعلن أدمون رزق ، عضو المكتب السياسي الكتائبي ، : « ان الأحزاب اليسارية كالحزب الشيوعي او القومي أو البعثي أو التقدمي الإشتراكي لا يمنع نشاطهم في لبنان » . ونقل عن بشير الجميل انه قال : « اذا رأينا شيوعياً او قومياً أو بعثياً ليس لنا عليه شيء ، فلن ندخل معه في علاقة سوء » [٦٢] . والواقع أن الموارنة في لبنان استمدوا خططهم ومشاريعهم من السياسة الصهيونية .

جاء في البروتوكول السابع عشر لحكماء صهيون : « سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جداً من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلاً سيئاً على الناس حتى ان تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها » .

« لقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين في أعين الناس وبذلك نجحنا في الاضرار برسالتهم التي كان يمكن ان تكون عقبة كؤوداً في طريقنا ، وان نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً »(٦٣)

لقد اراد الحكم ان يجعل من رجال الدين المسلمين مجرد بابوات تدور في فلك المشاريع الاستعمارية التي تمت صياغتها في العواصم الأوروبية . وقد نجح النظام الماروني ومنذ فترة طويلة في هذه الخطة الى حد بعيد ، وانطلت اللعبة على « الزعماء التقليديين » الذين كانوا يحسبون أنفسهم أنهم ممثلون لطوائفهم ، وحولوا الاسلام الى مؤسسة من مؤسسات هذا النظام ، وحصروا دائرته في مسائل بسيطة كالزواج والطلاق واقامة صلاة الجمعة وحفلات الخطب عبر الاذاعة والتلفزيون .

وقدعمدامين الجميل وبالتعاون مع حزبه الى اعطاء نفسه سلطات مطلقة تجعله مخولاً باتخاذ ما يريد من قرارات . تقول « المجلة » : (٦٤)

« ان النظام الجديد في لبنان سيكون نظاماً رئاسياً ، حيث أن رئيس الجمهورية المدعوم من حزب الكتائب سيتخذ القرارات الرئيسية ، بينما سيلعب الوزراء دوراً صغيراً مساوياً لدور المدراء العامين ، ويمكن تبيين وادراك ذلك من كيفية قيام أمين الجميل

بتأليف حكومته الأولى ومن الطريقة التي يتبعها في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمسائل والقضايا الرئيسية » .

كما عمد الحكم الجديد الى ملء كل ادارات الدولة ومراكزها بعناصر صليبية معروفة بعدائها للمسلمين . وأصبحت معظم المعاملات المحالة من قبل المديرين العامين الى الوزراء تحال بدورها الى مستشارين ليس لهم صفة رسمية لدراستها واعطاء رأيهم فيها قبل التوقيع عليها (٦٥) .

هؤلاء المستشارون الذين صاروا يشرفون على سياسة الدولة كانوا مشبعين بروح الحقد والانتقام ضد المسلمين . كما اتخذ النظام قراراً بإعادة النظر في قوانين الموظفين وبمحاكمتهم على جميع أعمالهم سابقاً وحاضراً .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل عمد الحكم إلى عزل المسلمين عن ائمتهم وقادتهم وولي أمرهم وأقدم على قطع العلاقات الديبلوماسية مع الجمهورية الاسلامية في ايران .

التجنيد الإجباري

في أوائل تشرين الثاني عام ١٩٨٢ م أعلنت وزارة الدفاع الأميركية أنها سترسل ما بين خمسين وستين مستشاراً عسكرياً الى لبنان بالاضافة الى مساعدة مالية بمبلغ ١٢٥ مليون دولار لتدريب الجيش اللبناني وتأهيله لتسلّم دوره الأمني [٦٦] .

وقد تولى هؤلاء المستشارون العسكريون عملية تنظيم التجنيد الإجباري التي أعلنت لأول مرة منذ العام ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م ، وذلك بهدف حراسة النظام الصليبي الجديد .

في ٨ صفر ١٤٠٢ هـ - ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٢ م أعلنت الحكومة رسمياً مبدأ تطبيق نظام الخدمة العسكرية الإجبارية ، وكلفت لجنة لاستكمال النصوص والاجراءات اللازمة لاستدعاء دفعة خلال فترة لا تتجاوز الشهر الواحد [٦٧] .

وقد أعلن ان التكاليف الأولية للمشروع تقدر بستماية مليون ليرة لبنانية في السنة اذا قررت الحكومة تطبيق المشروع على ثلاثين ألف شاب فقط [٦٨] .

ورغم انهيار الإقتصاد الوطني وتدمير جميع مرافق البلاد الإقتصادية فقد باشرت الدولة بالتنفيذ ولم تأخذ بعين الاعتبار الوضع الإقتصادي السيء الذي عم البلاد .

هذا وقد ورث أمين الجميل عن الياس سركيس جيشاً كامل الولاء للحكم ومع ذلك فقد عمد الى اعادة بنائه على أسس اكثر صليبية . وأصبحت معظم الألوية والكتائب التابعة لها بقيادة ضباط موارنة مرتبطة مباشرة بالقوات الصليبية وخاضعة لتوجيهاتها وسياستها . وضمت قيادة الجيش الى قواتها بعض العسكريين الملتحقين بجيش سعد حداد . وقد أكد اكثر من مصدر عسكري أن مدفعية القوات الصليبية الثقيلة كانت متصلة بغرفة عمليات الجيش في وزارة الدفاع باليرزة وتعتبر بمثابة « الدعم العام » للجيش ، الذي يقوم بطلب الرمي منها ساعة الحاجة .

هذا وقد وضعت كل طائرات الهيلوكبتر تحت تصرف اللواء العاشر ويقوده نسيب عبدو وهو ماروني ، وذلك لسرعة تدخل هذه الطائرات وضمان طرق اعدادها غير المضمون في البر .

واكدت المصادر العسكرية أن (٨٠ ٪) ثمانين بالمئة من طواقم طائرات الهيلوكبتر هم من النصارى ، وأن قيادة تشكيلات الهيلوكبتر لنصراني أيضاً ، وقد نقلت قاعدتها من مطار بيروت مع جميع الطائرات والتجهيزات الى قاعدة حالات للاستغناء عن قاعدة بيروت الغربية نهائياً .

وكانت كتيبة المغاوير وهي التي استحدثتها دولة أمين لتكون الاحتياط الأساسي لها ، ترتبط مباشرة بقائد الجيش ابراهيم طنوس من دون المرور بقائد منطقة أو لواء ، نسبة النصارى فيها من ضباط

وأفراد تتجاوز ٩٠ ٪ وهم عناصر منتقاة من مناطق معينة مثل رأس بعلبك ، دير الأحمر ، القاع ، بشري وبعض قرى عكار . واشتهر عسكريوها بتعليق الصلبان الحديدية في رقابهم ، والعصبات على رؤوسهم ، ويدقون على أيديهم شعارات مثل « بشير حي فينا » ، ويحمل أغلب عناصر هذه الكتيبة بطاقات انتساب لما سمي بـ « القوات اللبنانية » الصليبية فضلاً عن بطاقات انتسابهم للجيش (٦٩) .

وكانت هذه الكتيبة بقيادة يوسف الطحان قد افتعلت المجازر في « الشحار الغربي » وعين كسور وغيرها . ولم يكن دور هذا الجيش يختلف عن دور الجيش الصهيوني والعصابات المارونية ، فما إن خرج الصهاينة من بيروت الغربية حتى سارع الجيش الصليبي وبالتعاون مع الأميركيين والفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين الى احتلالها بغية إكمال المسلسل الدامي . صبت دولة أمين جام غضبها على الضاحية الجنوبية فمنعت المظاهرات والاجتماعات واعتقلت المئات ثم أعلنت عن تهديم « البيوت غير الشرعية » في الوقت الذي تهدم كل شيء فجاءت الآليات الى الأوزاعي وحول المطار وباشرت مهمتها على الفور .

نزع السلاح

بعد ان رزحت بيروت الغربية تحت السيطرة المارونية عمد الحكم الى لعبة جديدة ، وهي نزع السلاح وجمعه تحت شعار « المحافظة على امن المواطن وحياته » . ان هذا « المواطن » الذي سلبته دولة مارون كل شيء ، اصبحت في آخر الأمر حريصة على حياته ، تعمل لأجله وفي سبيله ، ومن اجل ذلك تسعى جاهدة لجمع السلاح من المسلحين .

والواقع ان هذه الخطة التي ابتدعها الموارنة لـ « حل الميليشيات » والحفاظ على الأمن كما كانوا يدعون ، كانت تعني فقط نزع السلاح واغتصابه من أيدي الأشخاص المعادين للمشروع الماروني وتحويلهم الى اناس عزل لا حول لهم ولا قوة .

لقد أراد الموارنة من خلال هذه العملية وفي الوقت الذي كانت عصاباتهم ناشطة لترويع الناس واعتقالهم حتى في بيروت الغربية ، وحواجزهم ما زالت تمارس عمليات الخطف والاعتقال ، ارادوا تدمير معنويات الناس وتجميد الشجاعة في قلوبهم لدفعهم الى اليأس والاستسلام .

ان النظام الماروني يرى ضرورة جمع السلاح من الخارجين على السلطة والنظام فقط ، لأن العصابات المارونية على اختلاف ولاءاتها وانتماءاتها هي قوى شرعية لا غبار عليها .

لا شك أن صليبيي لبنان تعلموا فنون الحرب والسياسة في مدارس صهيون ، فقد جاء في البروتوكول الخامس حول هذه النقطة :

« . . . وتجريد الشعب من السلاح . . أعظم أهمية عن دفعه الى الحرب » (٧٠) .

وهكذا فكلما تمادى الصليبيون في جرائمهم وسعروا حملتهم العسكرية ضد المسلمين كلما ارتفعت بالمقابل الحملة الاعلامية التي تدعو لجمع السلاح .

ان هذه الخطة كان المقصود منها تكريس نتائج الغزو الاسرائيلي وحمل المسلمين على قبول الأمر الواقع . ففي الوقت الذي تشرد فيه المسلمون ودمرت بيوتهم وقراهم ، أصبحت كل الأسلحة بما في ذلك اسلحة « الجيش اللبناني » في خدمة المشروع الماروني .

تعزيز التحالف مع الصهاينة

ان الغزو الاسرائيلي للبنان تحول الى عيد وطني وذكرى دائمة يحتفلون بها كل سنة ويشربون الأنخاب مع الصهاينة ، فقيادة ما يسمى بـ « حراس الأرز » اصدرت بياناً بمناسبة مرور سنة على الغزو الاسرائيلي للبنان جاء فيه :

« في مواجهة هذا الواقع الصعب ، لم يجد لبنان في خلال سنوات الحرب الثماني عليه ، دولة تنتصر له وتقف الى جانبه سوى دولة اسرائيل التي لم تربطه بها طوال الأعوام الثلاثين الماضية أية علاقة ود أو تعاطف بمقدار ما أبعدته عنها عداوة مصطنعة فرضها عليه انتماءعربي مزيف وأخوة مزعومة جره اليها سياسيون من لبنان ، إما قصيرو النظر واما متملقون واما تجار ، وحدها هذه الدولة على رغم كل مصاعبها الاقتصادية وحاجاتها الإجتماعية والضرر السياسي الذي الحقناه بها ، وحدها انتصبت في صحراء الإهمال تدافع عن لبنان .

المؤسف حقاً ان أحداً لم يتلطف مع اسرائيل بكلمة شكر واحدة ولم يتكرم عليها بتوجيه تحية واحدة ، تكون بمثابة عرفان

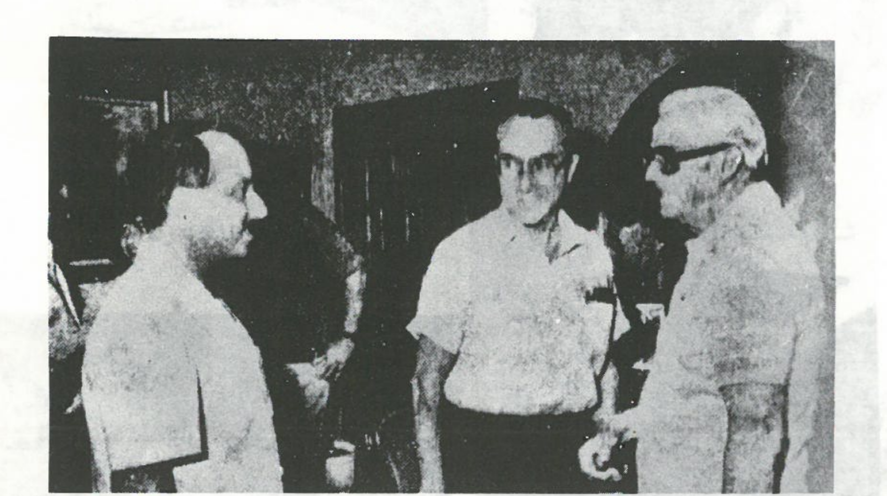
للجميل على رغم اقتناع العالم بصواب ما حققته اسرائيل .

ولا بد أن نقول عالياً وبالفم الملآن وخدمة لوطننا وأولادنا وأجيالنا الآتية : شكراً لاسرائيل ، على ما قدمته الى لبنان ، شكراً لاسرائيل على ما قامت به في ٦ حزيران ١٩٨٢ » (٧١) .

وقد أعقب الغزو سلسلة من اللقاءات والاجتماعات الودية بين أركان الصهيونية والموارنة في لبنان . ولم ينف بيار الجميل نبأ اجتماعه بأرييل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي وقال ان اللقاء مناسبة لأشرح فيها للرجل القضية اللبنانية في العمق .

وقد وصلت العلاقة الحميمة بين الصليبيين في لبنان والكيان الصهيوني في فلسطين الى درجة تجاسر فيها وزير الحرب الاسرائيلي موشي آرينز ، خليفة شارون ، بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٤٠٣ هـ - ١٦ آب ١٩٨٣ على القيام بزيارة الى بيروت الشرقية الخاضعة للإحتلال الماروني ، حيث اجتمع مع اركان القوات الصليبية بما فيهم كميل شمعون وبيار الجميل ، واستقبل استقبالاً رسمياً ، وعقد مؤتمراً صحفياً في المركز الاعلامي في اليرزة .

وقد بلغ اعتماد الموارنة على اسرائيل حداً جعل بيار الجميل يصرح مهدداً « لتكن الحرب وليربح الأقوى » .



شمعون يرحب بارينز بحضور فادي افرام



موشي ارينز يستعرض « قواته اللبنانية » في المجلس الحربي



بيار الجميل يستقبل اريتز

وقد أصدرت الحركة الاسلامية في لبنان البيان التالي :

الكفار يتحدون . اين المسلمون ؟

بسم الله نصير المسلمين

الى الذين بحوّا اصواتهم مطالبين بدعم الشرعية الكافرة منذ اكثر من عشر سنوات حتى اليوم .

الى الذين خنقوا كل الاصوات التي ارتفعت منذ حوالي عشر سنوات محذرة من المداهنة مع النصارى اولياء اليهود .

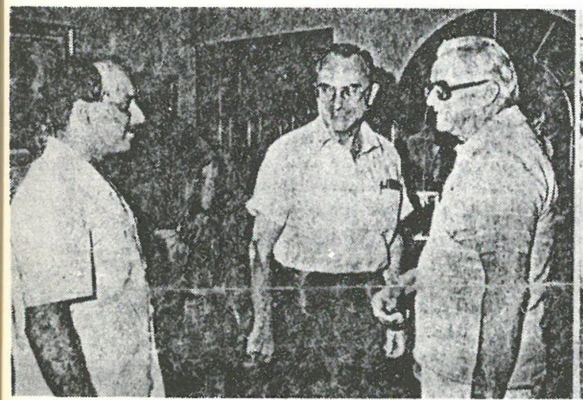


اريتز مع فرام ، يضع اكليلاً على ضريح الشهيد المجهول !

شامير مستقبلا داني شمعون



. . يستعرض « حرس الشرف » (!) والى يمينه فادي افرام .



موشي اريتز مع الرئيس شمعون وبدا الى اليسار فادي افرام .

الى المسلمين الذين خدعتهم دعوات الوفاق والمحبة والتعان والوحدة الوطنية من قبل اعداء الله والاسلام ـ النصارى ـ

الى العلماء الذين اكتفوا بالمطالبة بالتساوي في الحقوق والواجبات بين المسلمين والكفّار تحت حكم اعداء الله .

الى الذين رددوا كل ما خرج من افواه النصارى من الجميل

وشمعون وخريش حلفاء بني صهيون وكأنها آيات نازلات من عند رب الارض والسماء .

الى هؤلاء جميعا نقدم هذه الصور دون تعليق مذكرينهم بقوله تعالى :

﴿ افتتخذونه وذريته اولياء وهم لكم عدو ﴾ ؟!!!!!

الحركة الاسلامية في لبنان

مذكرة صادرة عن القوات الصليبية

ان المذكرات التي كانت تصدرها « القوات اللبنانية » الصليبية الى فروعها وأقسامها تشكل دليلاً قاطعاً على تعاملها مع قوات العدو الاسرائيلي فقد جاء في مذكرة تحمل الرقم ١٣/ أس . ما يلي : [٧٢] :

الموضوع : اتصال بالقيادات الاسرائيلية .

تحية كتائبية .

١ ـ الوضع :

صدر عن قيادة القوات اللبنانية مذكرة تحت رقم ٦/ أ .س.أ تاريخ ١٨ ـ ١ ـ ١٩٨٣ مرفق نسخة ربطاً عنها تمنع بموجبها على كافة المسؤولين في الثكنات والمراكز العسكرية في القطاع الجنوبي الاتصال بالقيادات الاسرائيلية وحصر كافة المراجعات بهذا الشأن بالرفيقين جواده والياس كساب . يقتضي تطبيق هذا القرار على كافة عناصر القوى النظامية الموجودة في القطاع الجنوبي .

٢ ـ القرار :

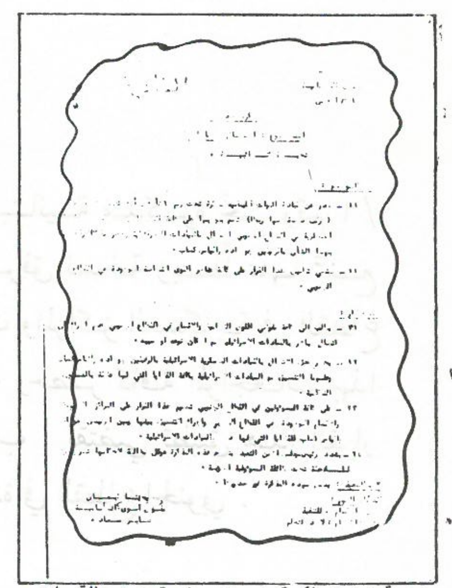
ـ يطلب الى كافة مفوضي القوى النظامية والاقسام في القطاع

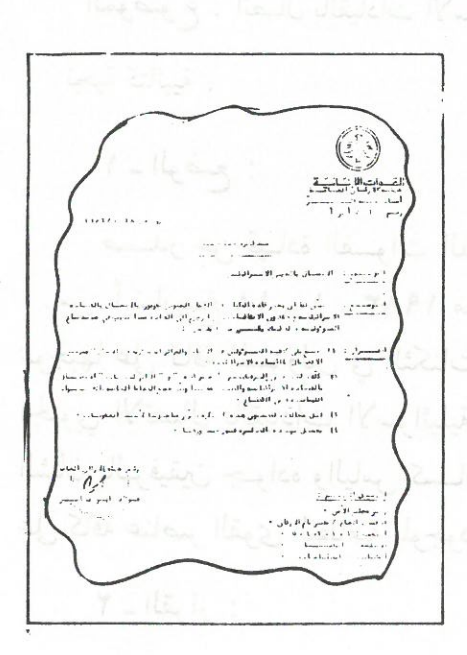
الجنوبي عدم اجراء اي اتصال مباشر بالقيادات الاسرائيلية مهما كان نوعه أو سببه .

- يحصر حق الاتصال بالقيادات الإسرائيلية بالرفيقين جواده والياس كساب وعليهما التنسيق مع القيادات الإسرائيلية بكافة القضايا التي لها علاقة بالقوى النظامية .

- على كافة المسؤولين في القطاع الجنوبي تعميم هذا القرار على المراكز والأجهزة والأقسام الموجودة في القطاع الجنوبي واجراء التنسيق بينها وبين الرفيقين جواده والياس كساب للقضايا التي لها علاقة بالقيادات الإسرائيلية » .

- صورة عن « مذكرة خدمة » صادرة عن القوات الصليبية حول تنظيم الاتصال بالجيش الاسرائيلي .





- صورة عن «مذكرة خدمة» صادرة عن «القوات اللبنانية» حول تنظيم الاتصال بالجيش الاسرائيلي.

تفجير السفارة الأميركية

ان السفارة الأميركية وكل السفارات الأجنبية في جميع البلدان الاسلامية ومنذ تأسيسها لم تكن سوى مراكز للتجسس وادارة شؤون الحكم ، حتى ان امريكا قالت عن شاه ايران انه لم يكن اكثر من موظف في السفارة الأمريكية .

ان سفارات امريكا وفرنسا وبريطانيا وغيرها هي التي تملي القرارات المصيرية على حكومات الشعوب الاسلامية والحكام ليسوا إلا دمى يسبحون بحمدها ليل نهار . ولنا في الوثائق التي اكتشفت في السفارة الأميركية في طهران على أيدي الثوار المسلمين خير دليل على ذلك .

وفي لبنان لعب موظفو السفارة الأميركية دوراً كبيراً في وضع الخطط والمشاريع الصليبية القذرة بالتعاون مع الأقلية المارونية الحاكمة .

ومنذ أن تعرضت السفارة الأميركية لعملية اقتحام بقيادة السيد صادق الموسوي عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م أصبحت هدفاً

لكثير من العمليات العسكرية والإنتقامية وتعرضت وفي مناسبات عديدة لإطلاق القذائف والصواريخ كما تعرض موظفوها لمحاولات اغتيال عديدة .

أثناء الإجتياح الصليبي ـ الصهيوني تحولت السفارة الأميركية الى مركز عمليات لوضع الخطط اللازمة والكفيلة بإنجاح الغزو ، وتثبيت نتائجه ، واستمرت كذلك حتى قام احد الثوار المسلمين في السادس من رجب ١٤٠٣ هـ ـ ١٨ نيسان ١٩٨٣ م بعملية اقتحام جريئة وفجر السفارة الأميركية بمن فيها من الجواسيس والعملاء فقتل منهم ما يزيد عن خمسين قتيلاً .

﴿ اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾
ـ سورة النساء ٧٨ ـ

وقد تبنت منظمة الجهاد الاسلامي هذه العملية . غير ان القيادات المزيفة والعميلة اعتبرت الحادث مفجعاً وخطيراً وأنه يستهدف تعطيل « مسيرة الإنقاذ » التي يقودها أمين الجميل ، ولذا فقد توجهوا بالمواساة والعزاء الى ذوي الضحايا حتى ان كامل الأسعد أبرق الى ريغن معزياً [٧٣] . أما أدعياء « الوطنية » واسهاماً منهم في حملة التضليل فقد اتهموا اسرائيل بتنفيذ العملية .

وفي ١٥ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ ـ ١٨ كانون الثاني ١٩٨٤ أعلنت منظمة الجهاد الإسلامي مسؤوليتها عن تنفيذ حق الإعدام برئيس الجامعة الأميركية في بيروت « مالكوم كر » .

وبعد ذلك اضطرت الولايات المتحدة الأميركية الى نقل سفارتها الى ضاحية بيروت الشرقية في عوكر ، لكن أحد المجاهدين تمكن من تفجيرها في ٢٥ ذي الحجة ١٤٠٤ هـ ـ ٢٠ أيلول ١٩٨٤ م .

الإتفاق الصليبي ـ الصهيوني

في تشرين الثاني عام ١٩٨٢ م أوفد أمين الجميل مبعوثاً شخصياً إلى اسرائيل للالتقاء بحليفه شارون من أجل التحضير للمفاوضات الرسمية « وتطبيع العلاقات بين اسرائيل ولبنان » .

اقترح الموفد الماروني ان يتضمن الإتفاق بنداً يتعلق بموافقة اسرائيل على أن تعبر أراضيها بضائع الى الأردن والدول العربية الأخرى «وهكذاسيتخلص لبنان من الاعتماد على مرور بضائع عبر الحدود السورية » .

وقد عاد هذا المبعوث ثانية الى اسرائيل في ٢٧ صفر ١٤٠٣ هـ ـ ١٣ كانون الأول ١٩٨٢ م . وفي اليوم التالي أخبر شارون مناحيم بيغن رئيس الحكومة الإسرائيلية بأنه « تم التوصل إلى اتفاق مسبق بالنسبة الى مستقبل العلاقات بين اسرائيل ولبنان » . وقال في اجتماع في مكتب رئيس الحكومة حضره الديبلوماسيان الأميركيان فيليب حبيب وموريس درايبر : « لم نخف عنكم واقع أننا نجري اتصالات مباشرة مع اللبنانيين ، وبذلك

وصلنا الى اتفاق سأقرأ مضمونه أمامكم » . ولم يلبث شارون ان سافر إلى بيروت حيث أجرى سلسلة مفاوضات مع زعماء الموارنة (٧٤) .

في ١٣ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ـ ٢٨ كانون الأول ١٩٨٢ م وصل الممثلون لبدء المحادثات في خلدة تحت حراسة مشددة من قبل الجنود الصهاينة والقوة المتعددة الجنسيات و « الجيش اللبناني » ، ولم يفتتح المؤتمر أعماله إلا بحماية سفن الأسطول السادس الأميركي التي كانت موجودة قبالة المكان ، ودبابات ومجنزرات الجيش الاسرائيلي .

وفي نفس اليوم أعلن المفاوض الأميركي موريس دراييـر : « أن الموقف الرسمي الأميركي يعطي الأولوية لتطبيع العلاقات ، تليه الترتيبات الأمنية وبعدها يمكن الحديث عن الإنسحابات وبالأحرى الإنسحابات المتبادلة » (٧٥) .

وقد اوضح درايبر في احدى جلسات المفاوضات : « ان الولايات المتحدة تؤمن بأن هذه المفاوضات يجب أن تحقق مصالح اسرائيل المشروعة بالأمن الى أقصى حد ممكن ، وفي الوقت ذاته تدعم الولايات المتحدة استقلال لبنان ووحدته القومية واستعادة سيادته الكاملة على أرضه » (٧٦) .

أما وزير الخارجية الأميركي فقد أبلغ نظيره الاسرائيلي : « بالنسبة للتدابير الأمنية سوف تبحثون ذلك مع اللبنانيين وعليكم أن تحاولوا الحصول على اكبر قدر ممكن من التطبيع في العلاقات بقدر ما تستطيعون . يجب ان تضمن لكم ترتيبات أمنية مناسبة في

الجنوب وعلاقات مع لبنان تكون مختلفة عما كان قبل الحرب » (٧٧) . .

في كانون الثاني عام ١٩٨٣ م أكد فادي افرام قائد القوات الصليبية على وجوب اسقاط حالة العداء مع اسرائيل واقامة علاقات وثيقة معها (٧٨) .

وتجدر الإشارة إلى أن حكومة شفيق الوزان خصصت مبلغ أربعة ملايين وستمائة الف ليرة لبنانية لتأمين نفقات المفاوضات التي جرت مع اسرائيل وامريكا ، ونفقات الإتصالات السياسية والديبلوماسية التي جرت في شأنها على الصعيد الداخلي والخارجي (٧٩) .

وبالرغم من أن المسلمين عارضوا ومنذ البداية مشروع الإتفاقية ، فان النظام الماروني لم يكترث ، وفي ٥ شعبان ١٤٠٣ هـ ـ ١٧ أيار ١٩٨٣ م ، وقع الاتفاق مع اسرائيل .

المادة ١٢

يبلغ هذا الاتفاق الى امانة الامم المتحدة لتسجيله وفقاً لاحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الامم المتحدة .

حرر في خلده ... في اليوم السابع عشر من ...
على ثلاث نسخ باربعة نصوص رسمية باللغات العربية والعبرية والانكليزية والفرنسية . في حال اي اختلاف بالتفسير يعتمد ...
الانكليزي والفرنسي .

عن حكومة الجمهورية اللبنانية — عن حكومة دولة اسرائيل

عن حكومة الولايات المتحدة الاميركية

تواقيع الذل



« حفلة » توقيع الاتفاق الشؤم

النص الحرفي للاتفاق الصليبي - الصهيوني والملاحق والمحاضر التفسيرية

الاتفاق

« ان حكومة جمهورية لبنان وحكومة دولة اسرائيل اذ تستذكران اهمية صيانة وتعزيز السلام الدولي المرتكز على الحرية والمساواة والعدالة ، واحترام حقوق الانسان الاساسية .

انطلاقاً من ايمانهما باهداف شرعة الامم المتحدة ومبادئها .

واقرارا بحقهما وواجبهما في العيش بسلام مع جميع الدول ومع بعضهما البعض داخل حدود آمنة ومعترف بها ، اتفاقا منهما على اعلان انهاء حالة الحرب بينهما .

رغبة منهما في اقامة امن دائم لبلديهما وفي تلافي التهديد واستعمال القوة في ما بينهما .

ورغبة منهما في انشاء علاقاتهما المتبادلة بالطريقة المنصوص عنها في هذا الاتفاق .

وبعد ان زودتا مندوبيهما المفوضين الموقعين ادناه بصلاحيات مطلقة لتوقيع هذا الاتفاق ، بحضور ممثل الولايات المتحدة الاميركية ، اتفقتا على الاحكام التالية :

المادة الاولى :

○ **اولاً** : يتعهد كل من الفريقين باحترام سيادة الفريق الآخر واستقلاله السياسي وسلامة اراضيه ، وهما يعتبران الحدود الدولية القائمة بين لبنان واسرائيل غير قابلة للانتهاك .

○ **ثانياً** : يؤكد الفريقان ان حالة الحرب بين لبنان واسرائيل انهيت ولم تعد قائمة .

○ **ثالثاً** : عملا باحكام الفقرتين الأولى والثانية تتعهد اسرائيل بان تسحب قواتها المسلحة من لبنان وفقا لملحق هذا الاتفاق .

المادة الثانية :

يتعهد الفريقان مسترشدين بمبادىء الامم المتحدة والقانون الدولي بتسوية خلافاتهما بالوسائل السلمية وبطريقة تؤدي الى تعزيز العدالة والسلام والامن الدوليين .

المادة الثالثة :

في سبيل توفير الحد الاقصى للامن في لبنان واسرائيل يقيم الفريقان ويطبقان ترتيبات امنية بما في ذلك انشاء منطقة امنية وفقا لما هو منصوص عنه في ملحق هذا الاتفاق .

المادة الرابعة :

○ **اولا** : لا تستعمل اراضي اي من الفريقين قاعدة لنشاط عدائي او ارهابي ضد الفريق الآخر او ضد شعبه .

○ **ثانيا** : يحول كل فريق دون وجود او انشاء قوات غير

نظامية او عصابات مسلحة او منظمات او قواعد او مكاتب او هيكليات تشمل اهدافها او غاياتها الاغارة على اراضي الفريق الآخر ، أو القيام باي عمل ارهابي داخل هذه الاراضي ، او أي نشاط يهدف الى ان يهدد او يعرض للخطر امن الفريق الآخر او سلامة سكانه .

لهذه الغاية تصبح لاغية وغير ملزمة جميع الاتفاقيات والترتيبات التي تخول ضمن اراضي اي من الفريقين وجود وعمل عناصر معادية للفريق الآخر .

○ **ثالثا** : مع الاحتفاظ بحقه الطبيعي في الدفاع عن النفس وفقا للقانون الدولي يمتنع كل من الفريقين :

أ ـ عن القيام أو الحث او المساعدة أو الاشتراك في تهديدات أو اعمال حربية او هدامة او تحريضية او عدوانية ضد الفريق الآخر او ضد سكانه ، او ممتلكاته سواء داخل اراضيه او انطلاقا منها او داخل اراضي الفريق الآخر .

ب ـ عن استعمال اراضي الفريق الآخر لشن هجوم عسكري ضد اراضي دولة ثالثة .

ج ـ عن التدخل في الشؤون الداخلية او الخارجية للفريق الآخر .

○ **رابعا** : يتعهد كل من الفريقين باتخاذ التدابير الوقائية والاجراءات القانونية بحق الاشخاص والمجموعات التي ترتكب اعمالا مخالفة لاحكام هذه المادة .

المادة الخامسة :

انسجاما منهما مع انهاء حالة الحرب يمتنع كل فريق في اطار انظمته الدستورية عن اي شكل من الدعاية المعادية للفريق الآخر .

المادة السادسة :

يحول كل فريق دون ان تدخل ارضه او تنشر فيها او تعبرها بما في ذلك مجاله الجوي وبحره الاقليمي ، في ما عدا حق العبور البري وفقا للقانون الدولي قوات عسكرية او معدات او تجهيزات عسكرية عائدة لأي دولة معادية للفريق الآخر .

المادة السابعة :

باستثناء ما هو منصوص عنه في هذه الاتفاقية يمكن ان يجري بناء على طلب الحكومة اللبنانية وموافقتها نشر قوات دولية على الارض اللبنانية لمؤازرة الحكومة اللبنانية في تثبيت سلطتها ويتم اختيار الدول الجديدة التي ستساهم في المستقبل في هذه القوات من الدول التي تقيم علاقات دبلوماسية مع الفريقين .

المادة الثامنة :

١ أ : حالما يسري مفعول هذا الاتفاق ينشىء الفريقان « لجنة اتصال مشتركة » تبدأ ممارسة وظائفها من وقت انشائها وتكون للولايات المتحدة فيها صفة المشارك يعهد الى هذه اللجنة بالاشراف على تنفيذ هذا الاتفاق في جميع جوانبه وفي الشؤون التي تدخل فيها الترتيبات الامنية .

تعالج هذه اللجنة المسائل غير المعمول بها والمحالة اليها من قبل لجنة الترتيبات الامنية المنشأة بموجب الفقرة « ب ـ » ادناه . وتتخذ اللجنة قراراتها بالاجماع .

ب ـ تهتم « لجنة الاتصال المشتركة » بصورة متواصلة بتطور العلاقات المتبادلة بين لبنان واسرائيل بما في ذلك ضبط حركة البضائع والمنتجات والاشخاص والمواصلات الخ .

جـ : في اطار « لجنة الاتصال المشتركة » تنشأ « لجنة الترتيبات الامنية » تشكيلها ووظائفها محدد في ملحق هذا الاتفاق .

د : يمكن انشاء لجان فرعية للجنة الاتصال المشتركة حسبما تدعو الحاجة .

هـ : تجتمع لجنة الاتصال المشتركة في لبنان واسرائيل مداورة .

و : لكل من الفريقين اذا رغب في ذلك وما لم يحصل اي اتفاق على تغيير الوضع القانوني ان يقيم مكتب اتصال على ارض الفريق الآخر لاجل القيام بالمهام المذكورة اعلاه في اطار لجنة الاتصال المشتركة وللمؤازرة في تنفيذ هذا الاتفاق .

ز : يكون على رأس كل فريق في « لجنة الاتصال المشتركة » موظف حكومي كبير .

ح : تكون جميع الشؤون الاخرى المتعلقة بمكاتب الاتصال هذه وبموظفيها وكذلك بالموظفين التابعين لأي من الفريقين والموجودين على ارض الفريق الآخر لسبب ذي صلة بتنفيذ هذا الاتفاق موضوع بروتوكول يجري عقده بين الفرقاء ضمن لجنة

بانتظار عقد هذا البروتوكول تعامل مكاتب الاتصال والموظفون المشار اليهم وفقا للاحكام المتصلة بهذا الموضوع الواردة في معاهدة البعثات الخاصة تاريخ ٨ كانون الاول ١٩٦٩ ، بما فيها الاحكام المتعلقة بالامتيازات والحصانات ولا يلغي ما سبق اي تحفظات ممكنة للفرقاء على تلك المعاهدة .

٢-خلال فترة الستة اشهر التالية ، لانسحاب جميع القوات المسلحة الاسرائيلية من لبنان وفقا للمادة الاولى من هذا الاتفاق ، وبعد الاعادة المتزامنة لبسط السلطة الحكومية اللبنانية على طول الحدود الدولية بين لبنان واسرائيل وفي ضوء انهاء حالة الحرب يشرع الفريقان ، في اطار لجنة الاتصال المشتركة بالتفاوض بنية حسنة بغية التوصل لاتفاق حول حركة السلع والمنتجات والاشخاص وتنفيذها على اساس غير تمييزي .

المادة التاسعة :

أولاً ـ يتخذ كل من الفريقين في مهلة لا تتعدى عاما واحدا من بدء سريان هذا الاتفاق جميع الاجراءات اللازمة لالغاء المعاهدات والقوانين والانظمة التي تعتبر متعارضة مع هذا الاتفاق . وذلك وفقا للاصول الدستورية العائدة الى كل من الفريقين وتقيداً بها .

ثانياً ـ يتعهد الفريقان بعدم تنفيذ اي التزامات راهنة تتعارض مع هذا الاتفاق ، كذلك بعدم الدخول في أي التزام وبعدم تبني قوانين أو انظمة تتعارض مع هذا الاتفاق .

المادة العاشرة :

اولا - يتم ابرام هذا الاتفاق من قبل الفريقين طبقا للاصول الدستورية لدى كل منها ويسري مفعوله من تاريخ تبادل وثائق الابرام ويحل محل الاتفاقيات السابقة بين لبنان واسرائيل .

ثانيا - كل المرفقات بهذا الاتفاق اي الملحق والذيل والخريطة والمحاضر التفسيرية المتفق عليها تعتبر جزءا من الاتفاق لا يتجزأ .

ثالثاً - يمكن تعديل هذا الاتفاق أو تنقيحه او استبداله برضى الفريقين .

المادة الحادية عشرة :

اولا - الخلافات الناجمة عن تفسير هذا الاتفاق او تطبيقه تجري تسويتها بطريقة التفاوض ضمن لجنة الاتصال المشتركة . وكل خلاف من هذا النوع يتعذر تسويته ضمن هذه الطريقة يجري اخضاعه للتوفيق . واذا لم يحل فيتم اخضاعه لاجراء متفق عليه بغية الفصل به في صورة نهائية .

ثانياً - على الرغم من احكام الفقرة الاولى ، يفصل في اطار لجنة الترتيبات الامنية ، بالخلافات الناجمة عن تفسير الملحق او تطبيقه . واذا تعذر ذلك فتحال هذه الخلافات بناء على طلب احد الفريقين الى لجنة الاتصال المشتركة لحلها بالتفاوض .

المادة الثانية عشرة .

يبلغ هذا الاتفاق الى امانة الامم المتحدة لتسجيله وفقا لاحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الامم المتحدة .

وضع هذا الاتفاق في خلدة وكريات شمونه في اليوم السابع عشر من ايار **١٩٨٣** على ثلاث نسخ باربعة نصوص رسمية باللغات العربية والعبرية والفرنسية والانكليزية .

في حال اختلاف بالتفسير يعتمد على حد سواء النصان الانكليزي والفرنسي .

عن حكومة الجمهورية اللبنانية انطوان فتال

عن حكومة دولة اسرائيل دايفيد كمحي

بشهادة . . .

عن حكومة الولايات المتحدة الاميركية موريس درايبر

ملحق الترتيبات الامنية

اولا ـ المنطقة الامنية :

أ ـ تقام منطقة امنية تتعهد الحكومة اللبنانية بان تنفذ ضمنها الترتيبات الامنية المتفق عليها بموجب هذا الملحق .

ب ـ يحد المنطقة الامنية وفقا لما هو مرسوم على هذه الخريطة المرفقة بهذا الملحق :

من الشمال خط يشكل خط « أ » على الخريطة المرفقة ومن الجنوب والشرق خط الحدود اللبنانية الدولية .

ثانيا ـ الترتيبات الامنية :

تتخذ السلطات اللبنانية تدابير امنية خاصة لكشف النشاطات العدائية ومنعها ، كما لكشف ومنع ادخال او تحرك المسلحين غير المسموح لهم وكذلك ادخال او تحرك التجهيزات العسكرية غير المسموح بها في المنطقة الامنية او غيرها ، في ما عدا المستثنيات المنصوص عنها .

تطبق على حد سواء في كامل المنطقة الامنية الترتيبات الامنية التالية :

أ ـ القوات والعناصر المسلحة المنظمة الوحيدة المسموح بها في المنطقة الامنية هي الجيش اللبناني والشرطة اللبنانية وقوى الامن الداخلي والقوات اللبنانية المساعدة (الانصار) المنشأة تحت سلطة الحكومة اللبنانية المطلقة ، وذلك باستثناء ما هو مبين في مكان آخر من هذا الملحق .

للجنة الترتيبات الامنية ان توافق على ان تتمركز في المنطقة الامنية عناصر مسلحة لبنانية اخرى مشابهة للانصار .

ب ـ لا حدود عددية لقوى الشرطة اللبنانية وقوات الامن الداخلي والانصار المتمركزة في المنطقة الامنية ، وتزود هذه القوات والعناصر بالاسلحة الاوتوماتيكية الخفيفة والفردية . كما تجهز قوى الامن الداخلي ايضا بمصفحات الاستطلاع او مصفحات المغاوير وفقاً لما هو مبين في الذيل .

ج ـ يتمركز في المنطقة الامنية لواءان اثنان من الجيش اللبناني يكون احدهما لواء اقليميا ، منطقة عمله هي البقعة الممتدة من الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية حتى الخط « ب » المرسوم على الخريطة المرفقة .

ويكون اللواء الثاني نظاميا اعتياديا متمركزاً في البقعة الممتدة من الخط « ب » حتى الخط « أ » ولهذين اللواءين ان يحملا الاسلحة العضوية والتجهيزات المدرجة في الذيل .

ويمكن تبعا لتنسيق تضع اصوله لجنة الترتيبات الامنية نشر

وحدات اضافية مجهزة طبقا لذيل هذا الاتفاق في المنطقة الامنية لاغراض تدريبية بما في ذلك تدريب المجندين ، او في الحالات العملياتية الطارئة .

د ـ تدمج الوحدات المحلية القائمة حاليا كما هي في الجيش اللبناني وفقا لانظمة الجيش اللبناني المرعية الاجراء كما يدمج الحرس المدني المحلي القائم حالياً بالانصار ويمنح الصفة المناسبة بموجب القوانين اللبنانية لتمكينه من متابعة حراسة القرى في المنطقة الامنية .

تبدأ عملية بسط السلطة اللبنانية على هذه الوحدات وعلى الحرس المدني تحت اشراف اللجنة فوراً ، بعد بدء سريان مفعول الاتفاق ، وتنتهي قبل اتمام الانسحاب الاسرائيلي من لبنان .

هـ ـ لوحدات الجيش اللبناني ان تحتفظ ضمن المنطقة الامنية باسلحتها العضوية المضادة للطائرات وفقا لما هو مبين في الذيل .

اما خارج المنطقة الامنية فيمكن للبنان ان ينشر صواريخ الدفاع الجوي الكتفية وتلك ذات المدى المنخفض والمتوسط .

للجنة الترتيبات الامنية بعد انقضاء فترة ثلاث سنوات من تاريخ سريان مفعول هذا الاتفاق ان تعيد النظر ، بناء على طلب اي من الفريقين ، بالترتيب المتعلق بالبقعة الواقعة خارج المنطقة الامنية .

و ـ التجهيزات الالكترونية العسكرية في المنطقة الامنية هي تلك المبينة في ذيل هذا الاتفاق ، ويخضع نشر الرادارات الارضية ضمن عشرة كيلو مترات من الحدود اللبنانية الاسرائيلية ، لموافقة لجنة الترتيبات الامنية .

اما في مجمل المنطقة الامنية فتنتشر هذه الرادارات بحيث لا يتجاوز قطاع استكشافها الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية .

لا يطبق هذا الشرط على الرادارات الخاصة بمراقبة الطيران المدني او النقل الجوي .

ز ـ يسري الشرط المذكور في الفقرة « هـ » على الصواريخ المضادة للطائرات المحمولة على مراكب القوات البحرية اللبنانية ضمن المنطقة الامنية .

للبنان ان ينشر وحدات بحرية وان يقيم ويصون القواعد البحرية او الانشاءات الساحلية الاخرى التي يقتضيها انجاز المهمة البحرية . تحدد انشاءات الشواطىء في المنطقة الامنية وفقا لما هو مبين في ذيل هذا الاتفاق .

ح ـ تلافيا لامكانية وقوع حوادث ناجمة عن التباس في الهوية ، تعطى السلطات العسكرية اللبنانية اشعارا مسبقا لجميع الرحلات الجوية من اي نوع كانت فوق المنطقة الامنية ، وذلك وفقا لاصول تضعها لجنة الترتيبات الامنية لا تشترط الموافقة على هذه الرحلات .

ط ـ ان القوات والاسلحة والتجهيزات العسكرية التي يمكن ادخالها او مركزتها او تخزينها في المنطقة الامنية او نقلها عبر هذه المنطقة هي تلك المذكورة في هذا الملحق وذيله .

٢ ـ لا يمكن اقامة او الاحتفاظ بانشاءات مساعدة او تجهيزات او هيكليات في المنطقة الامنية من شأنها ان تساعد على اعداد اسلحة غير مسموح بها بموجب هذا الملحق او ذيله .

٣ ـ يعمل بهذا التحديد ايضا حيثما يكون في هذا الملحق شرط يتعلق ببقع خارج المنطقة الامنية .

ثالثاً ـ لجنة الترتيبات الامنية :

أ ـ تنشأ لجنة ترتيبات امنية في اطار لجنة الاتصال المشتركة .

ب ـ تتألف لجنة الترتيبات الامنية من مندوبين لبنانيين واسرائيليين متساوين في العدد ، برئاسة ضباط قادة .

يشترك مندوب الولايات المتحدة الاميركية في اجتماعات اللجنة ، بناء على طلب اي من الفريقين .

تتخذ قرارات لجنة الترتيبات الامنية باتفاق الفرقاء .

جـ ـ تشرف لجنة الترتيبات الامنية على تنفيذ الترتيبات الامنية بالاضافة الى البرنامج الزمني والصيغ وسائر التدابير المتعلقة بالانسحابات المبينة في هذا الاتفاق وفي هذا الملحق .

لهذه الغاية وباتفاق الفرقاء تتولى اللجنة :

اولا ـ الاشراف على تنفيذ تعهدات الفرقاء طبقا للاتفاق ولهذا الملحق .

ثانياً ـ انشاء اللجان المشتركة للتحقق وادارتها كما هو مفصل ادناه .

ثالثا ـ الاهتمام والسعي لحل اي مشكلة ناجمة عن تنفيذ الترتيبات الامنية الواردة في هذا الاتفاق وفي هذا الملحق ومناقشة اي انتهاك ، ترفع اللجان المشتركة للتحقق تقريرا به اليها ، او أي شكوى يقدمها احد الفرقاء بصدد انتهاك ما .

د ـ تعالج لجنة الترتيبات الامنية اية شكوى تقدم اليها في فترة لا تتعدى ٢٤ ساعة من وقت تقديمها .

هـ ـ تعقد لجنة الترتيبات الامنية اجتماعاتها مرة على الاقل كل اسبوعين في لبنان واسرائيل مداورة .

في حال طلب احد الفريقين عقد اجتماع خاص فان الاجتماع يعقد خلال ٢٤ ساعة من الطلب .

ينعقد اول اجتماع للجنة خلال ٤٨ ساعة من بدء سريان مفعول الاتفاق .

و ـ اللجان المشتركة للتحقق :

١ ـ تنشىء لجنة الترتيبات الامنية لجانا مشتركة للتحقق (لبنان ـ اسرائيل) تكون تحت امرتها وتتألف من عدد متساو من الممثلين عن الفريقين .

٢ ـ تتحقق اللجان بصورة دورية من تنفيذ احكام الترتيبات الامنية . ترفع اللجان فورا الى لجنة الترتيبات الامنية تقريرا بأي انتهاك مؤكد . كما تتثبت من ان الانتهاك قد صحح .

٣ ـ عندما يطلب منها ذلك تكلف لجنة الترتيبات الامنية لجنة تحقق مشتركة ، لتفحص الترتيبات الامنية الحدودية المتخذة طبقا للمادة الرابعة من هذا الاتفاق ، في الجانب الاسرائيلي من الحدود الدولية .

٤ ـ تتمتع اللجان المشتركة للتحقق بحرية التنقل على الارض وفي البحر والجو حسب الضرورة اللازمة لانجاز مهامها ضمن المنطقة الامنية .

٥ ـ تحدد لجنة الترتيبات الامنية جميع الترتيبات التقنية والادارية المتعلقة بتأدية لجان التحقق المشتركة لوظائفها بما في ذلك اصول عملها

وعددها وتشغيلها واسلحتها وتجهيزاتها .

٦ ـ لدى تقديم تقرير الى لجنة الترتيبات الامنية ، او لدى تثبت لجان التحقق المشتركة من صحة شكوى احد الفريقين ، يقوم الفريق المعني فورا ، وعلى اية حال ، في مدة اقصاها ٢٤ ساعة من تاريخ التقرير او التثبت ، بتصحيح المخالفة وبابلاغ ذلك فورا الى لجنة الترتيبات الامنية ، حالما يصلها الابلاغ تتأكد لجان التحقق المشتركة من ان المخالفة صححت .

٧ ـ يتم انهاء مهمة لجان التحقق المشتركة في مهلة ٩٠ يوما تلي اشعارا بذلك يتقدم به اي من الفريقين ، في اي وقت يختاره بعد مضي سنتين على بدء سريان هذا الاتفاق .

توضع قبل هذا الانهاء ترتيبات بديلة للتحقق بواسطة لجنة الاتصال المشتركة الا اذا تقرر في اي وقت انه لم يعد هناك حاجة لمثل تلك الترتيبات .

ز ـ تعمل لجنة الترتيبات الامنية على اقامة اتصالات عملية وسريعة بين الفريقين على طول الحدود وذلك تفاديا للحوادث عبر التنسيق بين القوات المتواجدة على الطبيعة .

رابعاً ـ من المتفاهم عليه ان الحكومة اللبنانية قد تطلب من مجلس الامن في الامم المتحدة اتخاذ التدابير المناسبة لوضع وحدة من « اليونيفيل » في منطقة صيدا ، وذلك لمساندة الحكومة اللبنانية والقوات المسلحة اللبنانية في تثبيت سلطتها ، وتأمين الحماية اللازمة في مناطق المخيمات الفلسطينية ، طوال مدة ١٢ شهرا .

يكون من حق الوحدة المتمركزة في منطقة صيدا ان ترسل بناء على طلب الحكومة اللبنانية وبعد ابلاغ لجنة الترتيبات الامنية ، مجموعات من عناصرها لتفقد ومراقبة مناطق المخيمات الفلسطينية في

جوار صيدا وصور ، وتبقى السلطات اللبنانية مسؤولة وحدها عن الامن ووظائف الشرطة كما تعمل الحكومة اللبنانية على تطبيق احكام هذا الملحق بصورة كاملة في هذه المناطق .

خامساً ـ بعد انقضاء ثلاثة اشهر على انجاز انسحاب جميع القوات الاسرائيلية من لبنان ، تجري لجنة الترتيبات الامنية تقييما شاملا لملاءمة الترتيبات المبينة في هذا الملحق بقصد تحسينها .

سادسا ـ انسحاب القوات الاسرائيلية .

أ ـ في خلال مهلة تتراوح بين ثمانية اسابيع و ١٢ اسبوعا من سريان مفعول الاتفاق ، تكون جميع القوات الاسرائيلية قد انسحبت من لبنان انسجاما مع هدف لبنان الرامي الى انسحاب جميع القوات الخارجية من لبنان .

ب ـ تؤمن القوات المسلحة اللبنانية وقوات الدفاع الاسرائيلية ، اتصالا مستمرا في اثناء الانسحاب وتتبادلان جميع المعلومات عبر لجنة الترتيبات الامنية ، كما تتعاون قوات الدفاع الاسرائيلية في اثناء انسحابها مع القوات المسلحة اللبنانية وذلك لتسهيل عودة وتوطيد سلطة الحكومة اللبنانية ، فيما القوات المسلحة الاسرائيلية تجري انسحابها .

جـ ـ يمكن للقوات المسلحة اللبنانية طبقا لاحكام الملحق ان تحمل او تدخل او تمركز او تخزن او تنقل عبر المنطقة الامنية ، جميع الاسلحة والعتاد العضوي لكل لواء اعتيادي من القوات المسلحة اللبنانية ، ولا تكون محظورة بموجب هذا الذيل الاسلحة الفردية والاجمالية بما في ذلك الاسلحة الاوتوماتيكية الخفيفة التي توجد عادة بحوزة وحدة المشاة المؤللة .

ذيل

اولاً ـ انظمة الاسلحة المدرجة ادناه والعضوية حاليا لكل لواء في المنطقة الامنية يكون مسموحا بها وفقا للاعداد المبينة :

دبابة عدد ٤٠ . عربة اخلاء متوسطة عدد ٤ . سيارات مصفحة : (ام . ل) ٩٠ سلادين الخ عدد ١٠ .

حاملات جند مصفحة : م ـ ١١٣ أ ـ اف س . س . ل عدد ١٢٧ زائد ٤٤ حاملة من صنف ام ـ ١١٣ .

مدفعية هواوين : قذاف مقطور ١٥٥ ملم عدد ١٨ ايضا ١٠٥ ملم ـ ١٢٢ ملم .

هاون ١٢٠ ملم عدد ١٢ .

هاون ٨١ ملم عدد ٢٧ محمولة على حاملات هاون مسرفة م ١٢٥ .

اسلحة مضادة للدروع آر . بي . جي . عدد ١١٢ .

اسلحة مضادة للدروع عدد ٣٠ .

مدافع ١٠٦ ملم عديمة الارتداد .

صواريخ « تو » صواريخ « ميلان » .

اسلحة الدفاع الجوي :

مدافع عيار ٤٠ ملم وما دون عدد ١٢ غير موجهة بواسطة الرادار .

ثانياً ـ عتاد الاشارة في اللواء : جهازان ج . أر . ثي عدد ١٨٢ . جهازان اف . أر . تي ٤٦ عدد ٤ ل . جهازان « ق . ري . أي ٤٧ » عدد ١٦ ، جهازان « اف . ار . تي ٤٩ » عدد ٩، جهاز بـ ١٠ ـ ٣٩ » عدد ٤٣ ، جهاز «تي . الف ٣١٢ » عدد ٥٣٩ ، جهاز « سي . بي ٦٩٣ » عدد ٨ ، جهازان « جي ار تي ١٠٦ » عدد ٤ .

ثالثاً ـ عتاد الرصد في اللواء :

رادارات تحديد مكان الهاون، رادارات تحديد مكان المدفعية ،

رادارات تحديد رصد الارض ، اجهزة المراقبة الليلية ، اجهزة التجسس الارضية غير المدارة عن قرب .

رابعاً : انسجاما مع تدابير الملحق تكون السيارة المصفحة التابعة لقوى الامن الداخلي وفقا للاتي : سيارات مصفحة مدولبة ذات مدافع عيارها حتى ٤٠ ملم عدد ٢٤ .

خامسا :

انسجاما مع تدابير الملحق سوف لن تكون هناك تحديدات على المنشآت السياحية في المنطقة الامنية باستثناء ما يعود للفئات الاربع التالية : رادار ساحلي لمراقبة البحر عدد ٥ ، مدفع دفاع ساحلي عدد ١٥ من عيار ٤٠ ملم او ادنى ، مدافع ساحلية للدفاع الجوي عدد ١٥ من عيار ٤٠ ملم او ادنى غير موجهة بواسطة الرادار . صاروخ بر ـ بحر لا شيء .

سادساً ـ ان تنظيم كل من لواء المشاة الاقليمي في المنطقة الامنية هو كالآتي :

قيادة اللواء وسرية القيادة : ضباط ١٤ ، رتباء وافراد ١٧٣ .

ثلاث كتائب مشاة : ضباط ٣١ في كل كتيبة ، رتباء وافراد ٦٥٤ في كل كتيبة .

كتيبة مدفعية : ضباط ٣٩ ، رتباء وافراد ٦٧٢ .

كتيبة مدرعات : ٣ سرايا مدرعات زائد سرية استكشاف ضباط ٣٧ ، رتباء وافراد ٥٧٩ .

كتيبة لوجستية : ضباط ٢٦ ،رتباء وأفراد ٣٤٤ .

سرية هندسة : ضباط ٦ ، رتباء وافراد ١٢٥ .

سرية مضادة للدروع : ضباط ٤ ، رتباء وافراد ١١٧ .

سرية مدفعية مضادة للطائرات : ضباط ٤،رتباء وافراد ١٤٦ .

المحاضر التفسيرية المتفق عليها

المادة الرابعة (الفقرة ٤) : يؤكد لبنان ان القانون اللبناني يتضمن كل التدابير الضرورية لتأمين تطبيق هذه الفقرة .

المادة السادسة : دون المساس بما ينص عليه الملحق بصدد المنطقة الامنية من المتفق عليه ان الطائرات العسكرية غير المقاتلة التابعة لدولة اجنبية والتي تقوم بمهمة غير عسكرية لا تعتبر من التجهيزات العسكرية .

المادة السابعة : من المتفق عليه انه في حال قيام اي اختلال حول ما اذا كانت تعتبر دولة معينة معادية وفق ما ورد في المادة السادسة من الاتفاقية فان المحظورات المفروضة في المادة السادسة تطبق على اي دولة ليست لها علاقات دبلوماسية مع الفريقين .

المادة الثامنة (أ ـ ب) : من المتفق عليه ان لجنة الاتصال المشتركة ستبدأ بناء على طلب اي من الفريقين في بحث مسألة حقوق الملكية التي يطالب بها مواطنو اي من الفريقين في اراضي الفريق الآخر .

المادة الثامنة (أ ـ ح) : من المتفق عليه ان على كل فريق ان يقدم اثباتات للفريق الآخر حول ما اذا كان احد عناصره يقوم بمهمة رسمية او يؤدي وظائف رسمية في اي وقت معين .

المادة الثامنة (ثانياً) : من المتفق عليه ان المفاوضات ستختتم بالسرعة الممكنة .

المادة التاسعة : من المتفاهم عليه ان هذه الاحكام ستطبق مع تغيير ما يتوجب تغييره على الاتفاقات التي تتم بين الفريقين وفقا للمادة الثامنة الفقرة الثانية .

المادة العاشرة : من المتفق عليه ان يطلب الفريقان من الولايات المتحدة الاميركية ان تساعد على الحل السريع للخلافات الناجمة عن تفسير هذا الاتفاق او تطبيقه .

المادة الحادية عشرة : من المتفق عليه ان عبارة اجراء متفق عليه للفصل بصورة نهائية معناه الدور المتفق عليه الذي يتولاه فريق ثالث والذي يؤدي الى حل الخلاف يكون ملزما للفرقاء .

الملحق الفقرة (أ ـ ب) :

من المتفق عليه انه في ذلك الجزء من جبل الباروك المشار اليه على الخريطة المرفقة بالملحق لا تقام سوى انشاءات المواصلات اللاسلكية المدنية ، كالمعدات التلفزيونية والرادارات الخاصة بالملاحة الجوية ، وتطبق على هذه المنطقة نفس القيود المطبقة على العتاد والاسلحة المفصلة في الذيل المرفق بالملحق .

الملحق الفقرة ٢ ـ د : تؤكد الحكومة اللبنانية قرارها بان يحتوي اللواء الاقليمي الذي انشىء في ٦ نيسان ١٩٨٣ ، والمذكور في الفقرة الفرعية « جـ » الوحدات المحلية القائمة التي شكلت في حجم قريب من حجم لواء ، اضافة الى عديد من الجيش اللبناني مستخرج من سكان المنطقة الامنية وذلك بما يتفق مع انظمة الجيش اللبناني المرعية الاجراء . يتولى هذا اللواء الاقليمي شؤون الامن في المنطقة الممتدة من الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية الى الخط « ب » المرسوم على الخريطة المرفقة بالملحق ، ويخضع لسلطة قائد اللواء كل القوات والعناصر

المسلحة اللبنانية في هذه المنطقة بما فيها الشرطة اللبنانية وقوى الامن الداخلي اللبنانية والانصار ، يعاد النظر في تنظيم الوحدات المحلية القائمة تحت اشراف لجنة الترتيبات الامنية بما يتفق مع الجدول التنظيمي للواء الاقليمي الوارد في الملحق .

الملحق الفقرة ٢ ـ ز أولاً : يستمر لبنان في فرض الحظر القائم حاليا على الملاحة المدنية في منطقة تمتد من ٣٣ درجة و ١٥ دقيقة شمالا و ٣٥ درجة و ١٢,٦ دقيقة شرقا الى ٣٣ درجة و ١٥ دقيقة شمالاً و ٣٥ درجة و ٨,٢ دقيقة شرقا ، والى ٣٣ درجة و ٥,٥ دقائق شمالا و ٣٥ درجة و ٦,١ دقيقة شرقا ، والى ٣٣ درجة و ٥,٥ دقائق شمالا ، و ٣٥ درجة و ١,٤ دقيقة شرقا .

ثانياً : بغية تفادي الاشكالات تكون هناك اتصالات مستمرة بين القيادة الجنوبية للبحرية اللبنانية وبين البحرية الاسرائيلية لتبادل المعلومات حول السفن المشتبه بها ، وتحدد لجنة الترتيبات الامنية اسلوب تبادل هذه المعلومات .

ثالثاً : تتدخل البحرية اللبنانية بسرعة للتأكد من هوية تلك السفن المشتبه بها ، وفي الحالات الطارئة تتم اتصالات مباشرة بين القطع البحرية .

الملحق « الفقرة ٣ و » :

اولاً : تقوم لجان التحقق المشتركة بمهماتها وهي على بينة من ان المسؤولية عن العمليات العسكرية وعمليات الشرطة وسائر عمليات المراقبة والتفتيش هي من صلاحيات القوات المسلحة اللبنانية والشرطة وسائر المؤسسات اللبنانية المختصة وليست من صلاحيات لجان التحقق المشتركة .

ثانياً : على لجان التحقق المشتركة اذا كشفت عن دلائل وجود

مخالفة ، او احتمال مخالفة للترتيبات المتفق عليها ، ان تتصل بالسلطات اللبنانية عبر مراكز للتحقق من الترتيبات الامنية المنشأة وفقا للمحضر التفسيري للفقرة الثالثة و ـ ٥ من الملحق لتأمين ان تتخذ السلطات اللبنانية في الوقت المناسب التدبير الملائم لتفادي المخالفة وقمعها ، وتتأكد لجان التحقق من ان الاجراءات المتخذة قد صححت المخالفة ، وتقدم تقريرا بالنتائج الى لجنة الترتيبات الامنية .

ثالثاً : تبدأ لجنة التحقق المشتركة نشاطات محدودة في اقرب وقت ممكن ، بعد بدء العمل بالاتفاق بغية مراقبة تنفيذ ترتيبات انسحاب جيش الدفاع الاسرائيلي . اما سائر نشاطات التحقق والمراقبة التي يسمح المحقق للجان بممارستها فانها تبدأ مع الانسحاب النهائي لجيش الدفاع الاسرائيلي .

رابعا : تقوم لجان التحقق المشتركة بتحققات يومية اذا دعت الحاجة وذلك ليلا ونهارا وتتم اعمال التحقق بالبر والبحر والجو .

خامساً : يتولى ضابط لبناني قيادة كل لجنة من لجان التحقق المشتركة ويأخذ الضابط في الاعتبار الطابع المشترك خلال القيام بمهام التحقق .

سادساً : خلال القيام بمهمة ما ، يتمتع قائد لجنة التحقق المشتركة بسلطة استثنائية في مواجهة أية حالة غير متوقعة تتطلب عملا فوريا ويفيد قائد اللجنة عن اية حالة كهذه ، وعن التدابير المتخذة .

سابعا : لا تستخدم لجان التحقق المشتركة القوة الا في حال الدفاع عن النفس .

ثامناً : من الامور التي تقررها لجنة الترتيبات الامنية نمط عمل لجان التحقق المشتركة وتسليحها وتجهيزها ووسائل نقلها والبقاع التي ستعمل فيها ، وذلك وفق احكام المنطق والاعتبارات العملية ، وتحدد

لجنة الترتيبات الامنية نمط العمل العام مع الاخذ في الاعتبار ضرورة تفادي كل ما من شأنه ان يلحق خللا بالحياة العادية للمدنيين وكذلك ضرورة تفادي جعل اللجان اهدافا للهجوم .

تاسعاً : لا يمكن ان يتجاوز الحد الاقصى لعدد اللجان المشتركة العاملة في آن واحد الثماني لجان .

الملحق الفقرة ٣ـو ـ ٥ :

اولاً : تقيم لجنة الترتيبات الامنية ضمن المنطقة الامنية مركزين للتحقق من الترتيبات الامنية.تعين لجنة الترتيبات الامنية الموقع المحدد للمركزين مع مراعاتها لمبدأ ان يكون المركزان في جوار حاصبيا وميفدون وخارج المناطق الآهلة .

ثانياً : تحت الاشراف العام للجنة الترتيبات الامنية يكون هدف كل من المركزين ما يأتي :

أ ـ مراقبة وتوجيه لجان التحقق المشتركة العاملة في القطاع المعين للمركز في المنطقة الامنية والاشراف عليها .

ب ـ ان يستخدم كمركز اتصالات مرتبط بلجان التحقق المشتركة وبمراكز القيادة المعنية .

جـ ـ ان يستخدم كمحل اجتماع في لبنان للجان الترتيبات الامنية .

د ـ ان يقوم من قبل لجنة الترتيبات الامنية بتلقي وتحليل وبلورة كل المعلومات الضرورية لعمل لجان التحقق المشتركة .

ثالثاً : الترتيبات العملياتية :

أ ـ يكون المركزان بقيادة ضباط من الجيش اللبناني .

ب ـ يعمل المركزان على مدى ٢٤ ساعة في اليوم بدون انقطاع .

جـ ـ تقرر لجنة الترتيبات الامنية العدد المحدد للعاملين في كل مركز .

د ـ يتمركز الاسرائيليون العاملون في المركزين ضمن الاراضي الاسرائيلية خارج اوقات عملهم .

هـ ـ تتولى الحكومة اللبنانية مسؤولية تأمين الامن والدعم اللوجستي للمركزين .

و ـ تنطلق لجان التحقق المشتركة في مهماتها اعتياديا من المركزين بعد تلقي التعليمات المناسبة ثم تنتهي مهماتها بتقديم تقريرها الى المركزين .

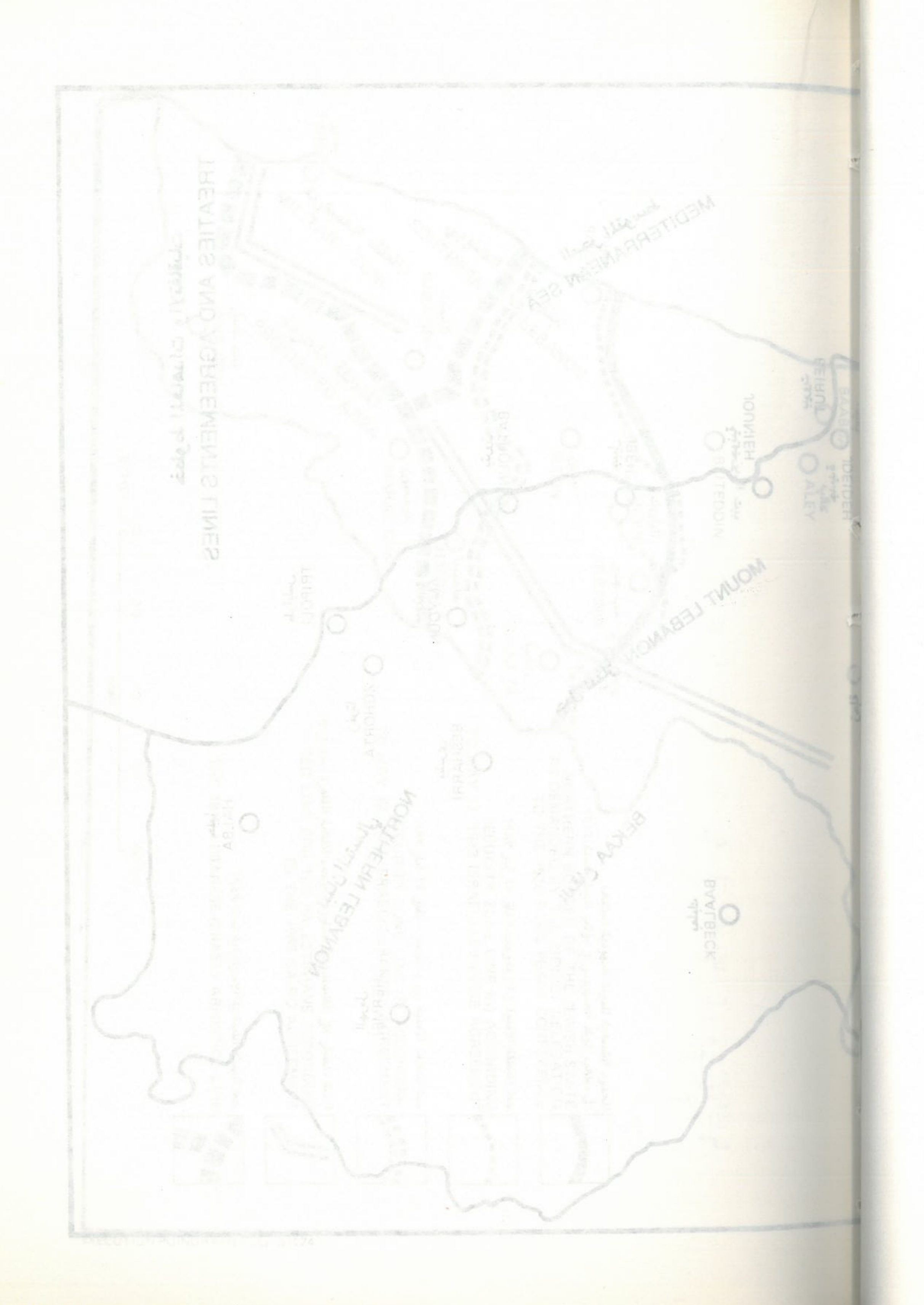
ز ـ يشتمل كل مركز على غرفة اوضاع ومعدات اتصال وتسهيلات لاجتماعات لجنة الترتيبات الامنية وغرفة لاعطاء التعليمات وتلقي تقارير لجان التحقق .

الملحق : الفقرة ٣ ـ ز : من اجل تفادي الحوادث وتسهيل التنسيق بين القوة على الارض تشمل الاتصالات العملية والسريعة اتصالات مباشرة بالراديو والهاتف بين القادة العسكريين المعنيين واركانهم في منطقة الحدود المباشرة وكذلك المقابلات الوجاهية » . **انتهت الاتفاقية** .

وهكذا بالإضافة الى إلغاء السيادة وتسليم جبل عامل واعطاء الشرعية للوجود العسكري الإسرائيلي وتغيير الهوية والثقافة أصبح في نظر حكام لبنان كل حديث أو بيان أو تفكير بالجنوب والقدس والأرض المحتلة مخالفاً للقانون ويستوجب السجن والتعذيب وربما الإعدام .

وفي نفس اليوم الذي تم فيه توقيع الإتفاقية قام المسلمون بمظاهرات صاخبة تعبيراً عن احتجاجهم وسخطهم .

وفي محلة بئر العبد ، في ضاحية بيروت الجنوبية ، حيث يتواجد



الجيش الصليبي ، تصدت الزمرة الكتائبية الغادرة من جيش طنوس للمظاهرات بالحديد والنار .

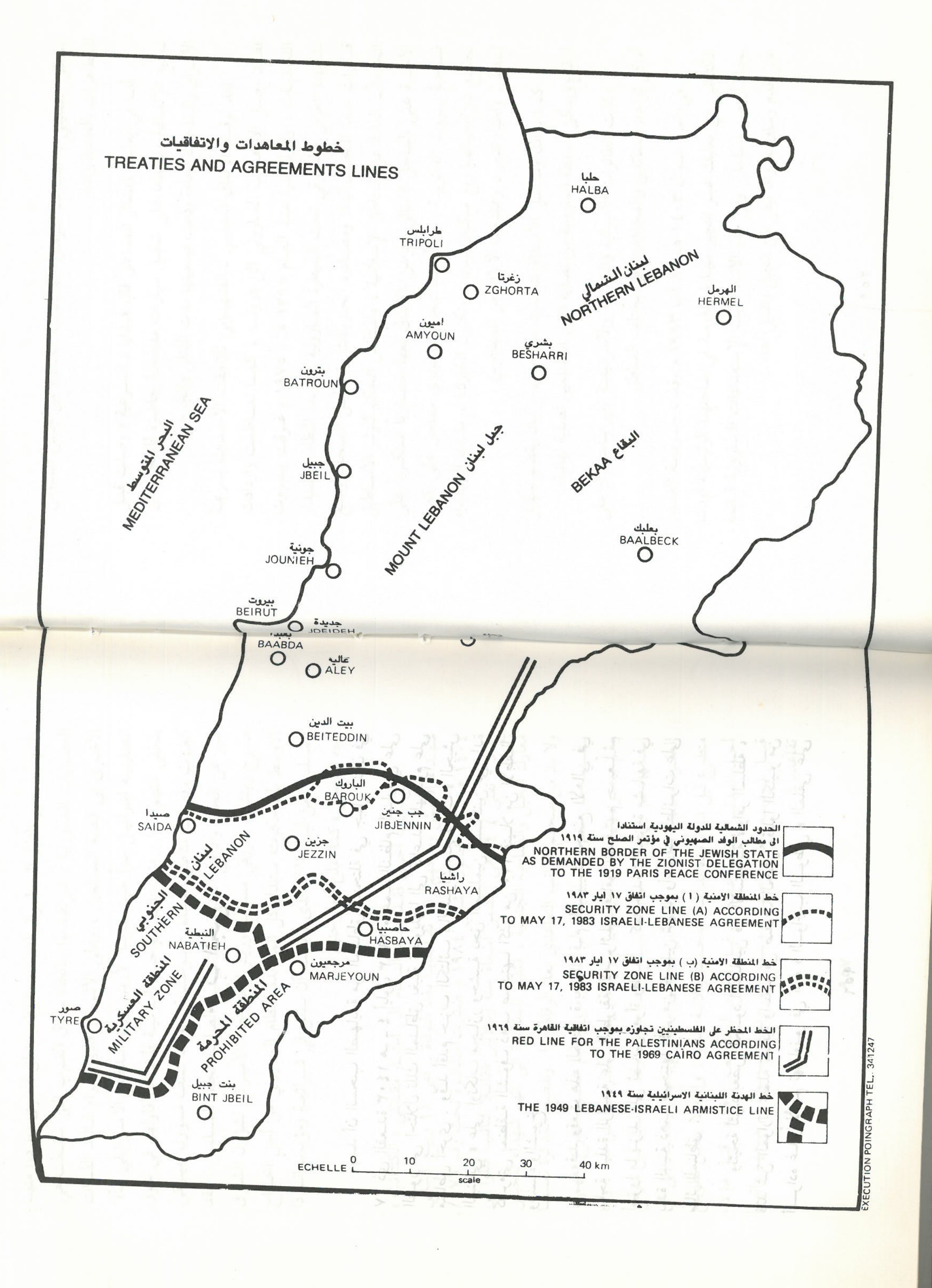
أما في بعلبك وسائر المناطق فان هدايا « الشرعية » وصلت قبل توقيع الإتفاقية وبعدها على شكل سيارات مفخخة جاهزة للتفجير في الأسواق والساحات العامة وذهب ضحيتها مئات القتلى والجرحى .

بعد توقيع الإتفاق الصليبي - الصهيوني تلاحقت الأحداث بسرعة فقد وصل الارهاب الماروني الى ذروته ، كما تعاظمت وازدادت التعديات ، ولأول مرة منذ العام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م غرقت بيروت بشقيها الغربي والشرقي تحت السيطرة المارونية ، وبدأ النظام بإصدار قرارات حظر التجول ليلاً ومصادرة الحريات وتعطيل الصحف ومنع الخدمات العامة عن المناطق الإسلامية ، واستأنس الحكم لزئير الأساطيل الأجنبية على الساحل اللبناني وفرض بالإتفاق معها حصارياً عسكرياً على ضاحية بيروت الجنوبية ، وبدأ يعد لهجوم تدميري ساحق على بقعة تجمع بين أحيائها ربع سكان لبنان ، وتكون الكارثة ، مئات الشهداء تسقط ، وأحياء تدمر ، وعشرات الآلاف من المهجرين .

كما بدأت وسائل الاعلام تتحدث عن اجتياح ثان يقضم سهل البقاع ويمكن السلطة المارونية من تصفية الثوار المسلمين تصفية نهائية .

وكانت الطائرات الأميركية والفرنسية والاسرائيلية تغير باستمرار على أماكن تواجد المقاتلين والمجاهدين في مختلف المناطق .

في آخر شوال ١٤٠٣ هـ - ٨ آب ١٩٨٣ م وقعت جريمة الغدر الكتائبي في بعلبك عبر تفجير سيارة ملغومة في ساحتها الرئيسية أودت بحياة أربعين مسلماً . وفي هذه الأثناء كانت الإستعدادات المارونية قائمة على قدم وساق لغزو ما تبقى من الجبل وتقتيل أهله .



خطوط المعاهدات والاتفاقيات
TREATIES AND AGREEMENTS LINES
البحر المتوسط
MEDITERRANEAN SEA
حلبا
HALBA
طرابلس
TRIPOLI
زغرتا
ZGHORTA
لبنان الشمالي
NORTHERN LEBANON
الهرمل
HERMEL
اميون
AMYOUN
بشري
BESHARRI
بترون
BATROUN
جبل لبنان
MOUNT LEBANON
البقاع
BEKAA
جبيل
JBEIL
بعلبك
BAALBECK
جونية
JOUNIEH
بيروت
BEIRUT
جديدة
JDEIDEH
BAABDA
عاليه
ALEY
بيت الدين
BEITEDDIN
الباروك
BAROUK
صيدا
SAIDA
جب جنين
JIBJENNIN
جزين
JEZZIN
لبنان
LEBANON
راشيا
RASHAYA
الجنوبي
SOUTHERN
النبطية
NABATIEH
حاصبيا
HASBAYA
مرجعيون
MARJEYOUN
صور
TYRE
المنطقة العسكرية
MILITARY ZONE
المنطقة المحرمة
PROHIBITED AREA
بنت جبيل
BINT JBEIL
الحدود الشمالية للدولة اليهودية استنادا الى مطالب الوفد الصهيوني في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩
NORTHERN BORDER OF THE JEWISH STATE AS DEMANDED BY THE ZIONIST DELEGATION TO THE 1919 PARIS PEACE CONFERENCE
خط المنطقة الامنية (١) بموجب اتفاق ١٧ ايار ١٩٨٣
SECURITY ZONE LINE (A) ACCORDING TO MAY 17, 1983 ISRAELI-LEBANESE AGREEMENT
خط المنطقة الامنية (ب) بموجب اتفاق ١٧ ايار ١٩٨٣
SECURITY ZONE LINE (B) ACCORDING TO MAY 17, 1983 ISRAELI-LEBANESE AGREEMENT
الخط المحظر على الفلسطينيين تجاوزه بموجب اتفاقية القاهرة سنة ١٩٦٩
RED LINE FOR THE PALESTINIANS ACCORDING TO THE 1969 CAIRO AGREEMENT
خط الهدنة اللبنانية الاسرائيلية سنة ١٩٤٩
THE 1949 LEBANESE-ISRAELI ARMISTICE LINE
ECHELLE 0 10 20 30 40 km
scale
EXECUTION POINGRAPH TEL. 341247

حرب الجبل

بعد أن انسحب الصهاينة من المناطق المحتلة في جبل لبنان في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٣ هـ ـ ٤ أيلول ١٩٨٣ م عمد النظام الماروني على الفور الى احتلال تلك المناطق بغية تحويلها الى قاعدة للهجوم على مناطق أخرى . وقد أقدم حزب الكتائب بالاشتراك مع قوات « الجيش اللبناني » على ارتكاب مجازر وحشية بحق المسلمين الساكنين في بلدة كفرمتى بمنطقة الشوف ذهب ضحيتها اكثر من ١٢٠ قتيلاً من الأطفال والنساء والشيوخ .

وقد وقعت هذه المجزرة بعد ان قام الصليبيون بجمع الأهالي في ساحة البلدة الرئيسية على الطريقة الإسرائيلية وقاموا بتصفيتهم جميعاً ثم أسروا ما يزيد على ثمانين امرأة وطفلاً . كما حدثت مجزرة مشابهة في بلدة البنية ذهب ضحيتها أكثر من خمسين شهيداً وأغارت الطائرات على سائر المناطق .

ونتيجة لتردد بعض الجنود المسلمين في الاستجابة لأوامر السلطة ، فقد شن الموارنة حملة تصفية واسعة في صفوف الجيش وقتلوا الكثير من أفراده غدراً لأنهم تهاونوا في أداء « الواجب الوطني » الملقى على

عاتقهم . حرر الثوار المسلمون بلدة بحمدون ومناطق أخرى وطردوا منها العصابات المارونية ، ثم تقدموا باتجاه سوق الغرب التي سقطت هي الأخرى في قبضة المسلمين ، وعلى الأثر زار فادي افرام قائد القوات الصليبية اسرائيل سراً حيث توسل لآرينز وزير الدفاع الاسرائيلي بألا يتخلى عنهم [٨٠] ، وتدخلت البواخر الأميركية فأنقذت فلولهم في سوق الغرب وقصفت مناطق المسلمين بوحشية . وقد كشف مسؤول اميركي كبير عن الحقد والروح العدوانية الأميركية الصليبية تجاه المسلمين ، فقد صرح ريتشارد مورفي مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأوسط بأن حكومته ستبذل كل المساندة للنظام الماروني من أجل اخراج المسلمين من لبنان[٨١] الذي « يجب أن يظل في شرائعة ومؤسساته ذا وجه مسيحي » كما أعلن أدوار حنين [٨٢] .

ومن جهة أخرى فقد عمد النظام الى اعتبار مقاتلي « الكتائب » شهداء الجيش ومنحهم راتباً تقاعدياً بعد الوفاة . ففي ١١ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ ـ ١٤ كانون الثاني ١٩٨٤ م صدرت مذكرة تحت رقم ٩٧٦/ ع.د / تقني / ٤ وهي تتضمن أسماء ستة وثلاثين مقاتلاً كتائبياً قتلوا في معارك الجبل والضاحية الجنوبية ، تشير المذكرة الى انهم شهداء للجيش ولا بد من منحهم الراتب التقاعدي بعد الوفاة [٨٣]. وتفضح المذكرة نفسها بنفسها حين تقول ان القيادة لم تتمكن من تنظيم عقود تطوع معهم ، وهم ينتمون الى طائفة واحدة (موارنة) بسبب الظروف الراهنة ، وان استشهادهم جرى أثناء معارك الجبل والضاحية ، وقد تم ذلك قبل توقيع العقود معهم ، علماً ان القوانين لا تجيز اسناد اي مهمة قتالية الى اي متطوع قبل انهاء مدة تدريبه المحددة بثلاثة أشهر ، وإنه لا يمكن تطويع أحد المدنيين بصفة عسكري قبل توقيع العقد معه . فكيف قتل هؤلاء قبل توقيع العقود معهم ؟ وبأي حق وبأي قانون تم منحهم راتباً تقاعدياً ؟ .

الى هـذا الحد وصلت كتـائب مارون في تسخيـرهـا أمـوال وقـدرات الدولة من أجل زبانيتها حتى بعد الوفاة .

الهجوم على المارينز والفرنسيين

بعد حرب الجبل أدرك المسلمون خطورة الدور الـذي تلعبه القـوات الأجنبيـة في تثبيت دعائم النـظام الماروني . وفي صبيحـة الثامن عشـر من محـرم ١٤٠٤ هـ ٢٣ تشـرين الأول ١٩٨٣ م قـام اثنـان من المجـاهـدين بعمليتي اقتحـام للمباني التي يحتلهـا الأميركيـون والفرنسيـون ، ودمـر كـل منهما بسيارته المحملـة بالمواد المتفجرة المراكز المستهدفة تدميـراً كامـلاً ، فقتـل في يوم واحـد وفي ساعـة واحدة حـوالي ٢٤٠ جندياً أميركيـاً وستين جنـدياً فـرنسيـاً ، تحـولـوا جميعـاً الى جثث هـامـدة تحت الأنقـاض . واستيقظت أمريكا على النبأ العظيم ، على هولْ الفاجعة .

لقـد فشلت في ايران ، فـأعادت الكـرة عبـر صحـراء طبس ، وأعـاد التاريخ نفسـه ، ﴿ **وأرسلنا عليهم طيـراً أبابيـل ترميهم بحجـارة من سجيل فجعلهم كعصف مـأكـول** ﴾ ـ سـورة الفيـل ٣ و ٤ و ٥ ـ ، ثم جـاءت الى بيـروت لتجرب حـظها مـع الضـاحيـة ، مـع أحيـاء الفقـراء في حي السلم والأوزاعي ، حيث جـرت معركـة غير متكـافئة بين الأسـاطيـل المـدججـة بـالـطائـرات والصـواريـخ وبين بضعـة مقـاتلين يحملون البنـادق والقنـابـل اليدوية . لكن لله جنوداً لا تراها أمريكا .

امـا « القـادة » الطفيليون فـانهم راحـوا ينعتـون العمليـة بـالجـريمـة

البشعة ، وسارعوا للاستنكار معربين عن حزنهم وتألمهم .

وفي الحادي عشر من صفر ١٤٠٤ هـ - ١٦ - ١١ - ١٩٨٣ م قامت الطائرات الأميركية والفرنسية والاسرائيلية بقصف بعلبك وجنتا بالقنابل والصواريخ فسقط ما يزيد عن ثلاثين شهيداً ، واشتعلت النار تحت اقدام الصليبيين :

من الجنوب الى الشمال ثورة عارمة ضد الاحتلال .

من بعلبك الى جبشيت الراغبة بالحرب (*) مقاومة اسلامية لا تلين .

العمليات الجهادية ارعبت المحتلين . دولة مارون في حيرة من أمرها .

الحركة الاسلامية تسقط الاتفاقية ، حالات الرعب دمرت معنويات كل القوى الصليبية .

(*) بلدة الشهيد الشيخ راغب حرب الذي استشهد على أيدي عملاء الاحتلال الإسرائيلي في منتصف جمادى الأول ١٤٠٤ هـ - ١٦ شباط ١٩٨٤ م بعد أن تعرض للإعتقال عدة مرات .

تدمير الضاحية

منذ أن شقت الضاحية الجنوبية عصا الطاعة وتحررت من دنس الإحتلال الماروني في ٢٠ ذي القعدة ١٤٠٣ هـ - ٢٨ آب ١٩٨٣ م بدأ الصليبيون بقصفها يومياً وبشكل مستمر ، وأثناء حرب الجبل صبت العصابات المارونية جام غضبها على الضاحية المنكوبة وأمطرتها بآلاف القذائف .

وفي ٢٠ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ - ٢٤ كانون الأول ١٩٨٣ ارتكب الجيش الصليبي مجزرة مروعة بحق الضاحية الجنوبية في حي فرحات حيث سقط أكثر من اربعمائة شخص بين قتل وجريح . .

وكانت القوة المهاجمة تتألف من ثلاثة الوية معززة بأحدث الدبابات الأميركية والفرنسية الصنع وذلك في محاولة لاقتحام الضاحية .

وفي الأول من جمادى الأول ١٤٠٤ هـ - ٢ شباط ١٩٨٤ م أقدمت القوات الصليبية على ارتكاب مجزرة جديدة ذهب ضحيتها مئات القتلى والجرحى ، كما تم تدمير وإحراق اكثر من سبعمائة بيت وإبادة أحياء وأسواق بكاملها بغية إفراغ المنطقة وتهجير سكانها .

وعلى الأثر قام الثوار المسلمون بهجوم صاعق وحرروا بيروت

الغـربيـة من دنس الاحتـلال الصليبي في الخـامس مـن جمـادى الأول ١٤٠٤ هـ ـ ٦ شبـاط ١٩٨٤ م . ثم سقـطت قـلاع المـوارنـة في الشحار الغـربي وأصبـح شـاه بعبـدا تحت رحمـة نيـران المجـاهـدين ، وكـان من الممكن إسقـاطـه والقضـاء على حكمـه لـولا مؤامـرة وقف اطـلاق النـار والشروع في المفاوضات والمؤتمرات .

وقد رد الصليبيون على العملية بتدمير الضاحيـة الجنوبيـة تدميـراً شبه كـامل وذلـك بالتعـاون مع الأسـاطيل الأميركية التي أصـابت قذائفهـا كـل الأحياء .

ظلت القنـابل تتسـاقط بغزارة على أحياء المستضعفين في بئر العبـد وحي السلم وحي مـاضي والغبيـري والشيـاح والأوزاعي والليلكي وبـرج **البراجنة طوال شهر كامل حتى خيل للناظرين الى الضاحية انه لم يبق فيها حجر على حجر .**

قيـادة الجيش اللبناني زودت حـواجـز القـوات الصليبيـة على طـريق الجنوب وحاجـز البربـارة بأسمـاء الجنود والضبـاط المسلمين الذين رفضـوا القتال في الضـاحية والجبل فيما أعداد كبيـرة من الجنود المسلمين تعـرضوا للقتل والضرب والشتم .

في الـواقـع ، ان هـذا النهـج ، القتـال ثم وقف القتـال وأخيـراً المفـاوضـات ، هـو الـذي أوصـل المسلمين الى مـا وصلوا إليـه وسـاعـد المـوارنـة على ارتكـاب المجـازر البشعـة والبقـاء في الحكم هـذه الفتـرة الطويلة من الزمن . وهو الذي شـرد المسلمين من فلسطين عـام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م وشـردهم من لبنان طوال عشر سنوات ، فكلمـا غلبـوا على أمـرهم طرحـوا مسألـة الصلح ووقف القتال ، ثم تسـارع القيـادات العميلة لـلاستجابـة الى طلبهم وإجراء المفـاوضات العقيمـة ، كـل هـذا من أجـل كسب الـوقت والإعـداد لمجازر جديـدة ، هكـذا تمت حـروب فلسطين ولبنـان ، فلو أن المسلمين حاربـوا حتى النهايـة لعم الأمن والسلام ، ولمـا

كـانوا بحـاجة الى عقـد اتفاقيـات صلح أو وقف جـزئي لإطـلاق النـار لأن القتال كان سيتوقف حتماً بعد ان يتم القضاء على المتآمرين .

والواقع ان الموارنة يعتبرون الضاحية ملكاً لهم ولا يعترفون بـالوجـود الاسـلامي فيها فقد أعلن رئيس قسم الكتائب في عين الـرمـانـة ـ الشيـاح انـطوان بعقليني : « ان أحيـاء الـشيـاح هـي ملك لـلمسيـحيين وليس للمحتلين ! ولن نتنازل عن الأحياء المسلوخة في بئر العبد وحي مـاضي وحي الـدير وحي الكنيسـة مهما طـال الزمن [٨٤] . وبعـد تدمير الضـاحيـة ارسـل أمين الجميـل مبعـوثين الى اسـرائيـل لمعـرفـة مـا يـرغب ان يفعله الاسرائيليون لدعم موقفه السياسي والعسكري في حال مـوافقته على ابـرام اتفاق ١٧ أيار .

والمبعـوثان همـا (رئيس المجلس الاقتصادي للعـلاقات الخـارجية) سـامي مـارون و (رئيس الاستخبـارات في الجيش اللبنـاني) سيمـون قسيس [٨٥] .

وأعلن كـريم بقـرادوني ، عضـو المكتب السيـاسي الكتـائبي ، عن اعتمـاد مشـروع سيـاسي خـاص بمـا يسمى بـ « القـوات اللبنـانيـة » (الصليبية) ، « حفاظاً على ذاتيتها كحـركة شعبيـة مميزة كمـا بدأهـا بشير الجميل . . . » وقال « نحن كتـائبيون ، ونحن سـاهمنـا منـذ السبعينـات في اطـلاق الكتائب ونعـرف ان القوات اللبنانية مكـونة من اكثـريـة كتـائبيـة ، ونحن كتـائبيو بشيـر الجميل . . . اننـا نعتبر أنفسنـا تياراً يسعى على خـطى بشير الجميل . . . » [٨٦] .

البابا يبارك

إن البابا لا يرى حقاً في الوجود لغير أبناء الأقلية المارونية ، اما حقوق المسلمين في لبنان فهي القتل والتشرد .

في رده على سؤال حول علاقة ما يسمى بـ « القوات اللبنانية » الصليبية بالفاتيكان ، أجاب المحامي نعوم فرح الناطق الرسمي باسم هذه القوات ورئيس جهاز العلاقات الخارجية فيها : [٨٧]

ـ « لدى القوات اللبنانية مكتب في ايطاليا يقوم بالاتصالات بالفاتيكان ، لدينا علاقات جيدة بحاضرة الفاتيكان ، وهي نابعة من ان الفاتيكان مرجع روحي ودولي مهم وهناك اتصالات نقوم بها بالسفارة البابوية في بيروت وبالاجهزة المختصة بالفاتيكان . ونحن نطلع هذه الأجهزة المختصة على تصورنا لتطور الأمور ولمستقبل لبنان » .

هذا وقد أفادت وكالات الأنباء من روما بأن قداسة البابا يوحنا بولس الثاني أشاد في لقاء له مع الجنود والضباط الاميركيين العاملين في قوات تدخل الشيطان الأكبر في لبنان ، أشاد بهم وأعرب عن تقديره للجرائم التي ارتكبوها في لبنان . وقال في خطابه الذي القاه بالمناسبة :

« لقد اطلعت على نشاطاتكم في الشرق الأوسط ولبنان ، ان الخدمة التي تقدمونها من اجل وضع حد للبؤس والشقاء والاضطهاد الذي يعانيه الشعب اللبناني لمدعاة للتقدير والاعتزاز » ! [٨٨]

اذن فالمذابح التي ارتكبت بحق الابرياء على ارض لبنان منذ العام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م على ايدي الصليبيين المحليين ، والجرائم الدموية التي ارتكبها الاميركيون والفرنسيون في جبل لبنان وبيروت قد تمت كلها بتأييد مسبق من البابا .

ان نشاطات الجنود الاميركيين التي اطلع عليها البابا لم تكن سوى المجازر والجرائم بالذات .

وسبق ان اشيعت بعض الأقاويل فيما يتعلق بزيارة امين الجميل الى الفاتيكان ودعم البابا لهذه الشلة الأقلية العميلة وقد أيدتها تصريحات البابا هذه . وبما ان الاحداث اللبنانية هي خطة صليبية صهيونية فان حضرة البابا يكون قد شارك في الخطة ذلك ان الاميركيين اعلنوا مراراً وبصراحة انهم قدموا إلى لبنان من اجل الدفاع عن اسرائيل الغاصبة وفرض الحكم الصليبي على المسلمين ، وان اتفاقية السابع عشر من أيار بين الموارنة والكيان المحتل للقدس قد تمت في هذا النطاق بايعاز من اميركا ، فكيف وبأي دليل يشيد البابا بالسلام الذي تصبو اليه امريكا والدماء التي اريقت على مذبح هذا السلام الاميركي ـ الصهيوني ؟ .

حينما دعا البابا ليخ فاليسا وحركة التضامن البولندي الى اجراء الاتصال مع اميركا ، طرح هذا السؤال وهو ربما يكون البابا يتولى منصب القنصل الأميركي في بولندة .

وعندما قبض الثوار المسلمون في ايران على جواسيس السفارة الاميركية واحتجزوهم ثارت ثائرة البابا وطالب باطلاق سراحهم .

ان البابا ومن خلال سفارته في بيروت يشترك اشتراكاً فعلياً في

الاعداد للمجازر ضد المسلمين وفي اتخاذ جميع القرارات التي تؤول الى تصفية الوجود الاسلامي في لبنان .

نهار الجمعة في ١٤ ذي القعدة ١٤٠٤ هـ - ١٠ آب ١٩٨٤ اجتمع فادي افرام قائد القوات الصليبية بالسفير البابوي انجيلوني برفقة نعوم فرح رئيس جهاز العلاقات الخارجية ، وبحثوا في شأن المشروع الماروني وقضايا الفيدرالية والكونفدرالية وغيرها .

وشكر فادي افرام للسفير البابوي « اهتمام البابا ومواقفه الشجاعة » من خلال رسالة بعث بها الى حلفائه في لبنان والتي نمت « عن وعي لحقيقة المشكلة اللبنانية وادراك لأهمية دور المسيحيين اللبنانيين ونضالهم بالنسبة الى المسيحية الشرقية » [٨٩] .

وفي غضون سنتين زار أمين الجميل البابا ثلاث مرات للتباحث معه في كيفية نصرنة لبنان واخلائه من المسلمين اخلاءً تاماً .

الزيارة الأولى تمت في السادس من محرم - ١٤٠٣ هـ - ٢١ تشرين الأول ١٩٨٢ م ، الزيارة الثانية في ٢٣ صفر ١٤٠٤ هـ - ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٣ م ، والزيارة الثالثة في ٢٨ محرم ١٤٠٥ هـ - ٢٣ تشرين الأول ١٩٨٤ م .

مؤتمر جزين

قبل ان نبدأ بالحديث عن هذا المؤتمر لا بد من الإشارة الى أن جزين وهي احدى بلاد جبل عامل كانت مركزاً مهماً من مراكز الإيمان والعطاء ، ونبغ منها علماء كثيرون أشهرهم الشيخ السعيد محمد بن مكي المعروف بالشهيد الأول ولد في سنة ٧٣٤ هـ في بلدة جزين حيث أسس مدرسته الأولى واستشهد عام ٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م .

وقبل خمسة قرون كانت جزين ما تزال منطقة إسلامية ومركزاً دينياً اسلامياً شيعياً هاماً ، واستمرت كذلك حتى دارت عليها الدوائر ، وامتدت إليها يد الغدر والإجرام ، فوقف أهلها يواجهون المشروع الماروني بصلابة ، حتى وقعت ضحية المؤامرة الطويلة ، أحرقوها ، هجروا أهلها ، ذبحوها من الوريد الى الوريد ، حتى غدت جزين ، المدينة الضاربة بعيداً في عمق التاريخ الاسلامي ، معقلاً مارونياً ، وقاعدة مهمة من قواعد التحالف الماروني - الصهيوني .

بعد الاجتياح الصليبي - الصهيوني ، استفادت العصابات المارونية من منطقة جزين ، كعمق استراتيجي لها ، وشكلت منها رأس حربة في خاصرة الجنوب المجاهد، وقام آرينز وشارون وكبار الضباط الاسرائيليين بعدة زيارات الى جزين للاشراف على تنظيم القوات الصليبية .

بتاريخ ٢٧ جمادى الأول ١٤٠٤ هـ ـ ٢٨ شباط ١٩٨٤ م انعقد « مؤتمر جزين » الذي دعااليه « التجمع المسيحي الحر » ، وقد اعتبر هذا المؤتمر مهرجاناً اتخذ له شعار : « يوم السلام مع اسرائيل » و « الانفتاح بين الشعبين اللبناني والاسرائيلي » وهيء له بفرض الإضراب على قرى النصارى في قضائي صيدا وجزين . أما حضور المؤتمر فقد تألف من راعي أبرشية صيدا ودير القمر للروم الكاثوليك المطران أغناطيوس رعد ، قائد « جيش لبنان الحر »(*) بالوكالة الملازم الأول شربل بركات ، رئيس اقليم الزهراني الكتائبي الياس كساب ، رئيس اقليم البقاع الغربي نجيب الهندي ، نائب رئيس اقليم جزين الكتائبي بيار طنوس ، قائد القطاع الجنوبي في « القوات اللبنانية » الصليبية نزار نجاريان ، وطبعاً بالاضافة الى المباركة الاسرائيلية التي تمثلت بحضور الحاكم العسكري الاسرائيلي في صيدا « الكولونيل سامي » والحاكم العسكري في جزين الضابط شلومو .

هذا وقد نشرت في شوارع البلدة الأعلام اللبنانية والإسرائيلية ولافتات تضمنت الآتي :

« معاً بنينا هيكل سليمان ومعاً سنحرر أرض الرب » .

« حضارة مسيحية + حضارة يهودية = تغيير لوحة الشرق » ، (القضاء على الاسلام) .

« نعم للفكر الاسرائيلي لا للمخربين الإرهابيين . . . » .

وقد أكد الخطباء في هذا « المؤتمر » على ولائهم الكامل لإسرائيل .

(*) العصابات التي كان يقودها سعد حداد .

ونورد هنا بعض ما جاء على لسان الحضور ، بيار طنوس قال :

« ان مصيرنا مع اسرائيل واحد وقضيتنا مترابطة ويجب أن نعمل متضامنين ، وان الفكر والحضارة اليهوديين استطاعا أن يبنيا وسط هذا الشرق الذي هو غابة من الجهالة دولة عصرية رائدة في القوة العسكرية والديمقراطية .

كيف لا نلتقي مع شعب كهذا وفكر كهذا . يجب علينا التعامل بصدق كامل مع جيش الدفاع الإسرائيلي من أجل التحرير واني أدعو شبابنا الى الانخراط في جيش لبنان الحر ، وتمتين الصداقة بين الشعبين اللبناني والاسرائيلي » . وشدد على ضرورة توثيق عرى الصداقة مع « الشعب الاسرائيلي » والاستفادة منه لتطوير « مؤسساتنا اللبنانية » [٩٠] .

وجاء في الكلمة التي ألقاها المطران رعد في المهرجان : « اننا مجتمعون من أجل السلام في يوم السلام مع بني اسرائيل ، وعمر هذا السلام ٣٣٠٠ عام بحسب ديننا نحن. ان التعامل مع اسرائيل ليس فقط مسموحاً به بل مأمور به اذ ان الدين المسيحي يعلم البشر انهم كلهم ابناء الله وجميعهم اخوة » .

وأضاف ان « المسيحيين واليهود يؤمنون بالكتاب المقدس ، ولم تكن هناك حرب واحدة بين اللبنانيين والاسرائيليين بل كانت علاقة تعاون ومعاهدات نصوصها مذكورة في الكتاب المقدس .

نطلب من اسرائيل المساعدة » [٩١] .

أما نزار نجريان « الحريص على مصلحة لبنان وأمنه » ، فقال في المناسبة : « الاسرائيلي هو حليفنا ليس مسايرة له ولا خوفاً منه بل ايماناً بأن لدينا قضية مشتركة وأعداء مشتركين في هذا الشرق ، وإيماناً بأنه شعب يحب الحرية والديمقراطية » [٩٢] .

ولم يكتف « التجمع المسيحي الحر » بهذا المؤتمر بل عقد مؤتمراً عرف بالمؤتمر التأسيسي الثاني في جزين حضره الأباتي بولس نعمان وتقرر فيه تسمية نزار نجاريان قائداً مؤقتاً والمطران رعد مرشداً روحياً ، كما تقرر دمج « القوات اللبنانية » مع « جيش لبنان الحر » لتشكيل « جيش لبنان الجنوبي » ، وأوكلت القيادة العسكرية الى انطوان لحد .

إثر هذا المؤتمر تشكل وفد ضم المطرانين الحاج ورعد والكاهنين المارونيين باسيل ناصيف وجوزيف القزي إضافة الى خمسة مدنيين ، قام بزيارات الى الكيان الصهيوني وذلك « لبحث مستقبل المنطقة الجنوبية بفكرة خلق ترتيبات أمنية في الجنوب » ، على حد قول نجاريان ، فاجتمع الى نائب رئيس الحكومة الاسرائيلية ، ثم إلى قائد قوات الاحتلال الصهيوني واعوانه وقادة المناطق بهدف تأكيد مقررات مؤتمر جزين وكيفية تنفيذها [٩٣] .

كما بدأت القوات الصليبية بتنظيم وضعها عسكرياً وأمنياً ، وقام مسؤول هذه القوات في الجنوب « نزار نجاريان » بجولات تفقدية على مواقعها في مناطق جزين والشوف وطلب من مسؤولي هذه المواقع الاستعداد للمعارك المقبلة مع المسلمين ، كما طلب منهم الحذر الدائم ومراقبة كافة التحركات المضادة .

وبهذا الخصوص فقد ذكرت صحيفة هآرتس الاسرائيلية أن العصابات المارونية العاملة في منطقة الشريط الحدودي عززت قواتها بتجنيد العديد من المتطوعين وقامت باعادة تنظيم شاملة لصفوفها ، كما أنها وسعت نطاق عملها فأصبحت تسيطر على الطريق البري في القطاع القريب من الحدود الدولية وكذلك منطقة جزين . وأوردت الصحيفة ان قادة هذه العصابات أبلغوا الحكومة الإسرائيلية بأنهم لن يتمكنوا من فرض سيطرتهم على جنوب لبنان في حال انسحاب القوات الإسرائيلية من المنطقة على وجه السرعة .

ومن ناحية أخرى فان قادة القوات الصليبية عمموا على كافة مخاتير القرى النصرانية في قضائي جزين وصيدا أن يقوموا بإحصاء شامل لعدد النصارى وعدد الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٧ و ٣٥ سنة حتى يتم استدعاؤهم الى المعسكرات الصليبية في الجنوب . وطلب من المخاتير أيضاً ان يقدموا لوائح بأسماء الشباب النصارى الذين يعملون في مدينتي صيدا وصور وفي مؤسسات خارج قراهم [٩٤] .

وفي الاطار نفسه فقد تم اجتماع بين ضباط اسرائيليين قدموا من سراي صيدا يرافقهم ضابط استخبارات برتبة عالية جداً والتقوْا مع عدد من مسؤولي حزب الكتائب في منطقة عبرا القريبة من صيدا في النصف الأول من جمادى الثاني ـ آذار وزودوهم بخرائط عسكرية حددت عليها المواقع والمناطق المطلوب قصفها اثناء المعارك المرتقبة بين القوات الصليبية والمسلمين . وبعد الاجتماع اتصل الياس كساب وهو احد مسؤولي حزب الكتائب في الجنوب ببعض المسؤولين العسكريين في الحزب أيضاً وأمرهم بتوزيع ٣٥٠ بندقية ـ ام ١٦ ـ على بعض القرى النصرانية في دير الزهراني وعدد من مدافع الهاون ١٢٠ و ٨٢ .

وأكد المسؤول الكتائبي نجاريان ان قواته ستلجأ الى خطوات عملية تكفل أي هزيمة لهم كما حصل في منطقة الشحار وقال انه تم حسم العلاقة نهائياً مع اسرائيل وأن مؤتمر جزين ما هو إلا بداية منطقية لإقامة علاقة متينة معها ورفض اية سياسة انتهازية في قيادة القوات [٩٥] .

في ٢١ رمضان ١٤٠٤ هـ ـ ٢٠ حزيران ١٩٨٤ م تشكل « المجلس السياسي للتجمع المسيحي الحر » من ستة عشر عضواً بينهم المطران اغناطيوس رعد ونزار نجاريان . وقد أصدر المجتمعون بياناً جاء فيه ان هذا المجلس السياسي « يمثل المناطق والأشخاص والفاعليات المسيحية وهو الناطق باسم هؤلاء المسيحيين لابراز مواقفهم ورأيهم » . واكد نجاريان انه « لم يبق امامنا سوى الخيار الاسرائيلي ، من هنا علينا

التعامل مع اسرائيل واقامة علاقات مميزة ومتينة معها » [٩٦] .

هـذا وقد تـوجت القوات الصليبيـة أعمالهـا العدوانيـة ضد المسلمين بفتـح مكتب لهـا في القـدس المحتلة وعينت بيـار يـزبـك مسؤولاً . واكـد نعوم فرح ، رئيس جهـاز العلاقـات الخارجيـة في القوات الصليبيـة ، « أن لهـذا المكتب دوراً أوسع وأشمـل وأكبـر واسمـه « الـوكـالـة اللبنـانيـة المسيحيـة » . وأضاف : « انـه نـظراً الى ضمـان فـاعليـة اكبـر لـدور هـذا المكتب ارتئي ان يكون في القدس [٩٧] .

بيـار يـزبـك ، رئيس المكتب ، اعلن من جهتـه ان « هـذه الممثليـة تعتبـر من الناحيـة الاستراتيجيـة الخطوة الأولى نحـو تسويـة مشكلـة الشـرق الأوسط (مشكلة الأقليـات) او على الأقل محـاولة حلهـا » . وأضاف « ان على الأقليـات الأخرى ان تحـذو حذونـا ، وسوف نمـد لهم أيدينـا . . اننا نـأمـل أن تحـذو طـوائف أخرى غيـر مسيحيـة في الشـرق الأوسط حـذو مبادرتنا ، وليس لـدينا اعتـراض على ان يتحول مكتبنـا الى قـاعـدة مشتركـة لكل الأقليات في المستقبل » [٩٨] .

هذا وقد طلب احد اركان القـوات الصليبية الى بيـار يزبـك تحديـد موعد بشمعون بيريز ، زعيم المعارضة الاسرائيليـة ، وذلك بهـدف التعرف على الحـدود التي قـد يبلغهـا اي تغييـر في المـوقف الاسـرائيلي حيـال التعامـل مـع القوى الحليفـة في لبنان اذا مـا تسلم حزب العمـل الاسرائيلي المعارض مقاليد السلطة [٩٩] .

وفي اوائـل تمـوز ١٩٨٤ م ـ شـوال ١٤٠٤ هـ وبعـد ان احتجـزت اسرائيل الباخرة « اليـزور بلانكـو » وهي في طريقهـا من لارنكا الى بيـروت واقتـادتها الى ميناء حيفا حيث اجرت تحقيقاً واسعاً مع الـركاب ، شـارك بيـار يـزبـك في هـذا التحقيق الـذي اجـراه الصهـاينـة مـع ركـاب الباخرة [١٠٠] .

وأخيـراً جاء تصـريح فـادي افرام متـوجاً هـذا التحالف بـدعوتـه إلى اتحـاد مسيحي ـ يهودي . لقـد تحولت بيـروت الشرقيـة الى وكر للتجسس ومـركز للتـآمـر على المسلمين ، وأصبحت الـوفـود الاسـرائيليـة تفـد اليها بـاستمـرار ، وتجتمـع مـع قـادة الصليبيين في المجلس الحـربي الكتـائبي لوضع الخطط اللازمة لذلك .

التلهي بالحوار : تظاهر بالسلم واستعداد للحرب

ان النظام الماروني لا يلجأ الى الحوار الا عند الشدة وذلك من أجل تفادي خطر السقوط ومن ثم الإعداد لمعارك جديدة .

وهكذا فبعد حملة التدمير والتهجير التي شهدتها مناطق المسلمين ولا سيما في الضاحية الجنوبية ورأس النبع عاد سفاكو الدماء من جديد الى نغمة الحوار والمفاوضات ، ثم استجابت « القيادات » لهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فذهبوا جميعاً الى سويسرا (*) حيث اتفقوا على ان لبنان هو بلد عربي ، ثم عادوا الى ارض « الوطن » وتجمعوا في « حكومة الوحدة الوطنية » لحل المشاكل العالقة عن طريق الحوار وبالوسائل السلمية .

لقد أدرك الجميع أن التحديات المفروضة على المسلمين لا يمكن مجابهتها عبر هذه القيادات الطفيلية . فان المؤامرة كبيرة ، وهذه القيادات هي جزء من المؤامرة ، والقضاء على المؤامرة لا يكون عبر هذه الدمى .

(*) مؤتمر جنيف في ٢٦ محرم ١٤٠٤ هـ - ٣١ تشرين الأول ١٩٨٣ م ، ومؤتمر لوزان في ١٠ جمادى الثاني ١٤٠٤ هـ - ١٢ آذار ١٩٨٤ م .

إن كل جلسات الحوار « الودية » طوال عشر سنوات لم تتمكن من إعادة مخطوف واحد أو مهجر إلى بيته ، ولم تؤد إلى بلسمة جراح المشردين والمستضعفين الذين فقدوا كل شيء ، بل على العكس فإنها كانت تؤدي باستمرار إلى ترسيخ جذور النظام الماروني ، فهذا أمين الجميل يعلن أن « من الضروري لمصالح المسلمين والعرب أن يكون رئيس لبنان مسيحياً » .

بيار الجميل انفجر غاضباً في وجه إحدى الأمهات اللواتي قابلنه في قصر منصور أثناء عقد جلسات الثقة لـ « حكومة الوحدة الوطنية » نافياً علاقته من قريب أو بعيد بمسألة الخطف والمخطوفين . فيما أكد تقرير « الاتحاد الدولي لحقوق الانسان » على وجود ألف وخمسمئة مخطوف في مراكز الاعتقال الكتائبية في المجلس الحربي وثكن القوات الصليبية في ضبية ، ادونيس ، عمشيت ، غوسطا ، المشرق ، الرميلة وبعبدا . وقد رفض فادي افرام اطلاق سراح أي معتقل بعد أن اعترف بوجود مئة وعشرين معتقلاً بحجة المحافظة على كامل الأوراق في يده لاستخدامها حين يشاء (١٠١) . وهكذا فإن قضية الف وخمسمئة مسلم تحولت الى « لجنة متابعة » والدولة المارونية دمرت الضاحية في بيروت بينما لاتزال « القيادات » تطالب بـ « حقوق الطوائف » والحصول على الوظائف وزيادة عدد مقاعد مجلس النواب كما لو كانت دولة مارون دولة شرعية تعطي الحق لأصحابه .

﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ - سورة النساء ٦٠ و ٦١ - .

ما هي بواعث تشكيل حكومة الوحدة الوطنية ؟

رافقت عملية تشكيل « حكومة الوحدة الوطنية » في شعبان ١٤٠٤ هـ ـ أيار ١٩٨٤ م حملة تضليل وثرثرة مطولة في الصحف والإذاعات المحلية والأجنبية ، وكلها تتحدث عن « اعطاء المسلمين حقوقهم واعطائهم نصيباً اكبر في السلطة » وذلك من أجل ايهام المسلمين بأنهم ربحوا المعركة وأنه لا بد بالتالي من القاء السلاح . وحقيقة الأمر أن الهدف من تشكيل هذه الحكومة هو تثبيت النظام الماروني بعد الهزات التي تعرض لها ومصادرة الانجازات التي حققها الثوار المسلمون بتحرير بعض المناطق من الهيمنة المارونية ، وجعل هذه الخطوة ليست ذات تأثير يذكر على هيكلية النظام ، وذلك بعدة طرق هي :

ـ تسليط الأضواء على أشخاص معروفة سجلاتهم وإعطائهم حجماً اكبر من حجمهم واعتبارهم رجال ثورة ومن ثم استيعابهم وتوظيفهم وزراء في الحكومة لإغرائهم بالسلطة .

ـ تشجيع الفوضى في بيروت الغربية وترويع الناس بالإنفجارات بشكل يومي ، ومن ثم اثبات أن النظام الماروني هو خير نظام لحكم لبنان وأنه من الأفضل التعاون مع الدولة وتأييد جيشها .

ـ الحصول على الوقت الكافي لإعداد العدة من جديد والتحضير لمعارك جديدة ، وليس أدل على هذا الأمر من جولة فادي افرام في اميركا في نفس الفترة التي تشكلت فيها الحكومة داعياً الى قتال المسلمين .

ـ تكريس التبعية الإقتصادية في المناطق الاسلامية الى المناطق النصرانية عبر الحرب الإقتصادية .

وقبل أن نتحدث عن هذه الأمور بالتفصيل ، تجدر الإشارة الى المجزرة الجماعية التي وقعت في ١٢ رمضان ١٤٠٤ هـ ـ ١١ حزيران ١٩٨٤ م نتيجة إقدام القوات الصليبية على القصف المركز والمفاجىء على مناطق بيروت الغربية والضاحية الجنوبية ، وطوال نهار كامل انهمرت القذائف بغزارة على الأحياء الآمنة وحصدت ثمانين قتيلاً أما عدد الجرحى فقد بلغ المئات .

جولة فادي افرام في اميركا

في الوقت الذي كانت فيه جلسات الحوار منعقدة في بيروت توجه فادي أفرام الى اميركا للإعداد لمجازر جديدة .

ان النظام الماروني طرح موضوع الحوار من أجل جمع الشمل ليس إلا ، ففي حزيران ذهب قائد القوات الصليبية في جولة الى الولايات المتحدة الأميركية لحثها على التدخل وإرسال حملة صليبية جديدة الى لبنان بعد أن اضطرت لترحيل قواتها في جمادى الثاني ١٤٠٤ هـ ـ آذار ١٩٨٤ م اثر عملية الاقتحام التي قام بها أحد المجاهدين ضد مركز القيادة التابعة لها قرب مطار بيروت وأدت العملية الى سقوط حوالي ثلاثمئة أمريكي . وكم هي كثيرة أوجه الشبه بين فادي افرام وسلفه بطرس الناسك الذي كان يجوب اوروبا منذ تسعة قرون داعياً الى الحروب الصليبية .

في ١٧ رمضان ١٤٠٤ هـ ـ ١٦ حزيران ١٩٨٤ القى فادي افرام كلمة امام « الجمعية العامة لشبكة الاذاعات المسيحية » في ولاية فرجينيا قال فيها « ان الوجود المسيحي في الشرق بات اليوم مهدداً بالابادة . وأن الشرق الأوسط لم يعرف يوماً تسوية مشكلة العلاقة بين أقلية فيه واكثرية ، بل ان العالم الاسلامي تجاهل هذه المسألة او عالجها بطريقة

قهرية تتجاهل حقوق الأقليات الدينية والثقافية والسياسية وتجعلها من أهل الذمة » . وتابع يقول : « ان الراديكالية الاسلامية في لبنان تعتمد جميع أنواع الحملات ضد المسيحيين من ارهاب واعتداءات على الكنائس وقتل الرجال والنساء المسيحيين وتهجير المسيحيين من أرضهم ، كما حصل في الشوف ، وبيروت الغربية ومناطق أخرى » .

وكما يبدو من الكلام فان فادي افرام يرسم صورة مقلوبة عن الأوضاع في لبنان ويزيف الحقائق لأن حملات الابادة التي يتحدث عنها انما هي الحملات التي يشنها الموارنة الذين يتحدث فادي افرام باسمهم ضد المسلمين .

وتابع : « هناك في المنطقة حركة معادية للمسيحيين وللغرب تظهر في الهجمات والاعتداءات على مسيحيي لبنان وقراهم وكنائسهم واملاكهم وتجمعاتهم . وان القوات اللبنانية (الصليبية) هي واحدة من الأجوبة والردود على هذا السلوك غير العادل في هذه المنطقة من العالم » [١٠٢] .

ووجه كلامه الى الجمعية العامة لشبكة الاذاعات المسيحية قائلاً : « نحن نريد ان ننذر العالم من حدة التصرفات ونطلب دعمكم المعنوي والسياسي » .

وفي معرض حديثه قال مدافعاً عن اسرائيل والسفارة الأميركية وقواته الصليبية ان دولاً مثل ايران وغيرها ، حملت الإرهاب الى لبنان ضد السفارة الأميركية ومقر « المارينز » وضد رئيسه وشهيده وشيخه بشير الجميل وقواته الصليبية « وضد اسرائيل والطوائف المسيحية في لبنان ومصر والسودان ومناطق أخرى » .

وادعى « ان المسيحيين في لبنان التزموا الدفاع عن حقوقهم وميراثهم في لبنان » ، وان القوات الصليبية « تولت المسؤولية التاريخية

في الدفاع عن الوجود المسيحي الحر في لبنان والشرق الأوسط . فنحن مسيحيو لبنان نريد العيش في بلد يسمح بالحرية وحق امتلاك شخصية مميزة ثقافياً وحضارياً وامتلاك حق الحماية الجسدية » . وبعد ان اعتبر النهج الصليبي الذي تتبعه قواته حضارة يجب أن تعيش ، زعم « ان الشرق الأوسط كان مسيحياً ، لكن الاسلام أخذه وبسبب الاضطهاد والمذابح وغير ذلك مما تعرض له المسيحيون أصبح هؤلاء أقلية بأنماط معينة من الحياة الإجتماعية والسياسية في المنطقة . ولبنان هو اليوم المعقل الأخير لمسيحيي الشرق من ارمن تركيا وأقباط مصر وسريان وكلدان ايران وسوريا . وهو البلد الوحيد في المنطقة حيث لا تزال للمسيحيين هوية مميزة » .

اضاف « ان المسيحيين في لبنان يريدون ان يكونوا احراراً في ان يختاروا وفي ان يخطئوا وهم يريدون أن يشاركوا الغرب حضارته ، وأن يكونوا جسراً بين الشرق والغرب ، وهم لا يريدون أن يطردوا من لبنان ولا من المنطقة ، وهم لا يريدون العيش في خوف دائم ، ولهذا نحن نسعى الى انشاء مؤسسات وضمانات تساعد على تخفيض حجم قلقنا وخوفنا » .

ومعنى هذا كله أن فادي أفرام يريد تصفية الوجود الاسلامي في لبنان لكي يزول قلق الصليبية وخوفها ويصبح لبنان دولة مارونية نقية من العنصر الإسلامي ويكون جسراً تعبر عليه الصليبية من الغرب إلى الشرق .

ولهذا فقد دعا في ختام كلمته اعضاء الجمعية العامة لشبكة الإذاعات المسيحية في فرجينيا الى « التعاون من أجل مساعدة لبنان معنوياً وسياسياً » كما قال . وأوضح لهم « يمكنكم مساعدة لبنان بحث حكومتكم والسعي إلى إعادة الاستقرار والديمقراطية إلى لبنان ، كما يمكنكم الاصرار على أن المسيحيين في لبنان يجب ألا يدفعوا الثمن

مرتين : مرة لأنهم مسيحيون وأخرى لأنهم أصدقاء الولايات المتحدة » [١٠٣] .

وعلى أثر هذه الزيارة التي قام بها فادي افرام الى أميركا فقد وصل ستمائة من المشاة الأميركيين الى بيروت الشرقية عبر قبرص للقيام بعمليات انتقامية ضد مجاهدي الشعب المسلم وذلك بالتنسيق مع القوات الصليبية .

وقد انكشف التورط الأميركي المجرم في مجزرة بئر العبْد التي نفذتها المخابرات اللبنانية بإشراف أمين الجميل نفسه في ١٦ جمادى الثاني ١٤٠٥ هـ ـ ٨ آذار ١٩٨٥ م ، وذهب ضحيتها مئة وخمسة شهداء ومائتي جريح .

الحرب الإقتصادية

لا شك أن الصليبية الحاكمة في لبنان اتبعت ومنذ زمن بعيد نفس السياسة التي أوحت بها بروتوكولات حكماء صهيون ، ولذلك فقد سعت جاهدة الى خلق الأزمات الإقتصادية من أجل صرف الناس الى مصالحهم المادية وإلهائهم بأمورهم المعيشية وتجويعهم إذا أمكن .

قبل الإجتياح الصليبي ـ الصهيوني عام ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م كان الوضع الإقتصادي يسير في طريق الإنهيار ولو بخطى بطيئة ، فقد كانت العصابات المارونية تفرض رسومها الخاصة على البضائع المستوردة عبر مرفأ بيروت وتتمتع بسيطرة مطلقة على عائدات هذا المرفأ بالإضافة الى مرافئها الخاصة .

وكانت هذه المبالغ تستخدم لتمويل التدريب العسكري في المدارس ، ولشراء عدة الحرب التي امنت غنى القوات الصليبية واستمراريتها .

رسوم الإسمنت في شكا كانت تدفع لعصابات فرنجية التي تسيطر على المنطقة ، ثم للقوات الصليبية على حاجزهم الجمركي الخاص في البربارة وقد ضاعفت هذه القوات رسومها على البنزين والمازوت مرات عديدة .

يعترف المسؤولون الماليون للقوات الصليبية عام ١٩٧٩ م بأن عائداتهم ارتفعت الى مئة مليون دولار في السنة . بعض البنوك الخاصة كانت تقدر المبلغ بثلاث مئة مليون تقريباً . ومنذ ذلك التاريخ بدأ الدولار الأميركي يتجاوز سعره الاعتيادي (٣ ليرات) وبدأت الليرة اللبنانية تتراجع أمام بقية العملات .

بعد الإجتياح الصليبي ـ الصهيوني بدأ الوضع الإقتصادي يتخذ أشكالاً خطيرة ويسير بسرعة نحو الهاوية ، ذلك ان سيطرة القوات الصليبية على المرافق الإقتصادية أدت الى احداث أزمة اقتصادية لم يسبق لها مثيل فقد تولت هذه القوات عمليات التصدير والإستيراد مما حرم الخزينة من المردود المالي وتراجع حجم الصادرات خلال العام ١٩٨٣ والربع الأول من العام ١٩٨٤ م بنسب تتراوح بين ٤٣ و ٦٣ بالمئة [١٠٤] ، وقام حزب الكتائب بإدخال ثلاثمئة شاب مسلح من عناصره الذين قتلوا أعداداً كبيرة من المسلمين وكافأهم بتخويلهم مهمة فرض الخوات ومصادرة البضائع في مرفأ بيروت ، وقد تم توزيعهم على جميع مستودعات البضائع بمعدل عنصرين لكل مستودع . وظيفة هؤلاء التدخل مع موظفي الجمارك وشركة المرفأ في كل شيء ويتصرفون كأنهم رؤساء ويتقاضون مبلغاً من المال عن كل عملية إخراج بضائع إلى أصحابها من المستودعات . وبعد أن يتم تحميل البضائع على الشاحنات بأيدي وآليات شركة وعمال المرفأ يأتي اثنان من حزب الكتائب ويتقاضون « رسوماً » إضافية لهما بوصفهما تابعين لشركة (سونابور) العاملة في المرفأ [١٠٥] .
وقد عمدت قوات الإحتلال الاسرائيلي في جنوب لبنان الى منع انتقال المنتجات الجنوبية الى سائر مناطق لبنان إلا عبر مرفأ بيروت وذلك من أجل إخضاعها لضرائب القوات الصليبية ، ثم جاء القرار السعودي في شعبان ١٤٠٤ هـ ـ أيار ١٩٨٤ م والقاضي بمنع ادخال المنتجات الجنوبية اللبنانية الى الأراضي السعودية ليعطي القوات الصليبية دعماً اضافياً ، فقد نص ذلك القرار المشؤوم على عدم استيراد اي بضائع لبنانية ما لم تكن

مصدقة من السفارة السعودية ، ونصت الفقرة السادسة منه على « منع اي بضائع واردة من الجنوب اللبناني مهما كان نوعها » [١٠٦] ، بحجة تسرب البضائع الإسرائيلية الى الجنوب ، وكأن السعودية دولة معادية لإسرائيل ، هذا في وقت تخوض المقاومة الاسلامية في جنوب لبنان معركة الأمة بكاملها وتحرق البضائع المستوردة من اسرائيل وتهدد التجار الذين يحاولون تسويق المنتجات الإسرائيلية . وكان النظام الماروني قد أقدم على سرقة أموال الخزينة بغية عقد صفقات سرية لحساب الجيش الصليبي .

بعد أقل من سنتين على الحكم الكتائبي المباشر فقدت الليرة اللبنانية حوالي ثلث قيمتها وارتفع سعر الدولار من أربع ليرات في شهر ذي الحجة ١٤٠٢ هـ ـ أيلول ١٩٨٢ م الى ست ليرات في رمضان ١٤٠٤ هـ ـ حزيران ١٩٨٤ م ، هذا قبل ظهور المافيات القائمة على التلاعب بالدولار ورفع الأسعار .

في شوال ١٤٠٤ هـ ـ آب ١٩٨٤ م بدأت رموز الصليبية الحاكمة حرباً اقتصادية رهيبة ضد المسلمين ، وذلك عبر المتاجرة بالدولار على حساب الليرة اللبنانية ، وقد استطاعت من خلالها تأمين التغطية الكافية لعملتها المستقلة من الأموال والعملات الأجنبية ، وفي غضون سبعة أشهر وفي عهد « حكومة الوحدة الوطنية » قفز سعر الدولار الأميركي الى عشرين ليرة فانخفضت قدرة الليرة اللبنانية الشرائية انخفاضاً حاداً وارتفعت الأسعار ارتفاعاً جنونياً ، وتعذر على ذوي الدخل المحدود تأمين الحاجيات الضرورية والمواد الغذائية التي لا غنى لهم عنها .

وقفة مع البطاركة والمطارنة

من الحقائق التاريخية أن البطاركة والمطارنة من موارنة وكاثوليك كانوا وما يزالون من اكبر العاملين على تصفية الوجود الإسلامي في لبنان لا سيما في بيروت وجبل لبنان ، وقد مر معنا كيف أن الكنيسة المارونية استطاعت وفي مناسبات مختلفة أن تدفع بالمشروع الماروني قدماً إلى الأمام ، ومن أجل ذلك ، فقد خاضت حروبها المتكررة ضد المسلمين ، وقادت السياسة المارونية في معظم فترات الحرب والسلم .

ولم تكن الحملة الصليبية المفروضة على المسلمين منذ العام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م مروراً بالاجتياح الصليبي ـ الصهيوني عام ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م بعيدة عن تخطيط البطاركة والرهبان .

كما لم يعد خافياً على أحد ما لهذا الدور من خطورة بالغة تجسدت في حرصهم الكبير على ضرورة الاستفادة من عملية الإجتياح حتى النهاية ودفع عجلة بناء « الدولة الحديثة » إلى حدها الأقصى ، وذلك عبر محاولاتهم الرامية الى تكريس نتائج الاحتلال الإسرائيلي ، وفرض الأمر الواقع على جماهير المسلمين بالقوة .

ولهذا فقد عملوا جاهدين لفرض سلطة « الدولة الحديثة » على

جميع المناطق اللبنانية تحت ستار « الشرعية » ، وعندما أخفقوا في ذلك بدأوا يعقدون الإجتماعات تلو الإجتماعات للبحث في « مصير الوطن » ، و « حقوق المسيحيين » ، وكأن هذه الحقوق لا تعني إلا السيطرة التامة على جهاز الدولة وإبادة المسلمين واغتصاب هذا الوطن من أصحابه الشرعيين .

ومن جهة أخرى فقد اعتبر مجلس البطاركة والمطارنة الكاثوليك ان لبنان هو للنصارى دون سواهم ، وأكد في جلسته المنعقدة في ربيع الأول ١٤٠٤ هـ ـ كانون الأول ١٩٨٤ م ، « أن لبنان يستحيل أن يستمر إن لم يبق للمسيحيين فيه ما لهم من حقوق تاريخية » ، محذراً من أية محاولات للمس بـ « حقوق المسيحيين » .

وحذر المجلس من « المساس بمبادىء يعتبرها المسيحيون مسلمات تاريخية تحفظ لهم وجودهم ودورهم وطنياً وسياسياً وحضارياً » [١٠٧] .

وفي نفس الوقت وضمن إطار هذه اللعبة جددت القوات الصليبية تعهداتها « بالبقاء وفية » لمشاريعها التآمرية ، « وبالاستمرار في الدفاع عن حق المسيحيين في الوجود الحضاري الحر على كل تراب الوطن » ، ووعدت بالتصدي لما أسمته « الهجمة التعصبية التي تجتاح الأوساط الإسلامية » .

بعد أقل من شهرين وفي ١٨ جمادى الأول ١٤٠٥ هـ ـ ٨ شباط ١٩٨٥ م ، عقدت في ذوق مكايل ندوة بعنوان « المارونية أرض وشعب » ، أعلن خلالها الأباتي بولس نعمان « أن مساحة لبنان هي مساحة الحرية عند الموارنة . . فإذا كانت الحرية عند الموارنة محترمة وبخير ، كان لبنان كبيراً وإذا كانت مهانة عندهم كان لبنان في أصغر أحجامه » [١٠٨] .

وفي اليوم التالي ، وضمن احتفال أقيم بمناسبة « عيد مار

مارون » ، في كنيسة مار يوسف الحكمة في القسم المحتل شرقي بيروت ، حضره أمين الجميل وحشد من زعماء الموارنة بما فيهم زعماء « الكتائب » ، والقادة السياسيون والعسكريون للقوات الصليبية ، أعلن رئيس الأساقفة ، المطران الماروني أغناطيوس زيادة في حديث مطول استهله بالترحيب برئيس جمهورية النظام الماروني والدعاء له بـ « السلام والأمان والمحبة » أن « واجب السهر تفرضه على القادة والمسؤولين وعلينا جميعاً تلك المؤامرة المستحكمة . . وبخاصة بعد أن تبين لنا بما لا يقبل الشك بطلان اعتمادنا على الغير ، وشر تحالفاتنا الخداعة مع الأجنبي . . . » ، ـ يقصد تحالفاتهم مع إسرائيل والقوات العسكرية التابعة لحلف الأطلسي ـ ثم توجه الى « صفوف الشباب » ، فأعرب عن حبه لهم واعجابه بما أسماه « النهضة الروحية التي لم تشهد » كنيسته مثلها من قبل ، وأضاف « فإليهم جميعاً نتجه بفكرنا وقلبنا لنعبر لهم عن خالص محبتنا الأبوية ونبدي لهم إعجابنا بما يسعون اليه وتشجيعاً للجهود التي يبذلونها » ، وذكرهم بوصية « يوحنا الرسول اذ يقول : كتبت إليكم أيها الشباب لأنكم أقوياء ولأن كلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير » . وأعرب عن ثقته بأن « قيام ونمو هذه النخبة » من شبابه « الملتزم . . وسقوط الألوف من رفاقهم في ساحة الشهادة دفاعاً عن مقدسات بلادهم وعن الحرية والحق في وطنهم بل في الشرق كله . . . ان ذلك كله لن يذهب هدراً » ، لأن الله يريد أن يطهرهم ويجعل منهم « الشعب المختار الذي تحدث عنه القديس بطرس في رسالته والأمة المقدسة » . وفي الختام أوصى المطران أتباعه بالمحبة لبعضهم البعض وتدبير أمورهم « كلها بالمحبة » حتى يتم لهم « النصر »[١٠٩] .

المقاومة الاسلامية في مواجهة التحالف الصليبي - الصهيوني

لعل قدر جبل عامل وارادة الله أن تجعل من هذا الجبل محطة تاريخية وقلعة اسلامية يتكرر فيها الجهاد . فخلال عهود الإمارة المعنية والشهابية ذاق جبل عام الأمرين من جراء الاعتداءات والخطط المارونية ، وأثناء الاحتلال الفرنسي خدم الموارنة كميليشيا خاصة لقمع الثورة ضد الفرنسيين ، وبعد انقضاء نصف قرن جاء دور الاحتلال الصهيوني ليلقى نفس الدعم والمساندة . هذه هي رواية « التعايش الاسلامي - المسيحي » ، وهذا هو بالذات ما حصل عليه المسلمون في لبنان جراء قبولهم بهذه « الثروة » التي « يجب التمسك بها » .

بعد الاجتياح الصليبي - الصهيوني لجأ الموارنة كعادتهم الى خطة الاستقواء بالأجنبي والبطش بأبناء جبل عامل ، وعقدوا لهذه الغاية اتفاقات سرية عديدة مع اسرائيل وكلها تقضي بسحق المسلمين في لبنان والقضاء عليهم ، ولكن مع بروز حركة المقاومة الإسلامية فإن كل هذه الإتفاقات ذهبت أدراج الرياح ، ولو قدر لها ان تنفذ لأصبح لبنان في خبر كان .

وقد أرادت اسرائيل ضم جبل عامل اليها تحقيقاً للحلم الصهيوني

القديم ، غير أن العمليات الجهادية المتلاحقة التي قام بها الثوار المسلمون ضد القوات والمقرات والمراكز الصهيونية كما جرى لمركز القيادة العسكرية الاسرائيلية في صور في ٢٦ محرم ١٤٠٣ هـ - ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٢ م عندما قام أحد المجاهدين باقتحامه بسيارته المفخخة فدمر المبنى تدميراً كاملاً واعترفت اسرائيل بسقوط ٧٥ قتيلاً ومائة وخمسين جريحاً ، وقد جرت عملية مماثلة في نفس الفترة من العام ١٩٨٣ م ، هذه العمليات أجبرت اسرائيل على اعادة النظر في خطتها وذلك لأول مرة في تاريخ حروبها مع الأنظمة العربية .

حتى معتقل أنصار - قلعة الأحرار - والذي ارادت اسرائيل من خلاله إرهاب الناس عبر الأساليب النفسية ووسائل التعذيب التي كانت تستخدم بحق الأسرى تحول الى قلعة للمقاومة ، وتكاتفت الأيدي بدعاء الوحدة وعلت الأصوات بالتكبير مما جعل اليهود يشعرون أنهم هم الأسرى في أيدي من أسروهم .

وكان الموارنة شركاء اسرائيل في اعتقال المجاهدين وإخضاعهم لأبشع أنواع التعذيب النفسي والجسدي ، وكما أسلفنا فقد كانت ثكن القوات الصليبية تعج بالمعتقلين الذين لا ذنب لهم إلا أن قالوا ربنا الله .

في السادس من محرم ١٤٠٤ هـ - ١٣ - ١٠ - ١٩٨٣ م وجه سعد حداد رسالة الى القادة الصهاينة طالبهم فيها بتحويل جنوب لبنان الى منطقة مارونية ، تماماً كما اقترح سلفه بشارة الخوري على الصهاينة عام ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م « تفريغ هذه المنطقة من المسلمين الشيعة » لأنهم « حاجز يجب إزالته » ، في حين كان البطريرك الماروني انطون عريضة والمطران مبارك يطالبان دون حياء بضم جبل عامل الى فلسطين والحاقه بدائرة النفوذ الصهيوني تخلصاً من ثقله السكاني .

هذا وبعد قطع طريق الساحل والمعابر المؤدية الى الجنوب

وإحكام الحصار على أيدي القوات الصليبية طلب زعماء الموارنة من اسرائيل تهجير المسلمين من جبل عامل وتضييق الخناق عليهم .

بعد مؤتمر جزين قامت اسرائيل بتسليم الأمن في مدينة صيدا إلى العصابات المارونية ، وفي هذه الأثناء كان سعد حداد قد توفي في إحدى مستشفيات إسرائيل ، فخلفه أنطوان لحد الذي وصل إلى الجنوب على رأس قوة جديدة ، وهو ضابط متقاعد في الجيش اللبناني ، ثم دعا للتعبئة العامة في قرى النصارى في جزين وغيرها ، وأمر بتجنيد رجالها القادرين على حمل السلاح للعمل في صفوف قواته التي حملت إسم « جيش لبنان الجنوبي » ، ثم بدأ وبالتعاون مع مسؤولي حزب الكتائب في الجنوب نزار نجاريان والياس كساب بتوزيع السلاح بكثرة على قرى النصارى ، وبإعادة تنظيم شاملة لكافة العصابات المارونية المتواجدة على أرض الجنوب والبقاع الغربي ، لكي تكون على أهبة الاستعداد لقصف القرى الثائرة ، والمواقع التي يحددها لهم الصهاينة ، وبهذا الخصوص فقد وصل داني شمعون الى المنطقة وبدأ إتصالاته . وكم كانت فرحة الموارنة عظيمة عندما أعلنت إسرائيل عن انجاز نفق يؤمن نقل ١٥ مليون متر مكعب سنوياً من مياه نهر الليطاني إلى داخل فلسطين المحتلة . وكان ذلك في الأسبوع الأول من شهر رجب ١٤٠٤ هـ - نيسان ١٩٨٤ م .

ومما لا ريب فيه أن الموارنة والصهاينة اتفقوا على وجوب اخراج المسلمين من جبل عامل والقضاء على الوجود الإسلامي هناك اذا أمكنهم واقتسام ذلك الجبل فيما بينهم .

وكان انطوان لحد ، خليفة سعد حداد ، ورفاقه في القوات الصليبية يعملون ضمن هذا الإطار بتوجيهات مباشرة من زعماء الموارنة في بيروت بما في ذلك أمين الجميل الذي لم تنقطع اتصالاته وعلاقاته مع أولياء نعمته في تل أبيب والذي رفض إلا أن يكون حليفاً لهم حتى النهاية ،

عله بذلك يتمكن من رد الجميل الذي أدوه اليه بحمله على دباباتهم الى كرسي الرئاسة .

من هنا نفهم لماذا أن النظام الماروني والذي يملك جيشاً تعداده أربعون ألفاً لم يقدم من أجل التحرير شيئاً ، ولم يساهم بجزء بسيط من المليارات التي سرقها من أموال الشعب في سبيل تسليح هذا الجيش وتأمين حاجياته ، وإعطاء أفراده رواتب خيالية ، مقابل خضوعهم للأوامر القاضية بإبادة المسلمين . ويكفي ان نذكر ان راتب النقيب في الجيش اللبناني على سبيل المثال لا الحصر بلغ في أوائل عام ١٩٨٤ م ٧٥٠٠ ليرة فضلاً عن المكافآت والتعويضات ، مع الإشارة الى أن هذا الراتب لم يتعد في أوائل العام ١٩٨٣ م ٢٥٠٠ ليرة ، أي ان الزيادة على رواتب أعضاء الجيش بلغت وفي أقل من عام واحد ثلاثمائية بالمئة هذا في وقت كان الحد الأدنى للأجور لا يزيد عن ١٢٥٠ ليرة ، وكان سعر الدولار لا يتجاوز الخمس ليرات .

وبعد أن عجز النظام الماروني عن فرض الاتفاق الصليبي - الصهيوني ، المعروف باتفاق ١٧ أيار ، على المسلمين ، عمد من جديد إلى إجراء مفاوضات مع الصهاينة في الناقورة قرب الحدود الدولية بحجة التفاهم سياسياً على الإنسحاب ، وذلك من أجل أن يرث الجيش الصليبي والذي أصبح بمعظمه جيشاً كتائبياً ، السيطرة على المناطق التي يحررها المسلمون بدمائهم ، غير أن المقاومة الإسلامية وبإمكانياتها الذاتية والمتواضعة استطاعت أن تفشل المفاوضات وأن تربك النظام الماروني الذي أبدى حرصه على استرضاء اسرائيل التي وجدت نفسها عاجزة عن إحراز أي تقدم على طاولة المفاوضات .

وكانت عملية تأديب القرى التي أعطت لأول مرة في تاريخ لبنان المعنى الحقيقي للاستقلال قائمة على قدم وساق .

في بداية أيلول ١٩٨٤ م تسلمت العصابات المارونية مهمة « حفظ

الأمن » الصهيوني وملاحقة الثوار المسلمين في منطقة النبطية ، بلدة العبقري المؤمن ، حسن كامل الصباح (*) .

وفي الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة ١٤٠٤ هـ - ٢٠ أيلول ١٩٨٤ م ، ورداً على تصاعد عمليات المقاومة الإسلامية ، هاجمت قوات أنطوان لحد وبالتعاون مع قوات العدو الصهيوني بلدة سحمر في البقاع الغربي وقتلت اثني عشر مسلماً من أبنائها وجرحت العشرات ، بالإضافة الى تدمير بضعة منازل ، وفي مقابلة مع صحيفة « النهار » اللبنانية أعلن أنطوان لحد رسمياً مسؤوليته عن هذه المجزة البشعة .

وكذلك شهدت جميع مدن وقرى جبل عامل مجازر رهيبة ومعارك دامية واعتقالات بالجملة .

وقامت قوات التحالف الصليبي - الصهيوني بتهجير منظم لقسم كبير من السكان وإبادة القسم الآخر وتجويع القسم المتبقي .

وفي منطقة الشريط الحدودي أجبرت هذه القوات المسلمين على ترك بيوتهم ومنازلهم وجميع امتعتهم بغية اسكان عائلات مارونية مكانهم ، واعتمد الصليبيون والصهاينة خطة عزل القرى وحصارها وتجويعها عبر جرف البساتين وحقول الليمون ، واكساد مواسم الحمضيات وهي عناصر تشكل عماد الإقتصاد الجنوبي .

كانت العمليات الجهادية قائمة بالليل والنهار ، وكان الصهاينة وحلفاؤهم يردون على كل عملية بتدمير المنازل وقصف الآمنين ودهس

(*) حسن كامل الصباح صاحب التفوق المطلق والمخزون العلمي الهائل والتراث غير المنشور ، ولد في بلدة النبطية في ١٦ آب ١٨٩٥ م . كان من اكبر المخترعين ، وقد بلغ ما سجله من اختراعات اكثر من سبعين اختراعاً ، كلها على جانب عظيم من الأهمية ، استشهد في نيويورك في ٣١ آذار ١٩٣٥ م .

السيارات بمن فيها ، وإطلاق النار عشوائياً على المواطنين دون سابق إنذار .

مع بداية عام ١٤٠٥ هـ بدأت اسرائيل تشعر بتضعضع جيشها وانخفاض معنويات جنودها بشكل خطير ، وعندها بدأت تلملم قواتها استعداداً للرحيل . وفي كل مرة ينسحب الصهاينة من إحدى المناطق كان النظام الماروني يشكو ويتعتب على اسرائيل بأنها تنسحب دون تنسيق واضح مع قيادة الجيش اللبناني .

وأمام صمود المقاتلين وشدة مقاومتهم اتخذت الحكومة الإسرائيلية في ٢٢ ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ - ١٤ كانون الثاني ١٩٨٥ م قراراً بتنفيذ الإنسحاب على مراحل .

وإسهاماً منها في حملة التضليل والافتراء ، عمدت منظمات اليمين واليسار على اختلاف انواعها وأشكالها إلى إلصاق صفة « الوطنية » - الصنم - بالمعركة المصيرية التي يخوضها ابناء جبل عامل ، وقرر النظام الماروني أن يلهث مع اللاهثين ، فسارع عبر ممثليه وأجهزته الإعلامية إلى تسليط الأضواء على « دعم الجنوب والمقاومة الوطنية » . ولا عجب في ذلك فان المتحدثين باسم « جبهة المقاومة الوطنية » كانوا هم أنفسهم متورطين في المفاوضات الخيانية مع العدو الصهيوني. ولما كانت « جبهة المقاومة الوطنية » متمثلة ببعض الوزراء فهي في حقيقتها إذن جزء لا يتجزأ من النظام الماروني المتحالف مع اسرائيل . ومهما قدم أصحابها من أعذار فان عملياتها ونشاطاتها مجيرة لخدمة موقع النظام الماروني في نفوس الناس . علماً ان الصهاينة اعترفوا مرات عديدة أن الذين يتصدون لجيش الاحتلال الاسرائيلي هم من مجاهدي المقاومة الاسلامية ليس إلا .

إن مصيبتنا مع أدعياء الوطنية أنهم ليسوا فقط رسل الاستعمار

الثقافي والسياسي الى بلادنا بل أنهم كلما لقنهم الإستعمار بدعة اعتقدوا جازمين أنهم ارتقوا درجة في سلم التطور وهم لكثرة ما حفظوا من بدع حسبوا أنفسهم أنهم استأثروا بعلم الغيب وأحاطوا بعلم المجهول واطلعوا على أسرار التاريخ ، وصاروا ينظرون الى الدنيا من عل ، وهم مع ذلك متحضرون و « تقدميون » ويبكون دماً على أوطانهم .

﴿ وما يتبع اكثرهم إلا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ - يونس ٣٦ - .

﴿ انما تعبدون من دون الله اوثانا ﴾ - سورة العنكبوت ١٧ - .

ان الكفر ملة واحدة وإن تعددت طرقه وتغيرت شعاراته ، والبدعة تبقى بدعة مهما تلونت وتزينت ، والصنم يبقى صنماً مهما اتخذ له من أسماء . فالقومية صنم ، والإقليمية صنم والوطنية صنم ، والديمقراطية صنم ، والاشتراكية صنم ، ودعاتها كلهم عبدة أصنام .

﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ - سورة النجم ٢٣ .

ومن عجائب « الوطنية » و « القومية » أن دعاتها كثيراً ما ينقلبون بين ليلة وضحاها فبينما يكون الشخص « قائداً وطنياً » و « زعيماً قومياً » يصبح فجأة عميلاً منبوذاً ، ثم ان الكثيرين من العملاء يتحولون كالبرق الخاطف الى « زعماء وطنيين » و « قادة تاريخيين لأمتهم وأوطانهم » . فسليمان فرنجية مثلاً الذي بقي « انعزالياً » حتى العام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م تحول فجأة إلى زعيم وطني يحمل في قلبه هموم أمته ووطنه ، وظل كذلك حتى عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، عندما حضر إلى سويسرا للإشتراك في مؤتمر لوزان كممثل عن « الصف الوطني » ، ولكن حين طرحت مسألة الحد من صلاحيات رئيس الجمهورية انتفض سليمان فرنجية وبوصفه

مـارونياً للدفـاع عن « مقام الـرئـاسـة الأولى » ، قبـل ان يعلن ممثلو « الكتـائب » عن رفضهم للمشروع ، ومنـذ تلك اللحظة وقبل أن يعود الى « وطنه » و « شعبه » فقـد فرنجيـة وسام العـروبـة والـوطنيـة . مهـزلـة من المهازل .

وبعـد فإننـا لا ننسى أن أدعياء الـوطنيـة هم الـذين اتهمـوا إسـرائيـل بتفجير السفـارة الأميركية في السادس من رجب ١٤٠٣ هـ - ١٨ نيسان ١٩٨٣ م ، وذلـك من أجل تجاهـل أو تحجيم الـدور الإسـلامي الفـاعـل على السـاحة والتقليل من أهميته ، وصـرف الأنظار عن الـطاقات الجبارة التي يمنحهـا الإسلام لأتباعه في العمـل والحركـة ، وإخضاع اكثر الدول تقدماً في فنون إبادة المجتمعات وتدميرها .

نعـود إلى دور المقـاومـة الإسـلاميـة ، ففي منتصف جمادى الأول ١٤٠٥ هـ هاجم أحد المجاهدين قافلة اسرائيلية ، بسيارتـه المحملة بزهـاء ٤٠٠ كلغ من المـواد المتفجرة ، على طـريق صور - البـرج الشمـالي أدت العملية إلى سقوط اكثر من ١٦٠ جندياً اسرائيلياً بين قتيل وجريح .

وعلى الأثر عمدت قـوات الاحتلال الى اقتحـام مؤسسة جبـل عامـل المهنية وتخريب محتوياتها ، والإعتداء على طلابها بالضرب والقتـل ، كما أقدم الصهاينة على اقتحام سبـع قرى وعـاثوا فيهـا فساداً وقتـلاً وتشريـداً . وبعـد عشرة أيام زفت المقاومـة الإسلاميـة الى جماهيـرها بشرى تحـريـر منطقة صيدا والزهراني ، وعندها بدأت مرحلة جديدة .

بعد تحرير مدينـة صيدا وجـوارها في ٢٦ جمـادى الأول ١٤٠٥ هـ - ١٦ شباط ١٩٨٥ م وانهيار قوات أنطوان لحـد ، وبعد سقـوط الرهـان على إثارة الفتن المذهبية بين المسلمين أيقن المـوارنـة ان اسـرائيل لا قـدرة لها على مجابهة المقـاومة الاسـلاميـة ، وهي غيـر مستعـدة لأن تجـازف حتى النهاية وتضحي بجنودها من أجل أن تحيا دولـة مارون ، وبـدأوا يعيدون

حساباتهم ، ثم اعتمـدوا خطة جـديدة تقـوم على اعادة تـوزيع الأدوار فيمـا بينهم طبقـاً للعبـة العـاقـل والمجنـون ، وذلـك من أجـل ايهـام المسلمين بوجود قـوى متطرفـة وأخرى معتـدلة داخـل القيادة المـارونيـة ، الأمـر الذي يساعدهم على الاستئثار في الهيمنة والتسلط .

في البداية اجتمع أمين الجميل مـع اسحاق مـوداعي ، أحد مسؤولي دفاع العدو الصهيـوني في جديـدة المتن ، حيث جرى البحث بكـل السبل اللازمة والضرورية للحفاظ على سلامة التحالف الصليبي - الصهيوني .

وبمـوجب الخطة نفسهـا فقد تم نـزع فتيـل الانفجـار من اقليم الخـروب ، مؤقتـاً ، ثم أعلن عن فتـح طريق السـاحـل المؤديـة الى الجنـوب ، وصـار مسمـوحـاً للجيش أن يسلك هـذا الطريق للعبـور الى المنـاطق المحررة ، بغيـة تأمين الحـد الأدنى للسيطرة المـارونية على هـذه المنـاطق ، دون أن يشارك في التحـريـر ، ومن دون أن تتـدخل العصـابـات المـارونية مباشرة ، وبـالتالي ارجـاء مسألـة تأديب النـاس الذين لا يقـرون بشرعية النـظام الماروني لشهـر واحد على الأقـل ، ريثما يتم وضـع الخطة اللازمة لذلك ويتأهب سمير جعجع للقيام بمهامه .

في ٢٧ جمـادى الأول ١٤٠٥ هـ - ١٧ شبـاط ١٩٨٤ م تسلل أمين الجميل فجأة إلى صيـدا مع فـريق من زبانيـة حكمه ووزرائـه ، ليسرق من المقـاومـة الإسـلامية بـطولـة التحرير وليـرفع شـارات النصر داعيـاً الى دعم « المقاومة الوطنية » .

ولم يتأخر الرد كثيراً على هذه اللصوصية الوقحة ، ففي اليوم التـالي زحفت جماهير الاسلام الى صيدا في مـظاهـرة استنكـار ضمت عشـرات الآلاف ، هتف خـلالها المتـظاهرون بسقـوط النـظام المـاروني ، وإعـلان الجمهورية الاسلامية .

وتـداعت النصارى واليهـود بالـويل والثبـور ، وكـان التنسيق واضحـاً

فيما بينهم ، ففي ١٢ جمادى الثاني ١٤٠٥ هـ ـ ٤ آذار ١٩٨٥ م فجر الاسرائيليون حسينية بلدة « معركة » في الجنوب مما أدى الى سقوط اثني عشر شهيداً وعشرات الجرحى . وفي ١٤ جمادى الثاني ـ ٦ آذار أعلن فؤاد أبو ناضر قائد العصابات المارونية في حديث مطول « أن القوات اللبنانية (الصليبية) باقية » وأن قضية المشروع الماروني « هي أقدم قضية في هذا الشرق » .

بعد هذا التهديد بيومين وقعت جريمة الغدر الكتائبي في الضاحية الجنوبية عبر تفجير سيارة مفخخة في بئر العبد قرب منزل سماحة العلامة المجاهد السيد محمد حسين فضل الله أدت الى سقوط اكثر من مائة شهيد ومائتي جريح ، وكأن الموارنة ارادوا أن يعبروا لإسرائيل عن تفوقهم في ميدان الاجرام وابادة الجنس البشري .

في ١٨ جمادى الثاني ـ ١٠ آذار اقتحم احد المجاهدين بسيارته المحملة بالمواد المتفجرة قافلة عسكرية اسرائيلية على بعد حوالي مئة متر شمالي مستعمرة المطلة قرب الحدود الدولية ، كانت تضم القافلة ثمانين صهيونياً سقطوا جميعاً بين قتيل وجريح .

وفي اليوم التالي شنت القوات الصهيونية هجوماً غادراً على بلدة الزرارية في قضاء صيدا ، وقدرت الحملة العسكرية بمائة وعشرين آلية مدرعة وأكثر من ثلاثة آلاف عسكري ، بالإضافة الى ثلاث مروحيات عسكرية ، ودارت في شوارع البلدة وأحيائها معارك دامية استمرت حتى المساء ، قام خلالها الجنود الصهاينة بنهب المنازل ونسفها . وقد أسفر هذا الهجوم الوحشي عن سقوط ثلاثة وستين شهيداً وأسر قرابة المئتين ، أما عدد المنازل المهدمة فقد بلغ سبعين منزلاً ، وعلى الأثر صعدت المقاومة الإسلامية من عملياتها البطولية التي أربكت قوات الاحتلال .

في هذه الأثناء كانت العصابات المارونية قد أكملت استعداداتها

الميدانية على الأض ، وجمعت حشودها في منطقة البقاع الغربي وجزين ، وبدأت استفزازاتها في منطقة صيدا لخلق خطوط تماس جديدة ، ولكي تطعن الثوار المسلمين في الظهر .

كما جرى اجتماع بين شمعون بيريز ، رئيس الحكومة الاسرائيلية [١١٠] ، وبابا الصليبية ، المرجع الأعلى للموارنة ، والذي يدعم استمرار التسلط الماروني على المسلمين ويعتبره ضماناً « للحفاظ على الطابع التعددي وحقوق الطوائف الدينية » في لبنان [*] .

في العشرين من جمادى الثاني ١٤٠٥ هـ ـ ١٢ آذار ١٩٨٥ م فرغ الموارنة من البحث والتخطيط ، ثم أعلن سمير جعجع عن انتفاضته المزعومة بالتعاون مع أيلي حبيقة مسؤول المخابرات في القوات الصليبية والمسؤول عن مجازر صبرا وشاتيلا ، بعد اجتماع عقد بين جعجع وحبيقة وصولانج الجميل (أرملة بشير الجميل) من جهة وأحد كبار ضباط الاستخبارات الإسرائيلية من جهة أخرى حيث عرض في هذا الإجتماع تفاصيل الخطة . وأعقب ذلك وصول امدادات وأسلحة وذخيرة كبيرة من اسرائيل الى مرفأ جونية ، وذلك بهدف الحفاظ على الإمتيازات المارونية تحت شعارات « تنظيم المجتمع المسيحي » ، و « احياء القرار المسيحي المستقل » و « انشاء البرلمان المسيحي » و « أمن المجتمع المسيحي » ، في ظل الطروحات الداعية الى إقامة كانتون مسيحي من جسر المدفون الى كفرشيما ، وذلك للضغط على المسلمين ودفعهم الى التخلي عن فكرة إزالة الهيمنة المارونية على البلاد . ثم حول أمين الجميل قصره الجمهوري إلى مقر لـ « المؤتمر المسيحي » وقد حاول

(*) من خطاب للبابا وجهه لوفد مجلس نواب النظام الماروني خلال زيارته للفاتيكان في ٩ رجب ١٤٠٥ هـ ـ ٢٩ ـ ٣ ـ ١٩٨٥ م وقد فضحت الحركة الاسلامية في لبنان في بيان مفصل وزعته على جماهير الاسلام مضمون الخطاب بكامله .

تبرير هذه الحركة معتبراً أن أسبابها تعود الى التطرف في مناطق المسلمين .

فؤاد أبو ناضر قائد العصابات المارونية اعتبر أن القوات الصليبية هي « الإطار التاريخي الوحيد » لما أسماه بـ « المقاومة المسيحية » [١١١] .

بعد تعزيز مكتب القوات الصليبية في القدس بثلاثة ملحقين للشؤون السياسية والعسكرية والإقتصادية ، وبعد اجتماعات مطولة عقدت في المناطق الإسلامية المغتصبة في جزين وجبيل وكسروان بين قادة العصابات المارونية وزعماء الصهاينة ومنهم وزير الدولة الصهيوني اريل شارون ، أعلن الموارنة الحرب على صيدا ، ثم بدأوا بالقصف المركز والمفاجىء ، وتهديد الوجود الإسلامي هناك بخطر التهجير والإبادة برصاص القنص والقذائف الصاروخية ، إضافة إلى إقامة الخنادق والسواتر الترابية واشادة المتاريس والتحصينات بهدف إقامة جبهة عسكرية مفتوحة ودائمة شرقي صيدا لتخفيف العبء عن كاهل حلفائهم الصهاينة . وقاموا بتركيز العديد من الدبابات من طراز « تشرمان » والمدافع المباشرة من عيار ١٠٦ ملم والمضادات . وبعد تهجير ما لا يقل عن خمسين ألف مسلم من قرى عبرا والهلالية والقياعة والبرامية ومجدليون ، قامت عناصر القوات الصليبية بعمليات نهب منظمة للمنازل ونقل محتوياتها وأثاثها باتجاه الجية وجزين ليتم نقلها الى بيروت الشرقية ومنطقة الشريط الحدودي ، وقد قدرت قيمة المسروقات من منازل المسلمين في تلك المناطق الواقعة شرقي صيدا بثلاثة مليارات ليرة .

إثر هذه الحرب المفروضة على المسلمين في المناطق المحررة ، عاودت اسرائيل وبالتعاون مع حلفائها اجتياح المنطقة المحررة في إقليم التفاح في ٢٩ جمادى الثاني ـ ٢١ آذار ، وارتكبت مجازر مروعة في حومين التحتا وعين بوسوار وكفر ملكي ، وحومين الفوقا ، وقامت بتدمير

البيوت ونسف المدارس ودهس السيارات .

أما في جباع ، بلدة الشهيد الثاني (*) ، فقد أقدمت العصابات المارونية وبالتعاون مع الصهاينة على اقتحام المدرسة الدينية ثم أخرجوا طلابها ، واعتدوا عليهم بالضرب واطلاق الرصاص ، وعمدوا إلى تخريب أجهزة المدرسة وإحراق مكتبتها الضخمة ، وبعد ذلك بدأوا باقتحام البيوت السكنية واتلاف المواد الغذائية ، ودهس المهاجمون تقريباً كل سيارات البلدة ، ثم جمعوا الأهالي في الحسينية ودمروا عدداً من المنازل وسرقوا أموالاً وحلى بقيمة ستة ملايين ليرة ، ونهب الصليبيون في جيوبهم كل ما خف حمله ، وقبل رحيلهم كتبوا على الجدران عبارات منها « بشير حي فينا » ، « لن يبقى على أرض لبنان سوى المسيحيين ، لا أمة محمد بعد اليوم أبداً » [١١٢] . وقد ذهب ضحية هذه الحملة اكثر من ثلاثين مسلماً نصفهم من بلدة حومين التحتا .

في الخامس من رجب ١٤٠٥ هـ ـ ٢٦ آذار ١٩٨٥ م ألقى سمير جعجع ، « رئيس هيئة الأركان العامة » في القوات الصليبية محاضرة على طلاب الجامعة اليسوعية في المناطق المحتلة شرقي بيروت ، حدد خلالها الحدود الجغرافية « للتجمع المسيحي » ، وأكد « أن القدرات المالية والإنتاجية والبشرية في هذه المنطقة كافية لإقامة كيان مستقل للتجمع المسيحي قادر على مواجهة كل القوى التي تريد أن تؤثر على القرار المسيحي » [١١٣] .

وهذا يعني بوضوح تكريس الاحتلال الماروني للجزء الممتد من البربارة شمالاً الى المرفأ جنوباً ومن البحر المتوسط غرباً الى مرتفعات

(*) الشهيد الثاني ، من أبرز أعلام الفكر والهداية وهو الشيخ الفاضل الجليل زين الدين علي بن أحمد المعروف بالشهيد الثاني ، ولد في جباع في ١٣ شوال سنة ٩١١ هـ ، واختتمت حياته الطيبة بالاستشهاد عام ٩٦٥ هـ ـ ١٥٥٧ م .

جبيل وجونية وسوق الغرب نزولاً الى كفرشيما والحدث شرقاً ، واعتبار مصير هذه المنطقة منتهياً وغير خاضع لأية مساومات .

هذا وفي الوقت الذي كانت اسرائيل تستعد لانجاز المرحلة الثانية من الإنسحاب القسري ، قامت القوات الصليبية بتحصين مواقعها شرقي صيدا ، وفي هذا الإطار زار سمير جعجع إسرائيل سراً في ١٨ رجب ـ ٧ نيسان ، حيث أمضى يومين وسط حراسات مشددة من الجيش الاسرائيلي ، وأجرى مباحثات مكثفة مع وزير الحرب الصهيوني موشي آرينز وكبار الضباط الاسرائيليين في تل أبيب ، تركزت على دعم قواته ، ثم انتقل إلى مدينة القدس حيث التقى مع وزير خارجية الكيان الصهيوني اسحاق شامير بحضور ممثل « الكتائب » لدى اسرائيل بيار يزبك ثلاث مرات .

وعلم في هذا الصدد أن اسرائيل أكدت مساندتها لجعجع وأن شحنات من الأسلحة الإسرائيلية قد نقلت الى مقر قيادته فور انطلاق هذه الحركة إضافة الى ايفاد ضباط اسرائيليين للعمل مع قواته [١١٤] .

لم يكن سمير جعجع قد غادر إسرائيل حتى باشر « جيش لبنان الجنوبي » بقيادة انطوان لحد في المناطق الخاضعة للاحتلال الصليبي - الصهيوني في جنوبي لبنان ، بفرض التجنيد الإجباري على النصارى الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٣٥ سنة على أن يتم تدريب المجندين في مرجعيون والقليعة تحت إشراف قوات الجيش الصهيوني ، وفي ٢٠ رجب ـ ٩ نيسان تم نقل أربعمائة شاب من جزين الى مرجعيون لتدريبهم [١١٥] .

وفي هذه الأثناء وصلت رسالة من البابا يوحنا بولس الثاني الى « المؤتمر المسيحي » المنعقد في بكركي (٩ نيسان) ، دعى فيها اتباعه في لبنان الى توحيد صفوفهم « ليواجهوا هذه المرحلة الصعبة بموقف

واحد » ، كما قال ، مؤكداً على « حق المسيحيين في عيش آمن وحر » [١١٦] .

بعد انتهاء الإنسحاب الاسرائيلي من البقاع الأوسط والنبطية (١١ نيسان) بيومين ، أقدمت قوات التحالف الصليبي ـ الصهيوني على ارتكاب مجزرة مروعة بحق المسلمين في بلدة يحمر في البقاع الغربي ، وعادت العصابات المارونية الى ممارساتها الحاقدة والموتورة في إقليم الخروب ، وممارسة الخطف على الطريق الساحلية في الدامور والجية ، وقطع طرق الإقليم المؤدية باتجاه الساحل ، وقد شرح سمير جعجع ، في ٢٢ نيسان ، هذه التصرفات قائلاً أن من حق قواته « أن تتواجد في أي مكان تريده » .

إثر الإنسحاب الإسرائيلي من البقاع الغربي وراشيا وجزين في ٥ شعبان ـ ٢٥ نيسان ، حيث ترك الوجود الكتائبي دون غطاء واضح بدأ الثوار المسلمون هجومهم وحرروا اقليم الخروب ومنطقة الزهراني وقرى إقليم التفاح من دنس العصابات المارونية . وعند ذلك تدخل سلاح « الطيران اللبناني » وقصف مناطق المسلمين بوحشية .

وبدأت القوات الصليبية بحملة تحريضية ضد من أسمتهم في اجهزة اعلامها « المسلمون البرابرة » ، تحت شعارات منها « المقاومة المسيحية الشاملة » ، « انقاذ الجنوب المسيحي » ، و « احمل صليبك واتبعني » . وشددت الأوساط الكتائبية على « ضرورة حصول تحرك دولي لا سيما بابوي » لإنقاذ الصليبية المنهارة في لبنان [١١٧] .

كما هدد البطريرك مكسيموس الخامس حكيم ، بطريرك الروم الكاثوليك ، بأنه « اذا لم يكن هناك من مسؤولين يدافعون عن الشعب المسيحي » فليس لهم الا ان يلجأوا « الى القوى الدولية ولا سيما أعلى سلطة مسيحية وهي الفاتيكان » . وتحدث البطريرك الماروني الى زواره الذين قدموا للاحتجاج فقال : « نحن نعتبر أن المسيحية التي ولدت في

هذا الشرق لا يوجد بعد منها موضع الا هذا الوطن الصغير حيث يتمتع المسيحيون بالحرية الدينية التامة »[١١٨] .

وأفاق الباب من غفوته فوجه نداء ملحاً من أجل السلام ودعا زعماء العالم الى وقف دورة « العنف الاجتماعي » وقال انه يسمع « انباء عن عنف أعمى في الجنوب ، في صيدا والقرى القريبة منها » ، وأعلن عن تضامنه مع « السكان المسيحيين » ، وأسفه البالغ « على ايقاع الضحايا البريئة » .

وفي باريس وجه رئيس « الرابطة الدولية لمكافحة العنصرية ومعاداة السامية » ، بيار بلوك ، نداء دعا فيه الحكومات الأوروبية الى التدخل و « بأن لا تصم آذانها حيال المسيحيين المهددين بالإبادة »[١١٩] .

كما طالب أساقفة فرنسا بتدخل « الدول العظمى التي لولاها لما حافظ لبنان على كونه مثالاً للديمقراطية » .

بعد هذه الحملة أعلن سمير جعجع بأنه سيسترد « بالقوة » المناطق المحررة ثم بدأ باعلان التعبئة العامة في المدارس استعداداً « لمواجهة مسيحية شاملة » ، كما دعا القوى الدولية لاحتلال لبنان « والحفاظ عليه كمعقل للمسيحيين في الشرق الأوسط » .

في ٩ شعبان ـ ٢٩ نيسان ، وفي نفس اليوم الذي خرج فيه الصهاينة من صور داهم الصليبيون بلدة مليخ في قضاء جزين ، وعملوا فيها تنكيلاً وتهجيراً واحراقاً لعشرات المنازل والسيارات . كما داهموا المنازل وسرقوا الأموال والمجوهرات وقاموا بطرد الأهالي بعد الاعتداءات عليهم باطلاق النار وتوجيه الشتائم والتعرض لهم بالضرب بالأرجل وأعقاب البنادق[١٢٠] .

كما بدأت العصابات المارونية بإطلاق القذائف والصواريخ على قرى إقليم التفاح : جرجوع ، جباع ، كفرملكي ، كفركلا ، عربصاليم ،

عين بوسوار وحومين الفوقا من مواقعها في جبل الريحان وجبل صافي ومنطقة جزين ومزرعة سجد ، وتمكنت من تهجير الآلاف من قراهم .

ورافق هذه الاعتداءات تفجير عسكري واسع النطاق على خطوط التماس في بيروت حصد العشرات .

في ١٦ شعبان ـ ٦ أيار أعلن وزير الخارجية الفرنسية « ان فرنسا لن تقف مكتوفة الأيدي حيال ما يتعرض له المسيحيون في لبنان » ، وأوضح أن بلاده ستقوم بإجراء اتصالات دولية لإنقاذ القوات الصليبية .
كما أعلن رئيس أساقفة فرنسا « ان مسيحيي لبنان ليسوا متروكين » .
واعتبرت رموز الصليبية في لبنان من جهتها « أن لبنان والمسيحية توأمان ، وأن المسيحية في لبنان وجدت لتبقى » .

وفي نفس اليوم توجه البطريرك الماروني الى روما ليعرض القضية على بابا الفاتيكان ، بابا الصليبية . وبقي هناك شهراً كاملاً .

بعد أيام عثر في اقليم الخروب على مقابر جماعية في آبار مهجورة في الجية ، قرب الكنيسة التي حولها الصليبيون الى مركز للتعذيب الوحشي ، والجميلية ومنطقة مجدلونا وبلدة عميق في البقاع الغربي ، وقد ضمت هذه الآبار جثث مائة وخمسين مسلماً من الذين خطفوا على طريق الساحل وفي منطقة صيدا واقليم الخروب عقب دخول الصليبيين الى المنطقة مع الاحتلال الاسرائيلي عام ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

وأكد الأطباء الذين عاينوا الجثث ان تاريخها يعود الى أربعة أو ستة أشهر . وقد بدت عليها آثار التعذيب والتشويه ، وحملت بعض الجماجم آثار ضربات الفؤوس وطلقات الرصاص .

في ١٩ شعبان ـ ٩ أيار تم استبدال جعجع بإيلي حبيقة ، وذلك في محاولة لتطويق المضاعفات التي نجمت عن جرائم القوات الصليبية في صيدا ومنطقة الزهراني وإقليم الخروب ، واعتبار أن هذه الحوادث

تتعلق بشخص واحد بمفرده ، وقد أعلن حبيقة بعد انتخابه رئيساً « للهيئة التنفيذية » في القوات الصليبية عن اعتماد « الخيار العربي » ، وصيغة « العيش المشترك بعيداً عن منطق الغالب والمغلوب » ، ثم برر تحالف قواته مع اسرائيل بقوله ان لجوء البعض الى « جهات اقليمية معادية للمحيط العربي » هو من اجل الدفاع عن « مصير المسيحيين » .

وبعد اسبوع واحد وجه مسؤول عسكري في حزب الكتائب نداء الى الغرب عبر جريدة الجورنالي الإيطالية جاء فيه :

« ان وضعنا خطير بل يائس ، عليكم في الغرب ان تعرفوا جيداً اننا نمثل آخر معاقل المسيحية هنا ، واذا هزمنا فسوف يزحف الاسلام ولن يوقفه أحد . ما اقوله ايها السادة يهم ايطالياً أيضاً ، وهذه الأيام حاسمة لتحديد شكل التوازن السياسي في حوض البحر المتوسط برمته » . وأضاف المسؤول الكتائبي يقول : « لقد تركنا اصدقاؤنا القدامى لوحدنا ، اسرائيل انسحبت والولايات المتحدة قرفت من لبنان واوروبا تتحرك ديبلوماسياً فقط » (١٢١) .

قبيل حلول الموعد المحدد لإنجاز المرحلة الثالثة والأخيرة من الإنسحاب الاسرائيلي في الأسبوع الأول من حزيران ١٩٨٥ م ، وفي الوقت الذي كانت الأنظار تتجه الى القضاء على النظام الماروني قضاء تاماً استعرت نار الحرب من جديد بين المنظمات المتصارعة على النفوذ في بيروت الغربية . وبسرعة خاطفة نقل المتخاصمون الفتنة ـ أو نقلت بواسطتهم . . ؟؟!! ـ إلى جوار المخيمات الفلسطينية . وبعد أسبوعين من القتال الضاري بين ابناء الدين الواحد والأمة الواحدة سقط سبعمئة قتيل وألفي جريح .

وعلى الأثر استعادت الأقلية المارونية أنفاسها ، واستفادت من الوضع الجديد لإعادة تنظيم صفوفها وتثبيت مواقعها من جديد .

رحماء على الكفار أشداء فيما بينهم ! .

المؤتمر الماروني العالمي الثالث

أعمال المؤتمر

في الأول من شهر ذي القعدة ١٤٠٥ هـ ـ ١٨ تموز ١٩٨٥ م بدأ المؤتمر الماروني العالمي الثالث اجتماعاته في مدينة مونتريال بكندا ، استكمالاً للمؤتمرات السابقة التي عقدت عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ م .

افتتح المؤتمر بالنشيدين اللبناني والكندي وبكلمة ترحيب لراعي الأبرشية المارونية في كندا ، ثم تلا الياس الحايك كتاباً للبطريرك الماروني انطونيوس بطرس خريش الذي تمنى « ان ينجح هذا المؤتمر لما فيه مجده تعالى وخير الكنيسة المارونية وأبنائها » .

ثم تحدث رئيس الاتحاد الماروني العالمي امين عواد بالاسبانية ، فقدم عرضاً تاريخياً عن الاتحاد مشيراً الى ما أسماه « المذابح المنظمة التي لاحقت الشعب المسيحي في لبنان خصوصاً الماروني » ، وحمل بعنف على « النزعات الاسلامية الأصولية المتطرفة التي تريد اقامة جمهورية اسلامية في لبنان بقوة السلاح » مبدياً تخوفه على النظام « الديمقراطي في لبنان » ، وقال بالعربية « ان الحالة اليوم تلزمنا بالوقوف

صفاً واحداً للدفاع عن المارونية » ، وأكد « ان استمرارية المارونية اليوم امر محتم ، على كل فرد ان يعمل لها بالوعي والاتحاد » .

ثم تليت برقية موجهة من رئيس حزب المعارضة الكندي كينيث الى المؤتمر ، يدعو فيها الموارنة الى « ايجاد وسائل لحماية مستقبلهم وبلدهم » . وبعد ذلك تعاقب على الكلام ثلاثة مندوبين كنديين ، فزعموا « ان هناك في لبنان مليون مسيحي يتعرضون لخطر الإبادة » ، وان على « السياسة الكندية في الشرق الأوسط ان تكون سياسة حماية الأقليات المضطهدة » .

واكد النائب الفرنسي جان ماري دوريه رغبة الفرنسيين بمساعدة الموارنة والسعي لتنظيم التأييد الفعال الذي تلقاه « القضية المسيحية » ، وانتقد من يلصق صفة التقدمية بالمسلمين بصورة دائمة .

وتحدث ايضاً جورج عدوان ، الأمين العام للجنة التنفيذية في القوات الصليبية ، فشدد على ان الموارنة « يعقدون آمالاً كبيرة على المؤتمر ويريدونه خطوة نوعية في العمل الجدي المنظم » ، وقال انه « لم يعد مسموحاً التساهل مع من لا يعمل للقضية بكل جدية وعناد واخلاص وايمان » ، واكد عدوان في كلمته على عدم التفريق بين الموارنة وسائر النصارى في لبنان معتبراً ان القضية هي « قضية الوجود المسيحي الحر في لبنان وفي شرق البحر الأبيض المتوسط لأن هناك مخاطر تحدق بهذا الوجود من قبل الاسلام المهيمن » ، وحذر من محاولات تقسيم النصارى « لأن قضيتهم واحدة » ، ودعا الى توحيد الصفوف وصونها وأشار الى ان هناك « تعتيماً على القضية المسيحية في لبنان على الصعيد العالمي » ، مؤكداً « اننا قررنا العمل على تنظيم وجودنا الحر في الداخل والخارج من خلال بناء المؤسسات وتحصينها . . لأن بذلك نحافظ على وجودنا وندافع عن وجودنا ضد

الأخطار ونضمن بقاء هذا الوجود . . » ، وطالب الكنيسة المارونية في لبنان بحمل « لواء الدفاع عن الإيمان والحق والبقاء » معتبراً « انه لم يخسر شعبنا الا يوم تنازلت الكنيسة عن دورها في هذا المجال اذ تقاعست عن القيام به . ثم حمل على « الدولة اللبنانية » لأنها « عاجزة عن حمل القضية » ، ودعا الى « خلق مؤسسة خارجية لطرح القضية المسيحية في العالم » .

واعتبر الأباتي بولس نعمان في كلمته « ان الماروني في لبنان يشكل الجامع التاريخي والانساني الضروري لأي تآلف ما بين الجماعات الطائفية » ، وقال « ان الموارنة عملوا على بعث مشروع لبنان الوطن » ، وأشار الى اهمية الوجود المسيحي في مناطق نيحا وجزين وصيدا ، وأضاف « ان نمو الدولة اللبنانية وتطورها هو حصيلة نمو المصير الماروني الذي يشكل الخميرة التي لا بديل لها لأي صيغة » ، وزعم « ان الحضور الماروني في لبنان هو الضامن لوحدته والشرط الأساسي لديمومته . . وأن تهجيرهم وابادتهم (الموارنة) يعني انهيار لبنان السياسي » ، معتبراً « أن تقلص الوجود الماروني هو اعدام لفكرة الدولة اللبنانية المستقلة والعودة الى حياة القبائل والعشائر والقرون الوسطى » .

واكد شاكر ابو سليمان ، رئيس الرابطة المارونية ، في كلمته ، « ان الموارنة كانوا وسيبقون عامل توازن في لبنان والشرق الأوسط وان زوالهم من الشرق او اضعافهم من شأنه ان يتسبب في صراعات في المنطقة ويترك اثراً سلبياً على اوروبا واميركا . . » ، وزعم « ان المسيحية هي وحدة عنصر التوازن في لبنان والشرق » . وعرض كمال نجار باسم مكتب الجبل « مأساة مسيحيي الجبل » معتبراً « ان مشكلة المسيحيين هي وليدة اطماع السيطرة الإسلامية على الحكم في لبنان » ، ودعا الغرب الى الفهم « ان الشرق من دون لبنان شرق مسلم ، متعصب وطائفي » .

واكد بطرس ديب ان «المارونية هي الكل وليست الجزء ، هي السياسة والثقافة والإجتماع والإقتصاد . . واذا سقطت هذه التركيبة المارونية التي تعيش في لبنان منذ اربعة عشر قرناً تسقط الكثير من المقاييس في الشرق » . وتحدث عن دور الموارنة في لبنان فزعم انهم « صلة بين شرق ينتمون إليه وغرب ليس بالغريب عنهم » ، وحذر من انه اذا تزعزع النظام الماروني في لبنان « فلن تنحصر الكارثة في حدوده ، فنظراً الى اهمية الشرق الأوسط سوف ينفتح باب لا حد له من وخيم العواقب » ، واعتبر ان ذلك هو بمثابة « موجة تدميرية من الصعب اذا انطلقت ان يتوقف تدميرها عند حدود مقاطعة ما دون غيرها » .

واكد اميل رحمة ، رئيس وفد « حركة التضامن المسيحي » ، « ان المارونية ليست عرقاً وليست لغة وديناً بل هي نمط حياة وتاريخ معتقد وجوهر حضارة ، واضاف « على مسيحيي العالم ان لا ينظروا الى مسيحيي لبنان عق[illegible]اً او موقعاً سياسياً إقليمياً ، وعليهم ألا يستخفوا بآلامهم وان لا يدعوا الى تعايش إستسلامي او توفيقي » . هذا وقد اعتبر الفاتيكان « ان المؤتمر يعتبر الأشمل والأبرز تمثيلاً للسلطات التمثيلية للموارنة وللشعب المسيحي في لبنان والمهجر »(١٢٢) .

في اليوم التالي من انعقاد المؤتمر وجه انطوان لحد رسالة الى المؤتمرين دعاهم فيها الى تنمية العلاقات مع اسرائيل وقال « ان الدولة اللبنانية وحكمها المركزي يشهدان حالة انهيار ومهددان بالزوال » ، وأضاف ان « حقوق المسيحيين في لبنان عرضة للزوال بسبب ضعف الدولة وغياب الشرعية » ، وقال ان « المسيحيين مهددون نتيجة تعاظم الحركات الاسلامية المتطرفة » .

وتابع لحد في رسالته قائلاً : « من الصعب ان يكتب النجاح لنضالنا ومقاومتنا في الداخل اذا ما افتقرنا الى المساندة والدعم

الضروريين على الصعيد الدولي سياسياً واقتصادياً » .

وعرض وضع جزين وقال « لأن الوجود المسيحي في ما تبقى من مناطق حرة في الجنوب ضروري كونه آخر معقل مسيحي خارج المناطق ذات الطابع المسيحي التقليدي ، فقد قررت قيادة جيش لبنان الجنوبي البقاء في منطقة جزين والدفاع عنها منعاً لتقوقع الوجود المسيحي في اطار جغرافي يتقلص يوماً بعد يوم وحفاظاً على آخر نموذج لا يزال قائماً في لبنان للتعايش بين الطوائف » .

اضاف « كما ان الحفاظ على المنطقة المتاخمة لاسرائيل وعلى الوجود المسيحي الفعال فيها ضروري جداً ، ولا بد منه ، كونها المنطقة الوحيدة التي يمكن خلالها تأمين استمرارية الاتصال المباشر مع دولة اسرائيل ، وتنمية العلاقات معها وتهيئة الأجواء والعمل من اجل سلام تفرضة سنة الجوار بين لبنان والدولة العبرية ويرنو اليه جميع اللبنانيين في قرارة نفوسهم وهو لمصلحة لبنان بقدر ما هو لمصلحة المسيحيين » .

وتليت في المؤتمر برقيات تأييد من كميل شمعون وشارل الحلو وسليمان فرنجية الذي اوفد ممثلاً عنه للتعبير عن تضامنه مع المؤتمر.كما تليت رسائل اخرى من الرابطة الأرثوذكسيه وعدد من المسؤولين الأرثوذكس والكاثوليك في بلاد الاغتراب تؤكد « وحدة وشمولية الموقف المسيحي » ، وبرقية من « اتحاد العمال المسيحيين » في لبنان موقعة من رئيسه جورج حرب .

ودعا المطران شكر الله حرب الى « التضامن مع موارنة لبنان وتوحيد الجهود بغية خلاص المسيحية والوطن والانسان » ، مؤكداً « ان الموارنة يعتبرون لبنان وطناً لهم منذ آلاف السنين ويعتززن به وطن الانسان والحضارات العريقة . . . كما يعتبرون ان لبنان مهد المارونية ولن يتخلوا عنه ولا يرضون عنه بديلاً ، وهم مسؤولون عن مسيحيي لبنان

والشـرق الأوسط ، ودعـا الى « تضـامن المـوارنـة ووحـدة الصف بينهم وتـوحيـد الكلمـة والـرأي بينهم وبين سـائـر المسيحيين في لبـنـان والعالم »[١٢٣] .

هـذا وقـد تمنى المـركـز الكـاثـوليكي لـلاعـلام ان يبقى المؤتمـر المـاروني في مستـوى المسؤوليـة « وان يبقى المـوارنـة كمـا كـانـوا دائمـاً عنـاصر وفـاق وعلم وعمل وخـدمة وسـلام » . وحدد المـركـز في بيـان لـه اهداف المؤتمر وهي :

- جمـع الشمل المـاروني المزروع في كـل انحـاء الأرض من اجـل المساهمة الفاعلة في انماء الوطن اجتماعياً واقتصادياً وعلمياً وتوحيدياً .

- التـأكيد على ارتبـاط الماروني أينمـا كـان بـأرضـه وقـريتـه وشعبـه وتراثه .

- تـذكير اللبنـانيين الذين نسـوا لبنانهم او كـادوا ان لهم وطنـاً هـو من اجمـل بلدان العـالم وانـه يستحق ان يتقـدم على كـل البلدان بتشـرف الإنتماء اليه .

- لفت المغتـربين اللبنـانيين والبلدان التي ينتمـون إليهـا الى ان المـوارنة وسـائر المسيحيين هم في لبنان منذ بـدء المسيحية ، وانهم بنـوه مع الآخرين بعرق الجبين والدم والجلد والحرمان[١٢٤] .

مقررات المؤتمر :

اعلن المؤتمـر عن دعمـه لمـا اسمـاه « المقـاومـة المسيحيـة » وعن تمسكه بسلطة بكركي ، واكد « عزمـه على تعزيـز هذه السلطة ودعمهـا في كل بلدان ومناطق التواجد الماروني » .

واعتبر المؤتمر « ان بطريركية انطاكيـة المارونيـة وسائـر المشرق هي

بطريركية كل الموارنة في كل العالم » .

واكـد المؤتمر على « الـدور المنـاضـل للكنيسة المـارونية والكنـائس المشـرقية » معتبـراً ان هذه الكنيسـة « هي كنيسـة الالتـزام بقضيـة الـوجـود المسيحي الحر والفاعل للمسيحيين في لبنان والشرق » .

وطالب المؤتمر « بعقد مؤتمر دولي شـامل لبحث القضيـة اللبنانيـة » ولفـرض رأي الأقلية المـارونية على جمـاهير المسلمين بـالقوة ، معتبـراً ان « حماية الوجود المسيحي هي مسؤولية دولية » .

وأعلن المؤتمر « ان قضية لبنان هي قضية حضـور الشعب المسيحي فيـه وحريتـه وأمنه » ، وعبـارة « الشعب المسيحي » هي مـلازمـة « للشعب المـاروني » ذلك ان تـركيز المؤتمـر على وضع المـوارنة يتعلق بـالأهـداف الأساسية للمشروع الماروني .

وأشـار المؤتمر الى ضـرورة استمرار التـواجد المـاروني في شـرقي صيـدا والمتن الأعلى والشـوف واقليم الـخـروب وجـزين « والـجنـوب المسيحي » ، واعتبـر « ان هـذه القضيـة هي القضيـة الأهم على الصعيـد المسيحي وبأنها المدخل الى كل اتفاق او وفاق » .

وأعلن المؤتمر عن قيام « مؤسسـة الاتحـاد المـاروني العـالمي » ، ودعا « موارنة لبنان ومسيحييـه على اختلاف احـزابهم وفئاتهم ومناطقهم إلى رص الصفوف وتحرير الطاقات في خدمـة قضيتهم » مؤكداً « ان الاتحـاد الماروني العالمي هو احدى الأطر الصالحة لهذا التلاقي » .

وجـاء في احدى المقـررات ان المؤتمـر « يحيي صمـود المسيحيين في لبنـان وتشبثهم بـأرضـهم وتـراثهم وحضـارتهم واستشهـادهم ذوداً عن مجتمعهم . . ويحيي المقاومة المسيحية بمختلف وجوهها ويعتبرهـا رسالـة تضحية وتنكر للذات وترفع عن الأنـانيات في سبيـل الهدف الأسـاسي وفي خدمة القضية المسيحية » .

واعتبر المؤتمر « ان للإغتراب دوراً أساسياً في تعزيز وحدة الموارنة وتثبيتها » ، و « ان للإكليروس الماروني دوراً هاماً في هذا المجال » ، مؤكداً « ان قضية لبنان هي امانة في عنق ابنائه المنتشرين ومن هنا عليهم تجنيد كافة الطاقات من اجل قضية الوطن الأم » .

وشدد « على اهمية القضية المسيحية ووحدة القرار . وعندما يكون البحث في قضية مسيحية والوجود المسيحي فان جميع الخلافات إن وجدت توضع جانباً ويتفق الجميع » .

واكدت مقررات المؤتمر على « عالمية المارونية » و « ان المارونية كنيسة وشعباً يكمل بعضهما بعضاً » . وأوصى المؤتمر « بدعوة الاتحادات المشرقية من آشوريين وأقباط وكلدان وسريان وغيرهم الى انشاء لجنة مشرقية عالمية » .

وأكد المؤتمر على ضرورة الاحتفاظ باللبنانية وبعلاقتها بالكنيسة الكاثوليكية ، وفي هذا الاطار اتخذ المؤتمر قراراً ببدء « حملة تسجيل للمغتربين الموارنة وأبنائهم في جميع انحاء العالم في سفارات لبنان وحيازتهم على الهوية اللبنانية التي هي حق كل واحد منهم » . وقرر المؤتمرون ان يعقدوا مؤتمرهم القادم (١٩٨٦ م) في لبنان[١٢٥] .

تذكرة للمقاتلين

التاريخ كله صفحتان : اسلام وجاهلية . ورواية التاريخ لا تعكس أحداثاً مضت فقط بل تعكس أيضاً حياة تجري .

هكذا تتابعت الأحداث ، المجازر متواصلة ، المعارك آناً في مدوآناً في جزر ، الموارنة يغلفون مشاريعهم بصيغ شتى ، علهم بذلك يتمكنون من ابعاد المسلمين عن فهم الواقع ، القيادات الطفيلية حائرة في أمرها ، فتارة مع « الشرعية » وتارة ضد الكتائب وطوراً مع النظام . . وهكذا ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** ﴾ ـ سورة النساء ١٤٣ ـ . وبعضهم يقاتل على مواقع النفوذ والسيطرة .

قال رسول الله (ص) : اذا حاقت بكم الفتن كقطع الليل فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وما حل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن خلفه وراءه ساقه الى النار » .

وقال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه** ﴾ ـ سورة الأنعام ١٥٥ ـ .

ان في مدرسة القرآن والاسلام دروساً قادرة على بناء أمة أما هم فانهم خلفوه وراء ظهورهم ثم ذهبوا يفاوضون باسم المسلمين في وقت

لم يمنحهم أحد هذه الصفة التمثيلية . علام يفاوضون ، على « نظام وطني » أم « ديمقراطي » ام « علماني » ؟ .

﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ ـ سورة المائدة ٥٠ ـ .

وبعد فان المعركة في كل عصر ومصر هي معركة الأمة ، وليست معركة فلان وفلان ، ان هؤلاء ليسوا أنصاف آلهة .

يقول الرسول الأكرم (ص) : كلكم راع وكلكم مسؤول » .

ان القرار ليس لفلان وفلان كما ان التاريخ ليس تاريخهم .

ان القرار يجب ان يكون قرار الأمة لأن التاريخ سيدون باسمها ، والأمة التي لا تتخذ قرارها بيدها هي أمة زائلة لا محالة .

﴿ **وقالوا ربنا انا اطعنا ساد تنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا** ﴾ ـ سورة الأحزاب ٦٧ ـ .

فلا يجوز ان تذهب دماء المقاتلين هدراً او وفقاً لمشيئة الأذناب وصنائع النظام ، أو في معارك جانبية لا تزيد الأقلية المارونية الحاكمة الا عناداً للحق . إن ارواح الناس ومصائر الشعوب ليست ملكاً لأشخاص وليست لعبة بيد اللاعبين .

يقول تعالى : ﴿ **لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند مُحضرون** ﴾ ـ سورة يس ٧٥ ـ .

في هذه الآية تصوير دقيق لحالة التبعية المهلكة ، فالأصنام البشرية لا تنصر من اتخذ منها أرباباً ، ومع ذلك يتجند الجهلة للذب عنها كل حين .

على المجاهدين ألا يكونوا قطعان ماشية يسوقهم الرعاة الى

يشاؤون، أو يبيعهم القائد كل يوم بأبخس الأثمان . ان القائد الذي يأتمنه الشعب على دينه ودنياه يجب أن يكون مراقباً على الدوام ، فلعله يركن الى الدنيا أو يقع في الأخطاء والشرور .

على المجاهدين ألا ينخدعوا كما خدعوا مرات عديدة ، بأي قائد مزيف ، نائباً كان ام وزيراً ام شيخاً يذهب الى المساجد ويصلي بالناس ويعظهم ويخطب فيهم وراء مكبرات الصوت وعدسات التصوير وكاميرات التلفزيون ، ثم يذهب الى قصور الحكام والوزراء ويجري المباحثات المطولة بحجة ان هناك مصلحة اسلامية تخفى على الرعية ، ثم يخرج بعدها متشائماً او متفائلاً لا فرق .

على القائد ان يفهم رعيته عن كل شيء حتى تكون على بينة من أمرها ، وكي لا تكون طاعتها عمياء فتصبح اذا غاب عنها القائد بلا راع .

جاء في القرآن الكريم ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ ـ سورة آل عمران **١٥٩** ـ .

لم يكن الرسول (ص) يحتاج لمشورة أحد ، ومع ذلك فانه لم يكن يتخذ القرار إلا بعد أن يستشير المسلمين ، لا لحاجة الى رأيهم ولكن ليكونوا خير أمة أخرجت للناس :

﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** ﴾ سورة آل عمران ١٠٤ ـ .

أما « امراء الطوائف » في لبنان فانهم كانوا يتخذون قراراتهم على الأسرة ، او مع السفير الاميركي او الفرنسي ، او مع الزعماء الصليبيين المحليين في الصالونات والقصور دون الرجوع الى رأي الناس الذين يدعون تمثيلهم فأدى ذلك الى السقوط .

ان القائد الذي لا يحسب لشعبه حساباً اولى له ان يتنحى ، فمن غير المعقول ان يكون الناس في خدمة رجل ﴿ **ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون** ﴾ ـ سورة الشعراء ١٥١ و ١٥٢ ـ.

إن الطاعة العمياء قد تؤدي الى جهنم ، ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها** ﴾ ـ سورة النحل ١١١ ـ ﴿ **واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار** ﴾ ـ سورة غافر ٤٧ ـ.

فالعذاب سيشمل الجميع التابع والمتبوع ، ﴿ **إذ تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب** ﴾ ـ سورة البقرة ١٦٦ ـ.

فلا يجوز للمقاتلين ان يظنوا انهم خدموا الاسلام بمجرد أن حملوا رشاشاتهم على اكتافهم للدفاع عمن يرفع المصاحف على رؤوس الرماح .

ان من يشغل نفسه في الطواف على اعتاب القصور والحكام والملوك لا يمثل شعباً ثائراً ، ومن لا يلتزم بالاسلام لا يمثل شعباً مسلماً ، ومن يداهن الطواغيت ويقبل بحكمهم ويدعو لإطاعتهم ويعترف بشرعيتهم هو ليس من الاسلام في شيء فكيف يحق له ان يدعي تمثيل المسلمين .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ ـ سورة النساء ٥٩ ـ . فالساحة ليست متروكة لأصحاب البدع والشعارات ، انما هناك ولي أمر هو ﴿ **اولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ ـ سورة الأحزاب ٦ ـ .

وعلى المؤمنين والمجاهدين وحملة السلاح أن يحددوا وقبل كل

شيء من هو ولي أمرهم قبل الانضواء تحت راية هذا القائد أو ذاك . يقول الرسول (ص) : « ألا وإن أئمتكم وفدكم الى الله فانظروا من توفدون » .

ان الولاية يجب أن تكون لأهلها وعلى المجاهدين ألا ينخدعوا بالإشاعات المغرضة ووسائل الاعلام المزيفة . عليهم ان يغوصوا الى الأعماق ويعرفوا حقيقة ما يدور ، وإلا فان شهادتهم ستكون كالتشكيك المزور الذي لا يملك رصيداً في البنك .

يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ ـ سورة الحجرات ٦ ـ .

ويقول الإمام علي (ع) :

« اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل »(*) .

فلا يجوز تصديق الاشاعات والأكاذيب وقذف القادة الحقيقيين الجديرين بتسلم الأمانة وادارة شؤون هذه الأمة وتبرئة العملاء والمنافقين والمعروفين باتخاذ المواقف الملونة وإصدار تصاريح عجيبة غريبة ، اتكالاً على ما يقوله المنافقون أنفسهم .

وليعلم المجاهدون أن من أولى صفات المنافقين هي الثرثرة وترويج الإشاعات فهم يكثرون الكلام في المجالس والاحتفالات وخلف مكبرات الصوت وعدسات التصوير ، ويتفننون في صنع الكلمات للسيطرة على مشاعر المستمعين وتوجيهها الوجهة التي يريدونها ، وهكذا دفعوا من

(*) نهج البلاغة ، الجزء الثالث ، ص ١٥٨ .

يجب أن يحارب شعارات التقارب مع النظام الماروني الكافر إلى تمزيق أقوال الإمام الخميني : « كل من يتبع الإسلام يجب ان يطالب بالجمهورية الاسلامية » و« النظام اللبناني غير شرعي ومجرم » .

قال رسول الله (ص) :

اني لا أخاف على امتي مؤمناً ولا مشركاً ، اما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه وأما المشرك فيخزيه الله ويقمعه بشركه ولكني أخاف عليكم كل منافق حلو اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون » .

﴿ ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم معكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾ ـ سورة المائدة ٥٣ ـ .

حين يفتضح أمر المنافقين يقول بعض المؤمنين لبعض أهؤلاء هم بالذات الذين كانوا يحلفون بالأمس أغلظ الإيمان انهم معنا ؟ الى هذا الحد بلغ بهم الغش والرياء ؟

ان الارتهان للأشخاص او للأسماء المستعارة والجذابة مهما كان بريقها ولونها لا يعقل ان يكون بديلاً عن العمل الرسالي الهادف .

ان الاطارات ذات المحتوى الرسالي هي قنوات لاستيعاب الروح المبدعة النشيطة ، وليست بديلة عن النشاط والابداع ، ويجب ان تكون على الدوام مرتبطة بالهدف الأساسي الذي يستهدف تغيير الواقع الفاسد وبناء الواقع البديل الذي يرضى به الاسلام . فإذا عجزت عن تحقيق أهدافها او احجمت في منتصف الطريق تسقط آلياً ، لأن الأمة الواعية تعرف واجبها الرسالي وتهتم به اكثر من اهتمامها بالقشور البراقة .

والمجاهد الواعي هو الذي لا يرتبط بتلك الاطارات بشكل أعمى إنما بما لكل منها من ملاكات وحكم وقدرة على فهم الواقع واستنباط الحلول وعدم التلهي بالمسائل الفرعية .

المهم ألا يبتلع الرسالة أشخاص وصوليون لا يعرفون غير المنفعة والشهرة او تصبح الإطارات مفرغة من محتوياتها الحقيقية أو تتحول الأسماء الى حروف بلا معاني او تصبح الأحكام أغلالاً ثقيلة وعقبة كأداء في طريق الإسلام .

والمقاتلون منذ أن عبدوا الأسماء وتمسكوا بالاطارات الضيقة فقد انحدروا نحو القشرية وأسلموا رقابهم للموت الأسود . ان المفهوم الخاطىء عن الأحكام الشرعية هو الذي يحول الشعائر الدينية الى ممارسات جافة لا مغزى لها ، فالأحكام الشرعية هي تطبيق رسالي وليست شعارات جوفاء يرددها أصحابها صباح مساء على المنابر وعبر الاذاعات .

إن قشرية التعامل مع الأسماء والممارسات حين انسحبت إلى عقول المقاتلين كانت نتائجها السلبية خطيرة جداً . إذ فصل هؤلاء عن حقيقة دورهم وغاية وجودهم وتحددت علاقتهم بمصادر التوجيه التي دمرت طاقاتهم الهائلة ، وانقطعوا إليها وأصبحت مصدر غذائهم اليومي ، تدعوهم باستمرار الى التأقلم معها والتكيف وفق مصالحها وتصديق آرائها وتطبيق قراراتها في كافة المجالات السياسية والعسكرية .

ان الاتباع الأعمى هو الذي يمنع أو يؤخر تحويل القوة الإيمانية الى طاقة انتاجية تتمثل بانتماء اجتماعي أو سياسي قادر على تغيير الواقع برمته ، وعندها ستزول حتماً كل الإتجاهات السياسية التي لا يروق لها تحرير هذه الطاقات من القمقم الضيق الذي سجنت به .

باختصار ان الانسان هو المسؤول الأول عن تاريخه ، **﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾** ـ مريم ٩٥ ـ . فالاتباع اما ان يكون واعياً وبصيراً أو لا يكون .

كلمة أخيرة

وأخيراً ماذا بعد ؟

الى اين يساق بنا ؟

كيف يتم القضاء على المشروع الماروني ؟

ما العمل ؟؟

قبل كل شيء ، لا بد من التذكير أن الموارنة مسؤولون عن تقتيل مائة الف مسلم وتشريد نصف مليون مهجر ، وعن كل ما ألم بديار المسلمين من كوارث وويلات ، ويجب ان يحاكموا على جرائمهم طبقاً لقاعدة ﴿ **العين بالعين ... والسن بالسن** ﴾ ـ سورة المائدة ٤٥ ـ . ﴿ **وقفوهم انهم مسؤولون** ﴾ ـ سورة الصافات ٢٤ ـ .

ان دماء المسلمين ليست نهباً لكل طامع ، والاسلام لا يقبل بإبادة المجتمعات وجعلها ضحية النزوات الشريرة والمطامح الدنيوية والدموية في نفوس المستكبرين . ﴿ **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفون في الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ ـ سورة المائدة ٣٣ ـ .

﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ﴾ ـ سورة التوبة ٣٣ ـ .

ثم ان لبنان ، هذه البقعة الجريحة من العالم الإسلامي ، هي أرض اسلامية حررها المسلمون الأوائل بدمائهم الزكية ، وضحوا بالغالي والنفيس لتحصينها ضد هجمات المتآمرين والصليبيين ، فشيدوا القلاع وبنوا المعاقل والحصون متخذين من جبل لبنان خطاً دفاعياً وأساسياً لحماية الوجود الاسلامي في الشرق قاطبة . غير أن جهل المسلمين في الماضي وتآمر العملاء جعل هذا البلد تحت حكم الأقلية المارونية . وأما بيروت فهي مدينة اسلامية منذ القديم ، ولا يمكن القبول بتقسيمها الى غربية وشرقية .

وعلى هذا الأساس فإن المسلمين مكلفون بتحرير جميع المناطق التي خسروها في مواجهتهم الطويلة مع اصحاب المشروع الماروني ، حتى تعود راية الإسلام خفاقة عالية فوق بيروت الشرقية وجونية وكسروان وجبيل والبترون والمتن وجزين ، وفي كل حي أو شارع خاضع للسيطرة المارونية ، كما أوصى الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** ﴾ ـ سورة البقرة ١٩١ ـ .

وبعد فإن وجود الموارنة في لبنان مرتبط بمدى قبولهم للإسلام ، على اعتبار أن لبنان هو جزء لا يتجزأ من الأرض الاسلامية ، فان رفضوا فالحل في قوله تعالى : ﴿ **فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً** ﴾ ـ سورة النساء ٩١ ـ .

﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ ـ سورة التوبة ٢٩ ـ . ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ ـ سورة الأنفال ٣٩ ـ .

وفي هذه الآية اعلان صريح بأن كل الفتن والمشاكل الأخرى مرتبطة بمشاريعهم ومخططاتهم ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ ـ سورة الأنفال ٧٣ ـ . ﴿ **كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون** ﴾ ـ سورة التوبة ٨ ـ .

يرضونكم بالتصريحات والإذاعات بينما المجازر متواصلة . ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل ان هدفهم هو أبعد من ذلك بكثير : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ـ سورة البقرة ٢١٧ ـ .

بعد هذا يأتي الحديث عن الحكم .

إن حجم المؤامرة وخطورتها وما جنته على هذا البلد من كوارث وويلات كادت تقضي على الوجود الاسلامي فيه نهائياً ، فانحسر مد الإسلام عن كثير من المناطق ، كل هذا يستوجب قيام حكومة اسلامية صحيحة تعيد نشر الاسلام ، وتعمل لتثبيت دعائمه من جديد .

ان قيادة المسلمين ليست موكلة إلى الأقلية المارونية حتى يحق لها ان تفرض عليهم ما تشاء . ان الله لم يجعل من المسلمين « خير أمة » أخرجت للناس لكي يعيشوا في ظل حكم الجور والطغيان .

كيف يطلب الموارنة من المسلمين ان يرضوا بحكمهم ويغيروا عقيدتهم ابتغاء مرضاتهم وينفذون بأيديهم قانوناً لا يرونه حقاً بحكم دينهم ؟

إلام يتحمل المسلمون في لبنان قانوناً ظالماً لا يتفق مع مبادىء اسلامهم ؟ .

هل أن من حق الأقلية المارونية علينا ان نرضى بتبديل ديننا وعقيدتنا لأجلها ؟ .

نحن من جهتنا لا نعارض في ان يكون للنصارى حق الإقتضاء فيما بينهم بموجب قانون أحوالهم الشخصية . اما قانون الدولة العام فيجب أن يكون اسلامياً .

وأما الذين يتساءلون : « كيف يستطيع الاسلام أن يضمن حقوق الطوائف وهي كثيرة في لبنان ؟ » . الى هؤلاء نوجه سؤالنا وهل أن الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء أصبح عاجزاً عن حماية حقوق الطوائف والعباد التي صنعها بيده ؟ . هل اصبحتم ارحم بالعباد من خالقها ، وهل ان الله فوض أمور خلقه الى حفنة من الجهال والعملاء ، هل اصبح لله شركاء : ﴿ **اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ ـ يونس ١٨ ـ .

وبعد فليس في لبنان طوائف وفرق كما يزعمون انما هناك اكثرية اسلامية يستهدفها المشروع الماروني بالإبادة .

إن الناس هم عباد الله ولا يجوز ان يساسوا أو يحكموا بغير حكم الله .

إن الله أولى بعباده من غيره ، ولهذا فقد أرسل الرسل لهداية الإنسان الى الصراط المستقيم ، ﴿ **ان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ ـ سورة الأنعام ١٥٣ ـ .

والاسلام هو رسالة الأنبياء الى الشعوب كافة ، ولو أن الله يرضى بما يرضاه الناس لأنفسهم ما بعث نبياً ولا أنزل كتباً . يقول الامام علي (ع) : « لو لم يظهر نبي وكان في الأرض مؤمن تقي لكان في دعائه الى

الله مخطئاً أو مصيباً ، بل مخطئاً حتى ينصه الله لذلك ويؤهله له »(*) .

هذا حال الدعاء الذي يتعلق بالفرد الواحد فكيف بشؤون الحكم التي تخص الأمة جمعاء ؟ .

لذلك فإن جميع الناس مطالبون من قبل الله أن يرضخوا لحكمه ولا يحق لهم أن يرضحوا لنظام سنه فلان أو الحزب الفلاني .

﴿ افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ـ سورة المائدة ٥٠ ـ .

إن للناس رباً يريد ان يحكمهم . **﴿ وما اختلفتم من شيء فحكمه الى الله ﴾** .

﴿ إن الحكم الا لله ﴾ ـ سورة يوسف ٤٠ ـ .

جاء في احدى خطب الامام علي (ع) ، وكأنه يخص بها أهل هذا الزمان فيقول : « فأين تذهبون وأنى تؤفكون والأعلام قائمة ، والآيات واضحة والمنار منصوبة فأين يتاه بكم »(*) .

ونقول لدعاة العلمانية وحملة الشعارات القومية والوطنية ان الله لم يرض لنا بغير الاسلام ديناً . **﴿ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾** ـ سورة آل عمران ٨٥ ـ .

ومن قوله تعالى : **﴿ قد وقع عليكم رجس وغضب اتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين ﴾** ـ سورة الأعراف ٧١ ـ . وجاء في سورة يوسف :

﴿ ما تعبدون من دون الله الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما

(*) تحف العقول للحراني . ص ١٢٢ .

(*) نهج البلاغة ، الجزء الأول ، الخطبة ٨٤ ، ص ١٥٣ و ١٥٤ .

أنزل الله بها من سلطان ﴾ ـ يوسف ٤٠ ـ .

سئل الرسول (ص) عن ادنى ما يكون عليه العبد مشركاً فأجاب : « من ابتدع رأياً فأحب عليه أو أبغض » .

ان كل بدعة شرك وكل راية غير راية الاسلام فهي ضلالة وكل ضلالة في النار . جاء في الحديث :

« عليكم بسنتي ، فعمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة » .

ان معركة المسلمين مع الموارنة ما كانت لتطول لولا هذه البدع والشعارات ولولا مواقف القيادات العميلة والخائنة .

ان طرح العلمانية في لبنان لا يستهدف سوى فصل المسلمين عن دينهم ، **﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾** ـ سورة النساء ٨٩ ـ .

وكثيراً ما يخفي العلمانيون مكرهم وراء شعارات مزيفة من قبيل الحفاظ على « الوحدة الوطنية » ، وصيغة « التعايش الاسلامي ـ المسيحي » .

﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ ـ سورة الفرقان ٩ ـ .

﴿ ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ ـ سورة المؤمنون ٧١ ـ . تقول السيدة فاطمة الزهراء (ع) :

« وطاعتنا نظام للملة وأمان من الفرقة » ، فتشكيل الحكومة الإسلامية من شأنه الاحتفاظ بوحدة المسلمين والقضاء على المشروع الماروني الى الأبد ، ومن دون ذلك فلبنان لن يكون أسعد حظاً من فلسطين والأندلس وافغانستان وتركستان ، يوصي الله عباده المؤمنين :

﴿ **ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ ـ سورة الروم ٣١ و ٣٢ ـ .

ان الله الذي يخرج الناس من الكفر الى الإيمان لا يعقل أن يردهم بعد الاسلام الى الكفر ، ﴿ **أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون** ﴾ ـ سورة آل عمران ٨٠ ـ

وأما الذين يريدون الحكم على أساس الديمقراطية التي تجعل الحكم من حق الأكثرية ، فإن على هؤلاء ان يدركوا أن وجود اكثرية اسلامية في لبنان يفرض قيام جمهورية إسلامية ، اما أن تكون هذه الديمقراطية سبباً للإبقاء على نظام الكفر والجهالة تحت حجج واهية وذرائع باطلة ، فعند ذلك لا بد من اعلان الحقيقة بأن الله حرم القبول بغير الاسلام ونهى المسلمين عن الخضوع لحكم النصارى ، يقول تعالى في كتابه العزيز :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء من دون الله** ﴾.وقد كشف لنا تحالفهم مع اليهود ، قبل ان يعلن البابا براءة اليهود من دم السيد المسيح (ع) بقوله : ﴿ **بعضهم أولياء بعض** ﴾ . ووضع الراضي بحكمهم وولايتهم في خانتهم : ﴿ **ومن يتولهم منكم فانه منهم** ﴾ ـ سورة المائدة ٥١ ـ .

وقد اخبرنا الله تعالى بأنهم لن يقبلوا منا الا التخلي الكامل عن ديننا والدخول في ملتهم ، ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ ـ سورة البقرة ١٢٠ ـ .

ثم ان الله يخاطب المسلمين داعياً اياهم لعدم اعتبار هؤلاء أصدقاء ، أو الاعتماد عليهم او تفويض الأمور إليهم وعقد الولاية معهم :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر** ﴾ ـ سورة آل عمران ١١٨ ـ .

ولذلك فان على المسلمين ان يدركوا أن هؤلاء لا يمكن التآلف معهم ، أو الاستجابة لقراراتهم والسماح لهم باعداد المشاريع للمسلمين والتدخل في شؤونهم .

وأما ان يقال للمسلمين انه بالامكان الحفاظ على اسلامهم ومعتقداتهم من دون اللجوء الى الحكم الاسلامي ، إلى هؤلاء نقول ان نفس هذه المعتقدات تدعو المسلمين لأن يقبضوا على السلطة ويسيروا شؤون الحكم وفقاً لتعاليم الاسلام ، لأن فصل الإسلام عن الحكم معناه الكفر بالاسلام كله : ﴿ **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ـ سورة المائدة ٤٤ ـ . خذوا الاسلام جملة او دعوه .

﴿ **افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يرد الى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون** ﴾ ـ سورة البقرة ٧٩ ـ .

ولا يقولن قائل أن حكم الاسلام مرتبط بالظروف الإقليمية والمعادلات الدولية . إن هناك موازين ومعادلات إلهية فوق الجميع :

﴿ **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ . إذ لا يعقل أن الله الذي خلق السماوات والأرض ومن فيهن يخضع نفسه للموازين الباطلة التي ما انزل الله بها من سلطان ، ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ .

ان لله جنوداً لا تتقيد بموازين و ﴿ **اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون** ﴾ ـ سورة البقرة ١١٧ ـ .

ان النصر ليس بالشيء المستحيل ، ولكنه مشروط باتباع طريق

الله ، وعندها سيمن الله على عباده بالنصر طبقاً لقاعدة **﴿ أوفوا بعهدي أوفي بعهدكم ﴾** ـ سورة البقرة ٤٠ ـ .

امام هذه الوعود لا مناص من القول ان اخلاص المسلمين لدينهم سيقلب جميع الموازين الدولية لصالحهم .

وأخيراً لا بد من تحذير المسلمين من جميع الفرق الضالة وهي كثيرة ، وغالباً ما يكون افرادها من حملة الشهادات وأشباه المثقفين الذين لا هم لهم إلا إضلال المؤمنين ، وقد كشف الله تعالى عن مكرهم بقوله : **﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾** ـ سورة آل عمران ٧ ـ .

لذلك فان على المسلمين أن يكونوا على بينة من أمرهم ، لا ينعقون مع كل ناعق ولا يميلون مع كل ريح .

ان الله ادب المؤمنين بقوله : **﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا ﴾** ـ سورة الأحزاب ٣٦ ـ . فلم يجز لهم الإختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم الا اتباع امره واجتناب نهيه على أيدي من اصطفاه : **﴿ ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾** ـ سورة الحشر٧ ـ . وبعد فان طبيعة الاسلام تقتضي قيام دولة إسلامية تقيم الاسلام في حدوده المرسومة . والاسلام لا يمكن ان يقوم على وجهه الصحيح في ظل دولة غير إسلامية لا يهمها من امر الاسلام شيئاً .

ان الاسلام ليس كتباً مصفوفة في المكتبات ، انه دولة وسلطة وقانون . والجمهورية الاسلامية ليست فكرة او نظرية او طرحاً جديداً للاسلام إنما هي الهدف من جهود كل الأنبياء .

﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من

الحق ﴾ ـ سورة المائدة ٤٨ ـ .

جاء في الحديث « لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة » .

وهذا يعني أن ذهاب الحكم من أيدي المسلمين سيؤدي الى انتقاض جميع عرى الإسلام وآخرها الصلاة عمود الدين ، ذلك ان عدم وجود حاكم إسلامي سيؤدي الى تعطيل معظم القوانين الإسلامية التي تحتاج الى سلطة تسهر على تنفيذها ، والناس على دين ملوكهم . يقول الامام علي (ع) : « الناس بأمرائهم أشبه منهم بآبائهم »(*) .

وهكذا فإن الحفاظ على الاسلام يستوجب قبل كل شيء الامساك بزمام الحكم . وعلى هذا الأساس فان المسلمين مأمورون من قبل الله عز وجل بإقامة الجمهورية الاسلامية .

ثم ان قيام الحكم الاسلامي يستوجب ان تكون الحكومة اسلامية ، يؤمن افرادها جميعاً بالمبادىء التي يقوم عليها الحكم ويحرصون على العمل بها ، ومن أراد ان يقيم الاسلام بحكومة تتحاكم الى غير شريعة الاسلام فانما يعمل على تحطيم الاسلام .

ولقد اثبتت التجارب ان جميع النواب والوزراء الذين ينتمون الى الاسلام بالاسم كانوا على الدوام اداة طيعة في أيدي الأقلية المارونية الحاكمة ، تستخدمهم لتنفيذ مآربها واحكام سيطرتها على المسلمين .

وهكذا استبيحت حرمات الاسلام ، وسفكوا دماء المسلمين في كل مدينة أو قرية وفي كل حي أو شارع .

(*) تحف العقول للحراني ص ١٤٨ .

كل ذلك يقضي بأن قيام الحكم الاسلامي يستوجب ان تؤلف الحكومة ممن يؤمنون بالنظام الإسلامي ومن لا هم لهم إلا اقامة الاسلام وتثبيت دعائمه .

ليس كل رئيس رئيس وليس كل خليفة خليفة ، « انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله وعمل بطاعة الله » (*) .

ان قيادة المسلمين يجب ان تكون بيد القادة المتقين وليس بيد الطغاة والجهلة . جاء في الحديث :

« العلماء حكام الناس » .

« الفقهاء أمناء الرسل » ، ذلك لأن الأنبياء جاؤوا لينقذوا البشر من الظلم ويصنعوا الأمة التي تقطع أيدي المعتدين وتتسلح بالايمان وتعمل وفق شريعة الله .

وقال سيد الشهداء ، الإمام الحسين (ع) : « مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه ، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم بعد السنة الواضحة ، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله ، كانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واسلمتم امور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات » .

يترتب على ذلك ان كل حكومة لا تحكم بحكم الله فهي غير شرعية لأن شرعية أي حكم في الاسلام هي في مدى تطابقه مع دين الله والسنة ، فالحكم الشرعي هو الحكم الاسلامي والحكومة الشرعية هي

(*) من كلام للامام الحسن (ع) في تحف العقول ص ١٦٨ .

الحكومة الاسلامية والحاكم الشرعي هو الحاكم المسلم الملتزم . وما دام الرئيس او الحكومة لا يلتزمان بالاسلام فكل ما يصدر عنهما من قرارات تعتبر باطلة وغير شرعية .

لا تؤمروا عليكم من لا يتبع دينكم ان فعلتموه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . **﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** ـ سورة آل عمران ١٦٠ ـ .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . .

ملحق

النص الكامل للرسالة التي بعثها ملك فرنسا ، لويس التاسع قائد الحملة الصليبية السابعة ، من عكا ، الى امير الموارنة الذي بعث ابنه سمعان على رأس حملة عسكرية تضم خمسة وعشرين الف مقاتل لنجدة الجيوش الصليبية عام ١٢٥٠ م :

من لويس ملك فرنسا ، الى امير الموارنة في جبل لبنان ، والى بطريرك وأساقفة الطائفة المذكورة : ان قلبنا امتلأ فرحاً لما رأينا ولدكم سمعان قد أتى مع خمسة وعشرين الفاً ، حاملاً الينا شهادة حاستكم الحبية ، ومقدماً لنا الهدايا الفاخرة . وبالحقيقة ان محبتنا الخالصة التي ابتدأنا نستشعرها نحو امة الموارنة ، ايام حلولنا في قبرص حيث هم مقيمون ، قد تضاعفت اليوم بزيادة . ونحن موقنون ان هذه الأمة التي قامت تحت اسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية ، لأن محبتها للفرنسيين تشبه محبة الفرنسيين بعضهم لبعض . وعليه فيجب ، من قبيل العدل ، ان تتمتعوا انتم وجميع الموارنة بنفس الحماية التي يتمتع بها الفرنسيون من جانبنا ، وأن تقبلوا في الوظائف كما هم يقبلون . ولذلك فاننا نستحثك ايها الأمير الرفيع الشأن ان تسعى كل السعي فيما يعود على أهل لبنان بالسعادة وان تعتني باقامة اشراف من اكثر الناس اهلية

لذلك كما هو جار في فرنسا . وأنتم ايها السيد البطريرك والسادة الأساقفة وجمهور الاكليروس وعامة الشعب الماروني واميركم العظيم ، اننا رأينا بكامل السرور تعلقكم الثابت بالدين الكاثوليكي واحترامكم لرئيس الكنيسة ، خليفة القديس بطرس برومة ، فنحثكم على المحافظة على هذا الاحترام ، وان تبقوا دائماً غير متزعزعين بهذا الإيمان . اما نحن وجميع الذين يخلفوننا على عرش فرنسا ، فنعد بأننا نوليكم ، انتم وجميع شعبكم ، حمايتنا الخاصة كما نوليها للفرنسيين عينهم ، ونسعى في كل وقت فيما يكون آيلاً لسعادتكم .

الفصل الرابع عشر

الهوامش والفهرس

هوامش الفصل الأول

١ ـ بطرس ضو : « تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري من مار مارون الى مار يوحنا مارون : ٣٢٥ ـ ٧٠٠ م » . بيروت دار النهار ، ١٩٧٠ م الجزء الأول . انظر أيضاً محمد علي مكي ، « لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ٦٣٥ ـ ١٥١٦ م » ، بيروت ١٩٧٧ ص ٤٩ .

٢ ـ كمال صليبي ، « تاريخ لبنان الحديث » بيروت ١٩٦٧ ، دار النهار للنشر ص ٢٠ .

٣ ـ د . رستم اسد : « كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى . جزء ٢ ص ٥٣ ـ ٥٧ .

٤ ـ ان جميع المصادر تؤكد على اهمية الحروب المتكررة التي جرت بين الموارنة واليعاقبة والتي أدت في النهاية إلى هزيمة الموارنة وطردهم من شمالي سورية. انظر مثلاً بطرس ضو « تاريخ الموارنة الديني والسياسي . . . » مصدر سابق . وايضاً محمد علي مكي « لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني » مصدر سابق . لكن الموارنة كثيراً ما يفضلون التكتم على هذه الأمور ليؤكدوا على الإضطهادات الاسطورية التي مارسها المسلمون ضدهم .

٥ ـ لامنس ، « تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من آثار » جزء ٢ ص ٥١ ١٩١٤

٦ ـ البلاذري ، « فتوح البلدان » جزء ٢ ص ١٨٩ بيروت ١٩٥٧

٧ ـ البلاذري ، المرجع ذاته .

٨ ـ محمد علي مكي « لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني » مصدر سابق .

٩ ـ البلاذري ، مرجع سابق .

١٠ ـ بطرس ضو « تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري » مصدر سابق ص ٢٩٤ .

١١ ـ نفس المصدر ص ٣٦٤ و ٣٠٤ و ٣٠٥ .

١٢ ـ نفس المصدر ص ٣٦٥ و ٣٦٦ .

١٣ ـ لحد خاطر « لبنان والفاتيكان » ـ المخلصية ـ لبنان ١٩٦٦ ص ٥٨ .

١٤ ـ « لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني » محمد علي مكي ـ مصدر سابق ص ٥٣ . انظر أيضاً بطرس ضو « تاريخ الموارنة الديني والسياسي . . . » ص ٣٦٧ .

١٥ ـ ضو « تاريخ الموارنة الديني والسياسي . . . » مصدر سابق ص ٣٠٩ ـ ٣١٣ .

١٦ ـ « السفير في ١١ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ م .

١٧ ـ بطرس ضو ، مرجع سابق ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

١٨ ـ نفس المصدر ص ٤٠٥ .

١٩ ـ من محاضرة لبطرس ضو في ٨ شباط ١٩٧٧ .

٢٠ ـ « خطط الشام » محمد كرد علي ـ جزء ١ ص ١٨٠ ـ مكتبة النوري دمشق .

٢١ ـ طنوس الشدياق « اخبار الأعيان في جبل لبنان » جزء ٢ ص ٢٧٨ . ١٩٥٤ م

٢٢ ـ نفس المصدر ص ٢٨٤ .

٢٣ ـ راجع حول هذا الانذار كتاب منشلوبرغر : احداث بيزنطية والصليبيين .

٢٤ ـ محمد علي مكي ـ مرجع سابق ص ٨٨ و ٩١ و ٩٢ و ٩٤ .

٢٥ ـ راجع في هذا الموضوع كتاب بابوات من الحي اليهودي ـ يواكيم برنز

ترجمة الأستاذ خالد اسعد عيسى . دار حسان للطباعة والنشر ـ دمشق ١٩٨٣ م . ص ٢٧ ـ ٤٩ .

٢٦ ـ نفس المصدر . ص ٦١ .

٢٧ ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ محمد خليفة التونسي ـ بيروت ١٩٨٢ م ص ١٦٨ .

٢٨ ـ بابوات من الحي اليهودي ص ٦١ ـ ٨٨ .

٢٩ ـ نفس المصدر ص ١٤٩ ـ ٢٣٩ .

٣٠ ـ نفس المصدر ص ٢٤٤ .

٣١ غارودي : من انفصال الغرب الى حوار الحضارات . ص ١٠٨ .

٣٢ ـ لورغا : تاريخ الصليبيين المختصر ، ص ١٥ .

٣٣ ـ Ency Brit - 1960 . Vol 6 . - P . 771

٣٤ ـ محمد علي مكي ـ لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ـ مرجع سابق ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

٣٥ ـ . LuKe . P . 81

٣٦ ـ . Ency Brit ، 11 th Ed . 1911 ، Article : Crusade

٣٧ ـ كمال صليبي ، تاريخ لبنان الحديث مصدر سابق ، ص ٢١٠ .

٣٨ ـ . Ibid

٣٩ ـ وليد فارس : التعددية في لبنان ـ الكسليك ـ ١٩٧٩ م ص ٦٧ ـ ٦٨ .

٤٠ ـ نفس المصدر ص ٤٣ .

٤١ ـ « عودة النصارى الى جرود كسروان » بقلم الخوري جرجس زغيب خادم حراجل ١٧٠١ ـ ١٧٢٩ . نشره وعلق حواشيه الخوري بولس فرألي . منشورات جروس برس . ص ٢ مؤسسة خليفة للطباعة بولفار الدورة بيروت .

٤٢ ـ النشرة المزدوجة من محاضرات دار الندوة : ٥ و ٦ ، السنة الثانية . بيروت في ٢١ حزيران ١٩٤٨ ص ١٦٧ ، ١٦٩ .

٤٣ ـ كمال صليبي ، الموارنـة صورة تـاريخية ، بيـروت ١٩٧٠ ص ١٣١ ـ ١٤٣ في النسخة الأجنبية .

٤٤ ـ محمد علي مكي ـ مرجع سابق ص ١١٣ .

٤٥ ـ عبد الفتاح عاشور ـ الحركة الصليبية ـ الجزء الأول ص ٢٤٣ القاهرة ١٩٦٣ .

٤٦ ـ نفس المصدر ص ٢٤٤ .

٤٧ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ، المجلد العاشر ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

٤٨ ـ ابن العبري الملطي : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ .

٤٩ ـ نقلاً عن عاشور ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

٥٠ ـ الباني في سلاح الإيمان ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

٥١ ـ بطربس ضو ، تاريخ الموارنة . . . مرجع سابق ص ٣٨٢ .

٥٢ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ، جزء ١ ـ ص ٣٧٢ .

٥٣ ـ محمد علي مكي ـ مرجع سابق ص ١١٢ .

٥٤ ـ ابن الأثير ـ مرجع سابق جزء ١٠ ، ص ٣٤٤ .

٥٥ ـ نفس المصدر .

٥٦ ـ محمد علي مكي ـ مرجع سابق ص ١١٢ ـ

٥٧ ـ الشدياق ، اخبار الأعيان . . . جزء ١ ، ص ٢٥٠ .

٥٨ ـ الشدياق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٤ .

٥٩ ـ ابن القلانسي : « ذيل تاريخ دمشق » ص ١٦٨ ـ ١٦٩ . مطبعة اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ .

٦٠ ـ محمد علي مكي : مرجع سابق ص ١٢٢ .

٦١ ـ نفس المصدر ، ص ١١٣ .

٦٢ ـ هـاني فارس : النزاعـات الـطائفية في تـاريخ لبنـان الحـديث ، بيـروت ١٩٨٠ م ـ الأهلية ـ ص ٩٤ .

٦٣ ـ محمد علي مكي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

٦٤ ـ بابوات من الحي اليهودي ، مرجع سابق ص ١٤ .

٦٥ ـ نفس المصدر ص ٣٠٦ .

٦٦ ـ لحد خاطر ، لبنان والفاتيكان ص ٦٠ . مرجع سابق .

٦٧ ـ نفس المصدر .

٦٨ ـ نفس المصدر .

٦٩ ـ نفس المصدر نقلاً عن الجـامع المفصـل ص ٢٠٠ ، وبولس مسعد في دليل لبنان ص ٢٧٣ .

٧٠ ـ زين نـور الـدين زين ، الصـراع الـدولي في الشـرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان . دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٧ م ص ٣٣ .

٧١ ـ لحد خاطر ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

٧٢ ـ عبـد الفتاح عبـد المقصود ، صليبيـة الى الأبد ، بيـروت ـ مكتبة العـرفان ـ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

٧٣ ـ للاطلاع على هذه الرسالة انظر الملحق رقم ١ في :

- Noel spencer : the role of the maronite patriarchate in Lebanese politics From 1840 . to the present . Unpublished Master , Sthesis . American University of Beirut , 1963 . P . 112 - 113 .

٧٤ ـ زين زين « الصـراع الدولي في الشـرق الاوسط . . . » مصدر سـابق . ص ٣٣ .

٧٥ ـ لحد خاطر « لبنان والفاتيكان » مصدر سابق ص ٦١ .

٧٦ ـ نفس المصدر ص ي .

٧٧ ـ نفس المصدر ص ٢٥ .

٧٨ ـ عبد الفتاح عبد المقصود ، صليبية الى الأبد ص ٨٩ .

٧٩ ـ محمد علي مكي ، مرجع سابق ص ١٩٩ .

٨٠ ـ عبد الفتاح عبد المقصود . مرجع سابق ص ٩١ ـ ٩٢

٨١ ـ محمـد علي مكي ، لبنان من الفتـح العـربي الى الفتـح العثمـاني ص ٢٠٢ .

٨٢ ـ نفس المرجع ص ٢٠٤ .

٨٣ ـ لحد خاطر ، لبنان والفاتيكان ص ٦١ ، ٦٢ .

٨٤ ـ نفس المرجع ص ٦٢ .

٨٥ ـ مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار ـ المطبعة العصرية ـ صيدا ١٩٥٣ ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

٨٦ ـ لطفي لوفينيان ، الاسلام والمسيحية ـ لندن ١٩٤٠ م ص ١٤٢ . انظر ايضاً المرجع السابق ص ١١٥ .

٨٧ ـ توماس ارنولد ، تراث الاسلام ، ترجمة جرجس فتح الله دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢ م ص ٧٨ .

٨٨ ـ لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ، ص ٢١١ . مرجع سابق .

٨٩ ـ نفس المصدر ، ص ٢٠٧ .

٩٠ ـ كمال صليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، ص ٤١ .

٩١ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ص ي .

٩٢ ـ نفس المصدر ص ٢٦ .

٩٣ ـ نفس المصدر ص ٥٧ ـ ٥٨ .

٩٤ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي جزء ٢ ص ٣٢ و ٣٣ بيروت ١٩٥٦ .

٩٥ ـ لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ـ ص ٢٣٠ وما بعدها .

٩٦ ـ نفس المصدر ص ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ .

٩٧ ـ تاريخ لبنان الحديث ـ كمال صليبي ـ ص ٢١ ـ ٢٢ مرجع سابق .

٩٨ ـ لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ـ محمد علي مكي ص ٢٦٥ .

٩٩ ـ محمد علي مكي ـ مرجع سابق . . ص ٢٦٥ .

١٠٠ ـ لحد خاطر ، مرجع سابق ـ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

١٠١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ـ ص ١٦١ .

١٠٢ ـ لحد خاطر . . مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

١٠٣ ـ جوناثال رندل ، حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ـ الترجمة العربية ـ تموز ١٩٨٤ م ص ٥٤ .

١٠٤ ـ انيس صايغ ـ لبنان الطائفي بيروت ١٩٥٥ ـ ص ٩٣ وما بعدها .

١٠٥ ـ راجع : فؤاد قازان ، لبنان في محيطه العربي .

هوامش الفصل الثاني

١ ـ عوض عبد العزيز محمد ، الادارة العثمانية ، ص ٣٠٨ . القاهرة ١٩٦٩ ، دار المعارف .

٢ ـ نفس المصدر ، ص ٣١٤ .

٣ ـ فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ .

٤ ـ عوض ، الادارة العثمانية ، ص ٣١١ . مرجع سابق .

٥ ـ د . وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ ، معهد الانماء العربي ، بيروت ١٩٨٢ ص ٣٩ .

٦ ـ فيليب حتي ـ تاريخ سوريا ـ جزء ٢ ، ص ٣١٨ ـ ٣٢٠ .

٧ ـ تاريخ المجتمع العربي ـ الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب ـ للعام الدراسي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ ص ٦٥ . تأليف الدكتورة هند فتال .

٨ ـ نفس المصدر .

٩ ـ د . وجيه كوثراني ، مرجع سابق ص ٤٣ .

١٠ ـ . j . C . Hurewitz -

the middle east and North Africa in World Politics ' Volume 1 , european expansion 1535 — 1914 New haven and London yale University press 1975 .

١١ ـ خالدي ـ فروخ ، التبشير والاستعمار ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ المطبعة العصرية صيدا ١٩٥٣ .

١٢ ـ الامتيازات الأجنبية بيروت ١٩٢٢ ص ٢٥ .

١٣ ـ تاريخ المجتمع العربي ـ مرجع سابق ص ٦٦ .

١٤ ـ د . وجيه كوثراني ـ مرجع سابق ص ٤٢ .

١٥ ـ نفس المصدر ص ٤٣ .

١٦ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ـ جزء ٣ ص ١٥٩ . مطبعة النوري ، دمشق ١٩٨٣ .

١٧ ـ Riestelhucber , René : Traditions francaises au liban , Librairie — Felix Alcan , Paris , 1918 P . 96 .

١٨ ـ زين نور الدين زين ـ نشوء القومية العربية ـ بيروت ١٩٧٩ ص ٤٧ ـ ٤٨ .

١٩ ـ نفس المصدر ـ ص ٧٧ .

٢٠ ـ جب و بوون ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ص ١٦٠ ، ١٦١ مصر ١٩٧١ .

٢١ ـ د . وجيه كوثراني ـ مصدر سابق ص ٤٦ .

٢٢ ـ تاريخ المجتمع العربي ـ مصدر سابق ص ٦٦ .

٢٣ ـ . Rodinson Maxime : Islam et capitalisme , Paris 1966 ; P . 135

٢٤ ـ تاريخ المجتمع العربي ، ص ٦٧ . مصدر سابق .

٢٥ ـ هاني فارس ، النزاعات الطائفية . . . مصدر سابق ص ٤٦ .

٢٦ ـ نفس المصدر .

٢٧ ـ د . وجيه كوثراني مصدر سابق ص ٤٤ .

٢٨ ـ Cité par Corm Georges «Contribution à l'étude des sociétés Multi-confessionnelles » P 274 .

٢٩ ـ Archives Diplomatiques : 4 ème série , Tome 130 janvier 1914 , PP . 161 — 164 .

٣٠ ـ د . وجيه كوثراني ـ مرجع سابق ص ٤٣ .

٣١ ـ المارونية السياسية ، كتاب السفير ، ص ٦٤ .

٣٢ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ـ ص ٦٥ . مرجع سابق .

٣٣ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ـ ص ٤١ . مرجع سابق .

٣٤ ـ محمد علي مكي ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

٣٥ ـ نفس المصدر ص ٢٧٩ .

٣٦ ـ د . وجيه كوثراني مرجع سابق ص ١٦ .

٧ ـ نفس المصدر ص ١٨

٣٨ ـ نفس المصدر ص ١٨ .

٣٩ ـ عوض عبد العزيز محمد ـ الادارة العثمانية ، ص ٢٢٥ . مصدر سابق .

٤٠ ـ نفس المصدر ص ٢٢٤ .

٤١ ـ محاضرة بطرس ضو في ٨ شباط ١٩٧٧ م ـ مرجع سابق .

٤٢ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ـ بيروت ١٩٨١ م ص ٨١ . دار النهار .

٤٣ ـ نفس المصدر .

٤٤ ـ دكتور وجيه كوثراني مصدر سابق ص٢٢ .

٤٥ ـ محمد جابر آل صفا ـ مصدر سابق ص ١١١ ـ ١١٣ .

٤٦ ـ نفس المصدر ص ١٠٤ وص ٨٨ ـ ٩٦ .

٤٧ ـ د . وجيه كوثراني ص ٢٥ مرجع سابق .

٤٨ ـ نفس المصدر ص ٢٦ .

٤٩ ـ نفس المصدر .

٥٠ ـ نفس المصدر ص ٢٧ ـ ٢٨ .

٥١ ـ عودة النصارى الى جرود كسروان ـ مصدر سابق ص ٣٩ـ٥٠ مؤسسة خليفة للطباعة بولفار الدورة ـ البوشرية .

٥٢ ـ نفس المصدر نقلاً عن :

L . Lemmens . Acta S . Congr . de Prop . Fide Pro Terra Sancta Vol . 1 . P . 44 .

٥٣ ـ P. Eng. Rojer . La terre Sainte et L'Histoire de FaKhreddin . paris 1964 .

راجع أيضاً في سيرة فخر الدين كتب المؤرخين الشرقيين كالدويهي وطنوس الشدياق والأمير حيدر .

٥٤ ـ كمال الصليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ١٧٠ .

٥٥ ـ راجع لبنان الطائفي لأنيس صايغ ص ٥٥ ـ ٧٧ . بيروت دار الصراع الفكري ، ١٩٥٥ .

٥٦ ـ لحد خاطر ـ مرجع سابق ص ١٨٩ .

٥٧ ـ نفس المصدر ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

٥٨ ـ نفس المصدر ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

٥٩ ـ كمال الصليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٢٠ و ٣٢ .

٦٠ ـ لحد خاطر ـ مرجع سابق ص ١٩٢ .

٦١ ـ نفس المصدر ص ١٩٣ .

٦٢ ـ نفس المصدر ص ١٩٤ .

٦٣ ـ نفس المصدر ص ١٩٥ .

٦٤ ـ نفس المصدر ص ٦٦ .

٦٥ ـ نفس المصدر ص ١٩٥ .

٦٦ ـ نفس المصدر ص ٦٧ .

٦٧ ـ نفس المصدر ص ١٩٦ .

٦٨ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ص ٨١ ـ ٨٣ . دار النهار ١٩٨١ .

٦٩ ـ فتحي يكن ـ المسألة اللبنانية من منظور اسلامي ـ بيروت ١٩٧٩ ص ٤٥ .

٧٠ ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ صليبية الى الأبد ص ٢٣٩ ـ مكتبة العرفان بيروت .

٧١ ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤١ .

٧٢ ـ زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان بيروت ١٩٧٧ ص ٢٣ .

٧٣ ـ بطرس شبلي ـ البطريرك الدويهي ـ بيروت ١٩٧٠ ص ١٣١ .

٧٤ ـ زين زين « الصراع الدولي . . . » مصدر سابق ص ٣٤ .

٧٥ ـ تاريخ المجتمع العربي ـ مصدر سابق ص ٧٥ .

هوامش الفصل الثالث

١ ـ كمال صليبي ـ الموارنة صورة تاريخية ـ ص ٢٣ ـ ٣٤ . بيروت ١٩٧٠ ، دار النهار .

٢ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٤٢ . مرجع سابق .

٣ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ . مرجع سابق .

٤ ـ نفس المصدر نقلاً عن كتاب فخر الدين المعني الثاني لقرألي صفحة ٣٨٠ و ٣٨١ من الجزء الثالث .

٥ ـ نفس المصدر نقلاً عن قرألي ـ فخر الدين المعني الثاني ـ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٨ .

٦ ـ كمال صليبي ـ تايخ لبنان الحديث ص ٤٠ .

٧ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ص ٨١ ـ ٨٣ .

٨ ـ الخوري بطرس غالب ـ فرنسا صديقة ومحامية ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ بيروت ١٩٢٤ .

٩ ـ لحد خاطر مرجع سابق ص ٢٦ ـ ٢٧ .

١٠ ـ كمال صليبي ـ تايخ لبنان الحديث ص ٤٠ . مرجع سابق .

١١ ـ لحد خاطر . ص ٢٠٢ ، مرجع سابق .

١٢ ـ نفس المصدر ص ٢٠٣ .

١٣ ـ نفس المصدر ص ٢٠٤ .

١٤ ـ نفس المصدر ص ٢٠٥ .

١٥ ـ منصور الحتوني ، من تاريخ لبنان : نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية (بيروت : اوراق لبنانية ١٩٥٦) ، ص ١٤٢ .

١٦ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ص ١٢٥ . دار النهار ـ بيروت ١٩٨١ .

١٧ ـ نفس المصدر ، ص : ١٢٥ ـ ١٣٠ .

١٨ ـ نفس المصدر ، ص ، ١٣٢ ـ ١٣٤ .

١٩ ـ نفس المصدر . ص ، ١٧ .

٢٠ ـ محمد جميل بيهم ، عروبة لبنان ـ تطورها في القديم والحديث ـ بيروت ١٩٦٩ دار الريحاني ص ٤١ ـ ٤٥ .

٢١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ١٧ .

٢٢ ـ هاني فارس ، النزاعات الطائفية . . . مصدر سابق ص ٩٤ .

٢٣ ـ ibid , 236

٢٤ ـ زين زين ـ الصراع الدولي في الشرق الأوسط . . . مصدر سابق ص ٣٤ .

٢٥ ـ . Ristelhueber , René , les traditions francaises au liban p . 288

٢٦ ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ صليبية الى الأبد ـ مرجع سابق ص ٢٣٦ .

٢٧ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٥١ .

٢٨ ـ عبد الفتاح عبد المقصود . . . ص ٣٦٢ .

٢٩ ـ نفس المصدر ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

٣٠ ـ تاريخ المجتمع العربي ـ مصدر سابق ص ٧٥ .

٣١ ـ نفس المصدر ص ٧٧ .

٣٢ ـ كتاب السفير ـ المارونية السياسية ص ١٥ .

٣٣ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ـ الجزء الثالث ص ١٧ ، مصدر سابق .

٣٤ ـ نفس المصدر ص ١٦ .

٣٥ ـ كمال صليبي ، تاريخ لبنان الحديث ص ٥١ .

٣٦ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ـ جزء ٣ ص ١٣ . مصدر سابق .

٣٧ ـ نفس المصدر ص ١٥ .

٣٨ ـ فؤاد أفرام البستاني:لبنان . مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الأول ، المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٦٩ م ص ، ٣٤٢ .

٣٩ ـ بولس مسعد ونسيب وهيبه الخازن ، الأحوال التاريخية : مجموعة وثائق ، المجلد الأول ، بيروت مطابع سامية ١٩٥٦ م ص ٢٣١ .

٤٠ ـ . ibid , p 87 - 94

٤١ ـ نفس المصدر ص ١١٢ .

٤٢ ـ منصور الحتوني ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

٤٣ ـ نفس المصدر ص ١٤٢ .

٤٤ ـ: iliya Harik politics , and chanje in a Traditional Society - lebanon 1711 - 1845 (princeton , princeton university press , 1968) , P . 125

٤٥ ـ فؤاد افرام البستاني ، مذكرات رستم باز ـ بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٥ م ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

٤٦ ـ نفس المصدر .

٤٧ ـ نفس المصدر ص ١٠ ـ ١٦ .

٤٨ ـ Mansour ' Awad , le clerjé , Droit - il payer la capitation et l'impôt Foncier ? études historiques et canoniques (Beirut (1923) p , 40 — 41 —

٤٩ ـ iliya Harik , op . cit P 232 .

٥٠ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، مستشهداً بـ « المقاطعة الكسروانية ص ٢٢٥) .

٥١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

٥٢ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ، ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .

٥٣ ـ محمد جابر آل صفا . . . ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

٥٤ ـ نفس المصدر ص ١٥٢ .

٥٥ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٦٧ .

٥٦ ـ ibid : P , 236

٥٧ ـ Kamal Salibi Maronite Historians of Medieval Lebanon , catholic — Press , 1959 , P . 163 .

٥٨ ـ فؤاد افرام البستاني ـ مذكرات رستم باز ، بيروت ١٩٥٥ ، المطبعة الكاثوليكية ، ص ٣٢ .

٥٩ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٧٠ . وأنيس صايغ ، لبنان الطائفي ، بيروت ـ دار الصراع الفكري ، ١٩٥٥ ، ص ١٠٩ .

٦٠ ـ انيس صايغ ، المرجع السابق . ص ١٠٩ .

٦١ ـ سميليا نسكايا ، « المقدمات الاجتماعية والاقتصادية للحركة المناوئة للإقطاع في لبنان خلال القرن التاسع عشر (الميلادي) » ص ٦٥ ـ ٦٨ .

٦٢ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ـ ص ٦١ .

٦٣ ـ Rodinson Maxime : Islam et capitalisme Paris 1966 p 135 .

٦٤ ـ جب وبوون : المجتمع الاسلامي والغرب » ص ١٥٩ . مصر ١٩٧١ .

٦٥ ـ Guys H . : Relation d'un séjour de plusieurs années à Beyrouth et dans le liban , Paris 1847 , t , I , P : 56 .

٦٦ ـ جب وبوون ، المصدر السابق ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

٦٧ ـ د . وجيه كوثراني . الاتجاهات الاجتماعية . . . مصدر سابق ص ٦٨ .

٦٨ ـ كمال صليبي : تاريخ لبنان الحديث ، ص ١٣٠ .

٦٩ ـ د . وجيه كوثراني مصدر سابق ص ٤٨ .

٧٠ ـ نفس المصدر ص ٤٨ ـ ٤٩ .

٧١ ـ نفس المصدر ص ٤٩ .

٧٢ ـ زين زين ـ الصراع الدولي في الشرق الاوسط . . . مصدر سابق ص ٢٨

٧٣ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ـ الجزء الثالث ص ١٦٠ .

٧٤ ـ خالدي ـ فروخ ـ التبشير والاستعمار ـ ص ١٥٠ .

٧٥ ـ د . وجيه كوثراني ـ الاتجاهات الاجتماعية . . . مصدر سابق ص ٦٧ ، نقلاً عن « تقاليد فرنسا في لبنان » الترجمة العربية ١٩٢١ ـ حريصا ـ لبنان . وغالب حنا : « فرنسا صديقة ومحامية » بيروت ١٩٢٤ .

هوامش الفصل الرابع

١ ـ كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ص ٧٩ .

٢ ـ نفس المصدر ص ٨١ .

٣ ـ نفس المصدر ص ٨٦ ـ ٨٩ انظر أيضاً : D . chevalier , le siciété du Mont - liban , P 161 - 162

٤ ـ للاطلاع على نص المذكرة التي رفعتها الكنيسة المارونية الى الحكومة الفرنسية محددة أهدافها وموجزة خطة لاعادة التنظيم السياسي للبنان ، انظر : — Iliya HariK op . cit . Appendix I , PP . 290 - 293 .

٥ ـ — Malcom Kerr (éd) Lebanon in the , Last years of Feudalism , 1840 – 1868 : A contemporary Account by Antun Dahir Al - 'Aqiqi and other Documents (Beirut , catalic Press , 1959) , PP . 4 — 5

٦ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٩١ .

٧ ـ نفس المصدر .

٨ ـ منصور الحتوني ـ مصدر سابق ص ٢٤٨ .

٩ ـ ibid .

١٠ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ، ص ٢٠٨ ، مصدر سابق .

١١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

١٢ ـ Noel Spencer , op . cit ., P . 40 . —

١٣ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ، ص ١٠٠ .

١٤ ـ ibid 56 .

١٥ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ١٠١ .

١٦ ـ نفس المصدر ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

١٧ ـ idem .

١٨ ـ كمال الصليبي « تاريخ لبنان . . . » ص ١٠٣ .

١٩ ـ نفس المصدر .

٢٠ ـ نفس المصدر ص ١٠٥ .

٢١ ـ معظم الرسائل الديبلوماسية المذكورة في هذه الدراسة تعود الى أرشيف الحكومة العامة للجزائر ـ سلسلة ٥ (استعمار ملف رقم ٢) وقد نشر قسماً منها جورج ايفر في « المجلة الإفريقية » ج ٦١ عدد ٣٠٤ ـ ٣٠٥ سنة ١٩٢٠ ، وقامت مجلة « النهار العربي والدولي » العدد ٢٤٥ و ٢٤٦ في ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ـ كانون الثاني ١٩٨٢ بإجراء تحقيق عن هذه الدراسة ونشر جميع الوثائق والرسائل التي نحن بصددها والمأخوذة من الملف المذكور .

٢٢ ـ « النهار العربي والدولي » العدد ٢٤٥ و ٢٤٦ نقلاً عن « استعمار الجزائر » ، بوديكور ، ص ٢٣٤ .

٢٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٣٩ .

٢٤ ـ « النهار العربي والدولي » العدد ٢٤٥ و ٢٤٦ نقلاً عن : القبائل واستعمار الجزائر ، او كابيتان ، ص ٦٧ .

٢٥ ـ « النهار العربي والدولي » العدد ٢٤٥ و ٢٤٦ نقلاً عن المراسلات الديبلوماسية ، عادل اسماعيل ، ج ٩ ، ص ٢٦٨ .

٢٦ ـ نفس المصدر ص ٢٧٢ ، يتضمن كامل بنود الشركة .

٢٧ ـ استعمار الجزائر ، بوديكور ص ، ٢٣٩ .

٢٨ ـ المراسلات الديبلوماسية ، عادل اسماعيل ، ج ٩ ، ص ٣٠٠ .

٢٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ . .

٣٠ ـ وثائق الحكومة العامة في الجزائر ـ رسالة القنصل الفرنسي العام في سوريا الى وزارة الخارجية الفرنسية في ١٠ شباط ١٨٥٥ .

٣١ ـ المرجع نفسه ، تقرير مارتمبري وبيكومال E , ٢٤١ (٣).كان مار تمبري انذاك يشغل مركز نائب الحاكم العام في الجزائر .

٣٢ ـ وثائق الخارجية الفرنسية في باريس ، المراسلات القنصلية ، مصر ، من الوزير الى الخديوي . باريس ١٢ شباط ١٨٦١ (م) ص ٢١٠ .

٣٣ ـ مجلة « ريفي كومرسيال » ج ٥ ـ جريدة « بروغرا دوليون » عدد ١٠ تموز ١٨٦٠ (م) .

٣٤ ـ « الأزمة السورية والتوسع الاقتصادي الفرنسي في سنة ١٨٦٠ م » مقال منشور في المجلة التاريخية الفرنسية السنة ٧٦ المجلد ١٠٧ ، عدد كانون الثاني ـ آذار ١٩٥٢ (م) ، بقلم مارسيل ايميريت : (Marcel Emerit) .

٣٥ ـ Malcom Kerr (ed) . Lebanon in the Last Years of Feudalism , op . cit , P . 11 — 12 —

٣٦ ـ ibid , P . 11 .

٣٧ ـ ibid , P . 13 — 14 . —

٣٨ ـ كمال صليبي ، تاريخ لبنان الحديث ص ١٠٩ .

٣٩ ـ يوسف يزبك ، ثورة وفتنة في لبنان : صفحة مجهولة من تاريخ الجبل من ١٨٤١ ـ ١٨٧٣ (م) بقلم معاصر عاش فيها.انطون ضاهر العقيقي بيروت : مطبعة الاتحاد ، ص ٥٤ .

٤٠ ـ Malcom Kerr , op , cit . P , 15 .

٤١ ـ يوسف يزبك ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

٤٢ ـ كمال صليبي ، المصدر السابق ص ١١٤ .

٤٣ ـ نفس المصدر ص ١٢١ .

٤٤ ـ يوسف يزبك ، المصدر السابق ص ١٣٦

٤٥ ـ د . وجيه كوثراني ، مصدر سابق ص ٦٣ .

٤٦ ـ منصور الحتوني ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

٤٧ ـ هناك رسائل محفوظة حتى الآن في ارشيفات بكركي البطريركية تثبت هذا الأهتمام ، وهي ملحقة بمخطوطة العقيقي التي نشرها يزبك وهي تظهر بالانكليزيه في كتاب كبير تحت الفصل الثالث .

٤٨ ـ Malcom Kerr , op . cit P . 24 . —

٤٩ ـ Donald Eujene , Brown and company ; 1970 , P . 54 . —

٥٠ ـ Malcom Kerr , op , cit . P . 23 . —

٥١ ـ iliya Harik , op . cit , P , 19 . —

٥٢ ـ كمال صليبي ، تاريخ لبنان . . . ص ١٢٤ .

٥٣ ـ نفس المصدر .

٥٤ ـ نفس المصدر ص ١٣٥ .

٥٥ ـ غالب حنا ـ فرنسا صديقة ومحامية ، ص ٣٥٥ ـ ٣٦٠ ، مصدر سابق .

٥٦ ـ خالدي ـ فروخ ـ التبشير والاستعمار ص ١٤٢ .

٥٧ ـ نفس المصدر

٥٨ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ، ج ٣ ـ ص ٨١ .

٥٩ ـ « لوكوريه دوليون » ، عدد ٢١ تموز ١٨٦٠ م .

٦٠ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان . . . ـ ص ١٢٧ .

٦١ ـ خالدي ـ فروخ ـ التبشير والاستعمار ص ١٤٢ .

٦٢ ـ زين زين ـ الصراع الدولي في الشرق الأوسط . . . ص ٣٢ .

٦٣ ـ نفس المصدر

٦٤ ـ دكتور وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية . . . مصدر سابق ص ٧٢ .

٦٥ ـ فتحي يكن ، المسألة اللبنانية من منظور اسلامي بيروت ١٩٧٩ ، ص ٤٥ . انظر ايضاً المصدر اللاحق .

٦٦ ـ احمد طربين ، لبنان منذ عهد المتصرفية الى بداية الانتداب : ١٨٦١ ـ ١٩٢٠ (م) ، القاهرة ، معهد الابحاث والدراسات العربية ، ١٩٦٠ م ، ص ١ ـ ٢ . انظر ايضاً : يوسف خطار ابو شقرا ، الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ، بيروت ، مطبعة الاتحاد ١٩٥٢ (م) ، ص ١٣٨ .

٦٧ ـ يوسف خطار ابو شقرا ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

٦٨ ـ — Kamal Salibi , the Modern History of Lebanon (London : Wiedenfeld and Nicolson , 1965 . P . 110 .

٦٩ ـ احمد طربين ـ المصدر السابق ، ص ٣٧٣ ـ ٣٨٠ ويحتوي على النص العربي للنظام الجديد .

٧٠ ـ انيس صايغ ، لبنان الطائفي ، ص ١٢٥ ، مصدر سابق .

٧١ ـ راجع مجلة : دراسات عربية ، السنة العاشرة . العدد ١٠ ـ آب ١٩٧٤ (م) . ص ٥٢ .

٧٢ ـ يوسف السودا ، في سبيل الاستقلال ، المجلد الأول ـ بيروت ، دار الريحاني : ١٩٦٧ م ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

٧٣ ـ ميشيل غريب ، الطائفية والإقطاعية في لبنان ، بيروت : مطابع سميا ، ١٩٦٤ (م) .

٧٤ ـ بشارة الخوري ، حقائق لبنانية ، ج ١ ، ١٩٦٠ ، ص ٣٠ .

٧٥ ـ مجلة : « النهار العربي والدولي » عدد ٣٤١ ، في ١٤ ـ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٨٣ .

٧٦ ـ — Cuinet Vital : Syrie Liban et Palestine Géographie Administrative , Paris , 1896 .

٧٧ ـ زين زين ـ الصراع الدولي في الشرق الأوسط . . . ص ٣٢ .

٧٨ ـ د . وجيه كوثراني ، مصدر سابق ، ص ٨٠ .

٧٩ ـ عوض عبد العزيز محمد « الادارة العثمانية . . » ص ٣١٤ ، مصدر سابق .

٨٠ ـ انطوان ضاهر العقيقي : فتنة وثورة في لبنان ص ١٣٥ . مصدر سابق .

٨١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ١٥٠ .

٨٢ ـ نفس المصدر ص ١٥٢ .

٨٣ ـ نفس المصدر ص ١٩٨ .

٨٤ ـ نفس المصدر ص ١٥٦ .

٨٥ ـ — Kamal salibi , the modern History of Lebanon op . cit , P : 112 — 113 .

٨٦ ـ د . وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية . . . مصدر سابق ص ٨١ .

٨٧ ـ احمد طربين ، مصدر سابق ص ٣٦ ـ ٤٥ .

٨٨ ـ نفس المصدر ص ، ٧٣ ـ ٧٤ .

٨٩ ـ — jessup — P , 532 .

٩٠ ـ احمد طربين ، لبنان منذ عهد المتصرفية حتى عهد الانتداب ، ص ١٨٥ . مصدر سابق

٩١ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ، ج ٣ ص ١٠٣ .

٩٢ ـ د . وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية . . . مرجع سابق ، ص ٨٣ .

٩٣ ـ د . احمد طربين ، لبنان منذ عهد المتصرفية الى بداية الانتداب ١٨٦١ ـ ١٩٢٠ جامعة الدول العربية ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩ .

٩٤ ـ ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية ـ رسالة رقم ٨٤ تاريخ ٢٧ أيلول ١٩٠٨ ، وملحقها .

٩٥ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

٩٦ ـ نفس المصدر ص ، ١٦٧ ـ ١٦٨ .

٩٧ ـ نفس المصدر ص ، ١٧٨ .

٩٨ ـ احمد طربين ، « لبنان منذ عهد المتصرفية . . . » ص ٩٥ ، مصدر سابق .

٩٩ ـ زين زين « نشوء القومية العربية » مصدر سابق ص ١٨٣ .

هوامش الفصل الخامس

١ ـ خالدي ـ فروخ ـ ، التبشير والاستعمار ، المطبعة العصرية صيدا ـ بيروت ١٩٥٣ م ، ص ١٤٢ و ١٥٠ .

٢ ـ نفس المصدر ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

٣ ـ نفس المصدر ، ص ١١٨ ـ ١٢٠ .

٤ ـ يوسف مزهر ، « تاريخ لبنان العام » (بيروت ، مجهول التاريخ) ج ١ ص ٦٠٤ ، نقلاً عن رسالة من يوسف كرم الى البطريرك بولس مسعد بيروت ١٩٥٦ .

٥ ـ التبشير والاستعمار ، ص ١٢٠ .

٦ ـ نفس المصدر ، ص ١٤٢ .

٧ ـ نفس المصدر ، ص ١٢٠ .

٨ ـ نفس المصدر ، ص ٥٦ .

٩ ـ نفس المصدر ، ص ٧٧ .

١٠ ـ زين زين ، « الصراع الدولي في الشرق الأوسط . . . » ص ٣٣ ، مصدر سابق .

١١ ـ الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ الدكتورة هند فتال ، تاريخ المجتمع العربي ص ٧٥ .

١٢ ـ المركز الاسلامي للتربية : « التقرير الاسلامي » ، بيروت ، العدد ٦ ، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٩ م ، ص ٦ .

١٣ ـ « التبشير والاستعمار » مرجع سابق .

١٤ ـ نفس المصدر ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

١٥ ـ نفس المصدر .

١٦ ـ H . Pirenne : Mahomet et charlemagne , revue belge de philologie et d'histoire Bruxelles , 1922 , T , I , P , 85 .

١٧ ـ التبشير والاستعمار ، ص ٣٦ .

١٨ ـ نفس المصدر ، ص ٣٧ .

١٩ ـ نفس المصدر ، ص ٣٧ .

٢٠ ـ مجلة « العالم الاسلامي » ، عدد حزيران سنة ١٩٣٠ (م) ، تحت عنوان الجغرافيا السياسية للعالم الاسلامي : Moslem World : the Political geography of the Mohammadan World , jan . 1930 . P . 1 — 4 .

٢١ ـ التبشير والاستعمار ص ١١٦ .

٢٢ ـ نفس المصدر ص ٣٦ .

٢٣ ـ نفس المصدر ص ٣٦ ـ ٣٧ .

٢٤ ـ الغارة على العالم الاسلامي ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي مكتبة اسامة بن زيد بيروت ، ص ١٥ .

٢٥ ـ نفس المصدر ـ ص ٣٥ .

٢٦ ـ التبشير والاستعمار ص ١٦٩ .

٢٧ ـ نفس المصدر ص ٣٤ .

٢٨ ـ نفس المصدر ، ص ٣٩ .

٢٩ ـ طبع عام ١٩٢٨ م ، ص ٢٢٠ ، وقد نال هذا الكتاب رضا البابا ليون

الثالث عشر (بابا التبشير) في سنة ١٨٨٧ م ، وعاش في المدارس المسيحية في الشرق والغرب الى اليوم .

٣٠ ـ التبشير والاستعمار ص ٤٠ ـ ٤١ .

٣١ ـ نفس المصدر ص ٤٠ و ٤٢ .

٣٢ ـ نفس المصدر ص ٤٢ .

٣٣ ـ نفس المصدر ، ص ٤٢ .

٣٤ ـ تاريخ فرنسا ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

٣٥ ـ ابراهيم خليل احمد ، المستشرقون والمبشرون في العالم الاسلامي .

٣٦ ـ زين زين ، نشوء القومية العربية ، الطبعة الثالثة ـ دار النهار بيروت ١٩٧٩ م ص ٤٩ .

٣٧ ـ التبشير والاستعمار ، ص ٥٢ .

٣٨ ـ نفس المصدر ص ٧٥ .

٣٩ ـ نفس المصدر ص ٢١١ .

٤٠ ـ نفس المصدر ص ٢١١ .

٤١ ـ نفس المصدر ، ص ٤٩ .

٤٢ ـ التبشير والاستعمار ـ ص ٦٦ .

٤٣ ـ نفس المصدر ص ٦٦ .

٤٤ ـ نفس المصدر ص ٦٦ .

٤٥ ـ نفس المصدر ٦٧ .

٤٦ ـ نفس المصدر ص ٨٨ .

٤٧ ـ نفس المصدر ص ٦٨ .

٤٨ ـ Paul W . Harrison , ND , Doctor in Arobia , P 277 .

٤٩ ـ التبشير والاستعمار ص ٤٩ .

٥٠ ـ نفس المصدر ص ٥٠ .

٥١ ـ نفس المصدر ، ص ٦٣ .

٥٢ . التبشير والاستعمار ص ١٩١ ـ ١٩٢ نقلاً عن conference of christian WorKers Among Moslems , N , Y , 1924 .

٥٣ ـ التبشير والاستعمار ص ١٩٣ .

٥٤ ـ نفس المصدر ص ١٩٤ .

٥٥ ـ نفس المصدر ص ٢١٤ .

٥٦ ـ نفس المصدر ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

٥٧ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ـ ص ١٧٤ .

٥٨ ـ نفس المصدر ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

٥٩ ـ نفس المصدر ص ١٧٨ .

٦٠ ـ التبشير والاستعمار ص ٧٨ .

٦١ ـ نفس المصدر ص ٩٦ ـ ٩٧ .

٦٢ ـ نفس المصدر ص ٩٧ ـ ٩٨ .

٦٣ ـ نفس المصدر ص ٢٠٠ .

٦٤ ـ نفس المصدر ص ٩٨ .

٦٥ ـ نفس المصدر ص ١٠٥ و ١٠٧ .

٦٦ ـ نفس المصدر ص ١٠٨ .

٦٧ ـ نفس المصدر ص ٩٩ .

٦٨ ـ « العصبة الأندلسية » العدد ٤ ـ ١٩٤٧ م .

٦٩ ـ التبشير والاستعمار ص ٢٠١ .

٧٠ ـ نفس المصدر ص ٢٠٢ .

٧١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ١٦٣ .

٧٢ ـ التبشير والاستعمار ص ١٦٧ .

٧٣ ـ نفس المصدر ص ٧٧ .

٧٤ ـ نفس المصدر ص ٣٨ .

٧٥ ـ نفس المصدر ص ١٤٢ .

٧٦ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ١٦٣ .

٧٧ ـ نفس المصدر ص ١٦٤ .

٧٨ ـ التبشير والاستعمار ص ١١١ .

٧٩ ـ نفس المصدر ص ١٨١ .

٨٠ ـ الاب لويس شيخو ، م . س ، ص ٧١ .

٨١ ـ تاريخ لبنان الحديث ـ ص ١٨٢ .

٨٢ ـ التبشير والاستعمار ص ٧٧ .

٨٣ ـ نفس المصدر ص ٢٠٩ .

٨٤ ـ نفس المصدر ص ٨٧ .

٨٥ ـ نفس المصدر ص ٧٧

٨٦ ـ نفس المصدر ص ٧٧ .

٨٧ ـ نفس المصدر ص ٢٠٣ .

٨٨ ـ نفس المصدر ص ٢٠٤ .

٨٩ ـ مجلة « النهار العربي والدولي » العدد ٣٦٨ في ٢٧ أيار ١٩٨٤ ص ٦٥ ـ ٦٦ .

٩٠ ـ نفس المصدر ص ٦٧ ـ ٦٨ نقلاً عن « جدول المدارس » لشاهين مكاريوس والتي ضمنها خطبته « المعارف في سوريا » وذلك في المجمع العلمي الشرقي في جلسة كانون الثاني ١٨٨٣ م ونشرتها « المقتطف » عام ١٨٨٣ . الجدول الثاني مأخوذ من « المقتطف » ، السنة ٧ ، ج ٧ ، عدد شباط ١٨٨٣ ، ص ٣٩١ .

والجدول الثالث مأخوذ أيضاً من « المقتطف » ، سنة ٧ ، ج ٩ ، ١٨٨٣ ، ص ٥٣٧ .

٩١ ـ التبشير والاستعمار ص ١٩٩ .

٩٢ ـ نفس المصدر نقلاً عن : — jessup 233 ff , . 730 .

٩٣ ـ زين نور الدين زين ـ نشوء القومية العربية ـ دار النهار ـ بيروت ١٩٧٩ ص ٥٢ .

٩٤ ـ د . وجيه كوثراني ـ الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ ـ معهد الانماء العربي بيروت ١٩٨٢ ص ١٧٩ نقلاً عن « تقاليد فرنسا في لبنان » ترجمة القس بولس عبود ـ حريصا ـ لبنان ١٩٢١ ص ٣٢١ .

٩٥ ـ زين زين ، نشوء القومية العربية ،٠ص ١٩١ .

٩٦ ـ نفس المصدر ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

٩٧ ـ هاني فارس ، النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث ـ الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٠ ص ١٣٦ نقلاً عن : — See ibid , PP . 161 — 163

٩٨ ـ نفس المصدر ص ١٤٦ نقلاً عن : — Berger and Levrault (eds) . La Syrie et Le Liban sous l'occupation et le Mandat Francais 1919 — 1927 , (Paris : imprimerie Vollaire N , D (1928 ?) P . 96 .

٩٩ ـ زين زين ـ نشوء القومية العربية ص ٥٤ .

١٠٠ ـ هاني فارس ، المصدر السابق ص ١٤٧ .

١٠١ ـ التبشير والاستعمار ص ١٧٠ نقلاً عن : — jessup 756 .

١٠٢ ـ د . وجيه كوثراني : « الاتجاهات الاجتماعية . . . » مصدر سابق ص ٤٥ .

١٠٣ ـ كتاب السفير ـ المارونية السياسية .

١٠٤ ـ يوسف السودا ، « في سبيل لبنان » ، الاسكندرية ، الفرير ١٩١٩ ص ٦ ـ ٧ . وكذلك كتاب « في سبيل الاستقلال » المجلد الأول بيروت دار الريحاني ١٩٦٧ ص ١٢ .

هوامش الفصل السادس

١ ـ د . وجيه كوثراني ، « الاتجاهات الاجتماعية . . . » مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

٢ ـ زين زين ، نشوء القومية العربية ، ص ٦٠ ـ ٦١ و ١٦٩ .

٣ ـ ان هذا المؤتمر جرى الحديث عنه في معظم الكتب والمراجع لما له من أهمية بالغة ادت الى زوال الأمبراطورية العثمانية نهائياً .

٤ ـ د . وجيه كوثراني ـ الاتجاهات الاجتماعية . . . » ص ١٦٤ ـ نقلاً عن المقتطف مجلد ٣٦ ص ٢٦٠ ـ ٢٦٥ .

٥ ـ زين نور الدين زين « نشوء القومية العربية » ص ١٩٧ .

٦ ـ شاهين مكاريوس : فضائل الماسونية ، مصر ١٨٩٩ م ص ٦٢ ـ ٦٣ .

٧ ـ د . وجيه كوثراني ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

٨ ـ زين زين ، نشوء القومية العربية ، ص ١٩٦ .

٩ ـ نفس المصدر ، ص ٦١ .

١٠ ـ د . وجيه كوثراني ، نفس المصدر ، ص ١٣٨ .

١١ ـ عادل الصلح ـ سطور من الرسالة ، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧ (م) بيروت ١٩٦٦ ، ص ١١٤ نقلاً عن كتاب « يوسف بك كرم في المنفى » سمعان الخازن ، طرابلس ١٩٥٠ ص ٣٤٦ .

١٢ ـ نفس المصدر ، ص ٩٢ .

١٣ ـ زين زين « نشوء القومية العربية » ، ص ١٨٥ ـ مصدر سابق .

١٤ ـ Colombe Marcel : Islam et nationalisme Arabe a la veille de la première querre Mondiale . Revue Hostirique 84e année cc xx III . janvier — Mars 1906 PP . 85 — 98 .

١٥ ـ المقتطف ـ جزء ٥ ـ كانون الأول ١٩٣٨ . مجلد ٩٣ .

١٦ ـ لعبة الأمم ، تعريب مروان خير ، ص ٢٦٩ ـ بيروت ١٩٧٠ .

١٧ ـ د . وجيه كوثراني ـ المصدر السابق ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

١٨ ـ خالدي ـ فروخ ـ التبشير والاستعمار ، ص ١٤٥ .

١٩ ـ نفس المصدر ص ١٧٢ ـ انظر ايضاً . Richter 22 —

٢٠ ـ نفس المصدر ص ١٤٦ .

٢١ ـ نفس المصدر ص ١٧٠ .

٢٢ ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ صليبية الى الأبد ، ص ٤١٥ .

٢٣ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ، ص ١٥٧ .

٢٤ ـ نفس المصدر ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

٢٥ ـ نفس المصدر ص ١٥٨ .

٢٦ ـ بشارة الخوري ـ حقائق لبنانية ، بيروت ١٩٦١ ص ٨٠ .

٢٧ ـ نفس المصدر ، ص ٨١ .

٢٨ ـ وجيه كوثراني ـ بلاد الشام ـ قراءه في الوثائق ـ بيروت ١٩٨٠ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٣ .

٢٩ ـ Bruneau André : Traditions et Politiques de la France au Levan — Paris 1931 , Thèse , P , 190 — 191 .

٣٠ ـ توفيق توما ـ الريفيون والمؤسسات الاقطاعية عند الدروز والموارنة في

لبنان من القرن السابع عشر حتى ١٩١٤ - بيروت ١٩٧١ ، الجزء الثاني ، ص ٦٧٣ وما بعدها .

٣١ - — Khairallah Khairallah : La Syrie , Paris 1912 .

٣٢ - زين زين - نشوء القومية العربية ، ص ١٠٢ .

٣٣ - نفس المصدر ، ص ٢١٠ .

٣٤ - ibidem , P 90 - 94

٣٥ - راجع « الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية » ص ١١ .

٣٦ - cite par Brunean André, op . cit , P . 195 — 196 .

٣٧ - correspondance d'orient 15 juillet 1919 . P , 28 — 29 , Rapport sur le Budget ordinaire des services civils (affaires étrangères)

٣٨ - د . مسعود ضاهر - تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤ - ١٩٢٦ (م) بيروت ١٩٧٤ ، ص ٢٢ .

٣٩ - نفس المصدر ص ٢٣ - ٢٤ .

٤٠ - نفس المصدر ص ٢٢ .

٤١ - Ducruet j . : Les capitaux Européens du proche — orient Paris 1940 . P , 19 — 21 .

٤٢ - بدر الدين السباعي - اضواء على الرساميل الأجنبية في سوريا ص ٤٢ .

٤٣ - corrèspondance d'orient , 15 juillet 1919 , op . cit .

٤٤ - مسعود ضاهر « تاريخ لبنان الاجتماعي . . . » ص ٢٥ . مصدر سابق .

٤٥ - مسعود ضاهر - « تاريخ لبنان الاجتماعي . . . » ص ١٦١ - ١٦٢ .

٤٦ - chevalier . D : Lyon et la Syrie ... P . 304 .

٤٧ - Archives Diplomatiques : 4e série , tome 130 , janvier 1914 , PP . 161 — 164 .

٤٨ - Samné Georges : La Syrie , Paris 1920 , P 222 .

٤٩ - Touma T . : Paysans et institutions Féodales chez les druzes et les maronites du liban du XVIIIe siècle à 1914 , Beyrouth 1971 , T , 2 . P 704 .

٥٠ - correspondance d'orient, janvier 1913 .

٥١ - Touma T . op . cit , P . 704 — 705 .

٥٢ - Le bequaa aux libanais!!! Mémoire presenté aux gouvernements des grandes puissances protéctrices du Liban , par les conseils municipaux de la ville de Zahlé et du Mont - Liban . Zahlé , Mars 1913 .

ارشيف المكتبة الشرقية ، جامعة القديس يوسف - بيروت .

٥٣ - غانم (من قبل البطريرك) الى ديلكاسي ، ١٤ - ٩ - ١٩١٤ . بيكو الى ديلكاسي ٥ - ١١ - ١٩١٤ ، ش خ أ حرب ٨٦٧ ، تركيا ، الجيش الرابع ، « لافيريتي سور لاكيستيون سيريان » ، اسطمبول ١٩١٦ (م) .

٥٤ - cité par Touma T . op , cit : P . 682 .

٥٥ - correspondace d'orient 25 Avril 1918 , P . 250 — 251 .

٥٦ - cité par Touma Ibidem , P . 683 .

٥٧ - Corm G . contribution á l'étude des sociétés Multiconfessionnelles P . 226 .

٥٨ - Moutran Nadra : La Syrie de Demain . Paris 1916 — P . 49 .

٥٩ - نفس المصدر .

٦٠ - ibidem . P , 60 .

٦١ - نفس المصدر ، ص ١٤١ .

٦٢ - الحكيم يوسف - « بيروت ولبنان في عهد آل عثمان » ص ٢٣٩ بيروت ١٩٦٤ المطبعة الكاثوليكية .

٦٣ - Ibidem , 97 — 100 .

٦٤ ـ Bruneau André , op , cit , P 290 .

٦٥ ـ عبد الفتاح عبد المقصود : صليبية الى الأبد ، ص ٢٢ .

٦٦ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ـ الجزء الثالث ، ص ١٤٦ .

٦٧ ـ فيليب ناتيلي وكولن سمبسون ـ « المخفي من حياة لورنس العرب » ترجمة ايلي لاوند وابراهيم العابد .

٦٨ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ص ٢٢٤ .

٦٩ ـ نفس المصدر ص ٢٢٥ .

٧٠ ـ « اوليتكور دوسو بولتان » ، « أوفر دولوريان » ، كانون الثاني ١٩١٢ .

٧١ ـ من « رسالة في نكبات لبنان مدة الحرب الى المهاجرين » ص ٧٠ ـ ٧٢ .

٧٢ ـ زين نور الدين زين ـ « الصراع الدولي في الشرق الأوسط . . . » ص ٨٥ ـ ٨٦ .

٧٣ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٢٠٧ .

٧٤ ـ Sammé G . : La Syrie . Paris 1920 , P 490 — 491 .

٧٥ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٢٠٣ .

٧٦ ـ نفس المصدر ، ص ٢٠٥ .

٧٧ ـ chevalier . D . Les bases d'une intervention ... P . 314 .

٧٨ ـ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية مصنفة تحت الرقم : F . O . 371 — 2298 — 27647 .

٧٩ ـ Archives du Ministère des Affaires Etrangères Levant E , Syrie — Liban , Cilice , Dossier général N° 1 Paje 61 .

٨٠ ـ المرجع نفسه ـ مجلد رقم ٥ ص ٢٣١ .

٨١ ـ المرجع نفسه ـ مجلد رقم ٩ ص ٢٢١ .

٨٢ ـ الامير شكيب ارسلان ـ دور الحلفاء في مجاعة لبنان ، ص ٢٢٧ ـ ٢٣٦ .

٨٣ ـ د . وجيه كوثراني ـ « الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية . . . » ص ٢٨٩ .

٨٤ ـ مسعود ضاهر ـ « تاريخ لبنان الاجتماعي » ص ٤٧ .

٨٥ ـ نفس المصدر، ص ٤٧ و ٤٨ و ٥٤ .

٨٦ ـ د . وجيه كوثراني ـ المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

٨٧ ـ سليمان تقي الدين ـ التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ١٩٢٠ ـ ١٩٧٠ ـ دار ابن خلدون . بيروت ١٩٧٧ ـ ص ٢٤

٨٨ ـ بشارة الخوري ـ حقائق لبنانية ، جزء ١ ـ ص ٩٥ .

٨٩ ـ راجع المصادر رقم ٧٩ و ٨٠ و ٨١ .

٩٠ ـ بشارة الخوري ، المصدر السابق ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ . انظر ايضاً : زين زين ـ « الصراع الدولي . . . » ص ٢٣٢ .

٩١ ـ زين زين ـ « الصراع الدولي . . . » ص ١٠٦ .

٩٢ ـ Samné Georges , La Syrie . Paris 1920 , P 544 — 545 .

٩٣ ـ زين زين ، « الصراع الدولي . . . » ص ١٠٥ و ٢٣٢ .

٩٤ ـ ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، بيروت ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤ .

٩٥ ـ محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

٩٦ ـ نفس المصدر .

٩٧ ـ Touma T : op , cit . P 713 — 714 .

٩٨ ـ بشارة الخوري ، حقائق لبنانية جزء ١ ـ ص ٩٦ .

٩٩ ـ Les Revendications du Liban , Mémoire à la délégation Libanaise à la conférence de la paix , le président de la délégation Libanaise Elias Pierre Hoyek , Paris 25 octobre 1919 .

ارشيف المكتبة الشرقية ، جامعة القديس يوسف ، بيروت .

١٠٠ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ، الجزء الثالث ص ٢٠١ .

١٠١ ـ راجع « الصهيونية على لسان زعمائها » جمع واعداد البروفسور اسرائيل شاحاك ، تقديم الدكتور اميل توما . منشورات جاليلو ، القدس ١٩٧٩ ص ٧٠ .

١٠٢ ـ من وثائق الخارجية البريطانية مصنفة تحت الرقم : — F . O . 371 2298 — 27647 .

١٠٣ ـ J . C . HureWity , Diplomacy in the near and middle east 1914 — 1956 Vol 11 (D . Vom , Nostrand company INC . princeton . NeW York London 1956 P , 50 — 54 .

١٠٤ ـ من وثائق البطريركية المارونية في بكركي ، تشرين الثاني ١٩١٩ .

١٠٥ ـ H . F . Frischwasser Ra'anan : The Frontiers of a Nation , London 1955 , P 139 .

١٠٦ ـ Le grand — Liban de Syrie à la conférence de la Paix , paris octobre 1919 , Archeveque de Fourzol , Zahlé , et la Békaâ — Liban cyrille Moghabghab .

١٠٧ ـ . cité par Touma T , op . cit : T . II . P . 715 .

١٠٨ ـ بشارة الخوري ـ حقائق لبنانية ، ج١ ، ص ٩١ . ووردت تفصيلات مهمة عن وضع « عين ابل » وعلاقتها بفرنسا في كتاب « ثورة الشيعة في جبل عامل ١٩٢٠) للياس صادر .

١٠٩ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ، ج ٣ ، ١٨٢ ـ ١٨٣ .

١١٠ ـ سليمان تقي الدين ـ « التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية . » ص ٣٣ ـ ٣٤ .

١١١ ـ لسان الحال ، الاثنين ٣ تشرين الثاني ١٩١٩ .

١١٢ ـ لسان الحال ـ ٢٧ كانون الأول ١٩١٩ .

١١٣ ـ لسان الحال ، راجع اعداد ٧ كانون الثاني ـ ١٢ كانون الثاني ١٩٢٠ .

١١٤ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ، ص ٢٢٧ انظر أيضاً ـ خطط الشام ج ٣ ـ ص ١٦٩ .

١١٤ ـ دكتور وجيه كوثراني ـ المصدر السابق ص ٣٣٢ .

١١٦ ـ لسان الحال ـ ٢٤ كانون الثاني ١٩٢٠ .

١١٧ ـ لسان الحال ـ ٢ شباط ١٩٢٠ .

١١٨ ـ لسان الحال ـ ١٥ تموز ١٩٢٠ .

١٩ ـ لسان الحال ـ ٢٣ آذار ١٩٢٠ .

١٢٠ ـ Recueil des actes Administratifs du Haut — Commissariat de la Republique Francaise en Syrie et au Liban année 1919 — 1920 Vol . 1 , Beyrouth , P . 5 .

١٢١ ـ . Lyautey Pierre : Gouraud , Paris 1949 , P 200 — 201

١٢٢ ـ نفس المصدر .

١٢٣ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ـ ص ٢٢٨ .

١٢٤ ـ لسان الحال ـ ٩ حزيران ١٩٢٠ .

١٢٥ ـ محمد جابر آل صفا ـ تاريخ جبل عامل ـ ص ٢٢٩ .

١٢٦ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ، ـ ج ٣ ـ ص ١٧٠ .

١٢٧ ـ لسان الحال ـ ٢٢ حزيران ١٩٢٠ .

١٢٨ ـ ساطع الحصري « يوم ميسلون » بيروت . ص ١١٨ .

١٢٩ ـ نفس المصدر ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

١٣٠ ـ لسان الحال ـ ٢٣ أيلول ١٩٢٠ .

١٣١ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ـ الجزء الثالث ، ص ١٨٧ .

١٣٢ ـ نفس المصدر ، ص ١٨٤ ـ ١٨٦ .

١٣٣ ـ جريدة ـ « سورية الجديدة » سان باولو ـ البرازيل ـ السنة الأولى العدد ٢٢ ـ ٢٩ تموز ١٩٣٩ .

١٣٤ - Cité par Bruneau . A . op . cit : P 407 — 408 .

١٣٥ - د . وجيه كوثراني - الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي . مصدر سابق . ص ٣٥٤ نقلاً عن : Nicolas Maxime : La nationalité au Laban , Thèse , Paris 1928 , P . 33 — 34 .

١٣٦ - « لبنان الكبير ، مأساة نصف قرن » . صادر في سلسلة « دراسات القضية اللبنانية » . الكراس الاول . بيروت ١٩٧٦ .

١٣٧ - من وثائق أرشيف وزارة الخارجية البريطانية الموجودة في مركز الوثائق البريطاني . P . R . D

هوامش الفصل السابع

١ - سليمان تقي الدين - « التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ١٩٢٠ - ١٩٧٠ » - بيروت ١٩٧٧ ص ١٢ .

٢ - مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

٣ - Catroux : Deux missions en Moyen — orient (1919 — 1920) P 26 — 28 .

٤ - كمال صليبي - تاريخ لبنان الحديث ، ص ٢١١ .

٥ - جان دوكروبي « الرساميل الأوروبية في الشرق الأدنى » باريس ١٩٦٤ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

٦ - خالدي - فروخ - التبشير والاستعمار ص ١٢٢ .

٧ - نفس المصدر ص ١١٢ . ويمكنك مراجعة كتاب : اليسوعيون في سوريا : les jesuites en Syrie

٨ - نفس المصدر ص ٣٨ .

٩ - نفس المصدر ص ١٧١ .

١٠ - نفس المصدر ص ١٢٦ .

١١ - نفس المصدر ص ٥٧ .

١٢ - نفس المصدر ص ١٦٢ .

١٣ ـ نفس المصدر ص ٥٣ ـ ٥٤ و ١٢٢ .

١٤ ـ نفس المصدر ـ ص ١٥٢ .

١٥ ـ التبشير والاستعمار ص ١٥١ .

١٦ ـ ساطع الحصري ـ تقارير عن احوال المعارف في سوريا خلال سنة ١٩٤٥ .

١٧ ـ Bergeı and Levrault (eds) . La Syrie et le Liban sous l'occupation et le Mandat Francais (1919 — 1927) Paris : Imprimerie Vollaire . N . D . (1928 ?) P , 96 .

١٨ ـ نفس المصدر ، ص ١١٨ .

١٩ ـ انيس صايغ ـ لبنان الطائفي ـ ١٩٥٥ ـ ص ١٤٤ . مرجع سابق .

٢٠ ـ مسعود ضاهر ـ « تاريخ لبنان الاجتماعي . ١٩١٤ ـ ١٩٢٦ » دار الفارابي بيروت ص ١٦٧ ـ ١٨١ .

٢١ ـ نفس المصدر ص ١٨٦ .

٢٢ ـ نفس المصدر ص ١٨٧ .

٢٣ ـ Germain Watrin (et al) . L'Ecole et L'Education Nationale (Beirut : N . P .. 1941) P . 133 .

٢٤ ـ خالدي ـ فروخ ـ التبشير والاستعمار ـ ص ٦٨ ـ ٦٩ .

٢٥ ـ د . عمر فروخ ـ دفاعاً عن العلم دفاعاً عن الوطن ـ بيروت ١٩٧٧ ص ١٣ .

٢٦ ـ jessup 597 انظر ايضاً التبشير والاستعمار ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

٢٧ ـ انيس صايغ ، لبنان الطائفي ، ص ١٤٣ . مرجع سابق .

٢٨ ـ انظر كتاب « جلوس صهيون والعرب » لمؤلفه الياهو ايلات (افنشتاين) او (شيفات تسيون فيعراف) بالعبرية عن دار دفير ـ في تل أبيب ـ ١٩٧٤ . وهناك ترجمة لبعض فصول هذا الكتاب في « الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان » ، بدر الحاج ـ ٦٠ ـ ٦١ .

٢٩ ـ تجدر الاشارة هنا الى كتابات بطرس ضو « تاريخ الموارنة » في اربعة اجزاء ـ دار النهار للنشر ـ ما عدا الثالث ـ بطحا ـ كسروان ١٩٧٦ .

٣٠ ـ انظر « لبنان الكبير ، مأساة نصف قرن » دون مؤلف لكن ملف العمل الشهري ينسبه الى فؤاد أفرام البستاني ، صادر في سلسلة « دراسات القضية اللبنانية » الكراس الأول ـ بيروت ١٩٧٦ .

٣١ ـ سليمان تقي الدين ـ التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ص ٧١ ـ ٧٢ نقلاً عن ميشال مرقص : تاريخ الحياة النيابية في لبنان ١٨٤٣ ـ ١٩٧٠ .

٣٢ ـ محمد كرد علي ـ خطط الشام ، الجزء الثالث .

٣٣ ـ فتحي يكن ـ المسألة اللبنانية من منظور اسلامي ـ بيروت ١٩٧٩ م ص ٩٢ ـ ٩٣ .

٣٤ ـ راجع مجلة « دراسات عربية » ـ السنة العاشرة العدد ١٠ آب ١٩٧٤ م ص ٥١ .

٣٥ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ، ص ٢١٢ .

٣٦ ـ نفس المصدر ، ص ٢١٣ .

٣٧ ـ نفس المصدر ص ٢١٦ .

٣٨ ـ بشارة الخوري حقائق لبنانية ج ١ ـ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

٣٩ ـ اسكندر رياشي ، « قبل وبعد ، ١٩١٨ ـ ١٩٤١ » دار الحياة ص ٣٤ و ٣٩ . بيروت .

٤٠ ـ اسكندر رياشي ، الأيام اللبنانية ، ص ١٦٤ .

٤١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ، ص ٢١٦ .

٤٢ ـ نفس المصدر ، ص ٢١٨ .

٤٣ ـ اسكندر رياشي ـ قبل وبعد ، ص ١١١ .

٤٤ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٢٢٢ .

٤٥ ـ التاريخ الجديد ، الجزء الثامن للسنة الرابعة المتوسطة ، الطبعة الثانية ١٩٧٥ م ص ٩٩ .

٤٦ ـ محمد جميل بيهم ، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ، ج ٢ ص ١٠٤ .

٤٧ ـ راجع جاك دومال وماري لوروا : التحدي الصهيوني ، ترجمة نزيه الحكيم . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣٤ .

٤٨ ـ ندين بمعلوماتنا في هذا الباب لبدر الحاج في كتابه الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ، دار مصباح الفكر ـ بيروت ١٩٨٢ ـ ص ٦٢. حيث ينقل لنا ترجمة عربية لمذكرات الياهو ساسون والياهو ايلات في كتابيهما : « في الطريق الى السلام » و « جلوس صهيون والعرب » .

٤٩ ـ انظر الترجمة العربية في : بدر الحاج ، « الجذور التاريخية . . . » ص ٤٥ .

٥٠ ـ نفس المصدر ص ٧٧ .

٥١ ـ نفس المصدر ص ١٢٩ .

٥٢ ـ نفس المصدر ص ١٠٩ .

٥٣ ـ نفس المصدر ص ١٠٨ .

٥٤ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ـ ص ٢٢٣ .

٥٥ ـ « التقرير الاسلامي » ، رقم ١١ ـ تاريخ ٢٥ تموز ١٩٨٠ ـ ص ٢. يصدره المركز الاسلامي للتربية ـ بيروت ـ لبنان .

٥٦ ـ من وثائق البطريركية المارونية في بكركي ، ١٠ نيسان ١٩٣٤ .

٥٧ ـ « التقرير الاسلامي » ، ١١ ، ص ٢ ، ٢٥ تموز ١٩٨٠ ، المصدر المذكور .

٥٨ ـ بدر الحاج ـ « الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان » ص ٤٦ ـ ٤٨ .

٥٩ ـ نفس المصدر ـ ص ٤٩ ـ ٥٢ .

٦٠ ـ نفس المصدر ص ٥٣ .

٦١ ـ نفس المصدر ص ٥٤ .

٦٢ ـ نفس المصدر ص ٥٦ ـ ٥٧ .

٦٣ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ـ ص ٢٢٨ .

٦٤ ـ جوناثان رندل ـ مراسل الواشنطن بوست ـ حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ـ ص ٩٥ و ١٦٥ .

٦٥ ـ تاريخ لبنان الحديث ـ مصدر سابق ـ ص ٢١٨ .

٦٦ ـ نفس المصدر ص ٢٢١ .

٦٧ ـ Ron , Landeau , Search for Tomorrow by Rom Landay , Nicholson and Waston limited London 1938 , P 118 — 121 .

٦٨ ـ راجع أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية : Note de sous — Secrétairre d'état pour la direction Politique (Afrique — Levant) . E 4132 , Série 801 . N 149 , Paris 29 Aout 1932 .

٦٩ ـ من تقرير ايلات عن لقائه بإميل اده في كتاب جلوس صهيون والعرب .

٧٠ ـ نفس المصدر .

٧١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ، ص ٢٢٦ .

٧٢ ـ محمد جميل بيهم ـ لبنان بين مشرق ومغرب ، ص ٨ ـ ٩ بيروت ١٩٦٩ .

٧٣ ـ بدر الحاج ، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ، ص ٥٩ ـ ٦٧ .

٧٤ ـ نفس المصدر ، ص ٦٨ ـ ٦٩ نقلاً عن كتاب « جلوس صهيون والعرب » .

٧٥ ـ S . christopher, . Crossroads to ISRAEL , P 204 , Lodon 1965 .

H . M . Sachar : Europe Leaves the Middle East (1936 — 1954) P . 84 London 1974 .

٧٦ ـ محمد جميل بيهم ـ قوافل العروبة ، ومواكبها خلال العصور ، ج ٢ ص ١٠٨ ، بيروت ١٩٥٠ م .

٧٧ ـ نفس المصدر ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

٧٨ ـ محمد جميل بيهم : فلسطين اندلس الشرق ١٩١٧ ـ ١٩٤٥ م ، ص ١٧٣ بيروت ١٩٤٦ .

٧٩ ـ « التقرير الاسلامي » رقم ١١ ، ٢٥ تموز ١٩٨٠ م ، ص ٣ ، يصدره

المركز الاسلامي للتربية ـ بيروت ـ لبنان .

٨٠ ـ Micheal Ear — Zohar , the armed prophet a biographey of Ben — Gurion , P , 91 .

٨١ ـ راجع « الصهيونية على لسان زعمائها » جمع واعداد البروفسور اسرائيل شاحاك ، تقديم الدكتور توما ، منشورات جاليلو ، القدس ١٩٧٩ ص ٤٨ .

٨٢ ـ صحيفة « النهضة » البيروتية ، العدد ٥٥ ـ تاريخ ١٧ كانون الأول ١٩٣٧ .

٨٣ ـ نفس المصدر .

٨٤ ـ « النهضة » العدد ٤٩ ـ الجمعة ١٠ كانون الأول ١٩٣٧ م .

٨٥ ـ بدر الحاج ، المصدر السابق ص ١٠٢ ـ ١٠٤ نقلاً عن الياهو ساسون : في الطريق الى السلام .

٨٦ ـ بدر الحاج ، المصدر السابق ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ نقلاً عن ساسون « في الطريق الى السلام » .

٨٧ ـ بدر الحاج ، ص ١٢٤ ـ ١٢٦ ، نقلاً عن ساسون « في الطريق الى السلام » .

٨٨ ـ بدر الحاج ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ نقلاً عن ساسون « في الطريق الى السلام »

٨٩ ـ بدر الحاج ص ١٠٨ ـ ١١٠ نقلاً عن المصدر المذكور .

هوامش الفصل الثامن

١ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٢٣٥ .

٢ ـ منير تقي الدين ـ ولادة استقلال ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ .

٣ ـ محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور . ج ٢ . ص ١١٢ ـ ١١٣ .

٤ ـ التاريخ الجديد ، الجزء الثامن للسنة الرابعة المتوسطة ـ الطبعة الثانية ١٩٧٥ ـ بيروت ص ١١٢ .

٥ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٢٣٤ و ٢٣٦ .

٦ ـ الليدي سبيرز ـ قصة الاستقلال في سوريا ولبنان ـ ص ٥٠ .

٧ ـ المارونية السياسية ، كتاب السفير ص ٢٧ .

٨ ـ منير تقي الدين ـ « الجلاء » ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ .

٩ ـ المارونية السياسية ، كتاب السفير

١٠ ـ « دفاعاً عن العلم ، دفاعاً عن الوطن » . عمر فروخ بيروت ١٩٧٧ ص ٤٧ .

١١ ـ Pierre et René Gösset : Terrifiante Asie . P 73 — 75 .

١٢ ـ فتحي يكن ـ « المسألة اللبنانية من منظور اسلامي » ، المؤسسة الاسلامية للطباعة والصحافة والنشر بيروت ١٩٧٩ ص ٤٥ .

١٣ ـ راجع محاضرة بطرس ضو بمناسبة عيد مار مارون في ٨ شباط ١٩٧٧ . ويمكن الاطلاع عليها في المصدر السابق .

١٤ ـ محمد خليفة التونسي ـ « الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون » . بيروت ١٩٨٢ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

١٥ ـ ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . وقد نشرت الوثيقة في مجلة « المنطلق » العدد الخامس عشر رمضان ١٤٠١ هـ . ص : ٣١ ـ ٣٢ .

١٦ ـ اسكندر الرياشي « الايام اللبنانية » ص ٦٤ .

١٧ ـ كميل شمعون « ازمة في الشرق الأوسط » . باريس ١٩٦٣ ـ ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

١٨ ـ اسكندر الرياشي « رؤساء لبنان كما عرفتهم » : المكتب التجاري بيروت ١٩٦١ . ص ١٩٥ .

١٩ ـ كمال جنبلاط « حقيقة الثورة اللبنانية ١٩٥٩ » ص ٥٧ ـ ٨٠ .أنظر أيضاً سليمان تقي الدين : التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ، مرجع سابق ص ٨٠ ـ ٨١ .

٢٠ ـ مجلة « الشراع » العدد ١١٣ في ١٤ أيار ١٩٨٤ ص ١٤ .

٢١ ـ راجع في هذا الموضوع « الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون » . مصدر سابق .

٢٢ ـ خالدي ـ فروخ ـ التبشير والاستعمار ص ٨٣ .

٢٣ ـ من المرسوم التشريعي رقم ١٣٤ الصادر في ١٢ حزيران ١٩٥٩ .

٢٤ ـ Secretériat Général , commission Episcopale pour l'école catholique au Liban investissements immobiliers et mobiliers des écoles catholique au Liban , (Beirut publication of the C . E . L . C . 1971) . P 29 .

٢٥ ـ انظر : البرامج اللبنانية والتنشئة الوطنية (الكسليك : منشورات جامعة الروح القدس ، ١٩٧١) ص ٩ ـ ٣١ .

٢٦ ـ الارقام لسنة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ من : Secréteriat Général , commission Episcopale pour L'Ecole catholique au Liban , L'Enseignement au Liban et la Mission Educative de L'Eglise — Rapport Général : situation et problème , (Beirut : publication of the C . E . L . C . 1966) P . 8 .

الأرقام لسنة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ من وزارة التصميم العام دائرة الاحصاءات المركزية : Recueil de statique Libanaise , Vol , (Beirut : L'imprimerie de la Statique au Liban . 1970 ; P . 423 .

٢٧ ـ الجدولين من نفس المصدر : ibid . P . 14 .

٢٨ ـ Données Statiques du Monde universitaire , Travaux et jours (Beirut) . Number 26 . january — March . 1968 . PP . 100 — 106 .

٢٩ ـ عبد الفتاح عبد المقصود ، صليبية الى الأبد . ص ١١٥ .

٣٠ ـ كتاب السفير : المارونية السياسية .

٣١ ـ عمر فروخ ـ دفاعاً عن العلم دفاعاً عن الوطن مرجع سابق ص ١٤ .

٣٢ ـ خالدي فروخ ـ التبشير والاستعمار ص ٧٢ ـ ٧٥ .

٣٣ ـ الجنرال كيللر : القضية العربية بنظر الغرب ص ١٢٠ و ١٢٢ .

٣٤ ـ المارونية السياسية ـ كتاب السفير .

٣٥ ـ نفس المصدر ص ٨٤ .

٣٦ ـ التبشير والاستعمار ص ٢٢٤ .

٣٧ ـ انيس فريحة ـ نحو عربية ميسرة ـ بيروت ١٩٥٥ ـ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

٣٨ ـ نفس المصدر ص ١٤١ و ١٩٤ .

٣٩ ـ نفس المصدر ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

٤٠ ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة محمد خليفة التونسي ـ الطبعة السادسة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٢ ص ١١٥ .

٤١ ـ نفس المصدر ص ١١٦ .

٤٢ ـ راجع المؤتمر الصحفي الذي عقده الأستاذ امين العريسي رئيس اللجنة التنفيذية للهيئات الاسلامية في ١١ ـ ٩ ـ ١٩٧٣ .

٤٣ ـ هاني فارس ـ « النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث » . الأهلية

للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٠ ص ١٧٣ نقلاً عن Albert Rioux , Projet de Déve-
loppement Socio — Economique des Biens Religieux au Liban (Beirut : Plan
Vert , 1971) . P . 3 .

هوامش الفصل التاسع

١ ـ انظر نص الكتاب الأزرق في : النهار ٢٣ أيلول ١٩٤٧ ، العدد ٣٦٩٥ .

٢ ـ Zionist Review , 3 — 4 Avril 1941 .

٣ ـ كميل شمعون : مراحل الاستقلال ، لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية.بيروت ١٩٤٩ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

٤ ـ النهار ، ١٣ أيلول ١٩٤٥ ، العدد ٣١٥٩ .

٥ ـ Shula code name the Pearl by Aviezer Golam and Danny PinKes De-
lacorte press , New YorK 1980

٦ ـ A spy in Beirut . jerusalem post 30 octobre 1979 .

٧ ـ راجع كتاب : البطريرك انطون عريضة : لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الأدنى ص ٤ ـ ٥٤ لبنان ١٩٤٦ .

٨ ـ انيس صايغ ـ « لبنان الطائفي » ـ ص ١٦١ ـ مصدر سابق .

٩ ـ د . عمر فروخ ـ دفاعاً عن العلم دفاعاً عن الوطن ، ص ٣٧ .

١٠ ـ نفس المصدر ـ ص ٥١ ـ ٥٢ .

١١ ـ نفس المصدر ص ٥٣ .

١٢ ـ « العروبة » ـ شباط ١٩٤٧ ، ج ٢ ، ص ٧ .

١٣ ـ عمر فروخ ـ « دفاعاً عن العلم . . . » ص ٧٢ .

١٤ ـ بدر الحاج ـ « الجذور التاريخية . . . » نقلاً عن مذكرات ساسون ص ١٣٧ .

١٥ ـ مجلة الديار ، ٢٧ ايلول ١٩٤٧ . أنظر أيضاً « التقرير الاسلامي » رقم ١١ ـ ٢٥ تموز ١٩٨٠ ص ٣ ـ ٤ .

١٦ ـ وليد فارس ـ التعددية في لبنان.بيروت ١٩٧٩ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

١٧ ـ مجلة بيروت المساء ، بيروت ، ٢١ حزيران ١٩٤٨ ، ص ٥ نقلاً عن مجلة (Paris — Soir) الباريسية .

١٨ ـ النشرتان ٥ ـ ٦ ، دار الندوة ، بيروت ٢٨ حزيران ١٩٤٨ . ص ١٦٧ ـ ١٦٩ .

١٩ ـ خالدي ـ فروخ ـ التبشير والاستعمار ـ ص ٢٩ .

٢٠ ـ انيس صايغ ـ لبنان الطائفي ، ص ١٦١ .

٢١ ـ جوناثان رندل ، مراسل الواشنطن بوست ، حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ، ص ١٦٧ ، مصدر سابق .

٢٢ ـ انطون سعادة : مراحل المسألة الفلسطينية ١٩٢١ ـ ١٩٤٩ بيروت ١٩٧٧ ص ١١٢ .

٢٣ ـ انظر نص الوثيقة في : كتاب قضية الحزب القومي ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ وثيقة رقم ١٧٣ . بيروت ١٩٤٩ .

٢٤ ـ من تقرير شارل مالك (واشنطن) الى وزير الخارجية حميد فرنجية (بيروت) في ٥ آب ١٩٤٩ نقلاً عن : شارل مالك والقضية الفلسطينية ص ١١٩ . بيروت ١٩٧١ .

٢٥ ـ انظر نص البيان الوزاري في ٩ أيلول ١٩٥٢ في : « مذكرات سامي الصلح » ، ج ٢ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧ بيروت ١٩٦٠ . وكذلك في « النهار » ، ١٠ أيلول ١٩٥٢ .

٢٦ ـ انظر مذكرات موشي شاريت : ٢٦ ـ ٢ ـ ١٩٥٤ ص ٣٣٧ .

٢٧ ـ « دافيد بن غوريون » ٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٥٤ ص ٢٣٩٧ ـ ٢٣٩٨ .

٢٨ ـ « موشي شاريت » . (١٨ ـ ٣ ـ ١٩٥٤ ص ٢٣٩٨ ـ ٢٤٠٠)

٢٩ ـ « يومان ايشي» . (١٢ ـ ٢ ـ ١٩٥٥ ص ٧٣٧) .

٣٠ ـ « يومان ايشي » . (١٦ ـ ٥ ـ ١٩٥٤ ص : ٩٩٦) .

٣١ ـ « يومان ايشي » . (٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٥٤ ـ ص ١٠٢٤) .

وينبغي الاشارة الى ان مذكرات شاريت هذه كتبتها مجلة (المرابط ـ الراصد) عام ١٩٧٩ وكتبها مراسل الواشنطن بوست في كتابه : حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ـ ص ١٥٧ ـ ١٦٢ .

ثم نقلتها مجلة الشراع ، في عدة اعداد في نيسان ـ وأيار ١٩٨٤ .

٣٢ ـ انظر بدر الحاج : « الجذور التاريخية . . . » نقلاً عن مذكرات ساسون ص ٩٧ .

٣٣ ـ نفس المصدر ص ٩٦ . انظر أيضاً « يومان ايشي » . (١٢ ـ ٢ ـ ١٩٥٥ ـ ص ٧٣٧) .

٣٤ ـ Micheal Bar Zchar , the armed Prophet Abioqraphy of Ben — Gurion , P 234 — 236 .

٣٥ ـ محمد جميل بيهم ـ قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ج ٢ ـ ص ٩٦ ـ ١٠٢ .

٣٦ ـ د . مصطفى خالدي ـ حاضر لبنان المسلم ـ بيروت ١٩٧٧ ـ ص ٢٠ ـ ٢١ .

٣٧ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ـ ص ٢١٢ .

٣٨ ـ « اللواء » العدد ١٥٠٤ ـ الجمعة ٢٩ آذار ١٩٤٦ .

٣٩ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ـ ص ٢٧٤ .

٤٠ ـ نفس المصدر ص ٢١٧ ـ ٢٢٠ .

٤١ ـ نفس المصدر ص ـ ٢٢٣ .

٤٢ ـ نفس المصدر ـ ص ـ ٢٢٦ .

٤٣ ـ نفس المصدر ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

٤٤ ـ نفس المصدر ص ٢٣٠ .

٤٥ ـ نفس المصدر ص ٢٣٥ .

٤٦ ـ نفس المصدر .

٤٧ ـ نفس المصدر ص ٢٤٦ .

٤٨ ـ نفس المصدر ـ ص ـ ٢٥٥ .

هوامش الفصل العاشر

١ ـ د . مصطفى خالدي ـ حاضر لبنان المسلم . بيروت ١٩٧٧ ص ٢١ ـ ٢٢ .

٢ ـ فؤاد عمون ـ سياسة لبنان الخارجية ص ٣٣ ـ ٣٤ . بيروت ، دار النشر ١٩٥٩ .

٣ ـ كمال جنبلاط ـ حقيقة الثورة اللبنانية ـ ١٩٥٩ ـ ص ١٠ و٣٣ و١٢٤ و ١٢٥ .

٤ ـ نفس المصدر ص ١٥٠ وصحيفة « اللواء » في ٢٤ أيلول ١٩٧٩ ص ١١ العمود الثالث .

٥ ـ انظر جريدة « المحرر » ٢٨ تموز ١٩٧٥ ص ١٣ العمود الأول .

٦ ـ هو فهانسيان ، النضال الوطني التحرري في لبنان (١٩٣٩ ـ ١٩٥٨) دار الفارابي ـ بيروت ص ١١٩ .

٧ ـ خالدي ـ فروخ ـ التبشير والاستعمار ص ١٩٦ وعبد العزيز فهمي ، الاستعمار عدو الشعوب ص ١٣١ نقلاً عن مجلة الغرفة التجارية (في الولايات المتحدة) السنة العاشرة ، مارس ١٩٥٣ ، العدد ٣ ص ٩ و ٦٩ .

٨ ـ فؤاد عمون ـ سياسة لبنان الخارجية ، ص ٦٢ .

٩ ـ المحرر ـ الاثنين ٢٨ تموز ١٩٧٥ ـ ص ١٣ ـ العمود الأول .

١٠ ـ ريتشـادر بارنت ـ حـروب التدخـل الأميركيـة في العالم ـ ص ١١٥ ـ ١١٦ ـ دار ابن خلدون .

١١ ـ خالدي ـ فروخ ـ « التبشير والاستعمار » ص ١٩٦ .

١٢ ـ التبشير والاستعمار ص ١٩٤ نقلاً عن . ibid 67 f ., cf . 70 f

١٣ ـ ريتشارد بارنت ـ المصدر السابق ص ١٨ .

١٤ ـ انظر كتاب السفير : المارونية السياسية .

١٥ ـ نفس المصدر .

١٦ ـ انظر جونـاثال رانـدل ـ مراسـل الواشـنطن بوست ، حـرب الألف سنة حتى آخر مسيحي تموز ١٩٨٤ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

١٧ ـ كمال جنبلاط ـ حقيقة الثورة اللبنانية ١٩٥٩ ـ ص ٢٥ .

١٨ ـ فؤاد عمون ـ سياسة لبنان الخارجية ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

١٩ ـ جونـاثـال رنـدل « حـرب الألف سنة حتى آخـر مسيحي . . . » مصدر سابق ، ص ١٦٤ . انظر ايضاً شيمون شيفر « كرة الثلج » بيروت ١٩٨٤ ص ٣٠ .

٢٠ ـ مجلة الشراع ، العدد ١١٣ ـ ١٤ أيار ١٩٨٤ ص ١٤ ـ ١٥ .

٢١ ـ راجع كتاب السفير : المارونية السياسية .

٢٢ ـ مـايلزكـوبلانـد « لعبـة الامم » ص ٢٧٠ ـ تعـريب مـروان خير ـ بيـروت ١٩٧٠ .

٢٣ ـ نفس المصدر ـ ص ٢٧٣ .

٢٤ ـ ريتشارد بارنت ، المصدر المذكور ـ ص ١٠٦ .

٢٥ ـ لعبة الأمم ص ٢٧٤ ، المصدر المذكور .

٢٦ ـ انظر كتاب السفير ـ المارونية السياسية ص ٩٥ .

٢٧ ـ لعبة الأمم ، المصدر المذكور ص ٢٧٤ .

٢٨ ـ كتاب السفير ـ المارونية السياسية .

٢٩ ـ لعبة الأمم ـ المصدر المذكور ـ ص ٢٧٥ .

٣٠ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٢٧٥ .

٣١ ـ جـوناثـال رندل مـراسل الـواشنـطن بـوست « حـرب الألف سنـة حتى آخر مسيحي » ١٩٨٤ بيروت ص ١٣٦ .

٣٢ ـ كمال صليبي ـ تاريخ لبنان الحديث ص ٢٥٠ .

٣٣ ـ صحيفـة اللواء ، العـدد ٣١١١ تـاريـخ ٢٤ أيلول ١٩٧٩ ص ١١ العمـود الثالث .

٣٤ ـ لعبة الأمم ـ المصدر المذكور ـ ص ٢٦٧ .

٣٥ ـ « د . امين الحافظ : لبنان الاقتصادي : الندوة اللبنانية ، آدار ١٩٦٥ .

٣٦ ـ سليمـان تقي الدين ـ التـطور التاريخي للمشكلة اللبنـانية ـ ص ٩٢ دار ابن خلدون ـ بيروت ١٩٧٧ نقلاً عن تقرير بعثة ايرفد .

٣٧ ـ د . امين الحافظ ـ المرجع السابق .

٣٨ ـ الجـداول الثلاثـة من نفس المصدر : كلود دويـار ـ مجلة الطريق عـدد ٩ و ١٠ ـ ١٩٧٥ .

٣٩ ـ « السفير » ـ العدد السينوي ٢٨ كانون الأول ١٩٨١ ص ٢١ .

٤٠ ـ « التقـرير الاسـلامي » رقم ٧ ـ ٢١ كانـون الأول ١٩٧٩ م ـ ص ١ ـ يصدره المركز الاسلامي للتربية ـ بيروت .

٤١ ـ خـالدي ـ فـروخ : التبشير والاستعمـار ص ١٧٩ : باب : التبشيـر يتعـاون مع الصهيونية.

٤٢ ـ نفس المصدر ص ٢٦١ .

٤٣ ـ نفس المصدر ص ٢٦٣ .

٤٤ ـ نفس المصدر ص ٢٥٧ .

٤٥ ـ نفس المصدر ص ١٨٣ .

٤٦ ـ نفس المصدر ص ١٨٤ نقلاً عن . BroWne , 9 , 10

٤٧ ـ نفس المصدر ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

٤٨ ـ مؤرخ غربي : العرب في اسبانيا .

٤٩ ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ صليبية الى الأبد ـ ص ١٨٩ ـ منشورات مكتبة العرفان بيروت .

٥٠ ـ التبشير والاستعمار ص ٢٦٤ .

٥١ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ـ ص ٢٦٧ .

٥٢ ـ كتاب السفير : المارونية السياسية ص ٩٠ .

٥٣ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ص ٨٣ .

٥٤ ـ التبشير والاستعمار ـ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ .

٥٥ ـ صحيفة النهار ـ بيروت ـ بتاريخ ١٢ ـ ١٢ ـ ١٩٦٩ ـ الصفحة الأولى .

٥٦ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ص ٢٦٨ .

٥٧ ـ نفس المصدر ص ٢٦٩ .

٥٨ ـ نفس المصدر ـ ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠ .

٥٩ ـ التبشير والاستعمار ص ٢٤٨ .

٦٠ ـ انظر مجلة : صباح الخير ـ البناء ، بيروت في ١٤ شباط ١٩٨١ ، العدد ٢٨٧ ، ص ٤٢ .

٦١ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ـ ص ٢٧١ .

٦٢ ـ نفس المصدر ص ٢٧٥ .

٦٣ ـ نفس المصدر ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

٦٤ ـ نفس المصدر ـ ص ٢٨٤ ـ ٢٩٠ .

٦٥ ـ نفس المصدر ـ ص ٣٠٧ .

٦٦ ـ نفس المصدر ص ٣١٩ .

٦٧ ـ جوناثال رندل ـ مراسل الواشنطن بوست ـ حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي الطبعة العربية تموز ١٩٨٤ ص ١٦٥ .

٦٨ ـ جريدة نداء الوطن الناطقة باسم بكركي : ٧ آب ١٩٦٧ .

٦٩ ـ كتاب السفير ـ المارونية السياسية ص ٨٠ .

٧٠ ـ للمزيد من التفاصيل حول سياسة الحلف المذكور ، راجع فؤاد كرم : الحلف الثلاثي ولبنان .

٧١ ـ نفس المصدر ص ٩٠ .

٧٢ ـ راجع تقي الدين الصلح : في السياسة والحكم : دار العودة ـ بيروت .

٧٣ ـ جوناثال رندل ـ مراسل الواشنطن بوست ـ حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي الطبعة العربية ـ بيروت ـ تموز ١٩٨٤ ص ٨٥ .

٧٤ ـ نفس المصدر ص ١٤٠ .

٧٥ ـ نفس المصدر ص ٨٥ .

٧٦ ـ مجلة « المنطلق » . العدد ٢١ ـ حزيران ١٩٨٣ ص ٢٢ ـ ٢٣ .

٧٧ ـ د . مصطفى خالدي ـ حاضر لبنان المسلم ـ ص ٢٤ .

٧٨ ـ مجلة المنطلق ـ العدد ٢١ ـ حزيران ١٩٨٣ ـ ص ٦ .

٧٩ ـ « السفير » في ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٧٩ ص ٥ .

٨٠ ـ بدر الحاج ـ « الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان » ص ٤٠ .

٨١ ـ لحد خاطر ـ لبنان والفاتيكان ـ ص ٢٢٨ .

٨٢ ـ « السفير » ١ ـ ٣ ـ ١٩٧٩ ص ٥ .

٨٣ ـ « السفير » ٢٢ ـ شباط ١٩٧٩ ص ٥ .

٨٤ ـ « السفير » ١ آذار ١٩٧٩ ص ٥ .

٨٥ ـ نفس المصدر

٨٦ ـ « السفير » ١٧ شباط ـ ١٩٧٩ ص ٥ .

٨٧ ـ سليمان تقي الدين ـ التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ـ ص ١٢١ .

٨٨ ـ نفس المصدر ص ١٢٣ نقلاً عن : القوى العاملة في لبنان : المراجع

الوثيقة والمؤسسية للانماء : منشورات ندوة الدراسات الانمائية .

٨٩ ـ انماء محافظة الجنوب ـ ندوة الدراسات الانمائية ١٩٧٠ ص ٦٨ .

٩٠ ـ انماء الزراعة في لبنان ـ ندوة الدراسات الإنمائية ص ٢٢ .

٩١ ـ نفس المصدر ص ٢٥ .

٩٢ ـ انماء محافظة الجنوب ـ ندوة الدراسات الانمائية ١٩٧٠ ص ٥٢ .

٩٣ ـ التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ـ سليمان تقي الدين ص ١٢٦ . نقلاً عن الانماء الزراعي ـ ندوة الدراسات الانمائية .

٩٤ ـ نفس المصدر .

٩٥ ـ مجلة المجتمع الكويتية عدد ٢٨٤ في ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٦ .

هوامش الفصل الحادي عشر

١ ـ زئيف شيف ، أهوديعاري : « الحرب المضللة ، حرب اسرائيل في لبنان » ترجمة حسان يوسف ، دار المروج ـ بيروت ١٩٨٥ ص ٢٢ .

٢ ـ نفس المصدر ص ١٣٥ .

٣ ـ شيمون شيفر : « كرة الثلج ـ اسرار التدخل الإسرائيلي في لبنان » الطبعة الأولى . تشرين الثاني ١٩٨٤ . ص ٣٤ .

٤ ـ جوناثال رندل مراسل « الواشنطن بوست » « حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ـ امراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان » ترجمة بشار رضا ـ بيروت ١٩٨٤ ص ١٥٥ .

٥ ـ شيمون شيفر ـ « كرة الثلج » ـ مصدر سابق ص ٣٥٥ .

٦ ـ « الحرب المضللة » مصدر سابق ص ٢١ و٢٣ و ٢٦ .

٧ ـ الحرب المضللة ص ٢٤ ـ ٢٧ . كرة الثلج ص ٣٦ ـ ٣٧ ـ وحرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ص ١٤٧ و ١٦٥ .

٨ ـ حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي ص ١٦٨ و ١٤٦ ـ كرة الثلج ص ٣٨. الحرب المضللة ص ٣٥ ـ انظر ايضاً تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا ـ توزيع دار إقرأ ـ بيروت ١٩٨٣ ص ٢٠ و ٢٢ .

٩ ـ التقرير الاسلامي رقم ١١ . بيروت المركز الاسلامي للتربية ـ ٥ تموز

١٩٨٠ ص ٧ . نقلاً عن معركة السنتين في الحرب اللبنانية ـ الأفواج العربية ص ١٠٨ .

١٠ ـ جوناثال رندل « حرب الألف سنة . . . » مصدر سابق ص ١٦٤ و ١٦٦ . انظر ايضاً « الحرب المضللة » ص ٢٧ .

١١ ـ شيمون شيفر « الحرب المضللة » ص ٢٧ .

١٢ ـ « كرة الثلج » مصدر سابق ص ٣٩ .

١٣ ـ « الحرب المضللة » مصدر سابق ص ٢٨ ـ ٣٠ .

١٤ ـ « كرة الثلج » ص ٢٥٢ ـ انظر ايضاً صحيفة معاريف الاسرائيلية في ٢١ ـ ٩ ـ ١٩٨٢ .

١٥ ـ المذكرة نشرتها مجلة « الحرية » في العدد رقم ٧٥٢ بتاريخ ٢١ كانون الأول ١٩٧٥ . ونشرت المقاطع الرئيسية منها صحيفة « بيروت » في ٢٢ كانون الأول ١٩٧٥ على الصفحة ٤ و ٥ .

١٦ ـ لقد استقينا هذه الوثيقة من : فتحي يكن « المسألة اللبنانية من منظور اسلامي » المؤسسة الاسلامية للطباعة والصحافة والنشر ـ بيروت ١٩٧٩ ص ٧٣ ـ ٧٦ وقد نشرتها الصحف في حينها .

١٧ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٤ في ٢٤ تموز ١٩٨١ ـ بيروت المركز الاسلامي للتربية نقلاً عن : « لبنان أمانة تاريخية وحضارية في عنق الموارنة » ، ص ٤٦ وما يليها.سلسلة « القضية اللبنانية » رقم ١٨ ـ كانون الأول ١٩٧٦ ـ الكسليك لبنان .

١٨ ـ الاب بطرس ضو : موارنة الغد على ضوء تاريخهم ص ١٤ ـ ٢٩ ـ محاضرة مقفلة غير منشورة القيت في كنيسة مار عبدا الفوقا ـ بعبدا بمناسبة عيد مار مارون في ٨ شباط ١٩٧٧ م . وقد نشر فتحي يكن عام ١٩٧٩ م نص المحاضرة في كتابه « المسألة اللبنانية من منظور اسلامي » بيروت . . المؤسسة الاسلامية للطباعة والصحافة والنشر .

١٩ ـ كريم بقرادوني ـ « السلام المفقود ـ عهد الياس سركيس ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢ » بيروت ١٩٨٤ ص ٩ .

٢٠ ـ « السفير » ، العدد السنوي في ٢٨ كانون الأول ١٩٨١ ص ٢١ .

٢١ ـ كريم بقرادوني « السلام المفقود . . . » ص ٩ .

٢٢ ـ « السفير » العدد السنوي في ٢٨ ـ ١١ ـ ١٩٨١ ص ٥ .

٢٣ ـ كريم بقرادوني « السلام المفقود » ص ٣٤ .

٢٤ ـ نفس المصدر ص ٢١٦ .

٢٥ ـ « الحرب المضللة » مصدر سابق ص ٣٠ .

٢٦ ـ « السفير » في ١٧ شباط ١٩٧٩ ص ٥ .

٢٧ ـ السفير في ١ آذار ١٩٧٩ ص ٥ .

٢٨ ـ السفير في ١٧ شباط ١٩٧٩ ص ٥ .

٢٩ ـ السفير في ٢٢ شباط ١٩٧٩ ص ٥ .

٣٠ ـ السفير في ١٧ شباط ١٩٧٩ ص ٥ .

٣١ ـ السفير في ٢٢ شباط ١٩٧٩ ص ٥ .

٣٢ ـ نفس المصدر .

٣٣ ـ السفير في ١٧ شباط ١٩٧٩ ص ٥ .

٣٤ ـ السفير في ٩ تموز ١٩٧٨ العدد ١٥١٧ ص ١٢ .

٣٥ ـ مقابلة مع مجلة « النوفيل اوبسرفاتور » الفرنسية.وقد نشرت مقتطفات منها صحيفة « الوطن » على الصفحة ٥ بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٧٨ .

٣٦ ـ مجلة « الشراع » العدد ٥٥ نهار الاثنين في ٤ نيسان ١٩٨٣ .

٣٧ ـ « الشراع » العدد ٤٥ في ٢٤ كانون الثاني ١٩٨٣ ص ٢٠ .

٣٨ ـ السفير في ٢٠ شباط ١٩٧٩ .

٣٩ ـ السفير في ١٤ تموز ١٩٧٩ ص ٥ .

٤٠ ـ مجلة « صباح الخير » العدد ٤٢٣ في ٢٤ آذار ١٩٨٤ ص ٢٤ .

٤١ ـ ورد نص هذه الرسالة في نشرة « الطليعة » الصادرة عن الطلاب العرب التقدميين في الأرض المحتلة وكذلك نشرها بدر الحاج في كتابه الجذور التاريخية

للمشروع الصهيوني في لبنان عام ١٩٨٢ ص ١٥٣ ـ ١٥٧ ونشرت جزءاً منها مجلة « صباح الخير » في ٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٨٤ ـ العدد ٤٢٣ ـ ص ٢٧ .

٤٢ ـ انظر مجلة « القومي العربي » العدد ٦٥/٣ في ٢٤ آذار ١٩٧٨ ص ١١ ـ ١٥ .

٤٣ ـ نفس المصدر .

٤٤ ـ « السفير » في ١٧ ـ ٢ ـ ١٩٧٩ ص ٥ .

٤٥ ـ « السفير » في ١ ـ آذار ١٩٧٩ ص ٥ .

٤٦ ـ بدر الحاج ـ الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان ص ١٦ نقلاً عن . Jerusalem post international N : 1969 - 26 june 1981 -

٤٧ ـ نفس المصـــدر نقـــلاً عن jerusalem post international edition 7 june 1981 —

٤٨ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٤ في ٤ تموز ١٩٨١ ص ١٠ .

٤٩ ـ حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي : ص ١٧١ .

٥٠ ـ انظر مجلة « صباح الخير » العدد ٤٢٣ ـ في ٢٤ آذار ١٩٨٤ ص ٢٦ .

٥١ ـ « السفير » عدد ١٥١٧ في ٩ تموز ١٩٧٨ ص ١ و ١٢ .

٥٢ ـ نفس المصدر .

٥٣ ـ نفس المصدر ص ١٨ ـ ١٩ .

٥٤ ـ نشر هذا الاحصاء في صحيفة « الوطن » بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٧٨ . ص ٤ ـ ٥ .

٥٥ ـ نفس المصدر .

٥٦ ـ صحيفة « النهار » بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٧٨ .

٥٧ ـ « العمل » في ٢٤ آذار ١٩٧٨ .

٥٨ ـ صحيفة « السفير » في ١٨ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ م .

٥٩ ـ السفير في ٨ ـ ١١ ـ ١٩٨٠ .

٦٠ ـ « النهار » في ٤ ـ ٤ ـ ١٩٨٠ .

٦١ ـ « النهار » في ٢١ ـ ٨ ـ ١٩٨٠ .

٦٢ ـ « السفير » في ١٢ ـ ٩ ـ ١٩٨٠ .

٦٣ ـ « الحوادث » في ١٢ ـ ٩ ـ ١٩٨٠

٦٤ ـ « السفير » في ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٠ .

٦٥ ـ « السفير » في ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ .

٦٦ ـ « السفير » في ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ .

٦٧ ـ « السفير » في ١١ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ .

٦٨ ـ « النهار » في ١١ ـ ٣ ـ ١٩٨٠ .

٦٩ ـ « النهار » في ١١ ـ ٤ ـ ١٩٨٠ .

٧٠ ـ « السفير » في ١٨ ـ ١ ـ ١٩٨٠ .

٧١ ـ « الاحرار » في ١٩ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ .

٧٢ ـ « السفير » في ٢٩ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ .

هوامش الفصل الثاني عشر

١ ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ تعريب محمد خليفة التونسي ص ١٣٢ بيروت ١٩٨٢ .

٢ ـ سماحة الامام محمد حسين آل كاشف الغطاء « المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون » ـ دار الوعي الاسلامي ـ بيروت ١٩٨٠ ص ٣٥ ـ ٣٦ .

٣ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٠ في ٣٠ أيار ١٩٨٠ ص ٣ .

٤ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٤ في ٢٤ تموز ١٩٨١ ص ٤ ـ ٥ .

٥ ـ نفس المصدر ص ٥ .

٦ ـ نفس المصدر ص ٥ .

٧ ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ ص ١٥٥ ـ مرجع سابق .

٨ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٤ في ٢٤ تموز ١٩٨١ ص ١١ .

٩ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٠ في ٣٠ أيار ١٩٨٠ ـ الجداول الأربعة من نفس المصدر .

١٠ ـ مجلة « صوت المحرومين » العدد السادس في ١٤ أيار ١٩٧٧ .

١١ ـ التقرير الاسلامي رقم ٢ في ٣١ آب ١٩٧٩ ص ٢ .

١٢ ـ التقرير الاسلامي رقم ٦ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٩ ص ٥ .

١٣ ـ الجداول الثلاثة من نفس المصدر : التقرير الاسلامي رقم ٣ في ٣١ آب ١٩٧٩ ص ٧ .

١٤ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٥ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨١ ص ٤ ـ ٨ .

١٥ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٦ في ٨ تموز ١٩٨٣ ص ٥ ـ ٧ .

١٦ ـ التقرير الاسلامي رقم ٩ في ٢٨ آذار ١٩٨٠ ص ٣ ـ ٥ ، نقلاً عن النشرة الاحصائية لعام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ الصادرة عن المركز التربوي للبحوث والإنماء .

١٧ ـ التقرير الاسلامي رقم ٢ في ٣١ آب ١٩٧٩ ص ٤ ـ ٥ .

١٨ ـ التقرير الاسلامي رقم ٦ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٩ ص ٢ ـ ٥ .

١٩ ـ نفس المصدر .

٢٠ ـ نفس المصدر .

٢١ ـ نفس المصدر .

٢٢ ـ « حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي » مراسل الواشنطن بوست ـ مصدر سابق ص ١١٣ .

٢٣ ـ « السفير » في ٢٢ شباط ١٩٧٩ ص ٣ .

٢٤ ـ صحيفة « الوطن » في ٢١ شباط ١٩٧٩ ص ٨ .

٢٥ ـ « السفير » في ٢٢ شباط ١٩٧٩ ص ٣ .

٢٦ ـ التقرير الاسلامي رقم ١١ في ٢٥ تموز ١٩٨٠ ص ٤ ـ ٥ نقلاً عن « المؤتمر الماروني العالمي الأول في المكسيك » ـ منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الاعلام ص ٥١ ـ ٥٣ و ١١١ ـ ١٢٢ و ٦٥ ـ ٦٨ .

٢٧ ـ نفس المصدر نقلاً عن « المؤتمر الماروني العالمي الأول . . . » ص ٢٣ و ١٢ .

٢٨ ـ صحيفة « فلسطين الثورة » في ٢٧ شباط ١٩٧٩ ص ٢ .

٢٩ ـ السفير في ٢٢ شباط ١٩٧٩ ص ٣ .

٣٠ ـ السفير في ٧ تموز ١٩٧٩ ص ٣ .

٣١ ـ شيمون شيفر « كرة الثلج » ١٩٨٤ مصدر سابق ص ٤٤ و ٥٠ و ٥١ و ٧٥ .

٣٢ ـ نفس المصدر ص ٥٤ ـ ٥٥ .

٣٣ ـ نفس المصدر ص ٥٧ .

٣٤ ـ السفير في ١١ شباط ١٩٨٠ .

٣٥ ـ « كرة الثلج » مصدر سابق ص ٤٠ ـ ٤٢ .

٣٦ ـ مراسل « الواشنطن بوست » « حرب الألف سنة . . . » مصدر سابق ص ١١٥ .

٣٧ ـ « كرة الثلج » مصدر سابق ص ٥٩ .

٣٨ ـ « السفير » في ٣ ـ ٨ ـ ١٩٨٠ .

٣٩ ـ السفير في ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٨٠ و ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٨٠ .

٤٠ ـ « كرة الثلج » مصدر سابق ص ٦٢ .

٤١ ـ السفير في ١٥ ـ ٩ ـ ١٩٨٠ .

٤٢ ـ « كرة الثلج » مصدر سابق ص ٦٢ ـ ٦٣ .

٤٣ ـ كريم بقرادوني « السلام المفقود ـ عهد الياس سركيس ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢ » ـ بيروت ١٩٨٤ ص ٢٣٣ .

٤٤ ـ التقرير الاسلامي رقم ١١ في ٢٥ تموز ١٩٨٠ ص ٦ .

٤٥ ـ صحيفة « الماروني » العدد الأول في ٥ أيار ١٩٨٠ .

٣٦ ـ « السفير » في ١٨ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ .

٤٧ ـ مجلة « الاسبوع العربي » العدد ١٠٩٧ الاثنين في ٢٠ تشرين الأول ١٩٨٠ ص ٨ .

٤٨ ـ « السفير » في ١١ ـ ١٠ ـ ١٩٨٠ .

٤٩ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٤ في ٢٤ تموز ١٩٨١ ص ٣ .

٥٠ ـ السفير في ١٤ ـ ١١ ـ ١٩٨٠ .

٥١ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٤ في ٢٤ تموز ١٩٨١ ص ٥ ـ ٦ .

٥٢ ـ نفس المصدر ص ٥ .

٥٣ ـ « الماروني » العدد ٤٣ في ٩ آذار ١٩٨١ .

٥٤ ـ « النهار العربي والدولي » العدد ٣٦٥ في ٣٠ نيسان ـ ٦ أيار ١٩٨٤ ص ١٦ .

٥٥ ـ صحيفة « الجمهور » اللبنانية في ٢١ ـ ٨ ـ ١٩٨٠ .

٥٦ ـ « النهار العربي والدولي » العدد ٣٦٥ في ٦ أيار ١٩٨٤ ص ١٦ .

٥٧ ـ نفس المصدر ص ١٦ ـ ١٧ .

٥٨ ـ شرعة من اجل ميثاق وطني جديد ـ امين ناجي ـ آفاق مشرقية (٢) ١٩٧٩ ـ ص ٢٩ ـ ٣٢ .

٥٩ ـ نفس المصدر ص ٦٣ .

٦٠ ـ نفس المصدر ٦٨ ـ ٦٩ .

٦١ ـ « كرة الثلج » ـ مصدر سابق ص ٦٤ .

٦٢ ـ نفس المصدر ص ٦٧ .

٦٣ ـ نفس المصدر ص ٦٨ .

٦٤ ـ نفس المصدر ص ٧٠ ـ ٧١ .

٦٥ ـ نفس المصدر ص ٧١ ـ ٧٢ .

٦٦ ـ السفير في ٨ أيار ١٩٨١ العدد ٢٥٣٣ .

٦٧ ـ . Jerusalem Post international N : 1069 . 26 june 1980

وقد وردت هذه التصريحات نقلاً عن المصدر المذكور في كتاب « الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان » لمؤلفه بدر الحاج ص ٣٠ و ٤٢ وكذلك وردت في مجلة « صباح الخير » العدد ٤٢٣ في ٢٤ آذار ١٩٨٤ ص ٢٣ .

٦٨ ـ التقرير الإسلامي رقم ١٤ في ٢٤ تموز ١٩٨١ ص ١٠ .

٦٩ ـ صحيفة « النهار » في ٢٥ أيار ١٩٨١ العدد ١٤٦١٢ .

٧٠ ـ « كرة الثلج » ـ مصدر سابق ص ٩٦ .

٧١ ـ نفس المصدر ص ٩٦ ـ ٩٧ .

٧٢ ـ « الحرب المضللة » مصدر سابق ص ٣٩ و ٥٢ .

٧٣ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٢ . ٧ تشرين الثاني ١٩٨٠ .

٧٤ ـ نشر هذا المقال في مجلة « كيفنين » التي تصدرها ادارة الاستعلامات بالمنظمة الصهيونية العالمية في شباط ١٩٨٢ وأعيد نشر المقال بعد ترجمته الى الانكليزية في وثيقة خاصة تصدرها جمعية الخريجين العرب في آب ١٩٨٢ م ثم قامت « الأهرام » الأسبوعية بنشره في ١٨ أيلول ١٩٨٢ كما نشرتها صحيفة السفير في عددها الصادر في ٧ تشرين الأول ١٩٨٢ ونشرت مقتطفات منه مجلة المنطلق ـ العدد ٢١ في حزيران ١٩٨٣ ص ٢١ ـ ٢٢ .

٧٥ ـ « النهار العربي والدولي » ٢٩ نيسان ١٩٨٤ ـ العدد ٣٦٤ .

٧٦ ـ التقرير الاسلامي رقم ١٣ في ٢٢ أيار ١٩٨١ ص ٦ .

هوامش الفصل الثالث عشر

١ ـ للاطلاع على تفاصيل هذه الزيارة التي قام بها الوفد العسكري الاسرائيلي الى بيروت راجع « كرة الثلج » مصدر سابق ص ١٥ ـ ٣١ . وأشار لها أيضاً مراسل « الواشنطن بوست » في كتابه « حرب الألف سنة . . . » ص ١٩٠ . انظر أيضاً « الحرب المضللة » ص ١٣٦ .

٢ ـ مجلة آخر ساعة المصرية في ١٢ ـ ١ ـ ١٩٨٣ .

٣ ـ « كرة الثلج » مصدر سابق ص ١٤٩ .

٤ ـ مجلة « النهار العربي والدولي » العدد ٢٤٤ في ٤ ـ ١٠ كانون الثاني ١٩٨٢ .

٥ ـ « الحرب المضللة » مصدر سابق ـ ص ٥٥ .

٦ ـ جوناثال رندل « حرب الألف سنة . . . » مصدر سابق ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

٧ ـ « الحرب المضللة » مصدر سابق ص ١٠ و ٤١ .

٨ ـ « كرة الثلج » ص ١٨٧ و ١٨٩ .

٩ ـ « الحرب المضللة » ٩٣ ـ ٩٤ .

١٠ ـ مجلة « صباح الخير » العدد ٤٢٣ في ٢٤ آذار ١٩٨٤ ص ٢٧ والتصريح ورد في ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٤ .

١١ ـ « كرة الثلج » ص ٢٠٤ ـ « تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا » ـ مصدر سابق ص ٢٥ .

١٢ ـ « تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا » ـ دار إقرأ ـ بيروت ١٩٨٣ ص ٢٦ ـ ٢٧ .

١٣ ـ « مجلة « صباح الخير » العدد ٤٢٣ في ٢٤ آذار ١٩٨٤ ص ٢٦ .

١٤ ـ مجلة « الكفاح العربي » في ١١ ـ ٧ ـ ١٩٨٢ .

١٥ ـ « المجلة » في ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٨٢ .

١٦ ـ صحيفة « تشرين » السورية في ١٣ ـ ١ ـ ١٩٨٣ .

١٧ ـ « كرة الثلج » ـ مصدر سابق ـ ص ١٩٦ و ١٩٨ و ٢٠٠ .

١٨ ـ نفس المصدر ـ ص ٢٠٥ .

١٩ ـ « كرة الثلج » ص ٢٠٣ . تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا ـ مصدر سابق ص ٧٧ .

٢٠ ـ « كرة الثلج » ص ٢٢٣ .

٢١ ـ « حرب الألف سنة . . . » ص ١١٨ . « الحرب المضللة » ص ١٠٨ .

٢٢ ـ « الحرب المضللة » ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

٢٣ ـ « كرة الثلج » ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ . « الحرب المضللة » ـ ص ١٠٩ .

٢٤ ـ « كرة الثلج » ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣ ،« حرب الألف سنة » ص ٢٤ .

٢٥ ـ « كرة الثلج » ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ و ٢٥٥ ـ « الحرب المضللة » ص ١١٦ و ١١٧ و ١٣٦ .

٢٦ ـ جوناثال رندل « حرب الألف سنة . . . » ص ١٢٠ .

٢٧ ـ كريم بقرادوني ـ « السلام المفقود . . . » مصدر سابق ص ٢٦٣ ـ ٢٦٧ .

٢٨ ـ نفس المصدر ص ٧ ـ ٩ .

٢٩ ـ « المجلة » في ٩ ـ ١٥ تشرين الأول ١٩٨٢ عدد ١٣٩ .

٣٠ ـ جوناثال رندل ـ « حرب الألف سنة . . . » مصدر سابق ص ٢٨ .

٣١ ـ « السفير » . العدد ٣٠٢٠ في ١ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ ص ١٠ .

٣٢ ـ « الحرب المضللة » مصدر سابق ص ١٣٨ .

٣٣ ـ جوناثال رندل « حرب الألف سنة . . . » ص ٢٧ ـ ٢٨ . أنظر ايضاً « تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا . . . » مصدر سابق ص ٣٠ ـ ٣١ .

٣٤ ـ « كرة الثلج » مصدر سابق ص ٢٣٨ .

٣٥ ـ « كرة الثلج » ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

٣٦ ـ « الحرب المضللة » ص ١٢١ .

٣٧ ـ « تقرير لجنة كاهان . . . » ص ٣٨ ـ ٣٩ ـ « كرة الثلج ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

٣٨ ـ رندل « حرب الألف سنة . . . » ص ٢٨ ـ ٢٩ .

٣٩ ـ « تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا » ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

٤٠ ـ صحيفة هآرتس الاسرائيلية في ٢١ ـ ٩ ـ ١٩٨٢ .

٤١ ـ « الحرب المضللة » ص ١٢٢ .

٤٢ ـ نفس المصدر ص ١١٨ .

٤٣ ـ « تقرير لجنة كاهان . . . » ص ٤٢ .

٤٤ ـ نفس المصدر ص ٤٣ و ٤٤ و ٤٦ . « كرة الثلج » ص ٢٤٣ . « الحرب المضللة » ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

٤٥ ـ « تقرير لجنة كاهان . . . » ص ٤٥.« كرة االثلج » ص ٢٤٦ ـ صحيفة جيروليزاليم بوست الاسرائيلية في ٢٤ ـ ٩ ـ ١٩٨٢ .

٤٦ ـ « تقرير لجنة كاهان . . . » ص ٥٤ ـ ٦٠.« الحرب المضللة » ص ١٢٦ ـ ١٢٨ .

٤٧ ـ السفير في ١ ـ١١ ـ ١٩٨٢ ص ١٢ . « تقرير لجنة كاهان . . . » ص ٦٢ ـ ٦٤ . « الحرب المضللة » ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ « كرة الثلج » ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

٤٨ ـ « حرب الألف سنة . . . » ص ٢٩ ـ ٣٠ .

٤٩ ـ « تقرير لجنة كاهان . . . » ص ٧٠ .

٥٠ ـ نفس المصدر ص ٨٢ ـ ٨٥ .

٥١ ـ « امل » العدد ٣٠٤ في ٢٠ كانون الثاني ١٩٨٤ م . ص ٦ و « صباح الخير » العدد ٤٧٨ في ١٣ ـ ٤ ـ ١٩٨٥ .

٥٢ ـ « كرة الثلج » ص ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٦ و ٢٤٩ . « الحرب المضللة » ص ١٢٨ و ١٤٠ .

٥٣ ـ « كرة الثلج » ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠ و ٢٦٦ .

٥٤ ـ صحيفة « تشرين » السورية في ٣ ـ ١ ـ ١٩٨٣ .

٥٥ ـ صحيفة « دافار » الاسرائيلية في ٢٢ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ .

٥٦ ـ مجلة الشراع العدد ٥٥ في ٤ نيسان ١٩٨٣ .

٥٧ ـ صحيفة « معاريف » الاسرائيلية في ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ .

٥٨ ـ « المجلة » في ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٨٢ .

٥٩ ـ مجلة « الحوادث » في ٢٤ ـ ١٢ ـ ١٩٨٢ .

٦٠ ـ « تشرين » في ٣ ـ ١ ـ ١٩٨٣ .

٦١ ـ مجلة « النهار العربي والدولي » في ١٧ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ .

٦٢ ـ مجلة « الكفاح العربي » في ٢٠ ـ ٢ ـ ١٩٨٣ .

٦٣ ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة محمد خليفة التونسي دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٢ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

٦٤ ـ « المجلة » في ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٨٢ .

٦٥ ـ مجلة « النهار العربي والدولي » في ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٨٢ .

٦٦ ـ مجلة « الشرق الأوسط » في ٥ ـ ١١ ـ ١٩٨٢ .

٦٧ ـ صحيفة القبس الكويتية في ٢٤ ـ ١١ ـ ١٩٨٢ .

٦٨ ـ مجلة « النهار العربي والدولي » في ٢٧ ـ ١٢ ـ ١٩٨٢ .

٦٩ ـ مجلة « الشراع » العدد ١١٣ في ١٤ أيار ١٩٨٤ ص ٢١ .

٧٠ ـ الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ مصدر سابق ص ١٢٣ .

٧١ ـ مجلة « صباح الخير » ـ العدد ٤٢٣ ص ٢٧ في ٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٨٤ .

٧٢ ـ نفس المصدر ص ٢٦ .

٧٣ ـ السفير في ٢٠ نيسان ١٩٨٣ .

٧٤ ـ شيمون شيفر « كرة الثلج » ـ مصدر سابق ـ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩١ و ٢٩٦

٧٥ ـ صحيفة « تشرين » السورية في ٣٠ ـ ١ ـ ١٩٨٣ .

٧٦ ـ « المجلة » في ٨ ـ ١ ـ ١٩٨٣ .

٧٧ ـ صحيفة « يديعوت احرنوت » الصهيونية ، في ٢٢ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ .

٧٨ ـ مجلة « الشراع » ـ العدد ٤٥ ـ في ٢٤ كانون الثاني ١٩٨٣ ص ٢٠ .

٧٩ ـ مجلة « النهار العربي والدولي » في ٣١ ـ ١ ـ ١٩٨٣ .

٨٠ ـ جوناثال رندل « حرب الألف سنة . . . » مصدر سابق ص ٢٢٧ .

٨١ ـ صحيفة « كيهان العربي » ـ العدد ١٤٦ في ٨ أيلول ١٩٨٣ ص ١٦ .

٨٢ ـ مجلة « النهار العربي والدولي » العدد ٣٤٣ بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ـ ٤ كانون الأول ١٩٨٣ ص ٤٦ .

٨٣ ـ « امل » في ٢٠ كانون الثاني ١٩٨٤ ـ العدد ٣٠٤ . ص ١ .

٨٤ ـ مجلة « الوحدة الاسلامية » ـ العدد الأول ـ في ٢ آذار ١٩٨٤ ص ٤١ .

٨٥ ـ نفس المصدر نقلاً عن صحيفة « الواشنطن بوست » التي نسبت الخبر الى صديق مقرب لأمين الجميل .

٨٦ ـ « النهار العربي والدولي » ـ العدد ٣٥٩ في ١٩ ـ ٢٥ آذار ١٩٨٤ ص ١٩ .

٨٧ ـ « النهار العربي والدولي » من ٣٠ نيسان الى ٦ أيار ١٩٨٤ ص ١٧ .

٨٨ ـ صحيفة « كيهان العربي » ـ العدد ١٧٥ في ٥ نيسان ١٩٨٤ .

٨٩ ـ « النهار » في ١٤ آب ١٩٨٤ ص ٤ ـ العدد ١٥٧٣٩ .

٩٠ ـ مجلة « صباح الخير » ـ العدد ٤٢٣ ص ٢٧ في ٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٨٤ .

٩١ ـ نفس المصدر .

٩٢ ـ نفس المصدر .

٩٣ ـ مجلة « صباح الخير » في ١٣ ـ ٤ ـ ١٩٨٥ ـ العدد ٤٧٨ ـ ص ٤٣ .

٩٤ ـ « امل » في ١٨ آذار ١٩٨٤ ـ العدد ٣١٦ ص ١ .

٩٥ ـ نفس المصدر .

٩٦ ـ مجلة « صباح الخير » العدد ٤٧٨ في ١٣ ـ ٤ ـ ١٩٨٥ ص ٤٣ .

٩٧ ـ « النهار العربي والدولي » ـ العدد ٣٦٥ من ٣٠ نيسان الى ٦ أيار ١٩٨٤ ص ١٧ .

٩٨ ـ « السفير » ـ في ٢١ أيار ١٩٨٤ ـ العدد ٣٥٩٩ ص ٣ نقلاً عن مجلة « الوطن العربي » .

٩٩ ـ « الكفاح العربي » في نيسان ١٩٨٤ .

١٠٠ ـ مجلة « الشراع » العدد ١٢٢ في ١٦ تموز ١٩٨٤ ص ٧ .

١٠١ ـ « الشراع » العدد ١٢٢ في ١٦ تموز ١٩٨٤ ص ١٨ ـ ١٩ .

١٠٢ ـ « السفير » في ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٤ ـ العدد ٣٦٢٦ ص ١٣ .

١٠٣ ـ نفس المصدر .

١٠٤ ـ « السفير » في ٢١ ـ ٥ ـ ١٩٨٤ ـ العدد ٣٥٩٩ ـ ص ٦ .

١٠٥ ـ « امل » في ١١ كانون الثاني ١٩٨٥ ص ١٠ ـ العدد ٣٦٤ .

١٠٦ ـ « السفير » في ٢١ ـ٥ ـ ١٩٨٤ ص ٦ .

١٠٧ ـ « السفير » في ١٢ ـ ١٢ ـ ١٩٨٤ ـ العدد ٣٧٩٨ ص ٤ .

١٠٨ ـ « السفير » في ١٠ ـ ٢ ـ ١٩٨٥ ـ العدد ٣٨٥٦ ـ ص ٣ .

١٠٩ ـ نفس المصدر .

١١٠ ـ مجلة « الاسبوع العربي » في ٨ آذار ١٩٨٥ .

١١١ ـ « السفير » في ١٤ آذار ١٩٨٥ ـ العدد ٣٨٨٨ ـ ص ٣ .

١١٢ ـ « السفير » في ٢٣ آذار ١٩٨٥ ـ العدد ٣٨٩٧ ص ٨ .

١١٣ ـ « السفير » في ٢٧ و ٢٨ آذار ١٩٨٥ .

١١٤ ـ « السفير » في ١٠ نيسان ١٩٨٥ ـ العدد ٣٩١٤ ـ ص ٣ ـ نقلاً عن وكالة الأنباء الكويتية .

١١٥ ـ نفس المصدر .

١١٦ ـ نفس المصدر ص ١ .

١١٧ ـ « السفير » في ٢٩ نيسان ١٩٨٥ العدد ٣٩٣٢ ص ١ و ٤ .

١١٨ ـ نفس المصدر ص ٤ و ٩ .

١١٩ ـ نفس المصدر ص ١ و ١١ .

١٢٠ ـ « النداء » ـ العدد ٨٠٤٣ ـ في ١ أيار ١٩٨٥ ص ٥ و ٧ .

١٢١ ـ « اللواء » ـ العدد ٥٠٥٦ في ١٨ أيار ١٩٨٥ ص ١ و ٩ .

١٢٢ ـ «السفير» العدد ٤٠٠٩ في ١٩ ـ ٧ ـ ١٩٨٥ ص ٣ .

١٢٣ ـ « السفير » في ٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٨٥ ص ٤ .

١٢٤ ـ « السفير » في ٢١ ـ ٧ ـ ١٩٨٥ ص ٤ .

١٢٥ ـ « النهار » في ٢٢ ـ ٧ ـ ١٩٨٥ ص ٤ .

المراجع باللغة العربية

- طنوس الشدياق : كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان ، بيروت ١٩٥٤ ، نظر فيه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد افرام البستاني - جزءان ، بيروت ١٩٧٠ .
- عوض عبد العزيز محمد : الادارة العثمانية في ولاية سورية : ١٨٦٤ - ١٩١٤ . القاهرة دار المعارف ١٩٦٩ .
- الخوري بيار غالب : فرنسا صديقة ومحامية ، بيروت ١٩٢٤ .
- مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية - عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي - الطبعة الرابعة المكتبة العصرية صيدا - بيروت ، ١٩٥٣ .
- لامنس : تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من آثار المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩١٤ .
- البلاذري : فتوح البلدان . دار النشر للجامعيين بيروت ١٩٥٧ .
- لحد خاطر : لبنان والفاتيكان . المخلصية - لبنان ١٩٦٦ .
- محمد كرد علي : خطط الشام : مكتبة النوري دمشق . الطبعة الثالثة ١٩٨٣ .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ - دار بيروت للنشر ١٩٦٥ .
- منصور الحتوني : نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية ، بيروت اوراق لبنانية ١٩٥٦ .
- عيسى اسكندر المعلوف : تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني : حاكم لبنان من سنة ١٥٩٠ الى سنة ١٦٣٥ م جونيه : مطبعة الرسالة اللبنانية ، ١٩٣٤ .
- لطفي لوفينيان : الاسلام والمسيحية . لندن ١٩٤٠ .
- عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية . القاهرة ١٩٦٣
- بشارة خليل الخوري : حقائق لبنانية - بيروت ١٩٦٠ .
- محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ، الجزء الثاني - بيروت ١٩٥٠ .
- محمد جميل بيهم : عروبة لبنان - تطورها في القديم والحديث - بيروت : دار الريحاني ١٩٦٩ .
- محمد جميل بيهم : لبنان بين مشرق ومغرب - بيروت ١٩٦٩ . الناشر غير مذكور .
- اسكندر الرياشي : قبل وبعد . بيروت : دار الحياة ، ١٩٥٣ .
- اسكندر الرياشي : رؤساء لبنان كما عرفتهم : بيروت : المكتب التجاري ١٩٦١ .
- اسكندر الرياشي : الأيام اللبنانية .
- انيس صايغ : لبنان الطائفي ، بيروت : دار الصراع الفكري ، ١٩٥٥ .
- بطرس ضو : تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري من مار مارون

الى مار يوحنا مارون ٣٢٥ ـ ٧٠٠ . بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٠ .

ـ محمد علي مكي : لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني ٦٣٥ ـ ١٥١٦ ـ بيروت ١٩٧٧ .

ـ كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث . الطبعة الرابعة : بيروت ١٩٧٨ ـ دار النهار للنشر وقد صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٦٧ .

ـ كمال الصليبي ، الموارنة صور تاريخية بيروت ١٩٧٠ . دار النهار .

ـ الخوري جرجس زغيب : عودة النصارى الى جرود كسروان . نشره وعلق حواشيه الخوري بولس قرألي ـ منشورات جروس برس ، مؤسسة خليفة للطباعة بولفار الدورة ـ البوشرية ـ بيروت .

ـ زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان بيروت ـ دار النهار للنشر ـ ١٩٧٧ .

ـ وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ ـ بيروت : معهد الانماء العربي ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٢ .

ـ زين نور الدين زين ـ نشوء القومية العربية ـ بيروت ـ دار النهار ١٩٧٩ .

ـ محمد جابر آل صفا : تاريخ جبل عامل ـ بيروت : دار النهار ١٩٨١ : الطبعة الثانية .

ـ فؤاد أفرام البستاني : لبنان . مباحث علمية واجتماعية . بيروت : المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٩ و ١٩٧٠ .

ـ فؤاد افرام البستاني : مذكرات رستم باز ـ بيروت : المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٥ .

ـ لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١ ـ ١٩١٨ ـ بيروت : المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٧ .

ـ وجيه كوثراني : بلاد الشام ـ قراءة في الوثائق ـ بيروت ١٩٨٠ .

ـ محمد جميل بيهم : فلسطين اندلس الشرق ١٩١٧ ـ ١٩٤٥ ـ بيروت ١٩٤٦ .

ـ يوسف يزبك : ثورة وفتنة في لبنان : صفحة مجهولة من تاريخ الجبل من ١٨٤١ الى ١٨٧٣ بكلام معاصر عاش فيها ـ انطوان ضاهر العقيقي ، بيروت مطبعة الاتحاد ، ١٩٣٨ .

ـ احمد طربين : لبنان منذ عهد المتصرفية الى بداية الانتداب ١٨٦١ ـ ١٩٢٠ ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربي ، ١٩٦٠ .

ـ يوسف خطار ابو شقرا : الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ، بيروت مطبعة الاتحاد ١٩٥٢ .

ـ يوسف السودا : في سبيل الاستقلال ، بيروت دار الريحاني ١٩٦٧ .

ـ يوسف السودا : في سبيل لبنان . بيروت : مطبعة مدرسة الفرير ١٩١٩ .

ـ ميشال غريب : الطائفية والاقطاعية في لبنان . بيروت . مطابع سميا ١٩٦٤ .

ـ انطوان ضاهر العقيقي : فتنة وثورة في لبنان . مخطوطة مع وثائق اخرى نشرها وعلق عليها يوسف ابراهيم يزبك . بيروت ١٩٣٨ .

ـ يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام . بيروت ١٩٥٦ .

ـ شاهين مكاريوس : فضائل الماسونية.مصر ١٨٩٩ .

- عادل الصلح : سطور من الرسالة ، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧ - بيروت ١٩٦٦ .

- سمعان الخازن : يوسف بك كرم في المنفى . طرابلس ١٩٥٠ .

- توفيق توما : الريفيون والمؤسسات الإقطاعية عند الدروز والموارنة في لبنان من القرن السابع عشر حتى ١٩١٤ - بيروت ١٩٧١ - الجزء الثاني .

- مسعود ضاهر - تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤ - ١٩٢٦ - بيروت ١٩٧٤ .

- بدر الدين السباعي : اضواء على الرساميل الأجنبية في سوريا .

- يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان - بيروت ١٩٦٤ - المطبعة الكاثوليكية .

- اسد رستم : بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤ - ١٨٤١ - بيروت - المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٦ .

- الخوري يوسف الحداد : رسالة في نكبات لبنان مدة الحرب الى المهاجرين . بدون تاريخ .

- الأمير شكيب ارسلان : دور الحلفاء في مجاعة لبنان .

- ساطع الحصري : يوم ميسلون ، بدون تاريخ - بيروت .

- الياس صادر ، ثورة الشيعة في جبل عامل ١٩٢٠ .

- ساطع الحصري . تقارير عن احوال المعارف في سوريا خلال سنة ١٩٤٥ .

- فؤاد قازان : لبنان في محيطه العربي .

- الجامعة اللبنانية : « تاريخ المجتمع العربي » تأليف الدكتورة هند فتال . ١٩٧٨ - ١٩٧٩ .

- وليد فارس : التعددية في لبنان - الكسليك ١٩٧٩ .

- هاني فارس : النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث - الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٠ .

- فتحي يكن : المسألة اللبنانية من منظور اسلامي - بيروت ١٩٧٩ - المؤسسة الاسلامية للطباعة والصحافة والنشر .

- سليمان تقي الدين : التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ١٩٢٠ - ١٩٧٠ - دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٧ .

- كمال جنبلاط : حقيقة الثورة اللبنانية - بيروت : دار النشر العربية ١٩٥٩ .

- البرامج اللبنانية والتنشئة الوطنية : - الكسليك - منشورات جامعة الروح القدس ١٩٧١ .

- عمر فروخ - دفاعاً عن العلم دفاعاً عن الوطن بيروت ١٩٧٧ - دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

- انيس فريحة : نحو عربية ميسرة - بيروت ١٩٥٥ .

- لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الأدنى - البطريرك انطون عريضة لبنان ١٩٤٦ .

- انطون سعادة : مراحل المسألة الفلسطينية ١٩٢١ - ١٩٤٩ - بيروت ١٩٧٧ .

- مصطفى خالدي : حاضر لبنان المسلم - بيروت ١٩٧٧ : دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

- فؤاد عمون : سياسة لبنان الخارجية . بيروت : دار النشر ١٩٥٩ .
- هوفها نسيان : الضال الوطني التحرري في لبنان ١٩٣٩ - ١٩٥٨ دار الفارابي - بيروت .
- تقي الدين الصلح : في السياسة والحكم - بيروت - دار العودة .
- ندوة الدراسات الإنمائية .
- سامي الصلح : مذكرات ، بيروت : دار المنشورات الصحفية - ١٩٥٨ .
- فؤاد كرم : الحلف الثلاثي ولبنان .
- حرب لبنان وحصار بيروت ١٩٧٥ - ١٩٨٢ - بيروت : المكتبة الحديثة .
- كريم بقرادوني : السلام الففقود - عهد الياس سركيس ١٩٧٦ - ١٩٨٢ بيروت ١٩٨٤ .
- المؤتمر الماروني العالمي الأول في المكسيك - منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الاعلام .

كتب معربة :

- يواكيم برنز : بابوات من الحي اليهودي - نقله الى العربية الأستاذ خالد عيسى دار حسان للنشر - دمشق ١٩٨٣ .
- محمد خليفة التونسي : الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون . تقدير الكتاب وترجمته للأستاذ عباس محمود العقاد - بيروت - دار الكتاب العربي - الطبعة السادسة ١٩٨٢ .
- توماس ارنولد : تراث الإسلام ، ترجمة جرجس فتح الله - بيروت دار الطليعة ١٩٧٢ .

- جب هاملتون وبوون هارولد : المجتمع الاسلامي والغرب ، جزءان مصر ١٩٧١ .
- ريستلهو بيررينيه : تقاليد فرنسا في لبنان ، ترجمة القس بولس عبود.حريصا - لبنان ١٩٢١ .
- الغارة على العالم الاسلامي ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي مكتبة اسامة بن زيد . بيروت . بدون تاريخ .
- فيليب ناتيلي وكولن سمبسون : المخفي من حياة لورنس العرب : ترجمة ايلي لاوند وابراهيم العابد .
- جاك دومال وماري لوروا : التحدي الصهيوني ، ترجمة نزيه الحكيم - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨ .
- ريتشارد بارنت : حروب التدخل الأميركية في العالم - بيروت : دار ابن خلدون .
- اللايدي سبيرز . قصة الاستقلال في سوريا ولبنان - بيروت دار العلم للملايين ١٩٤٧ . تعريب منير البعلبكي .
- مايلزكو بلاند - لعبة الأمم - تعريب مروان خير - بيروت - مكتبة الزيتونة - ١٩٧٠ .
- بدر الحاج : الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان - قراءة في مذكرات الياهو ساسون والياهو ايلات - بيروت - دار مصباح الفكر ١٩٨٢ .
- جوناثال رندل : حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي - امراء الحرب المسيحيون والمغامرة الاسرائيلية في لبنان - ترجمة بشار رضا - بيروت ١٩٨٤ - العهد للنشر والتوزيع .

- شيمون شيفر « كرة الثلج - اسرار التدخل الاسرائيلي في لبنان » ١٩٨٤ .

- زئيف شيف - اهوديعاري : الحرب المضللة - حرب اسرائيل في لبنان - ترجمة حسان يوسف - بيروت دار المروج ١٩٨٥ .

- تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا - توزيع دار إقرأ - بيروت ١٩٨٣ .

هذا بالاضافة الى الصحف والمجلات العائدة لفترة ١٩٧٥ - ١٨٥ م

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة